

بِحَجَّةِ الْأَنْوَافِ وَالْمُرْجَمَةِ وَالْيَتَمَّهُ

شَرْحُ دِرْكَوْانَ الْجَامِسِيَّةِ

لِأَبِي عَلَى أَحْمَدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الْمَزْوَقِيِّ

٤٢١ — ...

لِشَرَّةِ

أَحْمَدُ دَانِيَّيْنِ
عَبْدُ السَّلَامِ هَارِزُون

القصيم الأذول

الطبعة الأولى

القاهرة

مطبعة لذة الأنف والبريمير للنشر

١٣٧١ - ١٩٥١ م

893.792

A b 973

v.1



مَكْتَبَةُ
لِسَانِ الْعَرَبِ

www.lisanarb.com

تصدير

بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

نال ديوان الحماسة من الشهرة في العالم العربي ما يستحقه ، ففي الحق أن اختيار أبي تمام كان اختياراً موفقاً ، لأن جامعه شاعر متذمّر مكّنه شعره من أن يختار أحسنَ ما تقع عليه عينه ، وما تسمعه أذنه . وهو إلى جانب ذلك شاعر كبير من شعراء المعانٍ ، فكان هذا أيضاً محور اختياره ، ولذلك فقد يقرأ القصيدة الطويلة كلها ، فيعجبه منها معنى أو معنيان ، فيختارها من بين القصيدة الطويلة . وإذا لم يكن بينهما رابطٌ ربط بينهما ، وإذا كانت هناك كلة نائية غيرها بخير منها ، فكان اختياراً ومنقحاً في وقت واحد ، وكان له أيضاً فضل تبويب الشعر ، فإنما لا نرى أحداً قبله قسم الشعر هذا التقسيم ؛ فأولاً كانت حركة الجمجمة ، وثانياً كانت حركة الاختيار حينما اتفق في النظم ، كالنضليات والأصنعيات ، وفي النثر كمال القال . ثم جاءت حركة الاختيار المبوب ، ولعل فاختتها كان أبداً تمام .

ويظهر أن العادة فشت أولاً في أن يسمى الكل باسم أي جزء حتى في تسمية القرآن . فسميت سورة البقرة آيةٌ فيها في البقرة ، وسورة الأنعام كذلك ، وسورة التملّك كذلك ، ثم فشت عادة تسمية الشيء بأوله ، فسمى العين للخليل لأنَّ أول أبوابه باب العين ، وسمى أبو تمام ديوانه بالحماسة كذلك .

وقد جرى المؤلفون على هذا النط في عصور التاريخ إلى ظهور مختارات البارودي ، وهو تقسيم ليس منطقياً كالذى اتبعه بعض الإفرنج في تقسيم الشعر

إلى شعر طبيعة ، وشعر إنسان ، وشعر إلهي مثلا . وإلا فأى منطق في باب الأدب ، وباب الأضياف ، وباب التسبيب .

قرأت أول عهدي بالأدب شرح ديوان الحماسة هذا للتبريزى فلم يعجبني ، لأن التبريزى نحوى لغوى أكثر منه أدبياً وناقداً ، فكنت أقرأ الشرح أحياناً وأنا مقطوعش جداً لأنهم معنى بيته فلا أجده ، لأن الشارح انصرف إلى شيء آخر . ثم عَزَّزْت على نفسي للمرزوقي فرأيتها تسد هذا النقص ، ثم قرأت شرحه على مشكلات أبي تمام ، فرأيته إماماً عظيماً لا يتهرّب من المشاكل ، ولكن يتصدى لها ، فوددت أن لو عُذر على شرحه لديوان الحماسة ونشر ، لأنه يكمل نقص التبريزى ، فلما عذر عليه وجدته فوق ما أتوقع ، ووجدت له مقدمة في القدر لم أر مثلها في اللغة العربية ، فكم كنا نقرأ في كتب الأقدمين عن « عمود الشعر » ونحفظ الكلمة ولا نفهم معناها حتى شرحها لنا المرزوقي شرعاً دقيقاً وافياً ، وكمله من حسنات أخرى غير هذه . فإذا راجه للقراء يسد ثلثة ، ويكمل نقصاً .

والحق أنَّ أبي تمام كان بارعاً في اختياره ، حتى كان شادى الأدب يحفظه أول ما يحفظ ، حتى متعلمو النثر قد نصّهم علماء الأدب أن يقلبوه ثراً مع محافظتهم على المعانى ، ولقد ألف بعضهم ثراً كاملاً للديوان — وهو أبو سعيد علي بن محمد الساكت المتوفى سنة ٤١٤ — وأوصوه أن ينسوه إذا نثروه لتبقى معانيه في اللاؤعى يستمد منها صاحبها عند الضرورة . وكيف أفت مختارات من عهده إلى اليوم ، ولكن لم يحظَ منها ما حظى ديوان الحماسة .

وكتب الأدب والنحو والصرف مليئة بتعبيرها : « قال في الحماسة » . ويكون هذا إشارة لأبي تمام وكتابه .

وكابرع فيه أبو تمام ، برع شارحه المزروق ، فوق الكلام حقه لغة ونحواً
وصرفًا ومعنى ونقدًا ، فالكتاب في متنه وشرحه رغبة الآمل ، وبغية المتأدب .
وقد اشتركت في إخراجه مع الأستاذ الحقق « عبد السلام محمد هارون » .
والحق يقال أن كان له حظ في نشره أكبُر من حظى ، فله الشكر على ما بذل
من جهد في إخراج الكتاب ، وفي نسبته ما ورد في الشرح إلى قائله ، والتعريف
بأعلام الشعراء وغيرهم ، وتصحيح ما حصل فيه من خطأ الفاسخ ، ووضع فهرسه
الفنية ، فالله يجزيه عنا وعن الأدب خير الجزاء .

أحمد أمين

تقديركم

كتب الاختيار :

لعل أقدم ما وصل إلينا من كتب الاختيار هو « القصائد المفضليات » التي صنعتها المفضل الضبي ، وهو اختيار لقصائد طويلة من عيون الشعر ، لم يرتبها المفضل على أبواب خاصة ، ولا قصد أن يجمع الشعر الذي يتناول أغراضًا معينة ، وإنما هو اختيار الذوق الأدبي والجزاء اللغوية ، فيما تراه له في ذلك العصر .

وقد ظهر بعده من كتب الاختيار التي على هذا النط « الأصنعيات » لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، و « جهرة أشعار العرب » لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشى ، و « مختارات شعراء العرب » لأبي السعادات ابن الشجري .

وهناك ضرب آخر من كتب الاختيار بدأه أبو تمام بديوان الحاسة وجرى فيه على تبويب معانى الاختيار . وهذا حذوه البحتري مع بعض الريبة في نسبة الحاسة إليه^(١) ، وكذا الخالديان ، وابن الشجري ، وأبو هلال العسكري ،

(١) من اطلع على دقة تقسيم الأبواب في الحاسة المنسوبة إلى البحتري وكثرة ضرورتها وأنواعها التي بلغت ١٧٤ باباً رأته أن يكون ذلك من صنيع مثل البحتري . وكما صنع أبو عام حاسة آل سلمة ، صنع البحتري حاسة لافتتح بن خاقان . ونجد في صدر نسخة ليدن من حاسة البحتري هذه النص : « اختاره من أشعار العرب لافتتح بن خاقان معارضة لكتاب الحاسة الذي ألفه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي رحهما الله وعفاه عنهما . رواية أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن أبي خالد الأحوال عن أبيه عن البحتري . على أن البغدادي يشك في نسبة الحاسة إلى البحتري ، في الجزء (٣ : ٥٩١) بعد أن نقل عن العيني قوله : « ذكره البحتري في حاسته » : « ولم نسمع أن للبحتري حاسة » .

والأعلم الشنتمرى ، وأبو الحجاج يوسف بن محمد البياسى الأندلسى ، وأبو الحسن
على بن أبي الفرج البصرى ، في دواوينهم المعروفة بالحماسات .

اسم ديوانه الحماسة :

ليس يُدرى أمر هذه التسمية ، أهى من صنيع أبي تمام نفسه ، أم هى
عرف جرى بين الأدباء ، وشهرة سارت على وجه الدهر حتى تأدى إلينا جيلاً
بعد جيل . فليس هذا الديوان حماسة فحسب ، ولكنه يجمع إلى الحماسة
لمرأى ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والأضياف ، وللمدح ، والسير والتعاس ،
والملح ، ومذمة النساء .

والظاهر أن أبي تمام سماه بأول أبوابه وأعظمها .

ويقول التبريزى في مقدمة شرحه للحماسة إن أبي تمام قد صنف خمسة كتب
في الشعر ، منها كتاب الحماسة ، وكتاب الوحشيات .

وقد عثرت على نص في المؤتلف ١٨١ فيه : « ومنهم المثل بن عمرو القنوجى ،
أنشد له الطائى في اختياره الذى سماه الحماسة » . ومن هذا النص يفهم أن صاحب
التسمية هو أبو تمام نفسه .

والذى يقرن بين الحماسة والوحشيات يجد بينهما شبهًا كبيراً في التبويب ،
فهي تشتمل على الحماسة ، والمرأى ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والسماحة ،
والأضياف ، والصفات ، والمثيب ، والملح ، ومذمة النساء .

وكما أطلق على الاختيار الأول اسم الحماسة الكبرى ، أطلق على الاختيار
الثانى اسم الحماسة الصغرى . وجاء في مقدمة ناسخه : « وهذا الكتاب اختياره
أبو تمام حبيب بن أوس الطائى رحمه الله بعد اختياره كتاب الحماسة الكبرى ،
ولم يروه ، ولكن وجد بعده مكتوبًا في مسودة بخطه مترجمًا بكتاب الوحشيات »

وقد رأيت أن هذه التسمية صارت شهراً لكتب الاختيار التي بوأبت لمعاني
الشعر، وأن هذه الشهرة قدية جداً، ولا سيما أنها قد أطلقت على حماسة البحتري،
وهو قريب العهد والمعاصرة لأبي تمام.

وقد عرف هذه التسمية ابن جنی المتوفى سنة ٣٩٢ إذ يقول في مقدمة
(التبيه على شرح مشكلات الحماسة) : « وقد أجبتك — أيك الله — إلى
ملقمسك من عمل ما في الحماسة من إعراب ، وما يلحق به من اشتراق
أو تصريف ». .

ناتج حماسة أبي تمام :

يقولون في أمثالهم : « رب ضاربة نافعة ». وهكذا كانت الحال مع أبي تمام
في صنعه لديوان الحماسة . وقد اقتضى لنا التبريزى في مقدمة شرح الحماسة أن
أبا تمام كان قد قصد عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ، فدحه وأتابه ، وعاد من
خراسان يريد العراق . فلما دخل العراق اغتنمه أبو الوفاء بن سلمة فأنزله
وأكرمه ، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثابع عظيم قطع الطريق ومنع السايلة ، فقم
أبا تمام ذلك وأخرج صدره ، على حين سر ذلك مضيقه أبو الوفاء ، فأقبل على
أبي تمام وقال له : وطنْ نفسك على هذا المقام فإن هذا الثابع لا ينحسر إلا بعد
زمان . وأحضره خزانة كتبه فطالعها واشتعل بها ، وصنف خمسة كتب في
الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات ، وهي قصائد طوال^(١) .

ويقول التبريزى : « إن كتاب الحماسة بقي في خزانة آل سلمة يضنوون به
ولا يكادون يبرزونه لأحد حتى تغير أحواهم . وورد همذان رجل من أهل
دينور يعرف بأبي العواذل ، فظفر به وحمله إلى أصحابه ، فأقبل أدباءها عليه
ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة في معناه ، فشهر فيهم ثم فيمن يليهم » .

(١) هكذا ذكر التبريزى . وقد رجمت إلى الوحشيات مصورة دار الكتب المصرية
برقم ٤٢٩٧ أدب فوجدها مقطوعات على غرار الحماسة ، وإن كانت تمتاز بعض الطول .

وقد نفهم من نص التبريزى : « ورفضوا ماعداه من الكتب المصنفة في معناه » أن أبي تمام قد سبق في هذا الضرب من الاختيار ، وأرى أنه إنما يعني مطلق كتب الاختيار كالفضليات ، والأصعديات ، والعلقات .

عمل أبي تمام في الحماسة :

صب أبو تمام ذوقه الفنى على ما وصل إليه من أشعار العرب ، فاختار لكل باب من أبواب الحماسة ما ارتضاه ذوقه ، وعنى عناية خاصة بشعراء طبى فكان قسطهم في اختياره قسطاً كبيراً . وقد لحظ العلماء أن أبي تمام يعمد أحياناً إلى تغيير نصوص الشعر ، ليستقيم له أن يربط بين الأبيات التي تفككت ، أو ليست عوار تقىصة يشين وجه الحسنة من مقطوعاته . وفي ذلك يقول المرزوقي^(١) :

« وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشترين منهم دون الأغالب ، ولا من الشعر إلى المرتد في الأفواه ، الجيب لكل داع ، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهلهم ومخضرهم ، وإسلامهم وموالدهم ، واحتطف منها الأرواح دون الأشباح ، واخترف الأنمار دون الأكام ، وجمع ما يوافق نظمه ومخالفه ، لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه ، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستتر عنه ؛ حتى إنك رأي تنتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر تقىصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها في نقه ، وهذا يبين لمن رجم إلى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها ». .

وهذه التهمة : تهمة أبي تمام بتغيير النصوص التي اختارها ، والتي يدعمها المرزوقي في أثناء شرحه بما يظهرها ويقولها كان جديراً بها أن تنزل بقيمة الحماسة باعتبارها نصوصاً يستشهد بها في علوم اللغة والعربية ، ولكنّا نجد العلماء مجتمعين على تزكية أبي تمام في الحماسة ، وعلى تزكية الحماسة ونصوصها ، بل يعدون

(١) في المقدمة ١٣ - ١٤ .

صنعيه في الحماسة داعية إلى الوثوق بـأبي تمام نفسه والاستشهاد بـشعره . وفي ذلك يقول الزمخشري^(١) : « وهو وإن كان محدثنا لا يستشهد بـشعره في اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمثابة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلامة : الدليل على هذا بـيت الحماسة ، فيقنعون بذلك لـوثقهم بـروايته وإتقانه » .

زيادات الحماسة :

ووجدت نصا في الخزانة (٣٥٢ : ٣) عن ابن المستوفى ، قال وهو يتكلّم في نسبة بعض الأبيات : « ووجدتها أيضاً في نسخة قديمة ذكر كاتبها أنها زيادات الحماسة ، كتبها محمد بن أحمد بن الحسن في ربيع الآخر سنة ٣٩٨ ، ونسبها — أى الأبيات — لمدارس بن عمرو . قال : وتروى للأخطلل ». ولست أدرى أمر هذه الزيادات ، هل هي من صنيع أبي تمام ، أم من صنيع غيره .

سرار الحماسة :

هذه الشهرة الطائرة لصانع الحماسة أبي تمام ، وذلك الاختيار الموفق الذي عَدَ فيه أبو تمام إلى الأشعار التي يحتاج بها في اللغات والعربية والمعاني ؛ ذلك الاختيار الذي انتزع إعجاب القدماء حتى يقول المرزوقي : « وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطوعات أدق مما جمعه ، ولا في اختيار المقصدات أو في مما دونه المفضل وقدره » ، ويقول التبريزى : « قالوا : إن أبو تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره » .

هذه الدوافع جيئا دعت الأدباء من قديم الزمان أن يُعنوا عنابة صادقة بدراسة هذه المجموعة الشعرية ، وأن يتصدى لها جمهرة منهم بالتفسير والتوضيح والإعراب .

وقد حفظ لنا صاحب كشف الظنون أسماء عشرين من شرحا الحماسة ،

(١) انظر الخزانة (١ : ٤ طبع بولاق) .

وقد رتبتهم على وفياتهم ، وأذكر في هذه المناسبة أن وفاة أبي تمام كانت في
سنة ٢٣١ .

١ - أبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ . وهو أول جامع
لشعر أبي تمام .

٢ - وأبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ . وقد سئ شرحه «التدبر»
على شرح مشكلات الحماسة . وقد استحضر معهد إحياء المخطوطات بجامعة
الدول العربية نسخة جيدة منه ، من مكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم ٢٣٦٩
مكتوبة في سنة ٥٩٤ . وقد استعنت بهذه النسخة واقتبست منها مادعت
الضرورة إليه في التحقيق . وفي اللوح ٢٢ ما يفيد أنه أله بعد سر الصناعة . ومن
هذا الكتاب نسخة جيدة بدار الكتب المصرية برقم ٤٤ أدب كتبت سنة ٦٨٢ .

٣ - وأبو القاسم الحسن بن بشر الامدي صاحب الموازنة ، المتوفى
سنة ٣٧١ .

٤ - وأبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، المتوفى سنة ٣٩٥ . وشرحه
هو أحد الشروح التي اعتمد عليها التبريزى في تأليفه . ويتميز هذا الشرح
بعنايته بتصحيح نسبة الأبيات إلى الشعرا ، وتوضيح بعض ما غمض في ذلك ،
مع العناية ببيان اشتغال أصحابهم .

٥ - وأبو المظفر محمد بن آدم الهروى المتوفى سنة ٤١٤ .

٦ - وأبو علي أحد بن محمد المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ ، وهو صاحب هذا
الشرح الذي نشره .

٧ - وأبو عبد الله الخطيب الإسکافى ، صاحب مبادى اللغة ، المتوفى
سنة ٤٢١ .

٨ - وأبو الحسن علي بن سيده ، اللغوى المشهور ، المتوفى سنة ٤٥٨ ، وهو
شرح كبير في ست مجلدات ، سماه «الأنيق» .

- ٩ - وأبو القاسم زيد بن علي الفسوى المتوفى سنة ٤٦٧ .
- ١٠ - وأبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالى المتوفى سنة ٤٧٥ .
- ١١ - وعبد الله بن أحمد السامانى المتوفى سنة ٤٧٥ .
- ١٢ - والأعلم أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمرى المتوفى سنة ٤٧٦ . وهو كبرى ست مجلدات .
- ١٣ - وأبو بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٤٧٦ .
- ١٤ - وعبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخبرى المتوفى سنة ٤٧٦ لا سنة ٥٨٤ كاذب صاحب كشف الظنون .
- ١٥ - وأبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ . وقد فسر الخامسة ثلاث مرات ، كاذب صاحب كشف الظنون ، قال : « شرح أولاً شرحاً صغيراً فأورد كل قطعة من الشعر ثم شرحها ، وشرح ثانية يبتأّ ثم شرح شرحاً طويلاً مستوفياً . وأول المتوسط : « أما بعد حمد الله الذي لا يبلغ صفاته الواصفون » .

ومما هو جدير بالذكر أن شرح التبريزى للتداول – بهذا الاعتبار – هو الشرح المتوسط ، أما الصغير فنه قطعة بدار الكتب برقم ١١٩٥ تشمل باب الخامسة . وأما الكبير فيما لم نهتد إلى معرفته .

وقد طبع شرح التبريزى ثلاث مرات إحداها في مدينة « بن » سنة ١٨٢٨ بتحقيق المستشرق « غيورغ ويلهم فريتزن Dr. Georg. Guil. Freytag » المعلم في المدرسة الكلية الفرييدرخو-لهمية^(١) .

وقد ألحق بنسخته فهارس للأعلام واللغة والقوافى .

وطبع مرة أخرى في بولاق ١٢٩٦ بتصحيح الشيخ محمد قاسم ، ومرة ثالثة بتحقيق الأستاذ الجليل الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، وذلك في سنة ١٣٥٧ .

(١) هذا هو المكتوب في مصدر النسخة المطبوعة ، أتبه كما هو .

وقد صنع له كذلك عدة فهارس نافعة .

١٦ — وأبو الحasan مسعود بن على البیهقی المتوفى سنة ٥٤٤ .

١٧ — وأبو إسحاق إبراهیم بن محمد بن منذر بن سعید بن ملکون الحضرمي الإشبيلي المتوفى سنة ٥٨٤ .

١٨ — وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العکبیری ، شارح دیوان المتنبی ، المتوفى سنة ٦١٦ . وهو شرح مختصر اقتصر فيه على الإعراب .

١٩ — وأبو نصر منصور بن مسلم بن على الحلبی ، المعروف بابن الدمیک ، لم يذکروا تاريخ وفاته . قال ياقوت : صنع تتمة لما قصر فيه ابن جنی في شرح الحماسة .

٢٠ — وأبو علی حسن بن علی الأسترابادی التحوی .

٢١ — وأبو نصر قاسم بن محمد التحوی .

٢٢ — هذا ما عرّفه صاحب كشف الغلوب من شروح الحماسة ، عرضته بعد تحقیقه وتصحیحه والتعليق عليه .

على أن أول شارح للحماسة فيما نعلم ، هو أبو ریاش أَحمد بن إبراهیم الشیبانی المتوفى سنة ٣٣٩ . وهو شیخ أبي عبد الله التمری ^(١) ، خلافاً لما نصّ البغدادی ^(٢) أن أول شارح لها هو أبو عبد الله التمری . وقد نقل البغدادی نصوصاً من هذا الشرح في مواضع يسيرة من انفرانة ، على حين أكثُر التبریزی من النقل عنه في شرحه للحماسة . ويفهم من تتبع نصوصه أن معظمها في الأخبار والأسباب التي قيل من أجلها الشعر ، وهي زاوية مهمة حقاً في تفهم أسرار الحماسة .

٢٣ — وكما صنع أبو ریاش تفسيراً للحماسة ، صنع تلميذه أبو عبد الله التمری ^(٣)

(١) إنباء الرواة (١ : ٢٥) مع الحواشی . ونزهة الآباء ٤٠١ .

(٢) في الخزانة (٣ : ٥٤١) .

(٣) نزهة الآباء ٤٠١ — ٤٠٣ .

كتابا في «مشكلات الحماسة». ومن هذا الكتاب نصوص في موضع متفرق من الخزانة . والتبيرى في شرحه يورد نصوصا من هذا الكتاب ثم يعقبها برد أى محمد الأعرابى عليها وتنظمه لها فى تهكم ، معتمدا على شيخه أبي الندى ، فى أكثر الأمر .

٢٤ — وما تقدم يعلم أن أبا محمد الأعرابى قد صنع نقدا لشرح التبرى . ومن هذا الكتاب نسخة برقم ٨٠ أدب ش ، وأخرى برقم ١٨٤١ أدب بخط الشنقيطي ، والظاهر أنها منقولة من الأولى . واسم هذا النقد «إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله الحسين بن علي التبرى البصرى مما فسره من أبيات الحماسة أولا وثانيا جاء في قوله : « قال أبو محمد الأعرابى : حضرت المجلس العادلى العالى — نوره الله — ذات ايمان ، فجرى ذكر أبا عبد الله التبرى رحمه الله ، فأثنى عليه بعض الحاضرين وذكر أنه كان شيخ البصرة في زمانه فضلا وبنلا ، ودرایة ورواية ، قد استخرج معانى الأبيات من أبيات الحماسة هو فيها السابق المبرز ، والجواب المُبِرَّ ، فقلت : شاكِرْه أبا يسار ! تأملت ما فسره الشيخ من تلك الأبيات أولا وثانيا ، فوجدت في خلال ذلك خللا كثيرا ، إما قصورا وإما تقصيرا ، فقال لي :

* عنتا باطلًا وظلاما^(٢) *

إن كنت صادقا فيما تدعى به فخرد لنقاصها كتاباً يدل على صحة دعواك ، وقد أمهلتك سنة . فأمليت كتابي هذا بعون الله في مدة أسبوع ، وبيّنت مواضع الزلل فيما فسره أبو عبد الله ، وأثبتت الصواب تحت كل بيت ، وجعلت ذلك خدمة للمجلس العادل العالى . وبالله التوفيق » .

٢٥ — وقد فات صاحب الكشف أيضاً أن يذكر شيخ المرة أبا العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ . ومن هذا الشرح نصوص نقلها التبيرى في شرحه .

(١) للحارث بن حازمة البش��ى في معلقه . وهو بتأمه :
عنتا باطلًا وظلاما كما تد
— بـ عن حجرة الرئيس الظباء

٢٦ — وأشار البغدادي إلى مصنف لأبي على الشلوبين . قال^(١) : « وذكر
الشلوبين فيها كتب على الحماسة . . . » .

٢٧ — وإلى شرح لأبي الفضل الطبرسي ، وقد نقل البغدادي منه نحو ثلاثةين
نصا في مواضع متفرقة^(٢) .

٢٨ — وهناك شرح حديث منسوب إلى الأديب « محمد سعيد الرافعي » . والحق
أنه للمغفور له أستاذنا الشيخ إبراهيم الدجلوني . وقد طبع هذا الشرح عدة مرات .

٢٩ — وأآخر صنعه المغفور له العلامة الشيخ سيد بن علي المرصفي ، بعد تغيير
ترتيبه . وقد طبع منه الجزء الأول سنة ١٣٣٠ .

٣٠ — وأآخر صنعه بهاء الدين عبد القادر بن لقمان ، سماه « الرصافة القادرية » .
طبع بالمكند سنة ١٢٩٩ وبآخره تفسير بعض الكلمات اللغوية باللغة الإنجليزية .
ومن هذا الشرح نسخة بالـ المكتبة الأزهرية .

* * *

وهناك ضرب آخر طريف من التفسير ، عمد فيه صاحبه إلى نثر أبيات
الحماسة ، مجللاً بذلك معانيها الفامضة . وصاحب هذا التفسير ، هو أبو سعيد على
ابن محمد الكاتب المتوفى سنة ٤١٤ . وقد صنع كتابه هذا لبهاء الدولة بن بويه ،
وسماه « منثور البهائي^(٣) » .

موازننة بين شرحى المرزوقي والتبريزى :

على أن الذى يعنينا من هذه الشروح شرحان ، هما شرح المرزوقي والتبريزى
والمرزوقي متقدم على التبريزى ، بين وفاتهما نحو إحدى وثمانين سنة ،

(١) الخزانة (٤ : ٩٢) .

(٢) انظر إقليل الخزانة للراجلكوني ٤٥ .

(٣) كشف الغطون في رسم (الحماسة) .

إذ كانت وفاة التبريزى فى سنة ٥٠٢ من المجرة . و يعد المزوفى من أقدم الشرائح
إذ كان بين وفاته فى سنة ٢١٤ ووفاة أبي تمام فى سنة ٢٣١ نحو مائة و تسعين سنة^(١) .

و شرح المزوفى يعد أكبر الشروح التى وصلت إلينا ، وأكثرها عنایة
بمعنى الشعر ، وبالنقد والموازنة ، على حين لم تفتته العناية باللغة والاشتقاق ،
وكذا العناية التى لا إسراف فيها بمسائل النحو والتصريف . لكنه قد فاته كثير
من أخبار الشعر ومناسباته ، والكلام على أسماء الشعراء واشتقاق أعلامهم وهما
الميزتان اللتان امتاز بها التبريزى عليه . والتبريزى فى هذه الناحية الأولى قد
أفاد من شرح أبي رياش للجماسة — ويدو أن كتاب أبي رياش لم يقع للمزوفى
حتى يمكنه الاتفاق به كاصنع التبريزى — وفي الناحية الأخرى قد أفاد من
شرح أبي هلال العسكري ، ومن المبهج لابن جنى .

والمزوف ذو عبارة رصينة متخيّرة ، يتتكلّف لها الصنعة حيناً ، ويعد آخر
إلى السبع المئين . ومن عجب أن التبريزى ينقل عباراته هذه ذات الطابع الخالص ،
ولا يجهد قوله في نسبة العبارة إليه إلا في القليل النادر^(٢) . بل إنه في مقدمة كتابه
لم يشر إلى إفادته منه ، مع أن الموازنَ بين الشرحين يدهشه التقاربُ الشديد بين
عبارات التفسير واتجاهاته ، نعم لا يرتاب في أن التبريزى كان في جُمُور شرحه
عالَةً على المزوفى .

ومن عجب أيضاً أن التبريزى مع ذلك ينفي على هؤلاء الذين يهملون نسبة
أقوال العلم إلى أصحابها فيقول في تفسير الشطر الثالث من الجماسية ٨٩^(٣) : « قال

(١) ولم يتأخر تأليف المزوفى لشرح الجماسة عن سنة ٤١٧ . قال ياقوت : « وجدت
خطه على كتاب شرح الجماسة من تصنيفه وقد قرئ عليه في شعبان سنة ٤١٧ » .

(٢) من ذلك النادر ما ورد عند التبريزى في شرح البيت الأول من الجماسية ٦٩
والثاني من الجماسية ٨٧ والشطر الثالث من الجماسية ٨٨ .

(٣) هي الجماسية ٨٨ عند المزوفى ، إذ أن هناك خلافاً في ترتيب المقطوعات كما سيأتي .

المرزوقي : وذكر بعض المتأخرین — يعني ابن جنی — ولم ينصفه حيث لم يسمّه في كتابه ...^(۱) .

وفي أسلوب المرزوقي أيضاً استطالة محببة ، يفصل بين المبتدأ وخبره أو بين الفعل ومفعوله بعبارة طويلة يضل القارئ في ثناياها حتى يهتدى إلى ارتباط الكلام^(۲) .

ويمتاز شرح المرزوقي بمقدمة النفيسة الجريئة التي تعدّ وثيقة هامة في تاريخ النقد الأدبي : نقد الشعر ونقد النثر ، ضمنها مسائل شتى تتعلق بموازنة النظم والنثر أيهما أشرف وأعلى قدرًا ، ويتبع ذلك الكلام على المقابلة بين منزلة الشاعر والكاتب ، والعلة في كثرة الشعراء وقلة النثار ، ولماذا لا يستطيع الأديب أن يجمع الإجاده في صناعتي النظم والنثر ؟ وما أثر الصنعة والطبع في الآثار الأدبية في قيمتها وفي جمالها ؟ ومتى تُتحسن الصنعة ؟ وما مدى العلاقة بين ذوق الأديب فيما يصنع بيانه من إنتاج أدبي وفيما يختار من بيان غيره ؟ وهذه المسألة مبنية على ما صنع أبو تمام في اختيار الحماسة ، إذ كان ذوقه في ذلك الاختيار مختلفاً لذوقه في نسج شعره وصناعته مخالفة ظاهرة . وقد أجاد المرزوقي في جواب هذه المسألة بما يعدّ مثالاً في البيان ، وغاية في إصابة الحكم .

وكلمة أخرى في هذين الشرحين : أن متن الحماسة فيهما يخالف بعضه بعضاً في الرواية وعدد الأبيات ، وفي ترتيب المقطوعات وترتيب الأبيات ، بله عدد المقطوعات . وقد لاحظت أن المرزوقي لم يرو الحماسة التي أولاها :

(۱) مما هو جدير بالذكر أن المرزوقي لا يصرح باسم ابن جنی ، وكأنه كان يستضعفه ولا يرى مكانه ، وتکاد تكون عبارة « قال بهمهم » في شرح المرزوقي يقصد بها ابن جنی خسب . وليس يذكر هذه العبارة إلا في مقام الاعتراض في أغلب الأمر .

(۲) افضل نموذجاً لذلك ما ورد في الصفحة الأولى من مقدمته ، إذ فضل بين « جارتني » وبين « أمر الشعر » بثلاثة أسطر .

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحكي لن تراعي
 وترتيبها عند التبريزى ١٤ ، ونتيج من ذلك أن نجد أن المقطوعات التي تلى
 المقطوعة ١٣ يزيد رقها واحدا عند التبريزى ، على حين نجدها برق أدنى عند
 المززوقي ، أى إن الحاسية رقم ١٥ عند التبريزى يقابلها رقم ١٤ عند المززوقي ،
 والحسية ١٦ عند التبريزى يقابلها ١٥ ، عند المززوقي ، وهلم جرا .
 كما نجد أن الحاسيتين ١٠٤ ، ١٠٥ في ترتيب المززوقي وهما ١٠٥ ، ١٠٦
 عند التبريزى — قد تقدمت أولاهما على الأخرى عند المززوقي وتأخرت
 عند التبريزى .

وهذه المفارقات راجعة إلى الخلاف في نسخ الحماسة وروايتها ، وقد وجدت
 المززوقي يقول في شرحه^(١) : « وقد رجعنا إلى نسخ مختلفات المصادر ... » ، يعني
 بذلك نسخ الحماسة ، وهو نص صحيح في بيان تعدد نسخ الحماسة .

المززوقي :

قال الصاحب ابن عباد^(٢) : « فاز بالعلم من أصحابه ثلاثة : حائل ، وحلاج ،
 وإسكاف . فالحائل هو المززوقي ، والحلاج أبو منصور بن ماشده ، والإسكاف
 أبو عبد الله الخطيب بالرى ، صاحب التصانيف في اللغة » .

وليس يعني الصاحب^{*} أنَّ أصحابه لم يبرز منها إلا هؤلاء العباقة ، ولكنه
 عنى أنَّهم نبغوا من بين أصحاب الصناعات ، وإلا فإنَّ عباقة أصحابه كثيرون ،
 وقد ظهر فيها خولٌ كثيرون ، منهم قبل المززوقي أبو الفرج الأصفهانى صاحب الأغانى
 المتوفى سنة ٣٥٦ وغيره كثير .

وليس يعرف زمان مولد (أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المززوقي) ،

(١) ص ٢٥٥ من هذا الجزء .

(٢) معجم الأدباء (٥ : ٣٥) .

٤٢١

ولكن وفاته قد أجمع المترجمون له أنها كانت سنة ٢٤٤٥ مـ يشذ منهم أحدـ .
ولكنا نجد نصاً غريباً في نهاية كتاب الأزمنة والأمكانة للمرزوقي^(١) ، وهوـ :
«فرغت منه ضحية يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٤٥٣» . والخطاب
في هذا هين ، إذ يبدو أن هذه عبارة الناسخ لا عبارة المرزوقي . ويؤيد هذا إجماع
المؤرخين قاطبة على سنة وفاته وعدم اختلافهم في ذلك . ويؤيده أيضاً ما ورد
في نص ياقوت : «وكان — أى المرزوقي — معلم أولاد بنى بويه بأصفهان ،
ودخل إليه الصاحب فما قام له ، فلما أفضت الوزارة إلى الصاحب جفاه» .
إذا عرفنا أن ولاية الصاحب للوزارة دامت ثمانى عشرة سنة وأن وفاته كانت
في سنة ٣٨٥ وأتبجنا من ذلك أنه تولى الوزارة نحو سنة ٣٦٧ — إذا عرفنا ذلك
كان القول بأن المرزوقي دامت حياته ٨٦ سنة بعد جفاء الصاحب له ، غايةً في
البعد والاستحالـة ، ولا سيما إذا وجدنا المؤرخين لم يذكروا المرزوقي بأنه كان
من المعمرين^(٢) .

سيوفهم ونبل صبرهم :

والمؤرخون لا يعرفون للمرزوقي شيئاً إلا أباً على^١ الفارسـ المتوفى سنة ٣٧٧ .
يذكرون أنهقرأ عليهم كتاب سيفويـه ، وتتعلمـله بعد أن كان رأسـاً بنفسـه^(٣) .
والمرزوقي يذكر سماعـه منه في مواضعـ من شرحـه^(٤) .

وأما تلاميـذه فلم يذكروا منهم إلا سعيدـاً البقال . قال ياقـوت : «وكتبـ
عنه سعيدـ البقال ، وأخرجهـ في معجمـه .

ويذكرون أيضاً أنه اتصلـ بينـي بوـيه وـكان مـعلم أولـادـهـ .

(١) الأزمنة والأمكانة (٢ : ٣٨٤) .

(٢) وقد عثرت أخيرـاً على نسـ في شـرحـ الحـاشـيةـ ١٦٤ يـفهمـ منهـ أنـ المرـزوـقـ صـنـعـ كـتابـ
الأـزـمـنـةـ قبلـ شـرحـ الحـاشـيةـ ، أـىـ قـبـلـ سـنةـ ٤١٧ . اـنـظـرـ الحـاشـيةـ الأولىـ منـ صـفـحةـ ١٦ـ منـ التـقدـيمـ .

(٣) معـجمـ الأـدـباءـ (٥ : ٣٥) . (٤) انـظرـ الحـاشـيةـ ١٢٣ : ٢ ، ١٣٥ : ٣ .

والمرزوقي يعده في زمرة البصريين ، وهو في مواضع من شرحه^(١) يقول : « أصحابنا البصريون » .

مؤلفات المرزوقي :

- ١ - شرح الحاسة ، قال ياقوت : « أجاد فيه جداً ». وقال القنطري : « وهو الغاية في بابه ». وقال ابن شاكر^(٢) : « وهو أحسن شروحها » .
- ٢ - شرح المفضليات . ومنه نسخة في مكتبة برلين برقم ٧٤٤٦ .
- ٣ - شرح الفصيح . قال القنطري : « وهو كتاب جميل في نوعه » .
- ٤ - شرح أشعار هذيل :
- ٥ - كتاب الأزمنة والأمكنة . وقد طبع في مجلدين في حيدرأباد سنة ١٣٣٢ .
- ٦ - الأمالى . ومنه قطعة بدار الكتب المصرية برقم ٣٣٠٠ أدب . تكلم فيها على شرح طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث ، والأمثال ، والحكم ، مع ذكر ما يناسبها من العلوم الخفية .
- ٧ - ألفاظ العموم والشمول . منه قطعة بدار الكتب المصرية برقم ٤١٤٠ أدب .
- ٨ - شرح الموجز ، في النحو ، كما ذكر ابن شاكر .
- ٩ - شرح النحو (!) . ذكره ياقوت . والظاهر أنه الكتاب السابق .
- ١٠ - وذكر له القنطري كتاباً بعنوان « مفردات متعددة في النحو » .

شرح المرزوقي للحاسة :

سمى المرزوقي كتابه هذا « شرح الاختيار للنسوب إلى أبي تمام الطائي » .

(١) انظر الحاسة ١٣ : ١ والحسنة ٥٠ : ٤ .

(٢) في عيون التواريخ نسخة دار الكتب في وفيات ٤٢١ .

المعروف بكتاب المحمادة» . وقد أثبتت هذه التسمية في صدر مقدمته .
وفي مكتبات العالم من هذا الكتاب نسخ كثيرة منها في تركيا وحدها
عشر نسخ ، وفي القاهرة نسختان : إحداهما في دار الكتب المصرية ، والأخرى
في التيمورية الملحقة بدار الكتب . وفي كل من برلين ، وليدن ، والمتحف
البريطاني ، والموصلي ، وطهران نسخة واحدة . فهي سبع عشرة نسخة ،
وإليك أرقامها :

- ١ - نسخة كوبيريل برقم ١٣٠٨ - ١٣١١
- ٢ - « نور عثمانية برقم ٣٩٩٩ - ٤٠٠١
- ٣ - « أيا صوفيا برقم ٤٠٥٨
- ٤ - « لاله لى برقم ١٨١٠ - ١٨١٣
- ٥ - « الفاتح برقم ٣٩٤١ - ٣٩٤٤
- ٦ - « بايزيد برقم ٢٦٠٤
- ٧ - « عاطف برقم ٢١٤٦
- ٨ - « المكتبة العمومية برقم ٥٣٩٣ ، ٥٣٩٢ ، ٥٥٤٧
- ٩ - « فيض الله برقم ١٦٤٤
- ١٠ - « برلين برقم ٧٤٤٩
- ١١ - « ليدن برقم ٦٠٣
- ١٢ - « المتحف البريطاني برقم ٥٦٨ - ٥٦٩
- ١٣ - « الموصلي (خطوطات الموصلي ١٩٠)
- ١٤ - « طهران (الجزء الثاني ٢٨٨)
- ١٥ - « دار الكتب المصرية برقم ٣٠٦ أدب
- ١٦ - « مكتبة تيمور باشا برقم ١٠٢٧ شعر . وهذه النسخة لم يعرفها
بروكلان .

١٧ — نسخة روان كشك الملحة بـ مكتبة طوب قبو سرای ، ورقها ٧٠٦
وهذه النسخة لم يعرفها بروکان أيضًا .

النسخ المعددة في النصيبي :

اعتمدنا في تحقيق هذه النسخة على أربع نسخ هي التي أمكننا أن نحصل عليها ، واسترجحنا من هذه النسخ الأربع نسختين اعتمدنا عليهما اعتقاداً تاماً .

١ — النسخة الأولى ، وهي التي سميتاها نسخة الأصل ، وهي نسخة المكتبة العمومية بالاستانة ، وهي كاملة في مجلدين يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٥٢٥ أى بعد وفاة المرزوق بأربع سنين ومائة سنة ، كتبها سعد بن إبراهيم ابن أحمد القرائى ، قياسها $١٨,٥ \times ٢٩,٥$ وينتهي الجزء الأول منها بالمحاسية رقم ٣٥٠ .

٢ — نسخة دار الكتب المصرية ، وهي قديمة أرجح أنها من مخطوطات القرن السادس ، بها ترقيع وتقطع وتلوث وآثار أرضية ، وهي نسخة ناقصة بها تكليل في أوها ، وتنتهي بنهاية المقطوعة الخامسة رقم ٣٠٠ أى إنها أقل من نصف الكتاب ، وهذه النسخة مجهمولة التاريخ والناسخ ، وقد رممت إلى هذه النسخة بالرمضان (م) .

أما النسختان الآخران فهما :

٣ — نسخة المكتبة التيمورية ، وهي نسخة ناقصة حديثة انحطت مجهمولة الناسخ وتاريخ النسخ ، وهي في حجم متوسط تنتهي بنهاية الخامسة رقم ٣٢٣ .

٤ — نسخة روان كشك الملحة بـ مكتبة طوب قبو سرای رقم ٧٠٦ ، وهي من مجلوبات معهد المخطوطات بالإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وهي نسخة خزانية مكتوبة بخط نسخى دقيق جميل ، مع خلوها من الضبط ، كتبها

شمس الدين القدسى برسم السلطان مراد خان سنة ٨٦٩ بأو لها طرة مذهبة ، كا
أن صفحاتها مجدولة بالذهب ، وقياسها ٢٢ × ٣٥ .

تحقيق الكتاب :

في هذا الجزء الأول عارضت نسخى المكتبة العمومية دار الكتب
المصرية معارضه تامة في النص وفي الضبط ، وقد ظهر لي أن خلافهما قليل جداً ،
وستستمر المعارضه التامة بينهما إلى أن تنتهي نسخة دار الكتب . هذا مع الاستعانة
بما نقدر عليه من الخطوطات ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ، وحينئذ تحل نسخة
روان كشك محل نسخة دار الكتب المصرية في المقابلة التامة .

وقد استدعي تحقيق هذا الكتاب أن أقارنه مقارنة تامة بشرح التبريزى
بحيث لا ترك فائدة جديرة بالإثبات فيما أرى إلا اقتبسها في الحواشى . ولا سيما
ما كان متعلقاً برواية المتن ، أو تحقيق الأخبار وتوضيحها ، أو ما كان فيه تأييد
للمرزوقي أو طعن عليه .

وكذلك اصطحبت في تحقيقه شرح مشكل أبيات الحماسة لابن جنى ،
وكان في النية أن أقتبس جميع نصوص هذا الكتاب وأضعها في أماكنها إزاء
أبيات الحماسة ، لكنني وجدت في ذلك إفلاطاً ، ووجدت الفائدة التي يجنيها
القارئ من إسهاب ابن جنى في هذا الكتاب خاصة فائدة غير مررجة . لذلك
لم أثبت منها إلا ما كان ضرورياً لتوضيح أو تأييد .

كذلك كان الصنف في كتاب المهرج لابن جنى أيضاً .

وقد التزمت أن أترجم جميع شعراء الحماسة ترجمة موجزة ، وأن أشير إلى
مراجع الترجمة . وقد أخذت من جهدى في ترجم شعراء الحيوان للحافظ ، والبيان
والتبين له ، شيئاً كثيراً ، كما أخذت من جهد الأخ العلام الشيخ أحمد محمد شاكر
في كتاب « الشعر والشعراء لابن قتيبة » ما يجعلنى أعترف له هنا بالفضل العظيم .

كما عنيت عنابة خاصة بتعيين أسماء المجهولين من شعراء الحماسة الذين يعبر عنهم أبو تمام بقوله : « وقال آخر » أو بعض شعراء قبيلة ما من قبائل العرب ، وقد وفقت في ذلك بعون الله بعض التوفيق .

وكذلك كان الأمر في تعيين أسماء المجهولين في شرح المزروق . واستعنت بعد ذلك بمحظوظ المراجع الأدبية واللغوية والتاريخية والبلدانية وكتب القراءات والتفسير وغيرها لتحقيق هذا الكتاب وضبط نصوصه . وبيان تلك المراجع سوف ألقى بالفهارس العامة للكتاب إن شاء الله .

الفهارس العامة والاستدراكات :

وسيلحق بنهاية هذا الكتاب إن شاء الله — أى في نهاية الجلد الرابع — ما تقتضيه طبيعته من الفهارس الفنية للشعر ، واللغة ، والأمثال ، والأعلام ، والبلدان ، ويتلوها الاستدراكات والتصحيحات .

* * *

وبعد ، فإن صاحب الفضل الأكبر في إخراج هذه النشرة الأولى من هذا الكتاب الجليل ، هو أستاذنا الكبير « الدكتور أحمد أمين بك » ، فهو الذي اقترح أن ينشر هذا الكتاب ، لما له ولؤله من خطر ، كما أقر إخراجه في لجنة التأليف والترجمة والنشر ، التي كانت لمصر والعالم العربي بمثابة جامعة علمية عاملة ، بما أظهرت للمثقفين من آثار التأليف في الشرق والغرب . وقد اشتراك حفظه الله في وضع منهجه الإخراج ليبدو الكتاب في هذا الوضع العلمي الحديث ، كما تفضل بمراجعة ما صنعت لتحقيق هذا الكتاب مراجعة دقيقة ، فله من الله ومن العلم خير الجزاء .

عبد السلام محمد هارون

الإفادة في } ٢٠ من المحرم سنة ١٣٧١
} ٢١ من أكتوبر سنة ١٩٥١

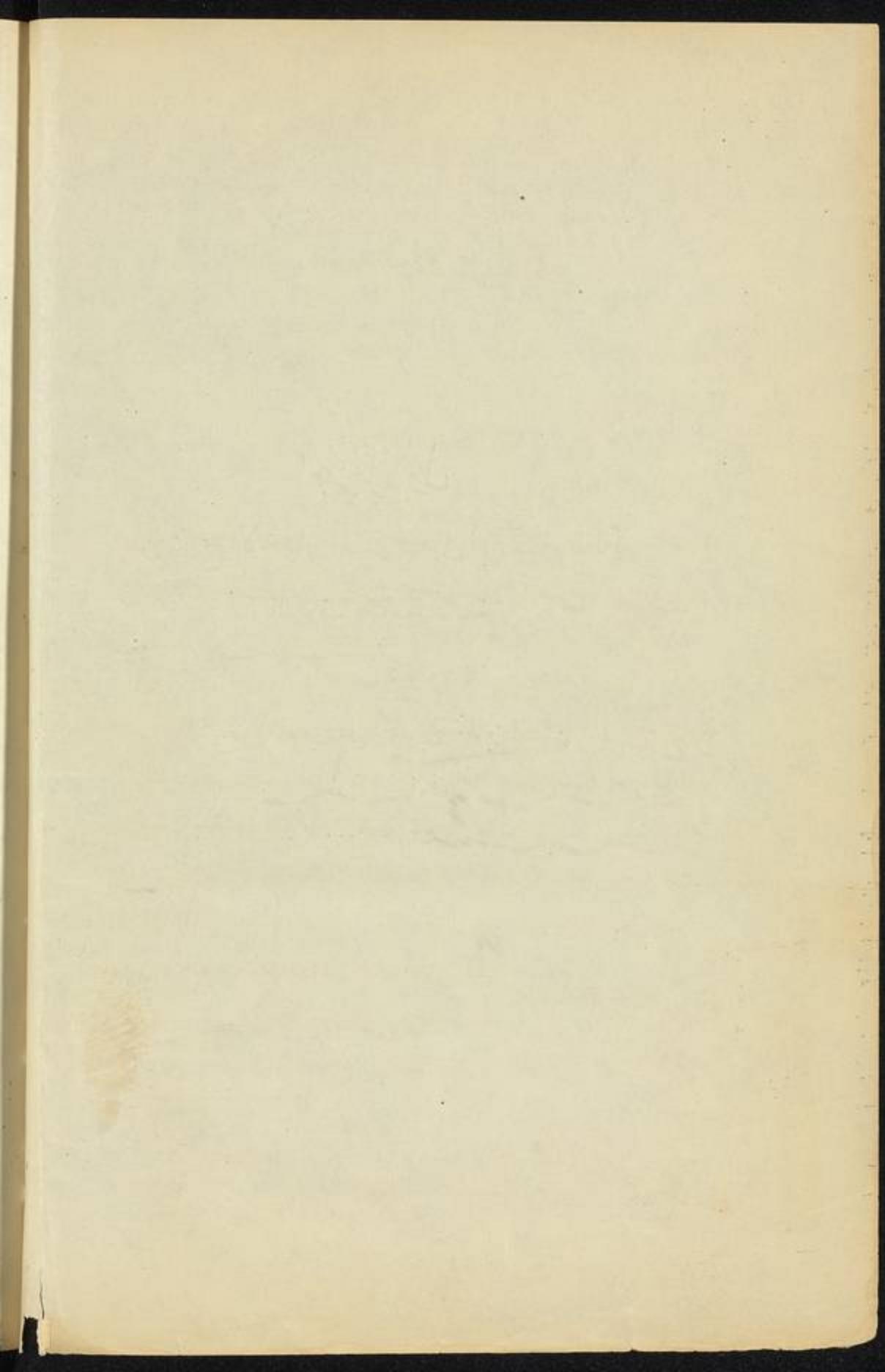
الجزء الأول

من شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائى
المعروف بكتاب الحماسة

صورة

الشيخ الإمام أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن
المروزى الإصفهانى

٤٢١ — ٠٠٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله خالق الإنسان ، متميزاً بما علمه من التبيين والبيان ، وصلَّى الله على
أفضلِ من صدَع بأمره وزَجْرُه ، داعياً وناهياً ، وعلى الطاهرين من آلِه وسلم .
وبعد فإنَّك جارٍ يَتَّفَقُ — أطَالَ اللَّهُ بِقَاءُكَ فِي أَشْمَلِ سَعَادَةٍ وَأَكْلَمِ سَلَامَةٍ ،
لَمَّا رَأَيْتَنِي أَقْصَرُ مَا أَسْتَفْضِيهُ مِنْ وَقْتٍ ، وَأَسْتَخْلَصُهُ مِنْ وَكْدِي^(١) ، عَلَى عَمَلِ
شَرْحٍ لِلَاخْتِيَارِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَبِي تَمَامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسِ الطَّائِي^(٢) ، الْمُعْرُوفُ بِكِتَابِ
الْحَمَاسَةِ — أَمْرَ الشِّعْرِ وَفَنَوْنِهِ^(٣) ، وَمَانَالِ الشِّعْرِ إِذْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَقَامَهُ لِلْعَرَبِ مَقَامَ
أَيَّامِ الدُّولَتَيْنِ وَآخِرَهُمَا مِنَ الرَّفْعَةِ بِهِ ، إِذْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَقَامَهُ لِلْعَرَبِ مَقَامَ
الْكُتُبِ لِغَيْرِهَا مِنَ الْأُمَّ ، فَهُوَ مُسْتَوْدِعُ آدَابِهَا ، وَمُسْتَحْفَظُ أَنْسَابِهَا ، وَنِظامٌ
فَخَارِهَا يَوْمُ النَّفَارِ ، وَدِيَوْنٌ يَحْجَاجُهَا عِنْدِ الْخِصَامِ .

ثُمَّ سَأَلْتُنِي عَنْ شَرَائِطِ الْأَخْتِيَارِ فِيهِ ، وَعَمَّا يَتَّمِيزُ بِهِ النَّظَمُ عَنِ النَّثَرِ ،
وَمَا يَحْمَدُ أَوْ يَذَمُ مِنَ الْفُلُوْنِ فِيهِ أَوِ الْقَصْدِ ، وَعَنْ قَوَاعِدِ الشِّعْرِ الَّتِي يُحِبُّ الْكَلَامُ
فِيهَا وَعَلَيْهَا ، حَتَّى تَصِيرَ جَوَابَهَا مَحْفُوظَةً مِنَ الْوَهْنِ ، وَأَرَكَانَهَا مَحْرُوسَةً مِنَ الْوَعْنَى
إِذْ كَانَ لَا يُحِسِّنُكُمْ لِلشَّاعِرِ أَوْ عَلَيْهِ^(٤) بِالْإِسَاءَةِ أَوْ بِالْإِحْسَانِ إِلَّا بِالْفَحْصِ عَنْهَا ،
وَتَأْمِلُ مَا خَذَّلَهُمْ مِنْهَا ، وَمَدِي شَأْوِهِ فِيهَا ، وَتَمْيِيزُ الْمَصْنَوْعِ مَا يَحُوْكُمْ مِنَ الْمُطْبَوعِ
وَالْأَتْنَى الْمُسْتَسْهَلُ مِنَ الْأَبْنَى الْمُسْتَكْرَهُ . وَقَضَيْتَ الْعَجَبَ كَيْفَ وَقَعَ الْإِجْمَاعُ مِنْ
النُّقَادَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَّفَقُ فِي الْأَخْتِيَارِ الْمَقْطَعَاتِ أَنْقَ مَا جَمَعَهُ ، وَلَا فِي الْأَخْتِيَارِ

(١) الْوَكْدُ بِالضمِّ : السُّمُّ وَالْجَهَدُ ، وَبِالفتحِ : الْمَرَادُ ، وَالْمُمُّ ، وَالْقَصْدُ .

(٢) أَمْرٌ ، هُوَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي بِجَارِيَتِي فِي الْكَلَامِ قَبْلَهُ . عَلَى أَنَّ الْمُعْرُوفَ أَنْ يُقَالُ جَارِاً
فِي كَذَا وَبِكَذَا ، أَيْ جَرِيَ مَعَهُ فِي الْمَنَاظِرَةِ وَالْمَدَالِ .

(٣) مَ : « وَعَلَيْهِ » .

المقصّدات أوفى مما دونه المفضل ونقدّه^(١).

وقلت إنَّ أباً تتمَّ مَعْرُوفُ المذهب فيما يقرِّضُه ، مَأْلُوفُ المُسْكِلِ لما ينظمه نازعُ فِي الإِبْدَاعِ إِلَى كُلِّ غَايَةٍ ، حَامِلٌ فِي الْاسْتِعَارَاتِ كُلَّ مشَقَّةٍ ، مَتَوَصِّلٌ إِلَى الظَّفَرِ بِمَطْلُوبِه مِنِ الصِّنْعَةِ أَيْنَ اعْتَسَفَ وَبِمَاذَا عَثَرَ ، مُتَغَلِّلٌ إِلَى تَوْعِيرِ الْفَظْ وَتَعْمِيقِ الْمَعْنَى أَنَّ تَائِّنَ لَهُ وَقَدْرَ ؛ وَهُوَ عَادِلٌ فِي انتِخَابِه فِي هَذَا الْجَمْعِ عَنْ سَلُوكِ مَعَاطِفِ مَيْدَانِه ، وَمُرْتَضٍ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا يَصُوغُه مِنْ أَمْرِهِ وَشَانِهِ ، فَقَدْ فَلَيْتُه فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ مَا يَوْافِقُ ذَلِكَ الْأَسْلُوبَ إِلَّا الْيُسِيرُ . وَمَعْلُومٌ أَنْ طَبعَ كُلَّ اْمْرِيٍّ — إِذَا مَلَكَ زَمَانَ الْإِخْتِيَارِ — يَجْذِبُهُ إِلَى مَا يَسْتَلِذُهُ وَيَهْوَاهُ ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّا يَنْفَرُ مِنْهُ وَلَا يَرْضَاهُ . وَزَعْمَتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْمَعُ أَنَّكَ مَعَ طَولِ مَجَالِسِكَ لِبَهَابِذَةِ الشِّعْرِ وَالْعُلَمَاءِ بِعَانِيهِ ، وَالْمَبْرَزِينَ فِي اِنْتِقَادِهِ ، لَمْ تَقْفُ مِنْ جَهَّتِهِمْ عَلَى حَدِّ يَوْدِيكَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ بِجَيْدِهِ وَمَتَوَسِّطِهِ وَرَدِيَّهِ ، حَتَّى تَجْرُدَ الشَّهَادَةَ فِي شَيْءٍ مِنْهُ ، وَتَبْدُتَ الْحُكْمُ^(٢) عَلَيْهِ أَوْلَاهُ ، آمَنَ مِنَ الْجَاذِبِينَ وَالْمُدَافِعِينَ . بَلْ تَعْقِدُ أَنَّ كَثِيرًا مَا يَسْتَجِيدُهُ زَيْدٌ يَحْوزُ أَنْ لَا يَطْبَاقَهُ عَلَيْهِ عُمْرُو ، وَأَنَّهُ قَدْ يُسْتَحْسِنَ الْبَيْتُ وَيُنْثَنِي عَلَيْهِ ثُمَّ يَسْتَهْجِنَ نَظِيرَهُ فِي الشَّبَهِ لِنَظَالَةِ وَمَعْنَى حَتَّى لَا يَخَالِفَهُ ، فَيُعْرِضُ عَنْهُ ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ مَوْقِفًا عَلَى اسْتِحْلَاءِ الْمَسْتَحْلِي وَاجْتِوَاءِ الْمُجْتَوِي ، وَأَنَّهُ كَمَا يُرْزَقُ الْوَاحِدُ فِي مَجَالِسِ السَّكَارِ مِنِ الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ ، مَا يُحْرِمُ صِنْوَهُ وَشَيْبَهُ ، مَعَ أَنَّهُ لَا فَضْلَيَّ لِذَلِكَ وَلَا نَقْيَصَّةَ لِهَذَا إِلَّا مَا فَازَ بِهِ مِنْ الْجَدَدِ عِنْدَ الاصطفاءِ والَّتِي شَرَمَ.

وقلتُ أَيْضًا : إِنَّ أَنْتَيْ أَنْ أَعْرِفَ السَّبَبَ فِي تَأْخِيرِ الشِّعْرِ عَنْ رُتبَةِ الْكُتُبِ الْبُلْغَاءِ ، وَالْمُدْرَرِ فِي قِلَّةِ الْمُتَرَسِّلِينَ وَكَثْرَةِ الْمُفْلِقِينَ^(٣) ، وَالْعَلَةَ فِي نِيَاهَةِ

(١) يعنـى بذلك الفضائل الـفضـلـياتـ ، التي اختـارـهاـ المـفضلـ الضـيـ.

(٢) في الأصل : « لِيَحْكُمْ » وأثبتنا ما في مـ.

(٣) المـفلـقـ : الشـاعـرـ الجـيدـ يـجيـءـ بـالـجـائـبـ فـيـ شـعـرهـ .

أولئك وَحُمُول هُؤلاء ، ولماذا كان أَكثُر المترسلين لا يُفْلِقون في قَرْضِ الشِّعْرِ ، وأَكثُر الشِّعْراء لا يَبْرُون في إِنشاء الْكُتُبِ ، حتَّى خُصَّ بِالذِّكْر عَدَدُ يَسِيرٍ مِنْهُمْ ، مُثْلِ إِبراهِيمَ بْنِ العَبَاسِ الصُّولِيِّ ، وَأَبِي عَلَى البَصِيرِ^(١) ، وَالْمُقْتَابِيِّ ، فِي جُمُونِهِمْ بَيْنَ الْفَنَّيْنِ ، وَاغْتَازِهِمْ رِكَابُ الظَّهَرَيْنِ^(٢) . هَذَا وَنَظَامُ الْبِلَاغَةِ يَتَسَاوِي فِي أَكْثَرِهِ الْمُنْظَمُ وَالْمُنْشُورُ .

وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَبِهِ الْحُولُ وَالْقُوَّةُ ، أُورِدُ فِي^(٣) كُلَّ فَصْلٍ مِنْ هَذِهِ الْفُصُولِ مَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا الْمَوْضِعُ ، وَيُمْكِنُ إِلَّا كَفَاءَ بِهِ ؛ إِذَا كَانَ لِتَقْصِي الْمَقَالِ فِيهِ مَوْضِعٌ آخَرُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ أَنْصِبَ لَهُ تُصُورُهُ التَّعْوِتُ الْأُمْثَلَةُ ، تَفَادِيَاً مِنَ الْإِطَّالَةِ ، وَلَأَنَّهُ إِذَا وَضَحَّ السَّبِيلُ وَقَاتَ الْهُدَى بِأَيْسَرِ دَلِيلٍ . وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُوْفَّقُ لِلصَّوَابِ ، وَهُوَ حَسِبُنَا وَنَعَّمُ الْوَكِيلَ .

* * *

اعلم أنَّ مذاهبَ تقادِ الْكَلَامِ فِي شرائطِ الْاِخْتِارِ مُخْتَلِفةٌ ، وَطَرَائِقَ ذُوِي الْمَعْرِفَةِ بِأَعْطَافِهِمْ وَأَرْدَافِهِمْ مُفْتَرَقةٌ ، وَذَلِكَ لِتَفاوتِ أَقْدَارِ مَنَادِحِهِمْ عَلَى اتساعِهِمْ^(٤) وَتَنَازُعِ أَقْطَارِ مَظَانِهِمْ وَمَعَالِمِهِمْ^(٥) ، وَلَأَنَّ تَصَارِيفَ الْمَبْانِيِّ الَّتِي هِيَ كَالْأُوْعَيْنِ ، وَتَضَاعِيفُ الْمَعَانِيِّ الَّتِي هِيَ كَالْأَمْتَعَةِ فِي الْمُنْشُورِ ، اتَّسَعَ بَجَالُ الْطَّبِيعِ فِيهَا وَمَسَرَّحُهُ ، وَتَشَعَّبَ مَرَادُ الْفِكْرِ لَهَا^(٦) وَمَطْرَحُهُ . فَنِّي الْبَلَاغَةِ مِنْ يَقُولُ : فَقَرُّ

(١) هو أبو علي الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس النخعي ، المعروف بال بصير ، كان من أهل الكوفة وسكن بمناد ، ومدح المتوكل والفتح بن خاقان ، وكان ينتسب في غالٍ وبقي إلى أيام العترة . نكت الهميان ٢٢٥ .

(٢) الاغترار : أن يدخل قدمه في الفرز ، وهو للجمل مثل الركاب للبغل . في الأصل « اغترار » ، صوابه في م .

(٣) م : « من » .

(٤) المناوح : المفاؤز ، والمنتداح : المكان الواسع .

(٥) على بالتنازع التباعد .

(٦) م : « فيها » .

الألفاظ وغُرُّها ، كجواهس العقود ودررها ، فإذا وُسِّمَ أَغْفَالُهَا بتحسين نظومها^(١) وحُلَّ أَعْطالُهَا بتركيب شُذورِها ، فراق مسموعُها ومضبوطُها ، وزانَ مفهومُها ومحفوظُها ، وجاء ما حُرِّرَ منها مُصَفًّا من كَدَرِ الْعَيْ وَالْخَطْلَ ، مقوًماً من أَوْدِ الْأَلْحَنِ وَالْخُطْلَ ، سالماً من جَنَفِ التَّأْلِيفِ^(٢) ، موزوناً بميزان الصواب ، يموجُ فِي حواشيه رونقَ الصفة لفظاً وتركيباً — قَبِيلَ الفهمِ والتَّقْدِيرِ به السمع . وإذا وَرَدَ عَلَى ضَدِّ هَذِهِ الصَّفَةِ صَدِئُ الْفَهْمِ مِنْهُ ، وَتَأْذِي السَّمْعُ بِهِ تَأْذِيَ الْحَوَاسِ بما يخالفها .

وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِالوقوف عَلَى هَذَا الْحَدَّ فَجَبَاؤَهُ ، وَالْتَّزَمَ مِنَ الْزِيَادَةِ عَلَيْهِ تَعْمِيمَ الْمَقْطَعِ ، وَتَلْطِيفَ الْمَطَاعِمِ ، وَعَطْفَ الْأَوَّلِرِ عَلَى الْأَوَّلِ ، وَدَلَالَةِ الْمَوَارِدِ عَلَى الْمَصَادِرِ ، وَتَنَاسُبَ الْفَصْوَلِ وَالْوَصْوَلِ ، وَتَعَادُلُ الْأَقْسَامِ وَالْأَوْزَانِ ، وَالْكَشْفَ عَنْ قَنَاعِ الْمَعْنَى بِلِفْظِهِ هُوَ فِي الْإِخْتِيَارِ أَوْلَى ، حَتَّى يَطَابِقَ الْمَعْنَى الْفَظْلَ ، وَيَسْبِقَ فِيَهُ الْفَهْمُ السَّمْعَ . قَالَ : وَلَا غَايَةُ وَرَاءِ هَذَا .

وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَقَّى إِلَى مَا هُوَ أَشَقُّ وَأَصَمْبَ ، فَلَمْ تُقْنِعْهُ هَذِهِ التَّكَالِيفُ فِي الْبَلَاغَةِ حَتَّى طَلَبَ الْبَدِيعَ : مِنَ التَّرْصِيمِ وَالْتَّسْجِيمِ ، وَالْتَّطْبِيقِ وَالتَّجْنِيسِ ، وَعَكْسِ الْبَنَاءِ فِي النَّظَمِ^(٣) ، وَتَوْسِيْحِ الْعِبَارَةِ بِالْأَلْفَاظِ مُسْتَعْمَارَةً ، إِلَى وَجْهِهِ أَخْرَى تَنْطَقُ بِهَا الْكِتَابُ الْمُؤْلَفَةُ فِي الْبَدِيعِ ، فَإِنِّي لَمْ أَذْكُرْ هَذِهِ الْقَدْرَ إِلَّا دَلَائِلُ عَلَى أَمْثَالِهَا . وَلَكُلَّ مَا ذَكَرْتُهُ وَمَا لَمْ ذَكَرْهُ رَسِّمَ مِنَ النَّفَوذِ وَالْاعْتَلَاءِ ، بِإِزَانِهِ مَا يَضَادُهُ فَيُسْلِمُ لِلنُّكُوصِ وَالْإِسْتِفَالِ^(٤) . وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْأَبْوَابِ لِأَحْبَابِ

(١) م : « بِحَسْنِ نَظَومِهَا » .

(٢) الجنف : الميل في الكلام وفي الأمور كما لها .

(٣) يعني بذلك ما ورد في نحو قوله :

مودته تدوم لـ كل هول وهـ كل مودته تدوم

(٤) الاستفال ، التزول إلى أسفل .

الألفاظ ، إذ كانت المعانى بمنزلة المعارض للجوارى ^(١) ، فارادوا أن يلتذ السمع
بما يدرك منه ولا يمْجَه ، ويتقاهم بالإصغاء إليه والإذن له فلا يمحجه ^(٢) .
وقد قال أبو الحسن ابن طباطبا ^(٣) رحمه الله ، في الشعر : هو ما إن عَرِي
من معنى بديع لم يُعْرِ من حُسْن الديباجة ؛ وما خالف هذا فليس بالشعر ^(٤) .
ومن البلاغاء من قصد فيما جاش به خاطره إلى أن يكون استفادة التأمل
له ، والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قوله
أو مثله . وهم أصحاب المعانى ، فطلبوا المعانى المُعْجِبة من خواص أاما كنها ،
وانتزعواها جَزْلَةً عَذْبَةً حِكْمَةً طَرِيفَةً أو رائفةً بارعةً ^(٥) ، فاضلةً كاملةً ،
لطيفةً شريفةً ، زاهرةً فاخرةً ؛ وجعلوا رسومها ^(٦) أن تكون قريبة التشبيه ،
لائقةً الاستعارة ، صادقة الأوصاف ، لائحةً الأوضاح ، خلابةً في الاستعطاف ،
عَطَافَةً لدى الاستفمار ، مستوفيةً لحظوظها عند الاستههام من أبواب التصریح
والتعريض ، والإطناب والتقصیر ، والجَدَّ والهَزْل ، والخشونة واللَّيَان ^(٧) ،
والإباء والإيماح ، من غير تفاوت يظهر في خلال أطياقها ، ولا قصور ينبعُ من
أنباء أعماقها ، مبتسمةً من مثاني الألفاظ عند الاستشفاف ، محتجبةً في غموض
الصَّيَان ، لدى الامتحان ^(٨) تعطيلك مرادك إن رفقت بها ، وتنفعك جانبها إن

(١) المعارض جمع معرض كثير ، وهو التوب تعرض فيه الجارية وتمجيء .

(٢) م : « فلا يمحجه » .

(٣) ذكره ابن خلكان عرضاً في ترجمة أبي القاسم أحمد بن محمد ابن طباطبا قال : « ولا
أدرى من هذا أبو الحسن ، ولا وجه النسبة بينه وبين أبي القاسم المذكور » . وفي مهد
الخطوطات بجامعة الدول العربية كتاب له يدعى « عيار الشعر » ذكر في صدره أنه لأبي الحسن
محمد بن أحمد ابن طباطبا الملوى . وذكر هذا الكتاب في كشف الغطون وذكر أنه لابن طباطبا .

(٤) م : « بـشـرـ » .

(٥) م : « حِكْمَةً طَرِيفَةً ، أو رائفةً بارعةً » .

(٦) م : « ورسومها » .

(٧) اللَّيَان ، بالفتح كسباب : مصدر لأن يلين لينا وليانا .

(٨) لدى الامتحان ، ساقطة من م .

عنفت معها . فهذه مناسب^١ المعنى لطلابها ، وتلك مناصب^٢ الألفاظ لأربابها . ومتى اعترف اللفظ والمعنى فيما تصوب به العقول^(١) فتعانقاً وتلبساً ، متظاهرين في الاشتراك^(٢) وتوافقنا ، فهناك يلتقي ثريات البلاغة^(٣) فيمطر روضها ، وينشر وشيهما ، ويتجلى البيان فصيح اللسان ، نجيم البرهان ، وترى رائد الفهم والطبع متباشرين لها من المسموع^(٤) والمعقول بالمسرح الخصب والمسكرع^(٥) العذب . فإذا كان النثر^(٦) — بهاته من تقاسيم اللفظ والمعنى والنظم — أسع نطاق الاختيار فيه على ما يبتئنه بحسب اتساع جوانبها وموادها ، وتكثر أسبابها ومواتها^(٧) ، وكان الشعر قد ساواه في جميع ذلك وشاركه ، ثم تفرّد عنه وتميّز بأنّ كان حَدَّه « لفظ موزون مُقْنِي يدلُّ على معنى » ، فازدادت صفاتُه التي أحاط العَدُّ بها بما انضمَّ من الوزن والتقويم إليها ، ازدادت الكُلُّ في شرائطِ الاختيار فيه ، لأنَّ الوزن والتقويم أحکاماً تمايلُ ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف أو تقارب ، وهو يقتضيان من مراعاة الشاعر والمتقدّم ، مثلَ ما يقتضيه تلك من مراعاة الكاتب والمتصفح ، لثلا يختلُّ لها^(٨) أصلٌ من أصولها ، أو يعتَلُّ فرعٌ من فروعهما .

فإذا كان الأمر على هذا ، فالواجب أن يُتبينَ ما هو عمودُ الشعرِ المعروف عند العرب ، ليتميّزَ تَلِيدُ الصنعةِ من الطريف ، وقدِيمُ نظام القراءةِ من الحديث ، ولتُعرَفَ مواطِيُّ أقدامِ المختارين فيما اختاروه ، ومراسِمُ إقدام

(١) تصوب به : تجود به ، من قوله صاحب المطر صواباً : نزل .

(٢) في الأصل : « الاعتراف » وأثبتنا ما في م .

(٣) ضبطت في الأصل بضم الثاء وفتح الراء وتشديد الياء ، وهذا خطأ . يقال التقى الزريان ، وذلك أن يجيء المطر فيرسخ في الأرض حتى يلتقي هووندي الأرض . اللسان (ثرا) .

(٤) م : « المشرع » .

(٥) موات : يجمع ماتنة بوزن فاعلة ، وهي الوسيلة .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من م .

المزيين على ما زيفوه ، ويعلم أيضًا فرقًا بين المصنوع والمطبوع ، وفضيلةُ
الأئمَّة السمح على الأبيِّ الصعب ، فنقول وبالله التوفيق :

إنهما كانوا يحاولون شرف المعنى وحْسَتَهُ ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة
في الوصف — ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثُرت سوائر الأمثال ،
وشواردُ الأبيات — والمقاربَة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتائبة على
خُيُورٍ من لذِيذِ الوزن ، ومتناهية المستعار منه للمستعار له ، ومثاكلة اللفظ المعنى
وشدة اقتضائهما للاقافية حتى لا منافرة بينهما — فهذه سبعة أبواب هي عمود
الشعر ، ولكل باب منها معيار .

فعيار المعنى أن يُعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب ، فإذا انطاف
عليه حقيقة القبول والاصطفاء ، مستأنسًا بقرارئته ، خرج وافيا ، وإلا انتفَّصَ
بمقدار شوبيه ووحشتها

وعيار اللفظ الطبيعُ والرواية والاستعمال ، فما سليمَ مما يُهْجِّنهُ عند القرضِ
عليها فهو الخثار المستقيم . وهذا في مفرداته وجلته مُرَاعٍ ، لأنَّ اللغة تُستَّركُم
بانفرادها ، فإذا ضَعَّفَها مالا يوافقُها عادت الجملة هَجِيًّا .

وعيار الإصابة في الوصف الذي كانَ وحسنُ التمييز ، فما وجداه صاحقا في المأمور
يمانِجًا في اللصوص ، يتعسر الخروج عنه والتبرُّؤ منه ، فذاك سِيَاهُ الإصابة فيه .
ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال في زهير : « كان لا يمدح الرجل إلا بما
يكون للرجال ». فتأمل هذا الكلام فإنَّ تفسيره ما ذكرناه .

وعيار المقاربَة في التشبيه الفطنة وحسنُ القدر ، فأصدقه ما لا ينتفعُ عند
العكس ، وأحسنُه ما أوقع بين شيئين اشتراكُهما في الصفات أَكثُرُ من انفرادها
لتبين وجه التشبه بلا كلفة ، وإنَّ الأنَّ يكتفى المطرب من التبيه أشهرَ صفات
التشبيه بأمثلَكه له ، لانَّ حيَثُنَدَلَّ على نفسه ويجمِّعه من التموُّض والانتباس .

وقد قيل : «أقسام الشعر ثلاثة : مَثَلُ سَائِرٍ ، وَتَشْبِيهٌ نَادِرٌ ، وَاسْتِعَارَةٌ قَرِيبَةٌ» .
وعيار التحام أجزاء النظم والتئامه على تخييرٍ من لزيذ الوزن ، الطبعُ واللسان ،
هذا لم يتعثر الطبعُ بأبنيته وعقوده^(١) ، ولم يتحبس اللسانُ في فصوله ووصوله ،
بل استمرّا فيه واستسماه ، بلا ملأ ولا كلام ، فذلك يُوشّك أن يكون القصيدة
منه كالبيت ، والبيت كالكلمة سالماً لأجزائه وتقارعاً ، وألا يكون كا
ليل فيه :

وَشِعْرٌ كَبُرُ الْكَبْشِ فَرَقَ بَيْنَهُ لِسَانٌ دَعِيَ فِي الْقَرِيبِ دَخِيلٌ^(٢)
وَكَا قَالَ خَلَفٌ :

وَبَعْضُ قَرِيبِ الشِّعْرِ أَوْلَادُ عَلَيْهِ يَكُدُّ لِسَانَ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ^(٣)
وَكَا قَالَ رُؤْبَةُ لَابْنِهِ عَقْبَةَ وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْهِ شِيَّعًا مَا قَالَهُ ، فَقَالَ :
* قَدْ قَلْتَ لَوْ كَانَ لِهِ قِرَآنٌ^(٤) *

وإنما قلنا «على تخييرٍ من لزيذ الوزن» لأن لزيذة يطرّبُ الطبعُ لايقاعه ،
ومجازجه بصفاته ، كما يطرّب الفهمُ لصواب تركيبه ، واعتدال نظمه . ولذلك
قال حسان :

سَعَى فِي كُلِّ شِعْرٍ أَنْتَ قَاتِلُهُ إِنَّ الْفِنَاءَ هَذَا الشِّعْرُ مِضَامٌ^(٥)
وعيار الاستعارة الذهن والقطنة . وَمِلَأَكُ الْأَمْرُ تَقْرِيبَ التَّشْبِيهِ فِي الْأَصْلِ

(١) في الأصل : «بأيه» ، صوابه في م .

(٢) البيت لأبي البيداء الرياحي ، كما في البيان (٦٦ : ١) .

(٣) أَوْلَادُ عَلَيْهِ : بنو رجل واحد من أمراء ثقي ، فهم مختلفون . انظر البيان (٦٦ : ١) .

وَالْقِدْمَةُ (١٧٢ : ١) .

(٤) في البيان (٦٨ : ٢) : «إنه يقول لو كان قوله قرآن» ، وذلك حيث ورد
الحرث برواية أخرى .

(٥) الضابط يطلق على المطبع الذي يضر في الحال على زمامه لبطءه وتعذر
كتابته بمعنى التسميم . إن الغلام وسيلة لتحسين الشعر واختباره . وهذا البيت تمام يرد في
ديوان حسان . وأنشد في المبعث (٧٠ : ٤١) بدون تتبّة .

حتى يتناسب المشبه والمشبه به ، ثم يكتفى فيه بالاسم المستعار لأنَّه المقول عما كان له في الوضع إلى المستعار له .

وعيار مشاكلة اللفظ المعنى وشدة اقتضائهما للفافية ، طول الدراسة ودراهم المدارسة ، فإذا حكما بحسن التباس بعضها بعض ، لا جفاء في خلاها ولا نبوء ، ولا زيادة فيها ولا قصور ، وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني : قد جعل الأخص للأخص ، والأخص للأحس ، فهو البريء من العيب . وأما الفافية فيجب أن تكون كالموعد [به]^(١) المنتظر ، يت Shawqها^(٢) المعنى بمحققها واللفظ بقسطنه ، وإلا كانت فلقة في مقرها ، محبتلة لمستغن عنها .

في هذه الخصال عمود الشعر عند العرب ، فمن لزمها بمحققها وبني شعره عليها ، فهو عندهم المفتق المعلم ، والمحسن المقدم . ومن لم يجمعها كلياً فقد سُبْرَتْ منها يمكنون نصيبيه من التقدم والإحسان ، وهذا إجماع مأمور به وممتنع منهجه حتى الآن .

واعلم أنَّ هذه الخصال وسائل وأطرافاً ، فيها ظهر صدق الوصف ، وغلوّ الغالى ، واقتضاد المقصid . وقد افتقرَها اختيار الناقدين^(٣) ، فنفهم من قال «أحسنُ الشعر أصدقه» قال : لأنَّ تجويذ قائله فيه مع كونه في إسارِ الصدق يدلُّ على الاقدار والصدق . ومنهم من اختار الفاؤ حتى قيل «أحسنُ الشعر أكذبه» : لأنَّ قائله إذا أسقط عن نفسه تقابلَ الوصف والوصوف امتد فيما يأتيه إلى أعلى الرتبة ، وظهر قوته في الصياغة ونبره في الصناعة ، واتسعت مخارجه ومواجنه ، فصرَّفَ في الوصف كيف شاء ، لأنَّ العملَ عنده على المبالغة والتليل ، لا المصادقة

(١) هذو من بيم

(٢) في الأصل : يت Shawqها « وأنبتنا ما في م .

(٣) الاختيار : الافتقاء والتبيّن .

والتحقيق . وعلى هذا أكثُرُ العلماء بالشعر والقائلين له . وبعضهم قال : « أحسنُ
الشعر أقصده ^(١) »؛ لأنَّ على الشاعر أن يبالغ فيها يصير به القول شعرًا فقط ^(٢) ،
فما استوفَ ^(٣) أقسام البراعة والتجويد أو جلَّها ، من غير غلوٍ في القول ولا إحالة
في المعنى ، ولم يُنْتَج الموصوف إلى أن لا يُؤْمِنَ لشيء ^(٤) من أوصافه ، لظهور
السرف في آياته ، وشمول التزييد لأقواله ، كان بالإشار والانتخاب أولى .

ويتبع هذا الاختلاف ميل بعضهم إلى المطبوع وبعضهم إلى المصنوع .
والفرق بينهما أن الدواعي إذا قامت في النقوس ، وحرَّكت القرائح ، أعملت
القاوب . وإذا جاشت العقول بمحكون ودائها ، وتظاهرت مكتنسبات العلوم
وضرورياتها ، نبعت المعانى ودرَّت أخلاقها ، وافتقرت خفيات الخواطير إلى
خطيبات الألفاظ ، فتى رُفِضَ التكليف والتعمل ، وخُلِّي ^(٥) الطبع المهدَّب بالرواية ،
المدرَّب في الدراسة ، لاختياره ، فاسترس ^(٦) غير محول عليه ، ولا ينبع مما
يميل إليه ، أدى من لطافة المعنى وحالوة اللفظ ما يكون صنفًا بلا كدر ، وعفوا
بلا جهد ، وذلك هو الذي يسمى « المطبوع ». ومتي جعل زمام الاختيار بيد
التعمل والتكليف ، عاد الطبع مستخدماً متماماً كما ، وأقبلت الأفكار تتحمَّله
أنقاضها ، وتردَّده في قبول ما يؤديه إليها ، مطالبة له بالإهرا比 ^(٧) في الصنعة ،
وتحاوز المأثور إلى البدعة ، فباء مؤذناً وأثر التكليف يلوح على صفحاته ،
وذلك هو « المصنوع » .

(١) من الفصد ، وهو الوسط في الأمور .

(٢) ورد في نسخة الأصل ، بتشدد الطاء مع ضمها ، وصوابها التشدید مع السکر ،
كما في اللسان والقاموس ، وهي لغة في « قط » ساكنة الطاء بمعنى حسب .

(٣) في الأصل : « فاستوف » ، والصواب من م .

(٤) م : « بشيٌّ » .

(٥) وردت في الأصل بالباء المهملة ، مع تقديرها بالإشارة ، والوجه ما ذكرنا من م .

(٦) كذا في م . وفي الأصل : « واسترس » .

(٧) مطالبة بفتح اللام في الأصل وم . وفي م : « بالإهرا比 » ، والإهرا比 : الإبعد .

وقد كان يتفقُ في أبيات قصائدهم — من غير قصدٍ منهم إليه — **اليسيرُ**
البَزُّ ، فلما انتهى قرضُ الشعر إلى المحدثين ، ورأوا استغرابَ الناس للبديع على
افتناهم فيه ، ألوعوا بتورِدِه إظهاراً للاقدار ، وذهاباً إلى الإغراب . فن مفترط
ومفتقيد ، ومحمودٌ فيما يأتيه ومذمومٌ ، وذلك على حسب نهوض الطبع بما يحمل ،
ومدى قواعده فيما يطلب منه ويكلفُ . فن ما لـ الأولى فلانةً أشبة بطرائق
الإعراب ، لسلامته في السبك ، واستواه عند الفحص . ومن ما لـ الثاني
فلدلاته على كمال البراعة ، والالتذاذ بالغراوة .

* * *

وأما تعجبك من أبي تمام في اختيار هذا الجموع وخروجه عن ميدان
شعره ، ومقارنته ما يهواه لنفسه ، وإجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من
التوفيق في قصده ، فالقول فيه أنَّ **أبا تمام** كان يختار ما يختار بجودته لا غير ،
ويقول ما يقوله من الشعر بشموته . والفرق بين ما يُشتَهِي^(١) وبين ما يستجده
ظاهرٌ ، بدلالة أنَّ العارف بالبَز قد يشتَهِي لبس ما لا يستجده ، ويستجده
ما لا يشتَهِي لبسه . وعلى ذلك حالُ جميع أعراض الدنيا مع العقلاء^(٢) العارفين
بها ، في الاستجادة والاشتفاء . وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين
منهم دون الأغالب ، ولا من الشعر إلى المتعدد في الأفواه ، الجيب لكل داع ،
فكأن أمره أقرب ، بل اعتَسَفَ في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرَّهم ،
وإسلاميَّهم ومولديهم ، واختطف منها الأرواح دون الأشباح ، واختلف الأنمار
دون الأكام^(٣) ، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه ؛ لأن ضروب الاختيار لم تخفَ

(١) في الأصل : « يشتَهِي » ، صوابه في م .

(٢) في الأصل : « من العقلاء » ، صوابه في م .

(٣) الاختلاف : اختفاء التبر . والأكام : جمع كم ، بالكسر ، وهو غطاء النور الذي
أصل المرة .

عليه ، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستتر عنه ، حتى [إنك^(١)] تراه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر تقىصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها في نقاده . وهذا يبين لمن رجع إلى دواوينهم ، فقابل ما في اختياره بها . ولو أنَّ نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعرَ مِن العلماء أشعر الناس . ويكشف هذا أنه قد يميزُ الشعر من لا يقوله ، ويقولُ الشعرَ الجيد من لا يعرف نقاده . على ذلك كان البحترى ، لأنَّ فيما حُكِيَ عنه كان لا يُعجب من الشعر إلا بما وافق طبعه ومعناه ولفظه .

وحكى الصوّلي أنَّه سمع المبرد يقول : سمعتَ الحسنَ بن رجاء يقول : ما رأيت أحداً قطْ أعلمَ بحيد الشِّعر قدِيمهِ وحدِيثهِ من أبي تمامٍ . وحُكِي عنهُ أنه مَرَ بشعر ابن أبي عَيْنَةَ فِيمَا كَانَ يَخْتارُهُ مِنْ شِعْرِ الْمَدَائِنِ فَقَالَ : « وَهَذَا كُلُّهُ مَخْتَارٌ » .
هذا وشِعْرُهُ أَبْعَدُ الْأَشْيَاءِ مِنْ شِعْرِهِ . وهذا واضحٌ .

卷之三

وأَمَّا مَا غَلَبَ عَلَى ظنِّكَ^(٢) مِنْ أَنَّ اخْتِيَارَ الشِّعْرِ مُوقَفٌ عَلَى الشَّهْوَاتِ ؛
إِذَا كَانَ مَا يَخْتَارُهُ زِيَّدٌ يُجُوزُ أَنْ يَزِيفَهُ عَمْرُو ، وَأَنَّ سَبِيلَهَا سَبِيلُ الصُّورِ
فِي الْعِيُونِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتَهُ — فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ؛ لَأَنَّ مَنْ عَرَفَ
مُسْتَوْرَ الْمَعْنَى وَمَكْشُوفَهُ ، وَمَرْفُوضَ الْلَّفْظِ وَمَالْفَوْهُ ، وَمَيْزَ الْبَدِيعَ الَّذِي لَمْ تَقْسِمْهُ
الْمَقَارِضُ ، وَلَمْ تَعْتَسِفْهُ الْخَوَاطِرُ ، وَنَظَرٌ وَتَبَحَّرٌ ، وَدَارَ فِي أَسَالِيبِ الْأَدْبِ فَتَخَيَّرَ ،
وَطَالَتْ مُجَاذِبَتُهُ فِي التَّذَاكُرِ وَالابْتِحَاثِ ، وَالتَّدَاوُلِ وَالابْتِعَاثِ ، وَبَانَ لَهُ الْقَلِيلُ
النَّائِبُ عَنِ الْكَثِيرِ ، وَالْمَحْظَظُ الدَّالِلُ عَلَى الْضَّمِيرِ ، وَدَرَى تَرَاتِيبُ الْكَلَامِ
وَأَسْرَارُهَا ، كَادَرِي تَعْالِيقَ الْمَعْانِي وَأَسِيَّاهَا ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَا يَكْمُلُ الْآلَةَ ، وَيَسْتَحِذُ

هذه من م (۱)

(۲) م : « فی ظنك » .

القريحة — تراه لا يننظر إلا بعين البصيرة ، ولا يسمع إلا بأذن النّصّفة^(١) ، ولا ينتقد إلا بيد المقدّلة^(٢) ، فحُكْمُهُ الحُكْمُ الذي لا يُبَدَّل ، ونَقْدُهُ النَّقْدُ الذي لا يُغَيِّر.

واعلم أنه يَعْرِفُ الجَيْدَ من يَجْهُلُ الرَّدَى . والواجب أن تَعْرِفَ المَقْامَ الْمَسْخَطَةَ كَمَا عَرَفَتَ الْمَحَاسِنَ الْمَرْتَضَةَ ، وَجَاءَهَا إِذَا أَنْجَلَتْ أَنْهَا أَضْدَادُ مَا بَيْنَاهُ مِنْ عُمْدِ الْبَلَاغَةِ ، وَخِصَالِ الْبَرَاعَةِ ، فِي النَّظَمِ وَالنَّثَرِ . وَفِي التَّفْصِيلِ كَمَا يَكُونُ الْفَظُّ وَحْشِيًّا أَوْ غَيْرَ مُسْتَقِيمٍ ، أَوْ لَا يَكُونُ مُسْتَعْمَلًا فِي الْمَعْنَى الْمَطْلُوبِ ، فَقَدْ قَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي زَهِيرٍ : « لَا يَتَبَعَ الْوَحْشَى وَلَا يُعَاظِلُ الْكَلَامُ » . أَوْ يَكُونُ فِيهِ زِيَادَةٌ نَفْسِ الدِّلْعِ أَوْ نَفْسِ الْأَنْجَانِ ، أَوْ لَا يَكُونُ بَيْنَ أَجْزَاءِ الْبَيْتِ التَّثَامِ ، أَوْ تَكُونُ الْقَافِيَةُ قِلَقَةً فِي مَقْرُبَهَا ، أَوْ مَعِيَّبَةً فِي نَفْسِهَا ، أَوْ يَكُونُ فِي الْقَسْمِ أَوْ التَّقَابِلِ ، أَوْ فِي التَّفْسِيرِ فَسَادٌ ، أَوْ فِي الْمَعْنَى تَنَاقُضٌ وَخَرْوَجٌ إِلَى مَا لَيْسَ فِي الْعَادَةِ وَالْطَّبِيعَ ، أَوْ يَكُونُ الْوَصْفُ غَيْرَ لَائِقٍ بِالْمَوْصُوفِ ، أَوْ يَكُونُ فِي الْبَيْتِ حَشْوًا لَا طَائِلَ فِيهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَا يَحْصُلُ لَكَ تَأْمُلُكُ جُمَلُ الْمَحَاسِنِ وَتَفْصِيلَهَا ، وَتَبَعُّكُ مَا يُضَادُهَا^(٣) وَيَنْافِيَهَا ، وَهَذَا هَيْنَ قَرِيبٌ .

وَإِنَّمَا قَلْتَ هَذَا لِأَنَّ مَا يَخْتَارُهُ^(٤) النَّاقِدُ الْحَادِقُ قَدْ يَتَعَقَّدُ فِيهِ مَا لَوْسُّلَ عن سُبُّ اخْتِيَارِهِ إِيَّاهُ ، وَعَنِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ ، لَمْ يَمْكُنْهُ فِي الْجَوابِ إِلَّا أَنْ يَقُولَ : هَكُذا قَضَيْتُهُ طَبَعِيًّا ، أَوْ ارْجَعْتُهُ إِلَى غَيْرِي مِنْ لِهِ الْذِرْبَةُ وَالْعِلْمُ بِمُثْلِهِ فَإِنَّهُ يَحْكُمُ بِمُثْلِهِ حُكْمًا . وَلَيْسَ كَذَلِكَ مَا يَسْتَرْذَلُهُ النَّقْدُ أَوْ يَنْفِيَهُ الْاخْتِيَارُ ، لِأَنَّهُ لَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَيَعْكُنُ التَّبَيِّنَ عَلَى اخْتِلَافِهِ ، وَإِقَامَةُ الْبَرَهَانِ عَلَى رَدَاءِهِ ، فَاعْلَمُهُ .

* * *

(١) النّصّفة والنّصف ، بالتعريّك فيهما : الإنّاصاف .

(٢) العدالة بـ كسر الدال وفتحها : العدل . وجاءت في الأصل بـ كسر الدال .

(٣) في الأصل : « مَا لَا يَضَادُهَا » ، والوجه ما أثبتنا من م .

(٤) في الأصل : « مَا لَا يَخْتَارُهُ » والوجه حذف « لَا » كافٍ م .

وأماماً^(١) تمنيك معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب البلغاء ، والعدر في قلة المترسلين وكثرة المقلقين ، والعلة في بناهه أولئك وتحمُل هؤلاء ، ولماذا كان أكثر المقلقين لا يبرعون في إنشاء الكتب ، وأكثر المترسلين لا يفتقرون في قرض الشعر ، فإني أقول في كل فصلٍ من ذلك بما يحضر^(٢) ، والله ولئن توفيق ، وهو حسي وعليه توكل .

اعلم أن تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء ، موجبهم تأخر المنظوم عن رتبة المنثور عند العرب ، لأسرتين :

أحدها أن ملوكهم قبل الإسلام وبعده كانوا يتبعجون^(٣) بالخطابة والافتتان فيها ، ويُعدونها كل أسباب الرياسة ، وأفضل آلات الزّعامـة . فإذا وقف أحدهم بين الساطعين لحصول تنافس أو تضاغن أو تظلم أو تشاجر ، فأحسن الاقتضاب عند البداهـة^(٤) ، وأجمع في الإسـباب وقت الإطـالة ، أو اعـتنى في ذرـوة منبر فتـصرف في ضرـوب من تخـشـين القـول وتـلـيـنه ، داعـيا إلى طـاعـة ، أو مـسـتـصـلـحاـ لـرـعيـة ، أو غـيرـ ذلكـ ما تـدـعـ الحاجـةـ إـلـيـه ، كـانـ ذلكـ أـلـبغـ عـنـهـمـ منـ إـنـفـاقـ مـالـ عـظـيمـ ، وـتـبـهـيزـ جـيشـ كـبـيرـ . وـكـانـ يـأـنـفـونـ منـ الاـشـتـهـارـ بـقـرـضـ الشـعـرـ ، وـيـعـدـهـ مـلـوكـ دـنـاهـةـ . وـقـدـ كـانـ لـامـرىـ القـيسـ فـيـ الجـاهـلـيـةـ مـعـ أـيـهـ حـجـرـ بـنـ عـمـرـوـ ، حـينـ تـعـاطـىـ قـولـ الشـعـرـ فـهـاـهـ عـنـهـ وـقـتاـ بـعـدـ وـقـتـ ، وـحـالـاـ بـعـدـ حـالـ ، مـاـ أـخـرـجـهـ إـلـىـ أـنـ أـمـرـ بـقـتـلـهـ . وـقـصـتـهـ مـشـهـورـةـ ، فـهـذـاـ وـاحـدـ .

والثاني أنهم اخذوا الشعر مكتسبةً وتجارةً ، وتوصلوا به إلى السوق كـاـ

(١) في الأصل : « وإنما » ، والصواب في م .

(٢) م : « ما يحضر » .

(٣) التبع : الفخر والتباهي .

(٤) اقتضاب الكلام : ارتجاله ، اقتضاب الحديث والشعر : تكلم به من غير تمهية أو إعداد له .

توصلوا به إلى العلية ، وترعوا لأعراض الناس ، فوصفوا اللثيم عند الطمع فيه بصفة الـَّكْرِيم ، والـَّكْرِيم عند تأثر صلته بصفة اللثيم ، حتى قيل : « الشعر أدنى مرؤة السرى ، وأسرى مرؤة الدنى ». وهذا الباب أمره ظاهر . وإذا كان شرف الصانع بمقدار شرف صناعته ، وكان النظم متآخراً عن رتبة النثر ، وجوب أن يكون الشاعر أيضاً متخلفاً عن غاية البليغ .

ومما يدل على أن النثر أشرف من النظم ، أن الإعجاز من الله تعالى جده والتحدى من الرسول عليه السلام وقعا فيه دوف النظم ؛ يكشف ذلك أن معجزات الأنبياء^(١) عليهم السلام في أوقاتهم كانت من جنس ما كانت أتمهم يُلعون به في حينهم ، ويغلب على طبائعهم ، وبأشرف ذلك الجنس . على ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام ، لأنها ظهرت عليه وزمنه زمن السحر والسحرة ، فصارت من ذلك الجنس وبأشرفة . وكذلك كان حال عيسى عليه السلام ، لأن زمانه كان زمن الطلب ، فكانت معجزته وهي إحياء الموتى ، من ذلك الجنس وبأشرفة . فلما كان زمان النبي صلى الله عليه وسلم زمن الفصاحة والبيان ، جعل الله معجزاته من جنس ما كانوا يُلعون به وبأشرفة ، فتحداهم بالقرآن كلاماً منثوراً ، لا شرعاً منظوماً .

وقد قال الله عز وجل في تنويع النبي عليه السلام^(٢) : « مَا عَلَّمَنَا الشَّفَرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ »^(٣) .

(١) في الأصل : « فيكشف ذلك أن معجز الأنبياء » ، وأنبتنا ما في م .

(٢) يقال فهو فلاناً ونوه به ، إذا رفعه وطير به وقواه ، ومنه قول أبي نحيلة : ونوهت ل ذكرى وما كان خاماً لا ولكن بعض الذكر أنتبه من بعض م : « في تزييه النبي عليه السلام » .

(٣) هذا وجه جائز في الاستشهاد بالقرآن مع ترك الواو أو الفاء ونحوها . انظر الحيوان (٤/١٥ : ٥٧ ، ٢٧٦) ورسالة الشافعى الفقيرات رقم ٦٤٢ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ . بتحقيق الشيخ أحمد شاكر .

وقال أيضاً : « والشَّعْرَاءِ يَتَبَعُهُمُ الْفَاعُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » .

ولما كان الأمر على ما يتناهى وجب أن يكون النثر أرفع شأنًا ، وأعلى
معنىًّا وبناءً من النظم ، وأن يكون مزاوله كذلك ، اعتباراً بسائر الصناعات
ومزاريها^(١) .

* * *

وأما السبب في قلة المترسلين وكثرة المفقفين وعزّ من جمع بين النوعين
مبيناً فيما ، فهو أنَّ مبني « الترشل » على أن يكون واضح النهج ، سهل
المعنى ، متسع الباع ، واسع النطاق ، تدلُّ لوانحه على حفائمه ، وظواهره على
بواسطته ، إذ كان مؤرده على أسماع مفترقة : من خاصيٍّ عاميٍّ ، وأفهام مختلفة :
من ذكيٍّ وغبيٍّ . فتى كان متسللاً متساوياً ، ومتسللاً متجاوياً ، تساوت
الآذانُ في تلقّيه ، والأفهام في درايته ، والألسن في روايته ، فينسخ شارده إذا
استدعي ، ويتمجيّلُ وافده إذا استدفي ، وإن تطاولَ أنفاسُ فصوله ، وتباعدَ
أطراف حزونه وسهوله . ومبني « الشعر » على العكس من جميع ذلك لأنَّه مبني^(٢)
على أوزان مقدرة ، وحدود مقسمة ، وقوافٍ يُساق ما قبلها إليها مهيأة ، وعلى أن
يقوم كلُّ بيت بنفسه غير مفتقر إلى غيره إلا ما يكون مضمناً بأخيه ، وهو عيب
فيه . فلما كان مذاه لا يمتد بأكثريَّة من مقدار عروضه وضربيه ، وكلامها قليل ،
وكان الشاعر يعمل قصيماته بيتماً بيتماً ، وكلُّ بيت يتقادمه بالاتحاد ، وجب أن
يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى ، وأن يبلغ الشاعرُ في تلطيقه ، والأخذ
من حواشيه ، حتى يتسع اللفظ له ، فيؤديه على غموضه وخفائه — حدًّا يصير

(١) م : « ومزاريها » .

(٢) م : « بني » .

الُّدُرُكُ له والمشِّرفُ عليه ، كالفائز بذخيرة اغتنمها ، والظافرِ بدفينةِ استخر جها .
وفي مثل ذلك يحسُن أحَادٌ^(١) الآخر ، وتباطؤُ المطلوب على المنتظر . فكلُّ
ما يُحْمَدُ في الترشُّلِ ويُخْتَار ، يُذَمُّ في الشعرِ ويرُّفض .
فلما اختَلَفَ المُبَشِّيَانِ كَا بَيْنَاهُ ، وكان المُتَوَلِّ لِكُلِّ واحِدٍ مِّنْهُمَا يُخْتَارُ أَبْعَدَ
الغاياتِ لِنَفْسِهِ ، اخْتَلَفَ فِيهِمَا الإِصَابَاتُانِ ، لِتَبَاعُ طَرْفِيهِمَا ، وَتَفَاقَوْتُ قَطْرِيهِمَا ،
وَبَعْدَ^(٢) عَلَى الْقِرَائِبِ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا . يُكَشَّفُ ذَلِكُّ أَنَّ الرَّجَزَ وَإِنْ خَالَفَ الْقَصِيدَ
مُخَالَفَةً قَرِيبَةً تَرْجَعُ إِلَى تَقْطِيعِ شَأْوَ اللَّفْظِ فِيهِ ، وَتَزَاحِمُ السَّجْعُ عَلَيْهِ ، قَلَّ عَدْدُ
الْجَامِعِينَ بَيْنَهُمَا ، لِتَقَاسِرِ الطَّبَاعِ عَنِ الْإِحْاطَةِ بِهِمَا . فَإِذَا كَانَ الرَّجَزُ وَالْقَصِيدَ
مَعَ أَنَّهُمَا مِنْ وَادِيٍّ وَاحِدٍ ، أَفْضَتِ الْحَالُ بِعَقَاءِهِمَا إِلَى مَا قَلَّتْ عَلَى خَلَافِ يَسِيرٍ
بَيْنَهُمَا — فَالنَّثَرُ وَالنَّظَمُ وَهُما فِي طَرْفَيْنِ ضِدَّيْنِ ، وَعَلَى حَالَتِيْنِ مُتَبَايِنَيْنِ ،
أَوْلَى وَأَخْصُّ .

* * *

وَأَمَّا السَّبَبُ فِي قَلَّةِ الْبَلْغَاءِ وَكَثْرَةِ الشُّعُرَاءِ ، وَنِبَاهَةِ أُولَئِكَ وَخَوْلِ هُؤُلَاءِ ، فَهُوَ
أَنَّ الْمُتَرَشِّلَ مُحْتَاجٌ إِلَى سِرَايَةِ أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ ، إِنْ أَهْمَلُوهَا أَوْ أَهْمَلُ شَيْئًا مِّنْهَا رَجَعَتِ
النِّقِيقَةُ إِلَيْهِ ، وَتَوَجَّهَتِ الْلَّائِعَةُ عَلَيْهِ .

مِنْهَا تَبَيَّنُ^(٣) مَقَادِيرِ مَنْ يَكْتُبُ عَنْهُ وَإِلَيْهِ ، حَتَّى لَا يَرْفَعَ وَضِيَّعًا ، وَلَا
يَضْعَ رَفِيعًا .

وَمِنْهَا وَزْنُ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا فِي تَصَارِيفِهِ ، حَتَّى تَجِيءُ لَاثْقَةً مِّنْ يُخَاطَبُ
بَهَا ، مُفْخَمَةً لِحُضْرَةِ سُلْطَانِهِ^(٤) الَّتِي يَصُدُّرُ عَنْهَا .

(١) رسمت في الأصل و م : « انْجَاء » مع وضع شدة على النون .

(٢) م : « فَبَعْدَ » .

(٣) فِي الأَصْلِ : « بَيْنَ » ، صوابه في م .

(٤) م : « سُلْطَانَهَا » .

ومنها أن يعرف أحوالَ الزمان ، وعوارضَ الحدثَان ، فيتصرّفُ معها على
مقاديرها في النقض والإبرام ، والبسط والانقباض .

ومنها أن يعلم أوقات الإسهاب والتطويل ، والإيجاز والتخفيف ؛ فقد يتحقق
ما يحتاج فيه إلى الإكثار ، حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدارَ القصائد الطويلة ،
ويتحقق أيضاً ما تُتفقُ فيه الإشارة ، وما يجري تجري الوحي في الدلالة .

ومنها أن يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به على سوءِ السبيل ولا يشتبه
في الحكومة ، ولا يعدل فيها خطأً عن المحاجة . فهو إنما يترسل في عهود
الولاية والقضاء ، وتأكيد البيعة والأيمان ، وعمارة البلدان ، وإصلاحِ فسادِ
وتحريضِ على جهادٍ ، وسدِ ثغورٍ ورثقِ فتوحٍ ، واحتجاجِ على فتنةٍ ، أو مجادلةٍ
ليلةٍ ، أو دعاء إلى ألقٍ ، أو نهي عن فرقٍ ، أو تهنئة بعطيَّةٍ ، أو تعزية برزقٍ ،
أو ما شاكل ذلك من جلائل الخطوب ، وعظائم الشؤون التي يحتاج فيها إلى
أدواتٍ كثيرة ، ومعرفةٍ مفتقة .

فلا كان الأمرُ على هذا صار وجود المضطهدين بجودة النثر أعزَّ ، وعددهم
أندرَ . وقد سئلهم الكتابة بشرفها ، وبوأتهم منزلة رياستها ، فاختارُهم عاليه
بحسب علوِّ صناعتهم ، ومعاقدِ رياستهم ، وشدة الفاقة إلى كفايتهم .

والشعراء إنما أغراهم التي يُسددون نحوها ، وغياثهم التي يُنذِّرون إليها ،
وصفُ الديار والآثار ، والحنين إلى المعاهد والأوطان ، والتشبيب بالنساء ، والتلطيف
في الاجتداء ، والتفنن في المدح والمجاه ، والبالغة في التشبيه والأوصاف . فإذا
كان كذلك لم يتداووا في المضار ، ولا تقاربوا في الأقدار . وهذا القول كافي .
وإذ قد أتينا بما أردنا ، ووفينا بما وعَدْنا ، فإنما نشتغل بما هوقصد من
شرح الاختيار ، والله الموفق للصواب ، والصلة والسلام على رسوله محمدٍ
وآلِه الأَخْيَار .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب الحماسة

قال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المروق الإصفهاني رحمه الله .
الحماسة : الشجاعة ، والفعل منه حِسَ ، ورجل أَحَمَسُ . وكانت العرب تسمى
قريشا : حُمَاسا^(١) لتشددهم في أحوالهم دِينًا وَدُنْيَا . وتسمى بني عامر : الأَحَامِسَ ،
وكأنهم ذهبوا في واحد حُسْن إلى أنه صِفَة ، فجمعوه جَمْعَ الصفات ، كما يقال
أَحْمَرْ وَحُمْرَ ، وأَشْقَرْ وَشَقْرَ ، وذهبوا في واحد الأَحَامِس إلى أنه اسم ، فجمعوه جَمْعَ
الأسماء كما يقال أَحْمَدْ وَأَحَمِيدْ ، وأَجْدَلْ وَأَجَادِيلْ . وهم يُخْرِجُون الأسماء إلى باب
الصفات كثيراً ، فيقولون : بنو فلان الذواب لا الذائب ، والمراد هم الأعلى
لا الأسفل ، كما يُخْرِجُون الصفات إلى باب الأسماء كثيراً . وعلى هذا الأسود :
الحيات ، والأَدَاهِم : القيود . قال :

* أَوْعَدَنِي بِالسِّجْنِ وَالْأَدَاهِمَ ^(٢) *

والباطح : جمع الأَبْطَح . وكل ذلك صفات أُخْرِجت إلى باب الأسماء .
وقال الدریدي ^(٣) : حِسَ الشَّرِّ : اشتَدَّ . وَالْحُمْسُ : قريش ، وكنانة
وخراء ، تَحَمَّسوا في دينهم . وبنو حِمَاسٍ : قبيلة من العرب ، وكذلك بنو
حِمَسٍ ^(٤) . قوله :

(١) م : « الحس » .

(٢) نسبة العين (٤ : ١٩٠) للعبد بن الفرخ ، قاله حين هجا الحجاج فتوعده . وبعده :

* رجل فرجلي شئنة الناس *

(٣) يعني أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد .

(٤) انظر جهرة ابن دريد (٢ : ١٥٦) .

١

قال بعض شعراء بلغة العبر^(١):

المراد به بني العبر ، ولهذا وجوب ألا يصحب السكراة التي في الاء القنون . وإنما حذف النون من «بني» لاجتماعه مع اللام من العبر ، وتقاربهما في المخرج . وذلك لأنّه لما تعدد الإدغام فيه جعل الحذف بدلاً من الإدغام . وإنما تعدد الإدغام لأنّ الأول متخرّج والثاني ساكن سكوناً لازماً ، فلما كان من شرط المدحّم تحريك الثاني إذا أدمغَ الأول فيه ، وكان لام التعريف ساكناً سكوناً لازماً ، جعل الحذف لكونه مؤدياً إلى التخفيف المطلوب من الإدغام بدلاً لما تعددَ هو . ولا يلزم على هذا أن يُحذفَ النون من بني النجgar لأنّ اللام قد أدمغَ في النون التي بعده ، فلا يمكن تقدير إدغام النون التي قبله فيه ، حتى إذا تعددَ جعل الحذف بدلاً من الإدغام ، بدلالة أن ثلاثة أشياء^(٢) لا يصح إدغام بعضها في بعض ، وما يُشبهُ هذا من اجتماع المتبعانين من كليتين واستعمال الحذف في أحدهما بدلاً من الإدغام قولهم علماء بنو فلان^(٣) ، والمعنى على الماء . وما يُشبهُ لكنهما التقيا في الكلمة واحدة ، قولهم ظللتُ وميستُ يقال منها ظلتُ وميستُ ، وإن شئت ظلمتُ وميستُ ، تُلقي حركة المذوف على فاء الفعل . قال الله تعالى : «فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ» . وإنما تعدد الإدغام هاهنا لأنّ لام الفعل في مثل هذا المكان إذا اتصل به ضمير الفاعل يُسكن البة ، فلما

(١) في شرح التبريزى : « واسمه قريط بن أنيف » ، وفي التنبية لابن جنى : « وقد تروى لأبي الغول الطهوى » .

(٢) في النسختين : « أشياء » ، وكذا النص عند التبريزى . والوجه ما أثبتنا .

(٣) شاهده ما أنشده التبريزى وابن جنى في المهرج من قول قطري : غداة طفت علماء بكر بن واائل وعجاها صدور الحيل نحو عيم

لزمه التسكون لم يصح إدغام العين فيه ، فلذلك حُذف .
 والعنبرُ في اللغة : **الترسُ والطيبُ** . وعَنْبَرَةُ الشباء : **شِدَّتُهُ** . وعَنْبَرَةُ القوم :
 خلوص أنسابهم . ويقال : رأيته بهذا البلد عَنْبَرِيًا ، يُضْرَبُ به مثلاً في المداية .
 وبنو العنبر أهْدَى قَوْمٍ . ويمكن تقدير النون زائدة فيه ، فيكون فنعلاً من عَبْرَتُ ،
 كأنه بحسن تأثيره للاهتداء يَعْبُرُ الْطَرْقَ . ومنه قيل في البعير : [هو^(١)
 عَبْرُ أسفار .]

١- لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِعْ إِلَيَّ بَنُو الْقِيَطَةِ مِنْ ذُهْلٍ بْنِ شَيْبَانَا^(٢)
مازنُ بن مالِكٍ بن عمرو بن تميم ، هُم بَنُو أخِي العنبرِ بن عمرو بن تميم ، وإذا
كان كذلك فمدح هذا الشاعر لهم بمحرري الافتخار بهم ، وفي بني مازن
عصبيَّةٌ شديدة قد عُرِفوا بها وسُجِدوا من أجلها ، ولذلك قال بعض الشعراء^(٣)
مو بخا لغيرهم :

فهلا سعيم سعى عصبة مازن وهل كفلاي في الوفاء سواء
 كان دنانيرًا على قيمتهم وإن كان قد شفَ الوجوه لقاء
 وقد الشاعر في هذه الأبيات عندي إلى بعث قومه على الانتقام له من
 أعدائه ومُهَتَّمييه ، وتهبيجهم وهزهم ، لا ذمهم . وكيف يذمهم ووبالنـم راجع
 إليه ؟ ! لكنه في هذا المعنى سالك لطريقة كبسنة أخت عمرو بن معد يكربـ
 في قوله :

(١) التكملة من م .

(٢) في شرح التبريزى : « وزعم أبو محمد الأعرابي أن الرواية :

... لم تستبع إللي بني الشقيقة من ذهل بن شيبانا**قال : « الشقيقة هي بنت عباد بن زيد بن عمرو بن ذهل بن شيبان » ثم ذكر أن المقطية
 هي نصيرة بنت عصيم بن حروان بن وهب بن بعيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزاره » .****(٣) هو عزز بن مكعب الضي ، كما في اللسان (قسم) ، وسترده هذه المقطوعة
 في الحماسة برقم ٦١١ .**

أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقُلُوا لَهُ دَمِي
أَلَا تَرَى أَنَّهَا قَالَتْ فِي جَلَّهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

وَدَعْ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمْرًا مُسَالِمٌ وَهَلْ بَطْنُ عَمْرٍ وَغَيْرُ شِبْرٍ لَطْمَمَ
فَلَا يَحُوزُ أَنْ يُتوهَمْ أَنَّهَا كَانَتْ تَهْجُو أَخَاها عَمْرًا أوْ تَنْسُبُهُ إِلَى الْعَجَزِ وَالتَّقْصِيرِ
فِي طَلَبِ ثَارِ أَخِيهِ ، وَعَمْرٌ هُوَ الَّذِي كَانَ يُعَدُّ بِالْأَلْفِ فَارِسٌ ، وَلَكِنْ مَرَادُهَا
بَعْثَةٌ وَتَهْبِيجُهُ . وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الْعَبْدُ لَمَوْلَاهُ وَالْفَلَامُ لِصَاحِبِهِ وَقَدْ لَحَقَتْهُمَا هَضْبِيمَةٌ
مِنْ أَجْنِبَىٰ : لَوْ كُنَّا فِي خَدْمَةِ فَلَانِ عَمْكَ أَوْ أَخِيكَ لَمَا جَسَرْهُ ذَلِكَ أَنْ يَنْالَنَا بِكَرُوهُ !
وَلَا يَحُوزُ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُمَا هَجَوَا سَيِّدِيهِمَا أَوْ فَضْلًا غَيْرَهُمَا عَلَيْهِمَا ، وَلَكِنْ الْمَرَادُ
تَحْرِيْكُهُمَا لَهُمَا ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فِنَ الظَّاهِرِ بُطْلَانٌ قُولٌ مِنْ يَنْهَى إِلَى
أَنَّ هَذَا الشَّاعِرُ هُوَ قَوْمَهُ وَمَدَحَ بْنِ مَازِنَ . وَمَا يُؤْكِدُ مَا قَلَّتْهُ قَوْلُهُ :
يَنْجُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاطَةِ أَهْلِ الشُّوَءِ إِحْسَانًا
لَا نَهُ لَا يَقُولُ لَمَنْ يُمْسِكُ عِبْرًا عَنِ الانتِصَارِ إِنَّهُ غَافِرٌ ، وَلَا مَنْ يَقْدِرُ عَلَى جَزَاءِ
الْإِسَاطَةِ إِنَّهُ اخْتَارَ الإِحْسَانِ . فَإِنْ قِيلَ : أَلِيسْ قَدْ قَالَ :
* لَيُسْوَى مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَ *

وَقَالَ أَيْضًا :

فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَنُوا الْإِغْرَارَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا
قَلَتْ : لَيْسَ يَزِيدُ شَيْءٌ مِمَّا قَالَهُ عَلَى قَوْلِ كَبْشَةِ :
* وَدَعْ عَنْكَ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمْرًا مُسَالِمٌ *

وَإِذَا كَانَتْ أَبْيَاتُهَا بِالْتَّفَاقِ مِنْ أَصْحَابِ الْمَعْانِي لَا تَكُونُ هُوَ ، فَكَذَلِكَ
أَبْيَاتُ هَذَا الْعَنْبَرِيِّ . وَمَا يَشَهِدُ لِلطَّرِيقَةِ الَّتِي سَلَكَنَاها وَيَؤْيِدُهَا ، أَنَّ فِي جَلَّ
أَبْيَاتِهِ الَّتِي وَصَفَ فِيهَا قَوْمَهُ :

يُخْبُونَ نِيرَانَهُمْ حَتَّى إِذَا حَدَّتْ شَبُوا لِمَوْقِدٍ نَارَ الْحَرْبِ نِيرَانًا^(١)

(١) هَذَا الْبَيْتُ مَا لَمْ يَغْنِهِ أَبُو تَعَامُ مِنْ هَذِهِ الْفَصِيْدَةِ .

وهذا المعنى هو مثل ما افتخر به غيره في صفات نفسه فقال :

أَفِرَّ مِنَ الشَّرَّ فِي رِخْوَةٍ^(١) فكيف الفرار إذا ما اقترب
بل الذي ذكره العنبرى أزيد ، لأنَّه وصفهم بالاحتمال والصبر ما أمكن ،
فإذا اهتاجوا زادُوا على كل هاجٍ . ألا ترى أنه قال :

* شبوا لِمُوقِدِ نارِ الْحَرْبِ نِيرَانًا *

ومعنى البيت لو كنت مازنياً لم تُغْرِي بنو اللقيطة على إبلٍ .

ولقيطةُ الحقَّ بها الماء وإن كان فعيلًا في معنى مفعولية ، لأنَّه أفرَدَ عن
الموصوف به وجُعل اسمًا . وهذا كما يقال التشيشة^(٢) والذبيحة ، والبنية
في الكعبة .

فأما الاستباحة ، فقد قيل هي في معنى الإباحة ، وقد قيل : إن الإباحة هي
التخلخلة بين الشيء وبين طالبه ، والاستباحة اتخاذ الشيء مباحًا للنفس . وكان
الأصل في الإباحة إظهار الشيء للمناظر ليتناوله من شاء ، ومنه باح بسره بونحًا
وبُونحًا . وللمازنُ في اللغة : يَضِنُ النَّفْلَ ، ويقال : هو يَقْمَنُ على أصحابه ،
كأنَّه يَتَفَضَّلُ عليهم . وذُهُلٌ من ذَهَلَتْ عن الشيء .

٢ - إِذَا لَتَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرَهُ خُشْنُ عند الحفيظةِ إِنْ ذُو لُؤْلَهَ لَآنَا^(٣)

(١) الرخوة : مافية رخامة وسهولة . وفي م : « رخوة » .

(٢) التشيشة من الإبل : التي تؤخذ فستاق من غير أن يعدها . والأوفق كما ورد
في م « التسكة » ، وهي الذبيحة التي تذبح يمكأ .

(٣) نس التبريزى على أن الرواية ضم اللام في « لؤلة » . قال : « ومن روى اللؤلة
بالفتح قال : إذا لان ذو القوة ، وكان أبلغ في المعنى » . يذهب التبريزى إلى أن هناك فرقا
بين الصم والفتح ، وهو قول بعض اللغويين ، وزعم أن معناها بالضم الضعف ، وبالفتح القوة
والشدة . والأصح أنهما لفثان بمعنى واحد ، وهو الحق والاسترخاء والضعف ، وسيأتي للذكر
كلام في هذا .

اللام في «لَقَامْ» جواب يمِينٍ مضمرة ، والتقدير إذاً والله لَقَامْ [بنصري^(١)].
فإن قيل : فَأَيْنَ جوابُ لَوْ كَنْتْ ؟ قلت : هُولَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيْنِي . وفائدة «إِذَاً»
هُوَ أَنَّ هَذَا أَخْرَجَ الْبَيْتَ الثَّانِي مُخْرَجَ جَوَابَ قَائِلَ قَالَ لَهُ : وَلَوْ اسْتَبَاحُوا مَا ذَا
كَانَ يَفْعَلُ بْنُو مَازِنْ ؟ قَالَ : إِذَاً لَقَامْ بِنَصْرِي مَغْشَرْ خُشْنَ . قَالَ سَبِيُّوهِ
«إِذَاً جَوَابْ وَجْزَاهُ» ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهَذَا الْبَيْتُ جَوَابْ هَذَا السَّائِلُ وَجْزَاهُ
عَلَى فَعْلِ الْمُسْتَبِحِ . وَيُحُوزُ أَنْ يَكُونَ أَيْضًا إِذَاً لَقَامْ جَوَابْ «لَوْ» ، كَأَنَّهُ أَجِيب
بِجَوَابِيْنِ . وَهَذَا كَما تَقُولُ : لَوْ كَنْتَ حُرْمًا لَاسْتَقْبَحْ مَا يَفْعَلُهُ الْعَبِيدُ ، إِذَاً
لَاسْتَحْسَنْ مَا يَفْعَلُهُ الْأَحْرَارُ^(٢) . وَقَوْلُهُ «إِنْ ذُو لُوْنَةِ» يَرْتَفِعُ ذُو عَنْدَ حُدَاقَ
النَّحْوَيْنِ بِفَعْلِ مُضْمَرٍ ، الْفَعْلُ الَّذِي بَعْدَهُ تَقْسِيرُهُ ، وَهُوَ لَآنَ . وَالتَّقْدِيرُ إِنْ لَآنَ
ذُو لُوْنَةِ لَآنَا . وَإِنَّمَا قَالُوا هَذَا لَآنَ «إِنْ» لَمَّا كَانَ شَرْطًا كَانَ بِالْفَعْلِ أَوْلَى ،
وَعَلَهُ الْجَزْمُ فَيَجِبُ أَنْ لَا يَفْارِقُ مَعْمُولَهُ فِي اللفظِ وَالتَّقْدِيرِ . وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ
الْكَلَامِ عَلَى مَنْ يَجْعَلُ «ذُو» بَعْدَ إِنْ وَمَا أَشْبَهَهُ مُبْتَدَأً . وَمَعْنَى الْبَيْتِ إِذَاً وَاللهُ
لَقَامْ بِنَصْرِي ، أَى لِتَكْفَلَ بِهِ قَوْمٌ أَشَدَّاهُ عَنْدَ الغَضْبِ ، إِذَا الْعَسِيفُ لَآنَ .
وَيَقُولُ : قَامَ بِالْأَمْرِ ، أَى لِتَكْفَلَ بِهِ . وَهُوَ الْقَائِمُ وَالْقَيْمُ . وَقَامَ بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ
فِي الرَّعْيَةِ ، وَقَامَ عَلَيْهِ إِذَا مَسَّهُ وَوَلَيْهِ ، وَمِنْهُ الْقِيَومُ وَالْقَيَامُ^(٣) فِي صَفَاتِ اللَّهِ
تَعَالَى ، وَقَوْلُهُ : «إِلَّا مَا دَمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا» أَى قَاهِرًا . وَأَقْتَلَ الرَّمْحَ قَفَامَ ، بِعَنْفِي
قَوْمَتُهُ فَتَقُومَ . وَقَوْلُهُ «إِنْ ذُو لُوْنَةِ» تَعْرِيْضٌ مِنْهُ بِقَوْمِهِ لِيَغْضَبُوا وَيَهْتَاجُوا
لِنُصْرَتِهِ . وَهُوَ فِي الْبَعْثِ وَالْتَّهْبِيجِ أَحْسَنُ مِنَ التَّصْرِيحِ ، كَمَا أَنَّهُ فِي الدَّمْ وَالْمَجْوِ

(٣) هذه من لـ .

(١) مابعد هذه الكلمة إلى كلمة « والتقدير » تتجدد بالقطعه عند التبريزى بدون تنبيه على مأخذها .

(٢) أصله « قيَوَامْ » على فيعال ، كما ورد في اللسان : ومثله « صياغ » من الصوغ . وقد قرأ بها عرب بن الخطاب في سورة آل عمران : « إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُ الْقَيَامُ » . انظر كتاب المصاحد للسباعي ٢ بتحقيق المستشرق أرثر جفرى .

كذلك . وهذا بعض الناس رواه « إن ذو لَوْنَةٍ » و Zum أن ذو لَوْنَةٍ ليس بجيد لأن الضعيف أبداً مَهِينٌ ، والواجب أن يقول إن القوى لَانَ ، واللَّوْنَةُ هي القوَةُ . والرواية الصحيحة هي ضم اللام من اللَّوْنَةِ^(١) . والفائدة ما ذكرت من التعريف بقمه . ولأن يكون طرفاً البيت متقاوين لمعنىين متقابلين ، أحسن من أن يكونا مفیدین لمعنى واحد . و « المَقْسُرُ » : اسم للجماعة ، لا واحد له من لفظه . وقال الخليل : هو اسم جماعة أمرهم واحد . ويقال جاءوا مَعْشَرَ مَعْشَرَ ، أي عشرة عشرة . و « خَشْنُونَ » : جمع خَشِنٌ وأَخْشَنَ . و « الْحَفِيظَةُ » : الخصلة يُحْفَظُ لها ، أي يُغَضَّبُ . وقيل هي الخِمِيَّة ، وفي المثل : « الْحَفَاظُ تَحْلِلُ الْأَحْقَادَ » وقيل أيضاً « أهل الْحَفَاظِ أهل الْحَفَاظِ » . وذلك أن ذا الأَنْفِ يَحْتَسِنُ من العار ، فلا يزال يَتَحَفَّظُ ويَحْفَظُ حتى يَسْلَمَ منه . وكأن الأصل في الـ كُلُّ الْحَفَاظِ الذي هو نقىض النسيان . وقد طابق الخشونة باللين فظهرت الصنعة به ، وجاء البيت له ، كأنه^(٢) قال مَعْشَرَ خَشِنُونَ عند الحفيظة إن كان ذُوو اللَّوْنَةِ لَيْئِينَ عندها .

٣ — قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى ناجِذَيْهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا

أراد أن يصف بنى مازن بما يحتاج له قومه فينصرونه ، فقال : هم قوم إذا ظهر لهم الشر واشتد سارعوا إليه غير متوقعين^(٣) لمَجْمَعٍ ، ولا مُعَرِّجين على تَاهِبٍ ، لكنهم يتبدرون أفراداً وثباتٍ ، وأشتاتاً وجماعاتٍ . وإباء الناجذ — وهو ضرس الحُلْم — مثل لاشتداد الشر . ومثله قول الآخر :

فَمَنْ يَكُ مِعْزَالُ الْيَدِينِ ، مَكَانُهُ إِذَا كَشَرَتْ عَنْ نَابِهَا الْحَرْبُ خَامِلٌ

(١) انظر ماسبق من التعليق عند إنشاد البيت .

(٢) في الأصل : « أنه » ، وأبنتنا ماق م .

(٣) كذلك في الأصل . وفي م : « متوقعين » .

فَأَمَا قُول عَنْتَرَةَ :

* إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحَّ الْفَمِ^(١)

وقول الأعشى :

* سَعَةُ الشَّدْقِ عَنِ النَّابِ كَلْخ^(٢)

وقول الآخر :

* وَقَدْ أَسْلَمَ الشَّفَتَانِ الْفَيَا

فإنما هو صفة للمصطلح بنار الحرب عند اشتداد الأمر عليه . ومثله لبعض البلاغاء : « صارَ الْأَكْسُ كَالْأَرْوَقَ ، وَالْمُحْتَالُ كَالْأَحْقَقَ ، وَذُو الْبَصِيرَةَ كَالْأَخْرَقَ^(٣) ». ويقال : عَضَّ عَلَى نَاجِدِه^(٤) ، إِذَا صَبَرَ عَلَى الْأَمْرِ . وَنَجَدَتْهُ الْأَمْرُ : أَحْكَمَتْهُ . قال الشاعر^(٥) :

* وَنَجَدَنِي مُدَأْوَرَةُ الشُّؤُونِ

ويقول الرجل إذا أراد أن يتشدد على صاحبه : لَا رَيَّنَكَ نَاجِدِي ! والمعنى أنه يُكْسِرُ له ويُكْلِحُ وجهه حتى يبدو ناجده . ويقولون : « خَلْتُهُ لِعُبُوسِهِ يَبْتَسِمُ^(٦) ، وَلَا قَادِمَهُ يَنْهَجُ^(٧) ». وقال بعضهم : النَّاجِدُ : الضَّوَاحِكُ ، وَاحْتِجَاجُ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَنَّهُ فَحَكَ حَتَّى بَدَأَتْ نَوَاجِدُهُ ». قال :

(١) صدره : * وقد حفظت وصاة عمى في الفحي

(٢) صدره في الديوان ١٦١ : * وله المقدم في الحرب إذا

(٣) الأكس : القصیر الأسنان الصغيرة . والأروق : الطويل الأسنان .

(٤) م : « ناجدية » .

(٥) هو سعيم بن وئيل الرياحي ، كما في المسان (نجد) والأسمعيات . وصدر البيت :

* أَخْوَ خَيْرٍ بِعَمَّ أَشْدَى *

(٦) في النسختين : « يَبْتَسِمُ » ، والتصحیح بعده يقتضی ما أثبتنا لیصلح السجع .

(٧) كذا على الصواب في م . يقال انهجم الحباء : سقط . وفي الأصل : « يَنْهَجُ » ، ولا أصل له في اللغة . وعلى هذا فالوجه أن يكون الفعل قبله : « يَبْتَسِمُ » لكنه ورد كذلك في النسختين .

وأقصى الأسنان لا يُبديها الصَّحِك . والصَّحِيخُ الأوَّل ، فَإِنَّ الْخَبَرَ فَمُحْمَولٌ عَلَى
الْمُبَالَغَةِ وَإِنْ لَمْ تَبْدُ النَّوْاجِذُ .

وجواب «إذا» ظاروا . و «وَحْدَانَا» هو جَمْعٌ واحد ، وواحدٌ صِفَةٌ ،
كصاحبٍ وحْبَانٍ ، ورَاعٍ ورُعْيَانٍ . ويقال طَرِطَتْ إِلَى كَذَا ، إِذَا أَسْرَعْتَ إِلَيْهِ ،
وطرِطَتْ بِكَذَا ، أَى سَبَقْتُ بِهِ . والزَّرَافَاتُ : الجَمَاعَاتُ ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الزَّرْفِ ،
وهو الْزِيَادَةُ عَلَى الشَّيْءِ . ويقال زَرَفَتِ الْقَوْمُ قُدَّاً ، أَى قَدَّمُتُهُمْ فِرْسَةً . وَحَسْكَى
فِي الزَّرَافَةِ تَشْدِيدُ الْفَاءِ ، يقال جاءَ الْقَوْمُ بِزَرَافَتِهِمْ ، أَى بِجَمَاعَتِهِمْ ؛ وَهُوَ غَرِيبٌ .
والمُعْنَى أَنَّهُمْ حُرْصُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَجُرْأَتِهِمْ ، لَا يَنْتَظِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، لَكِنْ
كُلُّهُمْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الإِجَابَةَ تَعِينُتْ عَلَيْهِ إِذَا تَشَدَّدَ الشَّرُّ لَهُمْ . وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلٌ
بعضِ الشُّعُراءِ^(١) :

قَوْمٌ إِذَا هَتَّفَ الصَّرَى بِخُرَفَتِهِمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجَمٍ مُهْرِهِ أوْ سَافِعٍ^(٢)
سَافِعٌ : أَخْذَ بِنَاصِيَةِ فَرَسِيهِ . وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : «لَنَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ» .
وَقَوْلُ الْآخَرَ^(٣) :

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمُضْوِفَةٍ أَشَمَّ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِئْرِي
٤ - لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُوهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا
الْأَصْلُ فِي النَّدْبَةِ — وَإِنْ اشْتَهِرَتْ بِبَكَاءِ الْأَمْوَاتِ وَقَوْلِهِمْ عَنْهُ :
وَفُلَانَاهُ : — الدُّعَاءُ ، وَتَوَسَّعُوا فِيهِ قَالُوا : نُدِبَ فُلَانُ لَكَذَا وَكَذَا ، إِذَا
نُصِبَ لَهُ وَرْشَحَ لِلْقِيَامِ بِهِ . وَيَقُولُونَ : تَكَلَّمَ فُلَانُ فَاتَّدَبَ لَهُ فُلَانُ ، إِذَا عَارَضَهُ .
وَالشَّاعِرُ يَقُولُ : هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ ، يَعْنِي بَنِي مَازِنٍ ، لَحْنُ مَحَافِظَتِهِمْ وَقَوْةِ تَنَاهِيَّهُمْ

(١) هو عمرو بن معد يكرب ، كما في تفسير أبي حيان (٨ : ٤٩١) .

(٢) رواية أبي حيان : «إذا كثُر الصياح» .

(٣) هو أبو جندب المذلي ، كما في اللسان (نصف) وديوان المذلين (٣ : ٩٢) .

فِي نُصْرَةِ الْمُنْتَسِبِ إِلَيْهِمْ وَالْمُعْلَقِ^(١) حَبَّلَهُ بِحَبَّلِهِمْ ، لَا يَسْأَلُونَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ
إِذَا دَعَاهُمْ حُجَّةً عَلَى دُعَوَاهُ ، وَلَا يَرْجِعُونَهُ فِي كِيفِيَّةِ مَا أَجْلَاهُ إِلَيْهِمْ ، لَكِنْهُمْ
يُعْجَلُونَ الإِغْاثَةَ لَهُ . وَهَذَا تَعْرِيْضٌ مِنْهُ بِمَا يَحْكُمُهُ مِنْ قَوْمَهُ أَوْ رَأَاهُ مِنْ عَادِتِهِمْ عِنْدَ
الْاسْتِغْاثَةِ بِهِمْ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : يَا أَخَا قَرِيشٍ ؟ وَالْمَعْنَى يَا وَاحِدًا مِنْهُمْ . وَمِثْلُهُ :
إِذَا اسْتَنْجَدُوا لِمَ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَاهُمْ لَأَيْتَ حَرْبٍ أُمْ بَأْيٍ مَكَانٍ^(٢)
وَقَدْ وَصَفَ بْنِ مَازِينٍ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الشَّعْرَاءِ بِمَثَلِ مَا وَصَفُوهُمْ هَذَا الشَّاعِرُ ،
فَنَذَّلَ قَوْلَ بِعِضِهِمْ :

نَفْسِي فِي دَاهِ لَبْنِي مَازِينٍ مِنْ شُمُسٍ فِي الْخَرْبِ أَبْطَالٍ
وَقَوْلُ الْآخِرُ^(٣) :

فَهَلَا سَعِيْمُ سَعَى عُصْبَيْهِ مَازِينٍ وَهَلْ كُفَلَائِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاهِ
٥ - لَكِنْ قَوْرِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

رَجَعَ إِلَى صَفَةِ قَوْمِهِ بِمَا يَأْنِفُونَ مِنْهُ عِنْدَهُ ، وَتَدَخُّلُهُمُ الْجَمِيْةُ لَدِيِ الإِضْغَاءِ
إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ قَصْدُهُ ذَمَّهُمْ فَقَالَ : لَكِنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ كُثْرَةٌ عَدَدٌ وَعُدَّةٌ
لَيْسُوا مِنْ دَفْعِ الشَّرِّ وَإِنْكَارِهِ ، وَقَصْدُهُ وَارْتِكَابُهُ فِي شَيْءٍ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ
خِفَّةٌ وَقَلَّةٌ . وَقَدْ قَاتَلَ الشَّرْطَ بِالشَّرْطِ فِي الصَّدْرِ وَالْعَجْزِ ، وَطَابَقَ الْعَدَدَ
وَالْكُثْرَةَ بِالْهَمْنَ وَالْخِلْفَةَ فِي هَذَا الْكَلَامِ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَصِفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُؤْثِرُونَ
السَّلَامَةَ وَالْعَفْوَ عَنِ الْجُنَاحِ مَا أَمْكَنُ ، وَلَوْ أَرَادُوا الْاِتِّقَامَ لَقَدْرَهُمْ بَعْدَهُمْ وَعُدَّهُمْ
وَلَكِنْ الْمَرَاقِبَةَ وَالْتَّقْوَى تَدْعُهُمْ إِلَى إِيَّاهُ الْحَسْنَى .

(١) كذا ضبط في الأصل . وفي م : «المعلق» بسكون العين وتحقيق اللام المكسورة ، وكلامًا يمعن واحد . اللسان (علق) .

(٢) لوداكار بن عبد المازني ، سياجي في المقطوعة ١٨ .

(٣) هو محرب بن مكعب ، كما سبق في حواشى من ٢٣ .

٦- يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمٍ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
روى بعضهم «من ظلم أهل الظلم» والظلم بالفتح المصدر وبالضم الاسم.
وهذه الرواية عندي أحسن . وقد بيّنت ما في المغفرة والإحسان من الدلالة على
أنهم كانوا يقدرون على إثارة ضدها . والظلم : انتهاك الحظ والتسبب . وقيل
هو وضع الشيء في غير موضعه ، ونقضه العدل . ويتنصب إحساناً بيجزون
مضمراً ، كأنه قال : ويَجْزُونَ مِنِ الإِسَاءَةِ إِحْسَانًا . وجاز حذفة لأن الفعل قبله
يُدْلُلُ عليه .

٧- كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ خَشِيتَهِ سِوَا هُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا^(١)
الخشية والخشى والمخاشاة : مصدر خشى . ويقولون : هذا المكان أخشن
من ذلك ، وهو نادر لأن المكان يُخشى فهو مفعول . ورجل خشيان وامرأة
خشيانة . قوله «سواهم من جميع الناس» هو استثناء مقدم ، ولو وقع موقعة
لكان الكلام لم يخلق خشيته إنساناً سواهم ، فكان يجوز في سواهم البطل
والاستثناء والصفة ، فلما قدم بطل أن يكون بدلاً وصفة لأنهما لا يتقدمان
على الموصوف والمبدل منه ، فيبيق أن يكون استثناء . وقد نبه بهذا الكلام أن
احتمالهم لاحتساب الأجر على زعمهم ، وإبقاءهم في الانتقام لخشية فوات الدُّخْرِ
في دعوام ، فكان الله لم يخلق خلوفه غيرهم .

(١) بعده بيت ثان لم يروه المرزوقي ، ورواه التبريزى ، وهو :
فليتَ لِي بِهِمْ قومًا إِذَا رَكِبُوا شَدُّوا الإِغْارَةَ فِرْسَانًا وَرَكِبَانًا
قال التبريزى في تفسيره : « وروى : شنوا الإغارة ، أى فرقوها . يقال شن عليهم الغارة
بالشين مجمعه . وسن عليه درعه بالسين ، إذا صبها عليه . ومن روى : شدوا الإغارة ،
فليس بالإغارة مفهولا به ولا اتصابها على ذلك . لكن اتصابها اتصاب المفهول له ، أى شدوا
لإغارة كثولك حملوا لإغارة فرساناً وركباناً ، أى في هذه المحلة . وهو كقول الآخر :
* شددنا شدة فقتلتهم منهم *

أى حلنا حلة . وشددت هذه غير متعدية ، وإذا أردت تعددتها وصلت بعلي . قال :
أشد على الكتبة لا أبالي أحقى كان فيها أم سواها » .

٢

وقال شَهِيلُ بْنُ شِيبَانَ الْزَّمَانِيُّ^(١) :

و يُلْقَبُ بِالْفِندُ . و الفِندُ فِي الْلُّغَةِ : الْقُطْعَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ الْجَبَلِ ، و جَمِيعُهُ أَفْنَادٌ .
قَالَ الدُّرِيدِيُّ : لَقْبٌ بِهِ لَعْنَمُ شَخْصِهِ . قَالَ : وَهُوَ أَحَدُ الْفَرَسَانِ . وَقَالَ غَيْرُهُ :
لَقْبٌ بِهِ لَأَنَّهُ قَالَ لِأَهْلِهِ فِي يَوْمِ حَرَبٍ : « اسْتَبِدُوا إِلَيْنَا لَكُمْ فِندٌ » .

١ - صَفَحَنَا عَنْ بَنِي ذُهْلٍ وَقُلْنَا الْقَوْمُ إِخْوَانٌ^(٢)

صَفَحَتْ عَنْهُ : عَفَوْتُ عَنْ جُرْمِهِ . وَيُقَالُ أَعْرَضْتُ عَنِ الْأُمْرِ صَفَحًا ،
إِذَا تَرَكْتُهُ . وَقَدْ يُقَالُ : أَصْفَحْتُ عَنْهُ ، كَمَا يُقَالُ أَضْرَبْتُ [عَنْهُ]^(٣) . وَيُقَالُ :
أَبْدَى لِصَفَحَتَهُ ، إِذَا مَكَثَكَ مِنْ نَفْسِهِ . يَقُولُ عَفْوًا عَنْ جُرمِ هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، وَرَاعَيْنَا
مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُتَوَشِّبَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، مَا حَمَلْنَا عَلَى الْإِعْضَاءِ عَلَى قَبِيحٍ يَتَفَقَّدُهُمْ ،
وَالْمُتَجَاوِزُ عَنْ هَفْوَةٍ تَحْصُلُ مِنْ جَهَتِهِمْ ، وَقُلْنَا : إِنَّ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْأُخْوَةِ
يَقْتَضِي الإِبْقاءَ عَلَى الْحَالِ مَعْهُمْ ، وَانتِظارًا لِلْعَيْنَةِ^(٤) تَكُونُ مِنْهُمْ . وَحَقِيقَةُ صَفَحَنَا
عَنْ بَنِي ذُهْلٍ : أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ : وَلَيْنَاهُمْ صَفَحةً أَعْنَاقَنَا وَوَجْهَنَا ، وَهِيَ جَانِبُهُمَا ،
فَلَمْ نُؤَاخِذْهُمْ بِمَا كَانُ مِنْهُمْ . وَيُقَالُ فِي هَذَا الْمَعْنَى ضُرُبَنَا عَنْهُمْ صَفَحًا ، وَفِي الْقُرْآنِ :
« أَفَنَضَرَبُ عَنْكُمُ الذِّكْرُ صَفَحًا » .

٢ - عَسَى الْأَيَامُ أَنْ يَرْجِعَ نَّ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا
إِنَّمَا نَكَرَ قَوْمًا لِأَنَّ فَائِدَتَهُ مِثْلُ فَائِدَةِ الْمَعَارِفِ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا فَضْلٌ بَيْنِ

(١) هو شاعر باهلي قديم، وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين، شهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة. المزانة (٢: ٥٨—٥٩) والأغاني (٢٠: ١٤٣—١٤٤) واللآلئ ٥٧٩.

(٢) التبريزى : « وَبِرَوْى : * صَفَحَنَا عَنْ بَنِي هَنْد * وَهِيَ هَنْد بَنْتُ مَرْبُنْ أَدْ أَخْتَ قَعْمَ ، وَهِيَ أُمُّ بَكْرٍ وَتَنْلَبُ بَنِي وَائِلٍ . فَيَقُولُ : « صَفَحَنَا عَنْ بَنِي تَنْلَبُ لَأَنَّهُمْ إِخْوَنَنَا عَلَيْهِمُ الرَّحْمُ » .

(٣) هذه من م . (٤) الفيثة : الرجعة .

أن تقولَ عَفَوْتُ عن زَيْدٍ فلعلَ الأَيَّامَ ترُدُّ رَجُلًا مِثْلَ الَّذِي كَانَ ، وَبَيْنَ أَنْ تَقُولَ فَلعلَ الأَيَّامَ ترُدُّ الرَّجُلَ مِثْلَ الَّذِي كَانَ ؛ لَأَنَّكَ تَرِيدُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِهِ رَجُلًا أَوْ الرَّجُلَ . وَالْمَعْنَى فَعَلَنَا ذَلِكَ بِهِمْ رَجَاءً أَنْ تَرُدَّهُمُ الْأَيَّامُ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ . وَعَسَى مِنْ أَفْعَالِ الْمَقَارَبَةِ . وَأَنْ يَرْجِعُنَّ فِي مَوْضِعٍ خَبَرَ عَسَى ، وَلَوْ قَالَ عَسَى أَنْ يَرْجِعَ الْأَيَّامُ قَوْمًا لِكَانَ أَنْ يَرْجِعَ فِي مَوْضِعٍ فَاعِلٌ عَسَى وَكَانَ يَكْتَنِي [بِهِ^(١)] ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ عَسَى لِمَقَارَبَةِ الْفَعْلِ ، وَالْفَعْلُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْفَاعِلِ ، فَإِذَا تَقَدَّمَ الْفَعْلُ مَعَ أَنْ وَتَبِعَهُ الْفَاعِلُ فَقَدْ حَصَلَ مَا يَطْلُبُهُ ، فَإِذَا وَلِيهِ الْاسْمُ بِقِيَّةٍ يَنْتَظِرُ الْفَعْلُ وَإِنْ ارْتَفَعَ ذَلِكَ الْاسْمُ بِهِ ، فَيَجْرِي الْفَعْلُ مَعَ أَنْ بَعْدَهُ بَحْرٌ خَبَرٌ كَانَ بَعْدَ اسْمِ كَانَ . وَمَعْنَى يَرْجِعُنَّ : يَرْدُدُنَّ ، وَهُوَ بَابُ فَعْلٍ وَفَعَلَتُهُ . يَقَالُ رَجَعَ فَلَانُّ رَجُوْعاً وَرَجَعَمَا وَرَجْعَيْ وَرَجْعَانَا ، وَرَجْعَتُهُ رَجَعَا . وَمَعْنَى يَرْجِعُنَّ قَوْمًا يَرْدُدُنَّ بِأَسْرِهِمْ أَسْرَ قَوْمًا ، وَبِاِتْلَافِهِمْ اِتْلَافُ قَوْمًا ، حَذْفُ الْمَضَافِ وَأَقْامُ الْمَضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ . وَخَبَرُ كَانَ مَحْذُوفٌ كَأَنَّهُ قَالَ كَالَّذِي كَانُوا ، أَيْ كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلُ مِنَ الْاِتْلَافِ وَالتَّوَادِ وَالْاِتْفَاقِ . وَالضَّمِيرُ الَّذِي أَظْهَرَ نَاهَ فِي « كَانُوا » هُوَ الَّذِي تَصْحُّ الصلةُ بِهِ ، لِأَنَّ الْمَوْصُولَ لَابِدَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي صَلْتِهِ ضَمِيرٌ يَعُودُ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ اسْمًا ، وَالَّذِي لَيْسَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْ كَانُوا شَيْئًا ؛ إِلَّا مَا أَبْرَزَنَاهُ مِنَ الضَّمِيرِ . وَمِنْ جَوَزِ حَذْفِ الْجَارِ وَالْمَحْرُورِ مِنَ الصَّفَةِ فِي نَحْوِ قُولَهُ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ وَيُقَدَّرُ فِيهِ أَنَّ الْكَلَامَ لَا تَجْزِي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، لَا يَسْوَغُ لَهُ أَنْ يَقْدِرَ فِي الصلةِ أَيْضًا كَذَلِكَ . وَإِذَا كَانَ الْأَسْرُ عَلَى هَذَا فَلَا يَحُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ يَرْجِعُنَّ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ ، لِأَنَّ مَثْلَ عَلَيْهِ لَا يَحُوزُ حَذْفَهُ مِنَ الصلةِ ، لَا تَقُولُ الَّذِي مَرَرْتُ جَالِسًا ، وَأَنْتَ تَرِيدُ سَرْتُ بِهِ ، وَالَّذِي دَخَلْتُ مَنْطَلْقًا ، وَأَنْتَ

(١) هَذِهِ مِنْ م.

تريد الذى دخلت عليه . وبمثل هذا توصلَ مَنْ زعم في الآية أنَ التقدير : واتَّقوا يوماً لا تجُزِيه نفس عن نفس شيئاً ، لأنَه قال : الصفة كالصلة ، فـكما لا يجوز حذفِ فيه وأشباهه من الصلة ، كذلك لا يجوز حذفها من الصفة ، فاعلمه . ويجوز أن يكون قوله كالذى كانوا ، أراد « كالذين » كانوا ، وحذف التون تخفيفاً ، كما قال :

إِنَّ الَّذِي حَانَتْ بَغْلَجَ دَمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أَمَّا خَالِدٌ^(١)

فيكون المعنى يرجمون بهم قوماً كالذين كانوا من قبل . وفي هذا الوجه يجوز أن يجعل « الذى » للجنس ، كما قال الله تعالى : « والذى جاء بالصدق وصدق به » ثم قال « أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ^(٢) » ، والفصل بين هذا الوجه وبين الوجه الأول أنه أَمَّلَ في الوجه الأول أَنْهُمْ إذا عَنَوا عنهم أَدَبَتُمُ الأَيَامَ ورَدَتْ أحوالهم في التَّوَادُّ والتَّحَابِ كأحوالهم فيما مضى ، وأزالَتْ من فساد ذات الين ما اعترض بسوء عشرتهم . وفي الوجه الثاني أَمَّلَ أن ترجِعَ الأَيَامَ أَنفَسَهُمْ إذا صفحوا عنهم كاعهَدَتْ : سلامَةً صدورٍ ، وكرَمَ اعتقادٍ وعهودٍ .

٣ - فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرْءُ فَأَمْسَى وَهُوَ عَرِيَانٌ

فائدة أَمسَى وأصبحَ وظَلَّ وبات في مثل هذا المكان على حدّ الفائدة في « صار » لوقَعَ موقعها ، الا ترى قوله تعالى : « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوَّدًا^(٣) » ، والإشارة بالأُنْثى تقع ليلاً ونهاراً . وكذلك تقول : أصبحوا خاسرين وأَمْسَوا نادمين ، وإن كانوا في كلِّ أوقاتهم على ذلك . « وَلَمَّا » علم للظرف ، وهو لوقع الشيء لوقع غيره ، ولهذا لا بدَّ له من جواب . ويقال صَرَّحَ الشيء إذا كشف عنه وأظهره ، وصَرَّح هو إذا انكشف^(٣) . ومثله بين

(١) البيت للأشهب بن رمية ، كما في البيان (٤ : ٥٥) والحزنة (٢ : ٥٠٨) .

(٢) هُمُ الْمُتَّقُونَ ، من م .

(٣) م : « بمعنى انكشف » .

الشيء وبين هو ، أى تبَيَّن ، وفي المثل « قد يَبَيِّنَ الصَّبُحُ لِذِي عَيْنَيْنِ ». وَفَعَلَ بمعنى تَقْعِلَ واسع ، يقال وَجَهَ بمعنى تَوْجِهَ ، وَقَدَمَ بمعنى تَقْدِمَ ، وَنَبَّهَ بمعنى تَنْبِهَ ، وَنَكَبَ بمعنى تَنْكِبَ . فيقول : لَمَّا ظَهَرَ الشَّرُّ كُلَّهُ الظَّهُورُ وَصَارَ بِحِيثِ لَا يُسْتَرُهُ شَيْءٌ وَلَمْ يَقِنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ سِوَى الصَّبَرِ عَلَى الظُّلْمِ الصَّرِيعِ . ولِمَنْفَعِهِ أَنْهُمْ لَمَّا تَجاوزُوا الْأَحْوَالَ الْمُتَشَابِكَةَ ، وَالْأَخْذَ بِالْإِنْصَافِ وَالْمَعْدِلَةِ ، إِلَى اسْتِعْدَالِ الظُّلْمِ وَرَفْعِ الْحِشْمَةِ ، حِينَئِذٍ جَازَ بَيْنَهُمْ بِمِثْلِ مَا ابْتَداَوْنَا . وَذَكَرَ الْعَرِيَّانِ مَثَلَ الظُّهُورِ الشَّرِّ . وقد اشتمل هذا الكلام على تفسير البيت الذي يتلوه ، وهو قوله :

٤ - وَلَمْ يَقِنْ سِوَى الْعَدُوَا نِدِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا
الْعَدُوَا وَالْعَدَاءُ وَالْعَدُوُّ^(١) : الظُّلْمُ . وأَمَّا قَوْلُهُ دِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا ، وَالْأُولَى
لِيُسْ بِحْزَاءَ ، فَهَذَا لِيُسْ بِهِمْ إِلَى الْمَطَابِقَةِ وَالْمَوْافِقَةِ ، وَإِخْرَاجِ الْفَنْظَرِ فِي مِعْرَضِ صَاحِبِهِ^(٢)
لِيُعْلَمَ أَنَّهُ جَرَاؤَهُ عَلَى حَدَّهُ وَقَدْرِهِ ، أَوْ ابْتِداَوْهُ . وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :
« يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ » وَ« اللَّهُ يَسْتَهِزُ بِهِمْ »^(٣) وَمَا أَشْبَهُهُ .
جَوَابُ لَمَّا صَرَحَ « دِنَاهُمْ » . وَقَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ التَّالِي^(٤) هُوَ تَفْصِيلٌ لِمَا أَجْلَهُ
قَوْلُهُ دِنَاهُمْ ، لِأَنَّهُ فَسَرَّ كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ الْجَزَاءُ . وَالْدِيَنُ لِفَظَةٍ مُشَرِّكَةٌ فِي عَدْتَهُ
مَعْنَى : الْجَزَاءُ ، وَالْعَادَةُ ، وَالطَّاعَةُ ، وَالْحِسَابُ . وَهُوَ هَاهُنَا الْجَزَاءُ . وَيَقُولُونَ :
« كَمَا تَدِينُ تُدَانُ » أَى كَمَا تَصْنَعُ يُصْنَعُ بِكَ .

٥ - مَشَيْنَا مِشِيَّةَ الْلَّيْلِ غَدَّا وَاللَّيْلَ غَضِيبَانُ^(٥)
كَرَّ الْلَّيْلَ وَلَمْ يَأْتِ بِضَمِيرِهِ تَفْخِيمًا وَتَهْوِيلًا ، وَهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي أَسْمَاءِ

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي الْأَصْلِ ، وَمُثْلَهُ الْعَدْدُ بِالْفَتْحِ أَيْضًا .

(٢) يَعْنِي مَا يَسْمِيهِ الْبَلَاغِيُّونَ الشَّاكِلَةَ .

(٣) قَبْلَهَا : (وَإِذَا خَلُوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعْكُمْ إِنَّا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) .

(٤) مَ : « الثَّانِي » .

(٥) التَّبرِيزِيُّ : « وَبِرْوَى : شَدَدْنَا شَدَّةَ الْلَّيْلِ » .

الأجناس والأعلام . قال عدى :

لأرى الموت يسبق الموت شىء نَفْسَ الموتُ ذا الْفَنِي وَالْفَقِيرِ^(١)
 فيقول : سَعَيْنَا إِلَيْهِم مُشَيْهَةً الْأَسْدِ ابْتَكَرَ وَهُوَ جَائِعٌ ، وَكَنَى عَنِ الْجَوْعِ
 بِالْفَضْبَ لِأَنَّهُ يَصْبِحُهُ . وَهَذَا التَّشْبِيهُ أَخْرَجَ مَالًا قَوْةً لَهُ فِي التَّصْوُرِ إِلَى مَا لَهُ قَوْةٌ
 فِيهِ ، وَمَنْ رَوَى « عَدَا » عَلَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَدُوَانِ فَلَيْسَ رَوَايَتُهُ بِحَسْنَةٍ ، لِأَنَّ
 الْلَّيْثَ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ ظَلَمٌ عَادٍ . وَالْمُشَيْهَةُ : اسْمُ الْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْمَاشِي
 فِي مَشَيْهِ ، وَالْمُشَيْهَةُ الْمَرَأَةُ الْوَاحِدَةُ ، وَالْفَعْلُ يَتَعَدَّ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا . وَالْلَّيْثُ
 مِنْ أَسْمَاءِ الْأَسْدِ . وَيَقُولُ : اسْتَلَيْثَ الرَّجُلُ ، إِذَا اشْتَدَّ وَقْوَىَ .

٦ - بِضَرْبِ فِيْهِ تَوْهِيْهُ نُونٌ وَتَخْضِيْعٌ وَإِقْرَانٌ^(٢)

تَعْلَقَ الْبَاءُ مِنْهُ بِمَشَيْنَا ، أَيْ مَشَيْنَا بِضَرْبٍ فِي ذَلِكَ الضَّرْبِ تَضَعِيفُ
 الْمَضْرُوبِ بِهِ ، وَتَذْلِيلُ وَلِينُ . وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فِيهِ تَوْهِينٌ وَصَوْتٌ فِي الْقَطْعِ
 وَكَسْرُ الْعِظَامِ وَإِطَاقَةُ وَقَوْةٌ . وَيَكُونُ حِينَئِذٍ « تَخْضِيْعٌ » مِنَ الْخَضْعَةِ وَالْخَضِيْعَةِ
 وَهَا اخْتِلاطُ الصَّوْتِ فِي الْحَرْبِ . وَمِنْهُ خَضِيْعَةُ بَطْنِ الْفَرَسِ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ :
 يَقَالُ « لِسْيَاطٌ خَضْعَةٌ » لَا أَدْرِي أَمِنَ الصَّوْتِ هُوَ أَوْ مِنَ الْقَطْعِ^(٣) . وَقَدْ
 رُوِيَ بِعَصْمَهُ :

* والضَّارِّ بَيْنَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَلْيَضَعَةِ^(٤) *

وقال : هِيَ السَّيُوفُ . وَ« إِقْرَانٌ » مِنْ قَوْلِهِمْ : أَقْرَنَ فَلَانَ ، أَيْ أَطْلَاقٌ .

(١) انظر الحزانة (١ : ١٨٣ / ٢ : ٥٣٤ / ٤ : ٥٥٢) وسيبوه (٣٠:١).

(٢) التبريزى : « وَرَوَى : تَخْدِيمٌ ، وَهُوَ الْقَطْعُ . وَرَوَى : بِضَرْبٍ فِي تَفْجِيمٍ وَقَائِمٍ وَازْنَانٍ »

(٣) م : « أَمِنَ الْقَطْعِ » .

(٤) الرجز للبيهقي ديوانه ٧ — ٨ وأعمالى تعلب ٤٥٠ والحزانة (٤ : ١١٧) . وهي
 مع قصتها في الحزانة وأعمالى المرتضى (١ : ١٣٤ — ١٣٧) والحيوان (٥ : ١٧٣)
 والأغاني (١٤ — ٩١ — ٩٢) والعدنة (١ : ٢٧) .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ . وفي الأول ^(١) إِقْرَانٌ من قولهم : أَفْرَنَ الدُّمَلُ ، إذا نَضَجَ ولان . ويقال استقرنَ الحَبَّانُ أيضًا . و « تَخْضِيع » من الخضوع يكونُ ، وهو الذُّلُّ . ويقال خَضَعَ الرجل وأَخْضَعَ ، إذا لَيَّنَ كلامه للنساء . وفي الحديث : « نَهَى أَن يَخْضَعَ الرجل لغير امرأته » ، أَى يُلْيَّنَ كلامه .

٧ - وَطَعْنٌ كَفْرٌ الزَّقُّ غَذَا وَالزَّقُّ مَلَانُ
كرر ذِكْر « الزَّقُّ » كَا كرر ذِكْر الْلَّيْث فِيمَا قَبْلَه . وهذا الوصف أبلغُ من قول النابغة :

* وَطَعْنٌ كَيْزَاعُ الْمَخَاضِ الضَّوَارِبِ ^(٢) *

وهذا التشبيهُ أَبْرَزَ ما يقلُّ في الاعتراض في صورة ما يَكْثُرُ فيه . ومثله :

فَجَبَهُنَّاهُ بِضَرْبٍ كَمَا يَخْ رُجُّ من خُرْبَةِ الْمَزَادِ الْمَلَهِ ^(٣)

أى وبِطْعَنٍ في اتساعه وخروج الدم منه كفم الزَّقُّ إذا سال بما فيه وهو مملوء . وغَذَا يَغْذُو غَذْوًا ^(٤) ، إذا سال . وغَذَا يَغْذُوهُ غَذْوًا . والاسم الغِذاء . فأمّا قول الْهَذَلِي ^(٥) :

* فَالظَّعْنُ شَفَسَغَةُ وَالضَّرْبُ هَيْقَعَةُ ^(٦) *

فهو حكايةً صوت الواقع ، وقوله « غَذَا » في موضع النصب على الحال ، والأجود أن يُجعلَ « قدْ » مضمّنة ^(٧) .

(١) يزيد في أصل استعماله .

(٢) وبروى : « كَيْزَاع » بالمعنى المجمع . وصدره كما في ديوانه ٨ :

* بِضَرْبِ بَزْلِ الْهَامِ عَنْ سَكَنَاتِهِ *

(٣) البيت للحارث بن حازرة اليشكري في معلقه . شرح القصائد العشر للتبريزى ٢٦٦ .

(٤) كذا ضبط في الأصل . وفي اللسان : « غذوا » بالفتح .

(٥) عبد مناف بن ربيع المدى .

(٦) عجزه : * ضرب المولى تحت الديعة العضدا *

(٧) ابن جني : « غذا حال من المضاف إليه ، وهو قليل . ويجب أن تكون قد هاهنا مراده مخدوفة ، أى قد غذا ، من حيث كانت قد تقرب الماضي من الحال » .

٨ — وبَعْضُ الْحَلْمِ عِنْدَ الْجَهْنَمِ لِلذَّلَّةِ إِذْعَانٌ

يعتذر من تركهم التعلم مع الأوداء والأقارب، لما كان مفضياً إلى اكتساه ذلة، واكتساب خُضُوع وعار. والقدير: بعض الْحَلْمِ إِذْعَانَ لِلذَّلَّةِ عِنْدَ جَهَنَّمَ الْجَاهِلُ. وهذا إذا توهم أن المحتمل إنما فعل ما فعله خوفاً وعجزاً، لا ميلاً منه إلى التجاوز والإغضاء واستبقاء الأخوة والوداد. ويقال: أذعن لـكذا، إذا انقاد له. ومنه ناقة مذعان. وأذعن بـكذا: أقر به.

٩ — وَفِي الشَّرِّ نِجَاةٌ حِيَ نَّ لَا يُنْجِيْكَ إِحْسَانٌ

قوله «في الشر نجاة» أراد: وفي دفع الشر، خذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. ويجوز أن يريد: وفي عمل الشر نجاة، كأنه يريد وفي الإساءة مخلص إذا لم يخلصك الإحسان. وهذا مثل قوله: «الطعن يطار» أي يغطى، وكما قال زهير:

وَمَنْ يَعْصِيْ أَطْرَافَ الزَّبَاجِ فَإِنَّهُ مُطْبِعُ الْعَوَالِيِّ رُكْبَتْ كُلَّ لَهْدَمٍ^(١)
وهذا الكلام يحرى منه مجرى الاعتذار مما أجرى إليه مع القوم، فاعلمه.
ويقولون أيضا: «من لم تقوّمه الكرامة قوّمه الإهانة».

٣

وقال أبو الغول الطهوي^(٢):

الغول مآخذُه من غاله يُغوله غولاً، إذا أهدكه. وهو يسمون كل داهية

(١) م: «يطبع العوالى»، وهي الرواية المشهورة.

(٢) شاعر إسلامي كان في الدولة الروانية. الحزانة ٣: ١٠٩ والآل ٥٧٩.

غولاً . وبذلك سَمَاوا الشيطانَ والخَيْرَةَ^(١) غُولاً . والغِيلانَ عِنْدَمْ سَحْرَةِ الجنَّ . قال :

* كَمَا تَلَوَنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ^(٢) *

١ - فَدَتْ نَفْسِي وَمَامَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَقُوا فِيهِمْ ظُنُونِي

لَفْظُهُ لفظُ الخبر ، والمُعْنَى معنى الدعاء . يقول : تقدى نفسى مالى أجمعُ فوارس يكُونون عند الظلَّ بهم في الخُربَ ، وقد رُوى آخر البيت على وجوه تتقابَل معانِيهَا . روى : « فوارسَ صَدَقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي » . ويكون ظنوني في موضع رفع بصدَّقَتْ وبرُوى : « صَدَقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي » بفتح الصاد . وتضعييف عين الفعل يَدْلِلُ على التكثير . وظنوني يرتفع بالفعل . وتخصيص الميم في قوله : « وما ملكت يميني » لِفَضْلِهَا وقوَةِ التصرُّفِ بها . وهم يقيِّمون البعضَ مقام الجملة فينسبون إليه الأحداثَ والأخبارَ كثيراً ، على ذلك قوله تعالى : « فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاصِّيَّعِينَ » . وقولُهُمْ : عُذْتُ بِحَسْنِ فلان . وهو عبدُ المَقْدَسَ^(٣) ، وحرُّ الوجه ، ولثيمُ القَفَّا وما أشباهه . وفي القرآن : « أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ». وفوارس شاذُّ في الجمْوع عند سيبويه ، لأنَّ فواعل إنما تكون جمع فاعلة في صفات ما يعقلُ دون فاعل ، واستُدْرِكَ على سِبَّوَيْهِ هَالِكُ في الموالك .

وبيتُ الفرزدق :

وإذا الرِّجالُ رأوا يَزِيدَ رأيَهُمْ خُصَّ الرِّقَابِ نَوَّا كِسَ الأَبْصَارِ

(١) في الأصل : « والجنة » ، صوابه في م .

(٢) لَكَعبَ بْنَ زَهْيرَ ، وصَدِرُهُ :

* فَا تَدُومُ عَلَى وَصْلِ تَكُونُ بِهِ *

(٣) المقدَّس : متنه من بت الشعر من مؤخر الرأس .

وبيت عقبة بن الحارث :

* ومثلي في غواصيكم قليل *

وقال أبو العباس المبرد : هو الأصل في جميعه ، ويجوز في الشعر .

٢ - فوارس لا يملون المانيا إذا دارت رحى الحرب الزبون
ملك الشئ أمله ملالاً ومللةً وملالاً ، إذا سمعته . ويقال : فلان ذو ملة
طرف ، إذا صحر بشيء فتطرفة . قال :

* إنك والله لدو ملة^(١) *

ويجوز الرفع في فوارس على أن يكون خبر ابتداء مضمير ، كأنه قال :
هم فوارس . ويجوز النصب فيه على أن يكون بدلاً من فوارس الأولى ، ولا يملون
في موضع الصفة للقوارس . وللمعنى فقدت نفسي فوارس لا يضجرون بمكايده
الحرب^(٢) ومقاساة الشدائديها ، ولا يكرهون المقاتلة إذا دارت رحى الحرب
باهلها . والزبون : الدافع ، ومنه الزانية . وإنما شبه الحرب بالناقة الزبون
فوصف بصفتها ، وهي التي تربّن حالها وتدفعه برجلها . قال :

ترّبن بالأخفاف والمناسيم عن ذرورة تخضب كف التائش
ويقولون : ثبتَ فلان في رحى الحرب ، أى حيث دارت رحاه . ومنية
ومانيا ، كصحيفة وصحائف ، والأصل مناني فاستقللت الصمة في الياء حذفت ثم
فروا من الكسرة وبعدها يلا إلى الفتحة فانقلبت الياء ألقاً فصار منها ، فأبدلوا
من المهمزة لتتوسطها ألقين ياء فصار مانيا .

٣ - ولا يجزون من حسن بسيء ولا يجزون من غلظ بلين^(٣)

(١) لمبر بن أبي ربيعة في اللسان (طرف) وإصلاح المتعلق ٢٢٢ ، ٢٨٨ . ويعزه :

* يطرفك الأدنى عن الأبد *

(٢) م : « لمكايده » .

(٣) التبريزى : « وبروى : من حسن بسوه ، ومن حسن بسوأى ، على فعلى » .

هذا الكلام من صفة الفوارس . يريدهُ أَهْمَمْ يعرفون بِجَارِيَ الأمور
ومقادير الأحوال فَيَوْزِنُونَ انْلَهِشَ بِانْلَهِشَ واللَّيْنَ بِاللَّيْنَ ، كَمَا قَالَ الْآخِرُ :
تَجَازِيَ الْوَافِي بِكَيْنِيلِ وَفِي مَلَانَ وَالظَّفَافُ بِالظَّفَافِ
وَقُولَهُ « بِسَيِّ » أَرَادَ بِسَيِّ خَفْفَ ، كَمَا قَالَوا فِي هَيْنِ هَيْنَ وَفِي لَيْنِ لَيْنَ .
وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « بِسَيِّ »^(١) . وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ فِي الْجَزَاءِ عَلَى قَدْرِ الْإِبْدَاءِ .
وَلِيُسْ ذَلِكَ بَشَّىٌ لَأَنَّ سَيِّ فِي مَقَابِلَةِ حَسَنٍ ، كَمَا أَنَّ اللَّيْنَ فِي مَقَابِلَةِ الْغِلَاظَ ،
وَفِي الْعَدُولِ عَنْهُ إِلَى سَيِّ إِخْلَالٍ بِالْتَّقَابُلِ ، وَالْبَيْتُ إِنَّمَا حَسَنَ بِهِ .

٤ - وَلَا تَبْلِي بَسَاتَهُمْ وَإِنْ هُنْ صَلُوا بِالْحَرْبِ حِينَ بَعْدِ حِينِ
يُقَالُ : بَلِيَ الشَّوْبُ يَبْلِي بَلِي وَبَلَاءً^(٢) ، وَيُسْتَعَارُ فِي قَالٌ : لَدِسْتَ فَلَانَا
وَبَلَيْتُهُ ، إِذَا اسْتَمْتَعْتَ بِهِ وَتَمَكَّنْتَهُ . وَإِنَّمَا يَصْفُهُمْ بِالْاسْتِمْرَارِ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ
فِي مُزَاوَلَةِ الْحَرْبِ ، وَأَنَّ شَجَاعَتَهُمْ لَا تَنْقُصُ وَلَا تَبْلِي عِنْدَ امْتِدَادِ الشَّرِّ ،
وَاتِّصَالِ الْبَلَاءِ . وَالْبَسَالَةُ تُوَصَّفُ بِهَا الْأَنْدُ وَالرِّجَالُ ، يُقَالُ أَسَدُ بَاسِلٍ وَبَسُولٍ .
كَمَا يُقَالُ رَجُلُ بَاسِلٍ وَبَسُولٍ . قَالَ امْرُوُ الْقَيْسِ :

* ما غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ^(٣)

وَ« صَلُوا » هُوَ مَنْ صَلَيْتُ بِكَذَا أَيْ مُنِيتُ بِهِ ، وَهُوَ مَنْ الْفِعْلَ فَعَلَوْا
بِكَسْرِ الْعَيْنِ ، وَلِهَذَا انْضَمَ الْلَّامُ مِنْ صَلُوا ، وَلَوْ كَانَ قَاتِلُوا بِفَتْحِ الْعَيْنِ لَقِيلَ صَلُوا ،
كَمَا قِيلَ دَعَوَا وَرَمَمُوا . فَإِنْ قِيلَ : فَأَيْنَ جَوَابُ الشَّرْطِ فِي قُولَهُ « وَإِنْ هُنْ صَلُوا
بِالْحَرْبِ » ؟ قِيلَ : هُوَ مَتَقْدَمُ ، وَالْتَّقْدِيرُ إِنْ صَلُوا وَمُنْتَوْا بِالْحَرْبِ لَمْ تَخْلُقْ
شَجَاعَتَهُمْ . وَفَصَلَ بَيْنَ الْفِعْلِ وَإِنْ بِهِمْ » ، لَأَنَّهُ مَاضٍ لَمْ يَظْهُرْ فِيهِ أُثُرٌ إِنْ

(١) السَّى : المثل . وَمَا سِيَانُ أَى مِثْلَانَ .

(٢) التَّبَرِيزِيُّ : « إِذَا فَعَلْتَ الْبَاءَ مَدَدْتَ ، وَإِذَا كَسَرْتَ قَصَرْتَ » .

(٣) صَدَرَهُ كَمَا فِي دِيْوَانِهِ ١٤٨ : *

* قَوْلًا لِدُودَانَ عَبِيدِ الْعَصَمِ

بالجزم . ولو كان الفعل مستقبلاً لظهور الجزم فيه ، ولما حسن النصل بينه وبين إن بالاسم . يقبح أن يقال إن زيد يأتي أكرمـة ، وتقول إن الله أقدرـي على زيدـ فقلتـ به كذا . وهذا شـ يجوز في إن دون سائر حروف الجزاء ، لأنـ الأصلـ في الجزاء والحرفـ الذي لا يزولـ عنه . وروى بعضـهم : « ولا تنبـ بـ سـأـلـهـمـ » من سـلـوـتـهـ إذا اخـتـبـرـتهـ ، ويـكونـ المعـنىـ لا يمكنـ اختـبـارـ شـجـاعـتـهـمـ فـيـعـرفـ غـورـهـاـ وـمـنـتهاـهاـ عـلـىـ مرـ الأـزـمـانـ ، واختـلـافـ الـأـحـوالـ .

٥ - هـمـ مـنـوـاـ حـمـيـ الـوـقـيـ بـضـرـبـ يـؤـلـفـ بـينـ أـشـتـاتـ المـنـونـ^(١)
 قوله « بـضـرـبـ يـؤـلـفـ » وقد وـقـعـ المـنـعـ وـالـضـرـبـ جـمـيعـاـ حـكـاـيـةـ حـالـ ، لـوـلاـ
 ذلكـ لـقـالـ : بـضـرـبـ أـلـفـ . ومـثـلـهـ فـيـ الـقـرـآنـ : « وـنـقـلـهـمـ ذـاتـ الـيمـينـ وـذـاتـ
 الشـمـالـ وـكـلـهـمـ باـسـطـ ذـرـاعـيـهـ بـالـوـصـيـدـ ». يـقـولـ^(٢) : هـؤـلـاءـ الـقـومـ الـذـينـ أـشـرـتـ
 إـلـيـهـمـ بـقـوـلـ : فـوـارـسـ صـدـقـواـ فـيـهـمـ ظـلـونـيـ ، هـمـ الـذـينـ مـنـعـواـ حـمـيـ هـذـاـ الـمـكـانـ
 بـضـرـبـ يـجـمـعـ بـينـ الـنـيـاـيـاـ الـمـتـفـرـقـةـ . وـهـذـاـ تـقـيـيـدـ بـعـدـ إـطـلاقـ ، وـتـخـصـيـصـ بـعـدـ تـعـيمـ .
 وـالـحـمـيـ : مـوـضـعـ الـلـاءـ وـالـكـلـاـ . وـيـقـالـ : أـحـمـيـتـ الـمـكـانـ ، أـىـ جـعـلـهـ حـمـيـ .
 وـحـمـيـتـهـ : ذـبـيـتـ عـنـهـ . وـقـوـلـ « يـؤـلـفـ » مـنـ صـفـةـ الضـرـبـ ، وـيـحـتـمـلـ وـجـوهـاـ :
 يـجـوزـ أـنـ يـكـوـنـ الـمـعـنىـ إـنـ هـؤـلـاءـ لـوـ بـقـواـ فـيـ أـمـاـكـنـهـمـ وـلـمـ يـجـمـعـواـ فـيـ هـذـهـ الـمـعرـكـةـ
 لـوـ قـعـتـ مـوـتـاهـمـ مـتـفـرـقـةـ فـيـ أـمـكـنـةـ مـتـغـيـرـةـ ، وـأـزـمـنـةـ مـتـفـاـوـتـةـ ، فـلـمـ اـجـمـعـواـ خـتـمـاـ
 الضـرـبـ الـذـيـ وـصـفـهـ صـارـ الضـرـبـ جـامـعاـ لـتـلـكـ الـنـيـاـيـاـ وـوـجـوهـهـاـ . وـحـكـيـ عنـ أـبـيـ
 سـعـيدـ الضـرـيرـ^(٣) أـنـ الـمـعـنىـ إـذـاـ وـقـعـ بـهـمـ أـلـفـ بـيـنـ أـقـدـارـهـمـ الـتـىـ قـدـرـتـ عـلـيـهـمـ . وـيـجـوزـ

(١) الـوـقـيـ ضـبـطـ فـيـ الـأـصـلـ وـمـ بـكـوـنـ الـقـافـ ، وـضـبـطـهـ يـاقـوتـ بـنـجـهاـ . وـانـظـرـ لـيـومـ
 الـوـقـيـ شـرـحـ التـبـرـيـ وـمـعـجمـ الـبـلـدـانـ وـالـخـزـانـةـ (١٠٧ : ٣) وـالـيـدـانـ (٢٥٧ : ٢) .

(٢) مـ : « فـيـقـولـ » .

(٣) هـوـ أـبـوـ سـعـيدـ أـحـدـ بـنـ خـالـدـ الـضـرـيرـ . لـقـيـ أـبـاـعـمـرـ الـشـيـانـيـ وـابـنـ الـأـسـرـارـيـ . وـكـانـ
 يـاقـيـ الـأـعـرـابـ الـفـصـحـاءـ الـذـينـ اـسـتـورـهـمـ اـبـنـ طـاهـرـ نـيـساـبـورـ فـيـأـخـذـ عـنـهـمـ ، مـثـلـ عـرـامـ ؛ وـأـبـيـ
 الـعـيـشـلـ . نـكـتـ الـهـيـانـ ٩٦ - ٩٨ .

أن يكون المعنى أن أسباب الموت مختلفة ، وكأن هذا الضرب جمع بين الأسباب كلها . ويجوز أن يكون المراد ضرباً لا ينفّس المضروب ولا يهمه ، لأنّه جمع فرق الموت له . وقوله «أشتات المئون» واحدها شت . والمئون : الموت ، وهو من مئنت اى قطمت .

٦- فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرْءُ الْأَعَادِيِّ وَدَأَوْهُ بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ

نَكَبَ قد جاء متعدياً إلى مفعولين ، قال أوس :

نَكَبَتْهَا مَاءُهُمْ لَمَّا رَأَيْتُهُمْ صُهْبَ السَّبَلِ بِأَيْدِيهِمْ يَازِيرُ
وَالْأَكْثَرَ نَكَبَتْهَا عَنْ كَذَا . يقول : حَرَفَ عن هؤلاء القوم هذا الضرب
اعوجاج الأعداء وخلافهم ، وداووه الشر بالشر . وهذا كما يقال : «المحديد
بالحديد يُفلح» . وكما قيل : «لا يُفْلِحُ الحديد إِلَّا الحديد» . وأصل
النَّكَبَ : المئل ، ولذلك يقال نَكَبَتْ الإناء ، إذا أَمْلَأَتْهُ . ونَكَبَ الرجل
نَكَبَةً . وعلى هذا النَّكَبَةِ في صفة الريح . والدرء ، أصله الدفع ، ثم استعمل
في الخلاف ، لأنَّ الخالفين يتقاذفان . ومثله :

* وَقَوَّمَتْ عَنْهُ دَرَأَهُ فَنَكَبَهَا^(١) *

٧- وَلَا يَرْعَوْنَ أَكْنَافَ الْهَوَيْنَ إِذَا حَلُوا وَلَا أَرْضَ الْهَدُونِ

يرُوى : «ولاروض الهدون» ، وهو فصح . والهدون : الصلح والشكون .

وفي الحديث : «هُدْنَةٌ عَلَى دَخْنٍ» ، أي صلح على فساد دخنة .

يصفهم بالليل إلى الشر ، والحرص على القتال والقتل ، وأنهم يؤثرون جانب
الخصومة على الصلح ، وناحية الذعر على السكون ، فيقول : لا يرعى هؤلاء

(١) ابن مفرغ الحبرى ، كما في البيان (٢ : ٢٨١) . وصدره :

* فيأرب خصم قد كفيت دفاعه *

القومُ جوانبَ الخصالِ السَّهْلَةِ والأمورِ الْهِيَّنَةِ، ولا ينزلونَ مُنَازِلَ الْأَمْنِ والرَّاحَةِ .
وَالْهُوَيْنَى : تصغيرُ الْهُوَنِ ، وَالْهُوَنَى : تأييثُ الْأَهْوَنِ . ويُحَوَّلُ أَنْ يَكُونَ الْهُوَنِ
فُقَلَّ اسْمًا مُبْنِيًّا مِنَ الْهِيَّنَةِ ، وَهِيَ السُّكُونُ . وَلَا تَجْعَلْهُ تأييثُ الْأَهْوَنِ .

٤

وقال جعفر بن علبة الحارثي^(١) :

١ - أَلَهَفَ بُقْرَى مَسْجِبَلٍ حِينَ أَحْلَبَتْ عَلَيْنَا الْوَلَايَا وَالْعَدُوُّ الْمُبَآمِلُ^(٢)
التلهف يكون على القائمة بعد الإشراف عليه ، يقولون : والهفاه ، ووالهف
أَمَاه . ولهف نفسه وأمه إذا قال ذلك . وفي المثل : « إِلَى أُمِّهِ يَلْهَفُ الْهَفَانُ ».
وقوله « أَلَهَفَ » يجوز أن يكون مُنادَى مفرَداً ، ويُحَوَّلُ أَنْ يكون مضافاً . فإذا
جعلته مضافاً فإنَّ أصلَهُ أَلَهَفٌ أو أَلَهَفٍ . فإذا كانَ أَلَهَفٌ فكانَ فَرَّ من
الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فأنقلبَ أَلْفَأْ . وعلى ذلك ياغلاماً أَقْبِلَ . وقوله :
* وهل جَزَعْ أَنْ قلتُ واباهاها *

وإنما المعنى بـأَبِيهَا . وعلى ذلك طريقة في مَدَارِي ومَدَارِي ، وعَذَارِي
وَعَذَارِي ، وَصَحَارِي وَصَحَارِي ، وفي بَقِيَ بَقِيَ ، وفي رَضِيَ رَضِيَ^(٣) . وإذا كانَ
أَلَهَفٌ يَكُونُ الأَلْفَ قَدْ زَيَّدَ لامتدادِ الصوتِ به ليكونَ أَدْلَى عَلَى التَّحْسِرِ .
وكذا إنْ جعلَتَه أَلَهَفٌ مفرَداً يَكُونُ أَلْفِ زَيَّدَ لَذَلِكَ . وَمَعْنَى « أَحْلَبَتْ » :
أَعْنَتْ . وأَصْلُهُ الإِعَانَةُ فِي الْحَلَبِ خَاصَّةً ، ثُمَّ استَمْرَتْ فِي الإِعَانَاتِ كَلَّاها . وقد

(١) في الأصل : « علية » صوابه في م والتربيزي والمبهج وابن جني .

(٢) التربزي : « وروى : أَجلَبَ . والأصل الجلبة رفع الأسماء » .

(٣) بَقِيَ وَرَضِيَ ، بفتح القاف والصاد لغة ملِي ، يَجْعَلُونَ كُلَّ ياء انْكَسَرَ ما قَبْلَهَا أَلْفَأْ .
اللسان (بق) .

يكون الشيء مختصاً في الأصل ثم يصير بالمعنى عاماً، كما قد يكون عاماً في الأصل ثم يصير به مختصاً . وروى : « الولايا » وهي جمع الولية ، وهي البردة ، وهي تكون كنایة عن النساء إن شئت ، وعن الضعفاء الذين لا غناه عندهم إن شئت . ويشبه هذا قول أم تأبّط شرّاً توبّنه : « والبناء ليس بعقولف ، حشى من صوف ، تلفه هوف ^(١) ». وقولهم : « هو كالحلس الملقى » . ويروى : « الملوى » ومعنى البيت أنه يتلهف لما نزل بهم في الموضع الذي ذكره حين أعن الأعداء عليهم كون العرم معهم أو من يجري تجرى العرم من الضعفاء الذين لا دفاع لهم ؛ لِمَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الذَّبَّ عَنْهُمْ ، والاشتغال بالحماية عليهم . ومن روى الملوى — وهو أبناء العم — فإنما خصمهم بالذكر لأن الجفاء منهم أشد تأثيراً في النفس . ألا ترى أن من كان بنو عمه عليه فهو كمن قُوْتِلَ بِسَلَاحِهِ ، ألا ترى إلى قول الآخر حيث يقول ^(٢) :

خَافَةَ جَوَرٍ مِنْ أَمِيرٍ مُسْلَطٍ وَرَهْطِي وَمَا عَادَكَ مِثْلُ الْأَقْارِبِ
وَالْعَدُو إِشارةٌ إِلَى الْجِنْسِ . وَالْمُبَاسِلُ ، مِنَ الْبَسَالَةِ . وَأَجْرَاهُ عَلَى لَفْظِ الْعَدُو
لَا عَلَى مَعْنَاهُ . وَفِي الْقُرْآنِ : « فَإِنَّهُمْ عَدُوٌ لِإِلَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(٣) » .

٣ — فقالوا انتنان لا بدّ منها صدور رماح أشرعت أو سلالٍ
 التاء في « ثنتان » كالتاء في بنتان ، إلا أنه لم يستعمل واحده كاستعمال بنت . وكذلك التاء في اثنتان كالتاء في ابنتان إلا أنهم لم يقولوا اثنتان كما قالوا ابنة . والشاعر حكى ما دار بينهم عند الالقاء فيقول : أدارنا ^(٤) أعداؤنا على

(١) العقولف : الجاف الكثيد اللحم والشعر . والموف : الربيع الحارة . وفي اللسان (هوف) : « وقيل لم يسم هذا إلا في كلام أم تأبّط شرّاً » .

(٢) إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، مِنْ مَفْعُولٍ .

(٣) كذلك في الأصل وم بتقديم الدال ، وهي هنا أليق من « أدارنا » .

خَصْلَتَيْنِ حُكِّمُوا عَلَيْنَا بِهِمَا ، وَخَيْرُونَا فِيهِمَا ، وَهُوَ^(١) الْاسْتِسْلَامُ الَّذِي أَخْرَهُ
الْأَمْرُ ، أَوِ الْقَتْلُ الَّذِي أَوْلَهُ الْاِمْتِنَاعُ وَالْدَّفْعُ . وَقَوْلُهُ «ثَنَان» أَرَادَ خَصْلَتَيْنِ اثْنَتَانِ ،
ثُمَّ فَسَرَّهَا بِقَوْلِهِ «صُدُورُ رِمَاحٍ [أَشْرِعَتْ]^(٢)» وَخَصَّ الصُّدُورَ لِأَنَّ الْمَقَاتَلَةَ بِهَا
تَقْعُ ، وَيُحُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَكْرُ الصُّدُورِ وَإِنْ كَانَ الْمَرَادُ الْكُلُّ كَمَا قَالَ :

* الْوَاطِئِينَ عَلَى مَصْدُورِ نِعَالِهِمْ *

وَإِنْ كَانَ الْوَطْهُ لِلصُّدُورِ وَالْأَعْجَازِ . وَكَفَ عنِ الْأَسْرِ بِالسَّلاَسِلِ . وَقَوْلُهُ
«لَا بَدْ مِنْهُمَا» أَرَادَ لَا بَدْ مِنْهُمَا عَلَى طَرِيقِ التَّعَاقِبِ لَا عَلَى طَرِيقِ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا ،
وَإِلَّا سَقْطُ التَّخِيرِ الَّذِي أَفَادَهُ «أَوْ» مِنْ قَوْلِهِ «أَوْ سَلاَسِلُ^(٣)». أَلَا تَرَى أَنَّهُ
إِذَا قَالَ خُذُ الدِّينَارَ أَوِ التَّوْبَةَ ، وَكُلِّ السَّمْكَ أَوِ اشْرَبَ الْبَيْنَ ، فَلِيُسْ فِيهِ الْجَمْعُ
بَيْنَهُمَا . وَإِذَا كَانَ الْأَسْرُ عَلَى هَذَا فَالْعُنْفُ لَا بَدْ مِنْ إِحْدَاهُمَا^(٤) . وَ«أَشْرِعَتْ» :
هُيَّأَتْ لِلْطَّعَنِ . وَكَذَلِكَ شُرِعَتْ . وَيُسْتَعْمَلُ فِي السَّيْفِ أَيْضًا وَكَانَ الْأَصْلُ فِي
مَشَارِعِ الْمَيَاهِ . وَفِي الْمَثَلِ : «أَهْوَنُ الْوَرْدُ التَّشْرِيعُ» ، أَيْ إِبْرَادُ الشَّرِيعَةِ .

٣ - فَقُلْنَا لَهُمْ تِلْكُمْ إِذَا بَعْدَ كَرَّةٍ تُعَادِرُ صَرْعَى نُوَءُهَا مُتَخَازِلُ
يَقُولُ : أَجْبَنَاهُمْ وَقَلَّنَا تِلْكُمْ ، [أَيْ تِلْكُمْ^(٥)] التَّخِيرَةُ وَذَلِكَ التَّحْكُمُ . وَلَا يُحُوزُ
أَنْ تَكُونَ الإِشَارَةُ بِتِلْكُمْ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْ هَاتِيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ الَّتِيْنِ تَقْدَمُ ذَكْرُهُمَا ،
لَا تَرَى لَا اِخْتِيَارٌ فِيهِمَا لِخَتَارٍ حَكْمٌ هُؤُلَاءِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ عَلَى طَرِيقِ

(١) الوجه «وَهَا» .

(٢) هَذِهِ مِنْ مَ ..

(٣) كَلَةٌ «أَوْ» هَذِهِ مِنْ مَفْقَطٍ .

(٤) قَالَ ابْنُ جَنِيَّ : «لَكَ فِي مِنْهَا وَجْهَانَ : إِنْ شَئْتَ كَانَ عَلَى حَذْفِ الْمَضَافِ ،
أَيْ لَا بَدْ مِنْ إِحْدَاهُمَا . أَلَا تَرَاهُ قَالَ أَوْ سَلاَسِلُ . أَوْ إِغْرَا تَوْجِبُ أَحَدَ الشَّيْئَيْنِ . وَإِنْ شَئْتَ
كَانَ عَلَى ظَاهِرِهِ لَا بَدْ مِنْهُمَا جَيْعاً . فَصُدُورُ الرِّمَاحِ مَنْ يَقْتَلُ ، وَالسَّلاَسِلُ مَنْ يُؤْسِرُ ، أَيْ
يَكُونُ بِعْضُنَا كَذَا وَبِعْضُنَا كَذَا» .

(٥) هَذِهِ مِنْ مَ ..

التهكم والسخرية . وللمعنى إنما يكون ذلك بعد عَطْفَةٍ وَجَوْلَةٍ تَرَكَ يَنْتَنَا قَوْمًا مُصْرُوْعِينَ يَخْذُلُهُمُ التَّهْوِضُ وَلَا يَطِيقُونَ الْخَرَاكَ . وَإِذَا ، هُوَ جَوَابٌ وَجَزَاءٌ ، وَهُوَ مُلْفَى هَاهُنَا . وَكُمْ مِنْ تِلْكُمْ لِلْخَطَابِ لِلْضَّمِيرِ ، فَلَا مَوْضِعٌ لَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ . وَاخْتَارَ أَنْ يَقُولَ «مَتَخَازِلُ» لِأَنَّ هَذَا الْبَنَاءُ يَخْتَصُّ بِمَا يَخْدُلُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْئًا . عَلَى ذَلِكَ قَوْلَمْ تَدَاعِي الْبَنَاءَ^(١) كَانَ أَجْزَاءُ التَّهْوِضِ يَخْذُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَلَا يَكُمْلُ ، وَكَانَهُ أَنْكَرَ عَلَيْهِمُ الْاِشْتِرَاطَ وَالتَّحْكُمَ وَالْإِلْجَاءَ مِنْهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَسْوَغُ مَا ابْتَدَأْتُمْ فِيهِ لَكُمْ بَعْدَ جَوْلَةٍ يَتَقَبَّلُهَا هَذَا الْأَسْرَ . وَيَحْوزُ أَنْ يَكُونَ الْحَكْمُ وَالتَّخْيِيرُ بِقُولِهِ «ثَنَانٌ لَابْدَ مِنْهَا» وَقَعَ بَيْنَ الْحَرْبِ وَالْاسْتِئْسَارِ ، لَا الْقُتْلُ وَالْاسْتِئْصالُ ، فَاخْتَارُوا الْحَارَبَةَ . وَالإِشارةُ^(٢) بِقُولِهِ تَلَكَ حِينَئِذٍ يَحْوزُ أَنْ تَكُونَ عَلَى مَا قَدَّمْتُهُ ، وَيَحْوزُ أَنْ تَكُونَ إِلَى مَادَلَّ عَلَيْهِ قُولَهُ أَوْ سَلَامِلُ ، مِنَ الْأَسْرِ فَكَانَهُ قَالَ : الْخَلُصَّةُ الثَّانِيَةُ تُؤْخَرُهَا وَنَنْظُرُ فِي الْأُولَى مَاذَا يَنْتَتِجُ مِنْهَا . وَقُولَهُ «تَغَادِرُ» صَفَةُ الْسَّكَرَةِ ، وَقُولَهُ «نَوْهَا» الضَّمِيرُ يَعُودُ^(٣) إِلَى صَرْعَى ، وَالْجَمْعُ مَآلُهُ إِلَى التَّأْنِيثُ ، وَلَوْ قَالَ نَوْهُمْ لَكَانَ أَحْسَنُ . وَالنَّوْهُ : التَّهْوِضُ ، وَهُوَ أَصْلُ الْمَنَاؤَةِ ، وَإِنْ اشْتَهِرَتْ فِي الْمَعَادَةِ . وَيَكُونُ النَّوْهُ : السَّقْوَطُ أَيْضًا ، وَيُشَبِّهُ هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ :

* يَنْوُهُ بِصَدْرِهِ وَالرَّمْحُ فِيهِ *

كَمِ الْعُمُرُ باقٍ وَالْمَدِي مُتَطَاوِلٌ^(٤)

(١) م : «البيان» .

(٢) م : «ويكون الإشارة» .

(٣) م : «يرجع» .

(٤) التبريزى : «كالم روی هذا البيت إن جضنا من الموت جيضة ، بكسر المهمزة على ما روى تقسيمه ، غير أبي العلاء المرى فإنه أخذ على أن جضنا بفتح المهمزة . وَكَانَهُ ذَهَبَ فِي هَذَا إِلَى أَنَّ إِنَّ بَكْسَرَ الْمَهْمَزَةِ لَمَا يَسْتَقِلُ ، وَأَنَّ بَفْتَحِ الْمَهْمَزَةِ لَمَا مَضِيَ . وَالشَّاعِرُ فِي ذَكْرِ قَصَّةِ قَدْ مَضَتْ فِي جَمِيلِ قُولِهِ أَنْ جَضَنَا بفتح المهمزة ، عَلَى تَقْدِيرِ لَمَا جَضَنَا» .

جاصَ عنِ قِرْنِهِ وحاصَ بِعْنَى، أَى عَدَلَ وَأَخْرَفَ . والْعُمْرُ وَالْعُمْرُ لِغَاتَانِ :
 الْحَيَاةُ وَالبَقَاءُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : لِعَمْرِ اللَّهِ، وَعَمْرَكَ اللَّهِ . إِلَّا أَنَّهُ فِي الْمِيزَنِ لَا يُسْتَعْمَلُ
 إِلَّا بِنَفْتَحِ الْعَيْنِ . وَقَوْلُهُ « كَمِ الْعُمْرُ » فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ، وَالْمَعْنَى كَمِ يَوْمًا أَوْ وَقْتًا
 الْعُمْرُ بَاقٍ . وَارْتَعَمَ الْعُمْرُ بِالْأَبْتِداءِ . وَالْوَاوُ فِي قَوْلِهِ « وَالْمَدِي مَتَطَالِبُ » وَالْحَالُ ،
 أَى كَمِ الْعُمْرُ بَاقٍ وَمَدَاهُ مَتَطَالِبُ . وَلَمْ يَأْتِ بِالضمير لِأَنَّ الْوَاوَ أَغْنَى عَنْهُ ، وَالْمَعْنَى
 لَمْ نَعْلَمْ إِنْ عَدَلَنَا عَنِ الْحَرْبِ عَدْلَهُ كَمِ يَبْقَى مِنْ أَعْمَارِنَا ، وَغَایَاتُ الْعُمْرِ مُمْتَدَّةٌ مِنْهُمْ
 حَتَّى لَا يَنْتَهِي أَحَدُهُمَا إِلَى حَدٍ إِلَّا وَكَانَ يَرْجُو أَنْ يَتَصَلَّ بَعْدِهِ أَيْضًا لَا يَأْمُنُ أَنْ
 يَنْقُطُ ، فَكَانَهُ قَالَ : إِذَا كَانَ الْحَالُ فِي الْأَعْمَارِ عَلَى هَذَا أَبْدًا فَلَا مَعْنَى لِلْعُدُولِ
 عَنِ الْحَرْبِ ، إِذَا لَا يَمْتَنِعُ مَعَ تَطَالِبِ الْمَدِي فِي رِجَاهِ الْعُمْرِ أَنْ يَقْصُرَ فِي نَفْسِهِ
 وَيَنْقُطُ عَنِ الْمَأْمُولِ فِيهِ . وَيَحْزُنُ أَنْ يَتَعَلَّقُ الْحَالُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ « وَالْمَدِي
 مَتَطَالِبُ » بِإِنْ حِضَنَا . وَالْتَّقْدِيرُ لَمْ نَدْرِي إِنْ حِضَنَا وَمَدَانَا مَتَطَالِبُ كَمِ الْعُمْرُ بَاقٍ
 أَى مَدَى رِجَائِنَا . وَهَذَا حَسَنٌ عِنْدِي . وَيَحْزُنُ أَنْ يَكُونَ الْوَاوُ عَاطِفَةً كَانَهُ قَالَ :
 لَمْ نَعْلَمْ كَمِ الْعُمْرُ بَاقٍ وَكَمِ الْمَدِي مَتَطَالِبُ إِنْ حِضَنَا . وَحُكْمُكِ عنِ بَعْضِ الْمُتَّاخِرِينَ
 أَنَّهُ فَسَرَّ الْعُمْرُ عَلَى أَنَّهُ الْحِينُ ، قَالَ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَقَدْ لَبَثْتُ فِيْكُمْ عُمْرًا »
 وَهَذَا إِذَا حُقِّقَ يَرْجِعُ إِلَى الْأُولَى^(١) .

٥— إِذَا مَا بَتَدَرَ نَامَأْرِقًا فَرَجَتْ لَنَا بِأَيْمَانِنَا بِيَضْنِ جَلَّتْهَا الصَّيَّاقيْلُ

يَقُولُ : إِذَا مَا سَبَقْنَا إِلَى مَضِيقِ الْحَرْبِ وَسَعَتْهُ لَنَا سَيُوفُ مَصْقُولَةٍ بِأَيْمَانِنَا

(١) ابن جنی : « لَكَ فِي كَمِ وجْهَانِ إِنْ شَتَّتْ جَلَّتْهَا زَمَانًا فَنَصَبَهَا حِينَذُ عَلَى الظَّرْفِ
 بِيَاقٍ ، أَى يَبْقِي عَشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ . وَإِنْ شَتَّتْ جَلَّتْهَا أَفْعَالًا فَنَصَبَهَا حِينَذُ عَلَى الْمَصْدَرِ ، أَى
 أَبْقَاهُ بِقِيَةً أَمْ أَقْلَى أَمْ كَثَرَ ، وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ أَيْضًا بِيَاقٍ » .

والفائدة في قوله «جلتها الصيادل» اهتمّهم بإصلاح آلات الحرب ، لدوماً مُزاولتهم لها^(١) . وجعل الفعل للسيوف على المجاز والsense .

٦ - لهم صدر سيف يوم بطحاء سحبيل **ولي منه ما ضمت عليه الأنامل**^(٢)

هذا مثل قوله :

منابر هن بطن الأكف وأغادهن روس الملك
وإن كان في هذا تقسيم خلا منه المشبه . ولذلك أن تروى «ما ضمت
عليه الأنامل» و«ضمت» ، فإذا قلت ضمت فالمعنى قبضت عليه الأنامل^(٣) .
وإذا قلت ضمت فالمعنى قبضته الأنامل . والبطحاء والأبطح : مسيل فيه دقيق
الخضى واسع . وهذا صفتان أخرجتا إلى باب الأسماء . وبطحاء مكة وأبطحها
المعروفان ، والثانية والتذكير فيما يتعلّقان على البلدة والبقعة ، والبلد والمكان ،
إلا أنه لا يقال مكان أبطح ولا بقعة بطحاء . ويقال : تبطح السيل ، إذا سال
عريضاً . فاما «سحبيل» فاسم موضع أصيف البطحاء إليه ، كما يقال تحرّأه
سحبيل . ويقال ضب سحبيل ، إذا كان عريضاً البطن . ولا ينتهي أن يكون
المكان سمي به لاتساعه .

٦

وقال أيضاً :

١ - لا يكشف الغماء إلا ابن حررة **يرى غمرات الموت هم يزورها**
معنى «يرى غمرات الموت» أن يتحققها بالممارسة حتى يصير كأنه أدركها

(١) التبريزى : «وقوله جلتها الصيادل ، ضرورة ، لأن السيوف لا تجلوها إلا الصيادل ، ولو كان يجلوها غيرهم وكان جلاؤهم إياها فضل على جلاء غيرهم لكان لذ كرم هاهنا معنى ... ولو قال اجتنب في صقلها الصيادل وما أشبهه كان حسناً» .

(٢) م : «ولي فيه» . (٣) انظر الحاسية ٨٢ .

(٤) م : «فبن عليه بالأنامل» .

بمحاسن العين وشاهدها ، فيقول : لا يكشف الخصلات الشديدة إلا رجلٌ كريم
 يرى قُحْمَ اللوت ثم يتوقف عنها ويصبر فيها ولا يغدر عنها . وإنما قال « ابن حُرَّة »
 ليتبه على زوال المحبنة منه ، وخلوص مولده مما يشوبه ، وليس بغير كرمه مهيجاً
 لِأَنفَتِه ، ومصبراً له على كل ما يدفع إليه من الشر إلا أن يزيله . ولأن
 ما يستنكف عنه العرب هو المحبنة إذ كان من ليس أبوه من العرب خارجاً
 من أن يكون عَرَبياً . والفتاء والغم والتغنم مرجح جديها إلى التغطية .
 فإن قيل : لم عطف الزيارة على روبيه الغمرات بحرف المثلثة ، وهلا جعلها عقيبة
 الروبية ؟ قلت : إن « ثم » وإن كان في عطفه المفرد على المفرد يدل على التراخي فإنه
 في عطفه الجملة على الجملة ليس كذلك . ألا ترى قوله عز وجل : « وما أدرَكَ
 ما العقبة . فَلَكُمْ رُقْبَةٌ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَهِيَّأُ ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِنًا
 ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ الظِّنَّ آمَنُوا ». ولا يجوز تراخي الإيمان عن شيء
 مما عَدَّه وذكره ^(١) .

٢ - **نَقَاصُهُمْ أَسْنَى فَنَا شَرّ قِسْمَةٍ** **فَقِينَا غَوَاشِهَا وَفِيهِمْ صُدُورُهَا**
 وضع « قِسْمَةٍ » موضع مقايسة ، أراد شر مقايسة . وانتساب « شَرّ » على
 المصدر . والغواشي : القوائم ، وتكون الأغماد أيضا . والصدور ، أراد بها
 المضارب ، وإنما قال : شَرّ قِسْمَةٍ ، لأنَّ مَنْ حُجِّلَ عَلَى مُثْلِ هَذِهِ الْقِسْمَةِ فِيهَا يُقَاسِمُ
 عَلَيْهِ كَانَ الشَّرُّ لَهُ . وهذا أيضاً مِثْلُ قوله :

* لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بَطْحَاءِ سَجْبَلٍ ^(٢) *

(١) زاد البرزري : « وأصل الزيارة الميل ، وهو من الزور ، وهو الميل في أحد الشقين
 فهو يزورها ، أى يغسل إليها فتايتها » .

(٢) من المخاسن السابقة .

والمعنى قاسمناهم سيفنَا فقيينا مقابضُها وفيهم مضاربُها^(١).

۷

وقال أبا عاصي :

١- هوای مع ال که المانین مصعد جنیب و چشماني عکسه موافق

هذه الآيات ضمنها هذا الباب لما اشتملت عليه من حُسْنٍ صَبِرَه على البلاء، وقلة ذُعْرَه من الموت والفناء^(٢) ، واستهانته بوعيد المقواعد وحذقه برسقانِ المقيد . و «هوَى» ياء الإضافة فُتحَت منه على الأصل ، وذلك أن هذه الياء لما كان ضميرًا مُسْمِى على حرفٍ واحدٍ متطرفٍ كَرِهُوا أَنْ تُسْكَنَ فَتَخَلَّ^(٣) بِجعلوا من أصله التحرير يك ، فإذا كان ما قبله متتحررًا كفلاً مي وداري ، كان لك فيه وجوده : تحريرك الياء وهو الأصل ، وتسكينه تحقيقها ، وحذفه من النداء إذا قُلْتَ ياغلام ، وإبدالُ الألفِ منها مع افتتاح ما قبلها كقولك واياها وياغلاما أقبل . وإذا سَكَنَ ما قبله فتى كان واوًا أو ياءً دُعْمًا فيه ولم يكن بدُّ من تحريرك لثلاث يلتقي ساكنان ، تقول مُسْلِمٍ في الجميع^(٤) ومسلمٍ في الثنائيه . وإذا كان ما قبله أَفْلَا كعصاً وقفأً وهوَى ، لم يكن بدُّ من الإتيان به على الأصل ، وهو تحريرك ، لثلاث يلتقي ساكنان أيضًا ، ولا يجوز الإدغام هـ هـ كما جاز مع الواو والياء ، لأنَّ الألف لا تدغم في شيء ولا يدغم فيها غيرها ، لكونها هوائية

(١) ابن جنی : « في هذا البيت دلالة على قوة شبه الطرف بالفعل ، وذلك أنه عطف قوله : ففيما غواشيهما على قوله : قائمهم ، ومن شرط المعطوف أن يكون وفق المعطوف عليه ».

(٢) هذا ماقرر في الأصل : « من الموت والقتل ». .

٣) م : «أن يسكن فيختل» .

(٤) م : « في الجميع

لا مُعْتَدَد لها في المخرج ، إلا في لغة هذيل ، لأنهم يُبْدِلُونَ من الألفِ الياء
و يُدْغِّمُونَ . على هذا قوله :

سَبَقُوا هَوَىٰ وَأَعْنَقُوا لَهَوَاهُمْ فَتُخْرِمُوا وَلَكُلُّ جَنْبٍ مَضَرَّعٌ^(١)
واليمانون : جمع يمان ، والسبة إلى يمن يماني ، لكنه حذف إحدى
ياءِ النسب وأُتِيَ بالآلفِ عوضاً مِنْهُ . ومثله شامٌ وتهامٌ ، ومعنى البيت هو أي
راحلٌ ومبعدٌ مع رُكْبَانِ الإبل^(٢) القاصدين نحو اليمن ، منضمٌ إليهم ،
مُفُودٌ معهم ، وبذني مأسورٌ مقيدٌ بمكة . وركبٌ وركبٌ مثلٌ تاجرٌ وتاجرٌ .
وقد قيل في الجثمان إنه الشخصُ والجثمانُ الجسم ، هكذا قاله الأصمميُّ . والشخصُ
إنما يستعملُ في بدن الإنسان إذا كان قائماً . والخليلُ ذَكَرَ في العين أنَّ الجثمانَ
والجثمانَ بمعنى واحدٍ . وأصعدَ في الأرض : أبعدَ ، وحُكِيَ أنَّ صعدَةَ اشمَّ
علمَ للأرض ، وأنَّ الصعيدَ منه . ولهذا قيل لخمر الوحوش : بناتٌ صعدَةَ ، وأولادُ
صعدَةَ . وهذا إن ثبتَ فهو كما يقال بنتُ البرَّ . وقوله « جَنْبٌ » أي مجنوبٌ
مستتبعٌ . وذكر أنَّ بعضَهم يرويه « حديثٌ^(٣) » ، وال الصحيحُ الأولُ لفظاً ومعنى .

٢ - عَجِبْتُ لِسَرَاهَا وَأَنَّى تَخَلَّصَتْ إِلَىٰ وَبَابِ السُّجْنِ دُونِ مُغْلَقٍ

يقول : تعجبتُ من سير هذه^(٤) الخيال إلىَّ ، ومن حُسن توصلها مع هذه
الحال ، وهو أنَّ بابَ السُّجْنِ مرتَجٌ^(٥) دونِ . فاما تعجبه من سيرها فقلَّ عادة
العرب والشعراء في وصف الخيال ، وذلك أنَّهم يُجرِّونَها مجرَّى المرأةِ نفسيها ،

(١) البيت لابي ذؤيب المذلي ، من قصيدةه التي رُفِيَ بها بنية . وهي أول ديوان المذلين .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من م .

(٣) لم يذكر التبريزى هذه الرواية .

(٤) كذا وردت ، كأنه جعل الخيال مؤثراً لأنه خيال أنتي .

(٥) هذا ما في م . وفي الأصل : « مرتد » .

فيستطرفون منها ما يُستطرفُ من ذلك لواقع الفعل منها على الحقيقة مع نعمتها .
وهذا كما قال غيره :

طَرَقَ الْخَيْالُ وَلَا كَلَيْلَةً مُدْلِجٌ سَدِّكَا بِأَرْجُلِنَا وَلَمْ يَتَعَرَّجْ^(١)
وَكَا قَالَ الْآخَرُ^(٢) :

وَأَنِ اهْتَدَتْ وَالدَّوْدُ بَيْنِهَا وَمَا خَلَتْ سَارِي الْلَّيلَ بِالدَّوْدِ يَهْتَدِي
وَأَمَّا تَعَجُّبُهُ مِنْ تَوَصِّلِهَا فَهُوَ تَعَجُّبٌ مِنْ لُطْفِهَا فِي ذَلِكَ ، وَحُسْنٌ تَأْتِيهَا ،
مَعَ الْعَوَارِضِ وَالْمَوَانِعِ . وَالْمَسْرَى يَصْلُحُ فِي الْلُّغَةِ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا وَمَكَانًا وَوَقْتًا
وَالْبَيْتُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ وُجُوهِهِ . وَأَنِّي مَعْنَاهُ كَيْفُ ، أَوْ مِنْ أَينُ ، كَذَا قَالَ سِيبُوِيْهُ .
وَقَدْ تَجَرَّدَ لَأَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى كَيْفٍ فِي قَوْلِ السَّكِيتِ :

* أَنِّي وَمِنْ أَينَ آتَكَ الطَّرَبُ *

٣ — أَتَتْنَافَحَيَتْ مُقَامَتْ فَوَدَعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تَرْهَقْ^(٣)
الْتَّحْيَةُ : السَّلَامُ وَالْمَلَكُ وَالبَقَاءُ . وَالْمَحِيَا : الْوَجْهُ مِنَ الْإِنْسَانِ ، لَأَنَّهُ يُخْصُّ
عِنْدِ التَّسْلِيمِ بِالذَّكْرِ فَيُقَالُ حَيَّا اللَّهُ وَجْهَكَ ، وَإِنْ كَانَتِ الْجَلَةُ مُتَلَاقَةً بِهِ . وَقَيلَ
الْتَّحْيَةُ مُشَتَّتَةٌ مِنَ الْحَيَاةِ أَوِ الْحَيَاةِ . وَالْمَحِيَا : تَحْيِيُّ الْقَوْمِ بِعِظَمِهِمْ بَعْضًا . وَالْمَحِيَا
مِنَ الْفَرَسِ : حِيثُ انْفَرَقَ اللَّحْمُ تَحْتَ النَّاصِيَةِ . فَيُقَولُ حَاكِيَا حَالَ الْخَيْالِ : جَاءَنَا
فَسَلَّمَتْ عَلَيْنَا ، ثُمَّ لَمْ تَبْلُثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى قَامَتْ وَأَعْرَضَتْ ، فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ
الْنَّفْسُ تَخْرُجُ فِي أَثْرِهَا . وَيُرَوَى : « أَلَمْ تُخْفِيْتِ » . وَالْإِلَامُ : الْزِيَارَةُ الْخَفِيفَةُ .
وَقَوْلُهُ « لَمَا تَوَلَّتْ » جَوَابُهُ « كَادَتِ النَّفْسُ » وَهُوَ عَلَمُ الظَّرْفِ . وَمَتَى كَانَ عَلَمًا
لِلظَّرْفِ لَمْ يَكُنْ لَهُ بُدُّ مِنْ جَوابٍ ، لَأَنَّهُ يَكُونُ لِوَقْوَعِ الشَّيْءِ لِوَقْوَعِ غَيْرِهِ . وَتَرْهَقْ

(١) مطلع قصيدة للحارث بن حازة البشكري ، في المفضليات (٢ : ٥٥) .

(٢) هو الحطيئة من قصيدة في ديوانه ٢١ — ٢٥ .

خبر كادت ، لأنَّ كاد^(١) ككان وأخواته ها هنا إذا وقع بعده الاسم ، وهو موضوع لمشاركة الفعل ومشافهته ، ولهذا وجب ألا يكون معه «أن» . تقول : كاد يُفْعَلُ ، ولا يجوز أن يفعل إلا في الشعر . ومعنى تَرْهَقُ : تَهْلِكُ ، ومنه قيل للبئر البعيدة القعر والمُتَلَفَّةُ البعيدة : زَاهِقَةٌ وَزَاهِقٌ . وفي القرآن : «إِذَا هُوَ زَاهِقٌ» . ويجوز أن يزيد به في البيت تَرْجُح فِي إِثْرِهَا سريعةً لما تولّت . ومنه زَهَقَتِ الراحلَةُ : تَدَمَّتْ . وَزَهَقَ السَّمَمُ : أَسْرَعَ .

﴿فَلَا تَحْسِبِي أَنِّي تَخَشَّعُ بَعْدَكُمْ لِشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفَرَقُ تَرْكَ الْإِخْبَارَ عَنْهَا وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا يَخْاطِبُهَا ، جَرِيًّا عَلَى عَادِتِهِمْ فِي التَّنَقُّلِ وَالْإِفْتَانِ فِي التَّصْرِيفِ . وَمَعْنَى تَخَشَّعُ : تَكَلَّفَ الْخُشُوعُ . وَالْخُشُوعُ فِي الْبَصَرِ كَالْخُضُوعُ فِي الْبَدْنِ . وَيَقَالُ : اخْتَشَعَ فَلَانُ ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ رَأِيًّا بِبَصَرِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَهُوَ خَاشِعٌ الْطَّرْفُ خَاضِعُ الْعُنْقِ . يَقُولُ مُسْتَهِينًا بِمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَبْسِ وَالتَّقيِيدِ ، وَمُتَبَجِّحًا عَنْهَا بِالصَّبْرِ عَلَى الْمَهْوِي وَالْتَّهَالِكِ فِيهِ — وَبِهَذَا دَخَلَتِ الْأَيَّاتُ فِي الْحَمَاسَةِ — لَا تظَنِّي أَنِّي تَكَلَّفَ الْخُشُوعَ بَعْدَكُمْ لِشَيْءٍ عَارِضٍ ، وَلَا أَنِّي أَخَافُ مِنَ الْمَوْتِ . وَالْفَرَقُ : الْخُوفُ ، وَهُوَ فَرِيقٌ وَفَرْوَقٌ وَفَرْوَقَةٌ . قَالَ :

* أَنْوَرًا سَرَعَ مَاذَا يَا فَرِيقُ^(٢) *

فَإِنْ قِيلَ : فَأَنِّي مَفْعُولٌ تَحْسِبِي ؟ قَلْتَ : قَدْ نَابَتِ الْجَلَةُ ، وَهِيَ قَوْلُهُ «أَنِّي تَخَشَّعُ بَعْدَكُمْ» عَنِ الْمَفْعُولِينَ . أَلَا تَرَى أَنَّ تَقْدِيرَهِ لَا تَحْسِبِينِي خَاشِعًا ، فَكَانَ أَنَّ الْمَفْعُولِينَ يَحْصَلُونَ مِنْ دُونِ «أَنَّ» كَذَلِكَ إِذَا دَخَلَ «أَنَّ» فِي الْكَلَامِ

(١) هَذَا مَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : «لَأَنَّ كَادَتْ» .

(٢) صدر بيت لرغبة الباهلي ، أو مالك بن زغبة الباهلي ، أو أبي شقيق الباهلي .
السان (نور ، حدق) ، وعزم : * وَجَلَ الْوَصْلَ مُنْتَكِتَ حَذِيقَ

ينوب مع ما بعده عنهما ، لأن اللفظ بالمفعولين قد حصل وإن كانوا في صلة أنّ .
وأنّ وما بعده في تقدير اسمِ ، وهذا كما تقول : لو أنت جئتنِ لـ كرمتك ،
إذ كنتَ قد لفظتَ بالفعل في صلة أنّ ، وإن كنتَ لا تقولُ لـ مجئك .

٥—ولَا أَنْفَسِي يَرْدَهِمَا وَعِيدُكُمْ ولا أَنِّي بِالْمَشِي فِي الْقِيَدِ أَخْرَقْ^(١)

الوعيدُ والأوعدُ من أصلٍ واحدٍ ، وإن كانَ أحدهُمَا ضماناً في أخيرٍ والآخر
ضماناً في الشرّ ، لكنه فرقٌ بين المعنين بتغيير البناءين ، كما فعلوا مثل ذلك
في العدل والعديل ، فجعلوا أحدَها في الأنسيٍ والآخر في غيرهم . يقولُ :
ولا تظنُّ أن نفسي يستخفُّها تهدُّدكم ، ولا أنتَ سخرت بالرسفان ، وهو المشي في
القيد . ويقال زهاء زهواً واذهاء ، إذا استخفه . ويُستعمل الزهُوفُ في الباطلِ
والزيدي في القول . يقال : قال زهواً ، وفي الكبُر يقال زهى لغير ، وهو
مزهُوهٌ ، والأصل إنْفَهُ . والأخرقُ : القليل الرفق بالشيء . وقال أهل اللغة :
الآخرقُ : ضد الرفق . وفلان رفيق وفلان آخرق . وربما قالوا : فلان صنع
وفلان آخرق . قال :

* وهي صناعُ الرجُلِ خرقاء التيد *

ويروى «آخرق» بضم الراء فيكون فعلاً ، و«آخرق» بفتح الراء فيكون صفةً .

٦—ولكُنْ عَرَتْنِي مِنْ هَوَالِصَبَابَةُ كَأَكْنَتُ أَلْقَى مِنْكِ إِذَا نَامْطَلْقُ^(٢)

قوله «كَأَكْنَتُ أَلْقَى مِنْكِ» ، الأجدود أن يكون «ما» موصوفة غير

(١) أشار البرزى إلى أنه يروى : «وعيدهم» ، وابن جنى إلى رواية : «ولأنا
من يزدھيه وعيدهم» .

(٢) أشار ابن جنى إلى رواية : «زمانة» بدل «صباة» .

موصولة ، لأنك إذا جعلتها موصولة كانت معرفة وفي تَقْدِيرِ الذى ، والقصد إلى تشبيه صبابة بجهولة بمنزلها ، والتقدير عَرَتْ صبابة تُشَبَّهُ صبابة كُنْتْ أَكَابِدُها فيكِ في ذلك الوقت . كأنه شَبَّهَ حالَهُ فِيهَا بَعْدَ مَا مُنِيَّ به^(١) بحالِهِ من قبْلِهِ . ومفعول أَلَقِ مَحْذُوفٍ تَخْفِيفًا له ، [أَرَادَ^(٢)] كَمَا كُنْتُ أَلَقَاهُ مِنْكِ . ويقال عَرَاهُ وأعرَاهُ بمعنى واحد . ومنه عَرَاهُ الدار وعَرَوْتُهَا بفتح العين ، أي حيث تعرى منه أَيْ تُؤَنَّ . يقول : ولَكُنْتَ تَعْرُونِي فِي الْمَوَى رِقَّةً شُوقٌ وَجَهْدٌ صبابة ، كَمَا كُنْتُ أَقَاسِيهِ مِنْكِ وَفِيهِ حِينَ كُنْتُ مُظْلَماً وَخَلْيَ . والفعل من الصبابة صِبَّابَتْ بـ كسر الباء ، والصفة صَبَّ . وقوله «إِذْ أَنَا مُطْلَقٌ» الجملة في موضع جزء بالإضافة ، وقد شُرِّحَ بها «إِذْ» كأنه قال : وقت إطلاق^(٣) .

٧

وقال أبو عطاء السندي^(٤) :

١- ذَكَرْتُكِ وَأَخْطَطْتُ يَخْطَرْ يَئِنَّا وَقَدْ نَهَلَتْ مِنَّا المَقْفَةُ السَّمِّ
يَعْنِي بـ الخطي رُمْحُ نفسه ، أي يتَرَدَّدُ بالطَّعْنِ . كأنه يصوّر حاله وما يُكَابِدُهُ فـ مُجَاهِدَهُ أعدائه . وـ أَخْطَطْ : سيفُ البحرين وعمان^(٥) وإليه يُنْسَبُ القنا .

(١) به ، باتفاق النسختين ، فالضمير الحال . وفي التبريزى : «بها» .

(٢) هذه من م والتبريزى .

(٣) أورد التبريزى عقب شرح هذه المقطوعة « حديث جعفر بن علبة الحارثى وسبب حبه وقتله » ، وهو حديث طويل .

(٤) التبريزى : « واسمها أفلح مولى عبد بن سماك بن حبيب ، وكان به عجمة شديدة يجعل الجيم زايا والشين سينا ، وهو من شعراء بي أمية » . وانظر ترجمته أيضاً في الشعر والأغاني ٧٤٢ والأغاني ١٦ : ٧٨ — ٨٤ والخزانة ٤ : ١٦٧ .

(٥) وردت في النسختين بتשديد الميم ، وهو ضبط لا تقره الماجم ولا كتب البلدان . وهذه هي المخوارة للبحرين . وأما الشدة الميم المفتوحة العين فهو إلى بالشام .

وكان قوله : الخطيبة ، وهى أرض لم تُمْطَرْ بين أرضين ممطوريتين ، منه . وانظر
أصله التحرّك ، يقال هـ يَخْطِرْ خَطْرًا ، وخَطْرَ الْبَعْيرِ بِذَنْبِهِ خَطْرًا وَخَطْرَانًا .
فنبه بهذا الكلام على قلة مبالغته بالحرب ، وأنّ نفسه تاقت والرمح مختلف
بالطعن بهم ^(١) إليها حتى كانت تلك همّه وشغله ، فقال : ذَكْرُكِ بقلبي
ورماحُ الخطّ تضطرب في الحرب يتنا ، وقد رویت منا أى من دمائنا ^(٢) .
وروى بعضهم : « وقد نُسِكَت ^(٣) مَذَا الْمَقْفَةَ » من نَهَكَ المرض ، وليس بشيء .
ومصدر ذَكْرُكِ ذَكْرُ بضم الذال ، لأنَّ الذَّكْرَ بالقلب والذَّكْرُ بالسان .
والاسمُ من نَهَلَتْ النَّهَلُ . والمُؤْرِدُ : النَّهَلُ . وقد عُدَّ النَّاهِلُ فِي الأَضْدَادِ ،
لوقوعه على الرَّيَانِ وَالْعَطْشَانِ ، وكان حقيقة النَّهَلُ أَوْلُ السُّقُنِ ، والاكفاف يه
قد يقع وقد لا يقع ^(٤) فلذلك استعمل النَّاهِلُ فِي الرَّيَانِ وَالْعَطْشَانِ .

٣—فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَصَادِقٌ أَدَاءٌ عَرَانِي مِنْ حِبَابِكِ أَمْ سِحْرٌ

أقسم بالله على استواء علمه ^(٥) بالحالتين اللتين ذكرها . ويسمى الألف التي
في قوله « أداءً عراني » ألف التسوية ، لهذا الذي ذكرناه . وكذلك لو قال :
ليت شعري أزيد في الدار أم عمره ، لكن الألفُ ألف التسوية أيضاً ، لأنَّه
بعمتيه العلم بما ذَكَرَهُ من الأمرين ، دلَّ على استواء درايته بهما . « وعراني »
معناه أصابني . يقال عَرَاه يَعْرُوه ، واعتراه يعتريه ، وعَرَةٌ يَعْرَةٌ بمعنى واحد .

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « يبنهما » .

(٢) أشار ابن جنى أن جهة « وقد نهلت » بدل من الحال الأولى ، أو هي حال من
الصغير في « يبتنا » .

(٣) كذا في النسختين ببناء المفعول .

(٤) بعض النحوين لا يجوز هذا التعبير ، وهو إيلاء الناق للفظ « قد » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من م .

وـ«الْحَبَابُ» بمعنى الْحَبَّ، كأنه مصدر حَيَّتُه . وقد يكون مصدر حَبَّبْتُه ويكون من اثنين . ويكون أيضاً جمْعَ الْحَبَّ، وكأنه جَمَعَه على اختلاف أحواله فيه ، كالتَّجْمِعُ الشَّمْسُ على مَوَاقِعِهَا . ويرُوى «جَنَابِكَ^(١)» والمعنى من ناحيتك . وقوله «إِنِّي لصَادِقٌ» يجوز أن يريد به صِدْقَهُ في الخبر ، ويجوز أن يريد بِرَأْه في التَّحْلِفِ ، ومرجع الوجهين إلى معنى واحد .

٣—فَإِنْ كَانَ سِحْرًا فَاعْذِرْنِي عَلَى الْهُوَى وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلَكِ الْعَذْرُ

السُّحْرُ والتَّوْيِه يرجعان إلى معنى واحد ، ولذلك قال تعالى : «سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ» ، أي أخرجوه على وجهٍ في مَرَأَى العين وحقيقةٍ على خِلَافِه . والسَّحَارَةُ^(٢) : لُبْتَهُ ذلك صِفتَهَا . ويقال عَنْزٌ مَسْحُورٌ ، إذا عَظَمَ ضَرُّهَا وقلَّتْهَا . وأرضٌ مَسْحُورٌ ، إذا لم تُنْبَتْ شَيْئاً . فيقول : إنْ كَانَ مَا بِي سِحْرًا فَلِي عُذْرٌ فِي هُوَكِ ، لأنَّ مَنْ يُسْحَرُ يُخْبِبُ ، وإنْ كَانَ دَاءً غَيْرَ السُّحْرِ فَالْعَذْرُ لَكِ ، لأنَّ وقْتَهُ بِتَعْرِضِكِ ، وفِكْرِي فِي مَحَاسِنِكِ ، والدَّلَالَةُ عَلَى أَنْ «فَاعْذِرْنِي» في موضع فَلِي عُذْرٌ ، ما قَابَلَهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ «فَلَكِ الْعَذْرُ» . وفي هذا إسقاط سؤال السائل : لم قال اعذِرْنِي ولا ذَنبُ له وإنما يحتاج إلى بَسْطِ الْعَذْرِ مَنْ لَهْ ذَنبٌ أو يُنْتَصَرُ بِصُورَتِهِ ، وانتصار «داء» على أن يكون خبرَ كَانَ ، كأنه قال : وإنْ كَانَ مَا بِي دَاءً . ويجوز أن يكون تَوَهَّمَ أنَّ تلك تصوَّرَتْهُ^(٣) بصورة المَذَنِبِ^(٤) فيما أَظْهَرَهُ مِنْ عَشْقِهِ فقال لها : إنْ أَنْتِ فَتَنِتِنِي

(١) زاد التبريزى : «من جنابك» بالكسر ، أي جنابتك .

(٢) ضبطت في م بتخفيف الماء ، والصواب تشديدها كما في اللسان . قال : «شيء يلعب به الصبيان إذا مد من جانب خرج على لون ، وإذا مد من جانب آخر خرج على لون آخر مختلف وكل ما أشبه ذلك سحارة» .

(٣) م : «صوريه» .

(٤) في الأصل : «الذنب» صوابه في م والتبريزى .

وأوقعتني في حِبَالْتِكِ لِمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ مِنْ مُحَاسِنِكِ فِي عُذْرٍ حِينَ افْتَنْتَ ، لَأَنَّ
مُثْلَ مُحَاسِنِكِ تُزِيلُ الْعَفِيفَ ، وَتَنْقُلُ عَنْ طَبَعِهِ الْخَلِيمَ . وَإِنْ كُنْتُ المُتَعَرَّضَ لَكَ
وَالْجَالِبُ عَلَى نَفْسِي مَا شَقِيقَتْ بِهِ ، فَالْعُذْرُ لَكَ .

٨

وقال آخر^(١) :

١ - وَفَارِسٌ فِي عَمَارِ الْمَوْتِ مُنْغَمِسٌ إِذَا تَأَلَّى عَلَى مَكْرُوهِهِ صَدَقاً^(٢)

جَعَلَ لِلْمَوْتِ عِمَارًا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْمَاءِ ، ثُمَّ جَعَلَهُ مُنْغِمِسًا فِيهَا فَحَسَنَتِ
الاستعارة جِدًّا . وَتَأَلَّى وَائِتَلَى وَآلَى مِنَ الْأَلِيَّةِ . وَلَا حَلْفَ ثُمَّ ، إِنَّمَا يَرِيدُ الْخَلْمَ
وَالْإِيجَابَ ، فَيَقُولُ : رَبُّ فَارِسٍ دَاخِلٌ فِي شَدَائِدِ الْمَوْتِ إِذَا حَلَّفَ عَلَى مَا يُكْرَهُ
مِنْهُ أَوْ يَكُونُ كَرِيهًّا فِي نَفْسِهِ بَرَّ وَلَمْ يَحْنَثْ أَنَا فَعَلْتُ بِهِ كَذَا . وَيُرُوَى «مَكْرُوهِهِ»
وَالْمَعْنَى خَصَّلَةٌ تُكَرَّهُ وَتَنْشَقُ . فَعَلَى هَذَا يَكُونُ صَفَةً مُفَرِّدَةً عَنِ الْمَوْصُوفِ . وَيُحَظَّ
أَنْ يَكُونَ مُصْدِرًا كَالْمَصْدُوقَةِ وَمَا أَشْبَهُهَا مِنَ الْمَصَادِرِ الْجَائِيَّةِ عَلَى زَنَةِ الْمَفْعُولِ .
وَأَضَافَ الْمَكْرُوهِ إِذَا رَوَيْتَ «مَكْرُوهِهِ» إِلَى الْفَارِسِ لِوَقْعِهِ مِنْهُ . وَالْمَنْغِمِسُ :
الْدَّاخِلُ فِي الشَّيْءِ ، يَقَالُ غَنَسْتُهُ فِي الْمَاءِ وَغَيْرِهِ ، وَرَجُلٌ مُغَامِسٌ لِلَّذِي يَغْشِي
الْحَرْبَ وَيَرْدَدُ فِيهَا . وَالْعِمَارُ وَالْفَمَرَاتُ جَمْعُ عَمَرَةٍ ، وَهِيَ فِي الْمَاءِ وَالْحَرْبِ وَالشَّرِّ
تَرْجَعُ إِلَى السُّتُّرِ . وَيَقَالُ رَجُلٌ مُغَامِرٌ ، إِذَا أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْفَمَرَاتِ وَالْمَهَالِكِ .
وَرَوَى بَعْضُهُمْ «فِي عَمَارِ الْمَوْتِ» بِضمِ الْفَيْنِ ، وَكَسْرُهُ أَجْوَدُ مَعَ ذِكْرِ الْمَنْغِمِسِ .

(١) م : «آخر» فقط . وعند التبريري وابن جنى : «وقال بلاء بن قيس الكنانى» .
وكان بلاء هذا رأس بي كنانة في حروبهم ، وهو شامر محسن . المؤلف ١٠٦ . ومات قبل
يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام القبار . العقد الفريد .

(٢) يُرُوَى «مَكْرُوهِهِ» بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَاءِ ، وَ«مَكْرُوهَةُ» بِالنَّاءِ فِي آخِرِهِ .

٢ - غَشِّيْتُهُ وَهُوَ فِي جَأْوَاءِ بَاسِلَةٍ عَصْبَيَا أَصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فَانْقَلَقَ
الغضبُ : القطع ، توسعوا فيه فقالوا : عَصْبَيَا عن حاجته ، أى حبسه ،
وامرأة مَفْضُوبَةٌ أى معرضة^(١) ، وسيف عَصْبَيَا قاطع ، كأنه وصف
بالمصدر . والتفسير أصله الإثبات والملابسة ، ومنه الفساحة : الغطاء . توسعوا فيه
حتى قيل تَفَشَّاهُ بالعدل أو الجور . وفي القرآن : {إِذْ يُغَشِّيْكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَةً
مِنْهُ} . فقوله غَشِّيْتُهُ ، هو كُيُّقال فَعَتُهُ ، وهو جواب رب فارس هكذا أنا
ضربيْتُهُ وهو في جيشِ تَامَ السلاح كريه اللقاء ، بسيف قاطع أصاب وسط رأسه
فتشقه . والسواء : الوسط هنا ، وفي التزيل : {في سَوَاءِ الْجَحْمِ} . ويوضع
موقع المصدر ثم يوصف به ، وفي التزيل : {سَوَاءَ لِلْسَّائِلِينَ} . وأصاب ، بمعنى
طلب وبمعنى نال ، ويقال أصبت الصواب فاختلطاته . والجلاؤء : الخضراء ،
وهو من الجلوة ، يعني اخضرار السلاح . والبسالة تستعمل في الناس وغيرهم ،
وهي الشجاعة . ويقال رَجُلٌ باسل وأَسَدٌ باسل وبَسُولٌ . قال :

* ما غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ^(٢) *

وهذا يجوز أن يكون من البَسِلِ ، وهو الحرام ، كأنه لمنته محرام .

٣ - بِضَرَبَةٍ لَمْ تَكُنْ مِنْ مُخَالَسَةٍ وَلَا تَعَجَّلَتْهَا جُبَنًا وَلَا فَرَقا
يُقال تعجلت الشيء ، أى تكلفته على عجلة . ويقال أيضاً أتعجلته واستعجلته
وتعجلته بمعنى . والخلس^{*} : أخذ الشيء مخاللة ، وقيل الاختلاس أو حى من
من الخلس . ويقال هو لك خلسة ، كـيـقال نـهـزة وفـرـصة . يقول : غـشـيـتهـ

(١) أى معرضة ، ساقط من م .

(٢) لامرى القيس . وصدره :

* قوله لودان عبد العصا *

سيفياً بأن ضربته ضربة هكذا . فأما قوله لم تكن مني مخالسة ، فهو خلاف قول الآخر^(١) :

وَقَدْ أَخْتَلِسُ الْفَرَبَةَ لَا يَدْعُى لَهَا نَصْلِي
وقول المذلي^(٢) :

* وَطَعَنَةَ خَلْسٍ قَدْ طَعَنْتَ مُرِيشَةَ^(٣) *

لأنَّ قصد الشاعر هنا إلى أنه تناولَ من خصمِه ماتناولَ بتنبُّتِ وقوَّةِ قلب لا كما يفعله الجبانُ . وَثُمَّ يذُكُّر تمسُّكه من خصمِه على شدة احترارِ منه حتى تناولَ ما تناولَه خلْسًا . وقد وصفَ الشجاعَ بالمخالسِ والخلليسِ ، وكذلك المصارِعُ . ومن مدحِ خصمِه ثم ذكرَ غلبتَه له كأنَّ أبلغَ في الافتخارِ به ، فاعرفُ فرقَ ما بينَ الموضعينِ . قوله : « ولا تعجلْتَهَا جُبِنًا ولا فَرَقاً » يُؤكِّدُ ما ذكرناه . وانتصارِ « جُبِنًا » على أنه مفعول له ، وهو الذي يسمى مصدرًا لعلةِ . وللهذه المعنى : ولم أتكلفَ عجلْتها لضعفِ قلبي ولا لخوفي من صاحبِي . وضربةُ الجبانِ أبعَلْ وأسرعَ .

٩

وقال ربيعة بن مقرن الضبي^(٤) :

١— وَلَقَدْ شَهِدْتَ الْخَيْلَ يَوْمَ طِرَادِهَا بِسْلَيمٌ أَوْظَفَةَ الْقَوَافِمِ هَيْكَلٌ
اطراد الماء والسراب^(٥) والكلام : اتساقها على حد الاستقامة والمراد .

(١) هو الفند الزماني ، أو أمرؤ الفيس بن عايس السكتني . انظر اللسان (دفس) .

(٢) هو ربيعة بن الجذر المذلي . اللسان (مجع) وشرح أشعار المذلين للذكرى ٢٨٥ .

(٣) عجزه : * يبح بها عرق من الجوف فالس *

(٤) شاعر مخضرم ، ترجم له في الشعر والشراة ٢٧٩ والأغاني ١٩ : ٩٠ : ٩٣ — والإصابة . وفي المبهج : « ربيعة : بيضة الحديد ، وربيعة أيضاً : المجر الذي يرتفع ، أي يشال : وأما مقرن فهو فقولك قرمتشي بأستانى فهو مقرن ، أي مقطوع » .

(٥) في الأصل : « والشراب » ، والوجه ما أثبتنا من *

ويقال : جَدُولْ مَطَرْدٌ ، وَبَلْدُ طَرَادٌ ، أَى وَاسِعٌ يَطْرَدُ فِيهِ السَّرَابُ . وَأَرَادَ بِالْحَلِيلِ
الْفُرْسَانَ لَا الْأَفْرَاسَ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ « يَوْمَ طَرَادِهَا » . وَالظَّرَادُ مِنَ الْفُرْسَانِ :
حَمْلٌ بِعَضِّهِمْ عَلَى بَعْضٍ . وَعَلَى هَذَا مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ
« يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي » . وَالْمَعْنَى حَضْرَتُهُمْ يَوْمَ تَطَارِدُهُمْ بِالرَّمَاحِ وَأَنَا عَلَى فَرَسٍ
ضَخْمٍ سَلِيمٍ الْأَوْظَفَةَ مِنَ الْعَيُوبِ . وَلَا « شَهَدَتْ » مَوْضِعَانِ : الْحَضُورُ مِنْ قَوْلِ
اللَّهِ تَعَالَى : « وَلَيَشْهَدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ » . وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ :
« مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » ، وَحِينَئِذٍ يَتَعَدَّ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ .
وَالْعِلْمُ وَالْتَّبَيِّنُ ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : « شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » ،
وَحِينَئِذٍ يَتَعَدَّ إِلَى مَفْعُولِينَ . وَقَدْ يُقْسَمُ بِهِ كَمَا يُقْسَمُ بِالْعِلْمِ ، فَيَقُولُ يَشْهُدُ اللَّهُ
كَمَا يَقُولُ يَعْلَمُ اللَّهُ . فَأَمَّا شَهَادَةُ الشَّاهِدِ فَلَا بَدْنَ مِنَ الْقَوْلِ فِيهَا . وَالْهَيْكَلُ أَصْلُهُ
فِي الْبَنَاءِ الْعَظِيمِ ، ثُمَّ وُصِّفَ بِهِ الْفَرَسُ .

٣— فَدَعَوْا نَزَالَ فَكَنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَزْكَبْهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلْ
قَوْلَهُ « دَعَوا نَزَالِ » أَى صَاحُوا : نَزَالَ نَزَالٌ . وَمِنْهُ قِيلَ لِتَطْرِيبِ النَّافِحةِ
فِي نِيَاحَتِهَا : التَّدَعُّى . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْأَعْشَى :
* قَالُوا الطَّرَادَ فَقَلَنَا تَلَكَ عَادَتْنَا^(١) *

وَفِي الْقُرْآنِ : « وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » . وَيَحْوزُ أَنَّ
يَكُونُوا جَعَلُوا نَزَالِ عَلَى التَّوْسُعِ هِيَ الْمَدْعُوَةُ وَإِنْ كَانَتْ دُعَى إِلَيْهَا ، وَيَشْهُدُ لِهَا
الْوَجْهُ قَوْلُمُ^(٢) :

* دُعِيَتْ نَزَالٍ وَلُجَّ فِي الدُّغْرِ^(٣) *

(١) بِعِزْهِ : * أوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَا مُعْشَرُ نَزَلْ *

(٢) كَذَا فِي النَّسْخَيْنِ .

(٣) لَزَهِيرُ بْنُ أَبِي سَلْمَى ، فِي دِيْوَانِهِ ٨٩ . وَصَدْرُهُ :

* وَلَنَعْ حَثُو الدَّرْعَ أَنْتَ إِذَا *

وف القرآن : « دَعَوْاهُنَالِكَ ثُبُورًا . لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ». وزالٍ : اسْمٌ لِأَنْزِلٍ ، مَبْنَىٰ عَلَى السَّكْسِر ، مَعْرَفَةٌ مُؤْتَثِّرَةٌ مَعْدُولٌ . والدلالة على تأنيته قول زهير :

* دُعِيتُ نَزَالِ وَلَجَ فِي الدُّعْرِ *

والمعنى تنادوًا وقالوا نَزَالٍ فكنتُ أَوْلَى النَّازِلِينَ . ثم قال مظهراً لِلرَّكِ التَّحْمِدُ بذلك ، وأنه فيما فعله كمن أدى واجبًا عليه : « وعلام أركبه » . المعنى لأي شئ أركب فرسى إذا لم أنزل إذا دُعِيتُ إلى النَّزَال . و « ما » من « عَلَامَ » حذف أَلْفَهُ لأنَّه في الاستفهام إذا اتَّصل بحرف الجر يخفف بالحذف ^(١) ، على ذلك بِمَ وَمِنْ وَفِيمَ وَعَمَ وَمِمَ ، إِلَّا إِذَا اتَّصلَ بِذَلِكَ فَيُقَالُ بِمَا وَلِمَا ، لِأَنَّهُ يُصِيرُ مَا ذَكَرَ شَيْئًا الْيَقِنَاتِ وَيُقَارِبُهُ ، وَفَانِدَتْهُ أَنَّهُ أَسْقَطَ التَّحْمِدَ بِمَا فَعَلَهُ بِهِ . وفي طريقته من جهة المعنى قول الآخر :

وَلَا يَحْمُدُ الْقَوْمُ الْكَرَامُ أَخَافُ الْمُهْتَدِيَّ

ومثل الأول قوله :

عَلَامٌ تَقُولُ الرَّءْمَحَ يُعْقِلُ سَاعِدِيٌّ إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا اخْتَلَى كَرَتِ ^(٢)

٣— وَالَّذِي حَنَقَ عَلَى كَانِمًا تَغْلِي عَدَاؤُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلٍ

آخر التشبيه مالا يُدرِكُ من العداوة بالحسن إلى ما يُدرِكُ به من غَلَيَانٍ

(١) وأحيانا لا يحذف ، وقرى : « عما يتساءلون » . وأنشدوا الحسان :

على ما قام يشتهي ثيم كغيره تمرغ في رماد

انظر حواشى البيان (٣ : ١٢٥) .

(٢) لمرو بن معديكرب . الحاسية ٣٠ .

القدر ، حتى تَجَلَّ ، فصار كالشاهد^(١) . والأدَّ : الشديد الخصومة ، كأنه لَدَ بالخصومة ، أى أُوجِرَ فَلَدَ بِهِ . ولذلك كان اللَّدُ مصدر الدَّة . ويقال في معناه اللَّند^(٢) . والخنقُ : شِدَّةُ الغَيْظِ ، يقال أَحْنَقَهُ فَخَنَقَ . يقول رَبُّ خَضْم شديد الخصومة ذِي غَيْظٍ وغضْبٍ عَلَى عَذَاوَتِهِ لِي في صدره غليان المِرْجل بما فيه إذا كان على النار ، أنا دفعته عن نفسي . وجواب رَبُّ هو صدر البيت الثاني . والخنقُ يجوز أن يكون من اللَّازِقَ ، كأنَّ الْحَقْدَ لَزِقَ بِصَدْرِهِ ، ومنه يقال أَحْنَقَتُ الدَّائِبَةَ ، إذا ضَمَّرَتَهُ .

٤—أَرْجَيْتُهُ عَنِ فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَاطِرِ مِنْ عَلِ^(٣)

ذكر بعض المتأخرین فِي أَرْجَيْتُهُ ، أَنَّ الرَّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ «أَرْجَيْتُهُ» وماعداه تصحیف . قال . وهو أفعله من الوجَّيِ ، وإنما أوجب ذلك ليكون لِفَقَ قولِه بِزُعمِهِ : «وَكَوَيْتُهُ» . وللمعنى أَذْلَلَتْهُ ورَدَدَتْهُ رازِحًا كُرُزُونَ الفَرَسِ الْوَجِيِّ . ثم أَنشَدَ قولَ طَرَفةَ مُؤَنسًا به :

وَقَوْمٌ تَنَاهَوْا عَنِ أَذَانِيَّ بَعْدَ مَا أَصَابَ الْوَجَيِّ مِنْهُمْ مُشَاشَ التَّسْنَابِيكِ^(٤)
قال الشَّيْخُ : ولقد قضيتُ العَجَبَ مِنْ هَذَا الْمُسْتَدْرِكِ ، ومن ضَلَالِهِ عَنْ طَرِيقِ الرَّشادِ فِيمَا قَصَدَهُ مِنِ الْمَعْنَى ، ورواه في الاستشهاد ، وذلك أَنَّ شعر طَرَفةَ إِنَّا هُو :

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « كالشاهدة » .

(٢) ويقال يلندد أيضًا .

(٣) ابن جي : « أَكَثَرُ مَنْ تَرَى يَرُوِي هَذَا الْبَيْتَ أَرْجَيْتُهُ بِالرَّاءِ ، فَإِذَا تَعَالَى شِيشَا رَوَاهُ أَوْجَانَهُ ، وَكَلَامًا تَصْحِيفٌ ، وَإِنَّا هُوَ أَوْجَيْتُهُ بِالْوَاءِ ، أَى أَذْلَلَتْهُ وَقَهَرَتْهُ . كَذَلِكَ رَوَيَاهُ وَكَذَلِكَ وَجَدَتْهُ أَيْضًا فِي شِعْرِ الْقَبِيلَةِ » .

(٤) دِيْوَانُ طَرَفةَ ٦٥ بِهَذِهِ الرَّوَايَةِ عِنْهَا فِي نِهايَةِ الْفَصِيدَةِ . قَالَ صَانِعُ دِيْوَانِهِ : « وَلَمْ يَرُو الشَّتَمْرِي هَذَا الْبَيْتَ » .

وَمَا زَالَ شُرُّ بِالرَّاحِ حَتَّى أُشَرَّفَني صَدِيقٌ وَهَنَى سَاءَنِي بَعْضُ ذَلِكِ^(١)
وَهَنَى يَقُولُ الْأَقْرَبُونَ نَصَاحَةً دَعَ الْفَيْ وَاصْرَمْ حَبْلَهُ مِنْ حِبَالَكِ^(٢)
وَهَنَى تَنَاهَوْا عَنْ أَذَانِي بَعْدَ مَا أَصَابَ الْوَجَى مِنْهُمْ مُشَاشِ السَّنَابِكَ

قوله : « حتى تناهوا » ليس مما فسره واستشهد له بسبييل ، إنما يزيد طرفة أنه أبعد غایته في الحسارة ، وتمادى في تعاطى الصبا والجهالة ، فلم يُصنخ لغاصح ، ولم يزعم عما لاعزل ، حتى نفضوا أيديهم من إبانته ، ويتسوأ من قبوله وإعتابه ، فالقووا حبله على غاربه ، وصاروا من بين ناسبي له إلى الشر ، ومسى إليه في القول ، وقادف إياته بالغى ، فأفاقت بهم الحال إلى أن تناهوا بعد أن بلغ منهم العناه كل مبلغ ، وأثر فيهم الإعياء والإحفاء أشد تأثير . الا ترى أنه جعل الوجى في المشاش من السنابيك منهم . فهذا ما عليه في الرواية ، والذهب عن طريقة الشاعر . وبعد فإنه لا يقال أوجنت الدابة عن ويراد الإحفاء ، ولم يُسم في التذليل ذكر الحلق والوجى مستعارا كما يُسمى الكى والوسم فيه . وبعد الغوص^(٣) لا يدرى على ماذا يهجم بصاحبه . والرواية الصحيحة « أرجأته » « وأرجيته » وهو لفثان ، والمعنى أفعى . وقد قرئ : « ترجى من تشاء منهن » و « ترجي ». ويروى : « أوحنته » ، ويروى : « أرجيته » والمعنى تقارب^(٤) في الكل . يقول : رب خصم هكذا أنا وحيته^(٥) عن فسي وصرفه ، وقد أبصر رشدَه ، وعرف مقدار نفسه ، فعاد إليه بعد أن كان يشتبئ فيها له ، ويتعابى عما عليه . والقصد : ما لا سرف فيه ، ولذلك قيل اقتصد في

(١) ديوان طرفة هه والسان (شر) مع تعريف . أشره : نسبة إلى الشر .

(٢) الديوان : « ذر الجهل واصرم حبلها » .

(٣) م : « الغرض » .

(٤) م : « والمعنى يقارب » .

(٥) وجاه توجيه : عليه .

كذا . وطريق قاصد ، إذا كان على حد الاستواء . ومن كلامهم : ضل عن
قصد الطريق ، كما قيل : ضل عن سوء السبيل . قال الراجز^(١) :
إلى إذا حار الجبان الهدرة^(٢) ركبـت من قصد الطريق منجرة^(٣)
وقوله : « وكويته فوق النواطر » ، يشبهه قول الآخر^(٤) :
ولو غير أخواى أرادوا نقيصى جعلـت لهم فوق العرائين ميسـما
أى كويته من علـى فوق ناظـره ، أى وسمـته بـسمـة من الذـلـ اشتهر بها ، ولم يـعـكـنه
إخـاؤـها . ويقال لـمن يـتوـعـدـ بالإذـالـ والـشـوـيـهـ : لأـسـمـنكـ وـسـماـ لاـيـفـارـقـكـ .
ولذلك قال جـرـيرـ :

لـمـاـ وـضـفـتـ عـلـىـ الفـرـزـدقـ مـيـسـمـيـ وـضـفـاـ الـبـعـيـثـ جـدـعـتـ أـنـفـ الـأـخـطـلـ
وـكـاـ يـجـعـلـونـ هـذـهـ السـمـةـ فـالـجـبـينـ يـجـعـلـونـهـاـ فـالـأـنـفـ ،ـ ولـذـلـكـ قـالـ الـأـعـشـىـ
* أـنـفـ مـنـ أـنـتـ وـاسـمـ *^(٥)

وفي القرآن : « سـنـسـمـهـ عـلـىـ اـلـخـرـ طـوـمـ ». فإن قيل : لم أـقـيـلـ بـقـوـلـهـ مـنـ عـلـيـ ؟
وقد قال فوقـ النـواـطـرـ وـيـعـلـمـ مـنـهـ أـنـهـ أـعـلـىـ ؟ قـيـلـ : إـنـ الـقـدـيرـ كـوـيـتـهـ مـنـ عـلـىـ فـوـقـ
الـنـواـطـرـ ،ـ أـىـ مـنـ أـعـلـاهـ فـوـقـ نـاظـرـهـ ،ـ وـفـيـهـ الـتـقـدـيمـ وـالـتـأـخـيرـ ،ـ وـلـوـسـكـتـ عـلـىـ مـنـ
عـلـىـ لـكـانـ يـجـوزـ أـنـ يـكـوـنـ فـوـقـ النـواـطـرـ وـدـوـنـ النـواـطـرـ ،ـ لـكـنـهـ يـبـيـنـ أـنـ قـضـدـهـ
إـلـىـ الـجـبـينـ بـيـسـمـهـ .ـ وـلـمـعـنـ شـهـرـتـهـ يـادـلـاـلـ ،ـ وـوـسـمـتـهـ بـكـيـيـ حـيـثـ يـظـهـرـ لـلـنـاظـرـيـنـ
وـلـاـ يـخـفـيـ .ـ وـأـنـتـصـابـ «ـفـوـقـ»ـ يـجـوزـ أـنـ يـكـوـنـ عـلـىـ الـبـدـلـ مـنـ الضـمـيرـ فـيـ كـوـيـتـهـ ،ـ

(١) هو الحسين بن بكير الرببي . اللسان (هدر) .

(٢) الهدرة كهزة : الساقط . ويروى : « الهدرة » بالذال المعجمة ، وهو بالمهلة أجود .

(٣) المنجر : الطريق المستقيم . اللسان (هدر ، نجـر) . م : « منجره » .

(٤) هو المنس . ديوانه نسخة الشنقيطي .

(٥) قطعة من بيت لم يرو كاملا في ديوانه ٥٧ ، بل روى على هذه الصورة الناقصة :

..... يفتحك واعمد لغيرها بـشـرـكـ وـاعـلـبـ أـنـفـ مـنـ أـنـتـ وـاسـمـ .

لأن «فوق» من الظروف المتمكنة . ويجوز أن تجعله ظرفًا تُرِيدُ كونَتْهُ في هذا المكان مما علامنه . وإنما يُبَيِّنُ من على لأنَّه جعله نكرة ، كما تقولُ أنتَه قبلاً أى أولاً ، وأنتَ لا تقصدُ إلى أنه مضافٌ إلى معرفةٍ مخصوصةٍ ، فاعله . ومنه^(١) :

« كَجُمُودٍ صَخْرٍ حَطَّةَ السَّيْلِ مِنْ عَلِٰٰ »^(٢)

فالكسرة في الموضعين كسرة إعراب ، وإن شئت جعلته معتلة الآخر لا متفوّصاً كشجٍ وقاضٍ ، وجعلته في النية مضافاً ، فيكون معرفةً وتنوي ضمة البناء في موضع لامه ، كما تنويه في الياء من قاضٍ وغازٍ إذا ناديت بهما واحداً بعينه . وفي على لغات كثيرة ، ولو نحوه في البناء والإعراب ليس لأخوانه من الغايات ، وليس هذا موضع شرحه .

١٠

وقال سعد بن ناشر بن مازن بن عمرو بن عيم^(٣) :

١- سأغسل عن العار بالسيف بحالها على قضاة الله ما كان جالبا
القضاء ، أصله الحتم والإيجاب ، ثم يستعمل في إكال الصنف والفراغ من الشيء . وهذا قيل : قضى قضاوك ، أى فرغ من أمرك . وفي القرآن : « فقضاهن سبع سموات » . ويروى : « قضاة الله » بالرفع والنصب ، فإذا رفعته فإنه يكون

(١) م : « ومثله » . والبيت الثاني لامری القيس في معلقه .

(٢) صدره : * مكر مفر مقبل مدبر معا *

(٣) شاعر إسلامي ، كان من شياطين العرب ، وهو صاحب يوم القيط في الإسلام بين عيم وبكر بن وائل . الشعر والشعراء ٦٧٧ ولغزاته (٣ : ٤٤٤ — ٤٤٦) والآلي ٧٩٢ — ٧٩٤ . وفي شرح التبريزى : أنه كان أصاب دما فهم بلال داره . واستفاق ناشر من قولهم رجل ناشر ، أى ذو نسب .

فَاعْلَى لِجَالِبًا عَلَىَّ ، وَمَا كَانَ جَالِبًا فِي مَوْضِعٍ مَقْعُولٍ^(١) ، وَيَكُونُ الْقَضَاءُ بِعِنْدِهِ الْحُكْمُ . وَالتَّقْدِيرُ : سَأْغْسِلُ الْعَارَ عَنِ النَّفْسِ بِإِسْتِعْمَالِ السَّيْفِ فِي الْأَعْذَادِ ، فِي حَالِ جَلْبِ حُكْمِ اللَّهِ عَلَىَّ الشَّيْءِ الَّذِي يَجْلِبُهُ . وَإِذَا نَصَبَ الْقَضَاءُ فَإِنَّهُ يَكُونُ مَقْعُولًا لِجَالِبًا وَفَاعِلًا مَا كَانَ جَالِبًا ، وَيَكُونُ الْقَضَاءُ الْمَوْتُ الْمُخْتُومُ وَالْقَدَرُ الْمُقْدُورُ ، كَمَا يَقُولُ لِلْمَصِيدِ الصَّيْدُ ، وَلِلْمَخْلُوقِ الْخَلُقُ . وَالْمَعْنَى جَالِبًا الْمَوْتَ عَلَىَّ جَالِبُهُ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمُ أَنَّ « كَانَ » مِنْ قَوْلِهِ مَا كَانَ جَالِبًا فِي مَعْنَى صَارَ . قَالَ : وَمِثْلُهُ :

يَتَبَاهَ قَفْرٌ وَالْمَطْئُ كَانَهُ قَطَا الْحَرْزَنِ قَدْ كَانَ فِرَاخًا يَبْوَضُهَا^(٢)
لأنَّ الْمَعْنَى قَدْ صَارَتْ .

٢— وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا لِعِرْضِي مِنْ باقي المَذَمَّةِ حَاجِبًا^(٣)
الْذُهُولُ : تَرَكَ الشَّيْءَ مُتَنَاسِيًّا لَهُ وَمُتَسَلِّيًّا عَنْهُ ، وَمِنْهُ اشْتِيقَاقُ ذُهُولٍ . يَقُولُ :
إِذَا ضَاقَ الْمَنْزُلُ بِي حَتَّى يَصِيرَ دَارَ الْهُوَانِ اتَّقْلَتَ عَنْهُ ، وَأَجْعَلَ خَرَابَهُ وَقَاهِيَةً
لِلنَّفْسِ^(٤) مِنَ الْعَارِ الْبَاقِي ، وَالذَّمِّ الْلَّاحِقِ . وَهَذَا قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ :
* وَإِذَا نَبَأْتَكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلَ^(٥) *

وَهُوَ ضَدُّ الْمَعْنَى الَّذِي يَقْصِدُونَهُ بِالثَّبَاتِ فِيهِ وَالصَّبَرِ عَلَيْهِ ، مِنَ الإِقَامَةِ فِي دَارِ
الْحَفَاظِ وَالْأَفْتَخَارِ بِهِ ، لَأَنَّ الْاِنْتِقَالَ ثُمَّ هوَ الْجَالِبُ لِلْعَارِ ، كَمَا أَنَّ الإِقَامَةَ هُنَا هُوَ
الْجَالِبُ . فَنَّ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

(١) م : « مَقْعُولٌ » .

(٢) الْبَيْتُ لِابْنِ أَعْمَرَ فِي الْلَّاسَانِ (كُونِ) . وَنَسْبَهُ إِبْنُ يَعْبُشٍ فِي شَرْحِ الْمَفْصلِ إِلَى
ابْنِ كَتْزَةَ . وَيَرْوَى : « كَانَهَا » .

(٣) انْظُرْ إِلَيْهَا إِلَى هَدْمِ يَتَهُ فِي تَرْجِيْهِ السَّالِفَةِ .

(٤) م : « لَنْفَسِي » .

(٥) لَعِبْدِ قَيْسِ بْنِ خَفَافِ التَّمِيمِيِّ ، كَمَا فِي حَاسَةِ الْبَحْرَى ١٤٩ . وَصَدْرُهُ :

* احذِرْ حَلَالَ السُّوءِ لَا تَحْلُلْ بِهِ *

وَقُمْ فِي دَارِ الْحِفَاظِ بِيُوتِنَا زَمَنًا وَيَعْمَنُ غَيْرُنَا لِلأَمْرِعِ^(١)

ومنه قوله :

يُقال مُجِسِّهَا أَدْنَى لِرَتَعِهَا وَإِنْ تَعَادَى بِبَكْهُ كُلُّ مَحْلُوبِ^(٢)

وفي ضِدِّه قوله :

دَارُ الْهَوَانِ لِمَنْ رَآهَا دَارَهُ أَفَرَاحُهُ عَنْهَا كَمْ لَمْ يَرَحِّلِ

وقول الآخر :

وَاسْتَنَا بِمُحْتَلِينَ دَارَ هَضِيمَةَ مَوْتٍ إِنْ يَنْبَتِ الدَّارُ

وانتصب « حاجباً » على أنه مفعول ثان لأَجْعَلُ ، لأنَّه بمعنى أَصَيرُ .

والتقدير: أَجْعَلَ هَذِهَا حَاجِبًا لِعِرْضِي ، وَمَا نَعْمَلُ مِنْ باقِ الذَّمِّ . ولـ« جعلت »

غيرَ هذا مواضع ، يكون بمعنى خَلَقْتُ وأَنْشَأْتُ فَيَعْدَى إِلَى مفعولٍ واحدٍ ،

كقول الله تعالى: « وَجَعَلَ الظُّلَمَاتِ وَالنُّورَ »؛ ويكون بمعنى سَيَّئَتْ ، كقوله

تعالى: « وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا نَعْلَمُ بِمَا فِي الْأَرْضِ »؛ ويكون بمعنى

ظَنَنْتُ ، تَقُولُ : جَعَلْتُهُ عَبْدًا وَشَكَمْتُهُ ، أَيْ ظَنَنْتُهُ ؛ ويكون بمعنى طَقَقَ

فَلَا يَعْدَى . تَقُولُ : جَعَلْتُكُلَّهُ ، أَيْ أَقْبَلَ . وعلى هذا قوله :

جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قَلَّ^(٣) أَزُورُكُمْ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا

— وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تَلَادِي إِذَا أَنْتَنَتْ يَعْنِي يَادِرَالِكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا

أَرَادَ بِهِ « يَصْغُرُ » صِفَرَ القدر وَخفتَه وَتَزَارَتَه في الْهَمِّ وَالْفِكْرِ .

(١) للعادرة الديياني في المفضليات (٤٣ : ١) . و « للأمرع » ضبتلت في الأصل بضم الراء وف م بفتحها ، وما روياها .

(٢) لسلامة بن جندل في المفضليات (١ : ١٢٢) .

(٣) في الأصل: « عن جفاء » ، والوجه ما أثبنا من م .

وَخَصَنْ «الثَّلَاد» وَهُوَ الْمَالُ الْقَدِيمُ، لَأَنَّ النَّفْسَ يَمْثُلُهُ أَضَنْ، وَبِهِ أَنْفَسْ،
وَلَهُ أَضْبَطُ. تَبَهُ بِهَذَا الْكَلَامَ عَلَى أَنَّهُ يَخْفِي عَلَى قَلْبِهِ تَرْكُ الدَّارِ وَالْوَطْنِ خَوْفًا
مِنَ التَّزَامِ الْعَارِ، كَذَلِكَ يَقُولُ فِي عِينِهِ إِنْفَاقُ الْمَالِ عِنْدَ اِنْصَافِ الْيَدِ حَائِزَةً
لِلْمَطْلُوبِ، جَامِعَةً لَهُ . وَجَوابُ «إِذَا» قُدْمُ عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْلُهُ «يَصْنُرُ»، فَأَمَّا قَوْلُهُ
«كُنْتَ طَالِبًا»، فَقَدْ حُذِفَ مِنْهُ الضَّمِيرُ الْعَائِدُ إِلَيْهِ الَّذِي، وَالتَّقْدِيرُ كَنْتَ طَالِبَهُ.

٤—إِنْ تَهْدِمُوا بِالْفَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا تُرَاثٌ كَرِيمٌ لَا يَبْلِي الْعَوَاقِبَا

الْهَدْمُ : الْقَلْمُ وَالْتَّخْرِيبُ، وَيُسَمَّى الْمَهْدُومُ هَدْمًا . قَالَ :

* كَانَهُ هَدْمٌ فِي الْجَنْفِرِ مُنْقَاضٌ^(١)

وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقِيلَ لِلثَّوْبِ أَنْخَلَقَ هَدْمٌ، وَجَمِيعُهُ أَهْدَامٌ . وَقِيلَ عَجُوزٌ مَتَهْدَمٌ
أَيْ هَرِمَةٌ فَارِنَيَةٌ . وَتَهْدَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَضْبَ، كَمَا يَقُولُ تَهْجَمٌ . وَالْفَدْرُ : تَرْمَدٌ
الْوَفَاءُ، وَمِنْهُ غَادِرَتُهُ، وَالْغَدِيرُ . وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ كَانَ أَخْلَى بِدَارِهِ لِنَائِبِهِ
نَابِتَهُ^(٢) فَصَارَ يَخْاطِبُ أَعْدَاءَهُ وَيَرِيهِمْ قَلَّةَ فِكْرِهِ فِيمَا تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْوَالُهُ مِنْ
جَهَتِهِمْ، وَفِيمَا تَفْضِي عَوَاقِبُ أُمُرِهِ إِلَيْهِ مَعْهُمْ، فَيَقُولُ : إِنْ تَخْرِبُوا دَارِي
غَدْرًا مِنْكُمْ فَإِنَّهَا مِيرَاثُ رَجُلٍ هَكَذَا، وَيَعْنِي بِهِ نَفْسَهُ، وَسَمَّى مِلْكَهُ مِيرَاثًا
وَهُوَحَّى، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ سِيُورَثٌ، وَهَذَا تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ الْمُتَقْتَلِ فِي أَيْدِي مُلَّاكِهِ
وَالْمُتَصْرِفِينَ فِيهِ عَلَى التَّشْبِيهِ : مِيرَاثًا، وَإِنْ لَمْ يَتَنَقَّلْ بِالْأَسْبَابِ وَالْأَسَابِ . عَلَى
ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : «وَلِهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، وَقَوْلُهُ :
«أَوْرَثْتُكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ» . وَتُرَاثٌ، أَصْلُهُ وَرَاثٌ، وَالْتَّاءُ فِيهِ
كَالْتَّاءُ فِي تُسْكَأَةٍ وَتُحَمَّةٍ . وَقَوْلُهُ : «تُرَاثٌ كَرِيمٌ» أَرَادَ بِالْكَرِيمِ التَّنْزَهَ عَنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : «مَنْقَاضٌ»، صَوَابُهُ فِي مَوْلَانَ (هَدْمٌ) . وَصَدْرُهُ :

* تَفْضِي إِذَا زَجَرْتَ عَنْ سُوَادِ قَدْمَا *

(٢) اَنْلَرْ مَا سَبَقَ فِي تَرْجِهِ مِنْ هَدْمٍ بِالْأَلْ دَارِهِ .

الأقدار ، والتَّبَاعُدُ مِنْ جُوَالِبِ الْعَارِ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا مَرُوا
بِاللَّغْوِ مَرُوا كِرَاماً ﴾ . وَقَوْلُهُ : « لَا يَبْلِي الْعَوَاقِبَ » يَقُولُ : مَا بَالَيْتَهُ بَالَّهُ وَبِالْيَةَ
وَبِالْمَلَأَ وَبِالْأَمَاءِ ، وَمَا بَالَيْتَ بِهِ . وَكَانَهُ أَخِذٌ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَاسْتَعْمَلَ فِي الْمَفَارِخِ وَتَعَدَّادِ
الْخَصَالِ الْحَسَنَةِ عِنْدَ الْمُنَافِرَةِ ، ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ حَتَّى صَارَ يُقَالُ فِي الْاِسْتِهَانَةِ
بِالشَّيْءِ . وَيَشْهُدُ لِهَذَا النَّى قَلْنَاهُ قَوْلُ الْآخِرِ :

مَالِيْ أَرَاكَ قَائِمًا تُبَالِيْ وَأَنْتَ قَدْ مِتَّ مِنَ الْهَزَالِ^(١)
أَى تَفَاخِرٍ .

٥- أَخِي عَزَّمَاتٍ لَا يُرِيدُ عَلَى النَّى يَهُمُّ بِهِ مِنْ مَقْطَعِ الْأَمْرِ صَاحِبَا
يَقُولُ : مَا لِهِ عَزْمٌ وَمَا لِهِ عَزِيْمٌ ، أَى تَسْتَبِّتْ وَصَبَرَ فِيمَا يَعْزِمُ عَلَيْهِ . وَحَقِيقَةُ الْعَزْمِ :
تَوْطِينُ النَّفْسِ وَعَقْدُ الْقَلْبِ عَلَى مَا يُرِسِّيْ فَعْلَهُ ، وَلَذِكَ لَمْ يَجُزْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
وَالْاعْزَامُ : لِزُومُ الْقَصْدِ وَتَرْكُ الْأَنْتَاءِ ، وَلَذِكَ قَبْلَ اعْتَزَمَ الْفَرْسُ عَلَى الْجَرَى .
يَصِفُّ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ صَاحِبٌ هُمِّ وَأَخْوَ عَزَّمَاتٍ ، مُسْتَبِّدٌ بِرَأْيِهِ فِيهَا غَيْرُ مُتَّخِذٍ رَفِيقًا ،
وَلَا مُسْتَنْصِرٌ أَخَا وَصَدِيقًا . وَ« مَقْطَعُ الْأَمْرِ » أَرَادَ فَصْلَهُ وَالْخُروْجُ مِنْهُ . وَيُرُوَى :
« أَخِي عَمَرَاتٍ » وَهِيَ الشَّدَائِدُ . وَيُرُوَى : « مِنْ مَقْطَعِ الْأَمْرِ » وَهُوَ مِنْ فَطْعَنَ
الْأَمْرُ وَأَفْطَعَ ، فَظَاعَةً وَإِفْطَاعًا ، وَهُوَ فَطَيْعٌ وَمَفْطَعٌ . أَوْ مِنْ أَفْطَعَنِي الْأَمْرُ
فَفَطَعَتْ بِهِ ، أَى أُعْيَانِي فَضَقَتْ بِهِ ذِرْعَا . وَقَوْلُهُ : « صَاحِبَا » صِفَةٌ فِي الْأَصْلِ
اسْتَعْمِلَتْ اسْتِعْمَالَ الْأَسْمَاءِ ، فَلِمَ يَجْرِيْ سَجَرَى أَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ ، وَيَجْرِيْ عَلَى طَرِيقِهِ
قَوْلَهُمُ وَالِّدُ .

٦- إِذَا هُمْ لَمْ تُرْدَعْ عَزِيْمَهُمْ وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِبًا
الْهَمَّ : مَا تُحِيلُ لِفَعْلِهِ وَإِيْقَاعِهِ فِي كِرَكَ . وَالْمَهَمَّةُ : اسْمُ الْحَالَةِ الَّتِي تَكُونُ

(١) أَنْشَدَ الرَّجُزَ فِي الْسَّانِ (بَلَاءً) .

عليها في ذلك . ويقال في المثلِ لِمَنْ يُعَيَّرُ^(١) بطول الأمل : « تَهْمُ وَيَهْمُ بَكَ ». ومنه المهمات ، وهذا يخبر عن نفسه بأنه يتبع الرأى الأول . وهذا طريقة الفتاوى لأنَّ الرجوع عن الرأى إلى غيره طريقة من يتذرَّ العواقب فيتدرك^(٢) الشَّيْءَ إلى الشَّيْءِ لما يرجوه من حُسْنِ المآل . فقال : إذا هَمَّ هذا الرجل بشَّيْءٍ أَنْفَدَ عزيمته ولم يرْدَعْها ، ولم يَفْعَلْ ما يفعله خائفاً . ومثله قول الآخر :

جَسُورٌ لَا يُرَوَّعُ عِنْدَهُمْ وَلَا يُثْنِي عزيمته اتقاء

ويقال : رَدَعْتُهُ فَارْتَدَعَ ، أى كَفَفْتُهُ ورَدَدْتُهُ رَدْعًا . ومنه الرُّدَاعُ في العلة وهو التَّكُّسُ ، يقال رُدْعَ رَدْعًا ورُدَاعًا . والهَمِيَّةُ تكون من الذُّعْرِ ومن الإجلال جيماً ، ويقال للجبان هَيْبَ وَهَيْوَةٌ ، والهاء للمبالغة ، وللمحتشم مهِيبٌ . وفي الحديث : « الإيمانُ هَيْبَةٌ ». ويقال : تهَيَّبْتُ الشَّيْءَ وَتَهَيَّبَنِي بِعْنَى ، لِمَّا كَانَ لا يَلْتَبِسُ ، ومثله من المقووب كثير .

٧— فَيَالَ رِزَامِ رَشْحُوا بِي مُقْدَمًا إِلَى الْمَوْتِ خَوَاضِمًا إِلَيْهِ الْكَتَابِا

ويروى : « الـكـتابـا ». الفاء من قوله « فـيـالـ رـزـامـ » النـيـةـ بها استئناف ما بـعـدـها وإن نـسـقـ بها جـلـةـ على جـلـةـ . واللامـ من يـالـ رـزـامـ ، هو لـامـ الاستـغـاثـةـ ، ورـزـامـ يـنـجـرـ بهـ وـهـ الـمـدـعـوـونـ . وأـصـلـ حـرـكـةـ لـامـ الإـضـافـةـ إـذـ دـخـلـ عـلـىـ ظـاهـيرـ الـكـسرـ ، وـهـذـاـ إـذـاـ عـطـيـفـ عـلـىـ هـذـهـ الـلامـ بـلـامـ أـخـرىـ كـسـرـتـ الثـانـيـةـ ، تـقـولـ : يـالـ زـيـدـ لـعـمـرـ ، وـلـكـنـ هـذـهـ فـتـحـتـ لـكـونـ ما بـعـدـهـاـ مـنـادـيـ ، وـوـقـوـعـ الـنـادـيـ عـلـىـ هـذـاـ الـحـدـ مـوـقـعـ الـضـمـرـاتـ ، فـكـاـ قـيلـ لـكـ وـلـهـ ، قـيلـ يـالـ زـيـدـ . وـقـولـهـ « رـشـحـوـانـ مـقـدـمـاـ » بـكـسـرـ الدـالـ بـعـنـيـ مـتـقـدـمـاـ ، فـهـذـاـ كـاـ يـقـالـ وـجـهـ بـعـنـيـ تـوـجـهـ ، وـنـبـهـ بـعـنـيـ تـنـبـهـ

(١) كـذاـ فـيـ النـسـختـينـ . وـلـيـسـ « يـنـقـرـ » .

(٢) فـالـأـسـلـ : « فـيـنـزلـ » ، وـوـجـهـ مـنـ مـ .

(٣) ابنـ جـيـ : « هـذـاـ الـبـيـتـ شـاهـدـ عـلـىـ إـعـمـالـ فـعـالـ إـعـمـالـ اـسـمـ الـفـاعـلـ » .

ونَكْبَ بمعنى تَنَكُّب . وعلى هذا قولهم مُقدمة الجيش ، ومن فتح الدال فالمعنى على أنه يُقدم ليقيِّمُ نفسه . «خَوَاضًا إِلَيْهِ الْكَتَابِ» ، انتصب الكتائب على أنه مفعول خَوَاضِ . ويرُوى «الْكَرَاب» وهي الشدائِد جمع كَرِيبة ، والأصل في الْكَرَب : الفَمُ الذي يأخذ بالنَفَس . والترشيح أصله التَنْبِيت والتَّرْبِية ، ومنه قيل رَشَحَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا إِذَا دَرَجَتُهُ فِي الْبَيْنِ ، ثم قيل رُشِحَ فَلَانُ لَكَذَا ، توشعًا . ومعنى البيت : يا بني رِزَام هَيَّئُوا بِي رَجُلًا يَتَقدَّمُ إِلَى الْمَوْتِ وَلَا يَحِيدُ عَنْهُ ، مقتاحًا الجيوش والشدائِد غير متَنَكُّب ولا حائِد . ويرُوى : «رَشَحُوا بِي مُقْدِمًا» ، وتلخيصه : رَشَحُوا بِالْتَرْشِيحِمِ رجلاً هذه صفتُه ، فأقام الصفة مقام الموصوف .

٨ - إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَاهُ^(١)

قوله : «أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ» ، أي جعله بمرأى منه لا يغفل عنه ، وقد طابق في المعنى لَتا قَابَ قوله أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ، بقوله : نَكَبَ عن ذكر العاقِب جانبًا . ومثله قول الآخر :

* ولا ناظِرٌ عَنِ الْوَغْنِ فِي الْعَوَاقِبِ *

وانتصب «جانبًا» على أنه ظَرْفٌ . ونَكَبَ يكون بمعنى تَنَكُّب . والمعنى أنه إذا هَمَ بالشيء جَعَلَهُ نَصْبَ عَيْنِيهِ^(٢) إلى أن ينْفَذُ فيه ويخرج منه ، ويصير في جانب من الفكر في العاقِب . ويجوز أن ينتصب جانبًا على المفعول ، ويكون نَكَبَ بمعنى حَرَفٌ . والمراد انحرفَ عن ذكر العاقِب وطَوَى كَشْحَهُ دُونَهُ . وسيجيئ المعزوم عليه عَزْمًا على عادة العرب في وصف الفاعل والمفعول بالمصادر .

(١) مثله ما أنشده له البكري في اللآلِي : ٧٩٣ :

إِذَا هَمَ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَصَمَ تصْمِيمَ السَّرْبِيجِيِّ ذِي الْأَثْرِ

(٢) كَنَا وَرَدَ فِي النَّسْخَتَيْنِ ، بفتح التَون ، وهو من أَخْطَالِهِم ، والصَوَابُ ضم التَون .

وفي اللسان : «القتبي» : جعلته نَصْبَ عَيْنِي بالضم ، ولا تقل نَصْبَ عَيْنِي » ، يعني بالفتح .

٩ - ولم يَسْتَشِرْ فِي أَمْرٍ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا

مِثْلُ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ قَوْلُ ابْنِ هَرْمَةَ :

* لَا يَنْتَجِي الْأَذْنَيْنِ فِي يَحْكَوْلُ *

ويقارب الثاني قول الآخر :

* فِي السَّيْفِ مَوْلَى نَصْرٌ لَا يُخَارِدُ *

والشاعر يصف استبداده وتفرّده عند ما يَدْهُمُ بِمَا يَأْتِيهِ^(١) فَغَلَّ وَرَأَيَا .

وإنما نَبَهَ على الرأى بقوله : « لم يَسْتَشِرْ » ، وعلى الفعل بقوله : « ولم يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا ». وانتصبَ قائمٌ على أنه استثناءً مقدمًا . ألا تَرَى أنَّ الأصل ولم يَرْضَ صَاحِبًا إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ . ولو أتى على هذا الْكَانَ الْوَجْهُ أَنْ يكون بَدْلًا ، فَقَدْمَ المُسْتَنْدِي كَا تَرَى .

١١

وقال تأبٌط شرًا^(٢) :

١ - إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جِدَهُ أَصَاعَ وَقَاسَى أَمْرَهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ

قوله « لم يَحْتَلْ » ذهب بعضهم إلى أنَّ الحيلة مأخوذة من قوله حَالَ الشَّىءِ ،

أى انقلبَ عن جهته^(٣) ، كأنَّ صَاحِبَها يُريدُ أنْ يُسْتَبِّنَ مَا يَحْوُلُ^(٤) عند غيره

(١) هذا ماق م : وفي الأصل : « وما يأته ». .

(٢) هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهري ، وسمى تأبٌط شرًا لأنَّه تأبٌط سيفاً وخرج قبيلاً لأمه : أين هو ؟ فقالت : تأبٌط شرًا وخرج ، وهذا أشهر ما قيل في سبب تقديره . وكان أحد لصوص العرب المغيرةين ، قربنا للشفرى وعمرو بن براق . الشراء ٢٢١ وشرح الأنبارى للفضلات ١ — ٢ ، ١٩٥ — ١٩٦ والأغانى ١٨ : ٢٠٩ — ٢١٨ والاشتقاق ١٦٢ — ١٦٣ — والحزانة ١ : ٦٦ — ٦٧ واللالى^{*} ١٥٨ — ١٥٩ .

(٣) م : « عن وجهه ». (٤) يَحْوُل ، بالحاء ، كاف النسختين ، ولعلها « يَحْوُل » .

ولذلك قيل : فُلَانْ حَوْلَ قُلْبٌ . وقوله « جَدَّ جِدَّه » أى ازداد جِدَّه جِدًّا .
ويكون مثل قوله :

* حتى أستدق نحومها *

المعنى ازداد دقيقها دقةً ، ويجوز أن يكون المعنى صار غير الجد جيدًا
بآله^(١) ، وهذا كما يقال ربع روعه ، وخرجت خوارجه ، وجئ جنونه ،
وقال المذلي :

* يُدعَّونَ حُسَّاً وَلَمْ يَرْتَعْ لَهُمْ فَرَاعُ *

وإنما هو ربع أمنه ، وخرجت دواخله ، ولم يرتع لهم أمن . فسمى الشيء بما
آل إليه . وقوله « أضاع » يجوز أن يكون معناه وجد أمره ضائعاً ، ويجوز أن
يكون بمعنى ضيع . ويقال : ضاع الشيء ضياعةً وضياعاً ، وتركم بضياعة
ومضياعة . وإذا أخذ الرجل فيما لا يعنيه ، قيل : فشت عليه الضياعة .

ويقاربه قوله :

* اتسَّ الخَرَقُ عَلَى الرَّاقِعِ *

وقوله : « وهو مُدْبِرٌ » يجوز أن يكون الضمير للأمر ، والمعنى قاسى أمره ،
أى شقى به وهو مولى فائت . ويجوز أن يكون الضمير للمرء ، والمعنى عالج أمره
وكابده مُدْبِرًا فيه غير مُقْبِلٍ ولا مَنْصُورٍ ، ومعنى البيت إذا الرجل لم يطلب
رشده ولم يُنْفِذ الحيلة في إصلاح أمره ، في الوقت الذي يجب أن يفعله ،

(١) م : « بِعَاَلَ إِلَيْهِ » .

(٢) عجز بيت لشقران السلامي في المجنى لابن دريد ٧٨ ، أو لابن حسام الأزدي في
المؤتلف ٩٢ . وصدره :

* كنا ندار بها فقد منقت *

ونحوه قول أبي عامر جد العباس بن مرداوس ، في العيني (٢ : ٣٥١) :
لا نسب الي يوم ولا خلة اتسَّ الخَرَقُ عَلَى الرَّاقِعِ

وقد صار الأمر حِدًا لا شُبْهَةَ فيه ، عالجَهُ وهو هكذا ، أو عالجَهُ والأمر هكذا . ومثله :

ولكنَّ مَن لَا يَلِقُ أَمْرًا يَنْوِهُ بِعُدَّتِهِ يَنْزِلُ بِهِ وَهُوَ أَعْزَلُ
٢- ولكنَّ أَخْوَالَحِزْمِ الَّذِي لِيْسَ نَازِلًا بِهِ الْخَطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرٌ
السَّائِرُ عَنْهُمْ فِي مَثَلٍ قَوْلُهُمْ : « رَوَىٰ تَحْزُمٌ ، إِنَّمَا رَوَاهُ فَاعْزِمْ » ،
فَيَقُولُ : صاحِبُ الْحِزْمِ هُوَ الَّذِي يَسْتَعِدُ لِلأَمْرِ قَبْلِ نِزْوَلِهِ ، وَيَدْبِرُهُ قَبْلِ فَوْتِهِ ،
حَتَّىٰ إِذَا نَزَلَ بِهِ يَكُونُ عَارِفًا بِالْقَصَّةِ فِيهِ ، سَالِكًا لِلْوَجْهِ الَّذِي يَفْصِلُهُ مِنْهُ .
وَهَذَا كَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ : « قَبْلَ الرَّمَاءِ تَفْلَى السَّكَانُ »^(١) . وَالْحِزْمُ فِي الْلُّغَةِ :
الشَّدُّ وَالضَّبْطُ ، وَمِنْهُ الْحِزَامُ ، وَالْحِزْمَةُ ، وَالْحِيزْوُمُ ، وَالْمَحْزُمُ . وَالْخَطْبُ :
الْأَمْرُ الْمَطْلُوبُ ، وَيَقُولُ : خَطَبَتِ الْأَمْرُ فَأَخْطَبَ ، كَمَا تَقُولُ طَلَبَتِهِ فَأَطْلَبَ .

٣- فَذَاكَ قَرِيعُ الدَّهْرِ مَا عَاشَ حَوْلَهُ إِذَا سُدَّ مِنْهُ جَاشَ مَنْجِرُ
« ذَاكَ » أَشَارَ بِهِ إِلَى أَخْيَ الْحِزْمِ . وَ« قَرِيعُ الدَّهْرِ » يُحَقَّمُ وجَهِينَ :
يُحَوَّزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَعْنَى مُخْتَارِ الدَّهْرِ ، وَيَكُونُ مِنْ قَرَعَتُ الشَّيْءِ أَيْ اخْتَرَتْهُ
وَخَصَّصَتْهُ بِقَرْعَتِي ، وَيَقُولُ هُوَ قَرَيْعُهُمْ وَقَرِيعُهُمْ وَقَرِيعُهُمْ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَيُحَوَّزُ
أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى مَنْ قَرَعَهُ الدَّهْرُ بِنَوَابِهِ حَتَّىٰ جَرَّبَ وَتَبَصَّرَ . وَيَكُونُ قَرِيعُ فِي
الْوَجَهِيْنِ فَعِيَالًا فِي مَعْنَى مَفْعُولٍ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِقَرِيعِ الدَّهْرِ فَحَلَّ
الْدَّهْرُ ، وَيَكُونُ فِي هَذَا الْوَجْهِ قَرِيعُ فِي مَعْنَى فَاعِلٍ ، لَأَنَّهُ يَقْرَعُ النَّاقَةَ أَيْ يَضْرِبُهَا .
وَمَا تَقْدَمَ أَحْسَنُ . وَقَوْلُهُ « مَا عَاشَ » فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ ، وَالْمَعْنَى مُدَّةٌ عِيشَهُ .
وَقَوْلُهُ « إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنْجِرُ » مَثَلٌ لِلْمَسْكُورِبِ الْمُضَيَّقِ عَلَيْهِ ، وَهَذَا كَا اسْتُعملَ

(١) السَّكَانُ : جَمْعُ كَنَانَةٍ ، وَمِنْ جَمِيعِ السَّهَامِ .

فيه الخنق والختناق . وأصل المنخر في الأنف من التخدير ، ويسمى التخمرة أيضاً . والجيم التخمر . والتخدير: مذ التنفس ، ومنه تخيير الحمار . وقيل تخرتا الأنف: حرقاً . وجاشتِ القدرُ: غلتُ . وجاشَ البحرُ: اهتاجَ ، وأصل له التحرك في الموضعين والاضطراب ؛ ومنه الجيش واحدُ الجيوش . والمعنى: لافتاته في العيال لا يؤخذُ عليه طريق إلا نفذَ في آخرَ . و «الحُول»: السكير التحوّل في الأمورِ . ويقال هو قلبُ وحولُ ، وفي معناه رجلُ حولٌ وحوالٌ . قال ابن أحمر^(١) :

أو يُنسِنْ يَوْمِي إِلَى غَيْرِهِ أَنِّي حَوَالٌ وَأَنِّي حَذِيرٌ

ويقال : هو ذو حَوْلٍ وَحَوْيَلٍ ، وفي المثل : « لو كان ذا حيلة تحول » . فاما قوله : هو ذو تحْلَة^(٢) ، فهو في معنى تحَلَّةٍ ، ولَيْسَ من بناءِه ، لأن الميم في تحَلَّةٍ أصلية ، وفي تحَلَّةٍ زائدة .

٤—أَقُولُ لِلْحَيَاةِ وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ وِطَائِي وَيَوْمِي صَبِيقُ الْجَهْرِ مُعُورٌ^(٣)

من كلامِهم : « نعوذ بالله من صَفَرِ الإناء ، وَفَرَّعِ الفِناء ». وهذه الاستعارة من سُمول القحط وهلاكِ المال . ولحيان : بَطْنُ من هُذِيلٍ كان تَأْبَطَ شَرًا راغَمُهُمْ وَوَتَرَهُمْ ، فـكـانـوا يـطـلـبـونـ عـقـلـتـهـ ، حتـىـ انـفـقـ منـهـ الصـعـودـ إـلـىـ الجـبـلـ الذـىـ وـصـفـهـ لـيـشـتـارـ العـسلـ ، وـلـمـ يـكـنـ لـهـ إـلـاـ طـرـيقـ وـاحـدـ ، فـجـاءـواـ وـأـخـذـواـ عـلـيـهـ ذـلـكـ الطـرـيقـ ، فـقـالـ : أـقـولـ لـهـ ، يـعـنيـ عـنـدـ مـخـاطـبـتـهـ إـيـاهـ وـهـوـ عـلـىـ الجـبـلـ . وـقـوـلـهـ

(١) في اللسان (حول) : « ويقال للمرار بن منقذ العدو » . وروايته عند التبريزى : « أو ينسأن » .

(٢) ضبط في مضمون الميم .

(٣) الجهر ، كما وردت في النسختين بتقدیم الحاء وفتحها وهو النافية . وتفسیر المزروق يحتم هذه الرواية عنده . وفي مطبوعات المساحة : « الجهر » بتقدیم الجيم المضمة . وفي شرح التبريزى : « وذلك أن المشرفة إذا جلأت إلى جهر صبیق لا منفذ له ووصل إليها الطالب » . فتفسیره يعني روايته كذلك .

« وقد صَفِرْتْ لِهِمْ وِطَابِي » يحتمل وجوهاً : يجوز أن يكون المعنى وقد خلا قلبي من ودّهم . وبعضهم يستضعف هذا ويقول : متى كان يَوْدُهُمْ ؟ وهذا اللفظ كيف يفيد هذا المعنى . ويمكن أن يُقال في ذلك إنما أراد وِطَابَ وَدِي . وهذا قال يشر :

وإذْ صَفِرْتْ عَيَابُ الْوَدِ مِنْكُمْ ولم يَكُنْ بَيْنَا فِيهَا ذِمَامُ^(١)
كَانَهُ تَبَيَّنَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُبْقِيُونَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَرْعَوْنَ ذِمَاماً لَهُ ، فَلَا رِعَاةَ
وَلَا رِقَّةَ لِدِيهِمْ ، وَلَا بُقَيَا وَلَا مَحَافَظَةَ عَنْهُمْ ، فَصَارَ اعْتِقادُهُمْ كَمَا بَانَ لَهُ مِنْ
اعْتِقادِهِمْ فِيهِ . فَهَذَا قَالَ مَا قَالَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَشْرَفَتْ نَفْسِي ، بِسَبِيلِهِمْ
وَلِتَعْرُضِهِمْ وَهُمْ بِاِتْهَازِ الْفَرْصَةِ لِمَا أَمْكَنْتُمْ ، عَلَى الْهَلَالِكَ . وَيَكُونُ هَذَا
مِنْ قَوْلِهِ :

* لو أدرَكْنَاهُ صَفِرَ الْوِطَابُ^(٢) *

وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخَرِ^(٣) :

هَرَقْنَ سَاحُوقِي جِفَانَا كَثِيرَةَ وَادِينَ أُخْرَى مِنْ حَقِيقَتِنِ وَحَازِرِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

يَا جَفَنَةَ كَتَضَيْعِ الْخُوْضِ قَدْ كُفِيْتُ بِئْنِي صِفَيْنَ يَعْلَوْ فَوْقَهَا الْقُتَّرُ^(٤)
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِالْوِطَابِ إِلَى الْجَسْمِ ، أَيْ كَادَ تَفَارِقُهُ الرُّوحُ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ :
الْإِنْسَانُ^(٥) : زِيقٌ مَمْفُوخٌ . وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الإِشَارةُ إِلَى ظَرُوفِ الْعَسْلِ الَّتِي

(١) فِي الْمُفْضِلَاتِ (٢: ١٣٥) : « فَإِذْ صَفِرْتْ » .

(٢) لَامِرِي "الْقَيْسُ فِي دِيْوَانِهِ" ١٦٠ ، وَصَدْرُهُ :

* وَأَفْلَمْنَاهُ عَلَيْهِ جَرِيْضاً *

(٣) هُوَ سَلَمَةُ بْنُ الْخَرْشَبِ الْأَنْتَارِيُّ ، كَمَا فِي الْمُفْضِلَاتِ (١: ٣٦) وَانْظَرْ مَعْجمَ الْبَلْدَانِ (سَاحُوقِي) .

(٤) عَبَرَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ مَ ، وَهُوَ سَاقِطٌ مِنَ الْأَصْلِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « لِلْإِنْسَانِ » وَأَبْنَتْنَا مَا فِي مَ .

اشتارها^(١) لأنَّه لَا تيقنَ قَصْدَهِ لِقَتْلِهِ وَتُرْكُمْ مساحتَهِ صَبَّ العَسْلَ عَلَى الْجَبَلِ من الجانِبِ الآخِرِ وَرَكِبَهُ مُتَزَلِّقاً عَلَيْهِ، حَتَّى يَحْقِقَ بِالسَّهْلِ. قَوْلُهُ: «وَيَوْمٍ ضَيْقَ الْحَجَرِ مُعَوِّرٌ»، أَى ضَيْقَ النَّاحِيَةِ مُمْكِنٌ. وَيَقَالُ فِي الْحَجَرِ الْحَجَرَةُ أَيْضًا. وَفِي الْمَثَلِ: «يَرِبْضُ حَجَرَةً وَيَرْتَعِي وَسَطَا». وَمُعَوِّرٌ، مِنْ أَعْوَرَ لَكَ الشَّىءِ، إِذَا بَدَأْتَ لَكَ عُورَتَهُ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْخَافِفَةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَكَايَةِ عَنِ الْمَنَافِقِينَ لَمَا قَعَدُوا عَنْ نُصْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَيْوَنَنَا عَوَرَةٌ» أَى وَاهِيَّ يَحْبَسُ سُرُّهَا وَتَحْصِينُهَا بِالرَّجَالِ، وَكَا قِيلَ يَوْمَ مُعَوِّرٌ قِيلَ مَكَانُ مُعَوِّرٌ، أَى خَوْفٌ. وَيَقَالُ: عَوَرَ الْمَكَانُ إِذَا صَارَ كَذَلِكَ، وَقَرْوَى: «إِنَّ بَيْوَنَنَا عَوَرَةٌ»^(٢). وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كُلُّ مَا طَلَبْتَهُ فَأَمْكَنْتَهُ فَقَدْ أَعْوَرَكَ وَأَعْوَرَ لَكَ. وَمَعْنَى الْبَيْتِ: أَقُولُ لِهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَالْحَالُ هَذَا، وَهُوَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لِنَفْسِي طَرِيقًا إِلَى الْخَلَاصِ مِنْهُمْ أَوْ أَنِّي أَشْرَفْتُ عَلَى الْهَلاَكِ وَالْيَوْمِ يَوْمُ شَدِيدٍ عَسِيرٍ.

٥ — هُمَا خُطَّتا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ إِيمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحُرُّ أَجَدَرُ
 الْخَطَّةُ مَا خُوذَةُ مِنَ الْخَطَّ، وَهِيَ تَجْرِي مُجْرِي الْقِصَّةِ، وَإِنْ كَانَ لَهَا مَوْضِعٌ تَنْفِرِدُ بِهَا، وَحَذَفَ النُّونُ مِنْ «خُطَّتا» إِذَا رَفَعَتْ «إِمَّا إِسَارٌ» اسْتِطَالَةً لِلْأَسْمَاءِ، كَأَنَّهُ اسْتِطَالَ خُطَّتاً بِيَدِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ إِمَّا إِسَارٌ، كَمَا اسْتِطَالَ الشَّاعِرُ الْآخِرُ الْمَوْصُولُ [بِصَلْتَهُ، وَالْمَوْصُوفُ]^(٣) [بِصَفَتِهِ] فَقَالَ:
أَبْنِي كَلَيْبٍ إِنَّ عَمَّيَ اللَّذَا قَتَلَ الْمُلُوكَ وَفَكَّ الْأَغْلَالَ^(٤)

(١) كذا في م . وفي الأصل: «الذى اشتاره» . والعلل يذكر ويؤىث .

(٢) هذه قراءة ابن عباس ، وابن يعمر ، وقناة ، وأبي رجاء ، وأبي حمزة ، وابن أبي عبلة ، وأبي طالوت ، وابن مقص ، وإسماعيل بن سليمان عن ابن كثير . وقرأ الجمهور بإسكان الواو . ففيه أى حيان في (سورة الأحزاب) .

(٣) السكة من م .

(٤) البيت للأخطلل في ديوانه ٤٤ . ونسب في الفسائر للألومي ٦٨ إلى الفرزدق ، وهو خطأ . وبنو كليب هم قوم جرير . وعم الأخطلل هما: عصم بن النعan ، ودوكس بن الفدووكس .

حذف النون من اللَّدَّا . ومثله في الحذف قول الآخر^(١) :

لَمَتْنَسَانِ خَطَّاتَا كَا أَكَّ عَلَى سَاعِدِيَةِ التَّمِيزِ

حذف النون من خطّاتَا . وقول الآخر :

لَنَا أَعْزَزْ لُبْنُ ثَلَاثَ فَبَعْضُهَا لَأُولَادَهَا ثِنْتَانِيَّةِ عَزْ^(٢)

ويجوز أن يكون الحذف على وجه الحكاية ، كأنه قال : هُمَا خَطَّاتَا قَوْلِكُمْ إِمَّا
كذا وإِمَّا كذا ، فلما نَوَى ذلك حَذَفَ النونَ للإضافة . وكأنهم كانوا يُدِيرُونَهُ
على الخصلتين^(٣) ، فأخذ يَهْكِمُ عليهم ويُحَكِّي مقالَتَهُمْ ، ونحوه قولُ الخليل في
قوله : «مَمْ لَنْزِعَنَّ مِنْ كُلَّ شِيَّعَةِ أَيْهُمْ أَشَدُ عَلَى الرَّحْمَنِ عَتِيَّا»^(٤) ، قال
معناه لَنْزِعَنَّ من المتشابعين الذي يقال لَعْتُوهُ أَيْهُمْ أَشَدَّ ؛ فَحَكِي . وقوله :

* فَأَبِيتُ لَا حَرِجٌ وَلَا مَحْرُومٌ^(٥) *

وإذا جَرَّتْ «إِمَّا إِسَارِ» يكون حذف النون لنية الإضافة ، والتقدير :
هُمَا خَطَّاتَا إِسَارَ وَمِنَّةٍ . وللمعنى ليس [لى]^(٦) إلا واحدة من خَصْلَتَيْنِ اثنتين
عَلَى زُعْكِمْ^(٧) : إِمَّا استئسارٌ والترَازُمُ مِنْتَكِمْ إِنْ رَأَيْتُمُ العَفْوَ ، وَإِمَّا قَتْلٌ وَهُوَ بالحرَّ
أَجْدَرُ مِنَ التَّعَرُّضِ لِمَا يَخْزِيَهُ وَيُكَسِّبِهِ النَّلَّ . فهاتان الخصلتان هُما اللتان أشار إليهما

(١) هو أمرُ القيس . ديوانه ١٤ .

(٢) أشد هذا البيت التبريري وأبن جني كذلك ، ولم ينساه .

(٣) انظر مثل هذا التعبير فيما مضى ، ص ٤٥ س ١٨ .

(٤) كذا وردت الآية بهذا الضبط في النسختين ، وهي قراءة الجمهور ، وانفرد حزة
والكسائي ومحسن بالقراءة بكم العين والجيم والصاد في «عتيَا» و «جيَا» و «صليَا» .

انظر تفسير أبي جيان (٦: ٢٠٨) . والكلام بعد هذه الكلمة إلى «أشد» ساقط من م .

(٥) للأمثل في ديوانه ٨٤ وسيبوه (٢٥٩: ١) . وأشدده في المخصوص (٦٩: ٨ ، ١٦: ١١٠) . و مصدره :

* ولقد أبَيْتَ مِنَ الْفَتَاهِ بِنَزْلِ *

(٦) هذه من م .

(٧) الزعم : مثلث الرأي ، كما في القاوس . وتکاد النسختان تجتمعان على ضم الزاي في
كل موضع ترد فيه هذه الكلمة ، كما هنا .

بقوله ها خطتان ؛ وقد ثلثهما بخطة أخرى ذكرها فيما بعد .. وفي هذا الكلام تهمكم وهنْ . وقوله : « والقتل بالحرّ أجدر » يسمى اعترافاً لوقوعه بين ما عدده من الخصال .

٦ - وأخرى أصادى النفس عنها وإنما لمورِدُ حَزْمٍ إن فَعَلْتُ ومَصْدَر

المصاداة : إدارة الرأي في تدبير الشيء والإتيان به على أتقنه ، ومنه يقال : إنَّه لصَدَى مال ، إذا كان حَسَنَ القيام به . يقول : وهاهنا خصلة أخرى أدارى نفسى فيها ، وأداؤرها عليها ، وإنما للموضع الذى يَرِدُهُ الحزم ويصدر عنه إن فعلتُ . وهذا إنما قَسَمَ الكلام هذه الأقسام لأنَّ رَأْمَ يبنون أمرَه عليها ، ولأنَّ نظر إلى جهة الجبل فعلَمْ أنَّه إن رَضِيَ الطريق الذى عليها بنو لَهْيَانَ لنفسه طريقاً كان فيها إحدى الحالتين : من الأسر أو القتل ، على ما كانوا يزعمون ويقولون . وإن احتال للجهة الأخرى والحزن فيها ، لأنَّ خلاصه منها ، كان أَسْرًا ثالثاً . ثم اقتضى ما فعله^(١) . وقوله « وإنما لمورِدُ حَزْمٍ » اعتراف أيضاً لوقوعه بين قوله وأخرى أصادى النفس عنها ، وبين تبيين كيفية مزاولته لها وشرحها .

٧ - فَرَشْتُ لِهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَن الصَّفَا بِهِ جُوْجُوْ عَبْلُ وَمَئِنْ مُخَصَّرُ

الفَرْش : البَسْط ، ثم توسعوا فيه فقالوا : فَرَشْتُهُ أَسْرِي ، وافتَرَشَ لسانَه فتكلَّمَ كيف شاء . وقوله « لها » الضمير للخصلة التي عبر عنها بقوله « وأخرى » . يقول : فَرَشْتُ من أَجْلِ هذه الْخُلْطَةِ صَدْرِي عَلَى الصَّفَا . وهذا حين صَبَّ العسل فَزَلَقَ [به] عن الصَّفَا . أى بصدرِه صَدْرُه ضخم ومتَنْ دقيق ، والصدرُ والمتنُ صَدْرُه ومتَنُه ، ولكنَّ أَخْرَجَه مخرجَ قوْلَمْ : لَقِيتُ بِزَيْدِ الْأَسَدَ^(٢) ، وزَيْدُ هو

(١) م : « على ما فعله » .

(٢) هذا مما يسميه البلاغيون « التجريد » ، ويسمون الباء في مثل هذا باه التجريد .

الأسد عندهم . وَوَضَعَ فَرَشْتَ موضعَ الْفَقِيتَ وَوَضَعَتْ . ويقال : فَرَشْتَ سَاحِتَيْ بالآجُرِ ، وافتَّشت الشَّاة للذَّبْح إذا أضْجَعَتْهَا . وذَكْر بعضِهِمْ أَنَّهُ يجوزُ أَنْ يَكُونَ الضميرُ مِنْ « هَلَا » لِصَفَّةِ ، وَالْكَلْمَة مَقْلُوبَةٌ ، وَالْمَعْنَى فَرَشْتَهَا لِصَدْرِي . وَفِي هَذَا إِضْمَار قَبْلَ الدُّرُّ كَرْ وَالْقَلْب ، وَإِذَا كَانَ كَذَا فَالْأُولُ هُوَ الْوَجْهُ .

٨- فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لِمَ يَكْدِحَ الصَّفَا بِهِ كَدْحَةَ وَالْمَوْتُ خَزِيَانُ يَنْظُرُ

الْخَلْطُ أَصْلُهُ تَدَالُّ أَجْزَاءِ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ ، وَقَدْ توَسَّعَ فِيهِ حَقَّ قَبْلِهِ : رَجُلٌ خَلَطَ^(١) ، إِذَا اخْتَلَطَ بِالنَّاسِ كَثِيرًا . وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « لَا خَلْطٌ وَلَا وِرَاطَ » ، وَفِي الْمَثَلِ : « لِيَسْ أَوَانَ يُسْكَرُهُ الْخَلْطُ » . يَقُولُ : أَسْهَلْتُ وَلَمْ يُؤْثِرْ الصَّفَا فِي صَدْرِي أَثْرًا ، لَا خَدْشًا وَلَا حَمْشًا ، وَالْمَوْتُ كَانَ طَمِيعَ فِي ، فَلَمَّا رَأَنِي وَقَدْ تَخَلَّصْتُ بِقِيَّ مُسْتَحْيِيًّا يَنْظُرُ وَيَتَحِيرُ . وَالْوَادِي مِنْ قَوْلِهِ « وَالْمَوْتُ وَأَوْ الْحَالِ » . وَهَذَا مِنْ فَصِيحَ الْكَلَامِ ، وَمِنْ الْإِسْتِعَارَاتِ الْمُلِيقَةِ . وَقَدْ جُحِلَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ » عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى^(٢) تَحْيِرُونَ . وَقَدْ سَلَكَ أَبُو تَعَامٍ مَسْلَكَ هَذِهِ الْإِسْتِعَارَةِ قَالَ :

* إِنْ تَنْقِلِتْ وَأَنْوَفُ الْمَوْتِ رَاغِمَةً *

وَيَقُولُ إِنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَقْعُدُ عَلَيْهِ كَانَ يَنْهَا وَبَيْنَ الطَّرِيقِ الَّذِي عَلَيْهِ بَنُوا لَهُيَانُ أَمِيلٌ عِدَّةً . وَقَوْلُهُ « يَنْظُرُ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا بَعْدَ خَبَرٍ ، وَيَكُونُ مَعْنَاهُ فِي مَقَابِلَتِي . وَيَقُولُ : بِيُوْتَهُمْ تَنَانَاظِرُ ، إِذَا تَقَابَلْتُ ، لَا نَظَرٌ تَقْلِيمُ الْعَيْنِ نَحْوَ الْمَرْأَةِ وَفِي مَقَابِلَتِهِ ، لِذَلِكَ صَحَّ أَنَّ

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي الْأَصْلِ ، وَضَبَطَ فِي مِبْرِمِ الْخَاءِ وَاللَّامِ ، وَهَا لِغَانِ صَبِيعَتَانِ . وَلِغَةِ ثَالِثَةِ « خَلَطَ » بِكَسْرِ الْحَاءِ . وَشَاهِدُ الْأَخِيرِ فِي الْلَّسَانِ قَوْلُهُ :

وَأَنْتَ امْرُؤٌ خَلَطْتَ إِذَا هِيَ أَرْسَلْتَ يَعْنِيكَ شَيْئًا أَمْسَكْتَهُ شَالَكَا

(٢) مَ : « بَعْنَى » . (٣) مَ : « إِنْ تَنْقِلْ ». وَعِزَّهُ فِي الْدِيوَانِ ٩٨ :

* فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ الرَّكْنِ يَا لَبِدْ *

يقال للأعمى : نَظَرَ إِلَى ، وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى يَنْظُرُ يَعْلَمُ حُسْنَ حِيلَتِي وَغَنَانِي
فِيهَا يَدْهُنُ . وَفُسْرُ قُولُهُ تَعَالَى : « يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ » ، أَى يَعْلَمُونَ
ذَلِكَ وَيَتَّقَنُونَ . وَقُولُهُ « لَمْ يَكَدْحِ الصَّفَا » قَيْلُ السَّكَدْحِ بِالْأَسْنَانِ وَالْحَجَرِ دُونَ
السَّكَدْحِ ، وَمِنْهُ قَيْلُ السَّكَدْحِ وَالسَّكَدْحِ فِي حَمَارِ الْوَحْشِ ، لِتَعْضِيْضِ بَعْضِهَا
بَعْضًا . وَقُولُهُ « خَزْيَانُ » يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْخَزْيِ : الْهُوَانِ ، وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ
مِنَ الْخَزْيَةِ : الْاسْتِحْيَا .

٩- فَأَبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَلَمْ أَكُ آيَةً وَكَمْ مِثْلُهَا فَارْقَتُهَا وَهُنَّ تَصْفِرُ^(١)
يَقُولُ : رَجَعْتُ إِلَى قِبِيلَتِي فَهْمٌ ، وَكَدْتُ لَا أُؤْبُ ، لَأَنَّ شَافَهَتُ التَّلَفَّ .
وَيُجُوزُ أَنْ يُرِيدَ : وَلَمْ أَكُ آيَةً فِي تَقْدِيرِهِمْ وَظَنْهُمْ . وَاخْتَارَ بَعْضَهُمْ^(٢) أَنْ
يُرُوِيَ : « فَأَبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَمَا كَدْتُ آيَةً » وَقَالَ : كَذَا وَجَدْتُهُ فِي أَصْلِ
شِعْرِهِ . قَالَ : وَمِثْلُهُ فِي أَنَّهُ رَدَ إِلَى الْأَصْلِ وَوَضَعَ اسْمَ الْفَاعِلِ^(٣) مَوْضِعَ الْفَعْلِ
قُولُ الْآخَرَ :

أَكَثَرَتَ فِي الْعَذْلِ مُلْحَّا دَائِماً لَا تُسْكِنْ إِلَى عَسَيْتُ صَائِماً^(٤)
وَالْمَثَلُ السَّابِقُ : « عَسَى الْفُوَيْرُ أَبُوسَا ». وَلَا أَدْرِي لَمْ اخْتَارَ هَذِهِ الرَّوَايَةَ ؟
أَلَّا فِيهَا مَا هُوَ مَرْفُوضٌ فِي الْاسْتِعْمَالِ شَادٌ ، أَمْ لَأَنَّهُ غَلَبَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ الشَّاعِرَ
كَذَا قَالَهُ فِي الْأَصْلِ ؟ وَكَلَاهَا لَا بُوْجِبُ الْاِخْتِيَارِ . عَلَى أَنِّي قَدْ نَظَرَتُ فَوْجَدْتُ

(١) مِثْلُهَا، ضَبَطَتْ فِي الْأَصْلِ بِالْجَرْ ، وَفِي مَبْارِفِهِ . وَفِي الْحَرَاتَةِ (٤١: ٥٤) أَنَّهُ يَرْوِي
بِالْجَرْ وَالرَّفْعِ وَالنَّسْبِ . فَالْجَرْ عَلَى أَنْ كَمْ خَبِيرَةُ ، وَالنَّسْبُ عَلَى أَنَّهَا اسْتِفَاهَيْةٌ وَيَكُونُ مِثْلُهَا صَفَة
لِنَكْرَةٍ مَعْذُوفَةٍ تَقْدِيرُهُ كَمْ مَرَّةٍ مِثْلُهَا ، وَالرَّفْعُ عَلَى مَعْنَى كَمْ مَرَّةٍ وَقَعَ مِثْلُهَا .

(٢) هُوَ ابْنُ جَنِيِّ فِي التَّنْبِيَهِ عَلَى الْحَمَاسَةِ . قَالَ التَّبَرِيزِيُّ : « وَتَكَلَّمُ الْمَرْزُوقُ عَلَى الْخِيَارِ
أَبْيَ الْفَتْحِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ رَادِاً عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْصُفْهُ » .

(٣) هَذَا مَا فِي مَ . وَفِي الْأَصْلِ : « اسْمُ الْفَعْلِ » . وَالَّذِي فِي التَّنْبِيَهِ : « فَاسْتِعْمَلَ
الْاسْمُ الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ الْمَرْفُوضُ الْاسْتِعْمَالُ مَوْضِعُ الْفَعْلِ الَّذِي هُوَ فَرعُ » .

(٤) فِي الْحَرَاتَةِ (٤: ٧٩) : « نَسَبَ إِلَى رَوْقَيْهُ بْنَ الْعَبَّاجِ وَلَمْ أَجِدْهُ فِي دِيْوَانِ رَجْزِهِ » .

أبا تَمَّام قدَّغَرَ كثِيرًا من ألفاظ البيوت التي اشتملَ عليها هذا الكتاب ، ولعله لو أشرَّ الله الشُّعُراء الذين قالوها لتبعوه وسَلَّموه . ويرُوى : « ولم آلَ آبِيَا » والمعنى لم أدعْ جهْدِي آبِيَا في الإِيَاب . والأول أَحْسَنُ . وكم مِثْلُها ، أَى كم مِثْلُ هذه الْخَطَّة^(١) فارْقَتْهَا بالخروج منها ، وهى مَفْلُوْبَةٌ تَضَغُّ^(٢) وأنا الغالب . وصَفِيرُ الطَّاَئِر مَعْرُوفٌ ، ومنه ما في الدار صَافِرٌ ، أَى ذُو صَفِيرٍ .

١٢

وَقَالَ أَبُو كِيرِ المُذْلِي^(٣) :

١— وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمَغْشَمٍ جَلِّي مِنَ الْفِتْيَانِ غَيْرِ مُشَقِّلٍ^(٤)

يقال سَرَى يَسْرِى سُرَى ، وأَسْرَى إِسْرَاءً بمعنى ، وهو سَيْرُ الليل . وفي القرآن : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لِيَلَالَ ». وعلى الظلام ، أَى في الظلام موضعه نَصْبٌ على الظرف . ويقال فَعَلَتْهُ ظَلَاماً وَلَيَلَالَ فِي مَقَابِلَةِ فَعْلَتِهِ نَهَارًا . ويقولون : عَمْ ظَلَاماً وَعَمْ صَبَاحًا ، وهذا كا جعلوا في مقابلة اليوم الليلة . ويجوز أن يكون على الظلام في موضع الحال ، أَى وأنا على الظلام ، أَى راكِبُهُ . يقول : ولقد سَرَيْتُ لَيَلَالَ بِرْجُلٍ غَشُومٍ قَوِيٍّ مِنَ الرَّجَالِ غَيْرِ مَنْسُوبٍ إِلَى التَّشَقِّلِ وَالْكَسْلِ فِي الْأُمُورِ . فإنْ قَاتَلْتُ : إِذَا كَانَ السَّرَّى لَا يَكُونُ إِلَّا لَيَلَالَ

(١) وفي التنبيه : « فَأَنْتَ الْمُثْلُ حَلاً عَلَى الْمَعْنَى ، لَمَا كَانَ الْمَرَادُ بِهِ الْحَالُ وَالصُّورَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا ». .

(٢) الصَّفَاعَةُ : صوت الذَّلِيل المُفْهُور . م : « تصفر ». وانظر بيت جرجر في ص ٦٦ .

(٣) اسمه عامر (أو عوسر) بن الحليس ، وهو محضرم ذكره بعضهم في الصحابة . الشعر والشعراء بتحقيق الشيخ أَحْمَد شاكر ٦٥٢ والإمامية والخرافة (٤٦٦: ٣ - ٤٧٣: ٤ - ١٦٥ - ١٦٤) والمعنى (٣: ٥٤ - ٥٧) واللآلٰ ٣٨٧ . قال التَّسْبِيرِيُّ : « أَحْدَبِي سعد بن هذيل ». .

(٤) قصيدة هذه المقطوعة في ديوان المذلين (٢: ٨٨ - ١٠٠) .

فِيمَا قَالَ عَلَى الظَّلَامِ، وَلِمَجَاهِهِ فِي الْقُرْآنِ : «أَسْرَى بِعِبَادِهِ لَيْلًا» وَ : «فَأَسْرَى بِعِبَادِي لَيْلًا» ؟ قَلْتَ : الْمَرَادُ تَوْسُطُ اللَّيلِ وَالدُّخُولُ فِي مُعْظَمِهِ ، تَقُولُ : جَاءَ فَلَانُ الْبَارِحةَ بِلِيلٍ ، أَيْ فِي مُعْظَمِ ظُلُمَتِهِ وَتَمَكُّنِ ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ لَيَلَتِهِ . وَالْجَلْدُ : الصَّلْبُ الْقَوِيُّ ؛ وَمِنْهُ الْجَلْدُ مِنَ الْأَرْضِ . وَإِنَّمَا قَالَ «مِغْشِمٌ» لِأَنَّهُ جَعَلَهُ كَالآلَةِ فِي الْغَشْمِ ، وَمِفْعَلُ بَنَاءِهِ هَذَا الْمَعْنَى ، وَيُرِيدُ بِهِ تَأْبِطَ شَرًّا . وَكَانَ لَأْبِي كَبِيرٍ مَعَهُ قِصَّةٌ مَعْرُوفَةٌ^(١) ، وَالْأَيَّاتُ مَقْصُورَةٌ عَلَيْهَا ، وَنَاطِقَةٌ بِهَا أَوْ بِأَكْثَرِهَا . وَالْغَشْمُ وَالْاعْتِسَافُ يَتَقَارَبَانِ . وَيَقُولُ غَشْمُ الْوَالِي رَعَيَّتْهُ غَشْمًا . وَفِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ : «أَسَدُ حَطُومٍ خَيْرٌ مِنْ سُلْطَانِ غَشْوُمٍ» . وَيُحُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى «غَيْرٌ مُتَقَلِّلٌ» أَيْ كَانَ حَسَنَ الْقَبْوِلِ ، مُحِبَّاً إِلَى الْقَلْوبِ .

٣ - مَمْنُ حَمَانَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدٌ حُبُكَ النُّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرٌ مُهَبِّلٌ

قُولُهُ : «وَهُنَّ عَوَاقِدُ حُبُكَ» حَكَايَةُ الْحَالِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِيمَا مَضِيَ . وَمُثْلُهُ قُولُهُ تَعَالَى : «وَكَبَّهُمْ بَاسِطُ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ» . وَيُرُوَى : «مَمْنُ حَمَانَ بِهِ» أَيْ هُوَ مِنَ الْحَمْلِ الَّذِي تَحْمَلَ بِهِ . وَالضَّمِيرُ فِي حَمَانَ لِلنِّسَاءِ وَلَمْ يَجْبَرْ لَهُنَّ ذَكْرُهُ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الْمَرَادُ مَفْهُومًا جَازَ إِضْمَارُهَا . وَيُرُوَى : «مَمْنُ حَمَانَ بِهِ» ، وَالْمَعْنَى : هَذَا الْفَتَى مِنَ الْفَتَيَانِ الَّذِينَ حَمَلَتْ أُمَّهُمْ بِهِمْ وَهُنَّ غَيْرُ مُسْتَعْدَاتٍ لِلْفِرَاشِ وَلَا وَاضِعَاتٍ ثِيَابَ الْحَفْلَةِ^(٢) فَقَسَّا مَحْمُودًا مَرْضِيًّا ، لَمْ يُدْعُ عَلَيْهِ بِالْهَبَلِ

(١) كَانَ أَبُوكَبِيرَ قَدْ تَزَوَّجَ أَمْ تَأْبَطَ شَرًّا ، وَكَانَ تَأْبَطَ شَرًّا بِيَدِ الْكَرَاهَةِ لِأَبِي كَبِيرٍ وَبِرَبِّابِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ ، فَلَمَّا كَبَرَ وَتَرَعَّرَ خَشِيَ أَبُوكَبِيرَ بِأَسْهِ فَاحْتَالَ لِيَقْتَلَهُ وَخَرَجَ بِهِ فِي غَزْوَةٍ وَدُفِعَ بِهِ إِلَى بَعْضِ الْأَعْدَاءِ وَلَكِنَّهُ تَمَكَّنَ مِنَ الْفَتْكِ بِهِمْ ، ثُمَّ حَاوَلَ أَبُوكَبِيرَ أَنْ يَقْتَلَهُ فِي نُومِهِ فَكَانَ يَخْبِرُهُ بِأَنَّ يَرِي بِحَصَّةِ إِلَيْهِ قِيمَتِهِ مِنْ نُومِهِ سَرِيعًا ، فَفَسَلَ ذَلِكَ مَرَارًا إِلَى أَنْ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَعْكِنَ اغْتِرَارَهُ فِي نُومِهِ ، وَكَفَ عنْ عَزْمِهِ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ مَا قَالَ . اتَّهَى مَلْعُونًا مِنَ التَّبَرِيزِيِّ .

(٢) الْحَفْلَةُ : الْاحْتِفالُ وَالْجَدُ ، يَقَالُ رَجُلٌ ذُو حَفْلَةٍ إِذَا كَانَ مِبَالَةً فِي أَخْذِ فِيهِ ، وَأَخْذَ لِلْأَمْرِ حَفْلَتَهُ إِذَا جَدَ فِيهِ . يَقُولُ : غَيْرُ مُبَدِّلَاتِ مَقْيَاتِ ثِيَابِهِنَّ .

والشكل^(١) . وإنما قيل : مِنْ حَمْلَنَ بِهِ ، لأنَّه رَدَ الضَّمِيرَ عَلَى لَفْظِهِ مَنْ ، ولو رَدَ عَلَى الْمُعْنَى لَقَالَ بِهِمْ . وفي القرآن في موضع : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكُ » ، وفي آخر : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكُ » . وحُكِي عن بعضهم : إذا أردتَ أن تُنْجِبَ الْمَرْأَةَ فَاغْضِبْهَا عِنْدَ الْجَمَاعِ . وأنشدَ :

تَسْنَمُهَا غَضْبِي فَجَاءَ مُسْهَدًا وَأَنْفَعَ أُولَادِ الرَّجَالِ الْمُسْهَدِ
وَكَذَلِكَ يَقَالُ فِي وَلَدِ الْمَذْعُورَةِ : إِنَّه لَا يُطَاقُ . وَالْحَبَّكُ : الْطَّرَائِقُ . وَالنَّطَاقُ :
مَا تَشَدُّ^(٢) الْمَرْأَةُ فِي حَمْوِهَا . والرواية : « حُبُكَ التَّيَابُ » ، لأنَّ النَّطَاقَ قد جاءَ
مِنْ بَعْدِ فِي صِفَةِ أُمِّ الْمُغْشِمِ فَتَكَرَّرَ ، وَلأنَّ النَّطَاقَ لَا يَكُونُ لَهُ حُبُكُ وَطَرَائِقُ .
وَوَاحِدُ الْحَبَّكِ حَبَّيْكِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْحَبَّكِ » . وَقَالَ
الْبَاهِيَّ : الْحَبَّكَهُ وَالْحَبَّكَ : الْإِزَارُ أَيْضًا . وَقَدْ احْتَبَكَتِ الْمَرْأَةُ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ
أَنَّ الْمُهَبَّلَ : الْمَعْتُوهُ الَّذِي لَا يَتَاسِكُ^(٣) فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَكَانَهُ مِنَ الْإِسْرَاعِ ،
يَقَالُ جَمَلُ هَبِيلٌ^(٤) .

٣ - وَمِبْرَأً مِنْ كُلِّ غَيْرِ حِيْضَةٍ وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءِ مُعْضِلٍ^(٥)
غَيْرُ الْحِيْضِ وَغَيْرُهُ : بَاقِيَهُ قَبْلِ الطَّهُورِ . وَكَذَلِكَ غَيْرُ الْلَّبَنِ : باقيهُ فِي الضرعِ .
وَتَزَوَّجُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِأَسْرَأٍ^(٦) مُسِنَّةٍ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : « لَعَلَّيُّ
أَتَبَرُّ مِنْهَا وَلَدًا » . وَالْحِيْضَةُ وَالْحِيْضُونُ وَاحِدٌ . وَالْفُبُرُ يَكُونُ جَمْعًا غَيْرِ أَيْضًا . وَلَمْ
يَرْضَ بِالْفُبُرِ التَّبَرَةَ حَتَّى أَنْ يَلْفَظَ الْكُلُّ مَعَهُ تَأْكِيدًا ، كَانَهُ فَقِيلُ ذَلِكَ

(١) كذا ضبط في م . وضبط في الأصل بالضم ، وما لفتنان .

(٢) م : « مَا تَشَدَّهُ » . (٣) م : « يَتَمْسِكُ » .

(٤) كذا ضبط في الأصلين . ويقال أيضًا : هيل بكسر الهاء وفتح الباء .

(٥) حِيْضَةٌ ، يُكْسِرُ الْجَاءُ فِي التَّسْخِينِ فِي مَنْ الْبَيْتِ وَشَرْحِهِ ، وَفِي الْلَّسَانِ أَنَّهُ الْأَسْمَاءُ
مِنَ الْمَيْشِ ، وَأَمَا الْحِيْضَةُ بِالْفُتْحِ فَأَسْمَ الْمَرْأَةِ مِنْهُ .

(٦) م : « امْرَأَةً » .

وكثيرة . وأضاف الفساد إلى المرضعة لأنَّه أرادَ الفسادَ الذي يكونُ من قبَلِها .
وممَّ يُضيِّفونَ الشيءَ إلى الشيءِ لأدْنى مُناسبَةٍ . ويرى « مِرْأً » بالنصبِ والجزءِ ،
إِذَا نصبتُهُ فإِنَّه ينْعَطِفُ عَلَى « غَيْرِ مُهْبَلٍ » ، كأنَّه قالَ : شَبَّ فِي هاتَينِ الْحَالَتَيْنِ .
وإِذَا جَرَّتْهُ ينْعَطِفُ عَلَى قَوْلِهِ « جَلَّهُ مِنَ الْفَتَيَانِ » كأنَّه بِعِنْشَمِ جَلَّهُ وَمِرْأَهُ .
والمعنى أنَّ الْأُمَّ حَمَلَتْ بِهِ وَهِي طَاهِرَةٌ لِّيُسْ بِهَا بِقِيَّةُ حَيْضٍ ، وَوَضْعَتْهُ وَلَا دَاءَ بِهِ
استَصْحَبَهُ مِنْ بَطْنِهَا فَلَا يَقْبَلُ عِلاجًا ، لِأَنَّ دَاءَ الْبَطْنِ لَا يَفَارِقُ . وَلَمْ تُرْضِعْهُ
أُمَّهُ غَيْلًا ، وَهِي أَنْ تَسْقِيَهُ وَهِي حُلْبَى بَعْدِ ذَلِكَ . وَيُرَوَى عَنْ أُمَّ تَابَطَ شَرَّاً
قَالَتْ : « مَا وَضَعْتُهُ يَئْتَنَا ، وَلَا أَرْضَعْتُهُ غَيْلًا ، وَلَا أَبْتَهُ مَيْقَانًا ، وَلَا رَأَيْتُ بِنَفْسِي
دَمًا . وَلَقَدْ حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَظْلَمةً وَتَحْتَ رَأْسِي سَرْجٌ ، وَعَلَى أَبْيَهِ دِرْزَعٌ » .
وَإِنَّمَا تَرِيدُ بِهِذَا الْكَلَامِ الْآخِرَ^(١) مَا تَقُولُ الْعَرَبُ مِنْ أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَكَرَهَتْ
عَلَى الْوَطَءِ ، أَوْ وُطِّئَتْ وَهِي مَذْعُورَةً ، أَنْجَبَتْ وَأَذْكَرَتْ . الدَّاءُ الْمُغَضِّلُ : الَّذِي
لَا دَوَاءَ لَهُ كَانَه أَعْضَلُ الْأَطْبَاءِ وَأَعْيَاهُ ، وَأَصْلَعَ الْعَضْلَ لِلنَّعْ ، وَمِنْهُ عَضَّلَتِ الْمَرْأَةُ
إِذَا نَسِبَ وَلَدُهَا فِي بَطْنِهَا فَلِمَ يَخْرُجُ . وَعَضَّلَتِهَا وَعَضَّلَتِهَا : مُنْعِتَهَا التَّزوِيجُ ظَلْمًا .

٤ - حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزَوْدَةً كَرْهًا وَعَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلْ

الْأَدَدُ^(٢) : الْدُّعْرُ ، وَقَدْ زُنِدَ فَهُوَ مَزْوُدٌ . وَالْمَعْنَى حَلَتِ الْأُمُّ بِهِذَا الْمَعْنَمِ . وَيُرَوَى
« مَزَوْدَةً » بِالنصبِ عَلَى الْحَالِ لِلْمَرْأَةِ ؛ وَيُرَوَى « مَزَوْدَةً » بِالْجَرْ ، وَيُحْمَلُ فِيهِ
وَجْهَانَ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَجْعَلَهُ صَفَةً لِلَّيْلَةِ ، كَانَهُ لَمَّا وَقَعَ الزُّوْدُ وَالْدُّعْرُ فِيهَا جَعَلَهُ
لَهَا ، وَالْأَكْثَرُ فِي الْجَازِ وَالْأَسَاعَ أَنْ يُنْسَبَ الْفَعْلُ إِلَى الْوَقْتِ فَيُؤْتَى بِهِ عَلَى أَنَّهُ
فَاعِلٌ ، كَمَا قِيلَ : نَهَارُهُ صَائِمٌ ، وَلِيَلَهُ قَائِمٌ . وَحَسْنُ هَذَا لِأَنَّ الظَّرْفَ قَدْ يَقْدِرُ

(١) م : « الْآخِرُ » .

(٢) يقال زَادُ بالفتحِ والتحريكِ ، وزَوْدُ بالضمِّ ، وزَوْدُ كسرُورٍ .

تقدير المفعول الصحيح ، بأن يُنزع منه معنى في ، كما قال الشاعر :

* ويَوْمَ شَهِدَنَا هُنَّا سَلِيماً *^(١)

فعلى ذلك تقول شهادت الليلة ، وزينت الليلة ، وليلة مشهودة ومشهودة .
ويجوز أن يكون أجراره على الجوار ، وهو في الحقيقة للمرأة ، كما قيل : هذا
جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ . وهذا لم يلهم إلى التأمل على الأقرب ، ولا مِنْهُم الالتباس .
وانتصاب « كَرْهًا » على أنه مصدر في موضع الحال ، والتقدير كارهة . ومعنى
البيت بما تقدم ظاهر . وقوله : « عَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُخْلَلُ » ، ابتداء وخبره ، والواو
للحال . وأظهر التضعيف في قوله لم يُخلَل ، وهو لغة تميم ، ووجه الكلام لم يُحلَّ .
والنطاق : ما تَنْتَطِقُ به المرأة : تشدُّ به وسَطَها للعمل . قال الأصمي : كنَّ
في القديم ينتظرن بخيط أو تككة . وذات النطاقين : أسماء بنت أبي بكر رضي الله
عنها . والمنطقة أخذت من هذا . والمعنى أكرهت ولم تحُلْ نطاقها . وحُكى عنها
في وصف ابنتها قالت فيه : « إِنَّهُ شَيْطَانٌ ، مَارَأَيْتُهُ قَطُّ مُسْتَقْلًا وَلَا حَكَّا
وَلَا هُمْ بَشَّيْرٌ مِنْذُ كَانَ صَبِيًّا إِلَّا فَعَلَهُ ، وَلَقَدْ حَلَّتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ وَإِنَّ
نطاق لمشدود ^(٢) » .

٥ - فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مُبَطَّنًا شُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوْجَلِ

حُوشُ الْفُؤَادِ وَحُوشِيُّ الْفُؤَادِ : وَحَشِيشَةُ ، لَحْدَتْهُ وَتَوَقَّدَهُ . وَرَجُلُ حُوشِيُّ :
لَا يُخَالِطُ النَّاسَ . وَلَيْلُ حُوشِيُّ : مَظْلَمٌ هَائِلٌ ، وَكَذَلِكَ إِبْلُ حُوشُ وَحُوشِيَّةُ
أَيُّ وَحْشِيشَةُ . وهذا كما يقال : لَيْلٌ سُخَامٌ وَسُخَامٌ : أَسْوَدٌ . وَقَيْلٌ : الْحُوشُ :

(١) كلة « سليماً » ليست في م . والبيت بـ « ما » كما في سيبويه (٩٠ : ١) . والكامل ٢١ ليك :

وَيَوْمَ شَهِدَنَا سَلِيماً وَعَامِرًا قَلِيلٌ سُوَى الطَّفْنِ التَّهَالِ نَوَافِلِهِ
وَرَوَايَةُ الْمَبْرَدِ وَابْنِ جَنِيٍّ : « وَيَوْمًا » .

(٢) كذا في م والطبريزى . وفي الأصل : « مشدود » .

بلاد الجن . مبطنا : خيص البطن^(١) . وقوله « نَامَ لِيلَ الْمُوْجَلَ » ، جمل الفعل لـليل ، لوقوعه فيه . وللمعنى نام الموجل في ليه . والموجل : التقليل الكشلان ذو الغفلة . يقول : أتت الْأُمُّ بـهذا الولد متيقظاً حذراً ، حديد الفواد ذـكـيـاً ، يـسـهـرـاـ . إذا نـامـ التـقـيلـ الـبـالـيدـ . والـسـهـادـ والـسـهـدـ^(٢) : السـهـرـ . ورـجـلـ سـهـدـ وـسـهـدـ . ويـقـولـونـ الـمـلـدـوـغـ : سـهـدـوـهـ لـاـ يـسـرـ فـيـهـ السـمـ . وـقـيلـ المـوـجـلـ : الـأـحـقـ لـاـ مـسـكـةـ بـهـ . قـالـواـ : وـبـهـ سـمـيـ الـفـلـاـةـ لـاـ أـعـلـامـ بـهـاـ وـلـاـ يـهـتـدـىـ فـيـهـاـ : الـمـوـجـلـ .

٦- وإذا نـبـذـتـ لـهـ الـحـصـاءـ رـأـيـتـهـ فـزـعـاـ لـوـقـعـتـهـ طـمـورـ الـأـخـيـلـ^(٣)
يـقـالـ : نـبـذـتـ الشـيـءـ مـنـ يـدـيـ ، إـذـاـ طـرـحـتـهـ ، وـتـوـسـعـوـاـ فـيـهـ فـقـيلـ صـبـيـ
منـبـذـ ، وـنـبـذـتـ فـلـانـاـ ، إـذـاـ فـارـقـتـهـ عـنـ قـلـيـ . وـالـحـصـيـ : صـغـارـ الـحـجاـرـ^(٤) .
وـالـشـاعـرـ إـنـاـ يـحـكـيـ مـاـ رـأـاهـ مـنـهـ ؛ وـذـلـكـ أـنـ أـبـاـ كـبـيرـ ذـكـرـ أـنـ كـانـ أـرـادـ أـنـ يـفـتـالـهـ ،
وـكـانـ يـطـلـبـ مـنـهـ فـرـصـةـ يـتـهـزـهـاـ فـيـ نـوـمـهـ أـوـ غـفـلـتـهـ مـعـ أـنـهـ كـانـ لـاـ يـحـتـرـمـ عـلـيـهـ ،
فـكـانـ يـرـوزـ أـحـوـالـهـ لـيـتـمـكـنـ مـنـ مـرـادـهـ فـيـهـ . وـالـمـعـنـىـ إـذـاـ رـمـيـتـهـ بـحـصـاءـ وـهـ نـاـمـ
وـجـدـتـهـ يـنـتـبـهـ اـنـتـبـاهـ مـنـ سـمـيـ بـوـقـعـتـهـ هـدـهـ عـظـيمـةـ ، فـيـطـمـرـ طـمـورـ الـأـخـيـلـ ،
وـهـ الشـقـرـاقـ . وـاـنـتـصـابـ «ـ طـمـورـ »ـ بـمـاـ دـلـلـ عـلـيـهـ قـوـلـهـ «ـ فـزـعـاـ لـوـقـعـتـهـ »ـ ، كـانـهـ
[ـ رـأـيـتـهـ^(٥)]ـ يـطـمـرـ طـمـورـهـ ؛ لـأـنـ الـخـائـفـ الـمـتـيقـظـ يـفـعـلـ ذـلـكـ . وـالـطـمـورـ : الـوـثـبـ ؟
وـمـنـهـ قـيلـ فـرـسـ طـمـرـ ، أـىـ وـثـابـ . وـذـكـرـ أـبـوـالـعـبـاسـ أـنـ الـطـمـرـ فـيـ وـصـفـ الـفـرسـ

(١) ابن جنی : « قوله مبطنا من ألفاظ الساب لا الإثبات . وأصل هذه الأحرف وهي بطن أن تجئ لإثبات البطن ، كالبطن والبطين والمعطن ونحو ذلك . وبطن هنا أى خيص البطن ، فهو من سلب ذلك المعنى لا إثباته » .

(٢) ويقال سهد بالضم ، وسهاد كذلك .

(٣) رواه التبریزی : « يـزوـ لـوـقـعـتـهـ » ، ثـمـ نـبـهـ فـيـ الشـرـحـ عـلـيـ روـاـيـةـ : «ـ فـزـعـاـ
لـوـقـعـتـهـ »ـ .

(٤) مـ : « ضـعـافـ الـحـجاـرـ » . (٥) هـذـهـ مـنـ مـ ،

هو المُشَرِّف ، ومنه قيل للموضع العالى : طَقَارٍ . وفِرْعَا انتصابه على الحال ، وجواب إذا قوله رأيته . وقال بعضهم : الأَخْيَل : الشاهين . ومنه قيل تخَيَّلَ الرَّجُل ، إذا جَنِّبَ عند القتال فلم يَتَنَبَّتْ . والتخَيَّل : المُضِّيُّ والشُّرُّعَةُ والتَّلُونُ .

٧ - وإذا يَهُبُّ من المَنَامِ رَأَيْتَهُ كَرْتُوبٌ كَعْبُ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمَّلٍ

أَصْلُ هَبَّ تَحْرَكٌ وَاضطرب ، ثُمَّ قيل هَبَّ مِن نَوْمِه هَبَّا^(١) ، وهَبَتِ الرِّيحُ هُبُو بَا ، وهَبَتِ النَّاقَةُ فِي سِيرِهَا هِبَابَا ، وهَبَّ التَّيْسُ هَبِيبَا . وأَهْبَبَتُ السَّيْفَ هَرَزْتُهُ . يقول : إذا استيقظَ هذا الرَّجُلُ مِنْ نَمَامِه انتصبَ فِي مَضْجُعِه سَرِيعًا كَانَتِصَابَ كَعْبِ السَّاقِ فِي السَّاقِ ، وَهُوَ لَيْسَ بِضَعِيفٍ . وَإِنَّمَا يَعْنِي شَهَادَتَهُ وَتَشْهُدَهُ فِي تَلْكَ الْحَالَةِ . وَكَعْبُ السَّاقِ مُنْتَصِبٌ أَبْدَأَ فِي مَوْضِعِه ، فَلَذِكَ شَبَهَهُ بِهِ . وَالرَّاتِبُ : الْقَائِمُ ، وَمِنْهُ الْمَرَاتِبُ . وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ : إِذَا يَهُبُّ رَأَيْتَ رُتُوبَهُ كَرْتُوبٌ كَعْبُ السَّاقِ ، لَكِنَّهُ حَذْفُ الْمَضَافِ وَأَقْامُ الْمَضَافِ إِلَيْهِ مَقَامُهُ . وَهَذَا التَّشْبِيهُ يَجْرِي مَجْرِي التَّصْوِيرِ . وَالزُّمَّلُ وَالرَّثْمَالُ وَالزُّمَّيْلَةُ ، كُلُّهُ ضَعِيفٌ ، وَاشْتِفَاقُهُ مِنَ التَّلَفُّ كَانَهُ مَتَسَاقِطٌ لَا مُنْشَمِّرٌ مُتَجَرَّدٌ .

٨ - مَا إِنْ يَمْسِي الْأَرْضَ إِلَّا جَانِبُهُ مِنْهُ وَحْرَفُ السَّاقِ طَىَ الْمِحْمَلِ

إِنْ ، زَيْدٌ لَتُوكِيدُ النَّفْقَ ، وَيُبْطَلُ عَمَلُ « ما » بِانْضَامِهِ إِلَيْهِ فِي لَغَةِ مِنْ يُعْمِلُهُ . وَانتَصَبَ طَىَ عَلَىِ الْمَصْدَرِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ ، لَأَنَّهُ لَمَا قَالَ ، مَا يَمْسِي الْأَرْضَ مِنْهُ إِذَا نَامَ إِلَّا جَانِبُهُ وَحْرَفُ السَّاقِ ، عُلِّمَ مِنْهُ أَنَّ الرَّجُلَ مَطْوِيًّا غَيْرَ سَمِينٍ ، وَهَضِيمُ الْكَشْحَ غَيْرَ ثَقِيلٍ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ إِذَا نَامَ لَا يَتَبَسَّطُ^(٢) عَلَىِ الْأَرْضِ وَلَا يَتَمَكَّنُ مِنْهَا بِأَعْصَانِهِ كَلَاهَا ، فَقُلْ مِنْ يُرْخِيهِ نَوْمُهُ وَيَتَمَكَّنُ مِنْهُ ، حَتَّى لا يَكَادُ يَتَجَمَّعُ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وإنما لها من م .

(٢) م : « يتبسط » .

ويتشرّق عند الانتباه إلا بعد مزاولة وتهيئه يُفعّله في كلّ عضو . وهذا من أبيات كتاب سيبويه^(١) . واحتتج به بقوله « طيَّ المَحْمَلِ » . وأراد بالمحمل حائل السيف ، وهذا كما يقال : هو كالجدل ، وكالزمام . والمَحْمَلُ والحملة بمعنى .

٩ - وإِذَا رَأَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهُوِي غَوَارِبَهَا هُوِيَ الْأَجْدَلِ

قال الخليل : الفج : الطريق الواسع في قَبْلٍ^(٢) جَبَلٍ وَنَحْوِهِ ، والجمع^(٣) الفِجَاجُ . وغارب كل شىء : أعلى ، ومنه غارب البعير . والشاعر يمحى في هذا أيضاً عنه ما رأاه منه عند استصحابه له ، فيقول : إذا وجهته في طرق الجبل^(٤) رأيته يقصد عاليها قصد الصقر . والهوي^(٥) بضم الهاء ، هو القصد إلى أعلى ، وبفتح الهاء القصد إلى أسفل . على ذلك قوله :

* هَوِيَ الدَّلُو أَسْمَهُ الرَّشَادُ *

ولا تختُر في رواية البيت على الضم . وأنشد فيه قوله^(٦) :

كَانَ هُوِيَهَا خَفَقَانُ رَجِحٍ خَرِيقٌ بَيْنَ أَعْلَامِ طِوالٍ

ويروى : « مخاريها ». والخارم^(٧) : جمع المخرم^(٨) : وهو منقطع أنف الجبل .

وأنخرم^(٩) : أنف الجبل ، وجمعه خروم^(١٠) . ومن فصيح كلامهم^(١١) : « هذه يمين طلت

(١) كتاب سيبويه (١٨٠ : ١) .

(٢) ضبط في الأصل والisan بضمتين ، وليس بـهـ . وقد ضبط في م بالتعريف . والقبل ، بالتعريف : سفح الجبل . وفي اللسان : « يقال انزل قبل هذا الجبل ، أى يدفعه ». (٣) م : « الجبال » .

(٤) الدلو ، تذكر وتؤثر . ويروى : « أسلمهَا » . والبيت لزهير في ديوانه

٦٧ . وصدره :

* فشج بها الأماuz وهي تهوي *

(٥) هنا ما في م . وفي الأصل : « وأنشد قوله فيه » .

(٦) للأعلم المهندي . اللسان (خرق) .

فِي الْخَارِمِ» ، وَهِيَ الَّتِي تَجْعَلُ لِصَاحِبِهَا مِنْهَا مَحْرَجاً . وَالْأَجْدَلُ ، مِنْ جَذْلِ الْأَخْلَاقِ .

١٠ - وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسِرَّةٍ وَجْهِهِ بَرَقٌ الْعَارِضُ التَّهَلِّلُ
الخطوطُ الَّتِي فِي الْجَهَةِ الْأَغْلَبُ عَلَيْهَا سِرَارٌ وَيُجْمَعُ عَلَى الْأَسِرَّةِ ، وَالَّتِي
فِي الْكَفِ الْأَغْلَبُ عَلَيْهَا سِرَرٌ وَسِرَرٌ وَيُجْمَعُ عَلَى الْأَسِرَّاَرِ . قَالَ :
أَنْظُرْ إِلَى كَفِّ أَسِرَّاهَا هَلْ أَنْتَ إِنْ أَوْعَدْتَنِي ضَائِرِي^(١)
وَقَدْ قِيلَ : الْأَسِرَّةُ : الْطَرَائقُ . يَقُولُ : إِذَا نَظَرْتَ فِي وَجْهِ هَذَا الرَّجُلِ رَأَيْتَ
أَسَارِيرَ وَجْهِهِ تَبَرُّقٌ وَتُشْرِقَ السَّحَابُ الْمُتَشَقّقُ بِالْبَرْقِ . يَصِفُهُ بِحُسْنِ
الْبِشْرِ وَتَطَلُّقِ الْوَجْهِ فِي^(٢) كُلَّ حَالٍ . وَالْعَارِضُ : مَا يُعْرَضُ فِي جَانِبِ مِنَ السَّمَاءِ
مِنَ السَّحَابِ . وَعَلَى ذَلِكَ الْعَارِضُ فِي الْأَسْنَانِ ، وَهَذَا قِيلُ الْعَارِضَانِ لِمَا يَبْدُو مِنْ
جَانِبِهَا . وَيَقُولُ : تَهَلَّلُ الرَّجُلُ فَرَحَّاً ، وَاهْتَلَّ ، إِذَا افْتَرَّ عَنْ أَسْنَانِهِ فِي التَّبَشْمِ .

١٣

قَالَ آخَرُ ، وَيَقُولُ إِنَّهَا تَأْبٍطُ شَرًا^(٣) :

١ - إِنَّ لَمَهْدِيَ مِنْ ثَنَاءِ فَقَاصِدٍ بِهِ لَابْنِ عَمِ الصَّدِيقِ شَمْسِ بْنِ مَالِكٍ^(٤)
لَا يُقَالُ فِي الْمَدِيَةِ إِلَّا أَهْدِيَتُ . وَيُقَالُ فِي الْعَرَوْسِ : هَدَيْتُهَا وَأَهْدَيْتُهَا

(١) الْبَيْتُ الْلَّاْعِشِيُّ فِي دِيْوَانِهِ ١٠٧ وَاللَّاسَانُ (سِرَرٌ) . وَعِنْزَهُ لِمِرْوَفِ مٍ . وَهُوَ فِي الْأَصْلِ : «ضَانُرٌ» بِالْزَوْيِ الْمَرْفُوعِ ، وَهُوَ خَطَأٌ .

(٢) الْكَلَامُ بَعْدَهُ إِلَى نَهَايَةِ شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ سَاقِطٌ مِنْ مٍ .

(٣) عَنْدَ التَّبَرِيزِيِّ : «وَقَالَ تَأْبٍطُ شَرًا» . وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجِمَةُ تَأْبٍطُ شَرًا فِي الْمَقْطُوْعَةِ ١١ . وَعِبَارَةُ الإِثْنَادِ هَذِهِ وَمَا بَعْدُهَا مِنَ الْبَيْنِيْنِ الْأَوَّلِيْنِ وَشَرْحَهُمَا سَاقِطٌ مِنْ مٍ .

(٤) شَمْسٌ ، بِفتحِ الشِّينِ هِيَ الرَّوَايَةُ الَّتِي اعْتَدَهَا الْمَرْزُوقُ . وَسِيَّانِي تَذَكِّرُهُ عَلَى رَوَايَةِ ضِمِ الشِّينِ .

جيئاً . والأصل واحد ، لأنَّ المعنى على القَصْدِ والدَّلَالَةِ ، فيقول : إنَّ أَمْدَحْ
ابنَ عَمِّ الْكَرِيمَ الصَّادِقَ فِي الْوَدِ شَمْسَ بْنَ مَالِكَ ، بِمَا أَفْصَدَ بِهِ رَاغِبًا ، وَأَنْفَدَهُ
إِلَيْهِ مُتَجَهِّفًا . ولِمَعْنَى : إِنِّي فِي غَيْبِي مِنْهُ وَحْضُورِي لَهُ ، مَوْلَعٌ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ،
فَلَا أَخْلِيَهُ مِنَ الْمَدْحِ فِي الْحَالَتَيْنِ جَيْئاً . وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ : « لَابْنِ عَمِّ الصَّادِقِ »
يُجَوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ مُهَمَّدٌ ، يَقَالُ : أَهَدَيْتُ لَهُ كَذَا ، وَعَلَى هَذَا تَكُونُ أَعْمَلَتَ الْفِعْلَ
الْأُولَى ، وَمَا أَهْدَاهُ يَكُونُ مَذْوَفًا لِعِلْمِ السَّامِعِ بِأَنَّهُ يُرِيدُ شِعْرَةً وَتَقْرِيظَةً .
وَكَانَ الْأَجَوْدُ أَنْ يَقَالُ فَقَاصِدٌ إِيَّاهُ بِهِ ، وَيُجَوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى قَوْلِ مِنْ
يَزِيدَ « مِنْ » فِي الْوَاجِبِ^(١) أَنْ يَكُونَ قَوْلَهُ ثَنَائِي مَفْعُولٌ مُهَمَّدٌ ، فَيَكُونُ أَهْدَاهُ
مَذْكُورًا . وَيُجَوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ الْلَّامُ بِقَوْلِهِ فَقَاصِدٌ ، يَقَالُ فَقَاصِدُهُ بِكَذَا وَقَاصِدُهُ
لَهُ بِهِ . وَعَلَى هَذَا تَكُونُ قَدْ أَعْمَلَتَ الْفِعْلَ الثَّانِي ، وَهُوَ الْخَتَارُ إِذَا جَمَعْتُ بَيْنَ
فَعْلَيْنِ عَنْدَ أَحْصَابِنَا الْبَصَرَيْنِ ، وَيُقَالُ هَذَا ثُوبٌ صِدْقٌ وَأَخْوَصِدْقٌ ، وَضِيع
الصِّدْقُ مَوْضِعُ الْفَضْلِ وَالصَّلَاحِ . وَالْقَسْمِيَّةُ بِالشَّمْسِ كَالْقَسْمِيَّةِ بِالْبَدْرِ وَالْمَلَلِ .
وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَأْخِرِينَ^(٢) أَنَّهُ يَرَوِي « شَمْسَ بْنَ مَالِكَ » بِضمِّ الشِّينِ ، قَالَ :
وَيَكُونُ هَذَا فِي أَنَّهُ عَلَمَ هَذَا الرَّجُلُ فَقَطُّ ، كَجَبَرٍ فِي أَنَّهُ عَلَمَ أَبِي أُوسَ الشَّاعِرَ ،
وَأَبِي سُلَيْمَى فِي أَنَّهُ عَلَمَ أَبِي زَهِيرَ الشَّاعِرَ . وَالْأَعْلَامُ لَامْضَايَةٍ فِيهَا .

(١) الأَكْثَرُ فِي « مِنْ » أَنْ تَكُونُ زِيَادَتُهَا بَعْدَ النَّفِيِّ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « مَا جَاءَنَا
مِنْ بَشِيرٍ » . وَفِي التَّنْبِيَّةِ لِابْنِ جَنِيِّ : « وَسَبِيلُهُ لَا يَرِي زِيَادَةً مِنْ فِي الْوَاجِبِ وَأَبُو الْحَسْنِ يَرَاهُ
وَيَعْلَمُ عَنِ الْعَرَبِ فِي تَصْعِيْحِهِ قَوْلُهُ : قَدْ كَانَ مِنْ مَطْرٍ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ حَدِيثٍ شَغَلَ عَنِي ، أَيْ كَانَ
مَطْرٌ وَكَانَ حَدِيثٌ » .

(٢) يَعْنِي بِنَلِكَ ابْنَ جَنِيِّ . وَنَصِّهُ فِي التَّنْبِيَّةِ : « وَمِنْ رَوَاهُ شَمْسُ بِضْمِ الشِّينِ فَيَحْتَلُّ أَنْ
يَكُونَ جَمِيعُ شَمْوَسٍ سَمِّيَّ بِهِ ، مِنْهُ قَوْلُ الْأَخْتِلِ :

شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يَسْتَقَدَ لَهُمْ وَأَعْلَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
وَيُجَوزُ أَنْ يَكُونَ ضَمُّ الشِّينِ عَلَى وَجْهِ تَقْبِيرِ الْأَعْلَامِ خَنْوَ مَعْدِيْكَرْبٍ ... وَغَيْرُ ذَلِكِ مَا شَيْءَ
عَنْ حَالِ نَظَارِهِ لِأَجْلِ الْمَلِمِيَّةِ الْحَادِثَةِ فِيهِ . وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ شَمْسٌ عَلَمًا إِلَّا هَذَا الْمَوْضِعُ ،
وَلَا فِي كَلَامِهِ حَجَرٌ عَلَمًا إِلَّا أَبُو أُوسَ الشَّاعِرُ ، وَلَا فِي كَلَامِهِ سَلْمَى بِضْمِ الشِّينِ إِلَّا أَبُو زَهِيرٍ
أَبِي سَلَمَى » .

٢- أَهْزِبِي فِي نَدْوَةِ الْحَىٰ عِطْفَهُ كَمَا هَرَّ عِطْفِي بِالْهِجَانِ الْأَوَارِكِ
 عِطْفُ كُلِّ شَيْءٍ : جَانِبُهُ . وَيُقَالُ ثَنَى عِطْفَهُ ، إِذَا أَعْرَضَ وَجْهًا . وَكَانَ
 الْقَوْسَ وَالرَّدَاءُ سُمِّيَا عِطَافًا لَا شَتَامًا عِنْدَ التَّوْسُحِ بِهِمَا عَلَى الْعِطْفِ . يُقَالُ :
 أَخْرَكُ بِالثَّنَاءِ جَانِبُهُ كَمَا حَرَّكَ جَانِبِي بِعَطْيَتِهِ ، أَى أَسْرَهُ بِذَلِكَ حَتَّى يَرْتَاحَ
 وَيَطْرُبَ كَمَا سَرَّنِي حَتَّى اهْتَزَّ . وَالْهِجَانُ : الْإِبْلُ الْبَيْضُ الْكَرَامُ . وَالْأَوَارِكُ :
 الَّتِي رَعَتِ الْأَرَاكُ ، يُقَالُ أَرَكَتِ الْإِبْلُ فَهِيَ أَرِكَةٌ . وَقَالَ ابْنُ السَّكِيْتَ :
 الْأَوَارِكُ : الَّتِي تَرْعَى الْأَرَاكُ^(١) ، وَهُوَ نَبْتٌ . وَالنَّدْوَةُ أَصْلُ الْجَمْعِ ، وَيُقَالُ
 نَدَأْمُ النَّادِي ، أَى جَمْعَهُمْ . وَانْتَدَى الْقَوْمُ وَنَنَادَوْا ، إِذَا تَجَمَّعُوا . وَمِنْهُ دَارُ النَّدْوَةِ .
 وَالنَّدِي : الْمَحَلُّ ، وَالْجَمِيعُ أَنْدِيَةٌ . وَيَقُولُ لِفَظُ الْهِجَانُ لِلْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، يُقَالُ نَاقَةٌ
 هِجَانٌ وَنُوقٌ هِجَانٌ ، وَمِثْلُهُ دِرْغٌ دِلَاصٌ وَدِرْوَعٌ دِلَاصٌ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِعَالًا
 وَفَعِيلًا يَتَشَارِكُانِ كَثِيرًا ، وَكَا جُمِيعُ فَعِيلٍ فَمَا لَا كَذَلِكَ جُمِيعٌ فِعَالٌ فَعَالًا .
 أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَدْدَ وَالْوَزْنَ فِيهِمَا وَاحِدٌ وَحْرَفُ الْمَدِّ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ بِإِزَاءِ مَا فِي
 الْآخَرِ ؟ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ حُمِلَ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَنَّ فِعَالًا إِذَا كَانَ جَمِيعًا يُنْوَى بِحُرْكَاتِهِ
 وَأَنْفُهُ أَنْهَا حَرَكَاتُ بَنَائِهِ وَهُوَ جَمِيعٌ لَا وَاحِدٌ ، كَانَ الْكَسْرَةُ فِي أَوْلَاهِ الْكَسْرَةِ
 الَّتِي فِي أَوْلَ الْظِّرَافِ وَكِرَامٍ ، لَا الْكَسْرَةُ الَّتِي فِي أَوْلِ حِمَارٍ وَإِزارٍ ، وَكَذَلِكَ
 أَنْفُهُ فَاعَلَهُ .

٣- قَلِيلُ التَّشْكِي لِلْمُهِمِّ يُصِيبُهُ كَثِيرُ الْهَوَى شَتَّى النَّوَى وَالْمَسَالِكِ

الْمُهِمِّ يَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْهَمِّ الَّذِي هُوَ الْحَزْنُ ، وَيَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْهَمِّ
 الَّذِي هُوَ الْقَصْدُ . يُقَالُ : هُوَ صَبُورٌ عَلَى النَّوَابِ وَالْعِلَالَاتِ ، لَا يَكَادُ يَتَأْلَمُ

(١) كذا ضبط في الأصل بالفتح ، وضبط في القاموس بالكسر .

ما يُغْرِّه من المَهَمَاتِ . واستعمل لفظ القليلِ والقصدُ إلى نَفْيِ الْكُلِّ ، وهذا كَا يقالُ فَلَانُ قَلِيلٌ إِلَّا كثُرَاث بُو عِيدٌ فَلَانُ ، والمعنى لا يكتُرُث . وعلى ذلك قولُهُمْ : قَلَّ رَجُلٌ يَقُولُ كَذَا ، وَأَقْلَ رَجُلٌ يَقُولُ كَذَا . والمعنى معنى النفي ، وليس يرَادُ به إثباتٍ قليلٍ من كثير . فإن قيل : من أين ساعَ أن يُستعمل لفظُ القليلِ وهو للإثبات في النفي ؟ قلتَ^(١) : إنَّ القليلَ مِن الشَّيْءِ فِي الْأَكْثَرِ يَكُونُ فِي حُكْمِ مَا لَا يُعْتَدُ بِهِ وَلَا يُعْرَجُ عَلَيْهِ ، لِدُخُولِهِ بِحَقَّةٍ قَدْرِهِ فِي مَلَكَةِ الْفَنَاءِ ، وَالدُّرُوسِ وَالآحَادِيَّاتِ ، فَمَا كَانَ كَذَلِكَ اسْتُعْمَلُ لفظهُ فِي النفي عَلَى مَا فِي ظَاهِرِهِ مِنِ الإِثْبَاتِ مُحْتَرِّزِينَ مِنِ الرَّدِّ ، وَمُجْمَلِينَ فِي الْقَوْلِ ، وَلَيَكُونَ كَا لِتَعْرِيَضِ الَّذِي أَثْرَهُ أَبْلَغَ وَأَنْكَى مِنِ التَّصْرِيحِ . وَقَوْلُهُ : « كَثِيرُ الْمَوَى » طَابَقَ القليلَ بِقَوْلِهِ كَثِيرٌ ، مِنْ حِيثِ اللفظِ لَا أَنَّهُ أَثَبَتَ بِالْأُولِيِّ شَيْئًا نَزَّارًا فَقَابِلَهُ بِكَثِيرٍ . وَالمعنى أَنَّهُ كَثِيرُ الْمَهْمَةِ مُخْتَلِفُ الْوِجْهِ وَالطَّرُقِ ، لَا يَوْقَنُ مِنْهُ عَلَى مَدَى عَوْرِيهِ فِي الْأَمْوَارِ ، وَلَا يَقِفُ بِهِ أَمْلَهُ عَلَى فَنِّ لَا يَتَعَاوِزُهُ^(٢) إِلَى الْفَنُونِ . وَيَرِيدُ بِالْمَوَى الْجِنْسُ ، وَكَذَلِكَ النَّوَى ، وَهِيَ وَجْهَتُهُ الَّتِي يَتَوَهِّمُ . وَمَثَلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ :

..... باقٍ عَلَى الْحَدَّاثَيِّ مُخْتَلِفُ الشُّؤُونِ^(٣)

٤ - يَظَالُ بِعَوْمَاهٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَغْرِرُ ظُهُورَ الْمَهَالِكِ
الْمَوَاهِمُ : الْمَفَازَةُ ، وَوَزْنُهُ فَقْلَلَةٌ ، وَجَمِيعُهَا مَوَامٌ . وَإِنَّمَا قَالَ « يُمْسِي بِغَيْرِهَا »
وَلَمْ يُقُلْ بِيَسِيتُ ، لِأَنَّ قَصْدَهُ إِلَى أَنْ يَصْفِهُ بِأَنَّهُ يَقْطَعُ فِي بِيَاضِ نَهَارِهِ مَفَازَةً ،
وَلَوْ قَالَ يَسِيتُ لَمْ يَتَبَيَّنْ مِنْهُ ذَلِكَ . فَيَقُولُ : يَقْطَعُ الْمَفَازِ لَا كَتَسَابُ الْمَكَارِمُ ، فَتَرَاهُ

(١) كذا ضبط بفتح التاء في النسختين في أشباه هذا الموضع .

(٢) م : « فَلَا يَتَعَاوِزُهُ » .

(٣) صدره عند التبريزى : * شديد مجاعم الْكَنْفِين باق *

يكون نهاره بفازة فإذا^(١) أتى عليه المساء تجده في أخرى فريداً وحيداً - ويقال : حلَّ فلان جحيشاً ، أى منفرداً - ويركِبُ ظهور المهالك والمعاطب غير مستصحبٍ رفياً ، ولا مستجمع سلاحاً . وهذا كما يقال : أعروريت الفرس ، إذا ركبته عرضاً . وكانت طباعهم أنَّ من كذا نفسه وابتذلها ، وتواحشَ في المهالك ولزِمها ، وتعرض للمعاطب ولم يتوقفها ، كان ذلك أدعى إلى ما ينوه به ويميزه عن رجالِ حنسٍ . واتتصب « جحيشاً » على الحال ، وقولها بغيرها لا يجوز أن يكون مستقراً فاعماه .

٥- ويسبقُ وفَدَ الرَّيحَ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدَّهِ الْمَتَارِكِ
قوله « من حيث ينتهي » يجوز أن يكون للمدوح ، ويجوز أن يكون لوفد
الريح ، لأن المراد أنه يسبقه وإن أعطاه مهلة . ومعنى ينتهي : يقصد .
والشاعر إنما يصف خفتَه وتشمرَه وجده وتيقظه ، فيقول : من حيث اعتمد
في السير جاء سابقاً للريح بعدها واسع من عدوه . المتارك : المتابع . وجعل
العدو منخرقاً^(٢) لاساعه . والمتارك : التلاحق . ويقال : أدركَ فلان عدَّة
من أصحابه ، أى لحقهم وشاهد أيامهم . وأخذ أبو تمام هذا فزاد عليه وإن كان
في لفظه ركاكه ، فقال :

فَمَرَّ وَلَوْ يَحْارِي الرَّيحُ خَيْلَتْ لَدِيهِ الرَّيحُ تَرْسُفُ فِي الْقُبُودِ^(٣)
٦- إِذَا خَاطَ عَيْنِيهِ كَرَى النَّوْمِ لَمْ يَزُلْ لَهُ كَالِيٌّ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانَ فَاتِكِ^(٤)
الكرى : النوم الخفيف ، وكأنه مأخوذ من كريت ، إذا عدوت عدواً

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « فإن » .

(٢) م : « متراكماً » ، والصواب ما في الأصل .

(٣) يدح أبو سعيد محمد بن يوسف الطائني . وقبله :

رأى العلج مقتضاها عليه كما اقتضى الفنا على الحارث

(٤) رواه التبرizi : « إذا حاس » ، وهي يعني خاط ، ثم نبه على رواية « خاط » .

شديداً . قوله : « خاط عينيه » يريد معه فيه ، وليس يريد التكهن منه حتى يجعله أجهفانه كالخيطة . ومنه قوله :

* حتى تخيط بالبياض قروني ^(١) *

وأضاف الكَرَى إلى النوم كا يُضاف البعض إلى الجنس ، كأن النوم الجنس الفِعل ، والكرى لما كان على جهة مخصوصة . يقول : إذا نام النومة التي أشار إليها لم يزال له رقيب وحافظ من قلبِ رَجُلٍ جَادَ في الأمور ، مفاجي عريض ، وهذا الرجل هو هو . كأنه يريد إذا نام عينه لا ينام قلبه . والشیحان والشائخ والشیخ : الحذر الخازم . قال المذلى :

* وشایحْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنْكَ شَیحُ ^(٢) *

والفاتِكُ : الذي يفاجي غيره بمكروه أو قتيل . وفي الحديث : « الإيمان قيد الفتاك ^(٣) ». وقال الترمذى : هو الذي إذا هم بالشيء فعل .

٧— ويَجْعَلُ عَيْنِيهِ رَيْدَةَ قَلْبِهِ إِلَى سَلَةِ مِنْ حَدَّ أَخْلَقَ بَاتِكِ ^(٤)
يرُوكِي :

إذا طَلَعَتْ أَوْلَى الْعَدِيِّ فَنَفَرَهُ إِلَى سَلَةِ ^(٥)

(١) ويروى : « تخيط ». والبيت لدر بن عامر المذلى ، في اللسان والمقاييس (خيط) . وصدره :

* تاله لا أنسى منيحة واحد *

(٢) لأبي ذؤوب المذلى في ديوانه ١١٦ واللسان والمقاييس (شيج) . وصدره :

* بدرت إلى أولام فسيتهم *

(٣) ويروى : « قيد الفتاك » على المصدرة . وفي اللسان : « ومنه الحديث : أن رجلاً أتى الزبير فقال له : ألا أقتل لك عليا ؟ فقال : فكيف تقتله ؟ فقال : أتفتك به . . فقال : صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قَيْدَ الإِيمَانِ الْفَتَاكُ ، لَا يَفْتَكُ مَوْمِنٌ » .

(٤) رواه التبريزى : « أَخْلَقَ صَائِكَ » ولم يفسر الصائك ، وهو التغیر الرمع . ثم روى رواية أخرى قال فيها « وهي أسلم الروايتين » . وهي كما رواها :

إذا طَلَعَتْ أَوْلَى الْعَدِيِّ فَنَفَرَهُ إِلَى سَلَةِ مِنْ صَارِمِ الْفَرْبِ بَاتِكِ

(٥) انظر الحاشية السابقة .

وهي أسلمة الروايتين . والعَدِيُّ : الرَّجَالَةُ الَّذِينَ يَعْدُونَ قُدُّامَ الْخَلِيلِ . وهو اسم صيغ للجمع ، كالكلب والضئن . وعلى الرواية الأولى يقول : لا يغفل قلبه عن التحفظ ، وعينه دَيْدَبَانُهُ إلى سَلَّ سيفه . فإنْ قيلَ : كيف يكون العين دَيْدَبَانُ القلب ، وهذا يقول إذا نام بعينه لم يتم بقلبه ، أم كيف تصح هذه الرواية وفيها يتكرر معنى واحد في مصراعي البيتين ، وهل الواجب في هذا إلا أن يقال إنَّ القلب هو دَيْدَبَانُ العين ، لأنَّ العين نَائِمَةُ والقلب مُنْتَبِهُ ؟ قلتَ : إنه وصفَ حالتين ، فالمقدم صفةُ حال النوم ، والثاني هو صفةُ حال اليقظة . وللمعنى أنَّ العين رقيب القلب ، والمنتظر لإظهار ما يكرهُه وتفعيله ، فإذا كره القلب شيئاً كان العين صاحبَه الذي يُظهره ، فهو ريبنته إلى تزيع السيف وتجريده ، وإنكاره ما أنكره وتفعيله . والأخْلَقُ : الْأَمْلَسُ . والبَاشُكُ : القاطع . وقوله « إلى سلية » يجوز أن يكون إلى بمعنى مع ، كما تقول هذا إلى ذلك ، أي مع ذلك ، ويجوز أن يكون المعنى أنها ريبنته إلى أن يستل سيفه ، وبعد ذلك فالعمل للقلب ، ويكون إلى للانتهاء . وقوله : « من حَدَّ أَخْلَقَ » فيه توسيع ، لأنَّ السيف يُستَلُّ من الفمْدِ فتصير مسؤولاً . ألا ترى قوله : إذا سُلَّ من جَفْنٍ تَأَكَّلَ أَثْرُهُ على مثل مِصْحَافِ الْأَجْبَنِ تَأَكَّلَ^(١) وهذا جعل الجفن مسؤولاً والسيف مسؤولاً منه . ألا ترى قوله : « إلى سلية من حَدَّ أَخْلَقَ » ، فهو في ذلك كقولهم : أدخلتُ الْخُفَّةَ فِي رِجْلِي ، والقلنسوة في رأسي .

٨- إِذَا هَزَّهُ فِي عَظْمٍ قِرْنٌ تَهَلَّلَتْ نَوَاجِذُ أَفواهِ الْمَنَابِيَا الصَّوَاحِلِ
مثله قول الآخر :

سَقَاءُ الرَّدَى سَيْفٌ إِذَا سُلَّ أَمْضَتْ إِلَيْهِ ثَنَاهَا الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَرْقَبٍ

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ٢٠ واللسان (صحا) .

وإن كان هذا وصفَ السيفَ وقوَّةَ صاحبِهِ في الضربِ . وللمعنى أنه ممَّا حرَّكَهُ في الضريبة ضَحِكَ الموتِ علَيْهِ بظفرِهِ بالمضروبِ . وذِكرُ التهلُّلِ والناجذِ مثلُهِ وتصويرُ المرادِ . وقوله «النَّارِيَا الضَّواحِكُ» ، أى التي من شأنها أن تضحكَ عند الظفرِ بعطلِها ، وإنما قال «فِي عَظَمِ قِرْتِ» إيدانًا بأنَّه لا يتعرَّضُ له إلا من يقارنه بأسًا وشدةً ، وكذلك هو لا يُعمل «هذا السيفَ إلَّا فِي عَظَمٍ مِّن يقارنه حَزْمًا ونَجْدَةً» . ونسبةُ التهلُّل إلى الناجذِ مجازٌ وسعةٌ ، وهذا كا يقال سُرَّ فلانٍ بـكذا حتى صار لـكـل سـينـ لـه ضـحـكـ . وقد سُمِّيَتْ ما يـدوـ من الأسنان عند الضـحـكـ الضـواحـكـ .

٩- يـرىـ الـوـحـشـةـ الـأـنـسـ الـأـنـيـسـ وـيـهـتـدـىـ بـحـيـثـ اـهـتـدـتـ أـمـ النـجـوـمـ الشـوـابـكـ

قوله : «يرى الوحشةَ الأنْسَ» أى ذلك مذهبُهُ . وهذا كما يقال هو يرى رأى أبي حنيفة ، أى يذهب مذهبَهُ . فيقول : أنسُ هذا الرَّجُلُ النَّامُ فِي التَّفَرِّدِ الذي يُعْدُهُ غيرهُ وَحْشَةً . وإتباعه الأنْسَ الأنْيِسَ تَاكِيدٌ وإظهارٌ للمبالغةِ . وهذا كما قيل : ظليلٌ ظليلٌ ، وداهيةٌ داهيةٌ . وهم يبنون من لفظ الشيءِ ما يُتبعونه به على طريق التأكيدِ . وقوله : «يَهَتَّدِي بِحَيْثُ اهْتَدَتْ» يصفُ علَمَهُ بِالطَّرُقِ واستغناه عن الدليلِ . وقد قيل في «أُمَّ النَّجُومِ» إنه الشمسُ ، وقيل هو المَجَرَّةُ . وللمعنى أنه يهتدى بحَيْثُ تهتدى الشمسُ . ويُسْتَعْدِمُ مُعْظَمُ الشيءِ أُمَّهُ . والشمسُ أَعْظَمُ الكواكبِ . ويسمى جامِعُ الأشياءِ أُمَّها ، يعني^(١) أنها تأوي إليه . والشوابك : المشتبكة . وإذا جعلت أُمَّ النَّجُومِ المَجَرَّةَ فيجوز أن يكون المعنى أنه يهتدى بالكواكب التي تجمعها ، فجعل الفعل لها لاجتماعها فيها . ويجوز أن يكون المعنى أنه يستغنى عن الدليلِ كما تستغنى تلك .

(١) م : «يعنى» .

١٤

قال بعض بنى قينس بن ثعلبة، ويقال إنها لبشامة بن جزء^(١) النهشلي:

١ — إِنَّا مُحْيِوْكِ يَا سَلَمِي فَحَيَّنَا وَإِن سَقَيْتِ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا

يقول: إنما مُسلموْن عَلَيْكِ أَيَّتَهَا الْمَرْأَةُ فَقَابَلَنَا بِمُثْلِهِ، وإن خَدَمْتِ الْكَرَامَ وَسَقَيْتَهُمْ فَأَجْرَيْنَا مُجْرَاهُمْ فَإِنَّا مِنْهُمْ . والالأصل في التحية أن يقال حَيَّاكَ اللَّهُ، ثم استعملَ في غيرِهِ من الدُّعَاءِ عندِ الْلَّقَاءِ . وأما قوله :

وَكُلُّ ما نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلَتْهُ إِلَّا التَّحْيَةُ^(٢)

فالمراد به تحية الملوكي خاصَّةً ، وهو قولُمْ : أَبَدَتِ اللَّغْنَ ! وقيل في سَقَيْتِ إِنْ معناه : إن دَعَوْتِ لِأَمَاثِيلِ النَّاسِ بِالشَّقْقِيَا فَادْعِنَا أَيْضًا . والأَشْهَرُ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يُقالَ فِيهِ سَقَيْتُ فَلَانَا فَيَقُولُ ، [واللحجة في التخفيف قولُ أَيْ ذُؤْبِ] سَقَيْتَ بِهِ دَارَهَا إِذْ نَاتَ وَصَدَقَتِ الْخَالَ فِي الْأَنْوَحَ^(٣)] وعلى هذا يكونُ فِي الْكَلَامِ إِضاْهَ ، كأنه قال : وإن سَقَيْتَ بِظَهَرِ الْغَيْبِ الْكِرَامَ بِالدُّعَاءِ عَنْدِ ذِكْرِهِ فَاقْفُلِي بِنَا مِثْلَهُ ، وَقُولِي سَقَاكَ اللَّهُ . وقد فَصَلَ بعضُهُمْ بَيْنَ سَقَيْتُ وَسَقَيْتُ بِأَنْ قَالَ : أَسَقَيْتُهُ : جَعَلْتُ لَهُ سَقْيَا يَفْعُلُ بِهَا مَا شاءَ ، وَسَقَيْتَهُ : أَعْطَيْتَهُ مَا لَفِيهِ . ومِثْلُهُ كَسْوَتُهُ وَأَكْسَيْتُهُ ، لَأَنْ مَعْنَى كَسْوَتُهُ

(١) كذا في النسختين . وعند التبريزى والمبرد ٦٥ والبغدادى (٣ : ٥١٥) : « حزن » . وكذلك عند ابن جنى في المبهج . قال : « والحزن : الموضع الغليظ » . قال البغدادى : « والظاهر أنه إسلامى كما يظهر من شرح المبرد لأياته » . أى لتنبيه على أنه أخذ بعض معانيه من شعراء إسلاميين . انظر السكامل ٦٥ — ٦٧ لبيك . ونسب ابن قتيبة الآيات في الشعر والشعراء ٦٢٠ إلى نهشل بن حرى ، وفي عيون الأخبار (١ : ١٩٠) إلى بشامة .

(٢) لزهير بن جناب السكالى في اللسان (حيات) والمعمرين ٢٦ .

(٣) التكلمة من م . والبيت لم يرو في قصيدة أبى ذؤوب إلى على هذا الوزن والروى . انظر ديوانه ١٢٩ — ١٣٦ لكنه نسب إلىه في اللسان (أفعى) ، وفسر الحال فيه بأنه المتكبر .

أَلْبَسْتُهُ، وَكُسْيَتُهُ جَعَلْتُ لَهُ كِسْوَةً^(١)، وَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهُمْ سَوَاءً، وَيَحْتَاجُ
بَيْتٌ لِبَدْ :

سَقَ قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَ نَمِيرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ^(٢)
وَإِذَا فُصِّلَ بَيْنَهُمَا فِي الْبَيْتِ لَمْ يَخْتَلِّ بِهِ لَفْظًا وَلَا مَعْنَى، كَمَا أَنَّهُ إِذَا سُوِّيَ
بَيْنَهُمَا لَمْ يَخْتَلِّ مَعْنَى وَلَا لَفْظًا، فَكَانَهُ لَا حُجَّةٌ فِيهِ لَوْاحِدٌ مِنَ الْقَوْلَيْنِ . وَالْقَصْدُ
فِي الدُّعَاءِ بِالسُّقْيَا إِلَى أَنْ يُمْدَدَ اللَّهُ الْمَدْعُوُّ لَهُ بِمَا يَزِيدُ فِي نِعَمِهِ وَنَصَارَتِهِ . أَلَا تَرَى
الآخَرَ قَالَ لِمَا دَعَا عَلَى مَا تَسْخَطَهُ^(٣) :

إِذَا سَقَ اللَّهُ أَرْضًا صَوْبَ غَادِيَةٍ فَلَا سَقَاهُنَّ إِلَّا التَّارَ تَضْطَرَمُ
فَذَكَرَ مَا يُحْرِقُ وَيَسْتَأْصِلُ .

٣— وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جُلَّ وَمَكْرُمَةٍ يَوْمًا سَرَّاً كِرَامَ النَّاسِ فَادْعِنَا
جُلَّ فُعْلَى، أَجْرَاهَا مُجْرِي الْأَسْمَاءِ وَيُرَادُ بِهَا جَلِيلَةُ، كَمَا يُرَادُ بِأَفْعَلَ فَاعِلَّ
وَفَعِيلٌ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ »، أَيْ هَيْنَ ؟ وَكَا قَالَ :
* فَتَلَكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ^(٤) *

أَيْ بِواحِدٍ ؟ وَكَقُولُكَ : اللَّهُ أَكْبَرُ، تَرِيدُ كَبِيرَ . يَقُولُ : إِنْ أَشَدْتَ
بِذَكْرِ خَيَارِ النَّاسِ بِجَلِيلَةٍ^(٥) نَابَتْ، أَوْ مَكْرُمَةٍ عَرَسَتْ وَسَنَحَتْ، فَأَشِيدَتِي
بِذَكْرِنَا أَيْضًا . وَهَذَا الْكَلَامُ ظَاهِرُهُ اسْتِعْطَافٌ لَهَا، وَالْقَصْدُ بِهِ التَّوْصِلُ إِلَى بِيَانِ

(١) ضبط في النسختين بكسر السكاك ، وقال كسوة أيضًا بالضم .

(٢) وكذا روايته في المسان والتبريزى والديوان ١٢٧ . قال الطوسي : « مجد ابنة نيم بن غانب بن فهر بن مالك ، وهي أم كلاب وكلب ابنة ربيعة بن عامر بن صعصعة » . وف م فقط : « بني بدر » .

(٣) م : « مَا تَسْخَطَهُ » .

(٤) صدره كما في أمني القالى (٣ : ٢١٨) :

* تَغْنِي أَنَّاسٌ أَنْ أَمْوَاتٌ وَإِنْ أَمْتَ *

(٥) م : « جَلِيلَةٌ » .

شرفه واستحقاقه ما يستحقه الأفضل الأشراف ، والأمائل الـكـرام . ولا سـقـة
ثـمـ ولا تـحـيـةـ ولا دـعـاءـ ولا مـغـاثـةـ . أـلـاـ تـرـىـ كـيـفـ اـشـتـغـلـ بـمـقـصـودـهـ مـنـ الـافـتـخارـ
فـيـاـ يـتـلـوـ هـذـاـ الـبـيـتـ . وـهـمـ كـاـيـتـخـالـصـونـ مـنـ التـشـيـبـاتـ وـغـيـرـهـ إـلـىـ أـغـرـاضـهـ عـلـىـ
اـخـتـلـافـهـاـ^(١) فـإـنـهـمـ قـدـ يـتـوـصـلـونـ بـمـبـادـيـ كـلـامـهـمـ إـلـىـ أـمـثـالـهـاـ ، فـتـقـلـ المـؤـونـةـ ، وـتـخـفـ
الـكـلـفـةـ . وـهـذـاـ نـظـاـئـرـ وـأـشـيـاءـ تـجـيـءـ فـيـاـ بـعـدـ . وـالـسـرـأـةـ فـيـ النـاسـ ، وـالـشـرـأـةـ
بـالـشـيـنـ مـعـجمـةـ فـيـ الـمـالـ وـالـخـيـلـ . وـفـيـ حـدـيـثـ أـمـ زـرـ^(٢) : « فـنـكـحـتـ بـعـدـهـ
رـجـلـ سـرـيـاـ ، رـكـبـ سـرـيـاـ ، وـأـخـذـ خـطـيـاـ ، وـأـرـاحـ عـلـىـ نـعـمـاـ ثـرـيـاـ ». وـالـجـلـيـ
بـالـأـلـفـ وـالـلـامـ : تـأـيـثـ الـأـجـلـ ، كـاـيـقـالـ الـأـكـبـرـ وـالـكـبـرـيـ ، وـكـاـقـيلـ السـبـعـ
الـطـوـلـ جـمـعـ الـطـوـلـ . وـلـاـ يـحـذـفـ الـأـلـفـ وـالـلـامـ مـنـهـ حـيـنـذـ ، لـأـنـ أـصـلـهـ يـكـوـنـ
أـقـلـ الـذـىـ يـتـمـ بـيـنـ . وـيـقـالـ لـكـلـ مـاـعـلـاـ شـيـاـ : جـلـلـهـ ، وـمـنـهـ الـجـلـلـةـ .

٣— إـنـاـ بـنـيـ نـهـشـلـ لـاـ نـدـعـيـ لـأـبـ عـنـهـ وـلـاـ هـوـ بـالـأـبـنـاءـ يـشـرـيـنـاـ^(٣)
نـدـعـيـ : نـفـتـعـلـ مـنـ الدـعـوـةـ . وـقـوـلـهـ « عـنـهـ » تـعـلـقـ بـهـ . وـيـقـالـ اـدـعـيـ فـلـانـ
فـبـنـيـ هـاشـمـ ، إـذـاـ اـنـتـسـبـ إـلـيـهـمـ ؛ وـادـعـيـ عـنـهـمـ ، إـذـاـ عـدـلـ بـنـسـيـهـ عـنـهـمـ . وـهـذـاـ
كـاـيـقـالـ : رـغـبـتـ فـيـ كـذـاـ وـرـغـبـتـ عـنـ كـذـاـ . وـقـوـلـهـ : « لـأـبـ » أـىـ مـنـ أـجـلـ
أـبـ وـلـكـانـ أـبـ . وـاـنـتـصـابـ « بـنـيـ » عـلـىـ إـضـمـارـ فـعـلـ ، كـاـنـهـ قـالـ : أـذـ كـرـ بـنـيـ
نهـشـلـ . وـهـذـاـ عـلـىـ الـاـخـتـصـاصـ وـالـلـدـحـ . وـخـبـرـ إـنـ « لـاـ نـدـعـيـ » . وـلـوـرـفـعـ فـقـالـ :
بـنـوـ نـهـشـلـ ، عـلـىـ أـنـ يـكـوـنـ خـبـرـ إـنـ لـكـانـ لـاـ نـدـعـيـ فـيـ مـوـضـعـ الـخـالـ . وـالـفـصـلـ
بـيـنـ أـنـ يـكـوـنـ اـخـتـصـاصـاـ وـبـيـنـ أـنـ يـكـوـنـ خـبـرـاـ ضـرـاحـاـ : هـوـ أـنـهـ لـوـ جـعـلـهـ خـبـرـاـ
لـكـانـ قـصـدـهـ إـلـىـ تـعـرـيفـ نـفـسـهـ عـنـدـ الـخـاطـبـ ، وـكـانـ لـاـ يـخـلـوـ فـعـلـهـ لـذـلـكـ مـنـ

(١) فـالـأـصـلـ : « عـلـىـ اـخـلـافـهـ » ، وـأـنـبـيـتـاـ مـاـ فـمـ .

(٢) انـظرـ حـدـيـثـ أـمـ زـرـعـ فـيـ أـوـفـيـ رـوـاـيـةـ عـنـدـ السـيـوطـيـ فـيـ الـمـزـهـرـ (٥٣٢ : ٢) .

(٣) التـبرـيزـيـ : « إـنـ كـانـ الشـعـرـ لـقـبـيـ فـالـرـوـاـيـةـ : إـنـ بـنـيـ مـالـكـ » .

خُولٍ فيهم ، أو جُهلٍ من المخاطب بشأنهم . فإذا جُعل اختصاصاً فقد أمنَّ هو الأُمرَين جُهِيناً . فقال مفتخرًا : إنَّا ، نَذْ كُرْ من لا يُخْفِي شَانُه ، لَا نَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا . وإنَّا قُلْتُ خَبَرًا صُرَاحًا ، لأنَّ لفظَ الْخَبَرِ قد يُسْتَعَارُ لِمَعْنَى الاختصاص ، لكنَّه يُسْتَدَلُّ عَلَى الْمَرَادِ مِنْهُ بِقَرَائِنِه ؛ على هذا قوله :

* أنا أبو النجم وشِعْري شِعْري^(١) *

ومعنى البيت : إنَّا لَا نَرْغَبُ عَنْ أَيِّ نَفْتَسِبُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَهُوَ لَا يَرْغَبُ عَنَّا فَيَتَبَّنَّ غَيْرَنَا وَيَبْيَعُنَا بِهِ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ رَضِيَ كُلُّ مَنَا بِصَاحِبِهِ ، عَلِمْنَا بِأَنَّ الْإِخْتِيَارَ لَا يَعْدُهُ لَوْ خَيْرٌ فَاخْتَارَ . ويقال : شَرَيْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى بِعْتَهُ وَاشْتَرَيْتُهُ جُهِيناً ؛ وَمِنْهُ الشَّرَوْبِيُّ ، وَهُوَ الْمِثْلُ .

﴿ إِنْ تُبْتَدِرْ غَایَةً يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ تَلَقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا ﴾

يقال : بادرَنَّهُ مَكَانٌ كَذَا وَكَذَا^(٢) ، وَإِلَى مَكَانٍ كَذَا . قال :

* فَبَادَرَهَا وَجَلَاتِ الْحَمْزَ *

وكذلك يقال : ابتدَرَنَا الغَایَةُ وَإِلَى الغَایَةِ . وَقَوْلُهُ : « لِمَكْرَمَةٍ » أَيْ لَا كَتَسَبَ مَكْرَمَةً . وَيُحَوزُ أَنْ يَكُونَ اللامُ مُضِيفًا لِلْغَایَةِ إِلَى الْمَكْرَمَةِ ، كَأَنَّهُ يَرِيدُ تَسْأَلَهُمْ إِلَى أَقْصَاهُمَا . يَقُولُ : إِنْ تُسْتَبِقْ نَهَایَةً تَجْدِي أَوْ غَایَةً مَكْرَمَةً تَرَ السَّابِقِينَ مِنَّا وَالْتَّالِيَنَ أَيْضًا مِنَّا . وإنَّا قَالَ « الْمُصَلِّينَ » وَلَمْ يَقُلِّ الْمُصَلِّيَاتِ مَعَ السَّوَابِقَ ، لأنَّ قَضَنَهُ إِلَى الْأَدْمِيَنَ ، وَإِنْ كَانَ استِعْارُهُمَا مِنْ صَفَاتِ الْخَلِيلِ . وَيُحَوزُ أَنْ يَكُونَ أَخْرَجَ السَّابِقَ لَأَنْقَطَاعِهِ عَنِ الْمَوْصُوفِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ ،

(١) الرجز ينطبق بنسبة إلى قائله ، وهو أبو النجم العجل .

(٢) وكذا الثانية ، ليست في م .

ولنيابته عن المُجَلِّ وهو اسم الأول منها^(١) إلى باب الأسماء سُجِّمَه على السوابق ، كا يقال كاهل و كواهل ، و غارب و غوارب . والمُصَلَّى هو الذي يتلو السابق فيكون رأسه عند صلاة . والصلوان : العظان الناثن من جانبي العَجْز . وقال الدريري : هو العظم الذي فيه مغز عَجْب الذَّنَب . وقال بعض أهل اللغة : هما عِزْقان في موضع الرِّدْفِ .

٥ - وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَا سَيِّدُ أَبَدًا إِلَّا افْتَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا
 كتبه بهذا الكلام على أنَّ مَنْ يَسْتَحْقُ السِّيَادَةَ فِيهِمْ يَكْثُرُ لَا يَقُلُّ ، فَتَيْ
 درَجَ مِنْهُمْ رَئِيسٌ تَرَشَّحَ^(٢) لِسَدِّ مَكَانِهِ وَاحِدٌ . وَهَذَا مُثْلُ قَوْلِهِ :
وَإِنَّ مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمُ إِذَا مَاتُوا مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ^(٣)
 والافتلام : الافتظام والأخذُ عن الأمر ، ومنه الفلو . وللمعنى هنا الترشيح
 والتبيئة والصرفُ عما عليه إلى الرِّيَاسَةِ . و «أَبَدًا» في المستقبل بمنزلة قَطْ في
 المُضِيِّ . والقصدُ أَنْهُمْ كُلُّ وَقْتٍ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الْاستِعَانَةِ بِالْأَجَانِبِ
 دون الأقارب . والآبُدُ : الدَّهْرُ ، وقيل سُمِّيتُ الْوَحْشُ أَوْابِدٌ لِأَنَّهَا تَعْمَرُ عَلَى
 الدَّهْرِ ، حَتَّى لا تَمُوتُ إِلَّا بَافَةً . وَأَنْ يَكُونُ مِنَ التَّابِدِ التَّوْحُشُ أَحْسَنُ ، وَإِنْ
 أَمْكَنَ رَدُّ الْكُلِّ إِلَى أَصْلِ وَاحِدٍ .

٦ - إِنَّا لَنَرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعَ أَنْفُسَنَا وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلِيَنَا^(٤)

(١) م : « منها » .

(٢) م : « رَشْحٌ » .

(٣) البيت للقيط بن زراة كاف في الحيوان (٣ : ٩٣) . ونسب إلى أبي الضحان القبي في الكامل ٣٠ والواسطة ١٥٩ . وذكر التبريزى أنَّ البيت أيضاً نفياً قول أوس بن حجر :
 إذا مقرم منا ذراً حدنا به تحيطه منا ثاب آخر مقرم

(٤) في الكامل ٦٧ أنه أخذته من قول الأجنع الحمداني :

«أغلينا» الألف للإطلاق ، والنون ضمير الأنفُس ، ومعنى أغلينَ وُحدَتْ غالِيَةً أو جَعَلَتْ غالِيَةً . وهو هكذا أَجُودُ ، وليس يُريد أنهم مع الغلاء يُمْكِنون منها ، بل للرَّادُ قطْعُ الْمَقْدَرَةِ عنها . ومثل هذا :

تُعرَضُ لِلسَّيِّوفِ بِكُلِّ ثَغْرٍ خُدُودًا لَا تُتَرَّضُ لِلسَّبَابِ^(١)
فيقول : نَبَقَدُلْ أَنْسَنَا فِي الْحَرْبِ وَلَا نَصُونُهَا ، وَلَوْ عُرِضَ عَلَيْنَا إِذَا تَهَا
فِي غَيْرِهَا لَامْتَنَعْنَا . وَهَذَا لِحِرْصِهِمْ عَلَى تَخْلِيدِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ ، وَالإِبَانَةِ عَنْ تَحْمِلِ
النَّفْسِ فِي الشَّجَاعَةِ . وَالرَّجُلُونَ فِي السَّعْرِ : مُهْوِلُهُ وَلِيْنُهُ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ فِيهَا
أَظْنَنَ امرَأَةً رَّحْصَةً ، إِذَا كَانَتْ نَاعِمَةً . وَقَوْلُهُ : «لَوْ نُسَامُ بِهَا» أَى نُحَمِّلُ
عَلَى أَنْ نَسُومَ بِهَا . وَيَقَالُ سَامَ بِسَلْعَتِهِ كَذَا وَكَذَا ، وَاسْتَامَ أَيْضًا ، وَأَغْلَى
السَّوْمَ وَالسَّيْمَةَ . وَأَسْمَتُهُ أَنَا ، أَى حَلَّتْهُ عَلَى أَنْ سَامَ . وَلَا يَمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ
قَوْلُهُمْ : سُمْتُهُ خَسْفًا ، أَصْلَهُ مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ اسْتَعْمَلَ فِي الْمَكْرُوهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :
«يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ» . وَفِي الْبَيْتِ طِبَاقٌ بِذِكْرِ الْإِرْخَاصِ وَالْإِغْلَاءِ ،
وَالرَّوْعِ وَالْأَمْنِ ، فِي مَوْضِعَيْنِ ، وَهُوَ حَسْنٌ جَيْدٌ .

٧- يَضِّنْ مَفَارِقُنَا تَغْلِي صَرَاجِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا
يُروى : «يَضِّنْ مَعَارِفُنَا» ، وَهِيَ الوجوهُ . وَالرَّادُ بِذَلِكَ نَقَاءُ الْعِرْضِ
وَانْفَلَافُ الدَّمْ وَالْعَيْبِ . وَيَقَالُ : امْرَأَةُ حَسْنَةُ الْمَعَارِفِ ، أَى الْوَجْهِ بِمَا يَشْتَقِمُ
عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ هِيَ الْأَنْفُسُ وَمَا وَالَّاهُ . وَقَوْلُهُ : الْحُسْنُ فِي الْأَنْفُسِ ، وَالْمَلَاحَةُ فِي

=
لَهُنْ غَدَةُ الرُّوْعِ غَيْرُ خَذُولٍ
وَأَبْنَلَ فِي الْمَيْعَادِ وَجْهِي وَانِي
لَهُ فِي سُوَى الْمَيْعَادِ غَيْرُ بَذُولٍ
وَمِنْ الْفَتَالِ الْكَلَابِ حِيثُ يَقُولُ :

أَنَا إِنْ إِلَّا كَرْمِي بَنِي قَشِيرٍ وَأَخْوَالِي الْكَرْمِ بْنُوكَلَابٍ
غَرْضٌ لِلصَّمَانِ إِذَا التَّقِينَا وَجْوَاهُ لَا تُعْرِضُ لِلسَّبَابِ

(١) عَنْ التَّبَرِيزِيِّ : «إِذَا التَّقِينَا نَفْوسًا» .

الأستان . وواحد المعارف مَعْرِفٌ وَمَعْرُوفٌ^(١) ، وكان الوجه سُميًّا بها لأنَّ معرفة الأجسام وتمييزها تقع^(٢) بها . والأشهر والأحسن « يُبَصِّرُ مفارقنا » : ويجوز أن يكون أراد أيضًا مفارقنا من كثرة ما نقايس الشدائد . وهذا كما يقال أَعْزَمْ يُشَيِّبُ الذَّوَابَ . وفي القرآن : « يَوْمًا يَجْعَلُ الْوَلْدَانَ شِبَابًا » . و « تَقْلِيلِ سِرَاجُنَا » أى حروبنا ، كقول الآخر^(٣) :

تَغُورُ عَلَيْنَا قِدْرُهُمْ فَنَدِيمُهُمَا وَنَفْشُؤُهُمَا عَنَّا إِذَا حَمِيَّهُمَا عَلَّا

ويجوز أن يكون المراد : أيضًا مفارقنا لانحسار الشعر عنها ، باعتقادنا لبس المغافر والبياض ، وإدماننا إياه ، ويكون هذا كما قال :

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِيْ فَمَا أَطْمَمْ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاجَعَ^(٤)

وتكون المراجِلُ على هذا كنایة عن الحروب أيضًا . ويجوز أن يكون المراد : أيضًا مفارقنا من كثرة استعمالنا للطَّيِّب ، ويكون كقول الآخر :

* جَلَّا الأَذْفَرُ الْأَحْوَى مِنْ لِسْكٍ فَرَقَهُ^(٥) *

ويكون على هذا معنى « تقليل سِرَاجُنَا » أى قدرُنا للضيافة ، ويجوز أن يُريَدَ : مَشِيدُنَا مَشِيدُ الْكَرَامِ ، لا مشيد اللثام . وأنشد ابن الأعرابي في نوادره :

وَشَيْبَتْ مَشِيدَ الْعَبْدِ فِي نُقْرَةِ الْقَفَا وَشَيْبَ كَرَامِ النَّاسِ فَوْقَ الْمَفَارِقِ

وعلى هذا يُحمل المراجِلُ على أنَّ المراد بها قدر الضيافة . فأمامًا قوله : « نأسو

(١) ذكر في اللسان والقاموس « المعرف » مفتوح آراء فقط .

(٢) هذه الكلمة من م ، وفي أصلها « يقوم » وكتب تحتها « تقع صحيحة » إشارة إلى الصواب .

(٣) هو الناتجة الجعدى ، كما في اللسان (فتاً) ومقاييس اللغة (دوم) .

(٤) لأبي قيس بن الأسلت الأنصارى ، كما في المفضليات (٢ : ٨٤) .

(٥) روى في الكامل ١٠٣ ليسك والبيان (٣٠٥ : ٣) :

جلَّ الْمَسْكُ وَالْخَامُ وَالْبَيْضُ كَالْدَى وَفَرْقُ الْمَدَارِيِّ رَأْسُهُ فَهُوَ أَنْزَعُ

وأنظر للخلاف في نسبة الشعر الجزاء (٢ : ٥٣٢) .

بأموالنا آثار أيدينا » فإنما يريد ترجمة عن القواد ودفع أطلاع الناس عن مقاصدهم، فيداون جراحاتهم ببذل الأرواح والديات . والأسوأ : مداواة الجرح وإن استعمل في موضع الإصلاح . قال :

والأشاء الشفاء للداء ذي الريبة والمذركون للأوغام^(١)
ويقال للضار النافع : يُسْجُح ويُأْسِفُ . ومنه اشتراق الإسوة ، ويقال الإسوة
أيضاً . ويرى أن مصعب بن الزبير لما انهزم الناس عنه يوم مسكن جعل
يقاتل ويتمثل :

وإن الأولى بالطف من آل هاشم تأسوا فَسَنُوا لِكِرَامِ التَّاسِيَا^(٢)
وفي البيت مع حسن المعانى التى بيتهما توازن فى اللفظ مستقيم ، وسلامة
تما يخلب عليه التهيجين .

- إِنِّي لَمْ يَعْشِرْ أَفْنَى أَوَائِلَهُمْ قَوْلُ الْكُمَاءِ أَلَا أَيْنَ الْحَامُونَ^(٣)
يقاربه قوله للنساء :

* أَقْلَتْ مُسَاماَةُ الرِّجَالَ عَدِيدَنَا *
فيقول مفتخرًا : إن لم ين قوم أهلَكَ أسلافَهُمْ قولُ الأبطال لهمُ ألا أين
الذابون والمحامون ؟ فكانوا يتقدمون ويفنون . والكماءُ : جمع الكمي ، وهو
من قولهم كي شهادته ، إذا كتمها ؛ لأن الشجاع يستغنى بالفعال ، عن الدعوى
والمقال ، فكانه يستر أمره و شأنه لوقت الحاجة ، ولأنه إذا سكتَ دلَ على
صفاته بلاوة .

٩- لوكانَ فِي الْأَلْفِ مِنَا وَاحِدٌ فَدَعَوْا مَنْ فَارِسَ خَالِفُهُمْ إِيَاهُ يَعْنُونَا

(١) في الأصل : « للأوغام » بالراء ، صوابه بالواو كاف م . والأوغام : الترات ، واحدها وغم .

(٢) كذا ورد إنشاده في النسخين . وفي اللسان والكلامل ١٠ :

* تَأْسُوا فَسَنُوا لِكِرَامِ التَّاسِيَا *

(٣) رواية التبريزى : « قبل الْكُمَاءِ » .

يعنى بقوله «فَدَعَوْا» أعنوا الاستغاثة ببابل فلان ، ومن فتى ، وما أشبهه .
ويقال خلته أخاله خيلاً ومخيلة وخيلانا^(١) . وهذا مثل قول طرفة :
إذا القوم قالوا من فتى خلتُ أنتي عينتُ فلم أكسل ولم أتبادر
وقد زاد هذا عليه بقوله «لو كان في الألف مينا واحد» . لأن ذلك قال :
إذا القوم قالوا من فتى ، فنصب نفسه مع قومه ؛ وهذا يجعله منضمًا مع الكثرة
إلى الغرباء . وإنما قال : «من فارس» فنكر ، كما قال طرفة : «من فتى»
فنكر . ولم يُعرف واحدٌ منهما ، لأن السؤال بالمعنى لشدة إبهامه يكون أشمل
لتناوله واحدًا واحدًا ، لاسيما وليس القصد في الاستفهام إلى معهود معين ، ولا إلى
المجنس فيقال : من الفتى ، ومن الفارس . وفي هذه الطريقة قول الآخر :
إذا القوم قالوا من فتى لعظيمة فتا كلامهم يدعى ولكنه الفتى
ويبيت بشامة أجود الثلاثة . وقد أحسن الفرزدق كل الإحسان لما أشار
إلى هذا المعنى فقال :

إذا ما قيل يا جماعة قوم فنحن بدعاوة الداعي عيننا
١٠ - إذا الْكَمَاء تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالُهُمْ حَدُّ الظَّبَابِ وَصَلَنَاهَا بِأَيْدِينَا^(٢)
إنما قال حد الظباب — وطلب السيف : حد — لأنَّه أراد للضارب
بأسيرها . وكما صلح أن يقال أصابته طب السيف صلح أن يقال حد الظباء .
وقيل الظباء : طرف السيف ، والشباء : حد طرفة . يقول : إذا الأبطال تباعدوا
عن المصادمة والمكافحة ، مخافة أن ينالهم حد السيف مددنا أبواعنا إليهم به^(٣)
أو وصلناها ، وفي هذا المعنى قوله :

(١) ضبط في النسختين بكسر الخاء . وفي اللسان والقاموس «الخيلان» بالتحريك .

(٢) رواية التبريزى : «أن يصيدهم» .

(٣) في الأصل : «بنا» ، والكلمة ساقطة من م .

إِذَا قَصَرْتُ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلَهَا خُطَّانًا إِلَى أَعْدَائِنَا لِلتُّضَارِبِ^(١)
وَقُولُهُ «تَنْجُوا أَنْ يَنْهَمُ» أَى تَنْجُوا مِنْ أَنْ يَنْهَمُ ، وَخَافَةً أَنْ يَنْهَمُ ؛
فَمَا حُذِفَ مِنْ وَصْلِ الْفِعْلِ فَعَمِلَ . وَعَلَى هَذَا قُولُهُ : تَحَصَّنَ فَلَانُ أَنْ يُطَلَّبَ ،
وَقُولُ اللَّهِ تَعَالَى : «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضْلُوا» . وَقُولُهُ : «وَصَلَنَاهَا بِأَيْدِينَا»
أَى إِذَا عَجَزْتَ جَعَلْنَا وَصَلَنَا أَيْدِينَا . وَهَذِهِ الْأَيَّاتُ إِذَا تُؤْمِنَتْ فَكُلُّ مِنْهَا غَايَةٌ
يَدْعُ إِلَى نَفْسِهِ لَفْظًا وَمَعْنَى .

١١- وَلَا تَرَاهُو إِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتِهِمْ مَعَ الْبَكَاءِ عَلَى مَاتَ يَبْكُونَا
يَصُفُّ تَعْوِدَهُمْ لِلشُّكْلِ ، وَإِلَفَهُمُ لِلْمَصَابِ وَالْقَتْلِ ، وَأَنَّ قَوْبَهُمْ قَدْ مَرَّتْ
عَلَيْهَا حَتَّى قَسَّتْ ، فَلَا يَبْكُونُ مَعَ الْبَكَاءِ عَلَى مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ . وَمَثَلُهُ قَوْلُ
عُمَرُ بْنُ كَلْمُونَ :

مَعَادَ الْإِلَهِ أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا عَلَى هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَصِيحَ مِنَ الْقَتْلِ
١٢- وَرَزَّكُ الْكُرْهَ أَحْيَانًا فِي رُجُهِهِ عَنَّا الْحِفَاظُ وَأَسْيَافُ تُوَاتِنَا
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا كَمَا قَالَ الْآخِرُ :

* شَافَنَا الشِّيفَ عَلَى الدَّهْرِ *

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالسِّيُوفِ رِجَالًا كَانُوكُمُ السِّيُوفُ مَضَاءً وَنَفَادًا . وَالْأُولَى
أُولَى . وَإِنَّمَا يَصِفُّ خِطَارَهُمْ بِمَهْبِبِهِمْ ، وَرِكْوَبَهُمْ لِلْمَهَالِكَ ، وَرَمِيمَهُمْ بِأَنفُسِهِمْ
الْمَرَأَى الْمُغَيْبَةَ . فَيَقُولُ : إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ بَعْدَ الْوَقْتِ ، وَسَعَتِ الْمُضَايِقَ عَنَّا
حَفَاظَتِنَا عَلَى الْكَرْمِ وَصَبَرْنَا عَلَى الشَّدَائِدِ ، وَاسْتَعْمَلْنَا سُيُوفَنَا الْمَطَاوِعَةَ لَنَا . وَمَعْنَى

(١) كَذَا جَاءَتِ الرِّوَايَةِ فِي النَّسْخَتَيْنِ . وَالْمُعْرُوفُ فِي رِوَايَةِ بَيْتِ قَيْسِ بْنِ الْحَاطِمِ :

إِذَا قَصَرْتُ أَسْيَافِنَا كَانَ وَصَلَهَا خُطَّانًا إِلَى أَعْدَائِنَا فَضَارِبٌ

وَلِلْأَخْنَسِ بْنِ شَهَابِ التَّنْعِي فِي الْمُضَلَّاتِ (٢ : ٧) :

وَانْ قَصَرْتُ أَسْيَافِنَا كَانَ وَصَلَهَا خُطَّانًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ نَضَارُبُ

يُفْرَجُهُ : يكشفه ويُوسعه . ويقال : فَرَّاجَ اللَّهُ عَنْهُ وَفَرَّجَهُ ، بالتحفيف والتشديد . ومنه سُمِّيَ ما بين القواطع : الفروج . وإطلاق لفظ الفرج على العورات مجرى مجرى الكنيات . وعلى هذا قيل : رَجُلٌ فَرْجَةٌ ، إِذَا كَانَ كَشَافًا لِأَسْرَارِهِ .

١٥

عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، ويقال إنه لـ السموءل

ابن عاديا اليهودي^(١) :

١—إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ الْلَّؤْمِ عِرْضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يُرْتَدِيهِ جَهِيلٌ

يقال : دَنَسَ دَنَسًا ، وَدَنَسَ تَدَنَسًا ، إذا تکلفه . فيقول : إذا لم يتدنس الرجل باكتساب اللؤم واعتياده فإلى متلبس لبسه بعد ذلك كان حسناً جيلاً . وذكر الرداء هنا مستعار ، وقد قيل : رداء الله رداء عمله ، فجعل كنایة عن مكافأة العبد بما يعمله ، أو تشميره به ، كما جعله هذا الشاعر كنایة عن الفعل نفسه . وتحقيقه : فإلى عمل عمله بعد تجنب اللؤم كان حسناً . واللؤم : اسم لخصال مجتمع ، وهي البخل واختيار ما تقتضيه المروءة^(٢) ، والصبر على الدنيا ، ودناءة النفس والآباء . وإذا يتضمن معنى الجزاء ، والفاء مع ما بعده جوابه . وليس هنا من قول عمرو بن معد يكتب :

لِيسَ الْجَمَالُ بِمُتَزَرٍ فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيَتْ بِرُدَادِ

(١) لم يذكر التبريزى النسبة الأولى في صدر الإنشاد ، ولكن ذكرها قبل تفسير البيت الأول . قال : « ويقال إنها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، وهو إسلامي » . وهو السموءل ابن غريض بن عاديا ، المضروب به مثل في الوفاء ، لأنه أسلم ابنه حتى قتل ولم يخن أمانته في أدراع أودعها عنده امرؤ القيس . انظر الأغاني (٩٨ : ١٩) (١٠٩) وابن سلام (١٠٩) . وهذا الإنشاد وما بعده من الكلام إلى البيت الثالث — ما عدا سطراً قبله — ساقط من م .

(٢) في الأصل : « يتقى » وعند التبريزى : « ما تنفيه » ؛ والمودى متقارب .

فِيُعْتَقَدُ أَنَّهُ يَرِيدُ بِالرَّدِّاءِ التَّيَابَةَ بِسَبِيلٍ ، فَاعْلَمُهُ .

٢— إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حَسْنِ الشَّنَاءِ سَبِيلٌ^(١)

يقول : إذا المرء لم يتحمل ظلم نفسه عليها ، ولم يصبرها على مكارها ، فليس له طريق إلى الشناه الحسن . وهذا يشير إلى كظم الغيظ ، واستعمال الحلم ، وترك الظلم والبغى مع ذويه ، والصبر على المشاق ، وإيهانة النفس في طلب المحقق ؛ لأنَّ من تَعَوَّدَ هذه الأشياء علاً ذُكرُه ، وحسن شناوه . ويقال : ضامه ضيماً ، وهو ماضيم ، إذا عدلَ به عن طريق النصفة واهتضمه . ومنه قيل : قعد في ضرم الجبل ، أى في ناحية تَعْدِلُ إليه^(٢) . وكما استعمل الضيم من ضام ، كذلك استعمل المضم واحِدًا أهضام الوادي من هضم . وينبع من طريق المعنى أن يُريد بقوله « ضَيْمَهَا » ضيماً الغير لها فأضاف المضدر إلى المعمول ، لأنَّ احتمال ضيماً الغير لهم يأنفون منه ، ويعدوونه تذللًا .

٣— تُعِيرُنَا إِنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ

يقال عَيَّرَتْهُ كذا ، وهو اختبار الحسن ، وقد جاء عَيَّرَته بـكذا . قال عَدِيدٌ :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالدَّهْ رَأَيْتَ الْمَسِيرًا الْمَوْفُورُ

والمعنى أنكرت منا قلة عَدِيدنا فعدتها عاراً ، فأجبتها وقلت : إنَّ الْكِرَامَ يقلُّون . والكَرَامَ : اسم لِخَصَالٍ تُضَادُ خَصَالَ الْلَّؤْمِ ، وقد ذكرناها^(٣) . وهذا الاعتراف الذي حصل منه إنما هو اعتراف بقلة العدد لا بقلة القدر والفناء ،

(١) التبريزى : « وإن هو لم يحمل ». .

(٢) في الأصل : « في ناحيته يتعدك إليه » تحريف . وفي الحاسة : « في ناحية تعدل إليه ». .

(٣) في تفسير البيت الأول ص ١١٠ .

* وما قلَّ مَنْ كَانَ بِقِيَاهِ مِثْلَنَا *
أَلَا تَرَى أَنَّهُ رَجَعَ عَلَيْهِ بِالْتَّفْيِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي فَقَالَ :

على أن قوله «إنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ» يشتمل على معانٍ كثيرة : وهي ولوغُ الدَّهْرِ بِهِمْ ، واعتيادِ الْمَوْتِ إِيَّاهُمْ ، وقلةِ النَّسْلِ فِيهِمْ ، واستقْتالُهُمْ فِي الدِّفَاعِ عَنْ أَهْلَبِهِمْ ، وإِهَاكُهُمْ كَرَامُ نَفْوسِهِمْ مُخَافَةً لِزُومِ الْعَارِهِمْ ، ومحافظَتِهِمْ عَلَى عِمَارَةِ مَا ابْنَاهُ أَسْلَافُهُمْ . وكلُّ ذَلِكَ يقللُ العَدَدَ ، ويقصُرُ الْمَدَدَ . وقليلٌ وَكثيرٌ يوصِفُ بِهِمَا الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ .

— وما قَالَ مِنْ كَانَتْ بِقَايَا هُمْ لَنَا شَبَابٌ تَسَاءَلَ لِلْعُلَّا وَكَهْوَلٌ
الباء من قوله « بقاياه » راجحة إلى لفظ « مَنْ » لأنَّ معناه الكثرة . ولو ردَّ
عليه^(۱) لقال بقاياهم . يقول : وما حصلت الْقِلَّةُ فِي الْقَدْرِ وَالْفَنَاءِ ، وَلَا لَحْقَتِ
الذِّلَّةِ فِي الْلَّقَاءِ وَالْدِفَاعِ لِأَسْلَافِ أَخْلَافِهِمْ نَحْنُ ، شَبَانٌ وَكَهْوَلٌ يَتَسَامُونَ فِي
اِكتسابِ المعالى ، وَيَتَرَوْنَ فِي درجاتِ الفضل . وَ « شَبَابٌ » مَصْدَرٌ فِي الأَصْنَلِ
وَصِفَّ بِهِ ، وَلَذِكَ لَا يَتَنَّى وَلَا يَجْمُعُ . يَقُولُ شَبَّ الصَّبَّى يَشِّبُّ شَبَابًا . وَقَوْلُهُ
« تَسَاءَى » أَرَادَ تَنَسَّائِي ، خَذْفٌ إِحْدَى التَّاءِينِ استِقْنَالًا لِلجمعِ يِنْهَما . فَإِنْ
قَلَتْ : هَلَا أَدْعَغْتَ كَا أَدْعَغْتَ فِي أَدَارَكَ — وَالْأَصْلُ تَدارَكٌ ؟ قَلْتَ : لِيسَ
هَذَا مَوْضِعٌ إِدْغَامٌ ، لِأَنَّهُ فَعَلَ مُضَارِعٍ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ أَدْعَغْمَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى جَلْبِ
أَلْفِ الْوَصْلِ لِسَكُونِ أَوْلَاهُ ، وَأَلْفِ الْوَصْلِ لَا يَدْخُلُ عَلَى الْفَعْلِ لِلْمُضَارِعِ . وَالسَّكْفَلُ :
الَّذِي قَدْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ ، وَمِنْهُ أَكْتَهَ النَّبَّتُ ، إِذَا سَمِّلَ النَّوْرُ .

٥—وما ضرَّنا أَنَا قليلٌ وجاْرُنا عَزِيزٌ وجارُ الْأَكْثَرِينَ ذليلٌ

فـي هـذـا الـكـلـام تـعـرـيـض بـعـشـيرـة مـن جـاذـبـه الـكـلـام^(٢). يـقـول : وـمـا يـضـرـنـا

(١) أى على المعنى . وف م : « عليهم » .

(٢) م : « بالكلام » .

فَلَهُ عدُونَا وَجَارُنَا فِي عِزٍّ ، وَجَارٌ مِنْ لَهُمُ الْعَدَدُ وَالكَثْرَةُ فِي ذُلٍ . وَقَوْلُهُ : « وَمَا ضَرَّنَا » يُحَذِّرُ أَنْ يَكُونَ مَا حَرَفَ نَفْيُ ، وَالْمَعْنَى لَمْ يَضْرَّنَا ؛ وَيُحَذِّرُ أَنْ يَكُونَ اسْمًا مُسْتَفَهَمًا بِهِ عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيرِ ، وَالْمَعْنَى أَئِ شَيْءٌ يَضْرُّنَا . وَالْوَادِي مِنْ قَوْلِهِ : « وَجَارُنَا عَزِيزٌ » وَالْحَالُ ، أَئِ لَا يَضْرُّنَا ذَلِكُ الْحَالُ هَذَا . وَكَذَلِكَ الْوَادِي مِنْ قَوْلِهِ : « وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ » وَالْحَالُ . وَإِنَّمَا صَالِحُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَالَيْنِ لِأَنَّهُمَا لِذَاتِيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ ، وَلَوْ كَانَا لِذَاتِيْنِ وَاحِدَةٍ لَمْ يَصْلَحُ . وَالْعِزُّ وَالْعِزَّةُ اسْتُعْمَلُ فِي الْقُدْرَةِ وَالْمَنْعِ ، وَفِي الصَّلَابَةِ وَالشَّدَّةِ . وَيَقَالُ : تَعَزُّ اللَّهُمَّ ، لَأَنَّ الْكُلَّ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ ، كَمَا أَنَّ الذُّلُّ وَالذُّلُّ الَّذِي هُوَ ضَدُّهُ اسْتُعْمَلُ فِي الْاِنْقِيَادِ وَالشَّهْوَةِ وَاللَّيْنِ وَالْوَطَاءَ ، إِذْ جَمِيعُهُ يَدْعُونَ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ .

وَفِي طَرِيقَتِهِ :

فَجَارُكَ عِنْدَ يَنْتَكَ لَمْ ظَبِيِّ وَجَارِيِّ عِنْدَ يَنْتَيِ لَامِرِامُ
وَقَوْلُ الْآخِرِ^(١) :

* وَهُمْ يَمْتَهِنُونَ جَارَهُمْ أَنْ يُقْرَدُ^(٢) *

٦ — لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُهُ مِنْ تُحِيرُهُ مَنْبِعُ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلٌ^(٣)

وَمِثْلُهُ :

لَنَا هَصْبَةٌ لَا يَدْخُلُ الذُّلُّ وَسُنْطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ لِيُؤْصَلَ
وَأَرَادَ بِذَكْرِ الْجَبَلِ الْعِزَّةَ وَالسُّمْوَةَ . فَيَقُولُ : لَنَا جَبَلٌ عِزٌّ يَدْخُلُهُ مِنْ نُدُخْلِهِ
فِي جَوَارِنَا ، مُمْتَنَعٌ عَلَى طَالِبِهِ ، يَرُدُّ لِإِشْرَافِهِ وَسُمُوقَهُ طَرْفَ النَّاظِرِ إِلَيْهِ وَهُوَ حَسِيرٌ .

(١) هو الحسين بن الفقعان ، كاف اللسان (سنن ، ألس).

(٢) صدره : * هُمْ السُّمْنُ بِالسُّنْتِ لَا أَلْسَ يَنْهَمُ *

(٣) في الأصل : « بُرُدُ الطَّرْفَ » ، صوابه في م والتبريزى .

ومنيعٌ : اسم الفاعل من مَنْعَ مَنَاعَةً وَمَنَاعَاتٍ^(١) ، ومنه المنع . ويجوز أن يكون فعيلًا في معنى مفعول ، أي منوع منه ، وكما استُعمل المنع في العَزِّ استُعمل أيضًا في العِفَةِ ، فقيل امرأة منيعةٌ ومُمتنعةٌ^(٢) أي عفيفةٌ . وحلَّ واحتلَّ بمعنىٍ . والطرف : النَّظَرُ والعين جمعاً . وقال الدرِيْدِيَّ : طَرْفُ العَيْنِ امْتَدَادُ حَلْظَاهَا^(٣) .

٧— رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الْرَّئِيْسَ وَسَمَابِهِ إِلَى النَّجْمِ فَرَعَ لَا يُنَالُ طَوِيلٌ
 رسَا الجبلُ : ثبتَ أصلُهُ في الأرض . ومنه رسَت السُّفُنُ ، إذا انتهت إلى قرار البحر^(٤) . والرُّسُوْلُ والرُّسُوخ يتقاربان . والرَّئِيْسُ : النَّدَى . وما تحت الأرض
 ثَرَى . ويقال : ثَرَى ثَرَى ، على المبالغة . يقول : ثبتَ أصلُ هذا الجبل
 — وهو يريد العَزِّ على ما بيَّنتَ — تحت الأرض وارتفع به أَعْلَى طَوِيلٌ لا يُنَالُ
 إلى محلِ النَّجْمِ . والمرادُ : عَزَّنا أصلُهُ تحت الأرض التَّابِعَةَ ، وفَرَعَهُ عند النَّجْمِ .
 ومعنى لا يُنَالُ : لا يُوصَلُ إليه ولا يُحَصَّلُ مثله . وكما كان يقال في الرَّفِيع الشَّانِ
 العالى القدر : هو في النَّجْم وهو في الشَّكَاك ، وكان قصده في الفَرَعِ أنه مدِيدٌ حتى
 اتصل بالنَّجْم ، زاده صِفَةً فقال طَوِيلٌ . وقد طَابَقَ الرُّسُوْلَ بالسُّمُوْ ، كما قابل الأصل
 بالفَرَعِ . ونقله أبو تمامٌ فقال :

لَنَا نَبْعَثُ فَرِعُهَا فِي السَّمَاءِ وَفِي هَامِةِ الْحَوْتِ أَعْرَاقُهَا

٨— وَإِنَّا لِقَوْمٍ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةٌ إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ
 كان وجه الكلام أن يقول : ما يَرَوْنَ القتْلَ سُبَّةٌ ، حتى يرجع الضمير من

(١) هذا المصدر مالم يرد في المعاجم المتداولة .

(٢) م : « مُمتنعة » .

(٣) نبه التبريزى إلى أنه روى بيت آخر بعد هذا البيت في بعض الروايات ، وهو :
 هو الأباقي الفردالدى سار ذكره يعنى على من رامه ويقول

(٤) م : « إلى قرار الأرض » ، والمُؤْدِي واحد . وفي اللسان : « ورسَت السُّفُنُ ترسو رسوا : بلغ أسفالها القعر وانتهى إلى قرار الماء ، فثبتت وبقيت لا تُنَادِي » .

صفة القوم إليه ولا تعرى منه ، لكنه لما علم أن المرأة بالقوم هم قال : ما نرى .
وقد جاء في الصفة مثل هذا ، وهو فيه أفحى ، قال :
* أنا الذي سمعتْ أتم حيدرَه^(١) *

والوجه «سمته» حتى لا يعرى الصفة من ضمير الموصول . قال أبو عثمان المازني :
لولا صحة مورده وتكلّره لردّته . فضل عشيرته في الصبر على الموت ، والثبات
في الحرب على عامر سلول ، وهو قبيلتان^(٢) . فيقول : إذا حسِبَ هؤلاء القتل
والقتال عاراً ومنقصةً عدّها عشيرتي خرراً ومكرمةً . والسبة : ما يُسبّ به ، كأن
الخدعَةَ ما يُخدعَ به . وأصل السب : القطع ، ثم استعمل في الشتم . وهذا
كما يقال : فلان يقطع أعراض الناس . وقوله : «ما نَرَى» أى لا يجعل
ذلك مذهبًا .

* يَقْرَبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَانَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ^(٣)
قوله : «يقرب حب الموت» أى حبّنا للموت . وجعل في مقابلته : «وتكرهه
آجالهم» لأنّه يشمل على ما يوقّها حقّها من اللّفظ . وإنْ كانت^(٤) من حيث
المعنى قد حصلتْ : ويبعد بغضّهم إيهـ آجالـهم . ويكون الشاعر ملـماً في المصراع
الأول بقول الآخر :

* رأيتُ الْكَرِيمَ الْحَرَّ لِيـسـ لـهـ عـزـرـ *
لأنه يشير إلى أنهم يعتّبطون لاقتحامهم المنايا ، وحرّ صفهم على ملابسة

(١) لمي بن أبي طالب ، كما في اللسان (حدر ، سندر) .

(٢) التبريزى : يعني عامر بن معصومة . وبنو سلول هم بنو مرّة بن معصومة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن متصور بن عكرمة بن خصبة بن قيس بن عيلان .

(٣) وروى : «يحصر حب الموت» ، كما سيأتي ، وكما عند التبريزى .

(٤) الضمير في «كانت» لل مقابلة . فالأصل : «وهو وإن كانت» . م : «وهو إن كان» .

الحروب ، وأن أولئك يعمرون لجانبهم الشرور ، وزهدهم في مجازة العدو^(١) .
ويجوز أن يكون أضاف الحب من قوله « حب الموت » إلى الفاعل ، فيكون
المعنى : يقرب حب الموت لنا آجالنا ، ويكون هذا كقول طرفة :
أرى الموت يعتام السِّرَام ويصطفى عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ
ويكون على هذا قوله « وتكرهه آجالهم » محمولا على أنه إذا كرهت آجالهم
الموت فقد كره الموت آجالهم أيضاً . لا ترى قول دريد :
أَبَنِي الْقَتْلِ إِلَّا آلَ صَمَّةَ إِنْهُمْ أَبُوًا غَيْرِهِ وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ
وقول مُتَمَّمٌ :

* أَرَى الموت طَلَاءً عَلَى مَنْ تَرَفَّعَ^(٢) *

وإذا كان كذلك فالتقابل في هذا الوجه حاصلًّا أيضاً . وبعضهم روى :
« يُقصَرُ حب الموت » واختاره ، ليكون القصر بزيادة الطول . وهو لا يُراعون
مثل هذا إذا تناست المعايير وتقابلت ، ويكون ذلك منهم كالمتبرى^(٣) من
التكلف . لا ترى أبا ذؤيب الهدنلي قال :

وَشِيكُ الْفُصُولِ بَعِيدُ الْقُفُولِ إِلَّا مُشَاهِدًا بِهِ أَوْ مُشَيْحًا
وقد كان يمكنه أن يقول بطريق القول فلم يُراع ذلك . وقد أحسن عنقرة
كل الإحسان في سُلوكِ هذه الطريقة ، حين قال :

* لِيُسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِحَرَمٍ^(٤) *

(١) م : « ممارسة العدو » .

(٢) م : « توقنا » . وفي الفضليات (٢ : ٧٠) :

فلا تفرحن يوماً بنقشك لاني أرى الموت وفاءً على من تشجعا

(٣) م : « كالثبرا » .

(٤) صدره :

* فشككت بالرمي الأصم ثيابه *

١٠- وَمَا ماتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَّىٰ أَنْفَهُ^(١) وَلَا طُلَّ مَنْ حَيَتْ كَانَ قَتِيلُ^(٢)
« حَتَّىٰ » انتصب على الحال ، ولم يُستعمل منه حَتَّىٰ ولا هو محتوف .
وليس هذا مثل تَبَسَّمَتْ وَمِضَ الْبَرَقِ^(٣) ، فاعله . يقول : لَمْ يَمُتْ رَئِيسٌ مَنْ
عَلَى فِرَاشِهِ ، بَلْ مَاتَ مِيتَةً كَرِيمَةً فِي الْحَرَبِ تَحْتَ ظِلَالِ السَّيُوفِ وَالرَّماحِ ،
وَلَا أَبْطَلَ دَمُ قَتِيلٍ مَنْ أَحْيَتْ كَانَ ، وَعَلَى يَدِهِ مَنْ اتَّفَقَ . وَهَذَا غَايَةُ مَا يَتَحَمَّدُ بِهِ
الْفَتَّاكُ وَأَبْنَاءُ الْحَرَبِ ، حَتَّىٰ إِنْ بَعْضُهُمْ اعْتَدَرَ عَمَّا مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ فَقَالَ :
بِحَمْدِيِّ مِنْ سِنَانِكَ لَا يَدْمَمُ^(٤) أَبَا قُرْآنَ مَيْتٌ عَلَى مِثَالِ^(٥)
وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُهُ :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الذِّيولِ^(٦)

وقوله : « مات حتف أنه » يقال إن أول من تكلم به النبي صل الله عليه وسلم . وتحقيقه : كان حتفه بأنفه ، أى بالأنفاس التي خرجت من أنفه عند نزع الروح ، لا دفعة واحدة . ويقال خص الأنف بذلك لأنه من جهة ينفضي الرمق . ويقال : طل دمه يطل طلا ، إذا أهدر .

١١- تَسِيلٌ عَلَى حَدَّ الظَّبَابَاتِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ السَّيُوفِ تَسِيلٌ
يرُوى : « تسيل على حد السيوف نفوسنا » . ولم يقل وليس على غيرها تسيل في الروايتين ، لأنهم يكررون أسماء الأجناس والأعلام كثيراً ،

(١) التبريزى : « وروى : * وما مات من سيد في فراشه *

وهذه الرواية رواية من يجعل القصيدة جاهلية » .

(٢) أى ليس من المتصوب على أنه مصدر مرادف .

(٣) المثال : الفراش . وفي قول الأعشى :

بكل طوال الساعتين كأنما يرى يسرى الآيل المثال المهدى

(٤) لعمربن أبي ربيعة . الأغاني (٨ : ١٣٣) وزهر الأداب (٤ : ٧٦) وعيون

الأخبار (٢ : ٤٩) .

ولا سيما إذا قَصَدوا التفخيم بها . كَمَا قَالَ عَدِّيُّ :

لَا أَرَى الموتَ يُسْبِقُ الموتَ شَيْئاً نَقْصَنَ الموتُ ذَا الغَنَى والفقيرَا
وَفِي الْرَوَايَةِ الثَّانِيَةِ - وَهِيَ الْمُشْهُورَةُ - أَضَافَ الْحَدَّ إِلَى الظُّبَابَاتِ . وَهَذَا فِيهِ
وَجْهَانٌ : أَحَدُهُمْ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالظُّبَابَاتِ السِّيُوفَ كُلَّهَا ثُمَّ أَضَافَ الْحَدَّ إِلَيْهَا ،
وَالْمَعْنَى : تَسْيِيلُ عَلَى حَدَّ السِّيُوفِ دَمَاؤُنَا وَلَيْسَ تَسْيِيلُ عَلَى غَيْرِهَا . وَهَذَا كَمَا
يُسَمَّى السِيفُ كَمَا هُوَ نَصْلًا ، وَكَمَا يُسَمَّى التَّسْهُومُ نَصْلًا كَمَا هُوَ . وَالثَّانِي أَنْ إِضَافَةُ
الْحَدَّ إِلَى الظُّبَابَاتِ كَإِضَافَةِ الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ : تَسْيِيلُ عَلَى الْحَدَّ
مِنَ الظُّبَابَاتِ ، وَتَكُونُ الظُّبَابَاتُ مَضَارِبَ السِّيُوفِ . فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ تَبْجُحُ بِأَنَّ
تَكُونُ دَمَاؤُهُمْ تَسْيِيلُ عَلَى حَدَّ السِّيُوفِ لَا عَلَى غَيْرِهِ ؟ قَلْتَ : إِنَّ الدَّمَاءَ قَدْ تَسَلَّ
بِالْعِصَمِيِّ وَبِغَيْرِهَا مَا لَا يَكُونُ شَرَفًا ، فَعَدَّ الْقِتَلَةَ الَّتِي تَكُونُ بِالسِيفِ أَكْرَمَ .
أَلَا تَرَى أَنَّ بْنَي أَسَدٍ يُسَمُّونَ « عَبِيدَ الْعَصَمَ » لِمَا كَانَ حُجْرَةً أَبُو امْرَى * القيسِ
حِينَ أَوْقَعَ بِهِمْ قُتْلَاهُمْ بِهَا ، لِتَكُونَ قِتْلَتَهُمْ ذَمِيمَةً . وَقَدْ قُتِلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِالْجَلَامِيدِ
وَالصُّخُورِ ، وَلَذِكْرِهِ قَالَ بِعَضُّهُمْ :

جَلَامِيدُ أَمَلاَهُ الْأَكْفَفُ كَأَنَّهَا رَهْوَسُ رِجَالٍ حُلُقتُ فِي الْمَوَاسِمِ^(١)
وَقَالَ آخِرُ^(٢) :

وَلَا نَقَـسـاـلـ بـالـعـصـمـيـ ولا نـرـاجـيـ بـالـحـجـارـةـ
إـلـآـعـلـالـةـ أـوـبـدـاـ هـةـ سـاجـنـهـ الـجـزـارـةـ
وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هـذـا فـعـنـيـ التـبـجـحـ أـنـ تـكـوـنـ مـنـيـتـهـمـ بـالـسـيـوـفـ ظـاهـرـةـ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ :

لـوـ بـأـبـانـينـ جـاءـ يـخـطـبـهـ رـمـلـ مـاـ أـنـفـ خـاطـبـ بـدـمـ^(٣)

(١) انظر البيان (٣ : ١٥) والكامل ٣٣٣ ليسك .

(٢) هو الأعشي . ديوانه ١١٤ - ١١٥ .

(٣) لمهلل بن ربيعة ، كافي معجم البلدان (أبنان) .

فإن الفحول المحين إذا تعرض للناقة السكريمة قرع أنفه بالعصا وضرب وجهه بها ، فهو من ذاك مأخذ .

١٢- صَفْوَنَا فِلْمَ نَكْدُرْ وَأَخْلَصَ سِرَّنَا إِنَاثٌ أَطَابَتْ حَمْلَنَا وَفُحُولٌ^(١)

وأشار بهذا الكلام إلى كرم المناصب والمناسب ، وطيب المنيت والمغرس .
فيقول : صفت أنسابنا فلم يشنها كدوره ، وخلص نكاحنا أمهاط طيبة بتحملنا ، وأباءاً كرمت عروقنا . ويقال : كدر الماء يكدر كدرًا وكدورا وكدوره ، وهو كدر وكدر . وفي ضده صفا الماء يصفو صفوًا ؛ والصفوة الاسم . ومن أمثلهم : « خذ ما صفت ودع ما كدر ». والسر : النكاح . وسر الشيء : خالصه . ويجوز أن يكون قولهم سرية فقليلة من هذا .

١٣- عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظَّهُورِ وَهَنْتَنَا لوقتٍ إِلَى خَيْرِ الْبَطُونِ نُزُولٌ

يصف ترددهم في شرف المضعد والنحدر ، وكرم العنصر والمتحول ، كما ذكر طهارة النكاح ولولد ، وجالة المعتلى والمستقر ، فيقول : علوانا في خير الظهور ، أي حصلنا في أعلى المراتب من ظهور أكرم الآباء ، وحدرتنا منها لوقتي معلوم — يشير إلى وقت الأطهار — نزول إلى خير بطون من أشرف الأمهات^(٢) . والمعنى أنا كرام الأطراف . وهذه الآيات إذا توكلت أدئ التأمل منها إلى سلامه اللفظ والمعنى من كل متعاب^(٣) ، وحصول الفخامة والجلالة لها في كل جانب وباب .

(١) نكدر ، ورد بفتح الدال في النسختين ، ويجوز ضمها ، فإن ما ضمها مثلث الدال كما في القاموس .

(٢) أي نزول من ظهور آبائهم إلى خير بطون من أشرف الأمهات .

(٣) متعاب ، أي عيب ، وفي الأصل : « متعاب » صوابه في م .

١٤— فنِحنُ كَمَاء الْمَزِنِ مَا فِي نِصَابِنَا كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بَخِيلٌ
ماء المطر أصفى المياه عندهم ، فشبّه صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر . والمزنُ :
السحاب . وقوله : « ما في نصابنا كَهَامٌ » ، أي ليس فينا كليل الحدّ ، ولكن
كُلُّ مَنَا ماضٍ نافذٌ ، ولا فينا بخيل فيعدّ . وهو تَقْيٌ للبخل رأساً ، وليس
يريد أن فيهم بخيلاً ومع ذلك لا يعدّ^(١) . ومثلهُ :

* ولا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ^(٢)

أى ليس بها ضَبٌّ رأساً فينجحر ، ومثل هذا كثير . ويقال كَهَامٌ وَكَهَمٌ
يَكْهَمُ وَيَكْهُمُ كَهَامَةً ، فهو كَهَامٌ وَكَهُمٌ . يقال ذلك لارجُل إذا ضُعِفَ ،
والسيف إذا كَلَّ .

١٥— وَنُنْكِرُ إِنْ شِينَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ تَقُولُ

هذا مثل قول الآخر :

وَمَا يُسْتَطِعُ النَّاسُ عَقْدًا نَشَدُهُ وَنَفْضُهُ مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ مُبْرَمًا^(٣)
يصف رياستهم وعلوّ كلامهم ونفذ حكمهم ، ورجوع الناس في المهمات
إلى رأيهم ، والاعتماد على تدبيرهم^(٤) ومشورتهم . فيقول : نُفَيْرُ ما نُرِيدُ تغييره
من قول غيرنا ، وأحد لا يجسر على الاعتراض علينا ، والإنكارات قولنا ، اتفقاداً
لهوانا ، واقتداء بمحزمنا . وهذا كما قال الأعشى :

(١) لا يعد ، ساقطة من الأصل ، وإنيتها من م .

(٢) البيت لابن أحمر ، كافي المزانة (٤ : ٢٧٣) . وصدره .

* لافزع الأرباب أهواهها *

(٣) عند التبريزى : « نشده » و « وبنقضه » .

(٤) في الأصل : « في تدبيرهم » ، وأنبتنا ما في م .

* كُلُّ سِيرَضَى بِأَنْ يُلْقَى لَهُ تَبَعًا^(١) *

١٦ - إِذَا سَيِّدُ مِنَ الْخَلَاءْ قَامَ سَيِّدُ قَوْلُ لِمَا قَالَ الْكَرَامُ فَعُولُ
يُشَبِّهُ قَوْلَ حَاتِمَ :

إِذَا ماتَ مَنَّا سَيِّدُ قَامَ بَعْدَهُ نَظِيرٌ لَهُ يُغْنِي غَنَاهُ وَيَخْلُفُ
وَقَوْلُ عُرْوَةَ :

إِذَا ماتَ مِنْهُمْ سَيِّدُ قَامَ بَعْدَهُ عَلَى مَجْدِهِ غَمْرُ الْمَرْوَةِ سَيِّدُ^(٢)

١٧ - وَمَا أَحْمَدَتْ نَارُ لَنَا دُونَ طَارِقٍ
أَرَادَ بِقُولِهِ « نَارٌ لَنَا » نَارُ الضِيَافَةِ . يَقُولُ : نُدِيمٌ إِيْقَادَهَا فَلَا تُطْفَأُ دُونَ
طَارِقٍ لَيلٍ . وَالضَّيْفُ إِذَا فَارَقَهَا حَمِدَنَا وَمَيْدُمَنَا ، لُخْسِنٌ تُوفِّرُ نَا عَلَيْهِ ، وَاحْتَفَالِنَا
عَنْدَ سَوْقِ الْخَيْرِ إِلَيْهِ . وَالنَّزِيلُ ، كَالرَّفِيقِ وَالجَلِيسِ وَالْأَكِيلُ . وَالطَّرُوقُ
يَخْتَصُّ بِاللَّيلِ . وَسُمِّيَ النَّجْمُ طَارِقًا لِذَلِكَ .

١٨ - وَيَامَنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُوْنَا لَهَا غُرْرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولٌ
يَقُولُ : وَقَعَاتُنَا مَشْهُورَةٌ فِي أَعْدَائِنَا مَعْلُومَةٌ ، فَهُنَّ بَيْنَ الْأَيَّامِ كَالْأَفْرَاسِ
الْفَرُّ الْمَحِبَّةِ بَيْنَ الْخَيْلِ ، يُعْرَفُ بِلَوْنِهَا ، وَحُسْنُ آنَارِنَا عَنْدَ التَّهْوِضِ لَهَا .
وَهَذَا كَمَا قَالَ :

* وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمٌ أَغْرِيَتْهُ حُجَّلُ *

وَالتَّحْجِيلُ : أَنْ يَبِيِضَ مِنَ الْأَوْظِفَةِ مَوَاضِعُ الْحِجَّلِ ، وَهُوَ الْقِيدُ وَالْخَلَالُ .

(١) كُنَّا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي مِنْ : « يَلْقَى لَهُ » ، وَفِي الْدِيَوَانِ ٨٦ : « بِأَنْ يَرْعَى لَهُ » ..

وَصَدْرُ الْبَيْتِ :

* تَلَقَّى لَهُ سَادَةُ الْأَقْوَامِ تَابِعَةً *

(٢) يَعْزِزُ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ مِنْ . وَالْبَيْتُ لَمْ يَرُوْ فِي دِيَوَانِ عَرْوَةَ .

إذا ارتفع التَّحْبِيل حتى يبلغ الفخذين فما فوق فهو التجويف . قال طَفِيلُ :

* شَمِيطُ الدَّنَابَ جُوفَتْ فَهِي جَوْنَةُ *^(١)

١٩— وأَسِيافُنا فِي كُلِّ غَربٍ وَمَشْرِقٍ بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ

مثله قولُ النَّابِغَةِ :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولُ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَابِ

يقول : قد تَفَلَّتْ سِيوفُنَا بِمَا نَصَارَبُ بِهَا الْأَعْدَاء ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ
وَمَغَارَبِهَا . وَقَالَ : « مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ » ، لَأَنَّ الْفَرَضَ أَنْ يَكُونَ عَدُوُّهُمْ عَلَى
غَايَةِ الْاحْتِرَازِ مِنْهُمْ ؛ وَفِي أَكْلِ الْاسْمَعَدَادِ لَهُمْ . وَقَوْلُهُ : « فِي كُلِّ غَربٍ
وَمَشْرِقٍ » ظَرْفُ لِقِرَاعِ الدَّارِعِينَ . أَى بِأَسِيافِنَا فُلُولُ مِنْ الْقِرَاعِ فِي كُلِّ
غَربٍ وَمَشْرِقٍ .

٢٠— مُوَوَّدَةً أَلَا تُسَلِّ نِصَالَهَا فَتَقْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَحَ قَبِيلُ^(٢)

مثله قولُ الْآخِرِ^(٣) :

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشْيُمُوا سَيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكُثُرْ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتِ

(١) عِزْهُ كَافٍ الْدِيْوَانُ ٦٠ وَاللَّسَانُ (شَطَطُ ، جَوْفُ) :

* بَنْقَة دِبَاج وَرِيْط مَقْطَع *

(٢) فِي الْأَصْلِ : « قَبِيلٌ » ، وَصَوَابُ الرَّوَايَةِ مِنْ مَ وَالْتَّبَرِيزِيِّ ، وَهُوَ مَا يَقْضِيهُ
التَّفَسِيرُ بَعْدَهُ .

(٣) هُوَ سَلِيْمانُ بْنُ قَنَةَ ، أَوَّلُ الْفَرَزْدَقِ . دِيْوَانُهُ ١٣٩ وَاللَّسَانُ (شَمِ) وَالْكَامِلُ
١٧٤ الْبِيسِكُ وَالْمَعْدَةُ ٢ : ١٥١) . وَقَالَ الْمَبْرُدُ « وَهُنَّا الْبَيْتُ طَرِيفٌ عِنْدَ أَحْصَابِ الْمَعْانِي ، وَتَأْوِيلُهُ
لَمْ يَشْيُمُوا : لَمْ يَغْنِدُوا . وَلَمْ تَكُثُرْ الْقَتْلَى ، أَى لَمْ يَغْنِدُوا سَيُوفَهُمْ إِلَّا وَقَدْ كَثُرَتْ الْقَتْلَى حِينَ
سُلَّتِ » . وَقَالَ ابْنُ رَشِيقٍ : « أَرَادَ لَمْ يَغْنِدُوا سَيُوفَهُمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ كَثُرَتْ بِهَا الْقَتْلَى ، كَمَا
تَقُولُ : لَمْ يَأْسِرِبِكَ وَ[أَنْتَ] لَمْ تَجِنْ عَلَى إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَنِيتَ عَلَى . وَقَالَ آخَرُونَ : أَرَادَ لَمْ
يَسْلُوا سَيُوفَهُمْ إِلَّا وَقَدْ كَثُرَتْ بِهَا الْقَتْلَى . كَمَا تَقُولُ : لَمْ أَلْفَكَ وَلَمْ أَحْسَنْ إِلَيْكَ إِلَّا وَقَدْ أَحْسَنْتَ
إِلَيْكَ . وَالْفَوْلَانُ جَيْعاً صَبِيْحَانَ ، لِأَنَّهُ مِنَ الْأَضَدَادِ » .

وانتصبَ «مُعَوَّذَةً» على الحال . ويجوز أن تُرْفَعَ على أن تكون خبرَ ابتداء مُضمر ، والعامل فيه إذا كان حالاً ما يَدْلِلُ عليه قوله : «بها من قِرَاع الدارِ عينَ فُولُ». فيقول : عُوذْتُ سِيوفُنا أَلَا تُجَرَّدَ من أَغْمادِها فَتُرَدَّ فِيهَا إِلَّا بَعْدَ أَن يُسْتَبَحَ بِهَا قَبَائِلُ . ويقال : عَوْذْتُ كَذَا فَتَعْوِذَهُ وَاعْتَادَهُ . والعادةُ مِنَ الْعَوْذِ وَهُوَ الرُّجُوعُ ، وَلَذِكَّرَ قَالُوا لِلْمُؤَظِّبِ عَلَى الشَّيءِ : هُوَ مَعَاوِذُهُ . وَقَوْلُهُ «فَتَعْمَدَ» ، يُقَالُ عَمَدَ السَّيْفُ وَأَعْمَدَهُ ، وَأَصْلُهُ السَّتْرُ ، وَمِنْهُ تَعْمَدَهُ اللَّهُ بِرْحَمَتِهِ .

٢١- سَلِّي إِنْ جَهَلْتَ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْكُمْ^(١) وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالَمٌ وَجَهُولٌ يُرْوَى : «عَنَّا فَتَخْبِرِي». كَانَهُ اسْتَدَلَّ عَلَى تَصْحِيفِ مَا ادْعَاهُمْ مِنَ الْخُصَالِ الَّتِي عَدَّهَا بِشَهَادَةِ النَّاسِ لَهُ وَتَصْدِيقَهُمْ مَقَالَةً . يَقُولُ : سَلِّي النَّاسُ عَنَّا إِنْ جَهَلْتَ مَا حَكَيْتُهُ مِنْ أَفْعَالِنَا حَتَّى تُخْبِرَ فِي فِتْنَتِنِي بِهِ وَتَسْكُنِي إِلَيْهِ ، فَلَيْسَ الْعَالَمُ بِالشَّيءِ كَالْخَمْنُ أَوْ الْجَوَزُ أَوْ الشَّاكُ ، أَوْ الْخَادِسُ أَوْ الْمَقْدَرُ^(٢) . وَالْعِلْمُ قَدْ يَحْصُلُ بِإِخْبَارِ الْخَبَرِيْنَ كَمَا يَحْصُلُ بِالْمَشَاهِدَةِ ، فَلَذِكَّرَ دَعَاهَا إِلَى مَا دَعَاهَا مِنَ الشَّوَّالِ وَالْكَشْفِ . وَقَوْلُهُ : «فَتَخْبِرِي» يَنْتَصِبُ بِأَنْ مُضَمَّرَةً وَهُوَ جَوابُ الْأَسْرَ بالفَاءِ . وَالسَّوَاءُ يَكُونُ مَصْنَدِرًا وَوَضْنَقًا فِي مَهْنَى مُسْتَوِيٍ . يَقُولُ : هَذَا دِرْهَمٌ سَوَاءٌ ، أَى مُسْتَوِيٌّ ؛ وَهَذَا دِرْهَمٌ سَوَاءَ أَى اسْتَوَاءٍ ، كَمَا تَقُولُ هَذَا دِرْهَمٌ تَامَّاً ، أَى تَامَّاً تَامَّاً . وَفِي الْقُرْآنِ : «فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءَ لِلسَّائِلِينَ» أَى مُسْتَوِيَّاتٍ ، وَقَرِيْ «سَوَاءَ»^(٣) عَلَى الْمَصْدَرِ كَانَهُ قَالَ : اسْتَوَاءٌ . وَحَكَى أَبُو الْحَسْنِ الْأَخْفَشُ : هُمَا سَوَاءٌ وَهُمَا سَوَاءُ امَانٌ .

(١) التبريزى : «عانا وعنهما» .

(٢) م : «أو المقلد» .

(٣) قراءة النصب على الحال هي قراءة الجمهور . وقرأها بالجر على النعت زيد بن علي ، والحسن ، وابن أبي إسحاق ، وعمرو بن عبيد ، وعيسى ويعقوب . وقرأها أبو جعفر بالرفع ، أى هو سواء . تفسير أبي حيان (سورة فصلت) .

٢٢— فَإِنَّ بْنِي الدِّيَانِ قُطْبٌ لِّقَوْمِهِمْ تَدْوَرُ رَحَامُهُمْ وَتَجُولُ
الْقُطْبُ : الحديدة في الطبق الأسفلي من الرحي يدور عليها الطبق الأعلى .
وَسُمِّيَّ قُطْبُ السَّمَاء لِمَا يَدْوَرُ عَلَيْهِ الْفَلَكُ . وعلى التشبيه قالوا : فُلَانٌ قُطْبٌ بْنِ
فُلَانٍ ، أَى سَيِّدُهُمُ الَّذِي يَلْوِذُونَ بِهِ ، وَهُوَ قُطْبُ الْخَرْبِ .

١٦

الشميدر الحارثي :

قال الترمي : شميدر : دابة زعموا ، ولا أحسبها عربية صحيحة .

قال البرق : هذا الشعر لسويد بن صبيح المرثدي ، من بني الحارث ،
وكان قُتِلَ أخوه غيلاة فقتل قاتل أخيه نهاراً في بعض الأسواق من الخضر .

١— بَنِي عَمَّنَا لَتَذَكَّرُ وَالشِّعْرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغَمِيرِ الْقَوَافِيَّا

الصحراء : اسم للمكان الواسع ، وبجمعه صحار ومحار . قال :

* أَتَيْتُ مَدَهُ مُحَرَّرَ وَلُوبَ^(١) *

وأنحر القوم : برزوا إليها ، ومنه قيل لقيته حمراء بحرة ، أى عياناً ومبارزة .

يقول : دعوا التفاحر في الشعر وبالشعر ، فإنكم قصرتم بصحراء الغمير
ولم تبلوا فيها فتضطليق ألسنتكم لدى المساجلة ، وتسجيب قوافي الشعر لكم ، إذا
أردتم نظمها وإنشادها ، عند المنافرة والمحاكمة ، لأنكم أتم قوافي الشعر
ودفتموها . فكما أن الميت لا يُجَيِّب إذا دُعِيَ ، كذلك لا يُجَيِّبُكم الشعر إذا
أردتموه ، مع سوء بلائكم ، وقبع آثاركم . والكافية : آخر البيت المشتمل على

(١) لأبي ذؤوب المهنلي في ديوانه ٩٢ والسان والمقاييس (صحر) . وصدره :

* سبي من يراعته نفاه *

ما بُنِيَّ عَلَيْهِ الْقُصِيدَةُ . وَقَدْ يُسَمَّى الْبَيْتُ كَا هُوَ قَافِيَّةً . قَالَ :

وَقَافِيَّةٌ مِثْلٌ حَدَّ السَّنَانِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مِنْ قَالَهَا^(١)

قَالَ الْأَخْفَشُ : وَتُسَمَّى الْقُصِيدَةُ بِأَسْرِهَا قَافِيَّةً . قَالَ :

* فَمَنْ لِلْقُوَّافِي بَعْدَ كَعْبٍ يَحْوِكُهَا^(٢) *

٣- فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تَصِيبُونَ سَلَةً فَنَقْبَلَ صَيْمًا أَوْ نُحَكِّمْ قَاصِنِيَا

فِي هَذَا الْكَلَامِ تَعْرِيْضٌ بِقَوْمٍ أَشَارَ إِلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : « كَنْ كُنْتُمْ » ، وَتَصْرِيْجٌ لِلْمَخَاطَبِيْنَ ، وَمُجَاهِرَةً^(٣) بِالْقَوْلِ ، فَهُوَ يَرِيهِمْ بِالضَّعْفِ وَأَنَّهُمْ إِذَا نَالُوا مِنَ الْعَدُوِّ شَيْئًا نَالُوهُ سَرِقَةً . فَيَقُولُ : لَسْنَا كَالَّذِينَ كَفَتْنَا لَهُمْ سَرِقَةً ، فَلَنْزِمْ لَكُمُ الظَّيْمَ ، أَوْ نَنْصِبْ حَاكِيْمًا يَقْضِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَأَشَارَ بِالظَّيْمِ إِلَى التَّغْمِيْضِ عَلَى مَا يَكُونُ مِنْ سَرِقَتْهُمْ . وَكَانَ الْقَوْمُ الَّذِينَ أَشَارَ إِلَيْهِمْ وَاتَّقَى مِنْ أَنْ يَكُونَ حَالَهُ كَحَلْمٍ ، كَانُوا يَقْبِلُونَ سَرِقَتْهُمْ وَتَجَاهِرُهُمْ عَلَيْهِمْ إِمَّا بِالتَّغْمِيْضِ ، وَهُوَ التَّزَامُ الظَّيْمَ عِنْدَهُ ، وَإِمَّا بِالْمَرَاقِعَةِ إِلَى الْحَاكِمِ وَنَصْبِ الْمَوْسِطِ ، وَالْعَجْزُ فِي حُكْمِهِ . وَاتَّصَابُ « نَقْبَلَ » عَلَى أَنَّهُ جَوَابُ النَّفِيِّ بِالْقَاءِ . وَيَقُولُونَ : فِي بَنِي فَلَانِ سَلَةً ، أَيْ سَرِقَةً . وَاتَّصَابُ سَلَةً عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْخَالِ ، وَالْتَّقْدِيرُ : تَصِيبُهُمْ سَالِيْنَ وَسَاقِيْنَ .

٤- وَلَكِنْ حُكْمُ السَّيْفِ فِيْكُمْ مُسْلَطٌ فَتَرْضَى إِذَا مَا أَصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيَا
يَقُولُ : مَتَى عَدَوْتُمْ طَوَّرَكُمْ ، أَوْ خَرَجْتُمْ مِنْ حَدَّكُمْ ، فَإِنَّا نُسَلِّطُ السَّيْفَ

(١) الْبَيْتُ لِلْغَسَّاءِ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ .

(٢) الْبَيْتُ لِكَعْبٍ بْنِ زَهْرَيِّ فِي الشِّعْرِ وَالشِّعْرَاءِ ، ١٠٣ ، ١٠٧ . وَعِزْهُ :

* إِذَا مَا مَضَى كَعْبٍ وَفَوْزُ جَرْوَلَ *

(٣) مَ : « وَبِعَادَةً » .

عليكم ، ولا تَرْضَى إِلَّا بِحُكْمِهِ فِيهِمْ . [فَتَرَضَى رَضِيَ رَضِينَا^(١) ، وَفِي طَرِيقِهِ قَوْلُهُ : * وَنَشَمَ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالْكَلْمَ *]

٤- وَقَدْسَاءِنِي مَاجَرَتِ الْحَرْبُ يَيْتَنَا بَنِي عَمَّنَا لَوْ كَانَ أَمْرًا مُدَانِيَا دَلَّ بِقَوْلِهِ : « لَوْ كَانَ أَمْرًا مُدَانِيَا » عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسُوءِ مَا جَنَّتِ الْحَرْبُ بِيَنْهُمْ ، لِأَنَّهُ وَقَعَ بِالْاسْتِحْقَاقِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ سَاءَنِي ذَلِكَ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ الْمُؤْذَنُ إِلَيْهِ أَمْرًا مُدَانِيَا ، وَكَنَا نَعْرُفُ لِلَاخْتِالِ فِيهِ مَوْضِعًا ، وَلَا صَبْرٌ عَلَيْهِ بَجَالًا وَمَذْهَبًا . فَأَمَّا وَالشَّاءُ مُسْتَفْجِلٌ ، وَتَعْدِيَكُمْ مُتَفَاعِمٌ ، فَإِنَّهُ لَا يَسُوءُنِي . وَقَوْلُهُ : « لَوْ كَانَ أَمْرًا مُدَانِيَا » ، أَرَادَ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ أَمْرًا أَمْمًا لِسَائِنِي . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ جُنُوبَ لَوْ مَتَقَدِّمَ ، وَتَلْخِيصُهُ : لَوْ كَانَ مَا تَرَدَّدْنَا فِيهِ قَرِيبًا لِسَائِنِي مَا جَنَّتِ الْحَرْبُ يَيْتَنَا ، وَلَكِنَّ الآنَ لَمْ يَسُؤِ . وَهَذَا تَعْظِيمٌ لِمَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ ، وَكَالاعْتِذَارِ عَنِ الْأَخْذِ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِ الصَّقْحِ عَنْهُمْ .

٥- إِنَّ قُلْمُمْ إِنَا ظَلَمْنَا فَمَ نَكُونُ ظَالِمُنَا وَلَكِنَّ أَسَانَا التَّقَاضِيَّا

رواهم بعضهم : « إِنَّ تَرَضَمُوا أَنَا ظَلَمْنَا » . وَالْزَّعْمُ فِي دَفْعِ الدَّعْوَى أَلْبَغُ ، وَإِنَّمَا نَبَهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَعْدُ مَا عُوْمَلُوا بِهِ ظَلَمًا ، مَعَ كُونِ ابْتِدَائِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ سَرْفٌ . فَيَقُولُ : إِنِّي أَدْعِمُ عَلَيْنَا أَنَا ظَالِمُنَا كَمْ فَإِنَّا لَمْ نَظَلِمْكُمْ ، مَعَ عُدُوانِكُمْ ، وَسَبِقْكُمْ إِلَى الشَّرِّ وَتَهْبِيجِهِ ، وَلَكِنَّ أَسَانَا فِي تَقَاضِيكُمُ الْحَقَّ ، وَإِيْفَائِكُمُ الْجَزَاءَ ، حِينَ اسْتَخْرَجْنَا بِالْعُنْفِ وَالْتَّهَرِ ، وَمُجاوزَةِ الْأَدْنِي مِنِ الْأَسْرَيْنِ إِلَى الْأَقْصَى . فَكَانَهُ سَمَّى مَا عَدَهُ أَوْلَئِكَ ظَلَمًا سُوءٌ نَقَاضٌ . وَالظُّلُمُ قَيلَ فِيهِ : إِنَّهُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَلَذِكَ قَيلُ لِلأَرْضِ الْصَّلْبَةِ إِذَا حُفِرَتْ : مَظْلُومَةٌ ، وَلَسْقَاءٌ إِذَا تُنُوَّلَ مَا فِيهِ قَبْلِ إِدْرَاكِهِ : ظَلِيمٌ . وَقَيلُ : الظُّلُمُ :

(١) فِي الأَصْلِ : « فَنِ رَضِيَ رَضِينَا » ، وَأَيْتَنَا مَا فِي مِنْ .

انتقادُ الحق . قوله « فِلَمْ نَكُنْ ظَلَمْنَا » إذا كانَ من حُكْمِ الجوابِ أَنْ يكونَ طِبْقًا لِلابتداءِ وَمِنْهَا عَلَيْهِ ، فَهُنَ الواجبُ عَلَيْهِ كَانَ أَنْ يَقُولُ : فَإِنْ قُلْنَا إِنَّا كَانَ ظَلَمْنَا . أَلَا تَرَى أَنَّا نَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْذِبُهُمْ » إِنَّهُ كَانَ جَوَابَ قَائِلٍ قَالَ كَانَ اللَّهُ سَيِّدُهُمْ . فَفَنِي عَلَى حَدِّ الابتداءِ وَطَرِيقِهِ ، لَكِنَّ الشاعرَ حَذَفَ مِنَ الابتداءِ كُنَّا ، لَأَنَّ مَا فِي الْجَوابِ يَدُلُّ عَلَيْهِ .

١٧

وَدَاكُ بْنُ نَعِيلِ الْمَازِفِي

قالَ الْبَرْقُ هُوَ وَدَاكُ بْنُ سِنَانِ بْنِ نَعِيلٍ^(١) :

١ - رُوَيْدَ بْنِ شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ تَلَاقُوا غَدًا خَيْلًا عَلَى سَفَوَانِ

رويًدا : تصغيرُ إِرْوَادٍ ، وهو مصدرُ أَرْوَادَتْ فَلَانَا ، عَلَى طَرِيقِ التَّرْخِيمِ ، وَاتِّصاَبَهُ بِفَعْلٍ مُضْمِرٍ دَلَّ عَلَيْهِ لفْظُهُ . وَأَكْثَرُ مَا يَحْمِيُهُ تَصْغِيرُ التَّرْخِيمِ يَحْمِيُهُ فِي الْأَعْلَامِ ، وَقَدْ يَجْعَلُ رُوَيْدًا أَسْنَانًا لَارْفُقَ ، فَيَبْنِي حِينَئِذٍ كَمَا يَبْنِي أَخْوَاهُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ . عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الْمُثَلِّ مِنْ قَوْلِهِ : « رُوَيْدَ يَقْلُونَ الْجَدَدَ » .

وَقَدْ تُزَادُ كَافُ الْخَطَابِ عَلَيْهِ فَيَقُولُ : « رُوَيْدَكَ » ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : « رُوَيْدَكَ الشَّعْرَ يَغْبَ » . وَقَوْلُهُ : « بَعْضَ وَعِيدِكُمْ » اتِّصَابُ بِفَعْلٍ مُضْمِرٍ دَلَّ عَلَيْهِ رُوَيْدَ ، لَأَنَّهُ مَعَ استِعْدَادِ الرَّفِقِ كَفًا عَنْ بَعْضِ الْوَعِيدِ ، فَكَانَهُ لَمَّا قَالَ

(١) نَعِيلٌ ، وَرَدَتْ هَكُنْدَا بِالنُّونِ فِي الْأَصْلِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَسَابِقُهُ ، وَهِيَ رَوْايةُ نَسِنِ التَّبَرِيزِيِّ فِيهَا يَقِيلُ . وَيَبْدُوا أَنَّ « وَدَا كَا » شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ ، وَلَمْ نَعْثُرْ لَهُ عَلَى تَرْجِمةٍ . التَّبَرِيزِيُّ : « وَدَاكُ فَعَالُ مِنَ الْوَدَكِ وَالْدَّكِ ، وَأَصْلُهُ الصَّفَةُ ، أَلَا تَرَى أَنَّ فَعَالًا بِابِهِ الصَّفَةَ ، وَقَلَّا تَوْجِدُ فِي الْأَحْمَاءِ . وَفِي الْكِتَابِ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَاءُ وَالْجَيَانُ . قَالَ أَبُو الْفَتْحِ : وَزَادَنَا أَبُو عَلِيِّ الْفَيَادُ : ذَكَرَ الْيَوْمَ . وَوَجَدْتُ أَنَا الْجَيَارَ ، وَهُوَ السَّعَالُ أَوْ نَعْوَهُ ، وَالصَّارُوجُ أَيْضًا . نَعِيلٌ : تَصْغِيرٌ ثُلُلٌ أَوْ تَامِلٌ عَلَى التَّرْخِيمِ . وَيَقُولُ فِيهِ أَيْضًا نَعِيلٌ بِالنُّونِ » .

أرزو دوا يابن شيبان قال : كفوا بعضَ الوعيد . وهذا تهكمٌ سُخْرِيَّةٌ^(١) .
وقوله : « تلاقوا » ، التلزُّم على أنه جواب للأمر الذي دل عليه رويداً . وإنما
جُلِّ للأمر الجواب لأنَّه ضمَّنَ معنى الجزاء والشَّرْطِ . وسفوانُ : اسمٌ ماء قالوا
هو من البصرة على أميالٍ . ومعنى البيت مفهوم . وقوله « غداً » لم يشير به إلى
اليوم الذي يلي يومه ، وإنما دلَّ به على تقرير الأمر ، فكانه قال : تلاقوا
خلي قريباً على هذا الماء^(٢) .

٣- تلاقوا جياداً لا تحييد عن الوعي إذا ما أغدت في الماء المتدانِي

الوعي ، أصله ، الجلبة والصوت ، وكذلك الوعي بالعين غير معجمة . قال :
* كأنَّ وعى الخموش بجانبها^(٣) *

وحياد هاهنا : جمع جياد ، يقال فرسُ جياد : عتيق ، وخيلٌ جياد :
عنانٌ . وفي غير هذا المكان يكون جمع جياد . وتلاقوا بدل من تلاقوا الأول .
تبَّأَّه بهذا على أنَّ المراد بالخيل الفرسان ، على عادتهم في قواهم الخيل والرَّجُل .
قال الله تعالى : « وأجلبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ » ، ولهذا قال فيما بعده :

(١) السخرية ، وردت في النسختين بتشديد الياء ، وهو مصدر سخر به ، كما في اللسان ،
ولم ترد في القاموس . والسخرية بتخفيف الياء الاسم منه .

(٢) ابن جن : « وبنى شيبان منصوب على نداء المضاف البتة في القولين جميعاً ، كقولك
من التقوين رفقاً يابي شيبان ، وكذلك حاله إذا بناه وجعله اسمًا لل فعل في الأمر كأنه قال : رويدكم
بابي شيبان ، أى انتظروا الأمر بابي شيبان . فإنْ قلت : فهل تخبر أن تكون بابي شيبان مع
كون رويد اسمًا لل فعل مجروراً بإضافة رويد هذه إليه ، كما تقول في السكاف والميم من رويدكم
إنهما مجرور بإضافة هذا الاسم المبني عليه ويستدل على أنها اسم لا حرف خطاب بما حكاه سيبويه
عنهما من قولهم رويدكم أجيبين وأجمون ، فأجمعين توكيد للكاف والميم ، وأجمعون توكيد الفسیر
المعروف فيه . فالجواب أن ذلك لا يجوز هنا ، من قبل أن هذه الأسماء المسماة بها الأعمال
لا يؤمن بها الغائب ، وإنما هي موضوعة لأمر الحاضر » .

(٣) للختل المذلى ، كما في اللسان (خش ، وعي ، وغى) وديوان المذلين (٢٥:٢).
وصواب الرواية « بجانبها » لأنَّه في صفة ماء . وبعذه :

* وعي ركب أميم ذوى زياط *

« تَلَاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبَرُوهُمْ » . ويجوز أن يكون أراد بالليل الدواب ، ووصفها بأنها لا تجبن عن الوعن ، لدَوَامِ مُهَارَسَتِهَا لَهُ ، وتعودُهَا إِيَّاهُ . ثم خَبَرَ فِي قَوْلِهِ : « تَلَاقُوهُمْ » عن أَرْبَابِهَا ، فَيَقُولُ : أَرْفَقُوا تَلَاقُوا فُرْسَانًا كِرَاماً لَا تَنْهَىُ الْحَرَوبَ وَلَا تَغْدِلُ عَنْهَا إِذَا ابْتَكَرْتُ فِي مَضِيقٍ مِنْهَا ، تَلَاحِمُ فِي الْفَرَسَانِ وَتَتَدَانِ فِي الْأَبْطَالِ وَالشُّجَاعَانِ . وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَعَ التَّدَانِي لَا يَكُونُ إِلَّا التَّجَالِدُ ، وَعِنْهُ تَسْكُلُ الْأَمْهَاتِ . وَالْمَأْزِقُ : الْمَضِيقُ ، وَكَانَ أَصْلَهُ مِنَ الْأَرْزِقِ فِي الْحَرْبِ ، فَهُوَ مَقْعِلٌ مِنْهُ .

٣- تَلَاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبَرُوهُمْ عَلَى مَا جَنَّتْ فِيهِمْ يَدُ الْحَدَّاثَانِ

قوله « على ما جنت » يزيد على جنائية . وموضعه نصب على الحال ، والعامل فيه تَعْرِفُوا أو تَلَاقُوا . يقول : تَلَاقُوا مِنْ بِلَائِهِمْ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى حُسْنِ صَبْرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ فِي جَلَادِهِمْ ، هَذَا مَعَ تَحَمُّلِ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ ، وَسُوءِ تَأْيِيرِ الدَّهْرِ فِيهِمْ . وأَصْلُ الصَّبْرِ : الْخَبِيسُ ، وَمِنْهُ قُتِلَ فَلَانٌ صَبَرًا . وَحَدَّثُ الدَّهْرِ وَأَحْدَاهُ وَحَدَّثَتِهُ وَحَوَادِنهُ : نُوازِلُهُ .

٤- مَقَادِيمُ وَصَالُونَ فِي الرَّوْءِ عَخْطُوْهُمْ بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِ

مَقَادِيمُ : جُمْعِ مِقَادِيمٍ . وَيُشَبِّهُ هَذَا الْبَيْتُ قَوْلَهُ :

إِذَا قَصَرَتْ أَسِيفَنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَّانَا إِلَى أَعْدَانَا لِلتَّضَارُبِ^(١)
وَقَدْ مَرَّ مِثْلُهُ ، لَكِنَّ فِي هَذَا قَلْبًا ، وَذَاكَ أَنَّهُ قَالَ : وَصَالُونَ خَطْوُهُمْ بِكُلِّ
رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ ، وَكَانَ الواجبُ أَنْ يَقُولَ : كُلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ بِخَطْوِهِمْ .
أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : إِذَا قَصَرَتْ أَسِيفَنَا وَصَلَنَاهَا بِخُطَّانَا ؟ وَقَالَ الْآخِرُ :

(١) سبق الْبَيْتُ فِي مِنْ ١٠٩ .

* نَصْلُ السَّيِّفِ إِذَا قَصْرُنَ بَخْطُونَ^(١)

وَمِثْلُ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْقَلْبِ بَلْ فِي تَبْيَنِ جَوَازِ الْقَابِ ، قَوْلُ حَمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ :
 نَصِّلُ الْخُطْبَى بِالسَّيْفِ وَالسَّيْفَ بِالْخُطْبَى إِذَا طَنَّ أَنَّ السَّيْفَ ذَا الْأَثْرِ قَاسِرٌ
 ٥—إِذَا اسْتَنْجَدُو مَيْسَالُو امْ دَعَاهُمْ لَا يَةَ حَرْبٍ أَمْ بَأْيٌ مَكَازٌ^(٢)

هذا مثل قوله :

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدَهُمْ فِي النَّاِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا
 وَالْمَعْنَى : إِنَّا لَا نَطْلُبُ الْعِلْلَةَ عَلَى الْمُسْتَنْجِدِ تَوْضِلًا إِلَى دَفْعِهِ أَوْ مَطْلِهِ ،
 وَلَكِنَّا نَبْجِلُ عَوْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وَالْاسْتَنْجَادُ : الْاسْتَرْسَارُ . وَرَجُلُ مِنْجَادٍ :
 مِغْوَانٌ ، وَقَدْ أَنْجَدَنِي ، وَيَقُولُ هُوَ نَجَّدٌ مِنْ قَوْمٍ أَنْجَادٌ . وَمَثَلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ :
 كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا أَصْارِخُ فَرَزْعٌ كَانَ الصُّرَاحُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَّابِيبِ ^(٤)

18

سَوَارِنْ الْمُضَرَّبِ السَّعْدِيِّ (٥) :

من سعدي بن تيم . وقال البرقى : من سعد بن كلاب .

١- فَلَوْسَالْتُ سَرَاةَ الْحَيِّ سَلْمَى عَلَى أَنْ قَدْ تَلَوَّنَ بِي زَمَانِي

(١) لكمب بن مالك الأنصاري كاف في المزانة ٣ : ٢٢ والسيرة ٧٠٥ - ٧٠٦
وشرح شواهد النفي ١٢٢ . ونسبة ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٢٧٩ إلى زبيعة بن مقرون . وعجزه :
قدماً وتحققاً إذا لم تتحقق ***

۲) م: «أم لای مکان» .

(٣) البيت ٤ من الحماية الأولى .

^{٤)} لسلامة بن جندل في المفضليات (١: ١٢٢).

(٥) المقرب بتشديد الاء المفتوحة ، ذكر التبريزى أنه سمي بذلك لأنه شب بامرأة
خلف آخرها ليضر بنه بالسيف مائة ضربة ، فضر به فتشى عليه ، فسمى مضرباً بذلك . وهو شاعر
إسلامى ، ذكر المبرد في الكامل ٢٨٩ ، ٦٦٦ أنه هرب من الحاج ، وقال :
أقانى الحاج إت لم أزر له دراب واترك عند هند فؤاديا
وذكرة الأمدى في المؤتلف ١٨٣ .

سَرَّاً النَّاسِ : خِيَارُهُمْ . وَشَرَّاً الْإِبْلَ بِالشَّيْنِ مَعْجَمَةً : كَرَامَهَا . وَقَدْ مَرَّ
ذِكْرُهُ^(١) . وَقَالَ الْخَلِيلُ : السَّرُورُ : سَخَالًا فِي مُرْوَةٍ . وَسَرَا يَسْرُورُ فَهُوَ سَرِيرٌ
وَقَوْمٌ سَرَّا ، وَلَمْ يَجِدْ عَلَى فَعَلَةٍ غَيْرَهَا . يَعْنِي أَنَّ فَعْلَةً يُخْتَصُّ بِهَا الصَّحِيحُ فِي
الْجَمْعِ دُونَ الْمُعْتَلِ ، وَذَلِكَ كَالْفَجْرَةُ وَالْفَسْقَةُ . وَتَلَوْنُ الزَّمَانِ يُشِيرُ بِهِ إِلَى تَصَارِيفِهِ
بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ . فَيَقُولُ : لَوْ بَحْثَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ بِالشُّوَالِ عَنْ أَحْوَالِهِ
عَلَى تَبَدُّلِ الْأَبْدَالِ ، وَتَغْيِيرِ النَّفْعِ وَالضَّرِّ فِيمَا مَضَى ، وَتَنَقْلِ الْأَحْدَاثِ عَلَى
مَرَّةٍ بَعْدَ أُخْرَى . وَجَوابُ «لَوْ» يَجِدْهُ مِنْ بَعْدِ قَوْلِهِ : «أَنْ تَلَوَّنَ» ، وَأَنْ إِذَا
وُصِّلَ بِالْمَاضِي أَفَادَ حَدَّثًا مَاضِيًّا ، وَإِذَا وُصِّلَ بِالْمُسْتَقْبَلِ أَفَادَ حَدَّثًا مُسْتَقْبَلًا .

٢— لَخَبَرَهَا ذَوُوا أَحْسَابَ قَوْمِيِّ وَأَعْدَائِيِّ فَكُلُّهُ قَدْ بَلَانِيَ
قَوْلُهُ : «لَخَبَرَهَا» جَوابُ لَوْ . وَأَحْسَابُ : جَمْعُ حَسْبٍ ، وَهُوَ مَا يُخْسِبُ
وَيُعَدُّ عِنْدَ التَّفَاخُرِ . يَقُولُ : لَوْ سَأَلْتُ لِأَنْبَاهَا بِخَبْرِي أَشْرَافُ قَوْمِيِّ ، وَأَمَالِيِّ
أَعْدَائِيِّ ، فَكُلُّهُمْ قَدْ خَبَرَنِي . يُشِيرُ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَى أَنَّ زَعْمَاءَ قَبْلَتِهِ
وَذَوِي الْشَّرْفِ مِنْ رَهْطِهِ ، يَعْتَرِفُونَ لَهُ بِالْفَضْلِ ، وَيَشْهُدُونَ لَهُ بِمَا يَكْسِبُهُ
جَهِيلَ الدَّكَرِ ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ عَلَى مَا فَاسَوْا مِنْ وَقْعَاتِهِ بِهِمْ ، وَكَبَدُوا مِنْ بَدْرَاتِهِ
فِيهِمْ ، لَا يَجْعَلُونَ تَبْرِيزَهُ ، وَلَا يُنْكِرُونَ تَقْدِيمَهُ . وَمَنْ اعْتَرَفَ لَهُ بِالْفَضْلِ
مُوَالِيهِ وَمُعَايِدِهِ ، وَصَدَّقَهُ فِي دُعَوَاهُ أَقْارِبُهُ وَأَجَانِبُهُ ، فَيَوْمُ النَّهَايَاةِ فِي الْكَالِ ،
وَالْغَايَاةِ عِنْدَ الْبَحْثِ عَنِ الْفَعَالِ . وَقَوْلُهُ : «فَكُلُّهُ قَدْ بَلَانِي» اعْتَرَضَ حَصَلَ بَيْنَ
خَبَرٍ وَمَفْعُولِهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ «بَذَنِي الدَّمْ» ، وَالْفَاءُ دَخَلَتْ مَعْلَقَةً لِجَوابِ الْجَلَةِ بِهَا .

٣— بَذَنِي الدَّمَ عَنْ حَسَبِي بِعَالِيِّ وَزَبُونَاتِ أَشَوَّسَ تَيَّهَانِ
الْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ «بَذَنِي» تَعْلُقُ بِقَوْلِهِ لَخَبَرَهَا . وَكَانَ الْإِخْبَارُ بِخَيْرِ دِفَاعِهِ

(١) انظر البيت ٢ من الحماية ١٤ .

عن حَسَبِهِ بِمَا لَهُ ، وَكَرَمٌ مُحَافِظَتِهِ عَلَى شَرْفِهِ وَحَالِهِ ، مِنْ تَزْكِيَةِ ذُو الْأَحْسَابِ
مِنْ عَشِيرَتِهِ وَثَانِيَّتِهِ عَلَيْهِ ، وَالإِنْبَاءِ بِدُفْعِهِ مَغَرَّةِ الْأَشْوَسِ التَّيْحَانِ ، مِنْ إِخْبَارِ
أَعْدَائِهِ وَشَهَادَتِهِمْ لَهُ . فَكَمَا أَجْبَلَ فِي الْأُولَى أَجْبَلَ فِي الثَّانِي ، ثَقَةً بِأَنَّ السَّامِعَ عِنْ
الْتَّفْصِيلِ يَرِدُ كُلًاً إِلَى مَوْضِعِهِ . وَإِنَّمَا خَصَّ ذُو الْأَحْسَابِ مِنْ قَوْمِهِ لِأَنَّ
شَهَادَتِهِمْ أَوْجَهٌ ، وَالتَّحَاسُدُ لَهُمْ أَشْمَلُ ، وَالقَرِينُ بِمَقَارِنِهِ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ: « زَبُونَاتٍ »
فَعُولَاتٍ مِنَ الزَّبَنِ ، وَهُوَ الدَّفْعُ . وَالتَّيْحَانُ: الْعَرِيقُ الْمِقْدَامُ ، وَهُوَ فَيَعْلَانٌ
بِفَتْحِ الْعَيْنِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرُوَى بِكَسْرِهَا ، لِأَنَّ فَيَعْلَانَ لَمْ يَجِدْ فِي الصَّحِيفَ
فِيَنْدِنِي الْمَعْتَلَ عَلَيْهِ قِيَاسًا . وَفَيَعْلَانٌ كَسِيدٌ مِنَ الْأَبْنِيَةِ الْخَتَصَّةِ بِالْمَعْتَلِ . وَمُثْلُ
تَيْحَانَ هَيَّانٌ ، وَهَا صَفَّاتُهَا سِيَّبُوهُ بِالْفَتْحِ ، وَمُثْلُهَا مِنَ الصَّحِيفَ
قَيْقَبَانٌ وَسَيْسَبَانٌ . وَتَيْحَانٌ ، مَنْ تَاحَ لَهُ يَتُوحُ وَيَتَبَحُّ لِفَتَانٍ ، إِذَا أَشْرَفَ
وَتَهَيَّأَ . وَرَجُلٌ مِتَّيْحٌ ، وَيَقَالُ قَلْبٌ مِتَّيْحٌ أَيْضًا . وَأَتَيْحَ لَهُ كَذَا . وَمُثْلُ
الزَّبُونِ الْبَيْوَتِ ، وَهُوَ السَّقِيطُ^(١) ، وَالْهَمُ الْمُبَايِتُ لِصَاحِبِهِ . يَقَالُ زَبَنَتُهُمُ الْحَرْبُ ،
وَحَرْبُ زَبُونٍ وَطَحُونٍ . وَالزَّبَنِيَّةُ وَاحِدُ الزَّبَانِيَّةِ مِنْ هَذَا . وَفَعْلَيَّةُ مِنَ
الْأَبْنِيَةِ الَّتِي نَازَمَهَا الْمَاءُ . وَالْأَشْوَسُ: الَّذِي يُعْرَفُ فِي نَظَرِهِ الْفَضَبُ وَالْحِقْدُ ،
ثُمَّ اسْتُعْمَلُ فِي الْمُتَكَبِّرِ وَالْمَهِيبِ .

٤— وَإِنِّي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ إِذَا لَمْ أَجِنْ كُنْتُ مَجَنَّ جَانِ

فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخِرِ :

وَلَمْ يَجِدْهَا لَكُنْ جَنَاهَا وَلِيَهُ فَأَسَى وَآدَاهُ فَكَانَ كَمْ جَنَّ^(٢)
وَيُرُوَى : « وَأَنِّي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ » فَيُعَطِّفُ عَلَى بَذَنِي النَّدَمَ ،
وَيَكُونُ مَوْضِعُهُ جَرًا ، وَيَكُونُ هَذَا مَا شَهِدَ بِهِ الْأَعْدَاءُ لَهُ أَيْضًا . فَإِنْ كَسَرْتَ إِلَيَّ

(١) السقِيطُ: مَا سقطَ مِنَ النَّدَى عَلَى الْأَرْضِ .

(٢) آدَاهُ: عَاوَنَهُ . وَهَذِهِ رَوْايةُ مَ . وَفِي الْأَصْلِ: « وَآذَاهُ » بِالذَّالِّ مَعْجمَةً .

فهو على الاستئناف والانقطاع عما قبله . والمعنى : إنَّ أَلْبَسُ الْحَرُوبَ وأَمَارِ مُهَبَّا
دائماً ، فإذا لم يكن لي من أحوالى وزماني ما يعنى على مُجاذبةِ الأعداء
ومدافعتهم ، طلبت من قدشى بمثل ذلك ، فدافعت دونه وحامت عليه ، لأنَّ
لا أصبر على حالِ السلامَةِ والسلَّمِ . ومثله قول الآخر :

وَمَا إِنْ تَرَاهُ الدَّهْرَ إِلَّا مُعَرِّزاً بِنَفْسِ أَبَتْ إِلَاصِعَابِ الْمَرَأَكِبِ

١٩

آخر^(١) :

١— وَلَقَدْ شَهِدتُّ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا فَطَعَمْتُ تَحْتَ كِتَانَةِ التَّمَطِيرِ^(٢)
يقال : تمطر الرجل ، إذا أسرع . ويقال مطر به ، وقطر به ، إذا
بادر^(٣) . وأراد بالخيل الفرسان ، كأنَّه يخاطب بهذا الكلام من شهد معه المعركة ،
خبره بمعاملته التمطر الذى عهده ، وقوله : « تحت كتانة » أشار به إلى
المقتل . وهذا التمطر كأنَّه كان بارزه ، أو أراد أن يبادر إلى أمر ، فحال بيته
ويته . والكتانة من السكن : الستر ، لأنَّه يُصَانُ بها النبل^(٤) .

٢— وَلَقَدْ رَأَيْتُ غَدَاءَ شُلْنَ عَلَيْكُمْ شُولَ الْمَخَاضِ أَبَتْ عَلَى الْمُتَغَيِّرِ^(٥)
يروى : « وقد رأيت الخيل شلن عليكم » ، أى شائلة . والتقدير : وقد
شن . وأراد بالخيل ها هنا الدواب ، وهى شول بأذنابها إذا اشتدَّ عدوها ؛

(١) التبريزى : « قال أبو رياش : هذه الآيات بعض بنى تميم الله بن ثعلبة ، يوم أوارة .
 وأوارة : موضع ، وهو الموضع الذى أحرق به عمرو بن هند بن دارم » .

(٢) أشار التبريزى إلى رواية : « لبابة التمطر » ، وقال : « البابة : ثوب يتلبب به
الرجل على ثيابه ، إذا خضرم لرب » .

(٣) التبريزى : « والتمطر : اسم رجل من ثم ، وهو من قوله : نظر الرجل ،
إذا أسرع » .

(٤) ترتيب هذا البيت عند التبريزى ثالث الآيات ، وتالثها هنا ثانية عنده .

ويُستدَلُّ بذلك منها على قوّة ظَهِيرَهَا . فيقول : لقد رأيْتُك من هزَمِين والخَيلَ تَعْدو عَلَيْكَ رَافِعَةً أذنابَهَا ، رَفِعَ النُّوقَ الْخَوَالِمَ لَهَا إِذَا طَلَبَ حَلَبَ غَيْرَ لَبِنَهَا . والغَيْرُ : الْبَقِيَّةُ تَبَقَّى مِنَ اللَّبَنِ فِي الْفَرَّاعِ . وَيُقَالُ تَغَيَّرَتُ الْغَيْرُ ، كَمَا يُقَالُ تَحَلَّبُ الْمَلَوِبُ . والخَاضُّ لَا وَاحِدٌ لَهَا مِنْ لَفْظَهَا ، وَهِيَ اسْمٌ مَفْرُدٌ مَوْضِعُ النُّوقِ الْخَوَالِمَ ، وَالواحِدُ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهَا : خَلِفَةٌ . وَقَوْلُهُ : « أَبَتْ عَلَى الْمُتَغَيِّرِ » قَدْ مَعَهُ مَضْمُرَةً ، وَهُوَ وَاقِعٌ مَوْقِعُ الْحَالِ . أَرَادَ : رَأَيْتُ الْخَيلَ شَائِلَةً أذنابَهَا عَلَيْكَ شَوْلَ الخَاضُّ آيِّيَّةً عَلَى الْمُتَغَيِّرِ . وَمَنْ رَوَى : « وَلَقَدْ رَأَيْتُ غَدَاءً » فَقَدْ أَضْمَرَ مَفْعُولَ رَأَيْتَ ، وَهُوَ الْخَيلُ . وَسَاغَ ذَلِكُ ، لَأَنَّ قَوْلَهُ وَلَقَدْ شَهَدَتُ الْخَيلَ - وَإِنْ أَرِيدَ بِهِ الْفُرْسَانَ - يَدِلُّ عَلَيْهِ .

٣- وَنُطَاعِنُ الْأَبْطَالَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَعَلَى بَصَائِرِنَا إِنْ لَمْ نُبَصِّرِ

ذَكَرُ الْأَبْنَاءِ كَنْيَةً عَنِ الْخَرَمِ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

« نَقَاتِلُ الْأَبْطَالَ عَنْ بَنَيْنَا »

وَالبَصَائِرُ : جَمْعُ بَصِيرَةٍ ، وَهُوَ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ الرَّجُلُ مِنْ رَأْيِهِ وَعَقْلِهِ عَلَى مَا يَغْيِبُ مِنْهُ . وَعَلَى ذَا سُمِّيَّتُ الطَّرِيقَةَ مِنَ الدَّمِ بَصِيرَةٌ ، لَأَنَّهُ يُسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْجُرْحِ ، وَفُسِّرَ قَوْلُهُ :

رَاحُوا بَصَائِرُهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَنَّدَ وَأَيِّ^(١)
عَلَى الْوَجْهِيْنِ جَيْعاً . فَإِذَا جَعَلْتُهَا بَصَائِرَ الرَّأْيِ يَكُونُ الْعَنْفُ خَلْفُوا آرَاءَهُمْ
وَطَرْحُوهَا ، كَمَا يُقَالُ تَرَكَتُ الرَّأْيَ بِمَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، وَجَعَلْتُ غَدَاءً مَنِّي عَلَى
ظَهِيرِ^(٢) . وَمَعْنَى « وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَنَّدَ وَأَيِّ » أَنَّ رَأْيِهِ مَعَهُ نَافِذٌ مُسْتَمِرٌ .

(١) لِلأسْعَرِ الْجَعْنِيْ مِنْ قَصِيَّةٍ فِي أَوَّلِ الأَصْمَعِيَّاتِ طَبِيعَ لِيْسَكَ . وَأَنْشَدَهُ فِي الْلَّاسَانِ (وَأَيِّ) .

(٢) مِنْ « بَظَاهِرِ » .

وإذا جعلتها بصائر الدّم يكون المعنى أنّهم مهزومون مَكْلُومُون^(١) في ظهورهم وأفقارهم ، فدماؤهم على أكتافِهم . ومعنى « وبصيري يعود بها عتّد وأى » في هذا الوجه أن دمي سالم في نفسي وفرسي يعذّباني . ومعنى البيت : إننا ندافع عن حرمينا وحرمينا ، وعلى ما يعرض في الوقت ، فَعَلَ ذلِك وإن لم تُبصِّرْ عاقبة الأمْرِ ، ولم تَتَّبعَها بالفَكْرِ فيها ، وتأمل نتائجها ، فَنَعْلَمُ مَوَادَهَا . وهذا شأن الفتاك فيما يُمْسِيُونَه من أحكام الحرب وينفذونه ، ويقتلونه من أسباب الجذاب والتزاع ويبْرِمونه . وقد قيل في هذا البيت إنَّه كَا حُكِيَّ عن مُسَيْلَمَةَ حين قال لبني حنيفة : « قاتلوا عن أحسابِكم ، فاما الدين فلا دين ». وكان المعنى على هذا : وعلى بصائرِنا في الحرب عند الحافظة على الشرف وإن لم تُبصِّرْ أمرَ الدين . وهذا بعيدٌ متعسَّفٌ ، وإذا تأملته ظهرَ لك . وفي الطريقة الأولى قول القطامي :

وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبَعَهُ اتِّبَاعًا
وسمعت بعض أصحاب المعاي يقول : المعنى إننا نقاتل الأبطالَ جَرِيًّا على عادةِ
الناسِ عند نظرِهم لدنياهم ودينهِم ، في الذَّبَّ عن الحُرْمَ والعشيرةِ والشرفِ ، وعلى
الأديان والاعتقادات والبصائر ، وإن لم تُبصِّرْ وجهاً واحداً من هذه الوجوه
نُقاتِلُ أَبْضَا ، لأنَّ هَمَّنَا القتلُ والقتال . قال : فَحَذِفَ مفعولُ وإن لم تُبصِّرْ
لأنَّ المراد مفهوم . وكذلك حُذِفَ جوابُ إِنْ ، لأنَّ فيما تقدَّم دليلاً عليه .

(١) م : « مكلومون » .

٣٠

القطري بن الفجاءة المازنى^(١)

١— لا يزكَنْ أحدٌ إِلَى الإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَغْنَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامٍ
 قَصْدُهُ إِلَى الْبَعْثِ وَالتَّحْضِيْضِ ، عَلَى التَّغْرِيرِ بِالنَّفْسِ وَالتَّعْرِيْضِ . أَلَا تَرَى
 أَنَّهُ يَحْثُثُ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى تَرْكِ الْفِكْرِ فِي الْعَوْاقِبِ ، وَرَفْضِ التَّحْرِرِ خَوْفًا مِنِ
 الْمَعَاطِبِ . وَيُبَنِّيهُ عَلَى أَنَّ الْحَذَرَ لَا يُنْجِي مِنِ الْقَدَرِ ، وَأَنَّ الْأَجَلَ إِذَا جَاءَ لِمِ
 تُغْنِي مَعْهُ قُوَّةُ الْأَمْلِ ، فَيَقُولُ : لَا يَمْلِئَنَّ أَحَدٌ إِلَى هَبْرِ الْإِقدَامِ ، وَالسَّكُونُ
 إِلَى الإِحْجَامِ فِي الْحَرْبِ مُتَخَشِّعًا مِنِ الْمَوْتِ . وَالْإِحْجَامُ : مَطَاوِعَةُ حَجَمَتْ
 أَى كَفْقَتُ وَدَفَقَتُ . فَهُوَ كَالْإِكْبَابِ فِي أَنَّهُ مَطَاوِعَةٌ كَبِيتُ . وَيَقَالُ حَجَمَتْ
 الْبَعِيرُ ، إِذَا حَجَمَتْهُ بِمَا يَنْتَعِهُ مِنِ الْعَضَّ ، وَيُسَمِّي ذَلِكَ الشَّيْءَ الْإِحْجَامَ .

٢— فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرَّمَاحِ دَرِيَّةً مِنْ عَنْ يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي
 الدَّرِيَّةُ تَهْمَزُ وَلَا تَهْمَزُ ، فَتُجْعَلُ مِنَ الدَّرِيَّةِ وَهُوَ الدَّفْعُ ، وَمِنَ الدَّرِيَّةِ وَهُوَ
 الْخَتْلُ ، وَهَذَا سُمِّيَتِ الدَّارِبَةُ الَّتِي يَخْتَلُ بِهَا الصَّيْدُ لِيُمْكِنَ فِيرَمَيِ : دَرِيَّةُ ،
 وَالْحَلْقَةُ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّعْنُ دَرِيَّةً . وَيُمْكِنُ حَمْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا .
 إِذَا جَعَلْتَ الدَّرِيَّةَ الْحَلْقَةَ يَقُولُ : لَا يَفْعَلُنَّ ذَلِكَ أَحَدٌ وَلِيَعْتَبِرْ بِمَحَالِي ، فَلَقَدْ
 رَأَيْتُ نَفْسِي فِي غَيْرِ وَقْتٍ وَحَالٍ ، وَكَافَ لِلرَّمَاحِ بِعِنْزَلَةِ الْحَلْقَةِ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا
 الطَّعْنُ ، فَتَأْتِيَنِي الرَّمَاحُ مِنْ جَوَانِي كُلَّهَا ثُمَّ سَلِمْتُ . وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ

(١) قطرى أحد زعماء المخوارج ، خرج زمان مصعب بن الزبير لما ولى العراق نيابة عن أخيه عبد الله . وكانت ولاية مصعب في سنة ٦٦ للهجرة ، فبقي قطرى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان المهاجج يسير إليه جيشاً بعد جيش فيهزمه ، ولم يزل كذلك حتى توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي فظهر عليه وقتلته سنة ٧٨ . وقطري : نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان . وليس قطرى اسم له ، بل اسمه جمعة بن مازن . وفيات الأعيان .

اليمين والقدام لأنَّه يَعْلَمُ أَنَّ اليسار فِي ذَلِكَ كَاليمين . فَأَمَّا الظَّهُرُ فَإِنَّ الْفَارِسَ لَا يُمْكِنُ مِنْهُ أَحَدًا . وَإِذَا جَعَلْتَ الدَّارِيَةَ الدَّارِيَةَ الْمُوْصَوْفَةَ يَكُونُ الْمَعْنَى : فَلَقَدْ أَرَانِي وَقَدْ أَتَيْتَ بِي فَصِيرَتُ سُتْرَةً لِغَيْرِي مِنَ الطَّعْنِ ، كَمَا تَكُونُ تِلْكَ الدَّارِيَةُ سُتْرَةً لِلصَّانِدِ^(١) وَالطَّعْنُ يَتَنَاهُنِي . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى « لِلرَّمَاح » مِنْ أَجْلِ الرَّمَاحِ . وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ . وَقُولُهُ : « مِنْ عَنْ يَمِينِي » مِنْ تَعْلَقٍ بِفِعْلٍ دَلَّ عَلَيْهِ قُولُهُ أَرَانِي دَرِيَّةً لِلرَّمَاحِ ، وَهُوَ تَأْتِينِي وَمَا يَجْرِي بِجَرَاهُ . وَعَنْ مِنْ قُولُهُ « عَنْ يَمِينِي » اسْمُ هَاهُنَا ، وَلَيْسَ بِمَرْفِي . وَالْمَعْنَى مِنْ جَانِبِ يَمِينِي ، وَمِثْلُهُ قُولُ الأُعْشِي^(٢) :

* مِنْ عَنْ يَمِينِ الْجُبِيَّا نَظَرَةً قَبْلَ^(٣) *

وَقُولُ الْآخِرِ :

* مِنْ عَنْ يَمِينِ الدَّارِ وَالْحَائِطِ *

٣— حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي أَكْنَافَ سَرْجِيَ أوْ عِنَانَ لِجَامِي
وَقُولُهُ « أوْ عِنَانَ لِجَامِي » ، أَوْ هَاهُنَا لَيْسَ لِلشَّكِ ، وَإِنَّمَا هِيَ التِّي يُرَادُ
بِهَا أَحَدُ الْأَمْرِينَ عَلَى طَرِيقِ التَّعَاقُبِ ، أَيْ إِمَّا ذَهَابُهُ إِلَيْهِ ذَهَابًا . وَلَكِنْ تَرِيدُ الْجَمْعَ ،
لَأَنَّ أَصْلَ « أوْ » الإِبَاحةِ . وَهَذَا كَمَا يُسَأَلُ الرَّجُلُ فِي قَالَ لَهُ : مَا كَانَ طَعَامُكَ
فِي بَلَدِكِ؟ فَيَقُولُ : الْخِيَطَةُ ، أَوْ الْأَرْزُ . وَالْمَعْنَى أَحَدُهُنِّيْنِ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَدْلًا مِنْ صَاحِبِهِ أَوْ الْجَمِيعِ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : اتَّصَبَتُ لِلرَّمَاحِ حَتَّى
خَضَبْتُ بِمَا سَالَ مِنْ دَمِي إِمَّا عِنَانَ لِجَامِي وَإِمَّا جَوَانِبَ سَرْجِي ، أَيْ عَلَى

(١) فِي الْأَصْلِ : « لِلصَّيْدِ » وَأَتَبَتَنَا مَا فِي مِنْ .

(٢) كَذَا . وَالصَّوَابُ أَنَّهُ الْقَطَاعِيُّ ، كَمَا فِي الْلِسَانِ (عَنْ) وَدِيَوَانِ الْقَطَاعِيِّ هَـ .

(٣) صَدْرُهُ : * فَقْلَتْ لِلرَّكْبِ لِمَا أَنْ عَلَاهُمْ *

حسب ما أتفق من الطعن . فالعنان لما سالَ من أعلايه ، وجوانب السُّرُج لما سالَ من أسافله .

ـ ثم انصرفتْ وقد أثبتتْ ولم أصب جَذَعَ البَصِيرَةِ قارحَ الإقدامِ
الجُذُوعَةِ قبل الإنماء بسنَةٍ ، والدَّهْرُ لحدَّته يُسمَى جَذَعاً ، وكذلك يقال لمن يُرسَى في أسرِ ما على حالتِ واحدة : هو جَذَعٌ فيه . وانتصارُ « جَذَعَ البَصِيرَةِ »
على أنه حالٌ وهو نَكِرَةٌ . وللمعنى ثم انصرفتْ مع ما وصفتْ من حالٍ واتفَقَ
مع ضيقِ المجال علىَ ، وقد نَلَتْ ما أردتُ من الأعداء ولم ينالوا مُنْفَى ما أرادوا ،
وأنا على بصيري الأولى لم يَنْدُلْ في الاقتحامِ ، ولا غَلَبَ في اختياري التَّطْرُفِ
والانحرافِ ، بل صار إقدامي في الحرب فارحاً لطُولِ ممارستِي ، وتكررُ^(١) مبارزتي ،
وإن كان يَقِيَ رأيَ في جَذَعاً . وهذا يُريدُ به ما يترَقَّ في الإنسان من التدريبِ
والتمرين عند مزاولةِ الأفعالِ ، ومن بقاءِ وَلُوعَهِ بها ، وحرصِه عليها على حَدَّهِ في
أولِ الشأنِ . وكما جَعَلَ هذا القُروحَ والجُذُوعَةِ : البصيرة والإقدامِ ، قال
أبو تمامَ :

* كَهْلُ الْأَنَاءِ فَتَى الشَّذَادَةِ^(٢) *

فَنَقَلَهُ كَا ترى . واقتدى به البحتري فقال :

* إِقْدَامُ غَرِيْ واعْتِزَامُ بُجَرَّبِ^(٣) *

وقد أشار الأعشى إلى كل ذلك في قوله :

(١) في الأصل : « وتكنه » ، وأثبتنا ما في م .

(٢) هو بِنَاهِه كَمَا فِي الْدِيْوَانِ ٢٠٧ :

كَهْلُ الْأَنَاءِ فَتَى الشَّذَادَةِ إِذَا عَدَا للحربِ كانَ الشَّمْ الْغَطَرِيفَا

(٣) فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ ٢٠ :

مَلَكَ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِبَهَا إِقْدَامُ لِبَثِ واعْتِزَامُ بُجَرَّبِ

* تَمَهَّلَ فِي الْحُرْبِ حَتَّى امْتَهَنَ^(١) *

وَفِي طَرِيقِهِ قَوْلُ أَبِي الغُولِ :

وَلَا تَبْلِي بَسَّالَتْهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُوا لِلْحُرْبِ حِينَ بَعْدِ حِينِ^(٢)

٢١

الْحَرِيشُ ، وَيُرْوَى لِلْعَبَاسِ بْنِ مِرْدَاسِ^(٣) :

١- شَهَدْنَاهُمْ مَعَ النَّبِيِّ مُسَوَّمَاتٍ حُنَيْنًا وَهُنَى دَامِيَةُ الْخَوَائِي
الْخَوَائِي مِنَ الْحَمَاءِ ، وَهِيَ الْمَنْعُ . وَكَانُوا لِلْحَوَافِرِ حَوَائِي سَمَوَا مَا يُطْلُو
بِهِ الْبَأْرُ مِنَ الْحَجَارَةِ وَغَيْرَهَا لِيَحْسِنُ جَوَابَهَا مِنَ التَّشَعُّثِ وَالتَّهَدُّمِ : حَوَائِي . يَصِفُ
خَيْلًا فَيَقُولُ : حَضَرَتْ حُنَيْنًا مَعَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آئِلَّهِ ، مُعَلَّمَاتٍ
وَقَدْ دَمِيَتْ جَوَابِهِ حَوَافِرَهَا لِكَثْرَةِ الْعَدُوِّ ، وَلِمَا لَحِقَّهَا مِنَ التَّعَبِ . وَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَّا هَوَازِنَ بَوَادِي حُنَيْنَ ، وَرَئِسُ هَوَازِنَ مَالِكٌ
بْنُ عَوْفٍ النَّصْرَى ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ الْجَشَّمِيُّ . وَإِنَّمَا قَالَ
«مَسَوَّمَاتٍ» لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُ أَنفُسِهِمْ بِعِلَامَاتِ لَيْبِينَ بِهَا فَضْلٌ كُلُّهُمْ وَبِلَادُهُ .
وَالسَّيَّاهُ : الْعَالَمَةُ ، وَقَدْ فَسَرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : «وَالْأَخْلَيلُ الْمُسَوَّمَةُ» عَلَى ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : «سَيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السَّجْدَوْدِ» .

(١) كَذَا فِي الأَصْلِ ، وَفِي مِنْ : «امْتَهَنْ» . وَفِي الْدِيوَانِ ٢١ : «حَتَّى اتَّخَذَ» .
وَاللَّاسَانُ (خَنْ) : «حَتَّى اتَّخَذَ» . وَصَدْرُهُ :

* عَلَيْهِ سَلاَحٌ أَصْرَى مَاجِدٌ

(٢) اَنْظُرْ الْحَمَاسِيَّةَ ٣ : ٤ .

(٣) التَّبَرِيزِيُّ : «وَقَالَ الْحَرِيشُ بْنُ هَلَالَ الْقَرْبَى ، وَيُرْوَى لِلْجَحَافِ بْنِ حَكَمٍ بْنِ عَاصِمٍ» .
وَالْحَرِيشُ هَذَا مُخْتَلِفٌ فِي صُبْتِهِ . اَنْظُرْ إِلَيْهِ ٢٠٨٣ . وَأَمَّا الْعَبَاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ فَهُوَ صَاحِبُ
مِنَ الْمَوْلَفَةِ قَلْوَبِهِمْ . اَنْظُرْ تَرْجِيَتِهِ فِي الشِّعْرِ وَالشِّعْرَاءِ ٢٥٩ وَالْأَغَانِيِّ (١٣ : ٦٢ - ٦٣) .
وَالْحَزَّانَةِ (١ - ٧١ - ٧٤) وَالْمَرْبِزِيَّانِ (٢٦٢ - ٣٦٣) . عَلَى أَنَّ الْأَيَّاتِ رَوَاهَا
الْأَعْلَمُ فِي شَرْحِ الْحَمَاسِيَّةِ لِخَفَافِ بْنِ نَدْبَةِ . اَنْظُرْ إِلَيْهِ ٢٠٨٣ .

٢ - وَوَقْعَةَ خَالِدٍ شَهِدَتْ وَحَكَتْ سَنَابِكَهَا عَلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ

أصلُ الْحَكَّ صَدْمُ جَسْمٍ بَآخَرَ وَتَرْدِيْدِهِ عَلَيْهِ لَيُؤْرِفُ فِيهِ . وَتَوَسَّعَا فِيهِ قَالُوا : حَكَّ هَذَا الْأَمْرُ فِي صَدْرِي ، لِمَا يَتَرَدَّدُ فِي خَاطِرِكِ . وَهُوَ يَتَحَكَّكُ بِفَلَانِي أَيْ يَتَعَرَّضُ لَهُ ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَقُولُونَ لِلشَّيْءِ الْخَفِيِّ : هُوَ حَكِيكِكُ نَحِيتُ^(١) . وَيَعْنِي خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ الْمُغِيرَةِ . وَأَشَارَ بِهِذَا إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ ، وَإِنَّمَا نَسَبَهَا إِلَى خَالِدٍ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ خَالِدًا يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى اخْتِيلِ فَلَقِيَ قَرِيشًا بِالْخَنْدَمَةِ^(٢) ، فَقَاتَلُوهُمْ وَهَزَّهُمْ . فَيَقُولُ : وَحَضَرَتْ أَيْضًا وَقْعَةَ خَالِدٍ يَوْمَ الْفَتْحِ ، وَحَكَّتْ أَطْرَافُ حَوَافِرِهَا بِأَرْضِ الْخَرْمَ . وَالْمُرَادُ بِيَوْمِ طُولِ مُهَارَسَتِهِ لِلْحَرُوبِ وَالْوَقَعَاتِ ، وَتَرَدَّدَهَا فِي تَحْمُلِ أَعْبَاءِ الشَّرِّ وَالْمَشَقَاتِ .

٣ - نُرَرَّضُ لِلسَّيُوفِ بِكُلِّ ثَغَرٍ خُدُودُّا مَا تُرَرَّضُ لِلْطَّامِ

مُثْلُهُ :

نُهِينُ النُّفُوسَ وَهُونُ النُّفُو سِيَوْمَ السَّكِيرَةِ أُوقَى لَهَا^(٣)

يَقُولُ : نَبَذَلُ فِي الْحَرُوبِ أَنفُسَنَا طَلَبًا لِصِيَاتِهَا ، وَنَسْقَتِلُ فَنَتَعَرَّضُ وَلَا نَنْقَبَضُ^(٤) عَنْهَا ، بَلْ نَبَذُلُهَا وَجْوهَنَا الَّتِي هِي حَرَامُ النُّفُوسِ ، وَلَوْ عَرِضَ عَلَيْنَا فِي السَّلْمِ وَالسَّلَامِ بِذُلُّهَا لِلْطَّامِ ، لَا نَفْتَنَا مِنْهُ وَامْتَنَّنَا . وَالْمَعْنَى : نَتَلَقَّ السَّيُوفَ بِخُدُودِنَا إِذَا كَسَبْنَا ذِكْرًا ، وَإِنْ صَنَّاهَا عَنِ الْأَذْى الْيَسِيرَ . وَأَكْشَفُ مِنْ هَذَا وَأَشْرَفُ قَوْلُ الْآخَرِ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « نَحِيتُ » ، صَوَابُهُ فِي مِ .

(٢) الْخَدْمَةُ : جِيلُ بَكَّةَ .

(٣) لِلْخَنَاءِ ، كَافٍ لِلْحَيْوَانِ (٦ : ٤٢٧) . عَلَى أَنْ أَقْرَبَ تَعْتِيلَهُ هُوَ قَوْلُ الْفَتَالِ الْكَلَابِيِّ ، فِي الْكَاملِ ٦٧ :

نَرَضُ لِلْطَّامِ إِذَا التَّهِيَا وَجْوهَا لَا تَرَضُ لِلْسَّابِ

(٤) مِ : « نَنْقَبَضُ » .

وبيقذل النفس المصونة نفسه إذا مارأى حقا عليه ابذاها^(١)
 ٤ - ولست بخالع عن ثيابي إذا هر الكماة ولا أرامي
 الشياب يعني بها السلاح، وهذا كما يسمى بـَرَأْ . الاترسي قول الآخر:
 * بـَرَأْ أمرى مُسْتَسْلِم حازم^(٢)*
 وقول المذكى :

* فوْقَرَ بـَرَأْ ما هنالك ضائع^(٣)*

يعنى السيف . وهذا يحتمل وجهين : يجوز أن يكون المعنى لا أزعج ثيابي وقت هر الأبطال تشرعاً وتخففاً ثم لا أبني ولا أجهد ، ولكن إذا وطنت نفسى على الشر تقصدت أبلغ ما يكون منه بأبلغ ما يكون من بلاى . وموضع « ولا أرامي » تصب على الحال ، أى لا أفعل ذلك غير مرام . ويغنى بالمراما مدافعة الخصم وبمحادته بكل مكن ومعرض . وليس يريد الرامي بالنبال . وقد توسعوا في الرامي والمراما حتى استعمل في الافتخار ، واستعير لتأثير الدهر والشيب ، ولنظر المحبوب المفتين . ويجوز أن يكون نق الأسرى جيما فقال : لا أخلع ثيابي تخفيقا عن نفسى في التولى والانهزام عند هرير الشجعان ، ولا أرامي أيضاً ، يعني الرامي بالنبال ، ولكن أتفق الشر وأصدمه بوجهى . ويشهد لهذا أول البيت التالي له ، وإنما قال ذلك لأن المراما تكون من بعيد فتختلي وتصيب ، وعند المكافحة^(٤) تشكل الأمهات .

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « نفسها » .

(٢) لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري في المفضليات (٢ : ٨٥) برؤبة : « حاذر » .
 « عجزه » : * للدھر جلد غير مجاز *

(٣) لقيس بن عيزارة المذلى في ديوان المذلين (٣ : ٧٨) . وصدره :
 * فويل ام بـَرْ جر شعل على الحصى *

(٤) م : « المفاتحة » .

٥ — وَلَكِنِّي يَحُولُ الْمُهُرُ تَحْتِي إِلَى الْفَارَاتِ بِالْعَضْبِ الْخَسَامِ

العصبُ : القطعُ والمعنى ، ثم قيل سيفُ عصبُ ، أى قاطعٌ ، كما قيل ضيفُ في الصائف^(١) . وقال الخليل : سمي السيف حساماً لأنَّه يحسم العدوَ عَمَّا يُريدُ من بلوغ عداؤه . قوله : « بالعصب » ، أى ومعنى العصب ، وهو في موضع الحال . ومعنى البيت ظاهر .

٢٢

ابن زِيَّاْبَةَ التَّمِيِّيُّ :

مَأْخُوذُ مِنْ زَيْبَ الرَّجُلِ^(٢) .

٦ — ثَبَيَّتُ عَمْرَا غَارِزاً رَأْسَهُ فِي سِنَّةٍ يُوعِدُ أَخْوَاهُ

جعلَ غَرِزَ الرأسَ كنایةً عن الجهلِ والذهبِ عما عليه وله من التحفظ . وُبَئَ وأُبَئَ مما يتعدَّى إلى ثلاثة مفاعيل . فعمرًا انتصبَ على أنه مفعول ثانٍ . وغارزاً ، انتصبَ على أنه مفعول ثالث ، ورأسه انتصبَ من غارزاً . وأراد بالسنة : الففلة ، وهي ما يحدثُ من أوائل النوم في العين ولم يستحكِمْ بعد . وهذا من أحسن التشبيه وأبلغ التعریض . والإيماد إذا كان على ما وصفَ حقيق بالتهجين . يدلُّ على ذلك قوله :

(١) الصائف : الذي يضيق القوم ضيقاً وضيافة ، أى ينزل بهم ويميل إليهم .

(٢) هو عمرو بن المارث بن همام ، أحد بنى تم اللات بن نعلبة ، شاعر جاهلي ، وزِيَّاْبَةُ أُمِّهِ . يقول فيها :

يالحف زِيَّاْبَةَ لِلعارثِ ۖ ۖ صَاحِبَ فَالْغَانِمِ فَالآثَبِ

وقال أبو رياش : هو فارس مجاز عمرو بن لأبي . انظر اللآلٰ ٥٠٤ .

(٣) التبريزى : « زِيَّاْبَةَ اسم مرتبَل للعلم ، وهو فعالة أو فعالة أو فوعالة ، من لفظ الأزب ، وهو النشاط » .

وَسِنَانُ أَفْصَدَهُ النَّعَاصُ فَرَنَقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلِيُسْ بَنَأْمٌ^(١)
وَقَدْ فَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمَا بِقُولِهِ : « لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ». وَالْفَعْلُ مِنْهُ
وَسِنَ يَوْسَنُ وَسِنًا . وَمَوْضِعُ « يُوعِدُ » نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ . وَمَعْنَى « غَارِزاً رَأْسَهُ » :
مُدْخِلًا ؛ وَمِنْهُ الْفَرْزُ بِالْإِبْرِ . وَيَقُولُ : عَرَزَ فَلَانُ رِجْلُهُ فِي الْفَرْزِ ، أَى فِي
الرَّكَابِ . وَتَوَسَّعُوا حَتَّى قَالُوا : اغْتَرَرَ فَلَانُ فِي رِكَابِ الْقَوْمِ .

٢ — وَتِلْكَ مِنْهُ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءُ إِذَا قَالَهُ
هَذَا الْكَلَامَ تَهْكِمُ وَسُخْرِيَّةٌ ، وَفِي طَرِيقِهِ قَوْلُ الْآخِرِ :
وَأَمَا أَخُو قُرْطِيْ فَلَسْتُ بِسَاحِرٍ قَوْلًا أَلَا يَا اسْلَمَ بِمُرَّةِ سَالِمَا
قَالَ هَذَا وَمُرَّةٌ مُعَرَّضٌ لِكُلِّ بَلَاءٍ . « أَنْ يَفْعَلُ » مَوْضِعُهُ رَفْعٌ عَلَى الْبَدْلِ
مِنْ قَوْلِهِ وَتِلْكَ مِنْهُ . وَالْمَعْنَى تِلْكَ الْخَصْلَةُ لَا يُؤْمِنُ وَقَوْعُهَا مِنْ عَمِّرِ وَ، وَهُوَ فَقْلُهُ
لَا يَقُولُهُ .

٣ — الرَّمْحُ لَا أَمْلَأَ كَفِيْ بِهِ وَالْبَدْلُ لَا أَتَبْعِي تَرْوَالَهُ
هَذَا التَّدَحُّ منْهُ قَعْرِيْضٌ بِخَصْمِهِ وَإِزْرَاهُ بِفَرْوَسِيْتِهِ ، وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَصْدَادَ
هَذِهِ الْأَوْصَافِ مُجْتَمِعَةٌ فِيهِ . فَيُجَوَّزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : إِنَّ لَا أَقْبِصُرُ مِنْ تَعَاطِي
أُنْوَاعِ السَّلَاحِ عَلَى الرَّمْحِ فَقْطًا ، وَلَكَنَّى أَجْعَمَ فِي الْاسْتِعْمَالِ بَيْنَهَا . وَهَذَا كَمَا
يُقَالُ : مَلَأَ كَفَهُ مِنْ كَذَا^(٢) فَلَيْسَ فِيهِ مَوْضِعٌ لِغَيْرِهِ . وَيُجَوَّزُ أَنْ يَكُونَ
الْمَعْنَى : [إِنَّ أَسْتِعْمَلُ رَحْمِيْ بِأَطْرَافِ أَصْبَاعِيْ لِحَذْقِيْ وَاقْتَدَارِيْ ، وَلَا أَخْذُهُ
بِجَمِيعِ كَفِيْ]^(٣) . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : أَقْبِصُهُ وَلَا أَقْبِضُهُ ؛ لَأَنَّ الْقَبْصَ : الْأَخْذُ
بِأَطْرَافِ الْأَصْبَاعِ ، وَالْقَبْضَ بِالْكَفَّ كُلَّهُ . وَمَثَلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ^(٤) :

(١) لَعْدَى بْنِ الرَّقَاعِ ، كَافِ الْمَسَانِ (رِنَقِ) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ هَذَا » وَأَتَبَنَّا مَاقِ مِنْ .

(٣) التَّكْلِهُ مِنْ مِنْ .

(٤) هُوَ عَبْدُ يَغْوِثَ بْنُ وَقَاسِ الْحَارِثِ . الْمَفْضِلَاتِ (١٥٦ : ١) .

* لَبِيقاً بِتَصْرِيفِ الْقَنَاءِ بَنَانِيَا^(١)*

وَقُولُهُ : « وَالْبَدْلُ لَا أَتْبِعُ تَرْوَاهُ » أَرَادَ : أَنْزَمَ ظَهَرَ دَائِبَى ، وَإِنْ مَالَ الْبَدْلُ
لَمْ أَمِلْ مَعَهُ . وَهَذَا كَمَا قَالَ أَبُو النَّجَمَ :
أَدْرَكَ عَقْلًا وَالرَّهَانُ عَمَلُهُ ثَقَفَ أَعْالَيْهِ وَقَارَ أَسْفَلَهُ^(٢)
أَىٰ كَانَهُ يُلْصِقُ الْأَسْفَلَ بِظَهَرِ الْفَرَسِ فَلَا يَرُولُ وَلَا يَمِيلُ .

٤— وَالدَّرْعُ لَا أَبْنَى بِهَا ثَرْوَةً كُلُّ اصْرِئٍ مُسْتَوْدَعٌ مَا لَهُ
لَوْلَا أَنْ قَصْدَهُ فِي التَّمَدُّحِ إِلَى التَّعْرِيْضِ بِالْخَبَرِ عَنْهُ لَكَانَ لَامْعَنِي هَذَا الْكَلَامُ .
أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ : « وَالدَّرْعُ لَا أَبْنَى بِهَا ثَرْوَةً » وَقَدْ فُسِّرَ عَلَى أَنَّهُ يَحْمُوزُ أَنَّ
يَكُونُ الْمَرَادُ : لَا أَقْتَنَ الدَّرْعَ لَكِي اتَّجَرَ فِيهَا فَأَتَمْوَلُ . وَتَرَكَ التَّجَارَةَ فِي
الْأَسْلَحَةِ لَيْسَ فِيهِ كَبِيرٌ تَمَدُّحٌ^(٣) . وَيَحْمُوزُ أَنَّ يَكُونُ الْمَعْنَى : لَا أَعْدُهَا سَبِيلًا فِي
اِرْتِفَاقِ الْمَغَانِمِ فَأَثْرَى ، وَيَكُونُ كَمَوْلَ عَنْتَرَةَ :

يُخْبِرُكَ مِنْ شَهِيدَ الْوَقِيعَةِ أَنِّي أَغْشَى الْوَغْنَى وَأَعِفُّ عَنِ الْمَغْنَمَ
وَقُولُهُ : « كُلُّ اصْرِئٍ مُسْتَوْدَعٌ مَا لَهُ » ، يَرِيدُ بِهِ : الْمَالُ وَدَائِعٌ عَنِ النَّاسِ ،
وَلَا بدَّ مِنْ اِرْتِجَاعِهَا وَالتَّقْاضِيَّ بِهَا وَإِنْ أَمْهَلُوا مُدَدَّةً ، فَلَمْ اتَّجَرْ فِي دِرْعِي أَوْ لَمْ
أَبْسِنَهَا لِتَغْنِمَ الْأَنْفَالِ بِهَا ، وَالْمَالُ هَذِهِ حَالَهُ عَنْ أَرْبَابِهِ . وَيَكُونُ هَذَا كَمَا
قَالَ الْآخَرُ^(٤) :

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعٌ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ
وَيَحْمُوزُ أَنَّ يَكُونُ « مَا » مِنْ قَوْلِهِ « مَا لَهُ » بِمَعْنَى الَّذِي ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : كُلُّ

(١) صدره : * وَكُنْتَ إِذَا مَا الْجَلْ شَمَصَهَا الْقَنَا *

(٢) م : « ثَقَفَ » بِالْتَّوْنِ .

(٣) هَذَا مَافِي م . وَفِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « كَثِيرٌ تَمَدُّحٌ » .

(٤) هُوَ لَبِيدٌ . دِيْوَانُهُ ٢٢ طَبِيعَ قِبَلَنَا ١٨٨٠ .

امريٌ مُرْتَهِنٌ بِأَجَلِهِ ، وَبِالَّذِي كُتِبَ لَهُ ، وَلَا يَمْتَعُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِ«مَا» إِلَى
مَا يُقْتَنِي مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا . وَيَرُوِي : «كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَوْدِعٌ مَالَهُ» بِكَسْرِ
الدَّالِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ مَا يَجْمِعُهُ الْمَرْءُ بِكَسْبِهِ إِذَا جَاءَ حَمْتُومُ الْقَضَاءِ يَتَرَكُهُ لِغَيْرِهِ لَا حَالَةَ ،
فَلَمْ أَرْغِبُ فِيهِ وَفِي اَدْخَارِهِ ، وَأَزْهَدُ فِي اَكْنَاسِ الْحَمَدِ وَالْمَعَالِي؟ وَهَذَا السَّكَلَامُ
نَهَايَةُ فِي التَّنَفُّصِ مِنْ عَرَضِهِ ، وَغَايَةُ فِي الطَّعْنِ عَلَيْهِ ، وَالْقَدْحُ فِي عَادَتِهِ .
وَيَرُوِي : «وَالدَّرْعُ لَا أَبْغِي بِهَا نَثَرًا» ، وَهِيَ الْوَاسِعَةُ . وَالْمَعْنَى : إِنَّ أَكْمَانِي
مِنَ الدَّرْعِ بِيَدِنِي ، فَلَا أَطْلُبُ مَا يَفِيضُ فِيَضًا ، وَيَجْبُ مَعَ هَذِهِ الرَّوَايَةِ وَالتَّفْسِيرِ
أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْمِصْرَاعِ الثَّانِي : كُلُّ امْرِئٍ مُرْتَهِنٌ بِأَجَلِهِ ، وَمُمْهَلٌ لِيَوْمِهِ .

٥ — آلَيْتُ لَا أَدْفِنُ قَتَلَّا كُمْ فَدَخَلُوا الْمَرْءَ وَسِرْبَالَهُ^(١)

هَذَا الْبَيْتُ لَمْ أَجِدْهُ فِي نَسْخٍ كَثِيرَةٍ ، فَيَغْلِبُ فِي ظَنِّي أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْاِخْتِيَارِ .
وَعَلَى مَا يَرِيهِ فَلَهُ قِصَّةٌ مُشْهُورَةٌ زَعَمُوا . وَهِيَ أَنَّهُ يُرَوَى فِيْهِ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْمُخَاطِبِينَ
كَانَ أَحْدَثَ فِي حَرَبٍ حَضَرَهَا خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ ، فَعَرَضَ الشَّاعِرَ بِهِمْ وَذَكَرَهُمْ
سُوءَ بِلَاهِمْ ، وَضَعَفَ ثَبَاهِمْ . وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْهُمْ إِذَا صَرِعُوا فِي الْمَعرَكَةِ عُثْرَةً مِنْهُمْ
إِنْ لَمْ يُطَيَّبُوا عَلَى مِثْلِ مَا فَقَلَهُ ذَلِكَ الْوَاحِدُ الْمُعَرَّضُ بِهِ ، أَوْ اسْتُدَلَّ بِالرَّأْحَةِ
عَلَيْهِ فَاقْتُصَحُوا . وَهَذَا تَهْكِمٌ أَيْضًا وَتَعِيرٌ بِالْاِنْفَاقِ السَّيِّئِ . وَآلَيْتُ مَعْنَاهُ حَلَفَتُ ،
وَلَفْظُهُ لَفْظُ الْخَبْرِ ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى الْفَسَمِ . وَرَبِّمَا قَالُوا : آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي .

(١) بَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَسَابِقِهِ بَيْتِ رِوَايَةِ التَّبَرِيزِيِّ وَهُوَ :

إِنَّكَ يَا عُمَرُ وَتَرَكَ النَّدِيَ كَالْعَبْدِ إِذْ قَيَّدَ أَجَالَهُ

وَقَالَ : «قَالَ ابْنُ السَّكِيتِ : يَهُولُ : أَنْتَ كَالْعَبْدِ اقْتَصَرَ عَلَى مَوْضِعٍ يَرْعِي فِيهِ وَلَا يَعْزِبُ يَابِلهِ .
وَقَالَ غَيْرُهُ : أَيْ إِنَّكَ قَدْ تَرَكْتَ النَّدِيَ وَأَكْتَابَ الْشَّرْفِ بِهِ ، فَلَا تَسْتَفِدُ ، كَالْعَبْدِ يَقِيدُ أَجَالَهُ
وَيَنْامُ فَيَسْتَرِعُ . وَطَلَبَ الْشَّرْفِ إِذَا يَكُونُ مَعَ التَّبَّ» .

٢٣

الحارثُ بن همَّامِ الشِّيْبَانِيُّ^(١) :

١ - أَيَا أَبَنَ زَيَّاَةَ إِنْ تَلْقَنِي لَا تَلْقَنِي فِي النَّعْمِ الْعَازِبِ^(٢)
 النَّعْمُ يُذَكَّرُ وَيُؤْتَى ، وَالْتَّذَكِيرُ فِيهِ أَغْلَبُ . وَفَانِدَهُ فِي الْإِفَرَادِ الْإِبْلِ
 فِي الْأَكْثَرِ ، وَإِذَا جُمِعَ دَلَّتْ عَلَى الْأَزْوَاجِ الْمُثَانِيَةِ^(٣) . يُعَرِّضُ بِأَنَّهُ رَاعٍ فِي قَوْلِهِ:
 يَا ابْنَ زَيَّاَةَ إِنَّكَ لَا تَجِدُنِي رَاعِيًّا يَبْعُدُ فِي الْمَرْعَى بِإِبْلِهِ . وَالْمَعْنَى أَنَّكَ ذَلِكَ ،
 وَيُقَالُ : مَا لِعَازِبٍ وَعَزِيزٍ^(٤) ، إِذَا بَعُدَّ عَنْ أَهْلِهِ . وَرَوْضَنْ عَازِبٌ : بَعِيدُ الْمَطَلَّبِ .

٢ - وَتَلْقَنِي يَشْتَدُّ بِي أَجْرَدُ مُسْتَقْدِمُ الْبِرْكَةِ كَالْأَكِبِ
 قَوْلُهُ : « وَتَلْقَنِي » عَطَفَهُ عَلَى الْجَوابِ ، لِأَنَّهُ يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا .
 أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْقَالَ : إِنْ تَلْقَنِي تَلْقَنِي كَذَا ، لَصَلَحَ؟ يَقُولُ : تَلْقَنِي يَعْدُو بِي فَرَسٌ
 قَصِيرُ الشَّفَرِ ، مُتَقْدِمُ الصَّدْرِ ، مُشْرِفٌ كَالْأَكِبِ ، [أَى إِشْرَافُهُ إِشْرَافُ]
 الْأَكِبِ^(٥) لِلْمَرْكُوبِ . وَيَشْتَدُّ : يَفْتَحُ مِنَ الشَّدَّ ، وَهُوَ الْعَدُوُّ . وَيُقَالُ :
 اسْتَقْدَمُ وَتَقْدَمُ ، وَاسْتَأْخِرُ وَتَأْخِرُ ، بَعْنَى . وَالْبِرْكَةُ ، كُسِّرَ بِأَوْهَا عِنْدَ اتِّصَالِ
 الْهَاءِ بِهَا ، لَوْلَا ذَلِكَ لَقِيلٌ بَرْكَةٌ بَفْتَحِ الْبَاءِ .

(١) الحارث بن همام بن صرة بن ذهل بن شيبان ، شاعر جاهلي .

(٢) ابن زياد ، مضت ترجمته قريباً ، وهو ابن الحارث بن همام . ولهذه المقطوعة
 استبعد بعضهم أن يكون ابن زياد هو عمرو بن الحارث بن همام ، وارتضى القول الآخر .

(٣) هي الضأن والغز والإبل والبقر ، ذكورها وإناثها . انظر الآيتين ١٤٤ ، ١٤٣
 من سورة الأنعام .

(٤) كما في النسختين ، والمعروف « العزيز » .

(٥) التكملة من م .

٢٤

فَاجْبَةُ ابْنِ زَيْبَةَ :

١- يَا لَهْفَ زَيْبَةَ لِلْحَارِثِ إِلَى صَاحِبِ الْفَانِيمِ فَالْأَيْبِ
 يجوز أن يكون أورد هذا الكلام ساخراً متهانفاً، ومستهزئاً متهدلاً ،
 فوصفه بهذه الصفات وكان الأمر بخلافه ، ويقرب هذا أن ما قبل هذه
 المقطوعة في مثل هذه الطريقة . ويجوز أن يكون ذكر ما كان منه^(١) على
 الحقيقة ، فهو يتحسر لما رأى من فلاحه في غزاته ، وسلامته في مآبه .
 ويقول : يا حسنة أمي^(٢) من أجل هذا الرجل فيما ارتفع له من المراد في الغزو ،
 وجمع له من السلامة والوفر . والصاحب ، يجوز أن يكون في معنى مُضْبِحٍ ،
 كما قال :

* حين لا حَتْ لِ الصَّاحِبِ الْجَوَازِ *

والغارهُ وقتها الغداة ، فذلك قال : للحارث المضبّح عندنا والقائم متأنا .
 والترتيب الذي يقيده القاء جار على سنتينه ، كأنه أراد للحارث الفائز نحونا
 والقائم متأنا — والفتح بعد الغزو — فالإيب إلى قومه — والأوبة بعد
 الاستغمام . ويجوز أن يكون الصاحب من صبغت القوم ، إذا أتيتهم صابحاً .
 وفي المثل السائر : « صَبَّحُنَاهُمْ فَغَدُوا شَامَةً »^(٤) . وهذا الوجه وأجواد .
 وأعلم أن الصفة إذا جاءت للتبين وإزالة الالتباس عن الموصوف ، فالوجه أن يعمدَ

(١) هنا ما في م . وفي الأصل : « أن يكون ذكر منه » .

(٢) في الأصل : « يا حسنة بي » ، وفي م : « يا حسنة أى » .

(٣) لأبي زيد الطائفي . الحيوان (٥ : ٢٢١) والخزانة (٣ : ٢٨٣) . وصدره :

* أى ساع سعي ليقطع شربى *

(٤) ذكره الميداني في بحث الأمثال وقال : « أى أوقتنا بهم صبحاً فأخذوا الشق
 الأشام ، أى صاروا أصحاب شامة ، وهي ضد المينة » .

إلى أخصّها بالموصوف ، وأحّقّها بالبيان والشرح ، حتى تُفْنَى عن العُدُول عنها إلى غيرِها من الصّفات . فإنْ انْفَقَ بعد ذلك لِبْسُ حِينَذِي يُرَالْ بما يُضْمَنُ إليه . وإذا جاءت للتعظيم أو التهجين فإنه قد يُوَالِي بين عِدَّةٍ منها بمحروف النَّسقِ ومن دونِها . تقول : جاءني زيدُ الظَّريفُ الكاتبُ الفاضلُ الْعَالِمُ . وإنْ أتيت بالواو العاطفة متخللة له ساغ^(١) ، فإنْ قيل : إذا كانت الصفةُ هي الموصوف ، والشيء لا يُعطُ على نفسه ، فكيف جازَ عطفُ بعضِ الصفاتِ على بعضٍ ؟ قلتَ : تَغَيِّرُ المعانِي الحاصلةُ بِهَا ، وقوَّةُ اتصالِ بعضِها ببعضٍ في بايِ الصَّلةِ والصَّفَةِ ، سَوَّغَ ذلك في ألفاظِها .

٣— وَاللَّهِ لَوْ لَا قِيَمَةُ خَالِيَّا لَآبَ سَيِّفَانَا مَعَ النَّالِبِ
أَقْسَمَ بِاللهِ فيقول : والله لو لقيته منفردًا عن أشياءه لحصلَ سيفانا للفالب منَّا . وذَكَرَ السَّيِّفينِ والمراوِجَ جميعَ ما معهما من بَزَّهَا وسِلاحمهما ، لعلَّ شأنهما . وجعلَ الفِعلَ للسيفينِ على المجاز . وللمعنى : لو خلوتُ به لقتلته أو قتلني .

٣— أَنَا أَبْنَ زَيَادَةَ إِنْ تَدْعُنِي آتِكَ وَالظَّنُّ عَلَى الْكَاذِبِ
قوله : « والظَّنُّ على الكاذب » يجري مجرى الأمثال ، ويكون مبنياً على ماقال لبيد ، وهو :

وَاكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَثَهَا إِنْ صِدْقُ النَّفْسِ يُرْزِي بِالْأَمْلِ
والمعنى : كلُّ مَنْ يَحْدُثُ نَفْسَهُ وَيَكْذِبُهَا ، ثُمَّ الظَّنُّ على مَنْ لَا يَتَحَقَّقُ
أَمْلُهُ . ويجوز أن يزيد : أنا المعروف المشهور ، إنْ دَعَوْتَنِي لمبارزتكِ جئتكَ ، فإنْ
كنتَ تَظَنُّ غيرَ هذا فظنكَ عليكَ ، لأنَّكَ تَكْذِبُ نَفْسَكَ فِيهَا تَوْهِمٌ من
قُوَودِي عنكَ ، أوْ نُكُولِي عن الإقدامِ عليكَ . ويجوز أن يكون المعنى :

(١) هذا الصواب من م . وف الأصل : « لما ساغ » .

إِنْ تَدْعُنِي أَجِبُكَ ، فَإِنْ ظننتَ أَنْ تَكُونَ الْفَالْبُ فَظْنُكَ عَلَيْكَ ، لَا نَكْ تَكْذِبُ نَفْسَكَ .

٢٥

الأَشْتَرُ النَّخْعَىٰ^(١) :

١- بَقَيْتُ وَفِرِي وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْعَلَا وَلَقِيْتُ أَضْيَايَافِ بِوْجِهِ عَبُوسِ
الْوَفْرُ : الْمَالُ الْكَثِيرُ . وَالْمَبُوسُ : الْكُلُوحُ عَنْ غَضَبٍ ، وَتَوَسَّعُوا فَقَالُوا :
يَوْمَ عَبُوبَى ، أَى شَدِيدٌ . وَهُوَ جِبْسُ عِبْسٍ ، فِي اللَّثِيمِ . وَهَذَا مِنَ الْأَيْمَانِ
الشَّرِيفَةِ ، وَاللَّفْظُ لَفْظُ الْخَبَرِ ، وَظَاهِرُهُ الدُّعَاءُ ، وَمَحْصُولُهُ الْقَسْمُ . فَيَقُولُ :
اَدْخَرْتُ مَالِي وَلَمْ أَفْرَقْهُ فِيمَا يَكْسِبُ لِي حَمْدًا ، فِعْلَ الْبَخَلَاءُ ، وَزَهَدْتُ فِي
اَكْتَسَابِ الْعَالَىٰ وَالْمَآتِرِ زَهَدَ الْأَدْنِيَاءُ ، وَتَلَقَّيْتُ الْأَضْيَافَ^(٢) بِوْجِهِ رَجْلٍ كَالْحِ
إِنْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا . وَمِثْلُهُ فِي الْمِنَ قولُ النَّابِغَةِ :

* إِذَا فَلَرَفَعْتُ سُوْطِي إِلَى يَدِي^(٣) *

٢- إِنْ لَمْ أَشْنَ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً لَمْ تَخْلُ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفْوسِ^(٤)
شَنِّ الْغَارَةِ مُعْجَمَةً ، وَسَهَّا غَيْرُ مَعْجَمَةٍ : صَبَّهَا . وَأَصْلَ جَيْعَهَا فِي الْمَاءِ ،

(١) الأشتر: لقب له، واسمه مالك بن الحارث بن عبد يقوث بن مسلمة بن ربيعة النخعي الكوفي. أدرك الجاهلية، وكان من أصحاب علي، شهد معه الجمل وصفين وغيرهما، وكان من أولى على عثمان وشهد حصره، وولاه على بن أبي طالب مصر بعد صرف قيس بن عبادة عنها، فلما وصل إلى الفازم شرب شربة عسل فات سنة ٣٨. ولقب بالأشتر لأن رجلا ضربه في يوم اليرموك على رأسه فنسالت الجراحة قيحاً إلى عينه فشتتها. الإصابة ٨٣٣٥ وتهذيب التهذيب ومعجم المرزباني ٣٦٢. التبريزى: « وفي الشعاء آخر يقال له الأشتر بن عامر، أحد بي عوف بن ولاد بن تم اللات. ومنهم الأشتر الحسائى الأزدى من بنى حامة من أزد عمان ». .

(٢) م: « أضياف ». .

(٣) صدره: * ما قلت من سي * مما أتيت به *

(٤) التبريزى: « ابن حرب، يعني معاوية بن أبي سفيان ». .

ثُمَّ حَصَلَ التَّوْسُعُ فِيهَا . يَقُولُ : تَصَوَّرْتُ بِتَلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا وَأَقْسَمْتُ بِهَا ، إِنْ لَمْ أَصُبَّ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ خَيْلًا لَا تَخْلُو يَوْمًا مِنْ اخْتِلاَسِ نُفُوسٍ ، وَانْتَهَابِ آجَالٍ . وَسَمَّى الْخَيْلَ غَارَةً لَمَا كَانَتْ مِنْ قِبَلِهَا تَكُونُ . وَمَوْضِعُ « لَمْ تَخْلُ يَوْمًا » نَصَبَ عَلَى الصُّفَةِ لِلْغَارَةِ ، أَيْ خَيْلًا جَرَتْ عَادَتْهَا بِذَلِكَ . وَالنَّهَابُ يُحِوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرَ نَاهِبَةً وَيُسْتَغْفَلُ فِي الْمُفَاوِرَةِ وَالْمُهَارَةِ ، وَيُحِوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ النَّهَابِ . وَجَوابُ « إِنْ لَمْ أَشْنُ » فِيَا تَقْدِيمٌ .

٣—**خَيْلًا كَمَثَالِ السَّعَالِ شُرْبَامًا** تَعْدُو بِيَضِّنِ فِي الْكَرِيَّةِ شُوسِ الشُّرْبَ (١) : الْضُّمَرُ . وَالشُّوسُ : جَمْعُ أَشْوَسٍ . وَيَقَالُ شَاسَ يَشُوسُ وَشَوسَ يَشُوسُ ، إِذَا عُرِفَ فِي نَظَرِهِ الْفَضْبُ أَوِ الْكَبِيرُ . وَانتَصَبَ « خَيْلًا » عَلَى أَنَّهُ بَدْلٌ مِنْ غَارَةً . وَشَبَهَ الْخَيْلَ فِي ضُمُرِهَا وَسُرْعَةِ نَفَادِهَا بِالْجَنِّ . وَانتَصَبَ « شُرْبَامًا » عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ الْخَيْلِ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ « كَمَثَالٍ » ، أَيْضًا صِفَةً . وَيُحِوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا لِلْمُضْمَرِ فِي كَمَثَالِ السَّعَالِ . وَالْمَعْنَى : خَيْلًا تَشَابَهُ السَّعَالُ فِي حَالِ شُرْبَامًا وَضُمُرِهَا . وَقَوْلُهُ : « تَعْدُو بِيَضِّنِ » أَيْضًا صِفَةً ، إِمَّا لِقَوْلِهِ شُرْبَامًا ، إِمَّا لِلأَوَّلِ ، أَيْ تَعْدُو بِرْجَالٍ كِرَامًا ، مُتَكَبِّرِينَ فِي الْحَرْبِ ، ذُوِي الْأَنْفَةِ . وَإِذَا جُمِعَ بَيْنَ مَفَرَّدَاتِ وَجْهِيِّلِ الْوَصْفِ ، فَالْتَّرْتِيبُ الْخَتَارُ تَقْدِيمُ الْمَفَرَّدَاتِ عَلَى الْجَمْعِ ، وَقَدْ جَاءَ الْبَيْتُ عَلَى ذَلِكَ . وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ الْبِيَاضَ كِنَائِيَّةً عَنِ الْكِرَامِ ، كَمَّا تُرِيدُ نَقَاءَ الْعِرْضِ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

* أَمْكَ بَيْضَاءَ مِنْ قُضَاءَةَ . . . *

وَكَأَفَلُوا هَذَا جَعْلُوا الْفُرَّةَ كِنَائِيَّةً عَنِ الْكِرَامِ ، وَرَبَّمَا قَالُوا غُرَّانَ .

(١) هَذَا مَا فِي مِنْ وَالْتَّبَرِيزِيِّ . وَفِي الْأَصْلِ : « الشَّرْبُوبُ : الضُّمَرُ » يَقِرَآنُ عَلَى الْمَصْدِرِ .

(٢) الْبَيْتُ بِنَاءَهُ كَافِ شِرْحُ دِيوَانِ زَهِيرٍ ٢ وَاللَّسَانُ (بِيَضِّنِ) : أَمْكَ بَيْضَاءَ مِنْ قُضَاءَةَ فِي الْأَيَّامِ بَيْتُ الْذِي يَسْتَكِنُ فِي طَبَهِ

فَأَنَّا قُوْلُمْ : « بِيَضِ الْوَجْهِ » فَالْمَرَادُ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعُلُوا شَيْئًا يَشِينُهُمْ فَيُغَيِّرُ لَوْنَهُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِ . وَقَدْ قَالُوا فِي ضِدِّهِ : « أَوْجُهُهُمْ كَأَلْحَمْ » ، وَ« سُودُ الْوُجُوهِ » . وَأَمَّا الشَّوْسُ فَكَا وُصِّفَ بِهِ الرَّجُالُ وُصِّفَ بِهِ الْخَلِيلُ أَيْضًا ، وَالْمَرَادُ بِهِ عِزَّةُ النَّفْسِ . وَقَوْلُهُ « فِي الْكَرِيهَةِ » لِلْحُوقِ الْهَاءِ بِهَا أَلْحَقَ بِيَابِ الْأَسْمَاءِ ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي نُوازِلِ الدَّهْرِ وَشَدَائِدِ الْأَمْرِ . وَهُوَ ظَرْفٌ إِنْ شَتَّتَ لَمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « بِيَضِّ » مِنَ الْكَرِيمِ ، وَإِنْ شَتَّتَ لَقَوْلِهِ شُوسُ . وَالْكَرِيمُ فِي الْكَرِيمَةِ : تَزاهِفَةُ النَّفْسِ عَنِ لَوَازِمِ الْعَارِ .

٤ — حَمَىُ الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَانَهُ وَمَضَانُ بَرْقٍ أَوْ شَعَاعُ شَمْسٍ شَعَاعُ الشَّمْسِ : انتشار ضوئها . وَيُقَالُ : أَشَعَّتِ الشَّمْسُ : انتشار شعاعها . يَقُولُ : حَمِيتُ الْأَسْلَحَةُ يَوْمَ الْوَغْنِ ، لِصِبْرِهِمْ وَبَنِتِهِمْ ، وَطُولِ مُقَامِهِمْ . ثُمَّ شَبَّهَ لِعَانِهَا بِوَمَضَانِ الْبَرْقِ أَوْ شَعَاعِ الشَّمْسِ ، وَجَمَعَ الشَّمْسَ لِاخْتِلَافِ مَطَالِعِهَا . وَالْوَمَضَانُ : مَصْدَرُ وَمَضَّ ، وَكَذَلِكَ الْوَمَضُّ وَالْوَمِيَضُ . وَيُقَالُ فِي فِعلِهِ أَوْمَضُ أَيْضًا .

٣٦

مَعْدَانُ بْنُ جَوَاسِ الْكَنْدِيِّ^(١) :

وَدَخَلَ هَذَا الْبَيْتَانَ فِي الْبَابِ لَمَّا اشْتَمَّلَ عَلَيْهِ لَنْظَأً وَمَعْنَى مِنْ الفَظَاظَةِ وَالْقَسْوَةِ .

(١) مَعْدَانُ بْنُ جَوَاسِ بْنُ فَروْهَ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الْمَنْدَرِ بْنِ الْمَضْرِبِ بْنِ مَعاوِيَةَ بْنِ عَاصِي بْنِ سَلَمَةَ بْنِ شَكَامَةَ بْنِ شَبِيبِ بْنِ السَّكُونِ الْكَنْدِيِّ ، وَكَانَ لَهُ حَلْفٌ فِي رِيفَيْةِ مَخْضُرِمْ أَدْرِكِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَنَزَلَ السَّكُونَةُ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَقَامَ الْوَبِيرُ بْنُ الْوَوَامَ بِأَمْرِهِ . الْإِصَابَةُ ٨٤٣٥ وَمَعْجمُ الْمَرْزَبَانِ ٤٠٧ . عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْحَاسِبَةِ تَنْسَبُ أَيْضًا إِلَى أَبِي حَوْطِ حَجَيْةَ بْنِ الْمَضْرِبِ السَّكُونِ ، وَهُوَ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ فَارِسٌ . نَسَّ عَلَى ذَلِكَ التَّبَرِيزِيِّ ، وَكَذَا الْأَمْدِيُّ فِي الْمَؤْتَلِفِ ٨٥ .

١- إِنْ كَانَ مَا بُلْغَتْ عَنِ فَلَامَنِي صَدِيقِي وَشَلَّتْ مِنْ يَدِيَ الْأَنَامِلُ^(١)
قوله « صديقي » يجب أن يريد به الكثرة لا الواحد . ويقال : شلت
يده شلاً . وهذا من الجنس الأول في أن لفظه لفظ الخبر ، ولله معنى الدعاء ،
والمراد القسم . قوله « فلامني » لامني في موضع رفع على أنه خبر ابتداء
محذف ، كأنه قال : فأنا لامني . والفاء مع ما بعده جواب إن . ولله معنى : إن
كان ما أدى إليك عن حقاً ففعلت ما استحققت به لوم الصديق ، واسترخت
أصابع . فإن قيل : المين والشرط^(٢) كيف يصح ؟ قلت : هذا كلام مبطل
لما أدعى عليه ، ناف له ، فاليمين تناولت نفي ما ثبت فيه ، ودفع ما اقر به .
ودل على ذلك فحوى الكلام . ويجوز في « كان » أن يكون النافية لا الناقصة ،
فيكتفى بالفاعل ولا يحتاج أن يضمر بعده « حقاً » . ولله معنى : إن وقع ما بلغت
عن وحدت . وتخصيصه للأنامل لأن أكثر المنافع بها . وجاز إضمار خبر كان
إذا جعلتها ناقصة لأن في الكلام الحال دليلاً عليه ، ولأن دخولة على المبتدأ
والخبر ، فكما يُحذف الخبر في ذلك الباب يُحذف هنا .

٢- وَكَفَنْتُ وَحْدِي مُنْذِرًا بِرَدَائِهِ^(٣) وَصَادَفَ حَوْطًا مِنْ أَعْدَائِي قاتِلَ

وَحْدِي اتَّصَبَ عَلَى الْمُصْدَرِ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ التَّوْحِيدِ . وَفِي النَّحْوَيْنِ مِنْ
يُجْعَلُهُ وَإِنْ كَانَ مَعْرِفَةً فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . يَقُولُ : وَفُحِّفْتُ بِمُنْذِرٍ وَأُحْوِجْتُ إِلَى
إِلَى أَنْ أَبَاشِرَ تَكْفِيهِ وَتَجهِيزَهُ بِنَفْسِي — وَهَذَا مَا يَزِيدُ الْمُصَابَ كَلْمَةً وَدَاءً —
وَصَادَفَ ابْنِي مِنْ أَعْدَائِي مِنْ لَا يُبْقِي عَلَيْهِ^(٤) . وَأَعْدَائِي بَنَاهُ عَلَى الْفَتْحِ لِخَفْتِهِ .

(١) بلغت ، بخطاب المؤثثة كما في النسختين . وعند التبريزى : « بلغت » بخطاب المذكرة .

(٢) م : « المين في الشرط » .

(٣) م : « في ثيابه » . التبريزى : « في رداءه » .

(٤) التبريزى عن أبي محمد الأعرابى أن الصحيح نسبة الشعر إلى حجية بن المضرب ،
 وأن المنذر هو أخو حجية ، وأن حوطا هو ابنه الذى كتب به . ثم روى عنه سبب الشعر =

ولأنه الأصل في ياء الضمير إذا حُركَ . وعلى هذا تقولُ : هؤلاء بَنِيَ وَمَعْطِيَ ، وهذا قاضِيَ . وأعادِيَ يجوز أن يكون أَفَاعِيلَ وأَضَافَةً ، ويجوز أن يكون أَفَاعِيلَ كَبَايِيتَ وَخَفَفَةً ، كَأَخْفَفَ أَثَافِ ثُمَّ أَضَافَةً . ويجوز أن يكون لِتَارَامَ الإِضَافَةَ اجتمعَ ثلَاثَ ياءاتٍ فَحَذَفَ مَدَّةً أَفَاعِيلَ .

٢٧

عامرُ بن الطفيلي الكلابي^(١) :

١— طَلَقْتِ إِنْ لَمْ تَسْأَلِ أَىٰ فَارِسٍ حَلِيلُكِ إِذْ لَاقَ صُدَّاءً وَخَشْعَمَا
جعلَ الإِقْسَامَ عَلَيْهَا بِمَا يَضْمِيقُ طَرِيقَهَا فِي التَّبْجُوزِ وَالْإِهَالِ ، لَمَّا وَلَّاهَا
الْبَحْثُ وَالسُّؤَالُ . هذا إِذَا جَعَلْتَ الْكَلَامَ دُعَاءً . يَقُولُ : بِنْتٌ مِنْ زَوْجِكِ
إِنْ لَمْ تُفْتَشِي بِالسُّؤَالِ عَنْ أَحْوَالِهِ حِينَ لَاقَ هَاتِينِ الْقَبِيلَتَيْنِ ، هَلْ أَبْلَى فِي
مَلَاقِتَهُمَا ، وَكَيْفَ ثَبَتَ فِي وُجُوهِهِمَا . ويَجُوزُ أَنْ يَكُونَ طَلَقْتِ وَعِيدًا تَوَعَّدَهَا
بِهِ إِنْ لَمْ تَنْتَهِ إِلَى مَرْسُومَهَا^(٢) . وَالْحَلِيلُ : الزَّوْجُ ، سَمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُحْكَى

— «أَنَّ النَّعَانَ بْنَ الْمَنْذَرَ أَغَارَ عَلَى بَنِي عَمْ فَنَذَرُوا بِهِ وَمَعَهُ بَكْرٌ بْنُ وَائِلٍ وَالصَّنَاعَ مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ فِيهِنَّ مَعَهُ حَجِيَّةَ بْنَ الْمَضْرِبِ ، وَكَانَ أَخُوهُ فَكِيَّةَ بْنَ الْمَضْرِبِ تَحْتَ ضَرَّةَ بْنَ ضَرَّةَ ، فَنَذَرَ بْنُو عَمِّ بْنَ الْمَنْذَرَ فَهَزَمُوهُ ، فَاتَّهِمَ النَّعَانُ حَجِيَّةَ أَنَّهُ يَكُونُ أَنْذَرَهُمْ قَالَ ... »
وَأَشَدَ الْبَيْتُ وَمَا بَعْدَهُ .

(١) عامر بن الطفيلي بن مالك بن جعفر بن كلاب العاصي ، وهو ابن عم ليبد ، وكان فارس قيس . وكان عامر آتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : « تَجْعَلُ لِي نَصْفَ ثَارِ المَدِينَةِ وَتَجْعَلُ لِي أَمْرَ مَنْ بَعْدَكَ وَأَسْلِمْ ؟ » فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ أَكْفُنِي عَلَيْهَا وَاحِدَ بْنِي عَامِرٍ » . فَاضْرَفَ وَهُوَ يَقُولُ : لَأَمْلَأَهُمَا عَلَيْكَ خَيْلًا جَرَداً ، وَرِجَالًا مَرَداً ، وَلَأُرْجِعَنَّ بِكُلِّ نَخْلَةٍ فَرْسًا ! فَظَلَّنَ فِي طَرِيقِهِ فَاتَّ وَهُوَ يَقُولُ : غَدَةٌ كَفْدَةٌ الْبَعِيرُ ، وَمَوْتٌ فِي بَيْتِ سَلْوَةِ ! الشِّعْرَاءُ ٢٩٣ — ٢٩٥ وَالْحَزَانَةُ ١٤٧٣ : ٤٧٣ — ٤٧٤ وَالْمُؤْتَفُ ١٥٤ وَالْمَرْزَبَانِي ٢٢٢ وَالْأَغْنَافُ ١٥ : ٥٦ — ٥٠ وَالنَّفَائِسُ ٦٥٤ — ٦٧٨ .

(٢) م : « مَرْسُومَهُ » .

صاحبته . وختّم هو خثعم بن أنتار . والشيحة : التلطخ بالدم . ويقال : كانوا تهالقو فغمسو أيديهم في دمٍ بغير نحرٍ واجتمعوا عليه فسموا خثعماً . ومفعول تَسَأْلِي مخدوفٌ ، المراد تسأل الناس . قوله «أَيُّ فارس» هو المسألة ، وهو في موضع المفعول أيضاً . وجواب الشرط مقدم ، كأنه قال : إن لم تأسأ الناس عن هذه المسألة فانت طلاقةٌ من بعده ، أو بجعل الله خاتمة أمرك ذلك .

٣ - أَكْرَهُ عَلَيْهِمْ دَعْلَاجًا وَلَبَانَهُ إِذَا مَا اشْتَكَى وَقَعَ الرِّمَاحُ تَحْمِمًا^(١)

أَجَلَ في اختصاص بلائه ، ثقة بأنّ بمحثها واستقصاءها يأتي على تفاصيله . يقول : أَعْطِنِي فرسى دَعْلَاجًا عليهم ، حالاً بعد حالٍ ، وكراً بعد فرٍ ، وإذا اشتكت من كثرة وقوع الطعن بصدره حمم . وجعل الفعل للصدر على المجاز والشدة لكونه موقع الطعن . هذا إذا رويت : «ولبانه» بالرفع ، لأن بعض الناس روى : «ولبانه» بالنصب ، كأنه فرٌّ من أن يكون الاشتراك والتجمّم للبيان على كثرة نسبة الاشتراك إلى الأعضاء الآلة ، فوقَ فيما هو أقبح ؛ لأن المراد أَكْرَهُ عليهم فرسى ، فلا معنى لمطف اللبان عليه . وسمعت من يحمله من باب تكرير البعض من الكل بالاعطف عليه ، وإن كان داخلاً فيما دخل فيه على وجه الاختصاص وتفحيم الشأن ، كقوله عز وجل : «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ». قال : ووجه الاختصاص أنَّ الذَّكَرَ بصدره ، كأنَّ الأنثى بعجره . والدَّاعْلَاجُ المريح في السير والتردد ، ويُوصَفُ به الفرس

(١) البرزى عن أبي محمد الأعرابى : الصواب :

أقدم فيهم دَعْلَاجًا وأَكْرَهَ إذا أَكْرَهُوا فيه ارماح تحميما
والبيت لعبد عمرو بن شرحبيل الأحسوس بن جعفر بن كلاب ، فارس دَعْلَاج ، قاله يوم
فيف الريح ، وليس هو لعامر بن الطفيلي . وأنشد في تصدق ذلك لمروان بن سراقة الجعفري :
وعبد عمرو منع القياما دَعْلَاجًا أقدمه إقداما

والبعير والحارث ، وذكر بعضهم أنه يقال في الصب الماج أيضًا . [وقد أحسن عنترة كل الإحسان حين سلك هذا السبيل فقال :
فازور من وقع الفنا بليلته وشكى إلى بعيره وتحمّح ^(١)]

٢٨

زفر بن الحارث الكلابي ^(٢) :

١ - وَكُنَّا حَسِينَنَا كُلَّ يَيْضَاءَ شَحْمَةً لِيَالِي قَارَعْنَا جُذَامَ وَجِمِيرًا ^(٣)
حَكِيَ الأَصْحَى فِي الْأَمْثَالِ : « مَا كُلَّ يَيْضَاءَ شَحْمَةً ، وَلَا كُلَّ سَوْدَاءَ تَمَرَّةً ».
وَالْعَنْيُ : لِيَسْ كُلُّ مَا أَشْبَهَ شَيْئًا ذَلِكَ الشَّيْءُ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : ظَنَّنَا لِمَا التَّقَيْنَا
مَعَ جُذَامَ وَجِمِيرًا أَنَّ سَبِيلَهُمْ سَبِيلُ سَائِرِ النَّاسِ ، وَأَنَا سَنَقْهَرُهُمْ قَهْرًا قَرِيبًا ،
ثُمَّ وَجَدْنَاهُمْ بِخَلْفِ ذَلِكَ ، لِكُونِ أَصْلَهُمْ مِنْ أَصْلَنَا ، وَاجْتَمَاعُهُمْ فِيمَا تَمَيَّزَنَا فِيهِ
عَنْ سَائِرِ النَّاسِ مَعْنَا ، وَجُذَامٌ أَبُوهُذَهِ الْقَبْيلَةِ فَسُمِّيَّتْ بِهِ ، وَأَصْلُهُ الْجَذْمُ :
الْقَطْعُ ، وَبِهِ سُمِّيَ الدَّاءُ الْمُعْرُوفُ جُذَاماً ، وَقِيلُ لِلْمُقْطُوعِ الْيَدِ : أَجْذَمُ . وَحَكِيَ
بَعْضُهُمْ : مَا سَمِعْتُ لَهُ جُذَاماً وَلَا زَجَّةً ، أَيْ كَلَةً ، لِتَقْطُعُ الصَّوْتُ بِهَا عِنْدِ النُّطُقِ .
وَالْقَرَعُ : ضَرْبُ الشَّيْءِ بِغَيْرِهِ ، ثُمَّ تَوَسَّعُوا فَقَالُوا : قَرَعْتُ بِاطِّلَهُ بِحَقِّ ، وَقَرَعَ
الشَّارِبَ جَبَهَتَهُ بِالْإِنَاءِ ، إِذَا اسْتَوَقَ مَا فِيهِ .

٢ - فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبَعَ بِالنَّبَعِ بِعَضَهُ بِعَضْنِي أَبْتُ عِيدَانَهُ أَنْ تَكَسَّرَا
بَعْضَهُ ، انتَصَبَ عَلَى الْبَدْلِ مِنَ النَّبَعِ . وجوابُ لِمَا قَوْلُهُ « أَبْتُ ».

(١) هذه التكلمة من م.

(٢) زفر بن الحارث الكلابي ، أحد بي عمرو بن كلاب ، كان قد خرج على عبد الملك ابن مروان وظل يقائه تسعة سنين ثم رجع إلى الطاعة . وكان سيد قيس في زمانه ، وكان على قيس يوم راهط . وزفر من التابعين ، سمع عائشة وعاوينة ، وروى عنه ثابت بن الحجاج . الكامل ٥٣٣ والجهشاري ٣٥ المؤتلف ١٢٩ وشرح شو Ahmed المغنى ٣١٥ .

(٣) التبريزى : « ليالى لافينا » .

وتكتسر أصله تكتسر . والشاعر اعترف بأنَّ أصل أولئك نَبْعٌ ، كأنَّ أصلهم نَبْعٌ ، والنَّبْعُ خَيْرُ الأشجار التي يُتَّخَذُ منها الْقِسْمِيَّ وأصلها ، كأنَّ الغَرَبَ شَرُّها وأرْخَاها ، فجعلت العرب تَصْرِيبُ المثل بهما في الأصل الْكَرِيمُ وَاللَّثِيمُ ، حتى إنَّ بعض المُعْدَثِينَ قال :

هَيَّهَاتَ أَبْدَى الْيَقِينُ صَفْحَتَهُ وَبَانَ نَبْعُ الْفَخَارِ مِنْ غَرَبِهِ
فيقول : لما قرَأْنَا أصلهم بأصلنا أبْتَ العِيدَانُ من التكتسر . وللهِ أَنْ كُلَّاً مِنَّا أَبْيَ أنْ يَنْهَمْ عن صاحبه . فالعيدان مُثَلُّ لِلرِّجَالِ ، والنَّبْعُ مُثَلُّ لِلأَصْلِ .

٣ — وَلَمَّا لَقِينَا عُصَبَةً تَغْلِيَّةً يَقُوْدُونَ جُرْدًا لِلْمُنْتِيَّةِ ضُمَرًا
يقال تَغْلِيَّةً وَتَغْلِيَّةً ، والكسر أكثر ، ومن فتح فتوالي السَّكَرات
والياءين . وهذا كما قالوا : نَمَرِي فَرَدُوا من فَعَلَ إِلَى فَعَلٍ . يقول : لما لَقِينَا
جَمَاعَةً مِنْ بَنِي تَغْلِبٍ ^(١) يَقُودُونَ لِلْعَرَبِ خَيْلًا ضَمَرًا قِصَارَ الشَّعُورِ . وجواب
لَمَّا فِيَّا بَعْدَ ، وَهُوَ سَقِينَاهُمْ . وَإِنَّمَا احْتَاجَ إِلَى الجَوَابِ مَتَى كَانَ عَلَمًا لِلظَّرفِ ،
لَا نَهِيَّهُ لِوَقْوَعِ الشَّيْءِ لِوَقْوَعِ غَيْرِهِ . وَجَعَلَ الْخَيْلَ جُرْدًا لِأَنَّ الْعِرَابَ مِنْهَا
تَكُونُ كَذَلِكَ . وَاللَّامُ مِنْ قَوْلِهِ « لِلْمُنْتِيَّةِ » يَحُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِيَقُودُونَ ، وَيَحُوزُ أَنْ
يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ ضَمَرًا ، أَيْ ضَمَرَتْ لَهَا .

٤ — سَقَيَنَا هُمْ كَأسًا سَقَوْنَا بِعِثْلِهَا وَلَكَبُّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا
يقول : قَابْلَنَا هُمْ بِعِثْلٍ مَا بَدَهُوْنَا بِهِ مِنْ سَقِيَ كَأسِ الْمَوْتِ ، لَكِنَّ القَتْلَ كَانَ
فِيهِمْ أَعْمَّ ، وَلَمْ أَشْمَلْ . وَجَعَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ كَالصَّبَرِ مِنْهُمْ عَلَيْهِ ^(٢) . وَيَقُرُبُ أَنْ

(١) التبريزى : « يعنى تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، لأنَّ الظفر في يوم مرج راهط كان لـ كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ، وليس انتغلب وائل هنا مدخل ».

(٢) ذهب التبريزى إلى أنَّ هذا التفسير خطأ ، وأنَّ المعنى أنه شهد لهم بالقلبة واعترف أنَّهم أهل ضمَر ، وقد أقرَّ به زعيمه قومه في قوله :

وَلَمْ تَرْ مِنِّي نِبْوَةً قَبْلَ هَذِهِ فَرَارِي وَتَرْكِ صَاحِيَّ وَرَائِي

يكون قول الله تعالى : **﴿فَمَا أَصْبَرُوكُمْ عَلَى النَّارِ﴾** على هذا الوجه . كأنَّ النار حقت عليهم ووجبت ، بما كان منهم من العصية ، فعل ذلك فيهم كالصَّبر منهم عليه ، ولذلك قال بعض المنسِّرين في معناه : ما أعملُهم بعملِ أهل النار . كأنَّ إصرارَهم على ذلك العمل كالصَّبر منهم على النار . وردَّ الآية إلى البيت وإجراء القول فيها على هذا الحدَّ غريبٌ حسنٌ . قوله : «أصَّبَرْ» أي أصَّبَرْ منا ، وأ فعل الذي يتمَّ بِمِنْ يُحذف منه «من» في باب الخبر دون الوصف . وساغ ذلك لأنَّ الخبر كما يجوز حذفه باشارة لقيام الدلالة عليه يجوز حذف بعضِه أيضًا له .

٢٩

عَمَرُو بْنُ مَعْدِيَكَرْبَ^(١) :

حكَّى ابن الأعرابي : قالوا مَعْدِيَكَرْبَ لأنَّه عَدَا الفساد . والكَرْب : الفساد .

١ - وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا كَانَهَا جَدَاؤِ زَرْعِ خُلِيْتُ فَاسْبَطَرَتِ^(٢)

اسْبَطَرَتِ : امتدَّتِ ، والسَّبَطُ والسَّبْطُ بمعنى واحد . يقول : لما رأيتُ الفرسان منحرفين للطعن ، وقد خلَّوا عنَّه دوابَّهم وأرسلوها ، وقرَّطوا آذانها بها ، فكانَها أنهارُ زَرْعِ أَرْسِلَتِ مِيَاهُهَا فامتدَّتِ بها . والتَّشبِيهُ وقَعَ على حَرَقِ الماء في الأنهر لا على الأنهر ، كأنَّه شَبَّهَ امتدادَ الْخَيْلِ في انحرافِها عند الطَّعنِ بامتداد الماء في الأنهر ، وهو يطرِدُ متويًّا ومضرطًّا . وكما وصفَ الْخَيْلَ

(١) هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزيدي ، كان من فرسان العرب المشهورين بالأس في الجاهلية ، وأدرك الإسلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتدَّ بعد وفاته فيمن ارتدَّ من اليمن ، ثم هاجر إلى العراق فأسلم ، وشهد الفاديسية وأبلَّ فيها . الشعر والشعراء ٣٣٢ والأغاني (١٤ : ٢٤ - ٣٩) والحزنة (١ : ٤٢٢ - ٤٢٦) وكتب الصحابة .

(٢) التَّبرِيزِيُّ : «أَرْسِلَتْ فَاسْبَطَرَتْ» .

فَ انْخِرَافِهَا بِزُورٍ وَصِفَتْ أَيْضًا بِنُكْبٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ :
 * لِأَعْدَانِنَا نُكْبٌ إِذَا الطَّفْنُ أَفْرَا *

فَالنُكْبُ : جَمْعُ أَنْكَبَ ، وَهُوَ الَّذِي يَنْحَطُ أَحَدُهُنَّكِيهِ عَنِ الْآخَرِ ،
 كَأَنَّ الزُّورَ جَمْعُ أَزْوَرَ ، وَهُوَ الْمُؤَوَّجُ الزَّوْرُ . وَهَذَا مِنَ التَّشِيهِ الْحَسَنِ الصَّابِبِ .
 وَقَوْلُهُ : « خُلَيْتُ فَاسْبَطْرَتْ » جُمِلًا لِلْجَدَادِ لِلْجَازِ وَالسَّعَةِ ، لِأَنَّ الْمِلَاهِ هِيَ
 الَّتِي تَخْلَى وَتَمْتَدُ . وَهَذَا كَمَا يَقُولُ نَهْرُ جَارٍ ، وَإِنْ كَانَ الْمَاءُ هُوَ الَّذِي يَجْرِي .

(١) ٣— فَجَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةً وَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقْرَتْ

فَجَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةً ، اعْتَرَضَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّهُ جَبْنٌ
 لَمَا جَاشَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ . قَالَ : وَمِثْلُهُ فِي الرِّدَاءِ قَوْلُ عَنْتَرَةَ :
 إِذْ يَتَقَوَّنَ بِيَ الْأَسِنَةَ لَمْ أَخْمُ عَنْهَا وَلَكِنِي تَضَايِقُ مُقْدَمِي
 هَلَّا قَالَ كَمَا قَالَ الْعَبَاسُ بْنُ سَرْدَاسَ :

أَشَدُّ عَلَى الْكَتْبَيَةِ لَا بَأْلِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمْ سِوَاهَا

قَالَ الشِّيخُ : وَلِيُسَ الْأَمْرُ كَا تَوَهَّمَ ، لِأَنَّ مَا ذَكَرَهُ عَمْرُو وَعَنْتَرَةَ يَبَانُ حَالِ
 النَّفْسِ ، وَنَفْسُ الْجَبَانِ وَالشُّجَاعِ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ فِيمَا يَدْهُمُهَا عِنْدَ الْوَهْلَةِ الْأُولَى ،
 ثُمَّ يَخْتَلِفُانَ : فَالْجَبَانُ يَرْكَبُ نَفْرَتَهُ (٢) ، وَالشُّجَاعُ يَدْفَعُهَا فِي ثَبَتْ . فَأَمَّا قَوْلُ الْعَبَاسِ
 بْنُ سَرْدَاسِ فَلِيُسَ مَا ذَكَرَهَا بِسَيْلٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ يَبَانُ الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ وَمَا يَعْزِمُ
 عَلَيْهِ بَعْدَ الْاعْتِصَامِ وَالْمَرْاجِعَةِ وَالتَّمْشِكِ . فَاعْلَمُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَقَوْلُهُ : « أَوَّلَ
 مَرَّةً » وَذَاتَ مَرَّةً ، لَا يَكُونُانِ إِلَّا ظَرْفَيْنِ ؛ لِأَنَّ مَرَّةً لَيْسَ بِاسْمٍ لِلزَّمَانِ لَازِمٍ ،
 وَإِنَّمَا هُوَ مُدْخَلٌ عَلَيْهِ . فَإِذَا قَلَتْ مَرَّةً فَإِنَّمَا حَقِيقَتْهَا فَعْلَةً وَاحِدَةً ، وَيَجُوزُ أَنْ

(١) م والبريزى : « فَرَدَتْ » بالفاء .

(٢) هَذَا مَا فِي م والبريزى . وَفِي الْأَصْلِ : « نَفْسَهُ » .

يكون وقتاً واحداً . ويجوز أن يكون الفاء في « بفاحت » زائدةً ، في قول الكوفيين وأبي الحسن الأخفش ، ويكون جاشت جواباً للـ^أ . وللمعنى : لما رأيتُ أخْلِيلَ هكذا خافتْ نفسِي وثارتْ . وطريقةُ جُلَّ أصحابنا البصريين في مثله أن يكون الجواب مذوهاً ، كأنه قال : لما رأيتُ أخْلِيلَ هكذا ، بفاحتْ نفسِي ورددتْ على ما كرِهْتُهُ فقررتْ ، طعنتْ أو أبليتْ . ويدلُّ على ذلك قوله : « علامَ تقولُ الرمح يثقل ساعدي إذا أنا لم أطعنْ » ، فحذف طعنتْ أو أبليتْ لأنَّ المراد مفهومٌ . وهذا كما حذفوا جواب لورأيتَ زيداً وفي يده السيف ! وعلى هذا الكلام على المذهبين في قوله تعالى : « حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتُحَتْ أَبُوَابُهَا » ، وفي قول امرئ القيس :

فَلَمَّا أَجْزَنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَسَى مِنَابِطُهُ خَبْتٌ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلٍ
وَحَذَفُ الْجَوَابِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ أَبْلَغَ ، وَأَدَلَّ عَلَى الْمَرَادِ وَأَخْسَنَ ،
بِدَلَالَةِ أَنَّ الْمَوْلَى إِذَا قَالَ لِعَبْدِهِ : « وَاللَّهِ لَئِنْ قُمْتُ إِلَيْكَ » وَسَكَتَ ، تَرَاهُتَ
عَلَيْهِ مِنَ الظُّنُونِ الْمُعْتَرَضَةِ لِلْوَعِيدِ مَا لَا يَرَاهُمْ لَوْنَصَّ مِنْ مُؤَاخِذَتِهِ عَلَى ضَرْبٍ
مِنَ الْعَذَابِ . وَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ الْمُتَبَرِّجُ : « لَوْ رَأَيْتَنِي شَابًا » وَسَكَتَ ، جَاءَتِ
الْأَفْكَارُ لِهِ بِمَا لَمْ تَجُلْ بِهِ لَوْ أَتَى بِالْجَوَابِ .

٣- عَلَامَ تَقُولُ الرَّمْحَ يَتَعَلَّمُ سَاعِدِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا اخْلَيْتُ كَرَّتِ
 «ما» فِي الْاسْتِفْهَامِ إِذَا اتَّصَلَ بِحُرْفِ جَرِ يُحَذَّفُ الْأَلْفُ مِنْ آخِرِهِ تَحْقِيفًا ،
 عَلَى ذَلِكَ فَيْمَ وَبِمَ وَلَمَ ، إِلَّا إِذَا اتَّصَلَ مَا يَبْدَا فَقُلْتَ : بِمَاذَا وَلِمَاذَا ، لَأَنَّهُ
 يُبَرَّكُ عَلَى تَكَامِهِ^(١) . وَقُولَهُ : «تَقُولُ الرَّمْحُ» يُرُوَى بفتحِ الْحَاءِ وَضَيْهَا ، فَإِذَا

(١) وقد يترك على تامة مع عدم انصاله بذاته . وقرأ عكرمة وعبيسي : «عما يتساءلون» . وقال حسان : على ما قام يشتمي لائم كخنزير تمرغ في رماد

حنان : على ما قام بشهمني لائم كخنزير تمرغ في رماد

^{١٢٥} انظر المغني في (ما) والمحزانة (٣٥٧: ٢) والبيان (٣: ١٢٥).

(٢) كذا في النسختين . وقرأ عاصم وجزء والكسائي وخلف والأعشش بتغريب التاء ،
وباق القراء بتضييقها .

نَصَبْتَ فَلَأْنَكَ جَعَلْتَ تَقُولُ فِي مَعْنَى تَنْفُذٍ . وَهُمْ — عِنْدَ الْخُطَابِ وَالْكَلَامِ
اسْتِفْهَامٌ — يَحْمِلُونَ الْقَوْلَ عَلَى الظَّنِّ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :
* فَمَتَّ تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا^(١) *

أَيْ مَا تَنْفُذُ ذَلِكَ فَتَقُولُ ، بِجَعْلِ الْقَوْلِ يَدْلُلُ عَلَى الظَّنِّ لَمَّا كَانَ الْقَوْلُ تَرْجِمَةً
عَنِ الظَّنِّ . وَالْخُطَابُ وَالْاسْتِفْهَامُ يَحْمِلُانِ مَا لَا يَحْمِلُ غَيْرُهُمْ . وَإِذَا رَفَعْتَ
الرَّمْحَ فَالْقَوْلُ مَتْرُوكٌ عَلَى بَابِهِ ، وَالرَّمْحُ يَرْتَفِعُ بِالْابْتِدَاءِ ، وَالْكَلَامُ حَكَايَةُ ،
وَمَا بَعْدَ الْقَوْلِ إِذَا كَانَ كَلَامًا مُفِيدًا يُخْكِي . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ
وَلَأَيِّ وَجْهٍ تَقُولُ : أَنْجِلُ الرَّمْحَ فَيُنْقَلُ سَاعِدِي إِذَا لَمْ أَعْمِلْهُ إِذَا حَصَلَ الْكُرْكُ
مِنَ الْخَلِيلِ بَعْدَ الْفَرَّ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ . وَالْمَعْنَى بِأَيِّ حُجَّةٍ أَنْجِلُ السَّلَاحَ
إِذَا لَمْ أُبْلِي فِي الْخَرْبِ وَلَمْ أَسْتَعْمِلْهُ فِي وَقْتِهِ . وَهَذَا الْكَلَامُ إِسْقَاطٌ لِلتَّبَرِّجِ
بِالْبَلَاءِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ أَيْضًا . وَقَوْلُهُ : « إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ » أَيْ لَمْ يُنْقَلْ سَاعِدِي
الرَّمْحُ فِي وَقْتٍ تَرْكِي الطَّعْنَ زَمَانَ كَرْكَ الخَلِيلِ ، فَإِذَا الْأُولُ ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ
يُنْقَلُ ، وَإِذَا الثَّانِي ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ لَمْ أَطْعُنْ .

ع — لَعَنَ اللَّهِ جَرَّمَا كُلُّمَا ذَرَ شَارِقٌ وُجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازَ بَارَتِ

أَزْبَارَ : اتَّفَشَ حَتَّى ظَهَرَ أَصْوَلُ شِعْرِهِ . قَالَ :

فِيهِ وَرَدُ اللَّوْفُ فِي ازْبَارِهِ وَكَيْتُ اللَّائِونَ مَا لَمْ يَزِيزْ^(٢)
كُلُّمَا اتَّصَبَ عَلَى الظَّرْفِ ، وَ« وُجُوهَ » اتَّصَبَ عَلَى الشَّتَّمِ وَالْذَّمِّ ، وَالْعَالِمُ
فِيهِ فِقْلُ مُضَمَّرٌ وَهُوَ أَذْكُرُ . كَانَهُ شَبَّهَ وُجُوهَهُمْ بِوُجُوهِ الْكِلَابِ فِي الْحَالَةِ
الْمَذَكُورَةِ . وَيَحْوِزُ أَنْ يَكُونَ اتَّصَابَهُ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ قَوْلِهِ « جَرَّمَا » . وَمَعْنَى

(١) نَعْرَبُ بْنُ أَبِي رِيْعَةَ ، كَمَا فِي الْإِسْلَامِ (قَوْلُهُ) . وَصَدْرُهُ :

* أَمَا الرَّجِيلُ فَذُونُ بَعْدَ غَدٍ *

(٢) الْبَيْتُ لِلْمَرَارِ بْنِ مَنْقَذٍ فِي الْمُفْضَلِيَّاتِ (١ : ٨١) .

لَحَا اللَّهُ : قَسَرَ اللَّهُ ، أَىْ فَقْلَ ذَلِكَ بَهْمَ غَدَاهَا كُلُّ يَوْمٍ ، أَذْكُرُ قَوْمًا يُشْبِهُونَ
الْكِلَابَ إِذَا وَاثَبَتْ غَيْرَهَا وَسَاوَرَتْ ، فَانْفَخَتْ وَتَجْمَعَتْ لِلْوَثْبِ ؛ وَتَلَكَ الْحَالَةُ
مِنْ أَحْوَالِهَا أَشْنَعُ وَأَنْكَرُ . وَهَذَا تَحْقِيقُ الشَّبَهِ ، وَتَصْوِيرٌ لِقَبَاحَةِ الْمُنْظَرِ .
وَالدَّرُورُ فِي الشَّمْسِ أَصْلُ الْاِنْتَشَارِ وَالْتَّفَرِيقِ . قَالَ :

* كَالشَّمْسِ لَمْ تَعْدُ سَوَى ذُرُورِهَا *

أَىْ طَلَوِعَهَا وَانْتَشَارَ ضُوئِهَا . قَالَ الْخَلِيلُ : الْمَهَارَشَةُ مِنَ الْكِلَابِ وَغَيْرِهَا
كَالْمُحَارَشَةِ . وَيَقَالُ : فَلَانُ يَهْتَارِشُ بَيْنَ الْكَلَبَيْنِ .

٥ - فَلَمْ تَعْنِ جَرْمٌ نَهَدَهَا إِذْ تَلَافَيَا وَلَكِنَّ جَرْمًا فِي الْلَقَاءِ أَبْذَعَرَتِ^(١)
جَرْمٌ نَهَدَهُ : قَبِيلَاتٌ مِنْ قُضَاعَةٍ^(٢) . وَمَعْنَى أَبْذَعَرَتْ : تَفَرَّقَتْ . وَأَضَافَ
نَهَدَهَا إِلَى ضَمِيرِ جَرْمٍ ، لِاعْتِدَادِهِ كَانَ عَلَيْهَا ، وَاعْتِقَادِهِ الْاِكْتِفَاءِ بِهَا . وَالْمَعْنَى لِمَتَّصُّرِهَا
فَكَانَتْ تَكْتُفِي بِهَا وَتَغْنَى ، وَلَكِنَّ جَرْمًا انْهَزَمَتْ ، وَهَامَتْ عَلَى وَجْهِهَا
فَمَضَتْ ، وَاصْطَلَتْ نَهَدَهُ بِنَارِ الْحَرْبِ ، فَمَسَتْ حَاجَتَهَا إِلَى مِنْ يُؤَازِرُهَا ، وَيُنَاهِضُ
الْأَعْدَاءِ مَعْهَا .

٦ - ظَلَّلَتْ كَائِنٌ لِلرَّمَاحِ دَرِيَّةٌ أَقْاتَلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ
يَقُولُ : بَقِيتُ نَهَارِي مُنْتَصِبًا فِي وِجْهِ الْأَعْدَاءِ ، وَالطَّعْنُ يَأْتِينِي مِنْ جَوَانِبِي ،
وَكَائِنٌ لِلرَّمَاحِ بِمَزْلِهِ الْحَالَقَةِ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّمْنُ ، أَدْبَثُ عَنْ جَرْمٍ وَقَدْ هَرَبَتْ
هِيَ . وَيَحْوِزُ أَنْ يَكُونَ : كَائِنٌ لِلرَّمَاحِ صَنِيدٌ . فَقَدْ حَكَى أَبُوزَيْدُ أَنَّهُ يُقَالُ

(١) رواية التبريزى : « إِذْ تَلَانَتَا » .

(٢) التبريزى : وكانت جرم ونمـد في بيـن الحارث بن كعب ، فقتلـت جرم رجلاً من بيـن
الحارث يقال له معاذ بن زـيد ، فـارتحـلت جرم فـتحولـوا إـلـى بيـن زـيد قـوم عمـرو بن مـعـدى كـربـلـاـ ،
فـفـاءـت بـنـوـ الـحـارـثـ يـطـلـبـونـ بـدـمـ صـاحـبـهمـ ، ذـيـ عـمـروـ جـرمـ لـبـنـ نـهـدـ ، وـتـبـيـ هوـ وـقـوـمـ لـبـنـ
الـحـارـثـ ، فـكـرـهـتـ جـرمـ دـمـاءـ بـنـيـ نـهـدـ فـفـرـتـ ، وـانـهـزـمـتـ بـنـوـ زـيدـ ، فـلـامـهـمـ عـمـروـ » .

ل الصيد خاصةً دَرِيَّةً ، غير مموزةٍ ، و درايانا ؟ كأن هذا من دراياتُ أى ختنٌ . فاما الدابة التي يستقر بها من الصَّيد ، فإذا أكْتَبَ رُجُمَ من خلفها ، فذَكَرَ أبو زيد أنها تسمى دَرِيَّةَ الصَّيد ، بالهمز . قال : ويقال : دَرَأْتُها نحو الصَّيد وإلى الصيد ول الصيد ، إذا سقطها . وكان هذا من الدَّرَء ، وهو الدفع . وقد تسمى تلك الدابة الدَّرِيَّة والسيقة والقيدة . وأنشدت عن أبي العباس المبرد ، رحمة الله ، أنسديه حمزة بن الحسن ، قال : أنسديه على بن سليمان الأخفش عنه :

إذا نصبنا لقوم لا ندب لهم كا تدب إلى الوحشية الذرع^(١)

الذرع : جمع ذرعة ، كصحيفة و مصحف . وإن جعلت « كأن » في موضع الحال فقاتل في موضع الخبر لظليلات حينئذ .

٧— فلو أَنْ قوْمِيْ أَنْطَقْتِنِيْ رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَتِ
النطق استعمل في الكلام وغيره ، ولذلك قيل مَنْطِقُ الطير ، ثم توسعوا
فقالوا : نَطَقَ الْكِتَابُ بِكَذَا . يقول : لو أن قوميْ أَبْلَوْا في الحرب واجتهدوا
لافتخرت بهم ، وذَكَرْتُ بلاهُمْ ، ولكنَّ رِمَاحَهُمْ أَجَرَتِ لسانِي ، كا يُجْزِي
لسان الفصيل . وجعل الفعلين لِرَمَاح لأن المراد مفهوم في أن التقصير كان منهم
لا منها . والإجرار : أن يُشَقَّ لسانُ الفصيل لِرَمَاح فِي جَعْلٍ فيه عُوِيدٌ لثلا
يرضع أمه . وقد استعمل الإجرار في الرُّمَاح إذا تكسر في المطعون . قال :

* أَجْرَةُ الرِّمَاحَ وَلَا تَهَالَهَ^(٢) *

(١) أنسد في اللسان (ذرع) :

ولدنية أسباب تقربها كا تقرب للوحشية الذرع

(٢) في اللسان : « فتح اللام لـ تكون الماء وـ سكون الأنف قبلها . وـ اختاروا الفتحة لأنها من جنس الأنف التي قبلها ، فـ لما تحرك اللام لم يلتـقـ سـاـكـانـ فـ تـعـذـفـ الأنـفـ لـ التـأـهـماـ ». وقبله :

* وَهُـا فـدـاءـ لـكـ يـا فـضـالـ *

وفي طريقة قوله : « أَنْطَقْتُنِي رِمَاحُهُمْ » قول الآخر^(١) :
أقول وقد شدُّوا لسانِي بِسُسْعَةٍ أَمْعَشَرَ تَمِّ أَطْلَقُوا عَنِ إِسْتَانِيَا
لأنَّ المعنى أحسِنُوا إِلَيَّ ينطَلِقُ لسانِي بشُكُوكِكم .

٣٠

سيار بن قصیر الطائی

١ - لو شَهِدَتْ أُمُّ الْقُدَيْدِ طِعَانَنَا بِمَرْعَشِ خَيْلَ الْأَرْمَى أَرَنَتْ^(٢)
جواب لو ، « أَرَنَتْ ». يقال رَنَّ وَأَرَنَّ بمعنى واحد . وَمَرْعَشَ من ثغور
إرمينية . وأُمُّ الْقُدَيْد ، قيل هي امرأته . وَالخَيْل ينتصب من قوله « طِعَانَنَا ».
وَمَعْنَى الْبَيْت : لَو حَضَرَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ مَطَاعِنَنَا بِمَرْعَشِ خَيْلَ هَذَا الرَّجُل الْأَرْمَى
لَوْلَوْلَتْ وَضَجَّتْ ، إِشْفَاقًا عَلَيْنَا ، لِكثْرَتِهِمْ وَقَلْتَنَا . وَالبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ « بِمَرْعَشَ »
تَعْلَقَ بِطِعَانَنَا ، وَهُوَ ظَرْفٌ مَكَانٌ لَهُ قَدْ عَلِّلَ فِيهِ . وَإِنَّا قَلْتَ هَذَا لَثَلَاثَ يُتَوَهَّمُ
أَنَّهُ تَعْلَقَ بِشَهِدَتْ ، وَأَنَّهُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلْخَيْلِ أَوْ لِلْمَطَاعِنِ ، فَيَكُونُ قَدْ
فُصِّلَ بَيْنَ الصَّلَةِ وَالْمَوْصُولِ ، وَهَا طِعَانَنَا وَخَيْلُ الْأَرْمَى .

٢ - عَشِيَّةَ أَرْمَى جَمِيعُهُمْ بِلَبَانِهِ وَنَفْسِي وَقَدْ وَطَنَتْهَا فَاطِمَانَتْ
لَبَانُ الْفَرْس : صَدْرُه . وَيَقَال : وَطَنَتْ نَفْسِي عَلَى كَذَا فَتوَطَّنَتْ ،
أَيْ حَمَلَتْهَا عَلَيْهِ فَذَلَّتْ . وَانتَصَبْ « عَشِيَّةً » عَلَى أَنَّهُ ظَرْفٌ لِطِعَانَنَا . وَيُحُوزُ
أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِشَهِدَتْ ، وَلَا يُحُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِأَرْمَى ؛ لَأَنَّ أَرْمَى أَضَيفَتْ
عَشِيَّةً إِلَيْهِ ، وَالْمَضَافُ إِلَيْهِ لَا يَعْمَلُ فِي الْمَضَافِ . وَمَعْنَى الْبَيْت : عَشِيَّةَ أَحْمَلُ عَلَى
الْقَوْمِ لَا أَبْلِي إِنْ كَانَتْ عَلَى أَوْلِي ، لَأَنِّي وَطَنَتْ نَفْسِي عَلَى الشَّرِّ فَأَفَتَنَهُ

(١) هو عبد يغوث بن وقاوس الحارثي . المفضليات (١ : ٥٥)

(٢) أَنْشَدَ هَذِهِ الْأَبْرَاتِ يَاقُوتُ فِي (صَرْعَشْ) بِدُونِ نَسْبَةٍ .

وسكنَت إِلَيْهِ . فَنَرَوْا : « وَنَفْسِيَّ قَدْ وَطَنَتْهَا » يَكُونُ الْوَوْ لِالْحَالِ ، وَنَفْسِيَّ يَرْتَقِعُ بِالْأَبْدَاءِ ، وَوَطَنَتْهَا فِي مَوْضِعِ الْخَبْرِ . وَمَنْ رَوَى : « وَنَفْسِيَّ وَقَدْ وَطَنَتْهَا » فَإِنَّ نَفْسِي يَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْجَرِ عَطْفًا عَلَى بَلْبَانِهِ ، أَيْ أَرْمَى جِيشَهُمْ بِنَفْسِيِّ وَفَرْسِيِّ ، وَيَكُونُ قَدْ وَطَنَتْهَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ : وَقَدْ وَطَنَتْهَا عَلَى الشَّرِ فَسَكَنَتْ إِلَيْهِ ، وَرَضِيَتْ بِهِ . وَمَثَلُهُ قَوْلُ عَنْتَرَةَ :

مازِلتُ أَرْمِيهِمْ بِقُرْحَةِ مُهْرِيِّ وَلَبَانِ لَا وَكَلِّ وَلَا هَيَابِ

وَقَوْلُ الْآخِرِ :

مازِلتُ أَرْمِيهِمْ بِشُغْرَةِ نَحْرِهِ وَفَارِسِهِ حَتَّى ثَأْرَتُ ابْنَ وَاقِدَ^(١)

٣— وَلَاحِقَةُ الْأَطَالِ أَسْنَدَتُ صَفَّهَا إِلَى صَفَّ أُخْرَى مِنْ عِدَّةِ فَاقْشَعَرَتِ

إِنَّمَا نَكَرَ قَوْلَهُ « عِدَّيَ » لِيَنْتَهِ بِهِ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَتُوفِّرُ فَضَائِلَهُمْ ، وَتَظَاهِرُ عَزَّهُمْ وَرِيَاسَتِهِمْ ، إِذْ كَانَ الْحَسْدُ يَتَبعُ ذَلِكَ ، وَلَا نَهْمُ يَتَرَوَّنَ مَنْ لَا يَذِلُّ لَهُ ، وَلَا يَهْوَى هَوَاهُ . يَقُولُ : وَرَبُّ خَيْلٍ قَدْ لَحَقَتْ بِطُوْنُهَا بِظَهُورِهَا^(٢) ، وَارْتَقَعَتْ جَنُوبُهَا إِلَى مَتَوْنِهَا ، أَنَّا أَمْلَأْتُ صَفَّهَا إِلَى صَفَّ خَيْلٍ مِثْلِهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ ، خَافَتْ لَقْتَنَا وَكَثْرَتِهِمْ . وَأَصْلُ الْأَقْشَعَرِ تَقْبِضُ الْجَلْدَ وَاتِّصَابُ الشَّعْرِ . وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي قَوْلِ امْرَى الْقِيسِ :

* وَالْقَلْبُ مِنْ خَشْيَةِ مُقْشَعِرٍ^(٣)

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْأَقْشَعَرُ لَا يَصْحُّ فِي الْقَلْبِ ، لَأَنَّهُ يُخْبِرُ بِهِ عَمَّا عَلَيْهِ شَعْرٌ ، وَلَا شَعْرٌ عَلَى الْقَلْبِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّمَا هُوَ كَنْيَاةٌ عَنِ الْوَجَلِ ، وَلَتَأْ كَانَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَبِوْجَهِهِ حَتَّى » ، وَلَا يَسْتَقِمُ بِهِ الْوَزْنُ . وَهُوَ مِنَ الْفَوْلِ مَعَ الْجَرْمِ فِي أُولِهِ . وَأَنْتَنَا مَا فِي مِنْ . (٢) مِنْ : « وَظَهُورِهَا » .

(٣) هُوَ بِنَامَهِ ، كَمَا فِي الْدِيْوَانِ ٩ : فَتَ أَكَابِدْ لَبِيلَ الْمَاءِ مِنْ وَالْقَلْبِ مِنْ خَشْيَةِ مُقْشَعِرٍ

الاشعهار يقع عنده كثيًّا به عنه . وإذا كان كذلك فكأنه قال : والقلب من خشية وجل .

٣١

بعض بنى بولان من طيء^(١)

بولان فتلان ، من قولهم رجل بولان ، إذا كان كثير البول . والبُول : داء يصيب الفم فيبول حتى يموت .

١- نحن حبسنا بنى جديلة في ناري من الحرب جحمة الضرم
جديلة من الجدل ، وهى فيما زعموا أمهم . والجدل : القتل . قال
الدریدى : جديلة من قولهم امرأة مجذولة ، إذا كانت قضيفة . ويقال
ضرمت النار ، إذا التهبت ، تضرم ضرما . ولهذا ما تلتهب به النار سريعاً من
الخطب قيل له الضرم . فيقول : حبسنا هؤلاء القوم على نار من الحرب شديدة
الانهاب . والجحمة : مصدر جحتم النار فهي جاحمة ، إذا اضطررت
ومنه الجحيم . قال : وصفت النار بالجحيم لمحمرتها ، ولذلك سميت عين الأسد^(٢)
جحمة ، لأنها تراءى بالليل كأنها نار . وقال الدریدى : الجحمة العين ، لغة
يعانية . وعين الأسد خاصة في كل اللغات الجحمة .

٢- نستوقد النبل بالحضيض ونصل طاد فهو ماما بنت على الكرم
قوله « نستوقد النبل » من فصيح الكلام ، كأنه جعل خروج النار من

(١) التبريزى عن أبي محمد الأعرابى : « هذا الشعر لرجل من بلقين ، وسبب ذلك أن القين بن جسر وطيا كانوا حلفاء ، ثم لم تزل كلاب باؤس بن حارثة حتى قاتل القين يوم ملكان ، خبيتهم بنو القين ثلاثة أيام ولياليها لا يقدرون على الماء ، فنزلوا على حكم الحارث بن زهدم أخي بنى كنانة بن القين ، فقال شاعر القين يومئذ : نحن حبسنا » .

(٢) في الأصل : « عين الشمس » تحريف ، صوابه في م والتبريزى والسان .

الحجر عند صدمة النبل استيقاداً منهم . والوقدُ ، توسعوا فيه حتى قيلَ قلبَ وقادَ . فإن قيلَ : هلاً قال نستدرجُ النبل ، فكان أصحَّ ؟ قلتَ : الذي قاله أصحَّ ؛ وقد قيل زند مِقادٌ ، إذا كان سريعَ الورديِّ . وقال الخليل : كلُّ ما تلاؤْ فقد وَقَدَ ، حتى الحافر . يقولُ : تنفذ سهامنا في الرَّميمَة حتى تصِلَّ إلى حضيض الجبل فتخرجَ منه النار اشدة رَميمَنا ، وقوة سواعدهنا ، ونصيد بها نفوساً مبنية على كرمٍ . أى نقتل الروسأه ومن تَكْرُمُ نفسه وَتَعِزُّ حياته . قوله « بُنَتْ » أصله بُنِيَتْ ، فآخر جره على لغة طينٍ ، لأنهم يقولون في بَقِيَّ بَقَى ، وفي رُضى رُضى . ولهذا قال بعضهم :

* على مُحَمَّرٍ توَبُّعُوه وما رُضى ^(١) *

وقالوا في بادِيَةٍ : بادِيَة ، كأنهم يفرُون من السُّكُنَةَ بعدها يالإ إلى الفتحة ، فتنقلب الياءُ ألفاً . والحضيضُ : قرار الأرض عند سفح جَبَلٍ . والنَّيلُ لا واحدٌ له من لُظْهِ .

٣٣

وقال رویشد بن کثیر الطائی :

١ - يأيها الراكِبُ المُزْجِي مَطَيَّته سائلُ بني أسدٍ ما هذه الصَّوتُ ^(٢)
المطَيَّةُ من المطا ، وهو الظَّهَرُ . ويقال مطاها وامتطاه ، إذا ركبها . وللحوقي
الباء به صار اسمًا ، وقد مر مثله . وبروى : « بَلَغَ بَنِي أَسْدٍ ». قوله : « ما هذه

(١) لزيد الحيل ، كما في نوادر أبي زيد ٨٠ والأمثال (٣ : ٢٤) وشرح شواهد المفنى للسيوطى ١٦٥ . والسان (أتم) . وصدره :

* أَفَ كُلُّ عَامٍ مَأْمُونٌ تَجْمَعُونَه *

(٢) التبريزى : « هذه الآيات شاذة في الشعر القديم ، لأن المادة قد جرت إذا استعملوا هذا الوزن أن يكون المثنى فيه كاملاً ، وذلك أن يكون قبل الروى ألف أو واو قبلها ضمة ، أو ياء قبلها كسرة . قوله : الصوت ، قد جاء باللواء وما قبلها مفتوح » .

الصوتُ» الجملة في موضع المفعول ، وارتفاع الصوت على أنه عطف البيان .
 يخاطِبُ الراكبَ السائقَ لطبيته ياجوالٍ ، يسأله أن يُبلغْ بنى أسدٍ عنه عن طريقِ
 الفحص والاستعلام : ما هذه الجلبة . وهذا الكلامُ تهكمٌ وسخريةٌ ، لأنَّه هو
 الذي أثار عليهم ما اهتاجوا له ، وجَلَبَ عليهم ما أشکاهم . وإنما قال ما هذه
 الصوت ، والصوت مذكُور ، لأنَّه قَصَدَ به إلى الصيحةِ والجلبة . وهذا كَا
 قال حاتمٌ :

أَمَّا وَيْدِيَ قد طَالَ التَّجَبُّ وَالْهَجَرُ وقد عَذَرْتُنِي فِي طِلَابِكُمُ الْسُّذْرُ
 يَرِيدُ الْمَعْذِرَةَ . وَكَانَ الْآخِرُ^(١) :

وَكَانَ يَجِئُ دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتِقَّ ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُعَصِّرُ
 فَأَنَّثَ الشُّخُوصَ لِأَنَّهُ قَصَدَ بَهَا إِلَى النَّفَوسِ . وَحَكَى الأَصْحَى عَنْ أَبِي عُمَرِ
 ابْنِ الْعَلَاءِ أَنَّهُ سَمِعَ بِعَضَّهُمْ يَقُولُ : « جَاءَتِهِ كِتَابِي فَاحْتَقَرَهَا » . قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ
 قَالَتْ : أَنْقُولُ جَاءَتِهِ كِتَابِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَلَيْسَ هِيَ صَحِيفَةٌ ؟ وَقَدْ قِيلَ : مَا
 كَانَتِ الشُّخُوصُ شُخُوصَ النِّسَاءِ أَنْثِي الْعَدْدِ . وَقَوْلُهُ : « الْرَّاكِبُ الْمُزِّجِيُّ »
 الْرَّاكِبُ يَقُولُ عَلَى رَاكِبِ الْبَعِيرِ خَاصَّةً ؛ لِأَنَّ رَاكِبَ الْخَلِيلِ يَقُولُ لَهُ فَارِسٌ .
 وَالْمُزِّجِيُّ ، يُقَالُ زَجَا الشَّيْءَ يَزْجُو زَجْوًا وَزَجَاءَ ، وَأَرْجَيْتُهُ أَنَا وَزَجَيْتُهُ ، إِذَا
 اسْتَحْشَثَتْهُ . وَمِنْهُ زَجَاءُ الْخَرَاجِ . وَفِي هَذَا الْكَلَامِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ يُقْنِعُهُ
 مَا أَوْقَعَهُمْ فِيهِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَتَوَعَّدُ بِالاستِئصالِ إِنْ لَمْ يَصْحُ عُذْرُهُمْ . وَيَجُوزُ أَنْ
 يَكُونَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ « مَا هَذِهِ الصَّوْتُ » مَا الَّذِي يَتَأْدِي إِلَيْهِ عَنْكُمْ ، وَيَتَحَدَّثُ بِهِ
 النَّاسُ مِنْ شَانِكُمْ وَقَصِّكُمْ . وَيُقَالُ : ذَهَبَ صَوْتُ هَذَا الْأَمْرِ فِي النَّاسِ لِلتَّحَدُّثِ
 بِهِ ، وَذَهَبَ صِيتُ بْنِ فَلَانٍ فِي النَّاسِ إِذَا ذُكِرُوا بِالْخَيْرِ . فَكَانَهُ عَلَى هَذَا يَوْمِهِمْ

(١) هو عمر بن أبي ربيعة ، من قصيدة التي مطلعها :
 أَمْنَ آلَ نَمَّ أَنْتَ غَادَ فَبَكَرَ غَدَةَ غَدَ أَمْ رَائِعَ فَهَبَرَ

أنه لم يصح عنده ما يُقال ، وأنهم إن لم يقيموا المعاذرة والدلالة على براءة الساحة حينئذ عاقبهم . وهذا المعنى في نهاية الحُسْن (١) .

٢- وَقُلْ لَهُمْ بِادِرُوا بِالْعُذْرِ وَالْتَّمِسُوا قَوْلًا يُبَرِّئُكُمْ إِنِّي أَنَا الْمَوْتُ

مفعول بادروا مذوق ، كأنه قال : بادروا العِقابَ بالعُذْر ، أى ساِبُوهُ .

يقول : قُلْ لَهُمْ : سارِعوا بالعُذْر فهاركتموه ، واطلبوا قولًا يُبَرِّئُ ساحتكم ، إِنِّي أَنَا حَتْفُكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعُلُوا ، أى أَقْرَبْ حَيْنَكُمْ ، وأَسْعَى فِي هَلَاكِمْ إِنْ لَمْ تَفْعُلُوا . ويقال : لَمَسَ وَالْمَسَ في معنى طلب . على ذلك قولُ الله تعالى حَكِيَا عن مستَرْقةِ السمع : «وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْثَثَ حَرَسًا شَدِيدًا» ، أى طلبناها . وقال الشاعر :

أَلَامُ عَلَى تَبَكَّيهِ وَالْمُسْهُ فَلَا أَجِدُهُ

و «يُرِئُكُمْ» في موضع الصفة للقول ، أى قولًا مبرئًا لكم من الذنب .

٣- إِنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ يَأْتِيَنِي يَقِينُكُمْ فَمَا عَلَىٰ بَذَنْبٍ بَذَنْبٍ عِنْدَكُمْ فَوْتٌ

قوله «بَذَنْبٍ» أى بسبب ذَنْبٍ ، وقد حُذفَ المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، كأنه قال بجزاء ذَنْبٍ ، ويقال : «لافوتَ عليك في كذا» ، كـ يقال لا بأس عليك . وللمعنى : لا يفوتك . وفي هذا الكلام إيدانٌ بأنه مستعملٌ الأنأة والحلم معهم ، تقهً بأنهم لا يفوتوه . يقول : إن تُجْزِموا ثم يصحَّ عندي تعمُدُكم في إجرامكم وتيقُنكم ما يلحقكم من لائمة وعيبٍ (٢) وأنكم أقدمتم مستعينين ، وبين يأخذُكم نكيرٌ غير حافلين ، فـ يفوتنـي

(١) كذا في م . وفي الأصل : «في نهاية» فقط .

(٢) يروى أيضاً : «تقينكم» كما نص التبريزى . ويروى : «بقينكم» ، كما سماى .

(٣) م : «وعتب» .

مَكَافَاتُكُمْ ، وَلَا يُعِينُنِي مَوَاحِذُكُمْ وَمَحَاسِبُكُمْ . وَرُوِيَ : « ثُمَّ يَأْتِيَنِي بِقِيَةُكُمْ » وَفُسُرَّ عَلَى وَجْهِيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمَعْنَى ثُمَّ تَأْتِيَنِي خِيَارُكُمْ وَأَمَالُكُمْ ، يَقِيمُونَ مَعْذِرَةَ أَنْفُسِهِمْ ، وَيَبْيَنُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْاعِدُوكُمْ لَا بِالرَّأْيِ لَا بِالْفَعْلِ . وَهَذَا كَا يَقَالُ : فَلَانَّ مِنْ بَقِيَةِ أَهْلِهِ ، أَى مِنْ أَفَاضِهِمْ . وَالْآخَرُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : ثُمَّ تَأْتِيَنِي بِقِيَةِ الَّذِينَ لَمْ يَذْنُبُوا مُتَنَصِّلِينَ بِأَنَّهُمْ قَدْ فَارَقُوكُمْ وَأَسْلَمُوكُمْ ، لَعْظِيمُ جَنَاحِيْكُمْ ، وَخَلَعُوا رِبْقَةَ النُّصْرَةِ وَالْمَعاوِنَةِ لَكُمْ .

٣٣

أَنِيفُ بْنُ حَكَمِ النَّبَهَانِي^(١)

١- جَمَعْنَا لَهُمْ مِنْ حَيٍّ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ كِتَابٌ يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ نَكَالُهُمُ الْكَتَبَةُ مِنَ الْجَيْشِ : مَا جَمِعَ فِلَمْ يَنْتَشِرْ . وَقَوْلُهُ : « يُرْدِي » مَعَ مَا بَعْدِهِ فِي مَوْضِعِ الصَّفَةِ لِلْكِتَابِ . يَقُولُ : جَمَعْنَا لِمُؤْلِاءِ الْقَوْمِ جِيُوشًا مِنْ خُلُصِ الْعَرَبِ تُهْلِكُ عُقُوبَتُهُمُ الَّذِينَ فِي نَسَبِهِمْ هُجْنَةٌ أَوْ إِقْرَافٌ إِذَا بَرَكُوا عَلَيْهِمْ . وَهَذَا يَحْمُزُ أَنْ يَكُونَ تَعْرِيضاً بِمَنَابِذِهِ وَوَعِيدَاهُمْ . وَالإِقْرَافُ يَكُونُ مِنْ قِبَلِ الْفَحْلِ ، وَالْهُجْنَةُ مِنْ قِبَلِ الْأَمْ . وَذَكَرَ الْمُقْرِفِينَ وَلَمْ يَذْكُرِ الْهُجْنَاءَ لِأَنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا يَأْخُذُونَ مَا خَذَهُمْ فِي أَنَّهُ لَا يَخْلُصُ نَسَبُهُمْ ، [وَلَا يَصْفُو سَبِيلُهُمْ^(٢)] ، فَنَافِهِمُ أَشَدَّ نَقْدًا ، وَمِنْ يَنْهِمُ أَنْ كَرَّ دَفَعًا . وَكَانَ عَنْتَرَةُ الْعَبَّاسِيِّ هَبِينَا فَقَالَ :

إِنِّي اسْرُؤُ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبَا شَطَرِي وَأَحِمِّي سَائِرِي بِالْمُنْصُلَ [نَاقِيَا لِلإِقْرَافِ^(٣)] ، بَعْلُ أَحَدِ شَطَرِيِّهِ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ ، وَجَعَلَ الْبَاقِي يَحْمِيهِ مِنَ الدَّمْ بِاسْتِعْدَالِ السَّيْفِ يَوْمَ الرَّوْعِ ، وَحَسِنَ الْبَلَاءُ فِي الْحَرْبِ ، حَتَّى

(١) التبريزى والبهج : « أَنِيفُ بْنُ زَيَادِ النَّبَهَانِي ». .

(٢) التكملة من م .

(٣) التكملة من م . وَمَا بَعْدِهِ لِلْعَبَّاسِ » ساقطٌ مِنْ م .

يُلْحِقَهُ بِالْخَلْصِ ، وَلَا تَقْعُدَهُ بِهِ جُنْتَهُ عَنِ الدُّخُولِ فِي زُمْرَةِ الصَّرَاحَاءِ .

٣- لَهُمْ عَجَزٌ بِالْخَزْنِ فَالْرَّمْلُ فَاللَّوَى وقد جاوزَتْ حَيَّيْ جَدِيسَ رِعَالَهَا

الرَّاعِيلُ: قطعةٌ من الخيل متقدمةٌ، وتوسّعوا فقالوا: أرعايلُ الرياحِ . ويقال: استرَاعَلَ فُلانُ ، أي خَرَجَ في الرَّاعِيلَ الأولَ . يقول: سَوَابِقُ هذهِ الكُتَائِبِ وأوائلُها قد جاوزَتْ بلادَ طَسْمٍ وجَدِيسَ ، ولو احْتَفَتْ بها هَذِهِ المَوَاضِعُ . وبينَ بلادِ حَيَّيْ جَدِيسَ والبَقَاعِ الَّتِي ذَكَرَهَا مَسَافَةً بَعِيدَةً . واللَّوَى ، حيثُ يَرِقُ الرَّمْلُ فَيُخْرِجُ السَّائِرَ فِيهِ إِلَى الْخَزْنِ . وطَسْمٌ وجَدِيسُ: أَمَّةٌ منَ الْعَرَبِ بَادُوا وانْقَرَضُوا . وقيل أراد بالحيين جَدِيسًا^(١) وجَدِيسًا ، وذَكَرُهُمْ وَالقصْدُ إِلَى دِيَارِهِمْ وَبِلَادِهِمْ . ورَتَبَ المَوَاضِعَ الَّتِي عَدَّهَا بِالْفَاءِ ، وَجَعَلَ أَعْجَازَ الْكُتَائِبِ فِيهَا تَكْثِيرًا لَهَا .

٤- وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَيلِ حَرْشَفُ رَجْلَةِ تَتَاحُ لِغَرَّاتِ الْقُلُوبِ نِيَالُهَا
رَجْلَةٌ مَوْضِعَةٌ لَأَدْنَى الْعَدَدِ ، بِدَلَالَةِ أَنَّكَ تَقُولُ: ثَلَاثَةُ رَجْلَةٍ . وَمِنْ عَادِهِمْ أَنْ يُقْدِمُوا الرَّاجِلةَ عَنْدَ تَبَعَّدِ الْجَيْشِ ، لِيُسْتَنِدُوا إِلَى الْفَرَسَانِ . وَقَوْلُهُ: «وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَيلِ حَرْشَفُ رَجْلَةِ» أَرَادَ قَطْعَةً مِنَ الرَّاجِلةِ . وَمَعْنَى تَتَاحُ: قُدْرَةٌ وَتَهْبِيَةٌ . وَيَقُولُ: تَاهَ لَهُ كَذَا وَاتَّحَتْهُ أَنَا؛ وَرَجْلٌ مِتَّيْحٌ . وَمَوْضِعُهُ حَرْشَفٌ عَلَى الصِّفَةِ لِرَجْلَةِ . فَيَقُولُ: تَحْتَ صُدُورِ الدَّوَابِ قَطْعَةٌ مِنَ الرَّاجِلةِ قُدْرَةُ نِيَالُهَا لِلْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ ، أَيْ لَا يُشَعِّرُ بِهِمْ فَإِذَا نِيَالُهُمْ تَعْمَلُ هَذَا الْعَمَلُ . وَالْحَرْشَفُ ، الْأَصْلُ فِيهَا أَنْ تُسْتَعْمَلُ فِي الْجَرَادِ ، ثُمَّ اسْتُعْيِرُ لِلْجَمَاعَةِ مِنَ الرَّاجِلةِ عَلَى التَّشْبِيهِ ، وَقَالَ اسْرَؤُ القَيْسُ:

كَانُوكُمْ حَرْشَفٌ مَبْنُوثٌ بِالْجَوَّ إِذْ تَبَرُّقُ النَّعَالُ

(١) فِي الْفَالْمُوسِ: «وَجَدِيسٌ مُحرَكٌ: بَطْنٌ مِنْ لَحْمٍ، أَوْ هُوَ تَصْحِيفٌ وَالصَّوَابُ بِالْحَاءِ الْمُهَمَّةِ» .

وَغِرَّاتُ : جمع غِرَّة ، وهي صفة ، يقال رجُلٌ غَرْ وَغَرِيرٌ ، وجارية غِرَّة وَغَرِيرَة ، ومصدره الغَرَارة .

٤- أَبَ لَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ بَنُو نَاقِ كَانَتْ كَثِيرًا عَيْلُهَا
هذا الكلام من صفة الكتاب . و «أَنْ يَعْرِفُوا» في موضع المفعول لأَبِي ،
وفاعله قوله «أَنَّهُمْ بَنُو نَاقِ». و قوله «كَانَتْ» من صفة الناق . يقول : مَنْعَ لَهُمْ
معرفة الضَّيْمَ كثُرُّهُمْ و تَرَادُّهُمْ . والناق : المرأة الكثيرة الأولاد . وجعل العيال
كِنَاعَةً عن الأولاد ، وهو جمع عَيْلٍ ، بَحِيدٍ و حِيَادٍ . يقال : عند فلان كذا عيالاً ،
وهو مُعِيلٌ و مُعِيلٌ^(١) : كثير العيال . وال فعل من ناقٍ تَنْقَتْ تَنْقَةً .

٥- فَامَّا أَتَيْنَا السَّفَحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ بِحِيثُ تَلَاقَ طَلْحُهَا و سِيَالُهَا
الباء من قول «بحيث» تَعَاقَ بَفِعلِ دَلَّ عليه أَتَيْنَا ، كأنه قال : حَصَلْنَا
بحيث تَلَاقَ طَلْحُهَا و سِيَالُهَا . و موضعه من الإعراب نَصْبٌ على الحال المضمر بين
في أَتَيْنَا . والسفح : أسفل الجبل ، ولاشتهره بما وُضع له أَغْنَى عن إضافته إلى
الجبل . والطلح والسِيَال : شجران . فيقول : لما بلغنا أسفلَ الجبل من بطن هذا
الوادي بحيث التقى هذان الجنسان من الشجر . وهذا إشارة منه إلى موضع
العِراكِ والقتال . وجوابُ لِمَا فيما بعده .

٦- دَعَوَا لِزَارِ وَاتَّمَيْنَا لِطَيِّ كَأسِدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَزِرَالُهَا
اتَّمَينا : انتسبنا ، أى قالوا يا لِزَارِ ، وقلنا نحن : يالطَّيِّ ، مشابهين
للأسود . وقوله «كَأسِدِ الشَّرَى» حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ،
كأنه قال : وكإقدام أَسْدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَزِرَالُهَا . وجاز الحذف لأنَّه لا يلتبس

(١) كذا في الأصل . وفم : «مُعِيلٌ وَمُعِيلٌ» ، وكلها صحيح .

ووجه التشبيه بغيره . ومعنى « دَعُوا لِزَار » : انتسبوا إلى زَار . وهذا الاعتراض الذى أشار إليه قد يفعله الفارس عند الطعن والضرب أيضاً ، يقول الواحد منهم : خُذْهَا وَأَنَا مِنْ بَنِي فَلَانْ ، وَأَنَا فَلَانْ بْنُ فَلَانْ .

٧ - فَلَمَّا تَقَرَّبَنَا بَيْنَ السَّيْفِيْنَ لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيْرٌ سُوَّا هُمَا
الإِحْفَاءِ يَكُونُ فِي السُّؤَالِ عَنِ الشَّيْءِ ، وَيَكُونُ فِي طَلَبِ الشَّيْءِ مِنَ الْغَيْرِ ،
وَهُوَ الْمَبَالَغَةُ فِيهِمَا . وَالذِّي بَيْنَهُ السَّيْفُ هُوَ حُسْنٌ بَلَاءً أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ وَزِيَادَتُهُ فِيهَا
يُحَمِّدُ مِنَ الصَّبَرِ وَالثَّبَاتِ عَلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ حَذَّرَهُ مِنَ الْفَلْقَةِ لِأَنَّ الْمَفَاعِيلَ تُحَذَّفُ
كَثِيرًا إِذَا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَيْهَا . وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيْرٌ سُوَّا هُمَا » أَنَّ
الإِحْفَاءِ فِي السُّؤَالِ وَالاستِفْصَاءِ فِي الْبَحْثِ ، مَمَّا يَزْدَادُ مَعَهُ بَيْنَاتُ الْأَحْوَالِ ،
وَجَلِيلَاتُ الْأَمْرِ . وَجَعَلَ الْحَفِيْرَ لِلْسُّؤَالِ عَلَى الْمَجَازِ وَالسَّعَةِ . وَفَسَرَّ قَوْلَهُ تَعَالَى :
﴿ يَسْأَلُوكُمْ كَأَنْكُمْ حَفِيْرٌ عَنْهَا ﴾ : كَأَنَّ الْمَعْنَى كَأَنَّكُمْ عَالَمُونَ بِهَا ، لِمَا كَانَ الإِحْفَاءُ
فِي الْمَسَأَةِ حَقِيقَةً بَأْنَ يَؤْدِي إِلَى الْعِلْمِ بِالْمَسْئُولِ عَنْهُ . وَالسَّائِلُ يَحْمُزُ أَنْ يَرِيدَ بِهَا
قَبِيلَةً ، وَيَحْمُزُ أَنْ يَرِيدَ بِهَا امرأَةً . وَجَعَلَ قَوْلَهُ « السَّيْفُ » كَنِيَّةً عَنْ أَنْوَاعِ
السَّلاحِ ، بَدْلَةً أَنَّهُ أَعَادَ ذِكْرَ استِعمالِ السَّيْفِ فِيهَا بَعْدَهُ ، لَمَّا فَضَلَّ أَحْوَالُهُمْ
وَفَسَرَ مَقَامَاتِهِمْ فَقَالَ : « وَلَمَّا عَصَيْنَا بِالسَّيْفِ » .

٨ - وَلَمَّا تَدَانَوْا بِالرِّمَاحِ تَضَلَّلَتْ صُدُورُ الْقَنَّا مِنْهُمْ وَعَلَتْ نِهَارُهُمْ
يَقُولُ : وَلَمَّا تَقَرَّبَنَا بِاسْتِعْمَالِ الرِّمَاحِ رَوَيَتِ الْقَنَّا مِنْ دَمَاهِمْ ، وَصَارَ النَّاهِلُ
مِنْهَا عَالَلًا . وَالنَّاهِلُ : الشُّرْبُ الْأَوَّلُ ، وَالعَلَلُ : الشُّرْبُ الثَّالِثِ . كَانُوهُمْ عَاوِدُوا
الطَّعَنَ وَكَرُوا حَالًا بَعْدَ حَالٍ . وَالتَّضَلُّلُ ، حَقِيقَتُهُ أَنْ يُسْتَعْمَلُ فِيهِ الْمُضْلِعُ ، وَعِنْدَ
الْأَرْتَوَاءِ تَنْتَفَخُ الْأَضْلاعُ ؛ وَاسْتِعَارَهُ هَاهُنَا . وَيَقَالُ : تَضَلَّلُ شَبَّيْعًا ، وَتَحْكَبُ
رِيَّا . وَخَصَّ الصُّدُورَ لِأَنَّ الطَّعَنَ بِهَا . وَيَقَالُ : عَلَّ إِيلَهُ يَعْلُلُ وَيَعْلُلُ ، فَعَمَّلَتْ

هيـ . وإن شئت على هذارو يـتـ: «وعـلـتـ نـهـاـلـهـاـ» ، وإن شـتـ روـيـتـ: «وعـلـتـ» .

٩— ولَمَّا عَصَيْنَا بِالسُّيُوفِ فِتَّقَطَّعَتْ . وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا
وَسَلَتْ إِلَيْهِ وَسِيلَةً ، أَى تَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ بَقْرَبَةً . وَيَقَالُ تَوَسَّلَتْ أَيْضًا . وَفِي
الْقُرْآنِ : « وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ » . وَيَقَالُ : عَصِيتُ بِالسَّيْفِ^(١) ، إِذَا ضَرَبْتَ
يَهُ ، وَعَصَوْتُ بِالْمُعْصَا . وَجَعَلَ ابْنَاتَ الْوَسَائِلِ وَانْقِطَاعَ الْأَوَّلِيَّةِ عِنْدَ اسْتِعْمَالِ
السُّيُوفِ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَشْتَدُّ عِنْدَهُ ، وَالْقِنَاعَ يَكْشِفُ مَعْهُ . وَهَذَا لَمَّا اسْتُوْصِفَ
عُمَرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ كَرَبُ أَنْوَاعَ السَّلَاحِ قَالَ فِي السَّيْفِ : « عِنْدَهُ تَشَكَّلُ الْأَمْهَاتُ » .
وَقَوْلُهُ : « كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا » ، يَرِيدُ بِهِ أَنَّ حِبَالَ تِلْكَ الْوَسَائِلِ كَانَتْ
مَفْتُولَةً عَلَى الصَّلْحِ^(٢) فَتَقَطَّعَتْ بِاسْتِعْمَالِ السُّيُوفِ ، لِأَنَّ كُلَّاً مِنْهَا صَارَ وَاتِّرًا
وَمُوتُورًا ، فَسَقَطَ الْمَلَامَةُ مِنْ يَنْهَمِ .

١٠ - فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمْ قَوَادِرُ مَرْبُوعَاتِهَا وَطِوَالُهَا
 قوله : « وأطراف الرِّمَاح » في موضع الحال للمضمرتين في ولَّوا . وذَكَرَ
 الأطراف لأنَّ الطَّفْنَ بِهَا يقع ، وإنْ كانت الرِّمَاح بِأَسْرِهَا مَقْصُودَةً . يقول :
 انهزموا وأُسْنَة الرِّمَاح مِتْمَكَّنةٌ مِنْهُمْ ، وَمُقْتَدَرَةٌ عَلَيْهِمْ ، طِوَالُهَا وَأَوْسَاطُهَا .
 ولِمَرْبُوعِ الْمُرْتَبَمِ^(٣) : مَا كَانَ بَيْنَ الْقَصِيرِ وَالْطَّوَيْلِ ، وَمِنْهُ رَجُلٌ رَّبْعَةٌ .
 وإنما قال ذلك لأنَّ المهزمين إذا مَنَحُوا أَكْتافَهُمْ لِمَنْ يَطْلُبُ أُثْرَهُمْ ويَقْصِدُ
 النَّكَايَا فِيهِمْ ، فَأَنْتِرُ الأَسْلَحةَ عَلَى اخْتِلَافِهَا مِتْقَارِبٌ . وَارْتَفَعَ « مَرْبُوعَاتِهَا » عَلَى
 الْبَدَلِ مِنَ الْأَطْرَافِ . وهذا يُبَيِّنُ أَنَّ الْقَصِيدَ بِهَا إِلَى جَهِيمَهَا ، لَا إِلَى بَعْضِهَا .

(١) كذا جاءت هذه اللغة في الأصل وم . وبقال أيضاً : عصاه بضمها، وعصاه بفتحها .

(٢) كذا في م مع أثر تصحیح من الناسخ . وفي الأصل : « الصلاح » .

(٣) المربع ، بفتح الباء وكسرها ، كاف اللسان (ربيع ٤٦٣) ، وجاءت اللغة الأولى في م ، والأخيرة في الأصل .

٣٤

قال عَمْرُو بْنُ مَعْدِيْكَرِبٍ^(١) :

١ - لِيْسَ الْجَمَالُ بِعَزْرٍ فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدْيَتْ بُرْدَا

قوله « فاعلم » اعتراف « تأكّد به الكلام ، ومثله قوله تعالى : « فلا أقْسِمُ بِعَوْاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ لَغُرْبٌ كَرِيمٌ » ؛ لأنّ قوله « وإن رُدْيَتْ » متعلق بما قبله تعلّق جواب القسم بالقسم . يقول : ليس جمال المرأة فيما يلبسها من الثياب وإن استسرى الملابس واختار أرضاها وأكلها . وكانوا يأتّرون بُرْدًا ويرتدون بأخر ، ويُسمّيان حلة ، وباجتاعهما كان يكمل اللباس ، حتى كانت خلقة ملوكهم لا تغدوها . ولذلك سمى من سُمِّيَ ذا البردين . قال :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالكِ ويا ابنة ذي البردين والفرس الواردِ^(٢)
وقوله : « وإن رُدْيَتْ بُرْدًا » في موضع الحال ، كأنه قال : ليس جمالك
بِعَزْرٍ مُرَدَّى مَعَهُ بُرْدًا . والحال قد يكون فيه معنى الشرط ، كأن الشرط
يكون فيه معنى الحال . فالأولُ كقولك : لِأَفْعَلَنَّهُ كائناً ما كان ، أى إن
كان هذا وإن كان هذا . والثاني كيت الكتاب :

* عَاوِدْ هَرَاءَ وَإِنْ مَعْمُورُهَا خَرِبَا^(٣) *

لأن الواو منه في موضع الحال ، كأنه هو في بيت عمرو ، وفيه لفظ الشرط
ومعنى ، وما قبله نائب عن الجواب . والمعنى : إن خرب معمور هراء فعاودها .
وكذلك بيت عمرو ، تقديره : إن رُدْيَتْ بُرْدًا على مئزرِ فليس الجمال ذلك .

(١) سبقت ترجمته في المقطوعة . ٢٩

(٢) البيت لاتم الطائني . وابنة عبد الله هي ماوية بنت عبد الله زوج حاتم . ذو البردين : عاصم بن أحيمير بن بهذلة . انظر حواشى البيان (٣ : ٣٠٩ — ٣١٠) .

(٣) كتاب سيبويه (١ : ٤٥٤) .

٢ - إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنُ^١ وَمَنَاقِبُ^٢ أَوْرَثْنَ مَجْدًا

أراد أن جمال المرأة في أصوله الزكية ، وأفعال له كريمة تورث المجد والشرف . والمعدن ، هو من عدن بالمكان عَدْنًا وعَدُونًا ، إذا أقام . وكذلك عَدَنَتِ الإبل في التمضي ، وقيل المعدن اشتقاقة من عَدَنَتُ الحجر ، إذا قلعته . وإذا جمع الرجل بين الشرف الموروث والمستحدث المكسوب فهو النهاية . ومناقب الإنسان : ما عُرِفَ فيه من الخصال الجليلة ، والطراائق الحميدة ، والواحدة مُنقبة . والتقييب كأنه منه . قال الترميدي : يقال تقييب بين النقابة بالفتح ، مثل كفيف بين الكلمة . فاما التعريف ف مصدره العرافة بالكسر . والمجد : الشرف والرقة ، وسميت الأرض المرتفعة مجداً وبجداً به . ويجوز أن يكون أصله السكتة ، يقال أَمْجَدْتُ الدَّابَّةَ عَلَفًا ، أي وسعته لها .

٣ - أَعْدَدْتُ لِلْحَدَّاثَانِ سَا بِغَةً وَعَنْدَاءَ عَلَنْدَى

أَعْدَدْتُ واعتقدتُ واحد ، والاسم العدة والعتاد . يقول : هيأت لنواب الدهر ، أي لدفعها درعاً واسعة وفرساً ضخماً جيد العدو كثيره . والعلندي ألفه للإحراق ، كسفراجل . وأصل الكلمة ثلاثي ، والنون والألف زائدتان ، فهو من العلاد . قال الخليل : هو الغليظ الشديد من كل شيء . والدلالة على أن الألف للإحراق أنك تقول للمؤنة علندة ، وأنك تنوّن فتقول علندي . وذكر بعضهم أن العلندي : الضخم من الإبل والخيل جيما ، وجمعه علاند وإن شئت علادي ، كما قالوا في حبنتلي حبانتي وحباطي . وفرس عَدَلا وعَدُوان ، إذا كان كثير العدو .

٤ - نَهَدَا وَذَا شُطَّبَ يَهُ دَهُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدَّا
نهدا ، أي فرساً غليظاً . والنهود في الندى : بيان حجمه ونحوه من هذا .

وسيفًا ذات طرائق ، يقطع البَيْض والدُّروع قطعًا . والقدّ : القطع طولاً ، والقطط : القطع عرضاً . والبدن من الدرع : قدر ما يُسْتَر البدن . ويقال سيف مشطّب : فيه شُطُوب وطرائق .

٥— وعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا كَمُّنَازِلٍ كَبِيْرًا وَهَذَا
قوله : « يوم ذاك » يجوز أن يُشار بذلك إلى أمر قد عَلِمَه السامعون ، وهو الحرب ، لأنَّ النزال يكون فيها . ويجوز أن يكون وأشار به إلى السلاح الذي زَعَمَ أنه أَعْدَاه . ويوم السلاح : يوم الحرب . ويجوز أن يكون وأشار به إلى الحدثان ، لأنَّه قد قال « أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَيْنَ » . ومعنى البيت : عَلِمْتُ كَمُّنَازِلٍ هُؤُلَاء فَأَعْدَدْتُ لَهُمْ هَذَا السلاح ، لعلَّى بالحاجة إليه . والخازِمُ يتميَّزا للأمر قبل وقوعه ، فكأنه قال : فعلمت ذلك بحزامتي ^(١) ، وعلى موارد الأمور ومصادرها .

٦— قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ دَنَمُرُوا حَلَقًا وَقِدَّا
انتصب حلقاً على أنه بدلاً من الحديد ، ويريد به الدروع التي تُسجّت حلقتين . والقِدَّ ، أراد به التيلب ، وهو شبه درع كان يُتَخَذَ من القد . ويروى : « خُلُقاً وَقَدَّا » ويكون انتصار حلقاً على التمييز ، أي تشبهوا بالنمر في أخلاقهم وخليقهم . ودلَّ على الخلق قوله قدّا . ومعنى الرواية الأولى أنهم إذا لبسوا الحديد الدروع واليلب تشبهوا بالنمر في أفعالهم في الحرب . ويجوز أن يُريد بتنمرروا تلوّنوا باللون النمر ، لطول ثيابهم وملازمهم الحديد ، وحيث إنَّه يصحُّ أن يكون انتصار حلقاً على التمييز . والمعنى الأول أَجْود . فإن قيل : كيف دخل قوله : « وقدّا » بالمعناه على حلقاً في أن يكون بدلاً من الحديد

(١) م : لحزام.

وليس منه؟ قيل : لما كان يُغْنِي غَنَاء درع الحديد ، جاز أن يصبحه في أن يكون بدلاً . قوله «إذا ليسوا الحديد» ظرف لتنمّر وا.

٧ - كل امرئ يَجْرِي إِلَى يوم الْهِيَاجِ بِمَا أَسْتَعْدَاهُ
هذا كما قيل في المثل : «قبل الرِّمَادِ تُمْلأُ الْكَنَائِنُ»^(١) ، فيقول : كل رَجُلٍ يَجْرِي إِلَى يوم الْهِيَاجِ بِمَا أَسْتَعْدَاهُ وَاسْتَعْدَاهُ . والضمير من صلة «ما» مُحذفٌ استطالة للاسم . ويجوز أن يكون استعدَ فعلاً ليوم الْهِيَاجِ لا لكل امرئ ، ويكون معناه بما كَفَّ يوم الْهِيَاجِ أَنْ يُعَدَّ له . يقال : استعدَته كذا ، أَيْ سأَلْتَهُ أَنْ يُعَدَّ .

٨ - لما رأيت نِسَاءَنَا يَفْحَصُنَ بالمعزَاءِ شَدَّا
الأمعز والمُفْزَاءُ : الأرض الحَزَنَةُ ذاتُ الحجارة ، والجمع المُغْزُ والأماعِز
والمُفْزَاوَات . والأصل في المعز الصَّلَابَة . ويقال رجل ماعزٌ ومُعَزٌ . ويروى :
«يَفْحَصُنَ» ، ومعناه يُؤثِّرُ لشدةَ القدو في المُغْزَاء ، حتَّى يصيرُ به لآثارهن
كالآفاتِ . ويقال : استضحكَ فلانٌ حتَّى فَحَصَ بِرِجْلِيهِ . وقيل على التوسيع :
فَحَصَتْ عن الأمر . وينتصب «شَدَّا» على أن يكون مفعولاً له ، كأنه قال :
يَفْحَصُنَ بالمعزَاءِ لشَدَّهُنَّ . ويجوز أن يكون شَدَّاً مصدرًا في موضع الحال ،
أَيْ يفعلن ذلك بالمعزَاءِ شَادَّاتِ . ويروى : «يَمْحَصُنَ» ، والمحصُنُ : القدو
الشديد ، وينتصب شَدَّاً على أنه مصدرٌ من غير لفظه ، كأنه قال يشدُّنْ شَدَّاً
وينمحصُنَ تحصُنًا . وجواب لما قُولَه «نازلت» ، وسيجيءُ من بعده . وإنما عملت
النساء ما ذكر إشراقاً من الغارة والسبأء .

(١) انظر ما سبق في ص ٧٦ .

٩— وَبَدَتْ لَمِيسُ كَانَهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى^(١)

قوله : «كانها بدر السماء» في موضع الحال للمرأة ، أى بدت مشيئته البدر ، وقوله : «إذا تبدى» ظرف لما دل عليه كان من معنى الفعل . يقول : وبرزت هذه المرأة كاشفة عن وجهها سافرة ، كانها قد أرسلت يقابها . ودل على هذا بقوله : «كانها بدر السماء إذا تبدى» . وإنما فعلت كذلك لأحد وجهين : إما للتتبّع بالإماء حتى تأمن السماء ، أو لما تداخلها من الرعب .

وفي طريقته :

وَنِسْوَاتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادِ وُجُوهُهُمْ يُخَانَ إِمَاءُ وَالْإِمَاءُ حَرَافُ^(٢)

١٠— نَازَلتُ كَبْشَهُمْ وَمَأْ أَرَ من نِزَالِ الْكَبْشِ بُدَّا
لا بُدَّ يَسْتَعْمَلُ اسْتَعْمَلَ لَا مَحَالَةَ ، وَتَحْقِيقَهُ لَا تَحِيدَ لَا مَعْدِلَ . وَمِنْ قَوْلِهِ
اسْتَبَدَ فَلَانُ بِالْأَمْرِ ، أَى افْرَادُهُ . وَالْبَدْدُ وَالْتَّبَدُّدُ : مَصْدَرُ الْأَبْدَدِ . وَهَذَا
جواب قوله : «لَمَ رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَصْنَ» . وَكَبْشُ الْكَتْبَيَّةِ : رِئَسُهَا^(٣) .
فَيَقُولُ : لَمَ رَأَيْتُ الْأَمْرَ عَلَى مَا ذَكَرْتُ أَنْفَتُ وَقَصَدْتُ رِئَسَ الْأَعْدَاءِ وَمَلَاقَاتَهُ
وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذَلِكَ بُدَّا . وَإِنَّمَا قَالَ : «نَازَلتُ كَبْشَهُمْ» لِيُرِيَ أَنَّهُ مَنْ تَدْعُوهُ
نَفْسُهُ إِلَى مُجَاهَدَةِ الرُّؤْسَاءِ وَالتَّعَرُضِ لِهِمْ فِي الْحَرْبِ ، وَأَنَّهُ مَنْ لَا يَرْضَى عَنِ الْمَبَارَزةِ
بِالْمَنْزِلِ الْأَدْنَى . وَرِئَسُ مَتَى كَانَ وَاثِقًا بِنَفْسِهِ طَابَ أَمْثَالَهُ ، وَاسْتَعْفَى مِنْ مَبَارَزةِ
مَنْ لَا يُؤْبَهُ لَهُ ، وَتَفَادَى مِنْهَا ، إِلَّا عِنْدَ الْفَرْرَادَةِ .

(١) روى التبريزى بعد هذا بتنا لم يروع المزروع ، وهو :

وَبَدَتْ حَمَاسِنُهَا الَّتِي تَخْفَى وَكَانَ الْأَمْرُ جِدَّاً

(٢) البيت لسيرة بن عمرو الفقسى . وهو من أبيات الحماسة .

(٣) ابن جنى : «أعاد لفظ الكبش دون ضميره لأنَّه موضع تفخيم وتفظيم ، وكان إعادة لفظ المضمون أوكد وأخفم» .

١١ - هُمْ يَنْذِرُونَ دِيْهِ وَأَنْذِرُ إِنْ لَقِيتُ بَأْنَ أَشْدَادًا
يقول : هم يقولون لله علينا سفك دم عمرو ، وأنا أقول لله على أن أحمل
عليهم وأبدل نفسي لهم ، ثقة بكميتي واستهانة بنذرهم . ويقال في الكلمة : شدنا
عليهم شدة صادقة ، وشدة غير كاذبة ، إذا أرادوا المبالغة .

١٢ - كَمْ مِنْ أَخَّ لِي صَالِحٌ بِوَأَتْهُ يَمْدَى لَهُدا
بوأته مبواً صدق : أزرته ، والباءة : المزيل . وإنما فرغ من التبجح بالشجاعة
ثم ذكر صبره على البلاء ، وتوطين نفسه على الألواء ، فيقول : كم من أخ
موثق به فحققت بهته ، وأحوجت إلى تولى دنيه ، ومبشرة تجهيزه . وهذا
إذا ابتلى به المرء كان أعظم جزعه ، وأنكى في قلبه .

١٣ - مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَعْتُ تُلَوِّي رِدْ بُكَائِ زَنْدَا^(١)
الهلع : أفحش الجزع ، لأنه جزع مع قوله صير . وقد فسره التنزيل في
قوله تعالى : «إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ
الْخَيْرُ مَنْوِعًا . إِلَّا مُصَلِّيَنَ». لأن المعنى أن الإنسان لا يصبر على ضير ، ولا على
خير ، فكانه قال : ما حزنْت عليه حزناً هيئناً قريبا ، ولا فظيعاً شديدا . وهذا
تفن للحزن رأسا ، فهو كقولك : ما رأيت صغيرهم ولا كبيرهم . وقد أعطى
الترتيب حقه لأنه ارتقى فيه من الأدوات إلى الأعلى ، إذ كان قوله «ما إنْ
جزعت» وإن كان مستصلحاً جميع أنواعه مقيداً للأدوات ، وقد جاء بعده
«ولاهلعت» ، وقوله : «ولايَرِدْ بُكَائِ زَنْدَا» ، وكان بعض الناس

(١) أشار التبريزى إلى رواية ابن دريد :

ما إنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَعْتُ تُلَوِّي رِدْ بُكَائِ زَنْدَا

يرويه : « ولا يرُدُّ بكاي زَيْداً » ، وزعم أنه أخ له . ورأيت من زعم أنه فتش عن نسب عمرو فلم يجد له نسباً^(١) ولا شقيقاً يسمى زيداً . على أن قوله « كم من أخ لي صالح » لا يلائم — فيما يقتضيه سياق اللفظ ونظام المعنى ، ومع إفادته الكثرة — أن يقابل بـ « ولا يرُدُّ بكاي أخي زَيْداً مع تخصيصه . فاما من روى « زَيْداً » بعض الشيوخ كان يقول : أراد ولا يرُدُّ بكاي شَرَّةً ، فذكر الزند وأراد ما يخرج منه عند القذح . وأحسن من هذا أن يكون ذكر الزند تقليلاً لعائدة الحزن لو تكلفة عند ما دعوه من الفجيعة بالأخ المذكور . وهم يستعملون الزند في هذا المعنى ، كما يستعملون الفوف والتغير والقطمير والفتيل . وحكي أبو زيد أنهم يقولون إذا قالوا مال الرجل : « زَنْدَانٌ في مُرْقَعَةٍ »^(٢) . وهذا المعنى حسن ، والشاهد له قوى . ورأيت في بعض النسخ : « ولا يرُدُّ بكاي ردًا » ، وهذا حسن أيضاً ، ويكون المعنى : ولا يرُدُّ بكاي مردوداً . وللعنى : ولا يغنى بكاي شيئاً . وفي كلام الناس : هذا الأمر أردد عليك ، أي أفع وأجدد . وإنما عقب نفي الجزع بهذا الكلام تنبئها على أن صبره عن تأذيب وتبصر ومعرفة بالعواقب ، وحسن تأمل .

١٤ - الْبَسْتَهُ أَثْوَابُهُ وَخَلَقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلَداً

يقول : توليت تكفينه وتجهيزه بنفسه ، وخلقت صبوراً حين خلقت . وهذا يريد به أنه جمع إلى العجلادة المكتسبة جلادة الخلقه والطبيعة .

١٥ - أَغْنِي غَنَاءَ الْذَاهِبِينَ نَأَدَّ لِلأَعْدَاءِ عَدَا

قوله « الذاهبين » يجوز أن يريد بهم من انقرض من عشيرته وذويه ، ويكون المعنى أنه المعتمد عليه بعدم ، ويجوز أن يريد بهم المغيبين عن

(١) في الأصل « نبا » صوابه في م .

(٢) المرقة : كنابة أو خرطة قد رقت . أمثال الميداني .

الشاهد والمغارك . وقوله « أَعْدُ لِلأَعْدَاءِ عَدًّا » يجوز أن يكون المعنى : يقال في الأعداء : خذوا فلانا فإنه يُعد بكترا وكذا من الفرسان . ويقال إن عمرا كان يُعد بالف قارس . ويجوز أن يكون المعنى أهياً للأعداء معدوداً ، فيكون عدداً انتسابه على الحال ، وموضعاً موضع المعدود ، وأعد مستقبل أعددت ، أى هيئت . وفي الأول يكون مصدراً لأعد . والواحد لا يصح عده ولكن كأنه يقال فيه : إنه يقوم مقام كذا وكذا من العدد . ويروى « أَعْدُ لِلأَعْدَاءِ » فتح الممزة ، ويحمل وجهين من المعنى : أن يقول أعد لهم وقعتي وأيّي عند المفاخرة والمنافرة عدداً ؛ وهذا معنى حسن . والآخر أن يكون المعنى : أعد لهم كل ما يحتاج إليه من عدد وعدة ، وهذا يؤذن بأنه يدبر أمر الحرب ؛ ويرجع إليه في أسبابها والجمع لها . وهذا يرجع معناه إلى معنى من يروى « أَعْدُ لِلأَعْدَاءِ » بضم الممزة وكسر العين . وفي هذه الرواية يجوز أن يكون عدداً مفعولاً به ، والمعنى : أعد لها معدوداتها .

١٦ - ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبُوكَ وَبَقِيتُ مِثْلَ السَّيْفِ فَرَدَا
 يقول : فِي حَفْتُ بِأَحَبَّائِي وَبَقِيتُ مُنْفِرِدًا بِالسَّيَادَةِ ، فَأَنَا كَالسَّيْفِ لَا يُبْنِعُ اثْنَانَ مِنْهُ فِي غَمِيدٍ . ويجوز أن يكون : بقيت لنفاذى في الأمور ومضائى كالسيف . وفرداً ينتصب على الحال ، أى منفردًا .

٣٥

وقال عمر رأى أيضاً :

١ - وَلَقَدْ أَجَمَعُ رِجْلَى بِهَا حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنِّي لَفَرَمُوزُ^(١)
 هذا كلام من جماع إلى شجاعته وإقدامه حذراً وحزماً ، وإلى جرأته وتهوذه

(١) هذه المقطوعة رويها في الأصل مقيد بالسكون ، وهي في مظلة الروى بالضم ، وقال التبريزى : « من الرمل الأول إذا أطلق ، ومن الثاني إذا قيدت ، مردف في الضرين جميعاً ، والكافية من المتواتر إذا أطلقت ، ومن المقادف إذا قيدت » .

رِفْقًا وَأَصَالَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَارِفًا بِوقْتِ كُلِّهَا ، وَبِالحَالَةِ الْمُوجِبةِ لِاختِيَارِهِ بَعْضَهَا .
وَأَجْمَعُ رِجَالَهُ ، أَى اسْتَحِثُ فَرَسِي . وَهُوَ مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ ، وَمِنْ الْعِبَارَةِ الَّتِي
تَصْوِيرُ الْمَعْنَى . وَمِنْ لَفْظِهِ وَبِإِيمَانِ قَوْلِهِ : جَمَعْتُ يَدِي عَلَى كَذَا^(١) ، وَرَفَعْتُ يَدِي
عَنْ كَذَا . وَحَذَرَ الْمَوْتُ ، اتَّصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَالضَّمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ :
«بِهَا» لِلْفَرَسِ . وَالْمَعْنَى : أَرْكَضُهَا وَاسْتَدْرَجَهَا ، ذَهَابًا فِي الْفِرَارِ ، وَاحْتَرازًا
مِنَ الْمَوْتِ إِذَا كَانَ الْوَقْتُ وَقْتَهُ ، وَإِنَّ لَكَثِيرًا الْمَهْرَبِ إِذَا كَانَ الْمَهْرَبُ أَغْنَى ،
وَإِلَى سِرَاجَةِ الْعَدُوِّ أَدْعَى .

٢ — وَلَقَدْ أَعْطَفُهَا كَارِهَةً حِينَ لِلنَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرَ
يَقُولُ : كَمَا أَهْرَبُ وَقْتَ الْمَهْرَبِ فَإِنِّي أَعْطَفُ وَقْتَ الْعَطْفِ ؛ لِأَنَّ الْكَرَرَ
وَالْفَرَّ مِنْ شَائِئٍ ، وَالْإِقْدَامُ وَالْإِجْحَامُ عَادِيٌّ وَدَأْبٌ . وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ : «حِينَ لِلنَّفْسِ
مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرٌ» ، إِلَى شَدَّةِ الْأَسْرِ وَتَفَاقُمِ الْخَطْبِ . أَى أَعْطَفُ الْفَرَسَ
وَهِيَ كَارِهَةٌ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَهِرُّ النَّفْسُ وَتَضَيَّجُ مِنْ شِدَّةِ الْبَلْوَى . وَالْهَرِيرُ ،
قَيْلُهُ هُوَ دُونَ النُّبَاحِ .

٣ — كُلُّ مَا ذَلِكَ مِنِّي خُلُقٌ وَبِكُلِّ أَنَا فِي الرَّوْعِ جَدِيرٌ
«ما» زائِدَةً . وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ : «ذَلِكَ» إِلَى مَا قَدَّمَهُ مِنَ الْكَرَرِ وَالْفَرَّ .
أَى كُلُّ مَا وَصَفْتُ عَادَةً مِنِّي وَطَبِيعَةً ، وَبِفَعْلِ كُلِّهِ أَمَا خَلَقْتُ فِي الرَّوْعِ . وَيَقُولُ :
هُوَ جَدِيرٌ بِكَذَا ، وَجَدِيرٌ لِكَذَا ، وَجَدِيرٌ أَنْ يَنْالَ كَذَا ، وَلَقَدْ جَدَرَ جَدَارَةً ،
وَجَدَرَ بِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ . قَالَ :

(١) فِي الْأَصْلِ : «عَلَى يَدِي» ، وَأَثْبَتَنَا مَا فِي مِنْهُ .

* جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا وَيَسْتَغْلُوا^(١) *

٤ — وَابْنُ صُبْحٍ سَادِرًا يُوعِدُنِي مَا لَهُ فِي النَّاسِ مَا عَشْتُ مُحِيرًا
قال الترمذى : يقال أتى فلان أمره سادراً ، إذا جاءه من غير جهة .
يقول : وهذا الرجل مع ما ذكرت من قصته في الحرب يتهدى ساهياً لا هيناً ،
وما له عاصم مني في الناس ما عشت . وموضع «ما عشت» ظرف ، بيانه
أنَّ ما مع الفعل في تقدير المصدر ، واسم الزمان مخدوف معه ، كأنه قال :
مدة عيشي .

٣٦

قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ الْأَوْسَى^(٢) :

١ — طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَفْنَةَ ثَائِرٍ لَهَا نَفْذٌ لَوْلَا الشَّمَاعُ أَصَاءَهَا^(٣)
الشَّمَاعُ وَالشَّمَاعُ : المترافق . ومنه شعر الغار ، وتطاير القوم شعاعاً . يقول :
طَعَنْتُ هَذَا الرَّجُلَ طَفْنَةَ طَالِبٍ بِالدَّمِ فَاتِكٍ^(٤) لَا بُعْقِيَا مَعْهَا ، وَلَا تَقْصِيرَ

(١) لزهير في ديوانه ١٠٣ . . مصدره :

* بخيبل عليها جنة عبرية *

(٢) هو قيس بن الخطيم بن عدى بن عمرو الأوسى ، شاعر فارس ؟ كان له في وقعة
بات التي كانت بين الأوس والخزرج قبل المجردة أشعار كثيرة ، وكان بينه وبين حسان بن
ثابت منافسة : كان حسان يذكر ليلى بنت الخطيم أخت قيس في شعره ، وكان قيس يذكر
عمرة امرأة حسان في شعره . وذكره بعض المؤرخين في الصحابة خطأ ، فقد ذكر أصحاب
اللفازى أنه قدم مكة فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، وتلا عليه القرآن فقال : إني
لأسمع كلما عبياً فدعنى أنظر في أمرى في هذه السنة ثم أعود إليك . فات قبل الحول . انظر
الإصابة ، والمزانة (٣ : ١٦٨ — ١٦٩) والأغاني (٢ : ١٥٤ — ١٥٩) ومعاهد
التشخيص (٦٧ : ١) .

(٣) روى التبريزى هذه المقطوعة تسعه أبيات ، إذ روى بين البيتين الخامس والسادس
بيتين آخرين ستبه عليهما فيما سياقى .

(٤) م : «قاتل» .

فِي الْمُبَالَغَةِ فِيهَا ، هَا نَفَدَ ، أَيْ خَرَقَ ، لَوْلَا انتشار الدَّمْ لِأَضَاءِهَا . وَأَضَاءُهَا جَوابُ لَوْلَا ، وَالْمُبْتَدَأُ وَهُوَ « الشَّعَاعُ » خَبْرُهُ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَوْلَا الشَّعَاعُ مَانِعٌ لِأَضَاءِهَا النَّفَدُ . وَمِنْ رَوْى « الشَّعَاعُ » بِضْمِ الشَّيْنِ ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ بِهِ نُورَ الشَّمْسِ . وَالْأَوَّلُ أَجْوَدُ وَأَشَهَرُ . وَيَقُولُ : أَشَعَّتِ الشَّمْسُ ، إِذَا امْتَدَّ نُورُهَا وَانْتَشَرَ .

٢ - مَلَكْتُ بِهَا كَفِيْ فَاهْبَرْتُ فَتَهَا يُرِيْ قَائِمًا مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا يُرِيْوِيْ : « يَرَى قَائِمًا » مِنْ دُونِهَا مَنْ وَرَاءَهَا » وَ « مَا وَرَاءَهَا » ، وَيُرِيْوِيْ : « يَرَى قَائِمًا » أَيْضًا . وَيَقُولُ : مَلَكْتُ الصَّحِينَ وَأَمْلَكْتُهُ ، إِذَا بَالْفَتَّ فِي عَجَنِيهِ وَشَدَّدَتْ . وَكَانَ الْأَصْمَعِيْ يَقْتَنِعُ مِنْ أَمْلَكْتَهُ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى شَدَّدَتْ بِهَذِهِ الطَّعْنَةِ كَفِيْ وَوَسَعَتْ خَرْقَهَا حَتَّى يَرَى الْقَائِمَ مِنْ دُونِهَا الشَّيْءَ الَّذِي وَرَاءَهَا . وَهَذَا التَّفْسِيرُ فِي مَلَكْتُ تَقْسِيرُ الْقَدَمَاءِ . وَيُحَوَّلُ أَنْ يَكُونُ مَعْنَى « مَلَكْتُ بِهَا كَفِيْ » أَيْ تَمَكَّنَتْ مِنْ فَعْلِهَا ، فَأَطْلَقَتْ تَصْرِيفَ كَفِيْ فِي إِيقاعِهَا عَلَى سَرَادِيْ . وَهَذَا كَمَا يَقُولُ^(١) : أَنَا أَمْلِكُ هَذَا الْأَمْرَ ، إِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَيْهِ . وَكَأَنَّهُ أَشَارَ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَى أَنَّ الْطَّعْنَةَ لَمْ تَكُنْ عَلَى دَهْشٍ وَالْخَلَاسِ ، وَلَكِنْ عَنْ تَمَكُّنِ وَاقْتَدَارِ . وَيُرِيْوِيْ : « يَرَى قَائِمًا مِنْ دُونِهَا مَنْ وَرَاءَهَا » وَ « مَا وَرَاءَهَا » وَمِنْ رَوْيِيْ « مَنْ وَرَاءَهَا » فَالْمَعْنَى يُرِيْ مَنْ وَرَاءَهَا إِذَا كَانَ قَائِمًا مِنْ دُونِهَا . وَوَرَاءَهُنَا بِمَعْنَى خَلْفٍ ، وَإِنْ كَانَ يَقْعُدُ عَلَى الْخَلْفِ وَالْقَدَامِ جَيْعاً . وَمِنْ دُونِهَا ، أَيْ مِنْ قُدَّامِهَا . وَبَيْتُ الْأَعْشَى عَلَى هَذَا ، وَهُوَ قَوْلُهُ : * تُرِيكَ الْقَدَّى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ^(٢) *

أَيْ تُرِيكَ الْخَمْرَةُ فِي الزَّجَاجَةِ الْقَدَّى مِنْ قُدَّامِهَا ، وَهِيَ قُدَّامُ الْقَدَّى :

(١) فِي النَّسْخَيْنِ : « تَحْوِلْ » .

(٢) عَزَّزَهُ كَافٍ دِيوَانُ الْأَعْشَى : ١٤٧ :

* إِذَا ذَاقَهَا مِنْ ذَاقَهَا يَتَمْعِقُ *

أى تريك الزجاجة ما خلفها من قدامها لصفاء المخراة فيها . ومعنى أَنْهَرْتُهُ : وسعته حتى جعلته كالنهر سعة . والنهر نفسه سمي بذلك لاتساعه . ومنه المنهارة ، وهي فضلاً بين بيوت الحى يلقون فيه كنانستهم . وفي هذا الوصف سرف مُستنكر ، وخروج عن القصدِ مُستهجن . وينجحى مجراه في الغلو قول مهابيل :

فَلَوْلَا الرَّيْحُ أَمْعَكَ أَهْلَ حَجَرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ يُقْرَعُ بِالْذُّكُورِ^(١)
واستعمل عنترة لنظر الإبخار مع اقصادي فقال :

أَنْهَرْتُ لَبَّتْهُ بِأَحْمَرَ قَانِيٍّ وَرَشَّاشٍ نَافِذَةً عَلَى الْأَنْوَابِ
٣ - يَهُونُ عَلَىَّ أَنْ تَرُدَّ جِرَاحَهَا عَيْنُونَ الْأَوَاسِيِّ إِذْ حَمِدْتُ بَلَاءَهَا

الأواسي : النساء المداويات للجراح ، والفعل منه أسوة . ويقال للرجال الآسون والأساة . وإنما ذكر النساء لأنهم يأنفون من الصناعات ، ويعلمونها العبيد والإماء وحرائر النساء أحياناً ، إذا لم يكن في غاية بعيدة من الشرف . قوله « أن تردد » موضع رفع على أنه فاعل يهون . و « إذ حمدت » ظرف ليهون ، وهي حكاية حال ماضية . والمعنى : يخف على ردة جراح هذه الطعنة عيون النساء المداويات لها ، إذ حمدت أثرى فيها . وبلاءها ، يجوز أن يكون المراد بلائفي فيها ، ويجوز أن يريد ببلائها شدتها وفظاعتها . والمتصادر تضاف إلى الفاعلين والمفعولين جميعاً .

٤ - وساعَدَنِي فِيهَا ابْنُ عُمَرٍ وَبْنُ عَاصِمٍ زُهَيرٌ فَادَى نَعْمَةً وَأَفَاءَهَا^(٢)

(١) انظر البيان (١: ١٢٤) والحيوان (٦: ٤١٨) وقد الشمر ٨٤ ، واللوشح ٧٤ ، والعبدة (٢: ٥٠) والأغانى (٤: ١٦٤) .

(٢) التبريزى : « خداش فأدى » . وروى من الحبر : أن خداش بن زهير كان للخطيم والده قيس عنده يد ، فدل قيساً على قاتل أخيه وأغاثه عليه ومحنته من أن يبال ثاره . وقد ساق الأمدي في المؤتلف ١٠٧ نسب خداش ، وهو خداش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن عاصى بن ربيعة بن عاصى بن صعصمة .

يجوز أن ينتصب نعمة على الحال ويكون مفعول أدى مخدوفاً كأنه قال : فادأها نعمة ويداً يستحق عليها شكرًا . ويجوز أن ينتصب على أنه مفعول أدى ، ويكون المعنى : ساعدني في هذه الطعنة زهير بن عمرو ، فادى صناعة كانت لي عنده بمساعدته ، واتخذها مفننا لنفسه أيضا . ويجوز أن يكون أفاءها من الفيء : الغيمة ، وهذا قول أبي عبيدة . ويجوز أن يكون أفاءها من الفيء : الرجوع ، أى أداها ورجحها إلى مصطنعها ، لأن الأيدي قروض في الصالحين .

٥ - وَكُنْتُ أُمَّرًا لِأَسْعَى الدَّهْرَسِيَّةَ أَسْبَثْ بَهَا إِلَّا كَشَفْتُ غَطَاءَهَا

يروى « لا أسع » و « لا أسمع ». ومن النطاء قيل غطاء الليل ، وغطا عليهم الشر وغیره . يقول : كنت رجلاً لا أغير شيئاً طول الدهر إلا بنت الناس براءة ساحتى منه . وحقيقة « كشفت غطاءها » أى لم أترك السببية ملتبسة على ساميها ، فكان يتعدد بين تصديقها وتكذيبها ، بل أبنت أمرها وأظهرت وجهها ، حتى بان للناس اختلاق الساب بها ، وكذا به فيها . والسبة ، كالغنة والعصنة وما أشبههما . وذهب بعضهم إلى أن المعنى : إذا رميتك بعين كان حقا على محمود عن نفسك ، بما استألفه من سعي . والأول أحسن .

٦ - مَتَى يَأْتِ هَذَا الْوَتْلُ لَا تَبْقَ حَاجَةً لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا

(١) روى التبريزى بهذه هذه البيت :

فَإِنِّي فِي الْحَرْبِ الْفَرَوْسِ مُوكَلٌ يَقْدَامُ نَفْسِي مَا أُرِيدُ بِقَاءَهَا

وقال في تفسيره : « الفرسون : الشديدة ، من ضرس البقر ، وهو طيبة بالحجارة . ويروى : العوان ، وهى التي قوتل فيها مرة بعد مرأة ». ثم روى بعد هذا البيت الزائد ، البيت رقم ٧ برواية « إذا ما اصطبعت أربعاً » .

(٢) م : « بإن أبنت أمرها » .

(٣) روى هذا البيت منه التبريزى مؤخراً عن تاليه ، ثم روى بعدها :

يُرْوَى « لا يُلْفِ حاجةً » على أن يكون الفعل للموت ، و « لا تُلْفَ حاجةً » على ما لم يسم فاعله ، أى لا توجد . يقول : أحتمد في إدراك الآثار^(١) ، وطلب الآثار ، قبل دُنُوَّ الأجل ، فتى جاء الموت لا يجد حاجةً تتعلق نفسي بها قبل إلا وهي مقضية . ومعنى « قضيتُ قضاها » أى فرَغْتُ منها كقضائي لأمثالها . قوله « هذا الموت » يجوز أن يكون تصوّره [حاضراً^(٢)] لعرفته يادراً كه لا محالة ، وأشار إليه . ويجوز أن يكون لدوان استيقاته وتحذثه بمحبّته ، وكونه من همه ، وأشار إليه على جهة التقرّيب له .

٧— إذا ما شربتُ أَرْبَعَ خَطَّافَ مِنْزَرِي وَأَتَبَعْتُ دُلُوِي فِي السَّيَاحِ رِشَاءَهَا^(٣)

يقول : إذا شربتُ أربعةً كؤوسَ جَرَرَتُ مِنْزَرِي ، فاثرَ في الأرض خُيلاءً وكِبراً ، وتمَّتُ ما بَقِيَ عَلَىَّ من السَّيَاحِ في حال الصَّحْوِ ، كأنَّ مَعْظَمَهُ فعلَهُ صَاحِيَاً ، والباقي منه تَمَّهُ في حال الشُّكْرِ . وهذا الكلام يجري بحسب المثل المعنى الذي بيَّنتَ . حَكَى الأَصْمَعِيُّ أَهْمَمُهُمْ يقولون : « أَتَبِعُ الْفَرَسَ جَاهَهَا » ، و« أَتَبِعُ الدَّلْوَرِ شَاءَهَا » ، أى تَمَّ ما بَقِيَ عَلَيْكَ من أَسْرِكِ . وكأنَّه يُضَرِّبُ لِمَنْ جاد بالكثير وترَكَ القليل الحَقِيرِ . وهذا أجود من قول عنترة العبسى ، وإن

= ثَارْتُ عَدِيَاً وَانْلَطَمْ فَلَمْ أُضْعِنْ ولَا يَأْشِيَخْ جُعِلْتُ إِزَاءَهَا

وقال في تفسيره : « ثارتُه : طلبتُ بثأره ثاراً . والثأر : المصدر . والثأر : المطلوب بالدم ، سمي بالمصدر . يقال : فلان الثأر المنين ، أى هو الذي إذا قتل أئمَّةً طالب الدم عن الطلب . والمشور به : المقتول . والتأثير : المصدر على فعله . قال الشاعر :

طلبتُ به ثأري وأدركَتْ ثُورَتِي بَيْ عَاصِمْ هَلْ كَنْتَ فِي ثُورَتِي نَكْساً

وقوله : جعلت إزاءَهَا ، جعلوني أقوم بها . من قوله : فلان إزاءَ مال ، إذا كان يقوم بإصلاحه » .

(١) آثار مقلوب آثار ، جمع ثار . كما في اللسان .

(٢) التكملة من م .

(٣) التبريزى : « إذا ما اصطحبت أربعاً » كما سبق التنبيه .

كان مفضلاً عند كثير من الناس على قول عمرو بن كُلثوم ، وقول عنترة :
 وإذا انتشت فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يُكلم
 وإذا صحوت فما أقصر عن ندبي وكما علمت شهائلي وتكريبي
 وبيت عمرو :

مُشَعَّشَةً كَانَ الْحَصَنَ فِيهَا إِذَا مَا لَمَاهَ خَالَطَهَا سَخِينَا
 لأنَّ هذا قال : إننا نتسخى إذا شربنا الماء ممزوجة . وما قاله عنترة في بيتهين
 أشار إليه قيس في مصراع . وكان ابن الأعرابي يذهب في قوله « سخينا » إلى
 أنه يقال ماء مُسَخَّنٌ وسَخِينٌ ، وإن كان فقيل في معنى مُفَعَّل قليلاً . وانتصب
 عنده على أنه حال للماء . ويكون المراد على طريقته : كأنَّ الْحَصَنَ فِيهَا إِذَا مُزِّجَ
 بماء سخين . وهذا لهرَبَه مَا استقيمه الناسُ . وهو حَسَنٌ ، لكنه يقتضي أن
 يكون بِلَادُهُ صَرُوداً^(١)

٣٧

الحارث بن هشام المخزومي^(٢) :

وهو أخُو أبي جهيل لعنة الله . وكان هرب يوم بدر لما أنزل الله تعالى النصرَ
 على رسوله عليه السلام .

١ - اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قَاتَلَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بأشقرَ مُزِيدَ

(١) الصرود : البلاد الباردة ، يقابل البروم ، وهي البلاد الحارة .

(٢) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، كان شريراً مذكورة ،

شهد بدوا مع المشركين وكان فيهم أنهزم ، فغيره حسان بقوله :

إن كت كاذبة الذي حدثني فنجوت منجي الحارث بن هشام
 ترك الأجرة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طرفة وبلام
 فأجابه الحارث بهذه الحماية ، ثم شهد أحداً مشركاً أيضاً ، ثم أسلم يوم فتح مكة ،
 واستشهد يوم اليرموك . الإصابة ١٥٠٠ والسيرية في غير ما موضع .

أخذ يستشهد بربه ، وينتصل من هببه ، بأنه لم يأته إلا بعد غلبة اليأس من نفسه عليه إن ثبتَ ، وإلا بعد أن ضُرِّج بالدم الشامل له ولفرسه . ومثله قول مهلل :

لَمْ أَرِمْ حَوْمَةَ الْكَتِيْبَةِ حَتَّى حَذَى الْوَرَدَ مِنْ دُمِّي نِقاَلَا^(١)
وهذا فاصل عن درجة ما تقدم ، لأنَّه يعتذر مما آتَاه من المرب في وقته ،
وذاك أورده مورد المتبعج ، وأنَّه خلقه ومذهبُه ، لعلمه بمصادر الحروب
ومواردها . قوله : « الله يعلم » لفظه لفظ الخبر ، والقصد إلى التحريف ؛ لأنَّه
يستشهد بربه فيقول : علم الله ما تركت مقاتلتهم ، حتى جرحتني فسأل مِنْ على
فروسي دم أشرف كثير ، علاه زبد .

٢ - وعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقْتَلُ وَاحِدًا أَقْتَلُ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشَهِدِي^(٢)
أراد : حتى علمت . وإنما أطلق لفظة علمت لارتفاع الشبه عن اعتقاده
ذلك^(٣) . وانتصب واحداً على الحال ، والمعنى منفرد ، وواحدها هنا صفة ،
والمعنى : وحتى تيقنت أنَّي إن ثبت في وجوههم ، وانتصب منفردًا لمقاتلتهم
قتلت ، ولا يضر حضوري أعدائي . ونبه بقوله : « ولا يضرُّ عدوِّي مَشَهِدِي »

(١) الذي : جمع دم . وفي م : « من دماء » وما يعنى .

(٢) روى التبريزى بيتاً بين هذا وسابقه ، وهو :

وَسَمِّيَتْ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تَلَاقِهِمْ فِي مَازِقِ وَالْخِيلِ لَمْ تَبْدِدْ
قال التبريزى : « وبروى : ووجدت . وهو مثل ، ومعنى أنه غلب ظنه أنه لو وفت
قتل . والتقاء ، مأخوذ من لقيت ، فيجوز أنه يستعمل في معنى اللقاء . وعلى ذلك حملوا
قول الراعى :

أملت خيرك هل تأتى مواعده فال يوم قصر عن تلقاءك الأمل
وأكثر ما يستعمل تلقاء في معنى نحو الشيء ، كما جاء في الكتاب العزيز : تلقاء
 أصحاب النار . أى نحوهم » .

(٣) هذا الصواب من م والتربيزى . وفي الأصل : « لإيقاع الشبه على اعتقاده ذلك » .

أَنَّهُ لَوْكَانَ فِي ثَبَاتِهِ ضَرَرٌ عَدُوٌ ثَبَتَ فِي وِجْهِهِ، وَلَمْ يُبَالْ بِقَتْلِهِ. وَقَوْلُهُ «عَدُوٌّ» يُفِيدُ الْكَثْرَةَ وَإِنْ كَانَ لِفَظُهُ مُوحَدًا.

٣ - فَصَدَّدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحْبَةِ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابٍ يَوْمَ سَرْمَدٍ

يقال : صَدَّ فَلَانٌ عَنِّي ، إِذَا صَرَفَ وِجْهَهُ صَدُودًا ، وَصَدَّتْهُ أَنَا عَنْ كَذَا صَدًا . وَحُكِيَ أَصْدَدْتُهُ ، وَلِيُسْ بِشِيءٍ . يَقُولُ : أَعْرَضْتُ عَنْهُمْ وَدَمَاؤُهُمْ وَأَسْرَاؤُهُمْ فِيهِمْ ، وَلَمْ أَنْلَهُمْ وَلَمْ أَظْفَرْهُمْ بِهَا . وَهَذَا يَدْلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُوْتَوْرًا . وَإِنَّمَا حَارَبَهُمْ لِطَلَبِ دَمَاهُ كَانَتْ لَهُ فِيهِمْ . وَقَوْلُهُ «الْأَحْبَةِ» عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ أَحْبَبَهُمْ . وَيُحُوزُ أَنْ يَرِيدُ بِالْأَحْبَةِ أَحْبَةً نَفْسَهُ ، وَيُكَوِّنُ لِلرَّادِ دَمَاهُ أَحْبَتِي وَأَسْرَائِي فِيهِمْ . وَقَوْلُهُ «طَمَعًا» اتَّصَبَ عَلَى أَنَّهُ مُفْعُولُ لَهُ ، وَهُوَ النَّى يُسَمَّى مُصْدِرًا لِعِلَّةِ . وَالْمَعْنَى : فَعَلَتْ ذَلِكُ لَطْمَعُ فِي أَنْ يُعَقِّبَ اللَّهُ تَعَالَى لِي يَوْمًا يُرْصِدُ الشَّرَّ لَهُمْ ، وَيُمَكِّنُنِي مِنْهُمْ ، فَأَتَهْزُزُ الْفَرْصَةَ وَأَرْوِي الْغَلَةَ^(١) . وَيَقُولُ : رَصَدْتُ فَلَانًا بِالْكَافَافَةِ ، وَرَصَدْتُ لَهُ أَيْضًا وَأَرَصَدْتُهُ ، وَأَنَا سَرْمَدٌ لِفَلَانٍ بِعَا كَانَ مِنْهُ حَتَّى أَكَافَهُ . وَيُحُوزُ أَنْ يُكَوِّنُ اتَّصَابَ «طَمَعًا» عَلَى أَنَّهُ مُصْدِرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالتَّقْدِيرُ : صَدُوتُ عَنْهُمْ طَامِعًا . وَالْعِقَابُ يُحُوزُ أَنَّ يَرَادُ بِهِ الْعَاقِبَةِ ، وَيُحُوزُ أَنَّ يَرَادُ بِهِ الْكَافَافَةِ . يَقُولُ : أَوْلَاهُ خَيْرًا فَعَقَبَهُ شَرٌّ ، عَقَبَهُ وَعِقاًبًا وَعُقْبَى . وَإِذَا كَانَ لِلْفَرَسِ بَعْدَ انْقِطَاعِ جَرِيَّهِ بَجَامٌ قِيلَ لَهُ عِقَابٌ ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ . وَمِنْ روْيِ «يَوْمِ سَرْمَدٍ» فَالسَّرْمَدُ قَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ دَوَامُ الزَّمَانِ وَاتِّصَالُهُ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ . وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : «قُلْ أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ، فَيُكَوِّنُ الْمَعْنَى : بِعِقَابِ يَوْمٍ طَوِيلٍ

(١) كَانَ حَقَّهُ أَنْ يُبَثَّتَ فِي الْمَنْ رِوَايَةُ «مَرْصَدٍ» لِأَنَّهَا الرِّوَايَةُ الَّتِي جَعَلَهَا أَسَاسًا فِي التَّفْسِيرِ ، كَمَا صَنَعَ التَّبَرِيزِيُّ مِنْ جَمِيلِهِ رِوَايَةُ «مَرْصَدٍ» أَسَاسًا فِي الْمَنْ وَالْتَّفْسِيرِ .

(٢) هَذَا مَا فِي مِنْ . وَفِي الْأَصْلِ : «غَلِيلٌ» .

يَتَّصُلْ زَمَانُهُ ، وَيَتَبَدَّلْ بِلَوْهٍ . وَأَيَامُ الْغَمَّ وَالْخَنَّةِ تُوصَفُ بِالْطُّولِ ، وَلِهَذَا قِيلَ :
مَضِي لِعْلَانٍ يَوْمٌ كَأَيَامٍ ، وَشَهْرٌ كَدَهْرٍ .

٣٨

قال الفرار السلمي^(١) :

١ - وَكَتِيبَةٍ لَبَسَتُهَا بَكْتِيَّةٍ حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضَتْ لَهَا يَدِي
هذا يتَّبِعَجَّ بِأَنَّهُ مِنْيَاجٌ شَرٌّ وَأَذَى ، وَجَمَاعٌ بَيْنَ كُعَابَ شَتَّى تَقَاتِلُ مِنْ
دُونِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ هُوَ مِنْ بَيْنِهِمْ غَيْرُ مُبَالِ بِهَا يُبَرُّونَ إِلَيْهِ ، وَلَا مُفَكَّرٌ فِيمَا يَنْتَجُ مِنْ
الشَّرِّ فِيهِمْ . فَيَقُولُ : رَبُّ كَتِيبَةٍ خَلَطَتْهَا بَكْتِيَّةٍ ، فَلَمَّا اخْتَلَطَتْ نَفَضَتْ يَدِي
مِنْهُمْ وَلَهُمْ ، وَخَلَيْهِمْ وَشَانِهِمْ . وَكَتِيبَةٍ ، أَلْحَقَ الْمَاءَ بِهَا لَأَنَّهُ جَعَلَ أَسَماً ، وَهُوَ
مِنْ كَتَبَتْ أَيْ جَمَعَتْ . وَتَوَسَّعُوا فِي النَّفَضِ — وَأَصْلُهُ الإِلْقاءُ وَالْإِمَاطَةُ —
فَقِيلَ : نَفَضَتْ الْيَدَ مِنْ فُلَانٍ وَلِفُلَانٍ أَشَدَّ النَّفَضِ ، إِذَا وَكَلَتْهُ إِلَى نَفْسِهِ ،
يَالسَّا مِنْ رَجَعَتْهُ ، وَفِي ضِدِّهِ يَقَالُ : قَبَضَتْ عَلَيْهِ كَفَّيْ ، وَجَمَعَتْ عَلَيْهِ يَدِيْ .
وَقَدْ قَالُوا : نَفَضَتْ الطَّرِيقَ أَيْضًا ، وَفَرَقَتْ النَّفَضَةَ فِي الطَّرُقِ . وَذَكَرَ
بعضُهُمْ^(٢) أَنَّ قَوْلَهُ : « حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضَتْ لَهَا يَدِيْ » وَ« بَهَا يَدِيْ » ،
الْمَرَادُ بِهِ قَنَعَتْ فَرَسِيْ بِسَوْطِيْ . كَأَنَّهُ لَمَّا ضَرَبَ فَرَسَهُ إِنْمَا نَفَضَ يَدَهُ . يَاصِفُ
سُرْعَةَ ضَرِيْهِ بِالسَّوْطِ ، وَأَنَّهُ لَا كُلْفَةَ عَلَيْهِ بِهِ . قَالَ : وَهَذِهِ السُّرْعَةُ مُسْتَحْبَةٌ
فِي ضَرِبِ السَّوْطِ ، كَمَا يُسْتَحْبِطُ فِي الْعَمَلِ بِالسَّلاحِ . وَمِنْ رَوَى « بَهَا » يَحْوزُ أَنَّ

(١) الفرار شاعر مختصر، أدرك الجاهلية والإسلام، واسمها حيان (ويقال حيان) بن الحكم. أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم راية سليم يوم الفتح ثم نزعها منه وأعطاه يزيد بن الأخفش. وكان الفرار من شهد حنينا. سليم، بالتصغير: اسم قبيلته. انظر الإصابة ١٥٥١.

(٢) يعني بذلك ابن جني، والنuss الذي تلقاه المرزوقي مثبت في كتاب النبيه لابن جني.

يريد المختصرة. انتهت الحكاية عنه. والتعجب من إدراكه لهذا المعنى يمنع من الكلام عليه. فسبحان من لا يحتاج إلى التفسير.

٣— فَتَرَكُتُهُمْ تَقِصُ الرَّمَاحُ ظَهُورَهُمْ من بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدٍ قوله « تقىص » أى تكسير في موضوع الحال لهم . وكذلك قوله « من بين منعفر وآخر مسند » والعامل في الأول تركتهم ، وفي الثاني تقىص . يقول : فارقهم والرماح تختلف بالطعن بينهم ، وتكسر ظهورهم ، فهم من بين مصروع ألقى في القبر ، وهو التراب ، وآخر مطعون أو محروم ، وقد أنسندا إلى ما يمسكه وبه رمق .

٤— مَا كَانَ يَنْفَعُنِي مَقَالُ نِسَاءِهِمْ وَقُتِلَتُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ لَا تَبْعَدِ^(١) قول « ما كان » يجوز أن يكون ما استفهماماً وكان تبعلاً الناقصة ، ويجوز أن يكون نفيماً وتجعل كان مؤكدة ، وبهذا الكلام على أنه لو ثبت لم ينفعه الثبات . فيقول : أى شئ كان ينفعني قول التوادب لي لا تبعد وقد قتلت . ومعنى لا تبعد : لا تهلك . يقال بعد ، إذا هلك ، وبعد ، إذا نأى . وكانوا يذلون بهذه اللفظة عند الندب بها على مساس الحاجة إلى حياة المندوب ، وقلة الاستغاثة عنه . وإذا كان كذلك فالوجه أن ينطبق به من كان محمود الحياة ، وعزيز الفقدان . وقوله « خلف رجالهم » نبه على أنه لو ثبت لكان يدفع وجه الكتبية ، ويصير واقياً لأصحابه ، وحائلاً بين الأعداء وبينهم ، فلا يمكنهم تجاوزه إلا وقد فرغوا منه . فلهذا قال « وقُتِلَتُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ ». وموضع « لا تبعد » وهو حكاية ، رفع أو نصب على أنه بدل أو مفعول من مقال نساءهم . قوله وقُتِلَتُ ، في موضوع الحال للمضمر في ينفعني ، والعامل فيه مقال أيضاً ، وخلف رجالهم حال للمضمر في قتلت .

(١) البريزى : « دون رجالها » .

٣٩

وقال بعض بنى أسد^(١) :

١- يَدَيْتُ عَلَى بْنِ حَسْحَاسِ بْنِ وَهْبٍ بَأْسَفَلِ ذِي الْجَدَاءِ يَدَ الْكَرِيمِ^(٢)
 إنما عَدَّى يَدَيْتُ بَعْلَى، لِأَنَّهُ أَجْرَى بِمَرْجِي أَنْفَتَ . وَهُمْ يَحْمِلُونَ النَّظِيرَ عَلَى
 النَّظِيرِ، كَمَا يَحْمِلُونَ النَّقِيسَ عَلَى النَّقِيسِ . وَقَالَ الْأَخْشَشُ : يَقُولُ يَدَيْتُ عِنْدَهُ
 وَأَيْدَيْتُ جَيْعًا، إِذَا اتَّخَذْتَ عِنْدَهُ صَنْيَعَةً، وَإِنْ كَانَتْ أَيْدَيْتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى
 أَشْهَرَ مِنْ يَدَيْتُ، لِأَنَّ يَدَيْتُ اشْتَهَرَ فِي أَصْبَتْ يَدَهُ، كَمَا تَقُولُ : رَأْسُهُ وَوَجْهُهُ
 وَصَدْرُهُ، إِذَا أَصْبَتْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ مِنْهُ . وَمَعْنَى هَذَا الْبَيْتُ : اتَّخَذْتُ عِنْدَهُ هَذَا
 الرَّجُلَ بِهَذَا الْمَكَانِ يَدًا غَرَاءً، وَصَنْيَعَةً شَرِيفَةً، مِثْلُهَا يَفْعَلُ الْكَرَامُ . وَقَوْلُهُ :
 « يَدَ الْكَرِيمِ » نَبَّةً عَلَى هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذُكِرَ نَاهًا، وَيُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَصْدِرُ
 يَدَيْتُ يَدُّيَا، مِثْلَ جَرِيْتُ جَرِيَا، لَكِنَّهُ وَضَعَ الْيَدَ مَكَانَهُ . فَإِنْ قِيلَ :
 مَا تُنَكِّرُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْحَدَّثِ، وَقَدْ حُذِفَ لَامُهُ كَمَا حُذِفَ مِنْ اسْمِ الْعَيْنِ؟
 قَاتُ : اسْمُ الْحَدَّثِ لَمْ يَكُنْ كَثِيرًا اسْمُ الْعَيْنِ، وَإِذَا كَانَ حُذِفَ اللَّامُ مِنْ
 اسْمِ الْعَيْنِ حُذِفَ لِكَثِيرَةِ الْاِسْتِعْمَالِ، فَيُحِبُّ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْحَدَّثِ الَّذِي لَمْ

(١) هو مقل بن عامر الأسدى . ذكر التبريزى من سبب الشعر « أن مقل بن عامر الأسدى أخا حضرى بن عامر ، وهو فارس الدعاء ، صر يوم جبلة على ابن الحسخاس بن وهب الأبيوى وهو صريح ، فاحتمله إلى رحله وداواه حتى برى » ، م كشاف وأداته إلى أهله » .

(٢) الجدأة ، بالذال المهملة هي رواية الأصل ومعجم البلدان . قال ياقوت : « موضع في بلاد غطfan ». وفي م والتبريزى : « الجدأة » بالذال المجمعة . وذ كر ياقوت أنها لغة في « الجدأة » بالذال المهملة ؛ وممما يكن فالكلمة مفتوحة الجيم . لكن قل التبريزى عن المجرى أن الرواية المشهورة « الجدأة » بكسر الجيم . وابن حسخاس ، قل التبريزى أنه يروى : « ابن حسان » .

يكثر استعماله لا يجري مجرأه . وقوله : « ابن حَسْحَاسٍ » من الحُسْنَسِ ، وهو إحرق العِلْد بالثار .

٢— قَصَرْتُ لَه مِنَ الْحَمَاءِ لَا شَهِدْتُ وَغَابَ عَنْ دَارِ الْحَمِيمِ
القصْرُ : الْجُبْسُ وَالرَّدُّ ، وَمِنْهُ الْقَصْرُ وَالْقُصَارَى : الْفَاهِيَةُ . وَالْحَمَاءُ :
ثَانِيَتُ الْأَحْمَمِ ، وَهُوَ الْأَسْوَدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَالْحَمَمُ : الْفَحْمُ . وَجَارِيَةُ حُمَّةٍ
أَيْ سُودَاءُ . وَهَذَا تَقْسِيرُ النُّعْمَةِ الَّتِي أَتَخْذَهَا عَنْهُ . فَيَقُولُ : لَا وَجْدَتِه جَرِيَّحًا ،
وَفِي الْمَرْكَةِ طَرِيجًا ، قَدْ غَابَ عَنْهُ ذَوَوُهُ وَالْمَسْفِقُونَ عَلَيْهِ ، جَبَسْتُ عَلَيْهِ فَرَسِي
فَأَرْدَفْتُهُ . وَجَوَابُ لَا مَقْدَمٌ ، وَهُوَ قَصَرْتُ . كَأَنَّهُ قَالَ : لَا رَأَيْتَه كَذَا
جَبَسْتُ عَلَيْهِ فَرَسِي . وَحْدَفُ مَفْعُولٍ شَهِدْتُ لَأَنَّهُ أَمِنَ الْاِلْتَبَاسِ . وَقَوْلُهُ :
« وَغَابَ عَنْ دَارِ الْحَمِيمِ » كَانَ وَجْهُهُ أَنْ يَقُولُ : لَا شَهِدْتُهُ وَغَابَ حَمِيمُهُ ،
لَكِنَّ الْمَعْنَى لَا يُخْبِلُ^(١) . وَالْحَمِيمُ : الْقَرِيبُ الْمُشْفِقُ . وَالْحَامِمُ : خَاصَّةُ الرَّجُلِ مِنْ
أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ، وَيَقُولُ هُوَ الْأَحْمَمُ مِنْ ذُوِّ قَرَابَتِهِ^(٢) ، أَيْ الْأَخْصُّ .

٣— أَبْنَيْتُ بَانَ الْجُرْحَ يُشْوِي وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْلَزَةِ جَهُومٍ
هَذَا مَا تَعْمَلُ بِهِ الصَّنْعَةُ عَنْهُ ، بَعْدَ أَنْ ارْتَدَفَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَلَادَهُ بِقَوْلِهِ
« الْجُرْحُ يُشْوِي » ، وَمَنَاهُ بِقَوْلِهِ « وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْلَزَةِ جَهُومٍ » . وَيَقُولُ : رَمَاهُ
فَأَشْوَاهُ ، إِذَا أَصَابَ غَيْرَ الْمَقْتَلِ . وَالْجَهُومُ : الَّذِي لَا يَنْقُطُعُ حَرْبُهُ . وَالْعِجْلَزَةُ :
الصَّلْبَهُ . وَبَئْرَهُ جَهُومٌ مِنْ هَذَا ، لَأَنَّ مَاهِهَا يَغُورُ أَحْيَانًا ثُمَّ يَعُودُ وَيَغْزُرُ .
وَالْمُرَادُ : أَنَّ تَبْلِيغَكَ الْمَأْمَنَ بِهِ مَهْلَكٌ ، وَأَنَّ مَا بِكَ^(٣) مِنْ الْجُرْحٍ هَيْنَ .

(١) يَقُولُ أَخَالُ الشَّيْءَ : أَشْتَهِهُ ، وَهُوَ الْأَمْرُ لَا يُخْبِلُ عَلَى أَحَدٍ ، أَيْ لَا يُشَكِّلُ . الْأَسَانُ .

(٢) هَذَا مَا فِي مِنْ . وَفِي الْأَصْلِ : « مِنْ ذِي قَرَابَةٍ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « مَا بَانَ » ، صَوَابُهُ مِنْ مِنْ وَالْتَّبَرِيزِيِّ .

٤ - وَلَوْ أَنِّي أَشَاءْ لَكُنْتُ مِنْهُ مَكَانَ الْفَرِقَدَيْنِ مِنَ النَّجُومِ
 يُبَيِّنُ بِهَذَا أَنَّهُ تَبَرَّعَ بِمَا فَعَلَ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَلْزِمْهُ لِزُومَ الْوَاجِبِ الَّذِي لَا يَسُوغُ
 الْإِخْلَالُ بِهِ ، فَيَقُولُ : لَوْ شِئْتُ لَبَعَدْتُ مِنْهُ بَعْدَ الْفَرِقَدَيْنِ مِنَ النَّجُومِ السَّيَارَةَ ،
 وَهِيَ الَّتِي يَحْلُّ فِيهَا النَّبِرَانُ ، وَالْفَرِقَدَانُ لَا حُلُولَ فِيهِ^(١) ، وَهَذَا يَجْرِي مُجْرِي قَوْلِهِمْ :
 «هُوَ مِنِّي مَنَاطِقَ التَّرَيَّا» فِي أَنَّ الْمَرَادُ بِهِ التَّبَعِيدُ ، وَيَحْمِلُ أَنَّ يَرِيدَ بَعْدَتُ مِنْهُ
 بَعْدَ الْفَرِقَدَيْنِ ، ثُمَّ يَبَيِّنُ أَنَّ الْفَرِقَدَيْنِ مِنَ النَّجُومِ ، فَيَكُونُ مِنَ النَّجُومِ تَبَيِّنَـا ،
 كَقَوْلِهِ تَعَالَى : «فَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأُوتَانِ» . وَيَحْمِلُ أَنَّ يَرِيدَ بِالنَّجُومِ
 نَبَاتَ الْأَرْضِ ، لَأَنَّ كُلَّ مَا طَلَعَ فَقَدْ نَجَمَ ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى بَعْدَ الْفَرِقَدَيْنِ مِنَ
 الْأَرْضِ وَمِنْابِهَا ، وَيَكُونُ فِي هَذَا الْمَعْنَى شَبَهٌ إِلَغَازٍ فَيَضُعُّفُ .

٥ - ذَكَرْتُ تَعِلَّةَ الْفِتْيَانِ يَوْمًا وَإِلْحَاقَ الْمَلَامَةِ بِالْمُلِيمِ
 يَبَيِّنُ بِهَذَا الْكَلَامَ أَنَّهُ اتَّقَى بِمَا فَعَلَ تَوَجَّهَ الذَّمَّ إِلَيْهِ مِنَ النَّاسِ ، فَيَقُولُ :
 أَخْطَرَتُ بِيَالِي مَا يَتَعَلَّلُ بِهِ الْفِتْيَانُ فِي حَافِلَيْهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ ، وَتَقْبِيَهُمْ مِنْ أَخْبَارِ
 النَّاسِ مَا يُسْتَحْقِقُ بِفَعْلِهِ أَوْ بِتَرَكِهِ عِنْدِهِمْ ذَمَّ ، فَيُلْحِقُونَ بِهِ اللَّوْمَ ، وَيَهْجُّونَهُ
 فِي أَحْكَامِ الْفُتُوْةِ . وَمَصْدِرُ قَوْلِهِ «ذَكَرْتُ» الَّذِي كَرْبَضَ النَّذَالَ لِأَنَّهُ كَانَ
 بِالْقَلْبِ ، وَالَّذِي كَرْبَسَ النَّذَالَ بِاللِّسَانِ . وَالْمُلِيمُ : الَّذِي يَأْتِي بِمَا يُلَامُ عَلَيْهِ . قَوْلُهُ
 «تَعِلَّةً» مَصْدِرُ عَلَّاتِهِ ، فَهِيَ كَالتَّقْدِيمَةُ وَالْتَّكْرِيمَةُ . وَيَحْمِلُ أَنَّ يَكُونَ تَسْمِيَتُهُمْ
 الْمُعَلَّلُ ، وَهُوَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْعَجَوزِ ، مِنْ هَذَا ، كَأَنَّهُ يَعْلَلُ النَّاسَ بِشَيْءٍ مِنْ
 تَحْقِيقِ الْبَرِدِ .

(١) نَزَلَ الْفَرِقَدَيْنِ لِتَلَازِمِهِمَا مَنْزَلَةُ الْمَفْرَدِ .

٤٠

وقال الشدّاخُ بْنُ يَعْمَرَ الْكَنَانِيَّ (١) :

١— قاتلِيَ الْقَوْمَ يَا خُزَاعَ وَلَا يَدْ خُلُكُمْ مِنْ قِتَالِهِمْ فَشَلُ (٢)

يروى «قاتلوا» و «قاتل» على اللفظ مرّة وعلى المعنى أخرى ، وجعل النهي في اللفظ للفشل ، ول المراد لا تفشوا . وهذا بعث وتحضيض ، فيقول : حاربي (٣) أعداءك (٤) ياخذأة ، ولا يتدخلكم الجبن والضعف منهم . وخزاعة ، قال الخليل : هو من خزاع عن أصحابه إذا تخلف ، لأنهم تخلفوا عن قومهم بمكمة أيام سيل العرم .

٢— الْقَوْمُ أَمْثَالُكُمْ لَهُمْ شَرُورٌ فِي الرَّأْسِ لَا يُنْشَرُونَ إِنْ قُتُلُوا (٥)
يبين بهذا الكلام أنهم ناس كما أن خزاعة ناس ، فيقول : لا تهابوه فإن خلقتم كخلقكم ، وإنهم إذا قتلوا لم يحيوا من فوقهم ، فيرجعوا إلى القتال . هذا

(١) الشدّاخ بن يعمر الكنّانى ، شاعر جاهلى ، من بي كنانة بن خزعة . وكان من خبر هذه الأيات كاروى العبرى ، أنه كان بين بي كنانة وخزاعة حلف على التناصر والعاضد على سائر الناس ، فاقتلت خزاعة وبني أسد فاعتلتها بنو أسد ، فاستعادت خزاعة بي كنانة ، فذكر الشدّاخ قرابة بي أسد ، فخذل كنانة عن نصرة خزاعة ، وبهذا السبب انحدرت بنو أسد من تهامة إلى محمد غضبا على بي كنانة إذ لم ينصرهم .

(٢) ابن جنى : « هذا الشعر من البحر المنسرح ، وإنشاده على هذا الظاهر يكسره ، وذلك أن أول المنسرح لا يجوز فيه فاعلن ، وبروى : فقاتل ، وإذا روى هكذا كان وزنه مفاعلن ، وهذا جائز فيه ، لأنه خبن مستفعلن » .

(٣) م : « جازى » .

(٤) في الأصل : « أعدائى » ، والوجه ما أثبتنا من م .

(٥) ابن جنى : « وضع الرأس موضع الرؤوس ك قوله : * في حلقكم عظم وقد شجينا * » .

مبالغة في الاستحسان والتَّجْسِيرِ . وجعل قوله : « لَهُمْ شَعْرٌ فِي الرَّأْسِ »
بما بعده ، تفسيراً للماءلة وتبدييناً . وجواب إن قُتِلُوا فيها تقدَّم عليه .

٣- أَكُلَّمَا حَارَبَتْ خُزَاعَةً تَهْ دُونِي كَأْنِي لِأَمْهِمْ جَهَلُ

قوله : « كَأْنِي لِأَمْهِمْ » في موضع الحال ، أي تخدوني مشبهًا جهلاً لأمهم .
وكَلَّمَا ظَرْفٌ لقوله تخدوني . وكأنه قال : تخدوني خُزَاعَةً كَلَّا حَارَبَتْ ، أي
تسوقي لنصرِها والدَّفاعِ عنها ، كأن ناصِح لأمهم يُستَقِي عليه الماء ، فيقال
له أَقْبِلَ بالدَّلْوِي وَادْبِرِ . وذَكَرَ الْأَمَّ تغليظاً لِلقولِ وتخشيناً . وقوله « أَكُلَّمَا » ،
كأنه أقبلَ على إنسانٍ بعدَ أنْ كانَ بعَهْمِ وجرَأَهُمْ على قتالِ أعدائهم ، فقال على
طريق الإنكار ما قال .

٤١

وقال أَخْلَصِينُ بْنُ الْحَمَامِ الْمَرِيُّ^(١) :

١- تَأَخَّرْتُ أَسْتَبِقُ الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا
يمحوز أن يكون هذا مثل قوله : « الشَّجَاعُ مُوَقِّ » . وفي طريقته
قول الآخر :

أَكَانَ الْجَبَانُ يُرَى أَنَّهُ سُيُقْتَلُ قَبْلَ انْقْضَاءِ الْأَجَلِ

(١) الحصين بن الحمام المري ، من صرة غطفان ، وهو سرة بن عوف بن سعد بن ذبيان
ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . والحمام ، بضم الماء ، قيل إنه عرق الحيل . وهو
شاعر جاهلي مقل . قال أبو عبيدة : انقووا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة : السيد بن
علس ، والملبس ، ومحسين بن الحمام المري . الشعراء ٦٣٠ والاشتقاق ١٧٦ والاستيعاب
وأسد الغابة والإصابة ، والمؤنث ٩١ والأغانى (١٢ : ١١٨ — ١٢٤) والحزنة ،
٧ : ٢ — ٣ / ٣٥٢ — ٣٥٥ .

فَقَدْ تُدِرِكَ الْحَادِنَاتُ الْجَبَانَ وَيَسَّمَ مِنْهَا الشُّجَاعُ الْبَطَلُ
وَمِثْلُ قَوْلِ الْآخِرِ^(١) :

نُهِنُ النُّفُوسَ وَهُونُ النُّفُو سِيَوْمَ الْكَرِيَةِ أَوْقَ لَهَا
وَيَحُوزُ أَنْ يَقُولُ : أَحْجَمْتُ مُسْتَبِقِيَ لِعِيشِي ، فَلِمْ أَجِدْ لِنَفْسِي عَيْشًا
كَمَا يَكُونُ فِي الْأَقْدَامِ ، وَذَلِكَ لَأَنَّ الْأَحْدُوْنَةَ الْجَمِيلَةَ ، وَالنُّجُوحُ عِنْدَ النَّاسِ فِي
الْمَبَاغِي الْجَمِيدَةِ ، إِنَّمَا يَكُونُ بِالْتَّقْدِيمِ لَا بِالتَّأْخِيرِ ، وَبِالْأَفْتِحَارِ لَا بِالْأَنْهَافِ ، وَمِنْ
ذِكْرِ الْجَمِيلِ وَتُحَدِّثُ عَنْهُ بِالْبَلَاءِ الْحَسَنِ حَيْثِ ذِكْرُهُ وَاسِمُهُ ، وَإِنْ ذَهَبَ أَثْرُهُ
وَجِسْمُهُ . وَقَوْلُهُ : « حَيَاةٌ مِثْلُ أَنْ أَقْدَمْ » مَعْنَاهُ حَيَاةٌ تُشَبِّهُ الْحَيَاةَ الْمَكْتَسِبَةَ فِي
الْأَقْدَامِ وَبِالْتَّقْدِيمِ .

٣- فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمِي كَلُومَنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطِّرُ الدَّمَا

أَرَادَ : لَسْنَا بِدَامِيَةِ الْكَلُومِ عَلَى الْأَعْقَابِ . وَلَوْلَمْ يَجْعَلِ الْإِخْبَارُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ
لِكَانَ الْكَلَامُ لَيْسَتْ كَلُومَنَا بِدَامِيَةِ عَلَى الْأَعْقَابِ . فَيَقُولُ : نَتَوَجَّهُ نَحْنُ
الْأَعْدَاءِ فِي الْخَرْبِ وَلَا نُغْرِضُ عَنْهُمْ ، فَإِذَا جَرِحْنَا كَانَتِ الْجَرَاحَاتُ فِي مُقْدِمَنَا
لَا مُؤْخِرَنَا ، وَسَالَتِ الدَّمَاهُ عَلَى أَقْدَامِنَا لَا عَلَى أَعْقَابِنَا . وَقَوْلُهُ « تَقَطِّرُ الدَّمَا »
إِذَا رُوِيَتْ بِالنَّاءِ كَانَ الْمَعْنَى تَقَطِّرُ الْكَلُومُ الدَّمَ ، فَيَكُونُ الدَّمَ مَفْعُولًا بِهِ . وَيَقَالُ : قَطْرَ
الَّدَّمُ وَقَطْرَتُهُ ، وَهَذَا وَجْهُ حَسَنٍ ، وَإِنْ شَدَّ جَعْلَتِ الدَّمَ مَنْصُوبًا عَلَى التَّبَيِّنِ ،
كَأَنَّهُ أَرَادَ تَقَطِّرُ دَمًا ، وَأَدْخَلَ الْأَلِفَ وَاللَّامَ وَلَمْ يَعْتَدْ بِهِمَا ، كَقَوْلِ الْآخِرِ^(٢) :
* وَلَا يَغْزَارَةَ الشِّعْرِ الرِّقَابَا^(٣) *

(١) هو الحنساء ، كما سبق في حواشي من ١٤٠ .

(٢) رواية ابن جني : « الدَّمَا » بكسر الدال على أنه مقصور « الدَّمَاءِ » . وَذَكَرَ ابن جني في روايته أيضًا : « تَقَطِّرُ الدَّمَا » . من قوله أقطرت الدم ، أى أسلته .

(٣) هو الحارث بن ظالم المري . المفضليات (٢ : ١١٤) .

(٤) صدره : * فَا قَوْيَ بَعْلَةَ بْنَ سَعْدَ *

ويجوز أن يُرمي «يَقْطُرُ الدَّمًا» بالياء، ويكون الدهن في موضع الرفع على أنه فاعل يقطر، لكنه ردّه إلى أصله فأنى به مقصوراً وإن كان الاستعمال بمحذف لامه. ومثل هذا البيت قول القطامي:

لَيْسَ تُجَرَّحُ فُرَارًا ظُهُورُهُمْ وَفِي النَّحْوِ كُلُومٌ ذَاتُ أَبْلَادٍ
٣ - نَقْلٌ هَامًا مِنْ أَنْاسٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْقَ وَأَظْلَمُ
يَقُولُ : نُشَقُّ هَامَتِي مِنْ رِجَالٍ يَكْرُمُونَ عَلَيْنَا لَأَنَّهُمْ مِنَّا ، وَهُمْ كَانُوا
أَسْبَقَ إِلَى الْعَقُوقِ وَأَوْفَرَ ظُلْمًا ، لَأَنَّهُمْ بَدَهُونَا بِالشَّرِّ ، وَأَجْلَوْنَا إِلَى الْقَتَالِ ،
وَنَحْنُ مُنْتَقِمُونَ وَمُجَازِعُونَ .

۳۷

وقال رجلٌ من بني عَقِيلٍ^(١)

وَهَارَبَهُ بَنُو عَمَّةٍ فُقْتَلَ مِنْهُمْ :

١- بَكْرَهُ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرِي وَ نَفَادِيْكُمْ بِرُهْفَةٍ صِـقَالِ
الْكُرْهُ بِالضِـمْنَمِ : الْمَشَقَةُ ، وَالْكُرْهُ بِالْفَتْحِ الْإِـكْرَاهُ . وَسَرَّاًةُ الْقَوْمِ :
خِـيَارُهُمْ . فَيَقُولُ : بِعَشْقَةِ رَؤْسَانِنَا وَكَرَاهِتِهِمْ نَبِـا كِرْكِمْ بِسِيَوْفِ مُـحَدَّدَةِ الْخَدِّ^(٢)
مَصْقُولَةٌ ، وَإِنَما قَالَ «بَكْرَهُ سَرَاتِنَا» لِأَنَّ الرَّوْسَاءَ يَحْبُـونَ التَّأْلِفَ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ
وَإِصْلَاحَ دَارَبَيْنِ ، وَتَرَكَ التَّدَابِرَ وَالْإِخْتِلَافَ ، إِذْ كَانَ عِزُّ الرَّئِـيْسِ بِأَصْحَابِهِ ،
وَحِشْمَتُهُ فِي نُفُوسِ مُـنَابِذِيهِ بِقُوَّةِ ذَوِيِّهِ وَأَفَارِيِّهِ . وَيَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَكَرُ السَّرَّاةِ
وَالْمَلَادِ الْجَمِيعُ . وَالْمَعْنَى : عَلَى كُرْهِهِ مَنَا نَقَاتَلَكُمْ وَلَكُنْكُمْ أَجْلَتُنَا إِلَيْهِ . وَجَمِيعُ

(١) التبريزى : « عقيل : تصغير عقل أو عقل مصدر عقل ، ويجوز أن يكون تحريف عقيل تحريف الترجم ، ويجوز أن يكون تصغير عقال وتصغير أعقل تصغير الترجم منهما » .

(٢) م والتبیری : « مرفقة الحمد » .

صَقِيلًا وَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ عَلَى صَقَالٍ وَذَلِكَ عَلَى غَيْرِ بَابِهِ ، لَأَنَّ التَّكْسِيرَ عَلَى
صَقَالٍ يَكُونُ فَعِيلٌ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ ، نَحْوَ ظَرِيفٍ وَظَرِافٍ وَكَرِيمٍ
وَكَرِامٍ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ فَصِيلٌ وَفَصَالٌ . وَسَاعَ ذَلِكَ لِاتِّفَاقِهِمَا فِي الزَّنَةِ وَالوَصِيفَةِ .
وَرُوِيَ : « بُرْهَفَةُ الصَّقَالِ » ، وَتَكُونُ إِضَافَةُ الْمُرْهَفَةِ إِلَى الصَّقَالِ كَإِضَافَةِ
البعضِ إِلَى الْكُلِّ ، لَأَنَّ الْمَعْنَى بِالْمُرْهَفَةِ^(١) الْحَدُّ مِنَ الصَّقَالِ ، أَيْ مِنَ السَّيُوفِ
الْمُصْقُولَةِ^(٢) .

٢ — نَعْدِيهِنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَتْ مُشَمَّمَةً النَّصَالِ

قَوْلُهُ « نَعْدِيهِنَّ » أَيْ نَصْرِفُهُنَّ . وَيَقُولُ : عَدَ الْمَهْ عنك ، أَيْ اصْرَفُهُ .
وَالبَيْتُ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنَ : أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى نَصْرِفُ السَّيُوفَ عَنْكُمْ إِبْقَاءً
عَلَيْكُمْ ، وَكَراهةً لِاستِئْصالِكُمْ ، وَإِنْ كَانَ نِصَالُهُمَا قَدْ تَغَلَّطَ مِنْ كَثْرَةِ مَا نَقَارَعَ
بِهَا الْأَعْدَاءِ . وَيَحْمُزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : نَصْرُهُمَا وَإِنْ شَلَّمْتُمْ بِكُمْ وَفِيكُمْ ، لَأَنَّ
الْقُدْرَةَ تُذَهِّبُ الْحَفِيظَةَ ، وَلَأَنَّ مَا يَجْمَعُنَا يَدْعُوا إِلَى الْبُقْيَا ، وَالْأَخْذُ فِيهِمْ
بِالْحُسْنَى .

٣ — لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ كَابٌ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادَّتُ بِالصَّقَالِ

قَوْلُهُ « مِنَ الْهَامَاتِ » أَيْ مِنْ دَمَاءِ الْهَامَاتِ وَمِنْ التَّأْيِيرِ فِيهَا . يَقُولُ : هَذِهِ
السَّيُوفُ لَوْنٌ مُقْتَيَّرٌ قَبِيحٌ ، لِكَثْرَةِ مَا يُسْفَكُ بِهَا الدَّمَاءُ ، وَإِنْ كَانَتْ يَجْدُدُ
صَقْلُهُمَا كُلَّ يَوْمٍ . وَالْمَحَادَّةُ : إِعَادَةُ الْمَاءِ إِلَى السَّيْفِ بِالصَّقْلِ . وَقَدْ قَالَ الْحَسَنُ
رَحْمَهُ اللَّهُ فِيمَا حُكِيَّ عَنْهُ مِنْ مَوَاعِيْهِ : « حَادِثُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ فِيهَا سَرِيعَةُ
الذُّورِ ، وَاقْدَعُوا هَذِهِ الْأَنْفُسَ فِيهَا طَلَعَةٌ » . وَقَوْلُهُ « كَابٌ » مِنْ قَوْلِهِمْ كَبَا

(١) وَالْبَيْرِيزِيُّ : « بَلْرَقَةٌ » .

(٢) وَذَكَرَ ابْنُ جَنِيَّ أَنَّ الصَّقَالَ هُنَا أَيْضًا مَصْدَرُ صَقَاتِ ، وَتَأْوِيلُهُ : بُرْهَفَةُ عَنْ
الصَّقَالِ ، كَمَا أَنْ قَوْلُهُ « بَضْةُ التَّجَرِدِ » مَعْنَاهُ بَضْةٌ عَنْ التَّجَرِدِ .

وَجْهُهُ ، إِذَا أَرَبَدَ [وَاسِودَ] . وَكَبَّا نُورُ [الصُّبْحَ وَ^(١) الشَّمْسَ] ، إِذَا نَفَصَ
أَوْلَمَهُ . وَجَوَابُ إِنْ كَانَتْ فِيمَا تَقْدَمَ عَلَيْهِ ، وَالْجَلْهَ فِي مَوْضِعِ الصَّفَةِ لِلْمُرْهَفَةِ .
٤— وَبَنِيكِي حِينَ نَقْتُلُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نَبَالِي
وَصَفَ حُسْنَ صَبْرِهِمْ ، عَلَى مَا يَتَقْرِبُ مِنْ نَائِبِهِ ، وَيَتَجَدَّدُ مِنْ عَارِضِ
حَادِثَةِ ، فَيَقُولُ : بَنِيكِي قَتْلَكُمْ إِذَا قَتَلْنَاكُمْ لَا يَجْمَعُنَا وَإِنَّا كُمْ مِنْ الرَّحِيمِ الْمَاسَةِ ،
وَالْقَرَابَةِ الدَّانِيَةِ ، وَنَقْتُلُكُمْ إِذَا أَحْوَجْتُمُونَا إِلَى قَتْلِكُمْ ، كَأَنَّا لَا نَبَالِي بِمَا يَمْنَعُ مِنْ
ذَلِكَ ، أَوْ يَدْعُوا إِلَى الْجَزَعِ لَهُ . وَقَوْلُهُ « نَبَالِي » نَفْاعِلُ مِنَ الْبَلَاءِ . فَإِذَا قَالَ
لَا أَبَالِيهِ كَأَنَّهُ أَرَادَ : لَا أَحْتَفِلُ بِهِ فَأُعَادَهُ بِلَائِهِ وَبِلَائِهِ وَأَفَارِخِهِ . هَذَا أَصْلُهُ ،
وَقَدْ مَضَى . وَحَكِي سَيْبوِيَهُ : مَا أَبَالِيهِ بِاللهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ الْبَالَةَ كَالْحَانَةِ ، وَأَنَّهُ
حَدِيفٌ يَا وَهُ حَدِيفٌ تَخْفِيفٌ لِأَحَدْفٍ قِيَاسٌ .

٤٣

وقال القتال الكلابي^(٢) :

١— نَشَدَتْ زِيَادًا وَالْمَقَامَةَ يَيْنَنَا وَذَكَرَتُهُ أَرْحَامَ سِعْرٍ وَهَيْمَـ
يَقَالُ : نَشَدْتُكَ اللَّهَ وَالرَّحْمَـ ، وَنَشَدْتُكَ اللَّهَ ، أَى سَأْلَتُكَ بِاللهِ وَبِالرَّحْمَـ .

(١) هذه من م .

(٢) القتال لقب غالب عليه ، واسمه عبد الله بن الحبيب بن المضرحي بن عامر بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن معصومة . وهو شاعر إسلامي . وكان من حديث هذا الشعر كما روى التبريزى وأبو الفرج أن القتال كان يتحدث إلى ابنته عم له ولها أخ غائب ، فلما قدم رأى القتال يتتحدث إلى أخيه ونهاه ، وحللت له لأن رأه ثانية ليقتلنها . فلما كان بعد ذلك رأه عندها ، فأخذته السيف ، ورآه القتال فخرج هارباً وخرج في أثره ، فلما دنامته ناشده القتال بآلة والرحم ، فلم يلتفت إليه ، فبنيا هو يسمى وقد كاد يلتحقه وجد رحمة مركوزاً عند بيت ، فأخذته القتال ثم عطف عليه قتله . واقتصر ترجمته في الأغاني (٢٠٠ . ١٥٨) — (٦٨٦ . ٦٨٧) والمؤلف ١٦٧ والحزنة ٣ : ٦٦٨ — ٦٦٢ والشعراء ٦٨٦ .

يقول : أَقْسَمْتُ عَلَى زِيَادٍ بِاللَّهِ وَأَهْلِ الْجَلْسِ بَيْنَنَا حَاضِرُونَ ، وَلِمَا يَأْتِيهِ كُلُّ
مَنَا مُشَاهِدُونَ^(١) ، وَذَكَرَتْهُ مَا يَحْمِلُنِي وَإِيَّاهُ مِنَ الرَّحِيمِ مِنْ جَهَةِ هَذِينِ الرَّجَائِنِ ،
وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ بِهَذَا عَلَى زُعمِهِ طَلَبًا لِلصَّلْحِ ، أَوْ اسْتَظْهَارًا بِإِقَامَةِ الْحِجَاجِ عَلَيْهِ ،
وَإِلَقاءِ مُغَالِيقِ الْبَعْنَى إِلَيْهِ .

٢ — فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غَيْرَ مُتَّهِمٍ أَمَلْتُ لَهُ كَفِيلًا بِلَدْنٍ مُقَوَّمٍ
يقول : لَمَّا وَجَدْتُهُ لَا يَنْتَهِي بِالْقَوْلِ ، وَلَا يَرْعُو بِالْزَّجَرِ ، حَدَرْتُ لَهُ كَفِيلًا
بِرُمْحٍ لَيْنٍ مُنْقَفِّ فَطَعَنْتُهُ . وَقَوْلُهُ « أَمَلْتُ لَهُ » ، أَى مِنْ أَجْلِهِ « كَفِيلًا بِلَدْنٍ » ،
مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ ، وَبِلِينِ الْكَنَاءِتِ .

٣ — وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّنِي قَدْ قَتَلْتُهُ تَدَمَّتُ عَلَيْهِ أَىًّ سَاعَةً مَنْدَمٍ^(٢)
يقول : لَمَّا بَانَ لِي إِتِيَانُ تِلْكَ الطَّعْنَةِ عَلَيْهِ نَدَمْتُ فِي وَقْتٍ لَمْ تَنْفَعِ النَّدَامَةُ
فِيهِ ، لِفَوْتِ الْأُمْرِ فِي الْإِبْقاءِ . وَهَذَا فِي إِظْهَارِ التَّحْسِيرِ بِهِ كَوْلُ الْآخِرِ^(٣) :
* وَدِدْتُ وَأَنَّ مَا مِنِّي وَدَادِي^(٤) *

وَاتَّصَبَ أَىًّ سَاعَةً عَلَى الظَّرْفِ ، لَأَنَّ أَيَّاً لِمَا كَانَ لِلْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ جَعَلَ
حُكْمَهُ حُكْمَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ .

(١) م : « شاهدون » .

(٢) هَذَا مَا فِي مِنْ التَّبَرِيزِيِّ . وَفِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « فَلَمَّا رَأَيْتَ » .

(٣) هُوَ عُمَرُ بْنُ مُعَاذِكَرْبَ . الْلَّالِي ٦٣ .

(٤) صَدْرَهُ : * تَهَانَى لِي لَقَانِي قَيْسَ *

٤٤

قِيسُ بْنُ زُهْيَرٍ الْمَبْسُوٌّ^(١) :

١— شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمْلِ بْنِ بَدْرٍ وَسَيَقِيَّ مِنْ حَذِيفَةَ قَدْ شَفَانِي
كَانَ حَمْلُ بْنُ بَدْرٍ قُتْلَ مَالِكَ بْنَ زُهْيَرٍ أخَا قِيسَ ، فَظَفَرَ بِهِ وَبِأخِيهِ حَذِيفَةَ
فَقَتَلُوهُما . يَقُولُ : اشْتَفَيْتُ بَقْتَلَ حَمْلِ بْنِ بَدْرٍ . ثُمَّ قَالَ : وَشَفَانِي سَيَقِيَّ أَيْضًا مِنْ
أَخِيهِ حَذِيفَةَ ، لَأَنَّهُ أَتَى عَلَيْهِ لَمَّا أَعْمَلْتُهُ فِيهِ . وَهَذَا مَا جَرَى بَيْنَ عَبْسٍ وَفَزَارَةَ
بِسْبَبِ دَاحِسٍ وَالْغَبْرَاءِ .

٢— إِنْ أَكُّ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أُقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَـانِي
يَقُولُ : إِنْ سَكَنْتُ لَوْعَتِي بِمَجَازَاتِهِمْ ، وَبَرَادْتُ غَلَّتِي ، فَإِنِّي لَمْ أُقْطَعْ بِهِمْ
إِلَّا أَطْرَافَ أَصَابِعِي . وَذَلِكَ أَنِّي كَانَ بِهِمْ ، وَكَانُوا كَالْكَفَ ، فَلَمَا مَاتُوا
وَأَعْوَزَنِي التَّبْجُحُ بِمَكَانِهِمْ^(٢) ، وَالْاسْتِعْلَاءُ عَلَى الْعُدُوِّ بِهِمْ ، صَرَّتُ كَمْ قُطِعَتْ
أَنَامِلُهُ . وَمِنَ الْأَمْثَالِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ : « بِالسَّاعِدِ تَبَطَّشُ الْكَفَ ». .

٤٥

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ وَعْلَةَ الذَّهْلِيِّ^(٣) :

الْوَعْلَةُ : الصخرة المشرفة من أعلى الجبل .

(١) قيس بن زهير : شاعر جاهلي ، كان سيد عبس ، وكانت له ضلوع كبيرة في حرب داحس ، وهو صاحب داحس . انظر أمثل الميداني (١ : ٢٥٠) والأغاني (٧ : ١٤٣ : ١٦ / ٢٣) والقد وكمال ابن الأثير وغيرها ، في حرب داحس والغباء .
(٢) التبجح : الافتخار .

(٣) شاعر جاهلي ، ذكر نسبه في الأغاني (٢٠ : ١٣٢) والمؤتلف ١٩٧ قال « الحارث بن وعلة بن الجفال بن يتربى بن الديان بن الحارث بن مالك بن شبيان بن ذهل بن شيبة ». وهو غير الحارث بن وعلة الجري . انظر المفضلات (١ : ١٦٢ - ١٦٣) .

١ - قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ آخِي فَإِذَا رَمِيتُ يُصِيرِبِينِي إِسْهَمِي
 يقول : قَوْمِي ، يَا أَمِيمَهُ ، هُمُ الَّذِينَ فَجَمُونِي بِآخِي وَوَتَرَوْنِي فِيهِ ، فَإِذَا رُمِتُ
 الانتصار مِنْهُمْ عَادَ ذَلِكَ بِالنَّكَايَةِ فِي نَفْسِي ، لَا إِنْ عَزَّ الرَّجُلُ بِعُشِيرَتِهِ ، وَهَذَا
 الْكَلَامُ تَحَزَّنُ وَتَفَجُّعُ وَلَيْسَ بِإِخْبَارٍ .

٢ - فَلَئِنْ عَفَوْتُ لَا عَفْوَنْ جَلَّا وَلَئِنْ سَطَوْتُ لَا وَهْنَ عَظِيمٌ
 عَفَّاً عَنِ الْمُذْنِبِ وَالْمُذْنِبُ عَفْوًا ، إِذَا صَقَحَ . وَحَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ فَوَصَّلَ
 لَا عَفْوَنْ بِنَفْسِهِ . وَالْكَلَامُ تَحَسَّرُ وَتَوَجُّعُ . يَقُولُ : إِنْ تَرْكَتُ مُؤَاخِذَتَهُمْ ،
 وَأَطْرَحْتُ طَلَبَ الانتقامِ مِنْهُمْ ، صَفَّقْتُ عَنْ أَعْزَى عَظِيمٍ ، وَإِنْ سَطَوْتُ عَلَيْهِمْ
 أَضَعَفْتُ عَظِيمٍ ، وَهَدَدْتُ رُكْنِي . وَالْجَلْلُ يَزْعِمُ أَهْلَ الْلُّغَةِ أَنَّهُ مِنَ الْأَضَدَادِ ،
 يَقُولُ عَلَى الصَّعِيرِ وَالْكَبِيرِ ، وَهَا هُنَا يُرَادُ بِهِ الْكَبِيرُ . وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ :

* وَمِنَ الْأَرْزَاءِ رُزْءَ دُوْ جَلَّا ^(١) *

السَّطْوُ : الْأَخْذُ بِعُنْفٍ . وَفِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنِ الْمِصْرَاعِينَ يَمِينٌ مُضْمَرَةٌ ،
 جَوَابِهَا فِي الْأُولَى لَا عَفْوَنْ ، وَفِي الثَّانِي لَا وَهْنَ . وَاللَّامُ مِنْ لَئِنْ فِي الْمَوْضِعَيْنِ
 مُوَطَّئٌ لِلْقَسْمِ .

٣ - لَا تَأْمَنَنْ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ وَبَدَأْتَهُمْ بِالشَّتْمِ وَالرَّغْمِ
 حَوْلَ الْكَلَامِ عَنِ الإِخْبَارِ تَوَجُّعًا عَلَى عَادِتِهِمْ إِلَى الْخُطَابِ ، مَتَوَعِّدًا .
 يَقُولُ : لَا تَسْكُنْ إِلَى نَاحِيَةِ قَوْمٍ اهْتَضَمَهُمْ وَبَدَأْتَهُمْ بِسَبِّهِمْ وَاطْرَاهُمْ ،
 وَإِسْقَاطِهِمْ وَتَذَلِّلِهِمْ . وَظَلَمْتَهُمْ مَعَ مَا بَعْدَهُ مِنْ صَفَةِ الْقَوْمِ . وَالرَّغْمُ مَصْدَرُ رَغْمَتِ
 فَلَانَا إِذَا قَلْتَ لَهُ رَغْمًا ، أَوْ فَعَلْتَ بِهِ مَا يَرَغَمُ بِهِ أَنْفُهُ وَيُذْلِلُهُ . وَالرَّغْمُ : التُّرَابُ ،

(١) لِلْبَيْدِ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ ١٧ . وَصَدْرُهُ :

* وَأَرَى أَرْبَدَ قَدْ فَارْقَنِي *

وحكى الخليل : أرغعته : حملته على مالا يقدر على الامتناع منه .

٤ — **أَنْ يَأْبِرُوا نَخْلًا لِغَيْرِهِمْ** **وَالْقَوْلُ تَحْقِرُهُ** **وَقَدْ يَنْتَهِي**
 موضع قوله : «أن يأْبِرُوا» نصب على البدال من قوماً في البيت الذي
 قبله ، كأنه قال : لا تأمنْ أَبْرَّ قوم ظلمتهم وأوحشتهم نخلاً لغيرهم . ويقال :
 أَبْرَّتُ النخلَ وَأَبْرَّتُه ، إذا أَفْعَحْتَه . وجعل هذا الكلام وعيداً في مقارقة القوم
 الذين وصفهم إليهم ، وتفويتهم لأعدائهم بعد الانتقال إليهم ، وإصلاحهم
 الفاسد من فَخْرِهِمْ وأَمْرِهِمْ نُصْرَةَ لِهِمْ ، وجعل قوله «أن يأْبِرُوا» كناية عن
 هذا المعنى ، كما قال طرفة :

وَلِيَ الأَصْلُ الَّذِي فِي مُثْلِهِ يُصْلِحُ الْأَبْرُ زَرْعَ الْمُؤْتَبِرِ

وقد قيل : أراد : لا تأمنْ قوماً أَسَأْتَ في معاملتهم أن يتَركوا أرضَهُمْ وديارَهُمْ
 ويلحقوا بالأعداء قِيَابِرُوا نَخِيلِهِمْ ، ويتصرَّفُوا فِي مَهْنِهِمْ ، ليكونوا معهم عليكم .
 والأول أحسن وأغرب . قوله «والقول تَحْقِرُهُ وقد يَنْتَهِي» يجوز أن يكون
 ضرباً مثلاً في التهاون بحالاً يجوز التهاونُ فيه ، ويجوز أن يشير بالقول إلى ما يقوله
 في شعره هذا ، ويريد أنه سيزداد بانضمام الفعل إليه .

٥ — **وَزَعَمْتُمُ أَنْ لَا حُلُومَ لَنَا** **إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لَذِي الْحَلْمِ**
 زَعَمْ زُعمَا وَزَعَمَا وَمَزَعَمَا ، وأَكْثَرُ ما يَسْتَعْمِلُ فِيهِ مَا كَانَ باطِلًا أو فِيهِ
 ارْتِيَابٌ . ولذلك يقال : تَزَعَّمَ ، أَيْ تَكَذِّب ؟ وزَعَمَ فِي غَيْرِ مَزَعْمٍ ، أَيْ طَمَعَ
 فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ . و«أَنْ لَا حُلُومَ» أَنْ فِيهِ مَخْفَفَةً مِنَ التَّقْيِلَة . أراد : زَعَمْ أَنَّهُ
 لَا حُلُومَ لَنَا . ولهاء ضمير للأُسر والحديث ، و«لَا حُلُومَ» فِي مَوْضِعِ الْخَبْرِ .
 أراد : زَعَمْتُمُ أَنَّ الْأَمْرَ وَالثَّانِي لَا عَقُولَ لَنَا ، فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا زَعَمْتُمْ فَنَبَهُونَا
 أَنْتُمْ ، فَإِنْ عَامِرَ بْنَ الظَّرِبَ حَكَمَ الْعَرَبِ كَانَ يُقْرَعُ لَهُ الْعَصَا فِينَبَهَهُ ، لِمَا

كان يَرْبِعُ فِي الْحُكْمِ لِكَبْرِتِهِ وَسِنِّهِ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَهْكُمٌ وَسُخْرِيَّةٌ . وَمَثَلُهُ
قَوْلُكَ مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْكَ مَا لَا يُشَكُُ فِي صَلَاحِهِ وَصَحَّتِهِ : إِنْ كَانَ ذَلِكَ فَاسِدًا
فَصَحَّحْهُ أَنْتَ . وَهَذَا ظَاهِرٌ . وَذُو الْحِلْمِ الَّذِي قُرِعَ لِهِ الْعَصَا مُخْتَلَفٌ فِيهِ ، فَتَدَعِيهِ
الْمَيْنُ وَتَقُولُ : هُوَ عَمْرُو بْنُ حُمَّةَ الدَّوْسِيِّ ، رَوَى ذَلِكَ الشَّعْبِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَتَدَعِيهِ مُضَرٌّ ، فَتَقُولُ : هُوَ عَامِرُ مِنَ الظَّارِبِ الْعَدُوَانِيِّ ، وَإِيَاهُ
عَنِ ذُو الْإِصْبَعِ فِي قَوْلِهِ :

وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْفِي
وَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْفِي

وَتَدَعِيهِ رَبِيعَةَ فَتَقُولُ : هُوَ قَيسُ بْنُ خَالِدَ الشَّيْبَانِيِّ ، وَهُوَ جِدُّ يَسْطَامَ بْنَ
قَيسٍ بْنَ مُسْعُودَ بْنَ قَيسٍ بْنَ خَالِدٍ .

٦— وَوَطَئَنَا وَطَئًا عَلَى حَنَقِيِّ وَطْءَ الْمُقَيَّدِ نَابِتَ الْهَرَمِ

يَقُولُ : أَتَرَتَ فِينَا تَأْثِيرَ الْحَنِقِ الْفَضْبَانُ ، كَمَا يُؤْثِرُ الْبَعِيرَ الْمُقَيَّدَ إِذَا وَطَى
هَذِهِ الشُّجَيْرَةِ . وَخَصَّ الْمُقَيَّدَ لِأَنْ وَطَانَهُ أَقْلَى ، كَمَا خَصَّ الْحَنِقَ لِأَنْ إِبْقَاهُ
أَقْلَى . وَالْهَرَمُ : ضَرَبٌ مِنَ الْحَضْنِ ، يُقَالُ بَجْلٌ هَارِمٌ ، وَإِيلٌ هَوَارِمٌ إِذَا رَأَتَتْ
الْهَرَمَ . وَاتَّصَبَ وَطْءُ الْمُقَيَّدِ عَلَى الْبَدْلِ ، أَيٌّ وَطَئًا يُشَبِّهُ هَذَا الْوَطْءُ . وَمَا حَكَى
عَنِ الْعَرَبِ : « أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ طِئَةِ الدَّلِيلِ » ، أَيٌّ مِنْ أَنْ يَطَانِي ، لِأَنْ وَطَانَهُ
أَشَدُّ ، لِسَوْءِ مَلَكِتِهِ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ^(١) :

* وَلَمْ يَغْلِبْكُ مِثْلُ مُغْلَبٍ *

وَعَلَى هَذَا قِيلُ : ضَرَبَتْهُ ضَرَبَةُ الْجَبَانِ ، وَضَبَطَتْهُ ضَبْطَةُ الْأَعْمَى .

٧— وَتَرَكْتَنَا مَلَمَا عَلَى وَضَمِّ لَوْ كُنْتَ تَسْتَبِقِي مِنْ الْأَلْجَمِ

(١) هُوَ اسْرَقُ الْقَيسِ . دِيْوَانُهُ ١٧٧ . وَالْبَيْتُ بِنَامَهُ :
وَإِنَّكَ لَمْ يَغْلِبْكَ عَلَيْكَ كُفَاخِرٌ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ

هذا مثل يُضرب في الانقياد والذلة . ولذلك يقولون : « النساء لم على
وَضَمْ إِلَّا مَا ذُبَّ عَنْهُ ». يقول : تركتنا لا دفاعَ بنا ، كاللهم على خوانِ الجزار
يتناوله من شاء ، لو كنْتَ تترك مِنَا بقية ، وتطلب علينا بقية . والمعنى أنك
ترُومُ استئصالنا ، فلستَ ترضى بالإذلال . وجواب لوفيه تقدم عليه .

٤٦

وقال أَعْرَابِيٌّ

قتَّلَ أخْوَهُ أبْنَاهُ فَقَدَمَ إِلَيْهِ لِيَقْتَادَ مِنْهُ ، فَأَلْقَى السَّيْفَ وَهُوَ يَقُولُ :

١- أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءَ وَتَعْزِيزَةَ إِحْدَى يَدَى أَصَابْتُنِي وَلَمْ تُرِدِ
التأسِيَّة : تَفَعَّلَ مِنِ الْإِسْوَةِ . وَيَقُولُ إِسْوَةٌ وَأَسْوَةٌ ، فَيَضْمِمُ أَوْلَاهُ وَيُكْسِرُ ،
وَاتِّصَابُهُ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . أَى أَقُولُ مَتَّسِيًّا بِغَيْرِي ، وَمَسْلِيًّا
لِنَفْسِي : جَنَّى عَلَى أَخِي الَّذِي حَمَلَهُ مِنْ مَحْلٍ إِحْدَى يَدَيَّ ، سَهْوًا لَا إِرَادَةَ لِمَسَاءَتِي
وَخَطَا لَا عَمْدًا . وَقَوْلُهُ « إِحْدَى يَدَيَّ » فِي مَوْضِعِ الْمُبْتَدَأِ وَ« أَصَابْتُنِي » خَبْرُهُ ،
وَقَوْلُهُ « لَمْ تُرِدْ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالْجَملَةُ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ
لِقَوْلِهِ أَقُولُ .

٢- كِلَاهَا خَلَفٌ مِنْ قَدْ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلِيِّي
يَقُولُ : كُلٌّ وَاحِدٌ مِنِ الْأَخْ الْوَاتِرِ وَالْأَبْنِ الْمُفْقُودِ يَصْلَحُ لَأَنْ يُرْضِي بِهِ عِوَضًا
مِنْ فِقْدَانِ الْآخَرِ ، فَإِنْ اقْتَدَتْ مِنِ الْأَخْ مُنْتَصِفًا لِلْأَبْنِ فَقَدْ تَهْمَمَ جُمِيعًا ، فَاسْتَبْقَائِي
أَخِي هُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَقْرَبُ وَأَعْوَدَ^(١) .

(١) أَعْوَدُ ، أَى أَكْثَرُ عَايَةً ؛ وَالْمَايَةُ : الْفَايَةُ .

٤٧

وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ قَبِيْصَةَ الطَّائِي^(١) :

١— مَا وَلَدْتِنِي حَاصِنٌ رَبِيعَةٌ لَعِنْ أَنَا مَالَاتُ الْمَوْى لَا تَبَاعُهَا
أَسْرَأَهُ حَاصِنٌ وَحَصَانٌ ، أَى مَمْتُنَّةٌ^(٢) عَنِ الرَّفَثِ ، عَفِيفَةٌ . وَمَصْدَرُه
الْخَصَانَةُ وَالْحُصَنُ ، وَرَبِيعَةٌ : مَنْسُوبَةٌ إِلَى رَبِيعَةٍ : وَهَذَا الْكَلَامُ خَبْرٌ يَجْرِي
بِحَرَقِ الْمَيْنِ ، وَاللَّامُ مِنْ « لَعِنْ » يُؤَذِّنُ بِأَنَّ الْكَلَامَ قَسْمٌ ، فَيَقُولُ : لَسْتَ
ابْنَ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي رَبِيعَةٍ كَرِيمَةٌ عَفِيفَةٌ إِنْ كَنْتَ شَايَقْتُ الْمَوْى وَتَابَعْتُهُ فِي
طَلَبِ امْرَأَةٍ . وَالْمَنِيُّ : لَسْتُ لِرِشْدَةٍ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ . وَمَالَاتُ ، مَأْخُوذُ مِنْ
قَوْلِمْ : هُوَ مَلِيٌّ بِكَذَا ، وَقَدْ مَلَوْ يَمْلُو مَلَاءَةً . وَجَوابُ الشَّرْطِ فِيهَا تَقْدِمْ .

٣— أَلْمَ تَرَ أَنَّ الْأَرْضَ رَحْبٌ فَسِيمَةٌ فَهَلْ تُعْجِزُنِي بُقْعَةٌ مِنْ بِقَاعِهَا
قَالَ الْخَلِيلُ : الْبُقْعَةُ : قَطْعَةٌ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ هِيَةِ الْقِيَامِ إِلَى جَنْبِهَا ،
وَاسْتَشْهِدَ الشَّاعِرُ لِنَفْسِهِ فِي إِنْكَارِ مَا انتَقَى مِنْ فَعْلِهِ بِقَوْلِهِ : أَلْمَ تَرَ أَنَّ الْأَرْضَ ،
لَا نَ أَلْمَ تَرَ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ الْاسْتِفْهَامِ ، كَلِمَةٌ يُوَاقِفُ بِهَا الْمُخَاطَبُ فِي
تَحْقِيقِ الْأَمْرِ ، وَتَثْبِيتِ الْخَطُوبِ ، وَرَبِّمَا صَحِّبَهَا مَعْنَى التَّعْجِبِ . فَيَقُولُ : إِنَّكَ
تَعْلَمُ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ عَرِيشَةٌ ، وَأَنَّ بِقَاعَهَا لَا تَنْبُو بِي ، وَلَوْ نَبَتْ لَمْ تُعْجِزْنِي ،
فَكَمَا أَنِّي فِي هَذِهِ الصَّفَةِ ، فَكَذَلِكَ أَنَا فِي الْأُولَى . وَمَذْهَبُ هَذَا الْكَلَامِ

(١) كَانَ إِيَّاسُ هَذَا عَالِمًا لِكُسْرِيِّ عَلَى عَيْنِ الْمَرْ وَمَا وَالْأَهَا إِلَى الْحَيْةِ ، وَقَدْ جَعَلَهُ
كُسْرِيَ عَلَى رَأْسِ الْمَرْ فِي يَوْمِ ذِي قَارَ، الَّذِي كَانَ بَنْ بَكْرٍ بْنُ وَائِلٍ ، وَبَنِ الْفَرْسِ وَأَهْلِهِمْ
مِنْ قَلْبِ وَطَيِّبِهِ وَغَيْمِ وَهَرَاءِ وَتَوْنِخِ ، وَقَدْ هَزَمَتِ الْفَرْسُ وَأَهْلَاهُ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ
رَسُولُ اللَّهِ : « هَذَا أَوَّلُ يَوْمٍ اتَّصَفَتِ فِيهِ الْأَرْضُ مِنَ الْجَمِّ ، وَبِنِ نَصْرَوْا » ، وَفِي أَنْتَهِ
عَمَانِتِهِ بَعْثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . الْأَغَانِي (٢٠ : ١٣٤ ، ١٣٨) وَالْتَّنْبِيَهُ
وَالْإِشْرَافُ (١٥٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨) .

(٢) مِنْ « مَمْتُنَّةٌ » .

مذهب قول القائل عند تحقيق أمر وتصویره للمخاطب : إن هذا حقٌّ كاً أن حاضرٌ ، وكاً أنك تسمع وتجيب .

٣ - ومِبْيُونَةٍ بَثَ الدَّبَّا مُسْبَطَرَةٍ ردَّتُ عَلَى يَطَائِهَا مِن سِرَاعِهَا يقول : رَبَّ خَيْلٍ مِتَفَرِّقَةٍ مُمْتَدَّةٍ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ امْتَدَادَ فِرَّارِ الدَّبَّا وَفَرَّقِهَا — ولِلْعَنِ أَنْهُمْ يَمْجُونُ فِي اِنْتَشَارِهِمْ ، كَمَا أَنَّ الْجَرَادَ إِذَا اِنْبَثَّ مَاجَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ — أَنَا رَدَّتُ أَوْلَاهَا عَلَى آخِرِهَا ، وَحَبَّسْتُ مُنْقَدِّمَاهَا عَلَى مَتَّخَرَاهَا ، حَتَّى لَحِقَتِ الْأَمْبَاجُ بِالصُّدُورِ ، وَانْخَلَطَتِ الْلَّوَاحِقُ بِالسَّوَابِقِ . وَيَقَالُ : هُمْ يَتَهَافِتُونَ تَهَافُتَ الْفَرَاشِ ، وَيَتَوَاجُونَ تَمَاوِجَ الْجَرَادِ .

٤ - وَأَقْدَمْتُ وَالْخَطَّى يَخْطُرُ بِيَنَنَا لِأَعْلَمَ مَنْ جَبَاهَا مِنْ شُجَاعِهَا قَوْلُهُ « وَالْخَطَّى » وَأَوْهُ وَأَوْ الْحَالُ . وَاللَّامُ مِنْ « لِأَعْلَمُ » لَامُ الْعَلَةِ . يقول : تَرَكَ الإِبْحَاجَ ، وَأَنْزَرَتُ الْإِقْدَامَ ، وَرَمَّاجُ الْخَطَّ تَخْلَفُ بِالْطَّعْنِ ، وَتَحْكُمُ لِلشَّجَاعَةِ عَلَى الْجُنُبِ ، لِأَتَيَنَ الصَّعِيفَ مِنَ الْقُوَىِ ، وَلِمَنْقَدِمِ الْمُتَخَلِّفِ . ولِلْعَنِ فَعَلَتْ ذَلِكَ لِتَبَيَّنَ فَضْلِي عَلَى غَيْرِي .

٤٨

وقال رجل من بنى قيم^(١)

وَطَلَبَ مِنْهُ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ فَرَسَّا يَقَالُ لَهُ^(٢) سَكَابٌ فَنَعَهُ إِلَيْهَا :
— أَيْدَتَ اللَّعْنَ إِنَّ سَكَابَ عَلْقٌ نَفِيسٌ لَا تَعْمَلُ وَلَا تَبَاعُ^(٣)
قَوْلُهُ « عَلْقٌ نَفِيسٌ » أَيْ مَا لَيْسَ يُبَخَّلُ بِهِ . وَهَذَا كَا يَقَالُ : هُوَ عَلْقٌ مَضِنَّةٌ .

(١) هو عبيدة بن ربيعة بن قحافة بن ناثرة بن سيار بن رزام بن مازن ، كما في كتاب الحيل لابن الأعرابي ٦٢ حيث أنشد الآيات . وفي همدان فرس يقال له سكاب ، نارسه الأبدع بن مالك . الحيل لابن الأعرابي ٩٩ — ١٠٠ .

(٢) كذلك في النسخين والتبريزى ، ذكر للفظ ، وأنت بعد ذلك للمعنى .

(٣) رواية ابن الأعرابى : « لَيْسَ بِعَلْقٍ يَسْتَعْمَلُ وَلَا يَبَاعُ » .

ويقال : عالقة يعلق وعلقه ، إذا خاطرته بكرأه المآل . يقول : مُنْفَتَ أَنْ تَقْعِدَ مَا تَسْتَحِقُ بِهِ اللَّعْنُ ، إِنَّ فَرْسَى سَكَابَ مَتَاعَ نَفِيسَ ، وَعَلَقَ كَرِيمَ ، لَا يُعَرَضُ لِلْبَيْعِ ، وَلَا يُبَذَّلُ لِلْإِعْارَةِ . وَ « سَكَابٌ » إِذَا أَعْرَبَتْهُ مَنْعَتَهُ الْصَّرْفُ ، لِأَنَّهُ عَلَمَ ، فَلَحْصَوْلُ التَّعْرِيفُ فِيهِ وَالتَّأْنِيَثُ مَعَ كَثْرَةِ الْحُرُوفِ يُمْنَعُ الْصَّرْفَ .
والشاعر تمييضاً ، وهذا لُغَةُ قومِهِ . وَإِذَا بَذَنَقَةُ عَلَى السَّكَنِ أَجْرَيْتَهُ بِمَحْرِيَ حَذَامِ ، لِأَنَّهُ مَؤْنَثٌ مَعْدُولٌ مَعْرِفَةً ، فَلَمْ شَاهِدْتَهُ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ دَرَاكِ وَزَانِ
يُبَنِي ؛ وَهَذِهِ الْلُّغَةُ حِجَازِيَّةٌ . وَاشْتَفَاقُ سَكَابٍ مِنْ سَكَنَتٍ إِذَا صَبَبَتْ . ويقال
في صفة الفرس : هو بَحْرٌ وَسَكْبٌ . قوله : أَبَدَتَ اللَّعْنَ ، تَحْيَيَةً كَانَ يُسْتَعْطَفُ
بِهِ الْمَلُوكُ . وأَصْلُ اللَّعْنِ : الطَّرْدُ . وقول الشاعر^(١) :

وَكُلُّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نِلَتُهُ إِلَّا التَّحْيَةُ

يعني إِلَّا أَنْ يَقُولَ لِي : أَبَدَتَ اللَّعْنَ ، لِأَنَّهُ تَحْيَةُ الْمَلُوكِ . وَكَانَهُ قَالَ : مِلتُ
كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْمُلُوكَ .

٢— مَفَدَاءٌ مُكَرَّمَةٌ عَلَيْنَا يُبَاعُ لَهَا الْمِيَالُ وَلَا تُبَاعُ

يقول : اعزتها على أربابها تُفَدَّى بالآباء والأمهات ، وتوثر تكريباً لها على
العيال عند الإضافة والإقتار ، فَيُبَاعُ العيال ولا تُبَاعُ هذه .

٣— سَلِيلَةُ سَابِقَيْنِ تَنَاجِلَاهَا إِذَا نُسِبَا يَضْمُهُمَا الْكُرَاعُ^(٢)

يقول : هي وَلَدُ فَرَسَيْنِ سَابِقَيْنِ ، إِذَا نُسِبَا خَمَّ مَنَاسِبَهُمَا وَمَنَاصِبَهُمَا
الْكُرَاعُ ، وهو فَحْلٌ كَرِيمٌ مَعْرُوفٌ . وَسَلِيلَةُ الْحِقَّ الْمَاهِبَّا وَإِنْ كَانَ فَهْلًا

(١) هو زهير بن جناب السكري ، كاًسْبَقْ في حوانى صفحة ١٠٠ .

(٢) ابن الأعرابي : « يَضْمُهُمَا إِذَا نُسِبَا » .

في معنى مفعول ، لأنَّه جعلَ أسمَا ، كما تقول هي قنيلة بني فلان . ومعنى سُلَّمَ : نَزَعَ . ويقال : نَجَلاً ولدُهُما ونَاجِلاهُ ، بمعنى واحد . قال :

* إِذْ نَجَلاهُ فَيَعْمَلُ مَا نَجَلاهُ^(١) *

وأصلُ الـكُرَاع في اللغة : أَنْفُ يَتَقدَّمُ منَ الْجَبَلِ ، فَسُمِّيَ هذا الفحلُ به لِعِظَمِهِ . وأَنَّا الـكُرَاع الاسمُ الجامِعُ للخيل ، فهو عِبْرَ ذَاهِبًا .

٤- فلا تطمع أَيْدَتَ الْأَلْعَنِ فِيهَا وَمَنْعَكُها بِوَجْهِهِ يُسْتَطَاعُ

يقول : ارفعْ طمَعَك في تحصيل هذه الفرس ، أَيْدَتَ أنْ تأتي ما تستحق به الـأَلْعَنِ ، وَدَفَعْكَ عَنْهَا يُقْدَرُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ مَا وَبِحِيلَةِ مَا . والمعنى : إنَّ لا أَشْعُفُك بِهَا استَبَعْتَهَا أو استَوْهَبْتَهَا ، ما وجدتُ إِلَى الرُّدُّ طَرِيقًا ، فلا تطمع فيه ما دامت لِي هذه الحالة . وقوله « ومنعكها » أَيْ منعك عنها . ويقال مَنْعَكَ كذا ، ومنعك عن كذا ، وأَمَّا المَنْعَةُ العِزُّ^(٢) فهو مصدرُ الـمَحْرَكَة والـمُلْجَأَةِ مِنْ مَنَعَةٍ وَمَنَاعَةٍ ، فهو مَنْعِي .

٤٩

وقالت امرأة من طيء^(٣) :

١- دَعَادَغْوَةَ يَوْمَ الشَّرَى يَا مَالِكَ وَمَنْ لَا يُجَبُ عَنْدَ الْحِفْيَةِ يُكْلَمُ

يقول : استغاثَ هذا الـرَّجُلُ في يومِ اجْتِمَاعِنا بالـشَّرَى — وهو مَكَانٌ مَعْرُوفٌ اتفقتَ فِيهِ وقْعَةٌ فَنُسَبَ يَوْمُهَا إِلَيْهِ — استغاثَةً وقال : يَا مَالِكَ ؛ وَمَنْ لَا يُجَبُ

(١) لِلْأَعْنَى فِي دِيْوَانِهِ ١٥٧ . وَصَدْرُهُ :

* أَنْجَبَ أَيَّامَ وَالَّدَّاهَ بِهِ *

(٢) م : « العزة » . والـأَنْعَةُ تقال بفتح التون وـلـسـكـانـهـا .

(٣) هي بنتْ هـبـدـلـ بنـ قـرـنـةـ الصـائـيـ، أـحـدـ لـصـوـمـ الـعـربـ زـمـانـ عـبـدـ الـلـكـ بنـ صـرـوانـ، كـاسـيـانـيـ فـيـ التـفـسـيرـ .

إذا استصرخ ، ولم يُفْتَ إِذَا استنصر ، يُهْتَضَمْ وَيُجْرَحْ . وقوله « يَالْمَالِكِ » اللام فيه للإضافة ، وإنما فُتِحَ لأنَّه دَخَلَ عَلَى مَا هُوَ واقعٌ مَوْقِعُ الضرر ، فـ كَيْفَ يُفتح لام الإضافة مع الضرر كذلك فتح مع المندَى لوقوعه مَوْقِعَهُ . فإن قيل : فـا المدعُو ؟ قلتَ : مَالِكٌ ، كأنَّه قال : دُعَائِي مَالِكٌ . والخلفية : الخصلة التي يُحْفَظُ الإِنْسَانُ عِنْدَهَا ، أَيْ يُغْضَبُ . وكذلك الحِفْظَةُ . قال :

* وَحِفْظَةٌ أَكَنَّهَا ضَمِيرِي^(١) *

وقوله « يُكْلِمُ » كناية عن الفَلَبة أو القتل .

٣— فِي ضَيْعَةِ الْفِتَيَانِ إِذْ يَعْتَلُونَهُ يَبْطِئُ الشَّرَّى مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمُسَدَّمِ الفنيق : الفاحل المُفْنَق لا يُرْكَب لكرامته على أهله . والمُسَدَّم : الفاحل المأْمَح المنوع . ويقال : عَتَّلَهُ يَعْتَلُهُ وَيَعْتَلُهُ جَمِيعًا ، إذا قاده بعْنَفٍ . ومعنى « يا ضَيْعَةَ الفتىان » وإن كان لفظه لفظ النداء ، معنى الخبر ، كأنَّه قال : ضَاعَ الفتىان جدًا . فيقول على وجه التعبُّث والاختصاص : ما أَضَيَّعَ الفتىانَ في ذلك الوقت وفي تلك الحالة . كأنَّه لَمَّا لم يُنْصَرْ في تلك الحالة ولم يَخْضُرْهُ فَتَّى يُعيِّنهُ كان الفتىانُ ضَائِعِينَ ، إذ كانوا يَعْنَفُونَ فِي قُوْدِهِمْ إِيَاهُ ، وهو كأنَّه خل مسدود الْمَحْوَفَةِ مِنْ صِيَالِهِ ، فَلَا يُنَاكِرُ بِنَفْسِهِ^(٢) ، ولا يَدَافِعُ أحد دونه . وذكر بعضهم أن هذا المقتولَ هو بَهْدَلْ بن قِرْفَةَ ، أحد بني نيهان ، وأخذ بسبب دم ابن جَفَدَةَ المخزومي^(٣) فُقْتُلَ بالمدينة صَبَرًا . وما اقتُصَّ فِي الآيات يدل على خلافه^(٤) .

(١) لِمَعْجَاجَ فِي دِيْوَانِهِ ٢٦ وَالْإِسَانُ (حِفْظَةُ) .

(٢) المَاكِرَةُ : الْمَارِبَةُ وَالْقَتَالُ .

(٣) هو عون بن جعده بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، كما ذُكرَ التبريزى .

(٤) قال التبريزى : « بل الذي اقتُصَّ فِي الآيات يدل على صحته » . ثم نقل نصاً طويلاً من كتاب أخبار المقصوص لاسكري .

٣—أَمَا فِي حِصْنِ مِنْ ابْنِ كَرِيهَةِ مِنَ الْقَوْمِ طَلَابُ التَّرَاثِ غَشَّمَشَمْ^{١)}
هذا الكلام بعث وتحضير لأبناء حصن . والغشّامش : الذي يركب
رأسه ولا يهاب الإقدام على شيء . والكلام لفظه استفهام ، والمعنى معنى التمني ،
كانه يبعث ويحضر من يطلب دمه إذ فات نصرته حيًّا . فيقول : أَمَا فِي هذه
القبيلة ابْنُ حَرْبٍ مُتَنَاهٍ فِي طَلَبِ الدَّمِ وَإِدْرَاكِ الثَّارِ ، ظُلُومٌ غَشُومٌ ، يركب
الـكـرـائـهـ والأـمـورـ الصـعـبـهـ ، غير مـرـعـوـ ولا مـنـقـبـىـ .

٤—فَيَقْتُلُ جَبْرًا باسْرِيْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَكَافِلُ بِالدَّمِ^(١)
جبَرٌ هو القاتل لولى هذه المرأة . ويقال :باء فلان بفلان يبوه بواه ، إذا
ارتضى لقتله بدلاً منه . وأبأت فلاناً بفلان ، أى قتلتُه . وانتصب « يقتل »
على أنه جواب التمني بالفاء ، والعامل في الفعل أن مضمرة ، أى أما فيهم رجل
هكذا فيقتل هذا الرجل برجل لم يكن له نظيرًا ، فيكون في دمه وفاة بدمه ،
ولكن سقطت المكافلة في الدماء منذ جاء الإسلام ، فلا يقتل بدل الواحد
إلا واحد ، شريقاً كان أو وضيعاً .

٥٠

وَقَالَ بَعْضُ بَنِي فَقْعَسٍ^(٢) :

١—رَأَيْتُ مَوَالِيَ الْأُولَى يَخْذُلُونِي عَلَى حَدَّثَانِ الدَّهْرِ إِذْ يَتَقَلَّبُ
الموالي هاهنا : أبناء العم . والأولى في معنى الذين ، ويخذلوني من صلتيه .
يقول : رأيت أبناء عمِّ هم الذين يغتصدون عن نصرتي على تقلب الزمان ،
وتصرف العدوان . وقوله « على حدثان الدَّهْرِ » في موضع الحال ، أى

(١) في الأصل : « جبر » بالحاء المثلثة في المتن والشرح ، وأثبتنا ما في م والتبريزى .

(٢) التبريزى : « قبل هو مرة بن عداء الفقعي » .

يَخْذِلُونِي مُقَاسِيَا لِمَا يَحْدُثُ فِي الدَّهْرِ أَوْ أَنْ تَغْلِبَهُ وَتَغْيِيرُهُ .

٢ - فَهَلَا أَعَدُونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا إِذَا اخْتَصَمْ أَبْزَى مَائِلُ الرَّأْسِ أَنْكَبُ^(١)

قوله : « تفاصدو » دعاء ، وقد اعترض بين أول الكلام وآخره ، ولكنـه أكـد ما يقتضـه فـصلـحـ ذلكـ . يقول : هـلا جـعلـنـي عـدةـ لـرـجـلـ مـثـلـ ، فقد بـعـضـهم بـعـضاـ وـقـدـ جـاءـهـ اـخـتـصـمـ مـتأـخـرـ العـجـزـ مـائـلـ الرـأـسـ منـحرـفاـ . وهذا تصـوـيرـ حالـ المـقـاتـلـ إـذـاـ اـنـتـصـبـ فـيـ وـجـهـ مـقـصـودـهـ ، وهو أـبـلـغـ فـيـ الـوـصـفـ مـنـ كـلـ تـشـيـهـ .

ومـثـلهـ قولـ الآخـرـ^(٢) :

* جـاءـوا بـمـذـقـ هـلـ رـأـيـتـ الذـئـبـ قـطـ *

الـأـلـأـتـرـىـ أـنـهـ صـوـرـ لـوـنـ المـذـقـ لـمـاـ قـالـ : هـلـ رـأـيـتـ الذـئـبـ قـطـ ؟ وـقـولـهـ :

« إـذـ اـخـتـصـ » هو حـكـاـيـةـ الـحـالـ المـتـوـهـةـ ، وهو الـرـوـاـيـةـ الـخـتـارـةـ . وـقـدـ رـوـيـ :

« إـذـ اـخـتـصـ » وـالـجـمـلةـ الـتـيـ تـبـيـنـ بـهـ إـذـاـ هـذـهـ يـجـبـ أـنـ يـكـونـ فـيـهاـ فـعـلـ ، وـقـدـ عـرـيـتـ مـنـهـ هـاهـنـاـ ، وـأـظـنـ أـنـ الـأـخـفـشـ جـوـزـ مـثـلـهـ . وـالـمـعـنـيـ : لـمـ أـفـاتـنـ أـنـفـسـهـمـ ، وـهـلـاـ اـدـخـرـنـيـ لـيـوـمـ الـحـاجـةـ إـذـاـ كـانـ اـخـتـصـ هـكـذـاـ . وـأـرـادـ بـاـخـتـصـ الـجـنـسـ . وـقـالـ الـأـصـمـيـ : الـبـزـىـ : تـأـخـرـ العـجـزـ . وـقـالـ غـيرـهـ : هـوـ إـشـرـافـ وـسـطـ الـظـهـرـ عـلـىـ الـإـشـتـ . وـالـبـيـتـ يـشـهـدـ لـلـأـصـمـيـ . وـالـنـكـبـ : شـبـهـ الـمـيلـ فـيـ الـمـشـىـ ، وـمـنـهـ الـأـنـكـبـ مـنـ الـإـبـلـ ، وـهـوـ الـذـىـ يـمـشـىـ فـيـ شـقـ .

٣ - وـهـلـاـ أـعـدـنـيـ لـمـثـلـيـ تـفـاقـدـوـاـ وـفـيـ الـأـرـضـ مـبـثـوـثـ شـجـاعـ وـعـقـرـبـ

الـكـلـامـ فـيـ « تـفـاقـدـوـ » وـأـنـهـ دـعـاءـ وـاعـتـراضـ ، عـلـىـ مـاـمـرـ . وـإـنـماـ كـرـرـ

(١) إذا ، كـذا وـرـدـ رسـمـهـاـ فـيـ النـسـختـيـنـ بـالـأـلـفـ معـ كـسـرـ النـالـ ، وـذـالـكـ لـقـرـأـ بـالـرـوـاـيـتـيـنـ ، إـذـ ، وـإـذـ . قـالـ اـبـنـ جـنـيـ : « فـنـ روـاهـ إـذـ حـكـيـ الـحـالـ المـتـوـهـةـ كـقـولـ اللهـ سـبـحـانـهـ : إـذـ الـأـغـالـلـ فـيـ أـعـنـاقـهـمـ . وـمـنـ روـاهـ إـذـاـ فـهـوـ كـقـولـهـ آـتـيـكـ إـذـاـ زـيـدـ قـامـ . وـهـذـاـ جـائزـ عـلـىـ رـأـيـ أـبـيـ الـحـسـنـ ، وـذـالـكـ أـنـهـ يـجـبـ الـابـتـداءـ بـعـدـ إـذـاـ الزـمـانـيـةـ الـمـشـروـطـ بـهـاـ . »

(٢) قـبـلـ هـوـ الـمـعـاجـ . الـمـزـانـةـ (١ : ٢٧٧) .

ما كرره على وجه التأكيد ، وتفظيعا للأمر . والمعنى : هلا جعلوني عدّة لرجلٍ مثل في البأس ، فقد بعضهم بعضا ، وقد انتشر في الأرض أعداء كثيرة ، وأنواع من الشر فظيعة . والشجاع : الحية . وكى بالقرب وبه عن الأعداء والشر . وارتفاع شجاع ، يجوز أن يكون على البطل ، ويجوز أن يكون على الابداء . ومبثوث خير له قدم عليه ، ويجوز أن ينصب مبثوث على الحال ، ويجعل في الأرض الخبر^(١) . ولم ينـَّ مبثوث لأن القصد بالشجاع والقرب إلى خيل الأعداء والشر ، فكأنهما شيء واحد .

٤— فَلَا تَأْخُذُوا عَقْلًا مِنَ الْقَوْمِ إِنَّمَا أَرَى الْعَارِيَّةَ وَالْمَعَاقِلَ تَدْهَبُ لَكُمْ أَنْ تَرْفَعَ الْمَعَاقِلَ عَلَى الْإِسْتِئْنَافِ ، وَلَكُمْ أَنْ تَحْمِلَهُ عَلَى مَا قَبْلَهُ فَقِعْدَةُ عَلَى الْعَارِ . يَقُولُ : لَا تَرْغِبُوا فِي قَبْوِ الْدِيَّةِ فَإِنَّهُ عَارٌ ، وَالْعَارِ يَبْقَى أَثْرُهُ ، وَالْأَمْوَالُ تَفْنِي . وَالْمَعَاقِلُ : جَمْعُ الْمَعْقُلَةِ . وَالْمَعْقُلَةُ وَالْعُقْلُ : الْدِيَّةُ ، وَأَصْلُهُ الْإِبْلُ كَانَتْ تُعْقَلُ بِفَنَاءِ وَلِيَ الْمَقْتُولِ ، وَهُوَ مَصْدُرُ وَصِفَتِهِ . وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ : صَارَ دَمُهُ مَعْقُلَةً عَلَى قَوْمِهِ ، أَى صَارَوا يَدْوِنُونَهُ

٥— كَانَكَ لَمْ تُسْبِقْ مِنَ الدَّهْرِ لِيَلَّةً إِذَا أَنْتَ أَدْرَكْتَ النَّى كُنْتَ تَطْلُبُ يَقُولُ : مَنْ أَدْرَكَ مَا طَلَبَهُ مِنَ الثَّارِ فَكَانَهُ لَمْ يُصْبِطْ وَلَمْ يُوْتَرْ . وَهَذَا بَعْثٌ وَتَحْضِيضٌ عَلَى طَلَبِ الدَّمِ وَالزُّهْدِ فِي الْدِيَّةِ . وَفِي طَرِيقِهِ قَوْلُ الْآخِرِ^(٢) : كَانَ الْفَتَى لَمْ يَعْرِيْ يَوْمًا إِذَا أَكْتَسَى وَلَمْ يَكُنْ صُفْلُوكًا إِذَا مَا تَمَّوَّلَ^(٣) لَكِنَّهُذَا بَعْثٌ عَلَى طَلَبِ الْمَالِ .

(١) ابن جبي : « فَنِ نَصْبَ فَإِنَّهُ وَصَفَ نَسْكَرَةَ قَدْمِ عَلَيْهَا فَنَصْبَ عَلَى الْمَالِ مِنْهَا ، كَقُولَهُ : * لِيَةَ مُوْحَشًا طَلَلْ قَدِيمَ * »

(٢) هو جابر بن ثعلبة الطافعي ، كما في السَّكَامِلِ ٢٩٩ ليسك . وفي الحِسَاسِيَّةِ ٩٥ أَنَّهُ جابر بن الشَّعْلَبَ .

(٣) التَّبَرِيزِيُّ : « وَلَمْ يَكُنْ فِي بُؤْسٍ إِذَا مَا تَمَّوَّلَ » .

٥١

وقال آخر :

١ - فَلَوْ أَنْ حَيَا يَقْبِلُ الْمَالَ فِدْيَةً لَسْقَنَا لَكُمْ سَيْلًا مِنَ الْمَالِ مُفْعَمًا

انتصب فِدْيَةً على الحال من المال ، ولِمَرَادِهِ الإِبْلُ لَا غَير ، وَنَكَرَ قَوْلَهُ « حَيَا » وهو يقصد به قَصْدَ حَيٍّ بعينه ، لأنَّ المراد كان مفهوماً عند من عَرَفَ القصة ، فجعله كالتعريض . وقوله « سَيْلًا مُفْعَمًا » والسائل يُفْعِمُ به الشَّيْءَ ، يجوز أن يكون من باب هَمْ ناصِبٌ وَمَا أَشْبَهُهُ ، ويكون المعنى سَيْلًا ذَا إِفْعَامٍ ، ولكنَّ كثَرَ مَا يجيئُ معنى النَّسْبَةِ فِيمَا كَانَ لِلْفَاعِلِ ، كَطَالِقٍ وَمُرْضِعٍ . ومثله قوله نَخْلَةٌ مُؤْرِقٌ . ويجوز وهو الأَجْوَدُ أَنْ يكون عَبْرَ عن الْكَثْرَةِ بِقَوْلِهِ مُفْعَمٌ كَما عَبَرَ فِي قَوْلِهِ شِعْرٌ شَاعِرٌ وَمَوْتٌ مَائِتٌ عَنِ التَّنَاهِي بِلِفْظِ فَاعِلِ ، وإنْ كَانَ الْمَوْتُ لَا يَمُوتُ ، وَالشَّعْرُ لَا يَشْعُرُ ، كَمَا أَنَّ السَّيْلَ لَا يُفْعِمُ . وقد قيل امرأة فَقَمَةُ الْمُخَالَلِ ، أَى غَلِيظَةُ اللَّعْنِ عَلَيْهِ . ولِمَعْنَى : لَوْ كَانَتْ مَعَالِمُنَا مَعَ حَيٍّ يَرَى قَبْولَ الْمَالِ فَدَاءً لِأَرْضِنَا بِالْمَالِ الْكَثِيرِ .

٢ - وَلَكِنَّ أَبَى قَوْمًا أُصِيبَ أَخْوَهُمْ رِضَى الْعَارِ وَاخْتَارُوا عَلَى الْلَّبَنِ الدَّمًا

يقول : ولكن امتنع قَوْمٌ أَصْبَنَا صَاحِبَهُمْ مِنَ الرِّضا بِالدِّينِ ، وَآثَرُوا طَلَبَ الدِّمَ على قَبْولِ الدِّيَةِ . وَجَعَلَ الْلَّبَنَ كَنَايَةً عَنِ الإِبْلِ تَوْدَى عَقْلًا ، [لأنَّهَ^(١) مِنْهَا] ، وَكَانَكَرَ حَيَا فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ نَكَرَ أَيْضًا فِي الثَّانِي قَوْلَهُ « أَبَ قَوْمٌ » ، وَالْفَرَضُ بِهِمَا عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ « يَقْبِلُ الْمَالَ فِدْيَةً » صِفَةً لِقَوْلِهِ حَيَا ، لأنَّهَ يَبْقَى أَنَّهُ بِلَا خَبْرٍ . فَأَمَّا قَوْلُهُ « أُصِيبَ أَخْوَهُمْ »

(١) التَّكْلِفُ مِنْ مِنْ.

فهو صفة لقوله قوم . قوله « رضى العار » العار في موضع المفعول ، أي أبوها أن يرضوا العار خطة لأنفسهم .

٥٣

وقالت كَبْشَةُ أَخْتِ عَمْرُو بْنِ مَعْدِيْكَرْب^(١) :

١ - أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْحَانَ يَوْمَهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقِلُوا لَهُمْ دَيْرِي
الشعر لـ كَبْشَةُ أَخْتِ عَبْدِ اللَّهِ^(٢) . والكلام بعث وتهسيج . وإنما تكلمت
به على أنه إخبار بما فعله عبد الله وأقامه من الوصاية عند الوفاة ، فتقىل : راسل
عبد الله بن معديكرب لما دنا أجله قومه وذويه ، بأن لا تعقلوا دير . وغرض
كَبْشَة تحضيرضمهم على إدراك الثار ، وترك التباطؤ والتکاسل فيه ، وإن كانت
آمنة من ميلهم إلى قبول الذلة ، فغلظت القول لتهاج حميمهم . ويقال عَقْلَتْ
فلاناً ، إذا أعطيت ديتها . وجعل هذا المفعول الدَّمَ لأن المراد مفهوم ، كأنه قال :
لَا تأخذوا بَدَلَ دَيْرِي عَقْلًا . ويقال عَقْلَتْ عن فلان ، إذا غَرِّمْتَ عنه دِيَةَ
جنابته أو أرْشَهَا .

٢ - لَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالًا وَأَبْكَرًا وَأَتْرَكَ فِي يَيْتٍ بِصَعْدَةَ مُظْلِمٍ
الإفال : جمع واحده أفال ، وهي صغار الإبل ، والأبكر : جمع البكر ،
وهو الفتى منها . يقول : لَا تأخذوا من قَتَلَتِي صغار الإبل وبِكَارَتِهَا ، فتدركوني
في قبر مُظلِم بصَعْدَةَ ؛ وهو مكان بالبيضاء . وإنما جعل قبره هكذا ، لأنهم كانوا
يزعمون أن المقتول إذا ثاروا به أضاء قبره ، فإن أهدر دمه أو قُبِّلتْ ديتها بقى

(١) سبقت ترجمة أخيها عمرو في الحاسنة ٢٩ . التبريزى : « كَبْشَة اسم مرجل علماء ، وليس بتأنيث كبش ، لأن ذلك لا مؤنث له من لفظه ، إنما هي نعجة » .

(٢) عبد الله أخو كَبْشَةُ وأخو عمرو بن معديكرب .

قِبْرَهُ مُظْلِمًا . فَإِنْ قِيلَ : لَمْ ذَكَرِ الإِفَالُ وَالْأَبْكَرُ وَمَا يَؤْدِي فِي الدِّيَاتِ لَا يَكُونُ مِنْهُمَا ؟ قَلْتَ : أَرَادَ تَحْقِيرَ الدِّيَاتِ ، وَهَذَا كَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ تَحْقِيرَ أَمْرٍ خِلْمَةً فَازَ بِهَا إِنْسَانٌ : إِنَّمَا أَعْطَى خَرْقًا وَفُلوْسًا ! وَإِنْ كَانَ الشَّيْبُ الْمُعْطَاهَا كِسْوَةً فَآخِرَةً ، وَالْمَالُ الْمُوْفَرُ جَائزَةً سَنِيَّةً . وَانتَصَبَ « وَأَتْرَكَ » يَاضْمَارِ أَنْ وَهُوَ جَوابُ النَّهْيِ بِالْوَاوِ .

٣ - وَدَعْ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَنْ رَأْسِ الْمُسَالِمِ وَهَلْ بَطْنُ عَمْرٍ وَغَيْرُ شِبْرٍ لَمَطْمَمٌ

عَمْرُو هُوَ أَخْرُوهَا ، وَكَانَ يُعْدَدُ بِالْفِ فَارِسٌ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ يُسَالِمُ وَلَا سَيَّا فِي طَلْبِ دَمِ أَخِيهِ . وَإِنَّمَا رَمَتْهُ بِهَذَا الْكَلَامِ لِتَهْبِيجِ مِنْهُ وَتَبَعَّثَهُ عَلَى التَّعْجِلِ فِي دَرَكِ الثَّارِ ، وَالتَّسْرِعِ فِي الْإِنْتَقَامِ . وَقَوْلُهُ : « وَهَلْ بَطْنُ عَمْرٍ وَغَيْرُ شِبْرٍ لَمَطْمَمٌ » تَزْهِيدٌ فِي الدِّيَةِ ، وَهَذَا كَارُوِي فِي الْخِبَرِ : « وَهَلْ بَطْنُ ابْنِ آدَمَ إِلَّا شِبْرٌ فِي شِبْرٍ » لَمَّا أَرِيدَ تَزْهِيدَهُ فِي الدِّينِ وَحُطَّامَهَا . أَى مَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ وَجُوفُهُ يَتَلَقَّبُ بِالْيُسِيرِ . وَعَمْرُو لَمْ يَكُنْ مَمْنَى يَمْلِى إِلَى الدِّيَةِ ، كَمَا لَمْ يَكُنْ يَمْلِى إِلَى الْمُسَالَةِ ، وَلَكِنَّ الْمَرَادَ مَا ذَكَرَ نَاهٌ مِنَ التَّحْضِيَضِ وَالْحَثِّ .

٤ - إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَثَارُوا وَأَنْدِيمُمْ فَمَشُوا بِآذَانِ النَّعَامِ الْمُصَلَّمِ

الصَّلَمُ : قَطْعُ الْأَذْنِ مِنْ أَصْلِهَا ، وَمِنْهُ الصَّلَمُ : الدَّاهِيَّةُ الْمُسْتَأْصِلَةُ . وَأَنْدِيمُمْ ، مَعْنَاهُ قَبْلَتُ الدِّيَةِ . يَقُولُ : وَدَيْتُهُ فَاتَّدِي ، كَمَا يَقُولُ وَهَبْتُهُ فَاتَّهَبَ ، أَى قَبْلُ الْهِبَةِ . وَفِي الْحَدِيثِ : « هَمْتُ لَا أَتَهَبَ إِلَّا مِنْ قَرْشَى أَوْ أَنْصَارِى » . وَمِثْلُهُ قَضَيْتُهُ الدِّينَ فَاقْضَاهُ ، أَى قَبِيلَهُ وَتَوْفَرَهُ . وَقَوْلُهُ : « فَمَشُوا » أَى امْشُوا . وَضَعَفَ الْفَعْلُ لِلتَّكْثِيرِ . وَمِنْ رَوْيِ « فَمَشُوا » بِضْمِ الْيَمِ فَعَنَاهُ امْسَحُوا ; وَيَقُولُ لِنَدِيلِ الْعَمَرِ : الْمَشُوشُ . وَالْمَعْنَى : إِنْ لَمْ تَقْتُلُوا قَاتِلَيْ وَقَبْلَتِي فَامْشُوا أَذْلَاءً بِآذَانِ مُجَدَّعَةٍ كَآذَانِ النَّعَامِ . وَوَصَفَ النَّعَامَ بِالْمُصَلَّمِ تَصْوِيرًا لَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ

خِلْقَةُ جَمِيعِهَا ذَلِكُ . وَمِنْ أَحَادِيثِهِمْ عَنِ الْبَهَائِمِ : « ذَهَبَتِ النَّعَامَةُ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ فَجَدَدَعَتْ آذَانَهَا^(١) ». وَمِنْ رَوْيِ « فَمَسْوَأً » فَلِمَفِي امْسَحُوا بِآذَانِكُمْ مَجْدَعَةً مُثْلَةً بِكُمْ كَآذَانِ النَّعَامِ .

٥ - وَلَا تَرِدُوا إِلَى فُضُولِ نَسَائِكُمْ إِذَا ارْتَمَلَتْ أَقْبَاهُنَّ مِنَ الدَّمِ تَرْمَلَ وَارْتَمَلَ ، إِذَا تَلَطَّخَ بِالدَّمِ . قَالَ :

* إِنَّ بَنِيَّ رَمَلُونِي بِالدَّمِ^(٢) *

وَيَحْجُزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ دَعَاءً عَلَيْهِمْ^(٣) ، أَيْ أَحْلَكُمُ اللَّهُ مَحْلَّ مِنْ ذَا صَفْتُهُ . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ « فَمَسْوَأً » مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ أَيْضًا^(٤) . وَإِنْ شَتَّتَ جَعْلَتَهُ سَهْيًا ، وَفَشَّلَوْا أَمْرًا . وَالْمِنْعِي : إِذَا فَلَمْعُ ذَلِكَ فَتَأْخَرُوا فِي الْمَوَاطِنِ كُلُّهَا وَالْمَنَاجِعِ ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْمَشَاهِدِ وَالْمَوَارِدِ ، وَأَلْبَسُوا النَّذْلَ رَاضِينَ بِهِ ، فَإِنَّ مَآلَ أَمْرِكُمْ^(٥) مَعَ تَضِيِّعِكُمْ دَمَ صَاحِبِكُمْ إِلَى مَثْلِ ذَلِكَ . وَكَانَ عَادُهُمْ إِذَا وَرَدُوا إِلَيْهِمْ أَنْ يَتَقدَّمَ الرَّجَالُ ثُمَّ الْعَصَارِيَطُ وَالرَّعَاعَةُ ، ثُمَّ النِّسَاءُ ، إِذَا صَدَرَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ عَنْهُ ، فَكَنَّ يَغْسِلُنَّ أَنفُسَهُنَّ وَثِيَابَهُنَّ وَيَقْطَلُونَ آمِنَاتٍ مَا يَرْجِعُهُنَّ غَيْرَ مُسْتَعْجَلَاتِ ، فَمَنْ تَأْخَرَ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى تَصْدُرَ النِّسَاءُ فَهُوَ الْغَايَةُ فِي النَّذْلِ . وَجَعَلَ النِّسَاءَ مُؤْتَمِلَاتِ بِدَمِ الْحَيْضُونِ تَفْظِيْلًا لِلشَّانِ ، وَتَدْنِيسًا لِلْمَاءِ . وَالْأَعْقَابُ وَاحِدَهَا عَقِبٌ ، وَهُوَ مُوْخِرُ الرَّجُلِ . يَقُولُ : وَلَّ عَلَى عَقِيبِهِ ، إِذَا انْصَرَفَ رَاجِعًا عَنِ مَطْلُوبِهِ .

(١) انظر الحيوان (٤: ٣٢٣، ٣٩٨) .

(٢) لأبي أخزم الطائي ، كاف في المسان (رمي) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « عَلَيْهِ » وَفِي مِ : « عَلَيْكُمْ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَبْتَدَنَا .

(٤) أَيْ يَكُونُ عَلَى مَعْنَى الدَّعَاءِ .

(٥) كَذَا فِي مِ . وَفِي الْأَصْلِ : « فَإِنَّ مَآلَكُمْ » .

٥٣

وقال عنترة بن الأُخْرَسِ المَعْنَى مِنْ طِيٍّ^(١) :

١— أَطْلَلَ حَمْلَ الشَّنَاءَ لِي وَبُغْضِي وَعِشْ مَا شِيتَ فَانظُرْ مِنْ تَضِيرٍ^(٢)
 يقال : شَنَأْتُه شَنَاءً وَشَنَأْتُه^(٣) وَشَنَأْنَا^(٤) وَشَنَاءً ، إِذَا كَانَ بُغْضًا مُختلطًا
 بِعَدَاوَةٍ وَسُوءِ خُلُقٍ ، كَمَا أَنَّ الشَّنَاءَ اسْمُ لِشِدَّةِ الْعَدَاوَةِ . يَقُولُ : أَدِمْ احْتَالَ
 الضَّفَاعَنَّ وَالْبُغْضَنَّ لِي ، وَعِشْ مَدَّةَ مُشِيشِكَ فَتَأْمَلْ مِنْ يَضُرُّهُ ذَلِكَ . وَيَقُولُ
 ضَارَّهُ يَضِيرُهُ ، وَضَرَّهُ يَضُرُّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَاتَّصَبَ مَوْضِعَ مَا شِيتَ عَلَى أَنَّهُ
 ظَرْفٌ . وَ «مَنْ» مَفْعُولُ تَضِيرٍ ، لِأَنَّهُ اسْتِفَاهَمَ فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ مَا قَبْلَهُ . أَى انْظُرْ
 تَضِيرَ مَنْ .

٢— فَإِنِّي دَيْكَ خَيْرٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صَدُودِكَ أَخْلَطُ الْكَبِيرِ^(٥)
 بَيْنَ وَجْهِ اسْتَهَانَتِهِ بِهِ ، وَقَلَّهُ مُبَالَاتِهِ بِبَعْضَاهُ وَعَدَاوَتِهِ . فَيَقُولُ : لَا نَفْعَ
 عِنْدَكَ أَعْلَقُ رِجَائِي بِهِ ، وَغَيْرُ إِعْرَاضِكَ هُوَ الْخُلْطُ الْكَبِيرُ ، فَأَمَا إِعْرَاضُكَ
 فَأَهْوَنُ بِهِ وَأَحْقَرُ بِكُونِهِ . وَأَرْتَجِيهِ ، فِي مَوْضِعِ الصَّفَةِ لِلنَّفْعِ ، أَى نَفْعٌ مُرْتَجِيٌّ .

٣— أَلَمْ تَرَأَنْ شِعْرَكَ سَارَ عَنِّي وَشِعْرِي حَوْلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرِ^(٦)

(١) ويعرف أيضاً بعنترة بن عكبة، وعكبة اسم أمه . قال الأدمي في المؤتلف ١٥٢: « شاعر حسن وفارس » . والعنترة: واحدة المتن ، وهو الذباب الأزرق ، فهو اسم منقول كما في المبهج لابن جني . والمعنى: نسبة إلى معن بن عتود .

(٢) رواية الأدمي: « حبل الشناء » بالباء . قال التبريزى: « الرواية الحيدة: حبل الشناء باليم . وبروى: حبل الشناء ، بالباء ، وهو استعارة حسنة أيضاً ، جعل للشناء حبلاء » .

(٣) هذه مثلثة الشين . (٤) الشنان بكون النون وفتحها .

(٥) وكذا رواية الأدمي . وفي م والتربريزى: « نفع أرجعيه » .

(٦) شعرك ، أى شعرى المقول فيك؟ وشعرى ، أى شعرك المقول فيك؟ . والأوافق رواية الأدمي والتبريزى: « إن شعرى سار على وشعرك » .

هذا تقرير له في بيان فضله عليه ، وسلامة عرضه من قرفة إيه . يقول :
ألم تعلم أن شعرك الذي قلته في لم يغلق بي ذمة ، لأنك كان كذبا وزورا ، وشعرى
الذى قلته فيك يطوف حول دارك ويتتك ولا يفارقك ، لأنك كان صدقا .
ويجوز أن يكون المعنى : ألم تر أن شعرى الذي قلته فيك سار عنى ، لأن الرواة
احتلوه استجادة له واستلذاذا ، وشعرك الذي قلته في ملازم لك لزهد الناس
فيه لما كان سفاسفا . وساغ الوجهان جيما لأن المصدر يضاف إلى المفعول كا
يضاف إلى الفاعل ، فعلى ذلك جاز أن يقول شعرك ويريد شعرى المقول فيك .
وروى بعضهم :

ألم تر أن شعرى سار عنى وشعرك حول يتتك مايسير

وهذا الرواى ^(١) صرّح بالتفصير الثاني .

٤ - إذا أبصرتني أعرضت عنى كان الشمس من قبل تدور

في طريقته قول أوس :

إذ يشترؤن إلى الطرف عن عرضي كان أعينهم من بغضتي عور
يقول : إذا رميته بضررك لم يمكنك ملؤه مني بغضنا وعداؤه ، حتى
تعرض عنى فعل الناظر إلى الشمس ، فكان الشمس تدور من جهتى . فاما
قول الآخر :

* نظر يُرِلْ مَوَاطِي الْأَقْدَامِ ^(٢) *

فهو صفة نظر المهيوب المعظم . وفي نظر الناظرين على اختلافهم ما يستدل به
على أحوالهم ، وستذكر ما يجيء عنه مبيناً من بعد .

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « وهذه الرواية » .

(٢) صواب روايته : « نظرا » . وصدر البيت كاف البيان (١ : ١١) :

* يقارضون إذا التقوا في موقف *

٥٤

وقال الأحوص بن محمد^(١) :

١— إِنِّي عَلَى مَا قَدْ عَلِمْتُ مُحَسَّدٌ أَنْمِي عَلَى الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَآنِ عَلِمْتُ بِعَنْي عَرَفْتُ ، وَهَذَا اكْتِنَى بِعَمَولٍ وَاحِدٍ . وَعَنْي الْبَيْتِ : إِنِّي صَرْمُوقٌ مُحْسُودٌ عَلَى مَا قَدْ عَرَفْتُهُ مِنْ أَحْوَالِي ، زَانِدَ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى بَغْضَاءِ النَّاسِ وَشَنَآنِهِمْ لِي ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ « عَلَى مَا قَدْ عَلِمْتُ » ، وَقَوْلُهُ « عَلَى الْبَغْضَاءِ » جَيِيعًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَالْعَامِلُ فِي الْأُولَى قَوْلُهُ مُحَسَّدٌ ، وَفِي الثَّانِي أَنْمِي . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَا قَدْ عَلِمْتُ مِنْ صِلَةِ مُحَسَّدٍ ، كَمَا تَقُولُ حَسَدَتُهُ عَلَى كَذَا . وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ : الشَّنَآنُ : بُعْضٌ يُخْتَلِطُ بِهِ عَدَاوَةٌ وَسُوءُ خُلُقٍ ، فَلَهُذَا جَازَ الْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَغْضَاءِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : بَلْ هُمَا بِعَنْي وَاحِدٍ ، وَالْفَقْطَانُ إِذَا اخْتَلَفَا عَلَى اتِّفَاقِ مَعْنَاهُمَا جَازَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا تَأْكِيدًا . وَاحْتَجَ بِقَوْلِهِ :

* وَهِنْدَ أَنِّي مِنْ دُونِهَا النَّائِيُّ وَالْبَعْدُ^(٢) *

قال : وَلَا خَلَافٌ بَيْنَ أَهْلِ الْلِّغَةِ أَنَّهُ لَا فَضْلٌ بَيْنَهُمَا .

٣— مَا تَعْرِينِي مِنْ خُطُوبٍ مُلْمَةٍ إِلَّا تُشَرِّقُنِي وَتُعْظِمُ شَانِي أَضَافُ الْخُطُوبَ إِلَى مُلْمَةٍ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهَا أَوَّلَ أَمْرٍ عَظِيمٍ ، وَجُوانِبَ شَرِّي

(١) هذه العبارة ساقطة من الأصل ، وإنمايتها من م . وعند التبريزى : وقال الأحوص ابن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصارى . والأحوص : لقب له ، ومن منه الضيق العين ، وأسامه عبد الله . وهو شاعر إسلامى أموى ، من شعراء المدينة ، وقد تناه عمر بن عبد العزير من المدينة لهم وجهت إليه . الشعر والشعراء ٤٩٩ وابن سلام ١٣٧ — ١٤٠ والاغانى (٤ : ٤٠ — ٥٨) والخزانة (١ : ٤٣١ — ٤٣٤) .

(٢) لـ الحطيئة في ديوانه ١٩ . ومصدره :

* أَلَا جَنْدًا هَنْدَ وَأَرْسَ بَهَا هَنْدَ *

فظيع . وأصل الخطب الطلب ، يقال خطبت كذا فاختطبني ، كما تقول طلبته فاططبني ، فكانه أراد أوائل ملء وأسبابا لها تطلبها . ويقال : هذا خطب أمر عظيم ، وهذا خطب أمر يسير . فيقول : ما يطرق ساحتى أسباب نازلة شديدة إلا عظمة شانى ، ورفعت قدرى ، لأنه يعرف بلاى فيها ، وحسن مخلصى منها ، فازددت فى عيون الناس وقلوبهم .

٣—إِذَا تَرَوْلُ تَرَوْلُ عَنْ مُتَخَمْطٍ تُخْشِي بَوَادِرُهُ لَدَى الْأَقْرَانِ^(١)
المتختلط : المتغضب له سوره والتهاب ، واستعير في آدى البحر وأمواجه
إذا التجأت . قال :

* حَمِطِ التَّيَارِ يَرْمِي بِالْقَلَعِ^(٢) *

يقول : إذا اكتشفت تلك الخطوب والملفات اكتشفت عن رجل متكبر يخاف فلتاته وبدراته عند نظراته في البأس والشدة . والمعنى : إن الدواهي إذا زلت بساحتى لاتدين لها غريكتى ، ولا تحصل على تذلل لم يكن من قبل لي . قوله : « تُخْشِي بَوَادِرُهُ » في موضع الصفة للمتختلط . ولم يرض حتى يجعل البوادر مخشية عند أشباهه ، فكملت الصفة ، وتمدت القافية .

٤—إِنِّي إِذَا خَفِيَ الرِّجَالُ وَجَدْتُنِي كَالشَّمْسِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ
إنى إذا خفي مواعيدهم من ثوب الرؤساء ، ومواقعهم من صدور المجالس
فانا بخلافهم . يصف اشتهراته في الأماكن وجلالته في التفوس ، فيقول : إذا
غشى الرجال حمول ألفيني في شهرى ونهاقى كالشمس التي يتصل شعاعها
بكل مكان ، ويعرف شأنها في كل نفس وكل زمان .

(١) ابن جي في التبيه : « على القرآن » .

(٢) لسويد بن أبي كاهل اليشكري في المفضليات (١ : ٢٠٠) . وصدره :

* ذو عباب زبد آذيه *

٥٥

قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي هب^(١) :

١—مَهْلًا بْنِ عَمْنَانَ مَهْلًا مَوَالِيْنَا لَا تَنْبُشُوا يَنْتَنَا مَا كَانَ مَدْفُونًا

المَهْلُ وَالْمَهْلُ وَالْمَهْلَةُ تقارب في أداء معنى الرفق والسكن . ويقال :

لَا مَهْلَ لَكَ ، وَمَالِكَ مِنْ مَهْلٍ . قال :

يَقُولُونَ مَهْلًا يَا جَمِيلًا وَإِنِّي لَا قُسْمٌ مَابِي عَنْ بُشِّينَةَ مِنْ مَهْلٍ^(٢)

يَقُولُ : رِفْقًا يَا بْنِ عَمْنَانَ ، رِفْقًا مَوَالِيْنَا . وَهَذَا التَّسْكُرَار يَرِيدُ بِهِ التَّأْكِيدَ .

وَيَحْمُزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَام تَهْكِمًا ، وَيَحْمُزُ أَنْ يَكُونَ رَآم ابْتَدَءُوا فِي أَمْرٍ

لَمْ يَأْمُنْ مَعَهُ مِنْ تَفَاقُمِ الشَّأْن ، وَاسْتِهْنَالِ الْخُطْبَ ، مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى تَلَافِيهِ ،

فَاسْتِرْفَقَهُمْ لِذَلِكَ . وَقَوْلُهُ : « لَا تَنْبُشُوا يَنْتَنَا » أَيْ لَا تُثِيرُوا مَا كَانَ مَسْتُورًا

مِنَ الشَّرِّ . وَذِكْرُ الدَّفْنِ وَالنَّبْشِ اسْتِعْرَاثٌ فِي الْإِظْهَارِ وَالْكَمَانِ .

٢—لَا تَطْمِعُو أَنْ تَهْبِنُونَا وَنُكْرِمَكُمْ وَأَنْ نَكْفُّ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُؤْذِنُونَا

يَقُولُ : طَمِيعٌ فَلَانُ فِي كَذَا طَمِيعًا وَطَمَاعِيَّةً وَمَطْمَعًا . وَأَوْصَلَ الْفِعْلَ بِنَفْسِهِ

مِنْ دُونِ فِي ، لِأَنَّ أَنَّ الْخَفْيَةَ وَالشَّدِيدَةَ إِذَا اتَّصَلَ بِهَا حُرُوفُ الْجَرِ حَسْنَ حَدْفُهَا

لَطْوِ الْكَلَامِ بِهَا . تَقُولُ : أَنَا رَاغِبٌ فِي أَنْ أَلْقَاكَ ، وَطَامِيعٌ فِي أَنْ يُحْسِنَ

زَيْدٌ إِلَيْكَ ، وَحَرِيصٌ عَلَى أَنْ أَصِلَّكَ . وَلَوْقُلْتَ : أَنَا رَاغِبٌ فِي أَنْ أَلْقَاكَ ،

(١) هو السمي بالأخضر الهبي ، قوله :

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مِنْ يَمْرَفِي أَخْضُرُ الْجَلَدَةَ مِنْ بَيْتِ الْعَرَبِ

وَهُوَ شَاعِرٌ خَيْبَتْ مِنْكُمْ . معاصرٌ لِلْأَحْوَسِ وَالْفَرِزْدَقِ ، وَكَانَ يَهْبِلُ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ

عَبْدِ الْمَلِكِ مَقْطَلَهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا تَوَلَّ الْوَلِيدُ جَفَاهُ سَبِيلَانُ وَحْرَمَهُ . الأَعْنَانِ (١٥ : ٢ - ٩)

وَالْمُؤْنَفِ ٣٥ وَالْمَرْزَبَانِ ٣٠٩ وَالْلَّالِيٌّ ٧٠٠ - ٧٠١ .

(٢) الشَّرِ يَنْطَقُ بِنَسْبَةِ قَائِمِهِ ، وَهُوَ جَيْلٌ .

وطامِعٌ فَأَنْ يُحْسِنْ زِيَّدٌ إِلَيْكُ ، وَحَرِيصٌ عَلَى أَنْ أَصْلِكَ ، وَلَوْ قَلْتَ : أَنَا راغبٌ أَنْ أَقْلِكَ ، وَطامِعٌ أَنْ يُحْسِنْ زِيَّدٌ إِلَيْكُ ، وَحَرِيصٌ أَنْ أَصْلِكَ بِخَازٍ . وَلَوْ جَعَلْتَ مَكَانَ أَنَّ الْمَصْدَرَ قَلْتَ : أَنَا راغبٌ فِي لِقَائِكَ ، وَطامِعٌ فِي إِحْسَانِ زِيَّدٌ إِلَيْكُ ، وَحَرِيصٌ عَلَى صِلْتِكَ ، لَمْ يَجُزْ حَذْفُ حُرْفِ الْجَرِّ . لَا تَقُولُ : أَنَا راغبٌ لِقَاءَكَ ، وَطامِعٌ إِحْسَانَهُ إِلَيْكُ ، وَحَرِيصٌ صِلْتِكَ ؛ لَأَنْ مَا كَانَ يَطْوِلُ الْكَلَامَ بِهِ لَمْ يَحْصُلْ . يَقُولُ : لَا تَقْدِرُوا أَنْكُمْ إِذَا أَهْتَمْتُمُونَا قَابْلَنَا كَمْ بِالْإِكْرَامِ ، وَأَنْكُمْ إِذَا آذَيْتُمُونَا كَفَفْنَا عَنْ أَذْاكِمْ ، لَأَنَّ عَزْتَنَا تَمَمَّ مِنْ ذَلِكَ .

٣— مَهْلَأَ بْنِ عَمْنَاعَ نَحْتَ أَنْلَتْنَا سِيرُوا رُوَيْدًا كَمْ كُنْتُمْ تَسِيرُونَا

هذا الْكَلَامُ فِيهِ تَهْكِمٌ فَيَقُولُ : رِفْقًا يَا بْنِ عَمْنَاعَ عَنْ ثَلَبِنَا ؛ وَالوَقْعُ فِينَا ، وَسِيرُوا عَلَى هِينَةٍ^(١) وَوَقَارٍ ، وَسَكِينَةٍ وَالْخَفَاضُ ، عَلَى عَادِتَكُمُ الْمُتَقْدَمَةِ ، وَسَنَتَكُمُ الْمُهَوَّدَةِ ، وَدَعُوا مَا اسْتَأْنَفْتُمُوهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمُنْكَرَةِ ، وَالسَّيِّرُ الذَّمِيمَةِ . وَالْأَثْلَةُ : شَجَرَةٌ تُجْعَلُ مَثَلًا لِلْعِرْضِ ، فَيَقَالُ : فَلَانَ يَنْحَتُ أَثْلَةً فَلَانَ ، إِذَا ذَمَّهُ وَتَنَقَّهُ . وَقَوْلُهُ « سِيرُوا رُوَيْدًا » أَرَادَ سِيرًا تَرْوِيدُونَ فِيهِ ، أَيْ تَرْفُقُونَ فِيهِ وَتَسْكُنُونَ . « كَمْ كُنْتُمْ تَسِيرُونَا » أَيْ ارْجِعوا إِلَى مَثَلِ سِيرَتَكُمُ الْأُولَى ، وَإِلَى طَرِيقَتَكُمُ الْثَّالِثَ ، وَأَرْكُوا مَا ابْتَدَعْتُمُوهُ ، فَإِنَّا لَا نَخْتَمُهُ وَلَا نُسَابِرُكُمْ عَلَيْهِ . وَرُوَى بَعْضُهُمْ بِدَلَّا من المِصْرَاعِ الثَّانِي :

* مَهْلَأَ بْنِ عَمْنَاعَ مَهْلَأَ مَوَالِينَا *

وَيُحَمِّلُ التَّكْرَارُ فِيهِ عَلَى أَنَّهُ تَوَعَّدُ وَتَأْكِيدُ .

٤— اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَا لَا نَحْبِكُمْ وَلَا نَلُومُكُمْ أَلَا تُحِبُّونَا

اسْتَشْهَدَ بِرَبِّهِ فِي اتِّقاءِ الْحَبَّ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ لَا يَلْمُوْنَهُمْ إِذَا

(١) م : « هِينَة » .

لَمْ يَحْبُّوْهُمْ . كَانَ الْمَعْنَى أَنَّ الْقُلُوبَ مَجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ الْمُحْسِنِ وَبُغْضِ الْمُسِيءِ ، فَإِذَا ارْتَفَعَ التَّعَامِلُ بِالْإِحْسَانِ مَا بَيْنَهُمْ ، وَحَدَّثَ التَّعَذُّبُ بِالإِسَاءَةِ فِيهِمْ ، فَالْتَّحَابُ لَا حَالَةَ سَاقِطٌ ، وَالْتَّبَاغُضُ حَاصلٌ .

٥ - كلَّهُ نِيَّةٌ فِي بُعْضِ صَاحِبِهِ بِنِعْمَةِ اللهِ تَقْلِيمُكُمْ وَتَقْلُونَا
يقول : كلٌّ واحدٌ منا ومنكم من قبلٍ وإلى الآنَ له نيةٌ صادقة لصاحبِهِ
في المداوة والبغضاء ، وعقيدةٌ خالصة في القطبية والجفاء ، فيَحْمَدُ اللهُ وَمَنْهُ وجزيل
منَحِهِ قد استمرَّ أَمْرُنا على أَنَا بِنَفْسِكُمْ وَتَبْغُضُونَا . وقوله «بنعمَةِ اللهِ» هو كما
جاء في القرآن : ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ . وقوله «تقليمكم وتقلونا»
إشارة إلى الحال . وحذفَ المفعول من الثاني لأنَّ في الكلام ما يدلُّ عليه .
ويجوز أن يكون أراد وقلوناً فـ حذفَ الثانية عن الإعراب ، وهي لغة
حجازية . ومثله :

* قدْ رُفِعَ الْفَخُ فَمَاذَا تَحْذِرِي^(١) *

يريد تحدرين ، وعلى هذا قول الآخر :

* إِلَى مَن بِالْحَنِينِ تُشَوّقِينِ *

وهذا يؤيد مذهب سيبويه في تجويزه للشاعر حذف حركة الإعراب

عند الضرورة .

(١) نسب في حياة الحيوان للدميري إلى طرفة بن العبد . وقبله :
 يالك من قبرة بمصر خلاك الجوفيني واصفري
 واقري ما شئت أَنْ تقرئ

٥٦

وقال الطِّرْمَاحُ بْنُ حَكِيمَ الطَّائِيِّ^(١) :

١ - لَقَدْ زَادَنِي حُبَّ الْنَفْسِي أَنَّنِي بَغَيْضٌ إِلَى كُلِّ امْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
 قوله «أنتي بغivist» في موضع الفاعل، والمعنى: زادني بغضتي إلى كل رجل
 لا فضل فيه ولا خير عنده، حبًا لنفسه، لأنَّ التمايز يعني وبينه والتباين، هو
 الذي أداه إلى بغضي، ولو كان يتناشأ كل وتقرب لما نبأ عنه ولا بغضني.
 وهذا الكلام تعریض بمنابذة له. وقوله «غير طائل» هو من طال عليهم يطول
 طولًا. والطَّوْلُ: الفَضْلُ. وقال الخليل: يقال للشَّيءِ الدُّونُ انحسِسُه: هذا
 غير طائل. والمذَكُورُ والمُؤْتَثُ فيه سواء. ويقال: زِدتُ فضلاً كَا يقال ازددتُ
 فضلاً وزادنيه كذا.

٢ - وَأَنِي شَقِيقٌ بِاللَّثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيقًا بَهْمِ إِلَّا كَرِيمُ الشَّمَائِلِ
 قوله «وأني شقي» أصله أنتي، لكنه حذف النون الأولى من أن تخفيفاً
 لأنَّه اجتمع ثلث نونات. وهو محول في الإعراب على أنتي في البيت الأول
 ومعطوف عليه، فيقول: وزادني حبًا لنفسه أيضاً شقوئي باللثام حتى تنقصوني
 واغتفابوني، ثم قطع الإخبار وكأنَّه أقبل على مخاطبٍ ملتفتاً إليه فقال: ولا ترى
 أحداً يشقى بهم إلَّا وهو كَرِيمُ الطَّبَانِ، مجاَنِيبُهُم بِعِرْضِهِ وأصْلِهِ، وخلُقُهُ وفُعْلِهِ.

(١) هو الطرماح بن حكيم بن نفر بن قيس بن جحدر ، شاعر خطيب ، وكان يُعد في
 العلمين ، وهو من خول الشعراء المسلمين وفصاعديهم ، ومنشأه بالشام ، وانتقل إلى الكوفة
 بعد ذلك ، وكان صديقاً للكتبي على ما كان بينهما من تباعد في النسب والبلاد ، وكان يُدح خالد
 بن عبد الله القسري . الأغاني (١٠ : ١٤٨ - ١٥٣) والمُؤتلف ١٤٨ ، والعيبي (٢ :
 ٢٧٦ - ٢٧٨) والشعراء والشعراء ٥٦٦ .

ويقال شَقِيقَتْ شِقْوَةً [وشَقاوةً]^(١) وشَقاوةً. والشَّمائل: الطَّبَانُ، واحدها شَمَائِلٌ . قال:
 * أَلْوَمُ وَمَا لَوْمِي أُخْيٌ مِنْ شَمَالِيَّاً *
 ثم يقال : هو حَسَنُ الشَّمَائِلُ ، والمِرادُ بِهِ الْمَهِنَةُ وَالشَّكْلُ .

٣ - إِذَا مَا رَأَى قَطْعَ الْطَّرْفَ يَدِهِ وَبِينِي فِعْلَ الْعَارِفِ الْمُتَجَاهِلِ
 رجع إلى اختصاص^(٢) الحال بينه وبين من عَرَضَ به فيقول : إذا أبصرني
 الْمُتَبَاغِضُ لِي ارْتَدَ طَرْفَهُ عَنِّي ، وقطع نَظَرَهُ إِلَيَّ ، فِعْلٌ مِنْ يَعْرِفُ الشَّيْءَ وَيَتَكَلَّفُ
 جَهَلَهُ . وقوله « قَطْعَ الْطَّرْفَ يَدِهِ » ، الْطَّرْفُ : مُصْدَرُ طَرَفَتِهِ ، إِذَا أَبْصَرَتَهُ .
 وعلى هذا قوله :

* تَحْسِبُ الْطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةً^(٣) *

وقد يراد بالطرف العين أيضاً فيكون اسمًا للجراحة والخدش جمِيعاً . وانتصب
 « فعلَ الْعَارِفَ » على المُصْدَرِ بما دَلَّ عَلَيْهِ قَطْعَ الْطَّرْفَ يَدِهِ وَبِينِي . ولِمُتَجَاهِلِ
 مُتَكَلَّفِ الْجَهَلِ . وعلى هذا : تَعَانِي ، وَتَعَارِجَ ، وَتَخَازِرَ . وفي طرِيقِهِ لفظاً وَمَعْنَى
 قولُ الآخر :

* تَشَاؤْسِ يَزِيدُ إِنِّي مَنْ تَأْمَلُ *

٤ - مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَهَا مِنَ الْفَضِيقِ فِي عَيْنِيهِ كِفَةً حَابِلِ
 يقال : مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ ، إذا ضَيَّقْتَهَا عَلَيْهِ . وَمَلَأْتُ مِنْهُ الْأَرْضَ ، إذا
 قُمْتُ وَقَعَدْتُ بِذَكْرِهِ . وَالْحَابِلُ : نَاصِبُ الْحِبَالَةِ . وَيُقال حَبَّلَتِ الصَّيْدَ وَاحْتَبَلَتُهُ ،
 إِذَا أَخْذَتَهُ ؛ وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : احْتَبَلَهُ الْمَوْتُ بِحَبَالَهُ . وَالْكِفَةُ ، يَحْوزُ أَنْ يَرِيدَ

(١) هذه من م .

(٢) في سُنْخَةِ الأُصْلِ : « اخْتِصَاصٌ » ، صوابه في م .

(٣) في الأُصْلِ : « عَلَيْنَا » صوابه في م . وهو لطرفة في ديوانه ٦٤ . وعَزْرَهُ : * يَا لَغْوِي لِشَابِ السَّبَكِ *

بِهِ الْخَيْرَةِ الَّتِي يَنْصِبُ الْحَابِلُ فِيهَا الْحِبَالَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهَا قُوْتَرَتَهُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهَا عَيْنَ الْحِبَالَةِ ، لِأَنَّهَا تُجْعَلُ كَالطَّرْقِ . وَهَذَا أَقْرَبُ لِأَنَّ الْخَلِيلَ فَسَرَ السِّكْفَةَ عَلَى ذَلِكَ . وَجَازَ إِضَافَتُهَا إِلَى الْحَابِلِ كَمَا يَجُوزُ إِضَافَةَ نَفْسِ الْحِبَالَةِ إِلَيْهِ ، وَالْمَعْنَى : ضَيَّقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضَ عَلَى اتْسَاعِهَا، لِشَدَّةِ بَعْضِهِ لِي ، أَئِ هَذِهِ كَانَتْ بِرْجِبَهَا فِي عَيْنِيهِ كِفَةً حَابِلٌ إِذَا اجْتَمَعَ فِيهَا مَعِيْ . وَهَذَا يُشَيرُ بِهِ إِلَى تَضَادِ الْمُطَبَّعَيْنِ ، وَتَبَيَّنُ الْخَلْقَيْنِ ، وَأَنَّهُ لَوْ أَمْكَنَهُ لَا تَنْتَقِي وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ انتِفَاءُ الْمُضَدِّ ، قَلَّةُ موافَقَةٍ وَكُثُرَةُ مُخَالَفَةٍ .

٥٧

وَقَالَ بَعْضُ بْنِ فَقْعَسٍ^(١) :

١- وَذَوِي صِنَابِ مُظَهِّرِينَ عَدَاؤَهُ قَرْحَى الْقُلُوبِ مَعَاوِدِي الْإِفْنَادِ

يَقُولُ : رَبُّ قَوْمٍ ذَوِي أَحْقَادٍ وَضَغَائِنَ ، مُجَاهِرِينَ بَعْدَاوَتِي ، مُرَاجِعِينَ

حَالًا بَعْدَ حَالٍ قُولَّ الْفُحْشَ فِي ، مُتَقَرَّجِي الْأَفْنَادَةِ لِشَدَّةِ الْحَسْدِ وَالْبُغْضِ لِي ،

فَعَلَتْ بِهِمْ كَذَا . وَجَوابُ رَبِّ فِيمَا بَعْدِ . وَذَكَرَ قَرْحَ القَلْبِ مَثَلًا فِي الْعَدَاؤِ ،

كَمَا يُذَكَّرُ مَرَضُهُ مَثَلًا فِي النَّفَاقِ . عَلَى ذَلِكَ قُولُ اللَّهِ تَعَالَى : «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ

فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا» . فَأَمَّا ذَكْرُ الصَّعَرِ وَالشَّوَسِ فَهُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ ، لِكَنَّهُ تَصْوِيرُ

حَالِ الْمَبَاغِضِ أَوِ الْمُتَكَبِّرِ فِي نَظَرِهِ ، أَوِ إِقْبَالِهِ أَوِ التَّفَاتِهِ ، وَكَذَلِكَ مَا يَشْبِهُهُ . وَقَوْلُهُ

«مَعَاوِدِي الْإِفْنَادِ» الْإِفْنَادُ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ : مَصْدَرُ أَفْنَادَ الرَّجُلِ ، إِذَا أَتَى بِالْفَنَدِ .

وَإِذَا رُؤِيَ «الْأَفْنَادِ» بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ فَهُوَ جَمْعُ الْفَنَدِ ، وَهُوَ الْفُحْشُ وَالْخَلْطَةُ فِي

(١) التبريزى : قال أبو محمد الأعرابى : الصواب أنه ميرداس بن جشيش ، أخي بني سعد ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزعة .

الرأى . ويقال في اللّوم : فَنَدَهُ ، لأنّه يجمع تمحظة الرأى وذكّر القبيح .
والضباب : جمع الضبّ ، وهو الحقد . قال :

* ياربَ ذي ضفني وضبي فاريض^(١)

ويقال : فلان خبّ ضبّ ، إذا كان منكراً في المعاذه .

٢ - نَاسِيْهُم بِغَضَاءِهِمْ وَرَكِّبُهُمْ وَهُمْ إِذَا ذُكِرَ الصَّدِيقُ أَعَادِ
يقول : رَبَّ قَوْمٍ هَكَذَا أَنَا نَسِيْتُ بِغَضَائِهِمْ لِي حَتَّى نَسُوا أَيْضًا — لأنَّ
الْمُنَاسَةَ تَكُونُ مِنَ الْأَثْنَيْنِ فَصَاعِدًا — وَرَكَّبُهُمْ وَهُمْ مِنْ جَمْلَةِ الْأَعْدَاءِ ، إِذَا مُيَزَّتْ
بِالذِّكْرِ الْأَصْدِقَاءِ . وَقَوْلُهُ « الصَّدِيقُ » أَرَادَ بِهِ الْجِنْسَ .

٣ - كَيْمًا أَعِدَّهُمْ لَا بَعْدَ مِنْهُمْ وَلَقَدْ يَجِدُهُمْ إِلَى ذَوِي الْأَحْقَادِ
يقول : لَمْ أَكَاشِنَهُمْ ، وَلَا أَظْهَرْتُهُمْ عَلَى بَعْدِهِمْ ، بل استمررت في
مدادجاتهم ومساراتهم ، وعركت بعجنبي ما بدر من هفواتهم ، طلباً لأنَّ أَعِدَّهُمْ
لمن هو أَبْعَدُ شَاوِاً في العداوة^(٢) ، أو أَشَدُّ تَأْخِرًا في الالتحام والقرابة . ثم قال :
ولقد يُضطَرِّرُ الإِنْسَانُ إِلَى نُصْرَةِ بَنِ الْأَعْمَامِ وَإِنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَى ضفافِ،
فإِذَا قاتَلَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا لِأَهْمَةِ ذَلِكَ وَوَاقِهِ ، وَحَصَلَتِ الدَّبَّرَةُ^(٣) عَلَى مَنْ حَصَلَ ،
إِذْ كَانَ فِيهِ تَفَانِيهِمْ ، وَاشْتِفَاءِ الصُّدُورِ مِنْهُمْ . وهذا كَما قيل لبعض حكماء العرب
ما تقولُ فِي ابْنِ الْمَمْ ? قال : عَدُوكَ وَعَدُوكَ عَدُوكَ .

(١) انظر الحيوان (٦ : ٦٦) و مجالس نعلب ٣٦٤ واللسان (فرس) .

(٢) التبريزى عن أبي محمد الأعرابى أن الصواب : لأبعد قربة منهم . قال : وهو مثل قول حضرى بن عاص :

ولقد طوبتكم على بلاستكم وعلمت ما فيكم من الأذراب
كَيْمًا أَعِدَّمْ لَا بَعْدَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ يَجِدُهُمْ إِلَى ذَوِي الْأَنْسَابِ

(٣) الدبرة ، بالفتح : الفخر والنصرة ، كما في اللسان (٥ : ٣٥٣) .

٥٨

وقال يزيد بن الحكم :^(١)

١ - دفعناكم بالقول حتى بطرتم وبالرّاح حتى كان دفع الأصابع يقول : درجناكم في استبقاءكم^(٢) ورتبنا القول وال فعل في استفهامكم وإصلاحكم ، فوعظناكم أولاً باللسان وضرب الأمثال في الجدال ، حتى أبطركم ذلك وزادكم إغراء ، فارتقينا من القول إلى الدفع بالرّاح ، وتبين ما تأتونه بأحسن المس ، فلما لم يُعنِ شيء من ذلك عدلنا منه إلى الدفع بالأصابع ، وما بين هذه المنازل من التفاوت في الخشونة والليان معلوم عند ذوى الآليات . ومررت بي فيها قرأته من محاوبات قريش ، أن بعضهم قال لآخر منهم مستضعفًا لما أورده عليه : هذا دفع بالرّاح ! فقال محببا : كلاماً إن معها الأصابع ! و قوله « حتى كان دفع الأصابع » اتصب دفع على أنه خبر كان ، وامنه مضرّر كانه قال : حتى كان الدفع دفع الأصابع . ولذلك أن ترفعه على أن يكون اسمه ، وتضرر الخبر ، كأنه قال : حتى كان دفع الأصابع دفعنا ، أو على أن يكون كان يعنى حادث ، فتكتفى بالفاعل ، وهي التي شعى كان التامة .

٢ - فلما رأينا جهلكم غير متنبه وما غاب من أحلامكم غير راجع يقول : ولما وجدناكم لا ترعون لمواعظكم ونذركم ، ولا يعاودكم ماعزب من بصائركم وعقولكم ، ولا يقف الجهل بكم على غاية لا متتجاوزه وراءها ، ولا يعني ما استفرغنا فيه الوسع من ردكم وجزركم ، راجعنا أنفسنا

(١) التبريزى : « يزيد بن الحكم الكلابي ». وهذا غير يزيد بن الحكم الثقة ، المترجم في الأغاني (١١ : ٩٦ - ١٠٠) والمزانة (١ : ٥٤ - ٥٦) .

(٢) م : « درجنا في استصلاحكم » .

مُنْكِرِينَ وَمُتَعْجِبِينَ ، وَأَقْبَلَنَا نَبِاحًا عَنْ أَصْوَلِنَا وَفَرَوْعَنَا مُعْتَزِينَ^(١) ، لِنَقْفَ عَلَى مَأْوَطًا لَكُمْ سَرَا كِبَرَ الْعُقُوقَ ، وَحَسَنَ فِي آرائِكُمْ تَخْضُّعًا مَوَانِعَ الْحَقُوقِ ، إِلَى نَكْثٍ قُوَّى الْمُهُودِ .

٣- مَسِسْنَا مِنَ الْآبَاءِ شَيْئًا وَكُلُّنَا إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرٌ وَاضْطَرَّ

قوله «مسسنا» يجوز أن يكون بمعنى أصبنا واحتبرنا، لأن المس باليد قد يقصد به الاختبار، ويجوز أن يكون بمعنى طلبنا . وقد قال بعض الناس في قول الله تعالى : ﴿لَا يَمْسِهِ إِلَّا الْمَطَهَّرُونَ﴾ : إن المعنى لا يطلبه . قال : والله من كلامه في أنه يوضع في معنى الطلب . قال : وعلى هذا يحمل قول الله جل ثناؤه : ﴿وَإِنَّا لَمَسَنَا النَّبَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْثَثَةً حَرَسًا﴾^(٢) . فِنَ الْأُولَى قَوْلُهُمْ : مَسَّةُ الْكِبِيرِ ، وَأَفْضَى الرَّجُلُ إِلَى اسْرَأْتِهِ إِفْضَاءَ مَسِيسٍ . وَمِنَ الْثَّانِي مَسَاسُ الْحَاجَةِ . فَأَمَّا قَوْلُهُمْ : بِهِ مَسَّ مِنْ جُنُونٍ ، فَيُصَحُّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأُولَى وَمِنَ الثَّانِي جَمِيعًا . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : بِهِ لَمَّا مِنْ جُنُونٍ ، وَأَصْلَهُ مِنَ اللَّمَّ وَهُوَ الْجَمْعُ أَوِ الْإِلَامُ . وَقَوْلُهُ «وَكُلُّنَا إِلَى حَسَبٍ» أَيْ يَنْتَهِي وَيَنْتَهِي^(٣) . فِي «إِلَى» تَعْلَقُ بِهِذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْمُضَمَّنَاتِ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : أَنَا مِنْكَ وَإِلَيْكَ . وَقَوْلُهُ «كُلُّنَا» أَيْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا ، يَعْنِي أَهْلَ بَيْتِهِمْ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ «إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ» . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : لَمَّا اشْتَدَّ لَجَاجُهُمْ وَطَالَ تَمَادِيهِمْ ، وَصَارُوا لَا يَنْزَلُونَ عَنْ سَرَا كِبَرِ الْبَغْيِ ، وَلَا يَرْجِعُونَ عَنِ الدَّهَابِ فِي طَرُقِ الْفَسَادِ ،

(١) م : « معتبرين » .

(٢) وَإِنَّا ، وَرَدَتْ بِكَسْرِ الْمَزْءُونَ فِي النَّسْخَتَيْنِ . وَقَدْ اخْتَلَقَ الْفَرَاءُ فِي كَسْرِ هَمْزَةِ إِنْ وَفَتَحَهَا فِي أَنْتَيْ عَشَرَ مَوْضِعًا مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ ، وَهِيَ سُورَةُ الْجِنِّ ، فَقُرَا بِعِضِهِمْ بِالْكَسْرِ فِي جَمِيعِهَا ، وَبِعِضِهِمْ بِالْفَتْحِ فِي جَمِيعِهَا ، وَبِعِضِهِمْ بِالْكَسْرِ فِي بَعْضِهَا وَالْفَتْحُ فِي بَعْضِهَا الْآخَرُ . إِعْلَافُ فَضْلَاهُ الْبَشَرِ .

(٣) م : « أَيْ يَنْتَهِي وَيَنْتَهِي » .

نَظَرْنَا : أَيْ عَرْقٍ يَقْتَضِي مُنْكَرَ الْخَلَافِ مَعْنَا ، وَمَا الَّذِي يُوجِبُ الْقِدَابَرَ مِنَ الْأَنْسَابِ وَالْأَسْبَابِ بَيْنَنَا ، فَمَسَنَا أَطْرَافُ أَبُوْنَا ، وَاسْتَشْفَنَا جَوَانِبُهَا ، وَوَجَدْنَا كَلَّا مَنْ يَنْتَسِي إِلَى حَسَبٍ يَرْفَعُهُ لَا يَضْعُهُ . وَيَقُولُ : وَضَفْتُهُ ، إِذَا حَطَطْتَ مِنْهُ . وَوَضْعُ الرَّجُلِ ، وَهُوَ وَضِيعٌ بَيْنَ الْضَّعْفَةِ وَالضَّعْفِ . وَالتَّوْضِيعُ : التَّأْنِثُ وَالْأَنْكَسَارُ مِنْ هَذَا . وَيَقُولُ : دَائِبَةٌ حَسَنَةُ الْمَوْضِعِ ، وَضِيدَهُ الْمَرْفُوعُ . وَبَعْيَرُ عَارِفُ الْمَوْضِعِ ، أَيْ ذَلَولٌ عِنْدَ الرَّئْكَوبِ .

٤— فَلَمَّا بَلَغْنَا الْأَمْهَاتِ وَجَدْتُمُ بْنِ عُمَّكُمْ كَانُوا كَرَامَ الْمَضَاجِعِ جَعَلُ الْمَضَاجِعَ كَنِيَّةً عَنِ الْأَزْوَاجِ . وَهَذَا كَمَا يُكْنَى عَنْهُنَّ بِالْمَفَارِشِ . قَالَ :

سُجَراهُ نَفْسِي غَيْرُ جَمِيعِ أَشَابِهِ حُسْدُ وَلَا هُلُكُ الْمَفَارِشِ عُدَلٌ يَعْنِي أَنَّ أَمْهَاتِهِمْ عَفَافٌ . فَيَقُولُ : لَا تَقْصِدُنَا بِالْبَحْثِ وَالْكَشْفِ أَنْسَابَ آبَائِنَا ، وَعِلَاقَتِنَا وَصَلَاهَا فَلَمْ نَجِدْ فِيهَا مَغْمَزاً ، وَلَا إِلَى مَا ذَهَبْنَا مِنْ أَخْلَاقِكُمْ مِنْهَا دَاعِيًّا ، عَدَّنَا إِلَى النَّظَرِ فِي أَنْسَابِ أَمْهَاتِنَا ، وَالْتَّوْصُلُ إِلَى مَكْنُونِ وَشَابِهِمَا ، وَمَجْهُولِ مَوَاصِلِهِمَا ، فَأَلْفَيْتُمْ أَبْنَاءَ عُمَّكُمْ كَانُوا كَرَامَ الْفُرْشِ . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَعَارِيفِ ، لِأَنَّ الْمَرَادَ : كَانَتْ أَمْهَاتُنَا أَشْرَفَ مِنْ أَمْهَاتِكُمْ ، فَعَلِمْنَا أَنَّ مَا خَالَقْتُمُونَا فِيهِ ، وَصَرَّتُمْ عَلَى حَرْفِ مَبَايِنَةٍ لَنَا مِنْ أَجْلِهِ ، شَيْءٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِنَّ . وَإِنَّمَا قَالَ « وَجَدْتُمْ » لِيَكُونَ كَالْتَقْرِيرِ لَهُمْ ، وَيَصِيرَ مَا ادْعَى مِنَ الْفَضْلِ عَلَيْهِمْ بِالْتَّفَاقِ مِنْهُمْ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كَانَ يَحْبُّ أَنْ يَقُولُ : وَجَدْتُمُونَا ، فَوَضْعُ بْنِ عُمَّكَ مَكَانَ « نَا » ، وَهُوَ أَخْصُّ مِنْ بْنِ عُمَّكَ ، بَدَلَةً أَنَّ مَا يَكُونُ لِلنَّفْسِ أَخْصُّ مَا يَكُونُ لِلْغَائِبِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ وَضَعَ الْأَذْوَنَ مَوْضِعَ الْأَخْصِ .

(١) م : « وَعَلَقَ » .

وليس الأمر على مقال ، لأن الرجل إنما يريد ببني عَمَّك الآباء ، وقد قدم ذكرهم في قوله « مِسْنَا مِنَ الْآبَاءِ ». ألا ترى أنه قال : كانوا كِرَامَ المضاجع . وإذا كان الأمرُ على هذا ، كان الواجب عليه أن يقول : وجدتم آباءنا كانوا لا وجدتمنا .

٥٩

وقال جابرُ بن رَالَانَ :^(١)

١— لَعَمْرُكَمَا أَخْزَى إِذَا مَا نَسْبَتِنِي إِذَا لَمْ تَقْلُ بُطْلًا عَلَىٰ وَمِينَا
 لَعَمْرُكَ مُبْتَدِأ ، وَخَبَرَهُ مُحْذَف ، فَكَأَنَّهُ قَالَ لَعَمْرُكَ مَا أَقِيمُ بِهِ ، وَلَا يُسْتَعْمَل
 فِي الْمِيَنِ إِلَّا بِفَتْحِ الْعَيْنِ ، وَإِنْ كَانَ ضِئْلَهَا لَغَةً فِيهِ . وَ « أَخْزَى » يُجَوَّزُ أَنْ يَكُونَ
 مِنَ الْمِخْزَى : الْمَوَانِ ، وَيُجَوَّزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْخَزَائِيَّةِ : الْاسْتِحْيَا . وَالْبُطْلُ يُرَادُ بِهِ
 الْبَاطِلُ . وَالْمِيَنُ : الْكَذِبُ ، وَقَدْ مَانَ ، وَهُوَ مَائِنٌ وَمَيْوَنٌ . وَالْمَعْنَى : وَبِقَائِكَ
 مَا أَسْتَحْيِي أَوْ مَا أَهُونُ وَلَا أَذِلُّ مَقِيْمَةً كَرَتَ أَسْلَافِي وَآبَائِي وَلَمْ تَقْلُ بَاطِلًا ،
 وَلَمْ تَدَعْ عَلَىٰ زُوًّا . وَقَوْلُهُ « إِذَا مَا نَسْبَتِنِي » ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ مَا أَخْزَى . وَ « إِذَا لَمْ
 تَقْلُ » يُجَوَّزُ أَنْ يَكُونَ بَدْلًا مِنْهُ . وَلَوْلَا أَنَّهُ كَرَرَ « إِذَا » لِكَانَ الْكَلَامُ مَا أَخْزَى إِذَا
 مَا نَسْبَتِنِي وَلَمْ تَقْلُ بُطْلًا وَمِينَا . وَلَا يُجَوَّزُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِي إِذَا « مَا نَسْبَتِنِي »
 لَأَنَّ ذَاهِدَ أَصْبِيفُ إِلَيْهِ وَبُيَّنُ بِهِ ، وَالْمَاضِفُ إِلَيْهِ لَا يُعْلَمُ فِي الْمَضَافِ . وَيُجَوَّزُ أَنَّهُ
 يَكُونَ إِذَا الْأُولَى بِمَا اتَّصَلَ بِهِ وَمَا عَلِمَ فِيهِ الْجَلْلُ فِي جَوَابِ إِذَا الثَّانِيَةِ ، كَأَنَّهُ قَالَ :
 إِذَا لَمْ تَقْلُ بُطْلًا فَلَعَمْرُكَ مَا أَخْزَى إِذَا مَا نَسْبَتِنِي . وَاتَّصَبْ « بُطْلًا » عَلَىٰ أَنَّهُ

(١) التبريزى : « جابر بن رالان السبئى ». ثم قال : « من همز رالان فهو فلان من لفظ الرأس ، ومن لم يهزه احتمل أمران : أحدهما أن يكون تحفيف رالان ، كقولك في تحفيف رأس راس ، والآخر أن يكون فلان من رولت الحجز في السمن ونحوه ، إذا أشبعته منه » .

مفعول لم تقل ، لأن القول يُحكي بعده الجملة فيعدل في مواضعها لا في لفظها ،
ويقع المفرد بعده - إذا كان معنى الجملة - منصوباً به .

٢- ولَكُمَا يَخْزِي أَهْرُوْيِكْلُمُ اسْتَهُ قَنَا قَوْمِهِ إِذَا الرِّمَاحُ هَوَيْنَا^(١)

هذا تعریض بالمخاطب ، يقول : أنا لا أخْزِي إذا ذُكِرَ مَسْعَةُ آبائِي على
حَدَّهَا وَحَقَّهَا ، إنما يَخْزِي لِذَلِكَ رَجُلٌ هَذَا صَفْتُهُ وَنَعْتُهُ ، وهو أَنَّهُ يَجْرِح
اسْتَهُ ، لِكُونِهِ مُولِيًّا وَمُنْهَزِمًا ، رِمَاحُ قَوْمِهِ إِذَا شُرِعَتْ لِلطَّفْنَ . وإنما قال
« قَنَا قَوْمِهِ » لأنَّه أشار في تعریضه إلى حالة اتفاق المُخاطب مع أبناء عمِّه .
وكلُّ جَرْحٍ صَغِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ فَهُوَ كُلُّمُ .

٣- إِنْ يُبَغْضُونَا بِغْضَةٍ فِي صُدُورِكُمْ إِنَّا جَدَعْنَا مِنْكُمْ وَشَرَّيْنَا

قوله « في صدوركم » بما تعلق به في موضع الصفة للبغض . والمعنى : إنَّ انطوتْ
صدرُكُمْ لَنَا عَلَى بِغْضَةٍ رَاسِخَةٍ فِيهَا ، مُتَمَكَّنَةٍ مِنْهَا ، فَغَيْرُ مُسْتَكْنَرٍ عِنْدَنَا
وَلَا مُسْتَطْرِفٍ مِنْ أَحْوَالِنَا ، لأنَّ مَا ارْتَكَبْنَا فِيكُمْ مِنْ جَدْعِ الْأُنُوفِ وَبَعْثَتِ النُّفُوسِ
يَإِذْلَانَا إِيَّاكُمْ ، وَبِمَا أَخْذَنَا فِي فِدَايَكُمْ ، يُوجِبُ البغضاء ، ويقتضي الشَّنَآنَ .

٤- وَنَحْنُ غَلَبْنَا بِالْجَبَالِ وَعِزْهَا وَنَحْنُ وَرِثْنَا غَيْثًا وَبُدَيْنَا

يعني بالجبال أَجَاجًا وَسَلَمَى وَهَضَابَهُمَا ، ولذلك جمع . وقوله « وَعِزْهَا » أراد
وعزَّ أَرْبَابُهَا وَسَكَانُهَا . ويجوز أن يريده العزَّ الذِّي يحصل لهم عند التحصن بها .
وطَيْيَى ؛ أبداً تنتصر بذلك ، لأنَّهُمْ إِذَا اعتصموا بها لم تتوصل الأعداء إليهم فيها .
وَغَيْثُ وَبُدَيْنٌ : قبيلتان^(٢) . يريده : وَرِثْنَا أَحْسَابَهُمْ وَمَفَارِخَهُمْ . وَغَيْثٌ :

(١) التبريري : « تكلم استه » .

(٢) التبريري : « وَغَيْث وَبُدَيْن : أسماء رجلين من طيء » .

فَيَقُولُ مِنْ الْغَوْثِ ، وَفِي بُطْوَنِ طَيْبٍ بِطْنٌ يُقالُ لِهِ الْغَوْثُ ، وَمِنْهُمْ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِيُّ .

٥ - وَأَئِ ثَنَيَا الْمَجْدِ لَمْ نَظَلِّعْ لَهَا وَأَتَمْ غِضَابَ تَحْرِقُونَ عَلَيْنَا
الاستفهام هنا يجري مجرى النَّفِق ، كأنه قال : ما ثانية من ثانياً المجد إلا
طلَّقْنَا لها . والثانية : فعيلة من ثنيَّة ، أى عَطَفَتْ وصَرَفتْ ، وكما استعملتْ في
الجبال استعملتْ في الأمور والخلطات^(١) . قال :

وَثَنَيَّةٌ مِنْ أَمْرٍ قَوْمٍ وَعَرَقٍ فَرَجَتْ يَدَى فِكَانِ فِيهَا الْمَطْلَعُ
فلذلك ذكرها هنا مثلا ، وللمعنى : إن مطالع الشرف على توغرها أو تسهلها
ارتقينا إليها ، وأنت تهددوننا في غضيكم ، والحرق : حرقُ أحد النابين بالآخر .
وقد حرقَ نابه يحرقُ ويحرقُ ، حرقاً وحرقاً^(٢) ، من الغيف . وذكر الخليل :
حريق النَّاب كصريف النَّاب . و «فلان يحرقُ على الأرم» ويروى «الأزم» .
والآرم : الأكل ، والأرم : العض ، وهو جيعاً بالأنسان ، وللمعنى يحرق على
أنسانه . والمتوعد يفعل ذلك يُظْهِر به شدة الغيف . واكتفى بقوله «يحرقون»
عن ذكر المفعول ، لأن المراد مفهوم . ويقال : اطلع عليه قوله ، إذا أشرف . وللمعنى
إنا ردنا على حَسَدِك لنا ، وتعيظكم فيما ، قوَّةً وشَرْفًا ، وعزَّةً وكرماً ، حتى لم
نبقَّ غايةً من المجد إلا ارتقينا إليها وعلوَّناها .

(١) الخلطات : جمع خطة ، وهذا ماق م . وفي الأصل : « والخطاب » .

(٢) حرق ، هذه لازمة ومتعلقة ، يقال حرق ناب البعير ، وحرق البعير نابه أيضا .

٦٠

وقال سبرة بن عمرو الفقسي^(١)

وعيده ضمرة بن ضمرة النهشلي كثرة أبله:

١- أتني دفاعي عنك إذا نت مسلم وقد سال من ذل عليك قرافق^(٢)

لفظه لفظ الاستفهام ، ولمعنى معنى الإنكار . أى لم تنسى مدافعي عنك حين كنت مخدولاً لا ناصير معك ، وقد امتد سيل الذل نحوك فسال عليك .

إذا ظرف دفاعي . وقرافق : اسم واد ، ويكون ذكره مثلاً . ومن كلامهم : « سال عليه الذل ، كايسيل السيل ». ولا يمتنع أن يكون لفظه ما لفظه من الذل من ناحية قرافق ، فذلك خصمه . قوله « إذا نت مسلم » يقال أسلمه وسلمه ، إذا خللت بينه وبين من يزيد التكاليف فيه . وأسلمت الصبي في حرقه ، إذا أرسلته فيها . قوله « وقد سال » في موضع الحال ، أى أسلمت وحالك ذلك .

٢- ونسوتكم في الرفع يادي وجوهها يخلن إماء والإماء حرائر

قوله « ونسوتكم » مع خبره جملة انعطفت على قوله « وقد سال من ذل ».

(١) التبريزى : ذكر أبو عبيدة أن سبرة بن عمرو قال هذه الآيات في منافرة عباد ابن أذب الكلب ومعبد بن نضلة بن الأشت الفقسي تناfra إلى ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، وبينهما مائة من الإبل خضر ، فقال عباد لضمرة : لك مائة من الإبل ، وتتفرق على معبد . ففعل ، فهو أول من ارتضى من حكام الجاهلية . وقد روى ياقوت الآيات (في قرافق) .

(٢) ذكر التبريزى عن أبي محمد الأعرابى أن الصواب : « وقد سال من ضر عليك قرافق » ، قال : يعني ضمرة بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة . يقول : دافعتهم عنك حين سال الوادى بهم عليك .

وهذا وصف الحال التي مُنِيَ بها حين نَصَرَه مخاطبُه . وللمراد : ونساؤكم تَشَبَّهُنَّ بِالإِمَاء ، مخافةَ السَّباء ، حتى تَبَرَّجْنَ وَبِرْزَنْ مكشوفاتٍ ناسياتٍ للحياة وإن كنَّ حِرَائرٍ . وإنما قال هذا لأنَّهم كانوا يَقْصِـدونَ بَنْيَ من يَسْبُونَ من النساء إلْحاقَ العار ، لا اغتنامَ القيمة والمال ، ولَا كان الأَمْرُ عَلَى هَذَا فَائِتَةً كَانَتْ فِي مَثَلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ تَشَبَّهُنَّ بِالْأُمَّةِ ، لَكِي يُرْهَدُ فِي سَبِّهَا . ومعنى و « الإِمَاء حِرَائرٌ » : واللاتي يُخْسِبُنَ إِمَاء حِرَائرٍ . ولو قال يُخْلِنَ إِمَاء وَهُنَ حِرَائر لكان مأخذُ الكلام أقربَ ، لَكِنَّهُ عَدَلَ إِلَى « والإِمَاء حِرَائرٌ » ، ليكون الذَّكْرُ بِهِ أَفْخَمُ ، والاقتراض^(١) أَشْنَعُ وأَعْظَمُ . وقال « بَادِي وجوهها » لتقديم الفعل ، وأنَّ تأنيث الوجوه غير حقيقٍ . ولو قال بادِيَةً وجوهُهَا بِلَازَرٍ . وفي هذه الطريقة قول الآخر :

وَرَحْبَارٍ غَانِيَةٍ عَقَدْتُ بِرَأْسِهَا أَصْلًا وَكَانَ مُنَشَّرًا بِشَاهِلِهَا
٣ — أَعْيَرْتَنَا أَلْبَانَاهَا وَلَحْوَهَا وَذَلِكَ عَارٌ يَا بَنَ رَيْطَةَ ظَاهِرٍ

يريدُ على وجه الإنكار والتقرير : لَمْ عَيَّرْتَنَا أَلْبَانَ الإِبَلِ وَلَحْوَهَا . واقتضاء الإِبَلِ مُبَاخٌ لَا محظوظٌ في القديم والحديث ، والانتفاعُ بِلَحْانِهَا وأَلْبَانِهَا مُسَوَّغٌ غير مُرْدُودٌ في الدِّينِ والعقل ، وتفریقُهَا في المحتاجين إِلَيْهَا إِحْسَانٌ وَمُعْرُوفٌ يَجْلِبُان^(٢) الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ . وَذَلِكَ عَارٌ ظَاهِرٌ ، أَى زَائِلٌ . قال أبو ذؤيب :

وَعَيَّرَهَا الْوَاثِشُونَ أَنَّ أَجِيَّهَا وَتَلَكَ شَكَّاهَ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

وَمِنْ هَذَا قَوْلُكَ : ظَاهِرٌ فَوْقَ السَّطْحِ ، وَقَوْلُكَ : جَعَلْتُهُ مُنِيَ بِظَاهِرٍ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « اتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَاهِرِيًّا » . وَيُجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بالظَّاهِرِ أَنَّ الْحَالَ فِي أَنَّ

(١) كذا في م . وفي الأصل : « والقصاص » .

(٢) كذا ضبط بضم اللام في النــختين ، وهي إحدى لغتين : ضم اللام وكسرها في المضارع .

ذلك ليس بعارٍ ظاهرٌ غير مُلتبسةٌ ولا خافيةٌ . ويقال عَيْرُتُهُ كذا وهو الأفصحُ ، وعَيْرُتُهُ بكتداً . قال عدّى :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمَعِيرُ بِالدَّهْ ر^(١)

والواو من قوله « وذلك عار » واو الحال، أى أتعيرنا الحال ذلك .

٤ — نُحَاجِي بِهَا كَفَاءَنَا وَنَهِيَّهَا وَنَشَرِبُ فِي أَثْمَانِهَا وَنَقَارِ

بَيْنَ وجوه تصرُّفهم فيما عَيْرُتُمْ به ، فقال : يجعلها حِباء لنظرائنا فتهادي بها ، ونُسْهَلَ تُكَنِّ العُفَافَةَ وَالزُّوَّارَ مِنْهَا ، بابتذالها وإهانتها — وحذف ذِكر من أَهِينَتْ له لأن المراد مفهوم — ونبعها فتصرف أثمانها إلى الخمر والإلقاء ، ونَصَرِب بالقداح عليها في الميسِر عند اشتداد الزَّمان ، فتفرقُها في الصُّفَّاءِ والمحاجين إليها . وفي تَعْدَادِ هذه الوجوه إبطالُ لـكُلِّ ما أُوهِمَ أو أُدْعِيَ يَلْحَقُ من العار في اقتناصها وادخارها . وروى بعضهم : « نُحَاجِي بِهَا كَفَاءَنَا » على أن يكون فاعلٌ من الحياة ، أى نعايشُهم بها ونجاملُ؛ وليس بشيء ، فلا تُعرِّجْ عليه .

٦١

وقال آخر من بنى قَعْسٍ^(٢) :

١ — أَيْبَعِي آل شَدَّادٍ عَلَيْنَا وما يُرْغِي اشْدَادٍ فَصِيلٌ
خرج هذا الكلام مخرج الكلام المتقدم ، في أنه إنكار وتقرير ، وفيه
إشارة إلى ما يتضمنه قول الآخر من التَّبَخْيل ، وهو :

(١) عَامَه ، كافٍ الأغاني (٢ : ٣٤ سامي) : « أَأْنْتَ الْمَبْرُأُ الْمُوْفُورُ » .

(٢) التَّبَرِيزِيُّ : « قال أبو هلال : هو عمرو بن مسعود بن عبد مرارة » .

فَلَا وَاللَّهِ مَا لَبَنِي بَرَبٌ وَلَا لَخْمِي عَلَىٰ وَلَا سِلَانِي^(١)
 أَيْ مَا لَهُمْ يَبْقَعُونَ عَلَيْنَا وَحَالُهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ مَا هُوَ نِهَايَةُ الْبَخْلِ وَالشُّوْمِ ،
 وَالدَّفَقَةُ وَاللَّوْمُ ، حَقٌّ لَا يُحْمَلَ فَصِيلٌ لَهُمْ عَلَى إِرْغَاءِ بَأْنَ يُفَصَّلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 أَمْهُ بَنَحْرٍ أَوْ هِيَةٍ ، ضَنَابَهُ ، وَإِشْفَاقًا عَلَيْهِ . أَيْ إِنَّهُمْ لَا يَسْوَغُ لَهُمُ الْبَغْيُ مَعَ
 هَذَا الْحَالِ . وَيَحْوِزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلَهُ « وَمَا يُرْغَى لِشَدَادِ فَصِيلٍ » يَرَادُ بِهِ مَا لَهُمْ
 فَصِيلٌ فَيُرْغَى ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ^(٢) :

* وَلَا تَرَى الصَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ *

وَالْمَعْنَى : لَا ضَبَّ بِهَا فَيَنْجَحِرُ . يَرَمِيهِمْ بِالْفَقْرِ وَالْفَاقْفَةِ ، وَضَعْفِ الْمُنْتَهَى ،
 وَقُصُورِ الْاسْتِطَاعَةِ . وَيَقُولُ : أَرْغَى فُلَانُ فَصِيلَهُ ، إِذَا حَمَلَهُ عَلَى الرُّغْبَاهِ ، وَأَرْغَى
 فُلَانُ فُلَانًا وَأَنْثَى ، إِذَا أَعْطَاهُ إِبْلًا وَغَنَمًا . وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « وَمَا يُرْغَى »
 بِكَسْرِ الْفَيْنِ ، أَيْ لَا يُعْمَلُ بِالْفَصِيلِ مَا يَحْمُلُ أَمْهُ عَلَى الرُّغْبَاهِ لَهُ . وَلِيُسْ بَشِيْهُ .

٢ — فَإِنْ تَعْمَزْ مَفَاصِلَنَا تَجِدْنَا غِلَاظًا فِي أَنَامِلِ مَنْ يَصُولُ
 هَذَا تَعْرِيْضٌ وَإِبْعَادٌ ، فَيَقُولُ : إِنْ رُزْتُمُونَا وَجَدْتُمُونَا غِلَاظًا عَلَى مَنْ يَصُولُ
 عَلَيْنَا ، جُفَاهَا عِنْدَ مَنْ يَسُوْمُنَا مَكْرُوهَا . وَالْمَعْنَى : لَا نُسْتَلَانُ عِنْدَ الْاِمْتِحَانِ . وَجَعَلَ
 الْفَعْمَزْ عَمَرَ الْمَفَاصِلَ كُنْيَاهَا عَنِ الْاِخْتِبَارِ . وَخُسْكِي عَنِ بَعْضِهِمْ^(٤) : « لَا أَعْمَزْ
 كَتَهَمَازَ التَّيْنِ » ، وَلَذِكَ صَلَحَ أَنْ يَقُولَ اسْتَغْلَظُتَنَا فِي أَنَامِلِهِمْ . وَخَصَّ الْأَنَامِلَ
 لِأَنَّ الْاِنْفَتَالَ عَنِ الشَّيْءِ وَالْاِقْبَالَ عَلَيْهِ بِسَلَامِتَهَا مِنِ الْآفَاتِ يَقُوَىِ .

(١) أَيْ لَا أَجْعَلَ الْبَنِينَ بِنَزَلَةِ الْمَعْلُومِ الْمَجْلِلِ ، أَوْ الْمَالِكِ لِي ، بِلْ أَبْنَلَهُ وَأَهْبَنَهُ لِلضَّيْفِ .

(٢) هو عمرو بن أحر، يصف فلانة . الحزانة (٤ : ٢٧٣) .

(٣) صدره : * لَا تَفْزَعْ الْأَرْبَابُ أَهْوَاهُهَا *

(٤) هو الحاج ، قالها في خطبة له بمسجد الكوفة . البيان (٣٠٩:٢) .

٦٢

وقال جَزْءُ بْنِ كَلْيَبِ الْفَقْعَنِي :^(١)

١- تَبْغَى بْنُ كُوزِيُّو السَّفَاهَةُ كَاسِمِهَا لِيُسْتَادَ مِنَّا أَنْ شَتَوْنَا لِيَالِيَّا
 قوله « والسَّفَاهَةُ كَاسِمِهَا » اعتراف دخل بين تَبْغَى و مفعوله . والأصل في
 السَّفَاهَةِ : اخْلَفَةٌ . ويقال : زِمَامٌ سفيه ، لا يضرابه ، كَما يقال زمام عَيَارٍ^(٢) .
 فيقول : تَطَلَّبُ هَذَا الرَّجُلُ مَا تَطَلَّبُه سَفَاهَةٌ ، وَفَعْلُ السَّفَاهَةِ قَبِيحٌ كَمَا أَنَّ اسْمَهَا
 قَبِيحٌ . وإنما قال هذا لأنَّ السَّفَاهَةَ كَمَا تُنْكِرُ الْعُقُولُ وَالْقُلُوبُ ذَاتَهُ وَفَلَهُ ، كَذَلِكَ
 تَمْحُجُ الْأَذَانُ وَالصُّدُورُ اسْمَهُ . فَإِنْ قِيلَ مَا اسْمُ السَّفَاهَةِ حَتَّى قَالَ : وَالسَّفَاهَةُ كَاسِمِهَا ؟
 قَلَّتْ : قَوْلُهُ وَالسَّفَاهَةُ ، أَرَادَ مَا يُسَمَّى سَفَاهَةً ، أَيْ الْمُسْمَى بِهَذَا الْاسْمِ ، كَمَا أَنَّ
 الْاسْمُ الَّذِي هُوَ السَّفَاهَةُ قَبِيحٌ . إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ إِلَى الْعِبَارَةِ عَنِ النَّذَاتِ طَرِيقًا
 إِلَّا بِاسْمِهِ قَالَ : وَالسَّفَاهَةُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِتَبْغَى : أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِي التَّبْغَى ،
 حِينَ عَدَا طُورَهُ ، وَسَامَنَا مَوَاصِلَتَهُ ، كَمَا يُقَالُ تَشَعَّبُ وَتَمَرَّأُ . وَقَوْلُهُ « لِيُسْتَادَ
 مِنَّا أَنْ شَتَوْنَا لِيَالِيَّا » أَنِّي بِالْفَعْلِ وَاللَّامِ ، لِأَنَّ تَبْغَى مِثْلُ أَرَادَ . فَكَمَا قَالَ اللَّهُ
 عَزَّ وَجَلَّ : « يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ » ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :
 * أَرَادَتْ لِتَنْتَاشَ الرَّوَاقَ فَلَمْ تَقُمْ *

وَالْمَعْنَى يُرِيدُونَ إِطْفَاءَ نُورَ اللَّهِ ، وَأَرَادَتْ اتِّيَاشَ الرَّوَاقَ — كَذَلِكَ قَالَ هَذَا :

(١) التبريزى : « قَالَ أَبُو مُحَمَّدَ الْأَعْرَابِيُّ : هُوَ جَرِيرُ بْنُ كَلْيَبٍ ، لِاجْزَءٍ . وَقَدْ ذُكِرَ
 جَرِيرٌ فِي الْمُؤْتَلِفِ ٧١ وَقَالَ : « جَرِيرُ بْنُ كَلْيَبٍ بْنُ نُوفِلٍ بْنُ نَضْلَةِ الشَّاعِرِ . كَذَلِكَ ذُكِرَ
 أَبْنَ حَبِيبٍ فِي كِتَابِهِ الَّذِي ذُكِرَ فِيهِ شِمَاءُ الْقَبَائِلِ ، وَلَمْ يُذَكَّرْ لَهُ شِعْرًا ، وَلَا وَجَدْتُ لَهُ فِي قَائِلٍ
 بَيْنَ أَسْدَ ذَكْرِهِ . وَهُوَ إِسْلَامِيٌّ » .

(٢) م : « عِيَالٌ » كَشَدَادٌ . وَكَلَامًا مُتَجَهٌ . فَالْعَيَارُ : الْكَثِيرُ الْمُجْبِيُّ وَالْمُهَابٌ .
 وَالْعِيَالُ : الْمُتَبَخِّرُ الْمُيَالُ .

تبغى ليسْتَاد ، والمعنى تبغى الاستيادَ مِنَا . ومراد الشاعر تطلب النكاحَ في سادتنا من أجل أنا دخلنا في الشتاء . والمعنى من أجل أنا افتقربنا واشتتدَ الزمان علينا فاثرَ فينا . قوله «أَن شَتَوْنَا» موضعه نصبٌ ، أصله لأن شتونا ، فلما حذف الحرف الجارِ وصَلَ الفعلُ فَمَمِّيل . ومعنى شتونا : قَحِطْنَا^(١) وأقمنا في القحطِ ، كان يقول شتونا بمكانٍ كذا . ويقال : اشتئنَا ، إذا أريد دخلنا في الشتاء .

٢— فما أَكْبَرُ الأَشْيَا عِنْدِي حَزَازَةً بَأْنَ أَبْتَ مَزَرِيَا عَلَيْكَ وَزَارِيَا

انتصب «حزازةً» على التمييز ، فيقول : ليس انصرافك عَنَّا عائِبًا علينا حين لم نُسْعِفْك بِمُرْادِك ، ولم نجْبِك لما خطبَتَ من خطبَتَ إلى ملتمسِك ، ومعيبيًا عندنا حين عَدَوْتَ طَورَك فتجاوَزْتَ مُسْتَحْقَك وقدْرَك ، بشيء يُكْبِرُ عندى تقليعه^(٢) في الصدر ، وتأثيره في النفس . أى إرغامُك وإسخاطك يَهُون علينا . والباء الذي في قوله «بَأْنَ أَبْتَ» هو الباء الذي في قوله ما زيدُ بمنطلقِ . ويقال : زَرَيْتُ عَلَيْهِ فَعَلَهُ ، إذا عَيْتَ عَلَيْهِ فَعَلَهُ ؛ وأَزَرَيْتُ بَهُ ، إذا وضَعْتَ منه وَقَرَرْتَ بَهُ . وقوله «وزاريَا» أى وزاريَا علينا ، خذف لأنَّ المراد مفهوم .

٣— وَإِنَا عَلَى عَضِ الزَّمَانِ الَّذِي تَرَى نُعالِجُ مِنْ كُرْهِ الْمَخَازِي الدَّوَاهِيَا

يقول : إنَّ نفسي هَرَبَـا من المكروه^(٣) الشدائـد ، ونصبر تفاديـا منها على العظام^(٤) . هذا على ما تَرَى من نكالية الخدَنان ، وسوء تأثير الزَّمان ، وقصدـه إِيـانا بالـمـكارـهـ والـبـلاءـ ، والمـاقـرـهـ والـضـرـاءـ . وهذا تنبـيهـ على أنَّ حافظـتهمـ على

(١) ضبط في الأصل بضم القاف ، وفي مفتحها ، وكلامًا صحيح وإن كانت لغة الفتح أعلى وأكثر . ففي القاموس : « وتحط الناس كسم ، وتحطوا وأتحطوا بضمها قليلتان » .

(٢) م : « تقليعه » .

(٣) م : « من مكروه المخازي » .

(٤) في الأصل : « بجهي العظام » ، وأثبتنا ما في م .

الشرف ينفعهم من مناكحة من ليس بـكُفَّاهُ لِهِمْ ، وَأَنَّ مُسَاعَتَهُمْ إِلَيْهِ بِمَا طَلَبَهُ مُخْرِجَةٌ عِنْهُمْ . وَقَوْلُهُ «عَلَى عَضَّ الزَّمَانِ» مَوْضِعُهُ مَوْضِعُ الْحَالِ . وَالْمَعْنَى : إِنَّا مُنْكِرُ بَيْنَ وَقْرَاءِ نَفْعِلِ ذَلِكَ حَدَّرًا مِنَ الْعَارِ .

٤— فَلَا تَطْلُبْنَاهَا يَا بْنَ كُوزٍ فِإِنَّهُ غَذَا النَّاسَ مِنْ مُذْقَامِ النَّبِيِّ أَجْلَوْرِيَا

يقول : لا تطلب الزوج بالمرأة التي خطبتها يابن كوز ، فذلك في سائر النساء متداولة ، سيماماً ومنذ بعث الله عز وجل النبي عليه السلام ، وقام بأداء الرسالة عنه ، رب الناس البنات وتركوا وأدهن فكثيرون^(١) . ويقال : غذاؤه يغذوه غذاؤاً ، وتقدي بيذا . والغذاء : الطعام والشراب .

٥— وَإِنَّ الَّتِي حُدْتَهَا فِي أَنُوفِنَا وَأَعْنَاقِنَا مِنْ الْإِبَاءِ كَمَا هِيَا

يقول : وإن النخوة التي أبلغتها ، والجميزة التي حدتتها ، باقية في أنوفنا حتى لا نشم بها سرقة ، وفي أعناقنا ورموسنا حتى لا نلويتها إلى مخرجة ومنقصة هي حاصلة فيها كما أبلغت ؟ فالامتناع من مثل ما سُمِّتَ معروفةً منا ، وما خُوذ به في عادتنا ، فلا تستطرفه . وقوله «في أنوفنا» في موضع المفعول الثالث حدتها . وقوله «كما هي» في موضع خبر إن ، وما زائدة . أراد كهيـ ، أي هي باقية بحالها ، مستمرة على طريقها . ويجوز أن يكون هي مبتدأ ، وكاف

(١) التبريزى : « وأصل الواد التقل ، وذلك أنها كانت تقل بالتراب . وأول من منع عن الواد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ، وذلك أنه أضل ناقتين له بخرج في بنائهما ، فلما أحبته الليل رفعت له نار فأعماها ، فإذا شيخ وامرأة ماختن ، فسلم فرد الشیخ فسألة عن الناقتين ، فقال : وجدهما وقد أحيانا الله بهما . ثم قال الشیخ لنساء كن عنده : إن جاءنا غلام فما أدرى ما أصنع به ، وإن جاءتنا جارية فاقتلنها ، ولا أمنعن صوتها . جاءت جارية ، فاشتراها صعصعة بنائتها وحمله الذي رکه في طلبها ، وجعل ذلك سنة ، فكل من أراد أن يشد ابنته له جاءه فاشتراها منه بلختين وجل ، فإنه الإسلام وقد فدى ثلثة مهودة ، فقال الفرزدق :

وَجَدِي الَّذِي مِنَ الْوَادِيَاتِ وَأَحْيَا الْوَئِيدَةَ لَمْ تَوَدِ

موضع الخبر . ويقولون : كـا أـنـا كـا أـنـتـ ، أـى تـشـابـهـنـا ، وـيـكـونـ مـاـ نـكـرـةـ
غـيرـ مـوـصـوفـةـ . وـيـجـوزـ أـنـ يـكـونـ حـذـفـ صـفـتـهـ كـاـنـهـ قـالـ : كـاـ حـدـثـتـهـ أـىـ كـشـيـهـ
حـدـثـتـهـ . وـإـنـاـ خـصـنـ «ـ فـيـ أـنـوـفـنـاـ وـأـعـنـاقـنـاـ »ـ بـالـذـكـرـ لـأـنـهـ يـقـالـ فـيـ الـكـبـيرـ
وـالـصـعـوبـةـ : فـيـ أـنـفـ فـلـانـ خـبـرـوـانـهـ ، وـزـمـ فـلـانـ بـأـنـفـهـ ، وـأـنـفـهـ أـنـفـ الـلـيـثـ ،
وـهـوـأـحـمـيـ أـنـفـاـ منـ أـنـ يـقـبـلـ كـذـاـ . وـيـقـولـونـ : فـيـ خـدـهـ صـعـرـ ، وـفـيـ عـنـقـهـ صـورـ
وـصـيـدـ ، وـفـيـ نـاظـرـهـ شـوـسـ وـصـادـ . قـالـ يـصـفـ سـيـوـفـاـ :

* يـُـدـأـوـيـ بـهـ الصـادـ الـذـىـ فـيـ النـوـاـطـرـ *

٦٣

وقـالـ زـيـادـةـ الحـارـثـيـ :

١ـ لـمـ أـرـ قـوـمـاـ مـثـلـنـاـ خـيـرـ قـوـمـهـمـ * أـقـلـ بـهـ مـنـاـ عـلـىـ قـوـمـنـاـ (١) فـخـرـاـ

يـنـتـصـبـ قـوـلـهـ «ـ خـيـرـ قـوـمـهـمـ »ـ عـلـىـ أـنـهـ بـدـلـ مـنـ قـوـلـهـ «ـ قـوـمـاـ »ـ . وـيـجـوزـ
أـنـ يـكـونـ صـفـةـ . وـ«ـ أـقـلـ »ـ يـنـتـصـبـ عـلـىـ أـنـهـ مـفـعـولـ ثـانـ ، وـ«ـ فـخـرـاـ »ـ يـنـتـصـبـ
عـلـىـ التـيـيـزـ . وـقـوـلـهـ «ـ بـهـ »ـ الضـمـيرـ مـنـهـ يـرـجـعـ إـلـىـ مـاـ ذـكـرـهـ وـدـلـلـ عـلـيـهـ مـنـ قـوـلـهـ
«ـ خـيـرـ قـوـمـهـمـ »ـ يـرـيدـ أـقـلـ بـكـونـهـمـ خـيـرـينـ . وـمـنـهـ قـوـلـ القـائـلـ :

* إـذـا زـجـرـ السـفـيـهـ جـرـىـ إـلـيـهـ (٢) *

أـىـ إـلـىـ السـفـهـ . وـتـقـدـيرـ الـبـيـتـ : لـمـ أـرـ خـيـرـ قـوـمـ مـثـلـنـاـ أـقـلـ بـذـاكـ فـخـرـاـ مـنـاـ

(١) شـاعـرـ إـسـلـاـيـ ، كـاـنـ يـنـهـ وـبـنـ هـدـبـةـ بـنـ الـخـشـرـمـ مـهـاجـةـ وـمـنـافـسـةـ ، وـقـدـ قـتـلـهـ هـدـبـةـ
فـيـ قـصـةـ رـوـاهـاـ أـبـوـ الفـرجـ . وـهـوـ زـيـادـةـ بـنـ زـيدـ بـنـ مـالـكـ بـنـ عـاصـ بـنـ قـرـةـ بـنـ خـنـيسـ بـنـ عـمـرـوـ
ابـنـ عـبـدـ اللهـ بـنـ ثـعـلـبـةـ بـنـ ذـيـانـ بـنـ الـحـارـثـ بـنـ سـعـدـ بـنـ هـذـنـ . الأـغـانـيـ (٢١ : ١٦٩)

(٢) التـبـرـيزـيـ : «ـ عـلـىـ قـوـمـهـمـ »ـ .

(٣) عـبـرـهـ كـافـيـ الـخـزانـةـ (٣ : ٣٨٣) وـأـمـالـيـ اـبـنـ الشـجـرـيـ (١ : ٦٨ ، ٣٠٥) / ٢ :

* وـخـالـفـ وـالـسـفـهـ إـلـىـ خـلـافـ *

على قومنا . والمعنى إننا لا نبني على قومنا ، ولا تكبر عليهم ، بل نعدهم أمثالنا ونظراءنا ، فنباسط لهم ونوازِّعُهم قوله بقولِ ، وفلا بِغَيْرِهِ .

٢— وما تَرَدَّهِينَا الْكَبْرِيَاءُ عَلَيْهِمْ إِذَا كَلَمْنَا أَنْكَلَمْهُمْ نَزِّرَا^(١)

يُنتَصِّبُ قولُهُ « نَزِّرَا » عَلَى أَنَّهُ صَفَةٌ لِمُصْدَرِ مَحْذُوفٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : نَكَلْمُهُمْ كَلَامًا نَزِّرَا . وَالْمُعْنَى لَا يَسْتَخْفَنَا التَّكْبِيرُ إِلَى أَنَّنَتَعَلَّ عَلَيْهِمْ ، وَنَقْلُلُ الْكَلَامَ مَعْهُمْ تَرَفُّعًا عَنْ مَسَاوَتِهِمْ ، بَلْ نَبَاسِطُهُمْ وَنَكَاثِرُهُمْ فِي الْقَوْلِ وَالسُّؤَالِ ، إِنَّا لَهُمْ وَتَسْكِينًا مِنْهُمْ . وَيَقُولُ : زَهَاهُ وَازْدَهَاهُ بِعْنَى . وَالْأَصْلُ فِي ازْدَهَى : ازْدَهَى ، لِأَنَّهُ افْعَلَ مِنَ الزَّهَوِ ، لَكِنَّهُ أَبْدَلُ مِنَ النَّاءِ دَالًا تَقْرِيبًا لِلْحُرْفِ مِنَ الزَّاءِ . وَقَوْلُهُ « أَنْ نَكَلْمُهُمْ » أَرَادَ لِأَنْ نَكَلْمُهُمْ ، خَذْفُ حَرْفِ الْجَرِ . وَ« أَنْ » يُفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ كَثِيرًا .

٦٤

وقال ابْنُهُ مِسْوَرٌ

حين عَرَضَ عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ سَبْعَ دِيَاتٍ بِأَيْمَهِ^(٢) فَأَبَى . وَيَقُولُ :

هي لَعْمَهُ :

١— أَبْعَدَ الدَّى بِالنَّعْفِ نَعْفٌ كُوَيْكِبِ رَهِينَةٌ رَمْسٌ ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ

(١) روى التبريزى بعده يىتا ، وهو :

وَخَنْ بْنُ مَاءُ السَّيَادِ فَلَا نَرِي لَأَنْفُسِنَا مِنْ دُونَ مَمْلَكَةٍ قَصْرًا وَقَالَ فِي تَفْسِيرِهِ : « الْقَصْرُ هَاهُنَا : النَّفَيَةُ . يَقُولُ قَصْرُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا . وَمَاءُ السَّيَادِ : إِمْرَأَةٌ كَانَتْ فِي حَسْنَهَا وَصَفَاءَ بَشَرَتِهَا مِثْلُ مَاءِ السَّيَادِ فَسُمِّيَتْ بِهِ . وَمَاءُ السَّيَادِ الْمَلَكُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ لِلنَّاسِ بِغَرَةِ الْمَطَرِ فِي جُودِهِ . يَقُولُ : خَنْ بْنُ مَاءِ السَّيَادِ فَلَا نَرِي لَأَنْفُسِنَا غَايَةً دُونَ أَنْ نَكُونَ مَلُوكًا » .

(٢) انظر خبر مقتله في الأغاني ، في الموضع الذي سبقت الإشارة إليه .

ألف الاستفهام دخل ها هنا على معنى الإنكار ، وتناول الفعل الذى فى صدر البيت الثانى ، لأنَّ ألف الاستفهام يطلبُ الأفعال . والمعنى : أذْكُرُ بالإبقاء بعد المدفون بنَعْفِ هذا الجبل — وهو ما استقبلك منه — المَرْهُونُ فى قبر ذى تُراب وحجارة . والنَّعْفُ ، اشتُقَّ منه انتَعَفَ له ، أى تعرَّض . والمناعفةُ : المعارضَةُ من رجلين في طريقين يريدا كلُّ واحدٍ سبق الآخر . وقيل النَّعْفُ : المكان المرتفع في اعتراض . وقوله «رهينة» جعله اسمًا فلهذا أطلقَ الماءَ بها . والرمُسُ : القبر . ويقال رَهَنْتُ رَهَنًا بمعنى رَهَنْتُ عنده ، وأصله من اللزوم والدؤام ويقال هذا لك راهِنُ . والأصل في الرَّمْسِ : التغطية ، يقال رَمَسْتُه بالتراب ؛ ومنه الريح الروايس .

٣— أذْكُرُ بالبُقِيَا عَلَى مَنْ أَصَّا بَنِي وَبُقِيَايَ أَنِّي جَاهِدٌ غَيْرُ مُؤْتَلٍ
يقول : أَسَامُ الإبقاء على من وَرَنِي ؟ إبقاءٌ عليه أَنِّي أجتهد في قتله ،
ولا أقصُّ . والإبقاء لا يكون الجهد ، ولكن المعنى : يكون هذا مُنِعًّا عوْضًا
من ذاك . ومثله قول الآخر^(١) :

* تَحِيَّةً بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ *

والبُقِيَا : اسمٌ على فعلٍ ، مبنيٌّ من الإبقاء وفي معناه ، والواو منه واو الحال ،
ولو لم يأت به لكان الكلام على الاستثناف والانقطاع بما قبله . ويقال :
لا آلو في كذا ولا آتَى ، أى لا أقصُّ ، ولا آلو كذا ، أى لا أستطيعه .

٣— فَلَآ أَنَّ ثَارِي مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدِيرَ بَنِي عَمَّنَا فَالدَّهْرُ ذُو مَطْوَلٍ^(٢)

(١) هو عمرو بن معد يكرب . الخزانة (٤: ٥٣) .

(٢) صدره : * وخيل قد دافت لها بخيل *

(٣) ابن جنِي : « يختتم متطول هذا أمرٍ : أحدهما أن معناه ذو تفضل وإيمال لى إلى بيتي ، والآخر ذو مطالع ، أى فيه طول ، فإن تأخر ما أرزوه الآن لم أُئْس منه فيما بعد ، وهذا أظهر الوجهين ، لأن الشعر بذلك ورد كثيراً . وتكون هذه لنفة في مطالع الدهر ، وتطول يعقب عليها تفاعل وتفاعل ، كقولهم تكاده الأمر وتكاده ، وتكايس وتكيس » .

يقول **مُخْبِرًا** عن صَبْرِه وَحُسْنِ رِفْقِه فِي طَلَبِ الْأَمْوَارِ ، وَأَنَّه لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ
الْمَلَلُ وَإِنْ تَرَخَى الْمَطَلُوبُ ، وَتَدَافَعَ الْوَقْتُ فِي الْحَصْوَلِ ، فَيَقُولُ : إِنْ لَمْ أَذْرِكْ
ثَأْرِي قَرِيبًا يَا بْنِي عَمَّنَا فِي الدَّهْرِ تَطَوَّلْنَ ، وَالزَّمَانُ بِتَبْدِيلِ الْأَبْدَالِ وَتَحْوِيلِ
الْأَحْوَالِ كَافِلٌ ، وَلَهُ ضَامِنٌ ، وَمَا يَتَعَسَّرُ فِي وَقْتٍ يَتَسَرَّ فِي آخَرَ . وَذِكْرُ الْيَوْمِ
وَالْغَدِ إِشَارَةٌ إِلَى تَقْرِيبِ الْوَقْتِ فِي الْمُسْتَقْبِلِ ، كَمَا يَقُولُ فِي الْمَاضِ : كَانَ بِالْأَمْسِ يَفْعَلُ
كَذَا . وَمُتَطَوَّلٌ : مُصْدَرٌ مِثْلٌ تَطَوَّلٌ .

٤—فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمِ كَرِيمٍ لَئِنْ لَمْ أَعْجَلْ ضَرْبَةً أَوْ أَعْجَلْ
جَزَمَ «يَدْعُنِي» بِلا عَلَى أَنَّهُ دُعَاء ، وَالْمَعْنَى : لَا دُعْيَتْ لِكَشْفِ مَكْرُوهِ ،
وَلَا لِلَّدْفَعِ عَنْ مَظْلُومٍ ، إِنْ لَمْ أَعْجَلْ ضَرْبَةً لِمَنْ وَتَرَنِي ، أَوْ يَعْجَلُهَا لِي . وَالْمَعْنَى :
إِنْ لَمْ أَقْتُلْهُ أَوْ يَقْتُلَنِي . وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ الدُّعَاءِ فَالْمَعْنَى مَعْنَى
الْقَسْمِ . وَقَوْلُهُ : «أَوْ أَعْجَلْ» أَرَادَ : أَوْ لَمْ أَعْجَلْ لِتَلِيهَا ، خَذَفَ . وَفِي هَذَا بَيَانُ
لِلتَّوْعِيدِ بِالْإِقْدَامِ ، وَالتَّسْرُّعِ إِلَى الْقَتْلِ أَوِ الْاسْتِقْتَالِ بَعْدِ الْإِمْكَانِ .

٥—أَنَّخْتُمْ عَلَيْنَا كُلَّ الْحَرْبِ مَرَّةً فَنَحْنُ مُنْيِخُونَ هَا عَلَيْكُمْ بِكُلِّ كَلِّ^(١)

(١) روى التبريزى بعده ثلاثة أبيات، وذكر ابن جى أولها، وهي:
يَقُولُ رَجَالٌ مَا أَصَبَّ لَهُ أَبٌ ولا من أخْرٍ أَقْبِلَ عَلَى الْمَالِ تُعْقَلِ
كَرِيمٌ أَصَابَتْهُ ذَنَابٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ يَدْرِ حَتَّى جِئَنَ مِنْ كُلِّ مَدْخَلٍ
ذَكَرَتْ أَبَا أَرْوَى فَأَسْبَلَتْ عَبْرَةً مِنَ الدَّمَعِ مَا كَادَتْ عَنِ الدَّمْعِ تَنْجَلِي .

قال التبريزى : « يقول : يشيرون على بأخذ الديمة ولم يصيّبهم ما أصابى ، ولعلهم لو أصيّبوا
بما أصبت به لم تفتهن الديمة ». وقال : « ويروى : حق جئن من غير مدخل . أراد بالذناب
الأعداء . وقوله : حتى جئن من غير مدخل ، أى من مداخل كثيرة . ويقع في بعض النسخ :
ديات كثيرة ». .

وقال ابن جى في تفسير أول الأبيات الوائدة : « عطف الثاني — يعني كلة أخ — على
ما من عادته أن يزيد في الأول . لا ترى إلى جواز قوله : ما أصبت لهم من أب ؟ وهذا
مثل قوله : بدا لي أنى لست مدركًا ماضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً ». .

هذا الكلام تهدُّد ، وضمانٌ في أنه سيفاتهم على ما بدأوا . وللمعنى : سنؤثر
فيكم كاؤْرَتْمَ فِينَا ، ونُنْزِلُ الْحَرَبَ بِكَمْ كَا أَنْزَلْتُمُوهَا بِنَا . ويقال : أَنْخَتُ الْبَعِيرَ
فاستناخ وبرَّك ، ولا يقال فناخ . وتقول في شدة التأثير : بَرَّك عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ
بَكْلَاهُ ، ووَطَّهُمْ بِمَنَاسِهِ ، وَأَنْجَحَ عَلَيْهِمْ بِجِرَانِهِ . وهذا جعل الكلكلَ
هو المُناخ في صدر البيت ، وفي العَجَزِ جعل الحرب مُناخةً بكلكلها . وكل ذلك
أمثالٌ ، وللمعنى من جميعها ظاهرٌ .

٦٥

وقال بعضُ بَنِي جَرْمٍ مِنْ طَيْءٍ :

١- إِخَالُكَ مُوعِدِي بَنِي جُفَيْفٍ وَهَالَةَ ، إِنِّي أَنْهَاكَ هَالًا
فقوله « إخالٌ » ضرب من الاستهانة ، يقول : أحِسْبُكْ تُهَدِّدُنِي بَنِي
جُفَيْفٍ وَهَالَةَ . ثمَّ أَقْبَلَ عَلَى هَالَةَ فقلَ : إِنِّي أَزْجُرُكَ عَنِ التَّحْكِكِ بِنَا ،
وَنُصْرَةٍ مِنْ يَنْبِذُنَا . ومثل هذا الكلام يُسَمِّي التفافاً . والعرب قد تجمع في
الخطاب أو الإخبار بين عِدَّةٍ ، ثمَّ تُقْبِلُ أو تلتفت من بينهم إلى واحدٍ لكونه
أَكْرَمُهم ، أو أَحْسَنَهُمْ سَمَاعًا لِمَا يُلْقَى إِلَيْهِ ، أو أَخْصَصُهم بالحال التي تَنْطَقُ بِالشَّكْوِي
بَيْنَهُمْ ، فتفَرِّدُ بِكلامِهِ . على هذا بيت المُهَذَّلَيْنَ^(١) :

* أَحْيَا أَبَا كُنْ يَا لَلِي الْأَمَادِيْجُ^(٢) *

فقال أبا كُنْ ، ثمَّ قال يَا لَلِي . ويقال : خَلَتْ أَخَالُ ، وَإِخَال طَائِيَّةُ ،
فَكَثُرَ استعمالُهَا فِي الْأَسْنَةِ غَيْرِهَا ، حَتَّى صَارَ أَخَالُ كَلْمَفُوضٍ . وَهَالَةُ : الدَّارَةُ

(١) هو أبو ذُئْبَ المُهَذَّلَيْنَ . ديوان المُهَذَّلَيْنَ (١ : ١١٣) .

(٢) صدره : * لَوْ كَانَ مَدْحَةً حِلْ أَنْفَرَتْ أَحَدًا *

وَبِرُوْيَ فِي عِزَّهُ : * أَحْيَا أَبُوكَتْ الشَّمِّ الْأَمَادِيْجُ *

حَوْلَ الْقَمَرِ ، فِي الْلُّغَةِ ، وَإِذَا أَنَّتْ خَطَابَهَا فَإِنَّهُ جَعَلَهَا قَبِيلَةً ، وَإِذَا ذَكَرَهَا فَعَلَى إِرْدَةِ رَجُلٍ هُوَ أَبُو الْقَبِيلَةِ ، وَإِذَا جُمِعَ فِي الْمَعْنَى . وَفِي جَمِيعِ ذَلِكَ قَدْ صَرَفَ كَلَامَهُ .

٢ - إِنَّا تَنْهَى يَا هَالَ عَنِ ادْعَكِ لَمْ يُعَادِنِي نَسْكَالَا

يقول : إنْ لَمْ تَنْزِجْرِي عَنِّي وَلَمْ تَرْتَدِعِ بِكَلَامِي ، أَجْعَلْكِ لِأَعْدَائِي عِبْرَةً رَادِعَةً ، وَعِقْوَبَةً زَاجِرَةً . وَالنَّسْكَالُ : اسْمٌ لِمَا يُجْعَلُ عِبْرَةً لِلْغَيْرِ ، وَيُقَالُ نَسْكَلَ يَنْسَكِلُ ، وَنَسْكِلَ يَنْسَكِلُ لِفَتَانَ ، الْأُولَى تَمِيمَيَّةً وَالْآخِرَى حِجَازِيَّةً .

٣ - إِذَا أَخْصَبَتُمُ كُنْتُمْ عَدُواً إِنَّ أَجْدَبَتُمْ كُنْتُمْ عِيَالًا
يصفهم بالأشَّرِ والبَطَرِ وسُوءِ الْحِفَاظِ ، وَالتَّعْجِلُ إِلَى الشَّرِّ ، فيقول : إذا نَلَمْ أَخْيَرْ وَطَأْعَكُمُ الْوُجُدُ خَرَجْتُمُ لِنَا أَعْدَاءً ، ثُمَّ إِنَّ أَثْرَ فِيكُمُ الدَّهْرَ ، أَوْ ضَغَطَكُمُ الْبَؤْسُ وَالْفَرَّ ، أَوْ يَمِّ إِلَيْنَا ، وَلَقَمْ بِحَمْلَتَنَا ، فَاحْتَجَنَا إِلَى أَنْ نَمُونَكُمْ .

٦٦

وقال آخر^(١) :

١ - اللَّؤْمُ أَكْبَرُ مِنْ وَبْرِ وَالِدِهِ وَاللَّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ وَمَا وَلَدَاهُ
فضل اللَّؤْمَ فِي الْلَّفْظِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَسْلَافِهِمْ ، وَالْقَصْدُ بِهِ إِلَى تَفْضِيلِهِ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَطَبَاعِهِمْ ، لِأَنَّ الشَّرْطَ تَشْبِيهُ الْأَحْدَاثَ ، وَالذَّوَافَاتِ بِالذَّوَافَاتِ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ حُذِفَ الْمَضَافُ وَأَقِيمَ الْمَضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ،

(١) التبريزى : « قال أبو هلال : لم يذكر أبو عام اسمه ، واسم الحكم بن زهرة . قال الجعنى : زهرة أمته ، وهو الحكم بن المقادير بن الحكم بن الصباح ، أحد بنى مخاشن بن عصيم ، ثم أحد بنى زهرة بن قيس بن عمرو بن ثرملة بن مخاشن بن شيخ بن فزارة ، ويعرف بالحكم الأصم الفزارى . وقال أبو رياش : هو لمويف القوافي » . ونسب في معجم المرزبانى إلى عويف القوافي .

كانه قال : اللؤم أَكْرَم من أَخْلَاق وَبُرِّ وَأَخْلَاق والدِه ، وقوله « ووالدِه » دخل فيه كلُّ أَبٍ لهم ، كَا دَخَلَ فِي قَوْلِه « وَمَا وَلَدَا » كُلُّ وَلَدٍ لهم . واللؤم : خصالٌ مُنْسَكَرَة ، إِذَا اجْتَمَعَتْ سَمِّيت لؤما ، كَدَنَاءِ النَّفْسِ وَالآبَاءِ وَالْبُخْلِ مُرَدَّاً فِيهِم ، وَالنَّظَرُ فِي الْأَمْوَالِ التَّافِهَةِ الْمُخْزِيَّةِ . وَبُرٌّ فِي الْلُّغَةِ : دُوَيْبَةٌ أَصْغَرٌ مِنَ السَّنَوْرِ طَحْلَاءِ الْلَّوْنِ تَرَجَّنَ فِي الْبَيْوَتِ^(١) ، وَجَهَهُ وَبَارُّ . وَيُسْمَى بِهَا ، شَمْ جَعَلَتْ لِلْقَبِيلَةِ^(٢) . فَإِنْ قِيلَ : لِمَ لَمْ يَقُلْ : وَمَنْ وَلَدَا ؟ قَلَتْ : أَشَارَ إِلَى الْجِنْسِ وَمَا يَقْعُدُ لِلْأَجْنَاسِ .

٢ - قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَّى جَانِبِهِمْ أَمِنُوا مِنْ لُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوَدًا
يَقُولُ : هُمْ قَوْمٌ إِذَا جَرَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ جَرِيرَةً أَمِنٌ بَجِيعِهِمْ ، لَدْقَةً أَصْوَلُهُمْ ،
وَلُؤْمُ أَحْسَابِهِمْ ، أَنْ يُؤْخَذُوا كُلُّهُمْ بِهَا ، فَكَيْفَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ . كَانَ الْقَبِيلَةَ
بَأْسِرِهَا لَا يُعَدُّونَ بَوَاء لِقَتْلِي فَيُقْتَلُو بِهِ ، فَالْأَمْنُ الَّذِي شَمِلُهُمْ عِنْدَ اتِّفَاقِ الْجَنَاحَيَاتِ
مِنْهُمْ لَهُدا . وَالْقَوَدُ : أَنْ يُقْتَلَ الْقَاتِلُ بِالْقَتْلِ ، فَيَقُولُ : أَفَدَتْهُ بِهِ . وَإِذَا أَتَى الرَّجُلُ
صَاحِبَهُ بِمَكْرُوهَةٍ فَأَنْتَمُ مِنْهُ بِمَثِيلَاهَا ، قَيْلُ : اسْتَقَادَهَا مِنْهُ ، وَهَذَا كَا قَالَ الْآخَرُ :
* مَنْ ذَا يَعْصُ الكلبَ إِنْ عَصَّ *

وَنَقْلُهُ أَبُو تَمَّامَ قَالَ :

أَمَا الْمِهْجَاهُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلَ
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضُكَ إِنَّهُ عِرْضُ عَزَّزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ
٣ - اللؤمُ دَاهِ لَوَّرٌ يُقْتَلُونَ بِهِ لَا يُقْتَلُونَ بِدَاهِ غَيْرِهِ أَبَدًا
أَشَارَ بِهِذَا إِلَى أَنَّ مَطَاعِمَهُمُ الْخُسِيسَةُ تُرْدِيهِمْ ، وَإِسْفَافَهُمُ لَهَا يَعْرِضُهُمْ لِلْقُتلِ

(١) تَرَجَّنْ هَنَا بِالرَّاءِ ، وَهِيَ تَطَابِقُ تَدْجُنَ بِالدَّالِ وَزَنَّا وَمَعْنَى . وَالرَّجُونَ وَالدَّجُونَ : الإِقَامَةِ .

(٢) التَّبَرِيزِيُّ : « وَبَرْ بَنَ الأَبْسِطُ : قَبِيلَةٌ مِنْ كَلَابٍ » .

ويهلكهم ، فقال : هذا دأؤم لا يقتلون إلا به ، ولأنَّ حِينَ كُلَّ حَائِنٍ فِيهَا يَغْلِبُ بِهِ وَعَلَيْهِ . وَيَحُوزُ أَنْ يَرِيدُ أَنَّهُ مَا تَرَفَّعَ الْقَصَاصُ عَنْهُمْ عِنْدَ وَقْوَعِ الْجَرَاثِيرِ مِنْهُمْ ، كَانَتِ الْقِتْلَةُ الْكَرِيمَةُ فِيهِمْ أَزْهَدَ ، وَعَنْهُمْ أَبْعَدَ ، وَلَا يَمْوتُنَّ إِلَّا بِدَاهِنِهِمْ الَّذِي هُوَ اللَّوْمُ . وَالْمَوْتُ قَدْ يُسْمَى قَتْلًا . وَإِنَّمَا أَدْخُلُ هَذِهِ الْأَيَّاتَ فِي الْبَابِ لِقَوْلِهِ « قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَّى جَانِيهِمْ أَمْنَوْا » فَلَمَّا ذَكَرَ مَنْ يَحْتَدِفُ إِدْرَاكَ التَّأْرِ منْ جَهَتِهِ تَيْسِرُ أَوْ تَعْسِرُ ، ذَكَرَ أَيْضًا مَا يُضَادُهُ مَنْ يُرْغَبُ عَنْهُ وَيُرْهَدُ فِي التَّنَيْلِ مِنْهُ ، تَرَفَّعَ مَعًا عَنْ مَكَافَأَتِهِ . وَهَذَا عَادُهُ فِي إِتْبَاعِ الشَّيْءِ بِضَدِّهِ ، فَاعْلَمُهُ .

٦٧

وقال آخر :

١ - أَلَا أَبْلِغَا خُلُتِي رَاشِدًا وَصِنْوِي قَدِيمًا إِذَا مَا اتَّصَلْ

قَدِيمًا ، اتَّصَبَ عَلَى الظَّرْفِ لِقَوْلِهِ خُلُتِي . وَالْمَرَادُ : أَبْلِغَا خَلِيلِي قَدِيمًا رَاشِدًا ، وَصِنْوِي إِذَا مَا انْتَسَبَ . وَالصِّنْوَانُ : الْفَرَّاعَانَ يَخْرُجُونَ مِنْ أَصْلِ وَاحِدٍ . وَيَقَالُ لِلْأَخْوَيْنِ هَا صَنْوَانٌ ، تَشْبِيهًـ بِذَلِكَ ، وَلَمَّا رَأَيْهُمْ الرَّجُلُ صِنْوُ أَيْهِ . وَيَقَالُ صِنْوُ ، وَصِنْوَانٌ فِي التَّثْنِيَةِ ، وَصِنْوَانٌ فِي الْجَمْعِ ، وَلَا يُعْرَفُ لَهُ نَظِيرٌ إِلَّا قِنْوُ . فَيَقُولُ : رَاشِدٌ خَلِيلُ الْقَدِيمِ ، وَنَسِيبُ الْقَرِيبِ ، فَأَبْلَغَاهُ عَنِ رِسَالَةِ رَحْمَةِ اللهِ ، مِنْ أَنَّ الْعَرَبَ تَلَفَّ الْخَبَرَيْنِ لَفَّا ، ثُمَّ تَرَمِي بِتَفْسِيرِهِمَا جَمْلَةً ، ثُقَّةً بِأَنَّ السَّامِعَ يَرُدُّ إِلَى كُلِّ مَا لَهُ .

٢ - بِأَنَّ الدَّقِيقَ يَهْبِطُ الْجَلِيلَ وَأَنَّ الْمَزِيزَ إِذَا شَاءَ ذَلَّ

الباء دخل للتأكيد ، وموضع أنْ مفعول ثانٍ من أَبْلِغَا . فَيَقُولُ : أَبْلِغَا

أنَّ صغيرَ الأمورِ يُجْنِي الكَبِيرَ، وأنَّ العَزِيزَ مِنَ الرَّجَالِ مَا تَرِيدُهُ عَادَ ذَلِيلًا
بَأْنَ يَعْدُو طَوْرَةً، ويشتغل بما لا يَهْمُهُ . ومثل هذا قولهم : « الشَّرُّ يَبْدُو
صغاره » ، وقول شاعرهم^(١) :

* الْحَرْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فُتَيْهَةً^(٢) *

وقول الآخر^(٣) :

* كَمْ مَطَرٍ بَدْوَةً مُطَبِّرَ^(٤) *

٣ - وَأَنَّ الْحَزَامَةَ أَنْ تَصْرِفُوا لِحَيِّ سِوَانَا صَدُورَ الْأَسَلِ
هذا الكلام تحذيرٌ وإنذار . يقول : وأبلغاه أنَّ الحزمَ في صرفِ أعني
خليكم إلى غيرنا ، فإنكم لا تقومون لنا إذا هيجتمونا ؛ والرأى في أن تصدِّلوا
بصدر رماحكم إلى طعنِ مَنْ سوانا ، فإنكم لا تتمكنون لِدِفاعنا ، ولأنَّ الكَرْهَةَ
لا يُنْجِزُ مَنَا إِلَّا إِبَاهَ وامتناعاً .

٤ - إِنْ كُنْتَ سَيِّدَنَا سُدْنَانَا وَإِنْ كُنْتَ لِلْخَالِ فَاذْهَبْ فَخَلْ
العرب تقول : « سَيِّدُ الْقَوْمِ أَشْقَاهُ ». ولذلك قال شاعرهم^(٥) :
وَإِنَّ سِيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَاعْلَمَ لَهَا صُدَّاءه مَطْلَعُهَا طَوِيلُ^(٦)

(١) هو عمرو بن معد يكرب . شروح سقط الوند ١٦٧٨ .

(٢) بجزه : * تسمى بزینتها لـ كل جهول *

(٣) هو أبو قاتم . البيان والتبيين (٣ : ٦٧) .

(٤) صدره : * رب قليل جنى كثيراً *

(٥) هو الأعلم المذلى . ديوان المذلين (٢ : ٨٧) والبيان (١ : ٢٢٥ : ٢١٨ : ٣٥٢) .

(٦) صداء ، كما وردت في النسختين ، وكذلك في أصل ديوان المذلين نسخة الشنقيطي
وشرح الكرى لأنصار المذلين ، ونسخة مكتبة فيض الله من البيان والتبيين . وضبط في
اللسان (صعد) بفتح الصاد وسكون الددين ، وفسره فقال : « أَكَمَةَ صعود وذات صعداء
يشتد صعودها على الراق ». وأما الصعداء بضم ففتح ، فهو النفس بتوجع ، وهو المشقة أيضًا .

فيقول : إن رُمْتَ سِيادَتَنَا مِنْ وجْهِهَا ، وبالآلات التي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي تَحْصِيلِهَا ،
تمَّ لِكَ ذَلِك ؟ وَإِنْ كُنْتَ لِكَبْرٍ فَاذْهَبْ فَاحْسِبْ أَنَّكَ سَيِّدٌ ، فَإِنَّكَ لَا تَكُونُ .
هذا إِذَا روَيْتَ « فَخَلْ » بفتح الخاء . وَإِنْ روَيْتَ « خُلْ » بضمّهَا فَالمعنى :
اذْهَبْ وَتَكَبَّرْ ، فَإِنَّا لَنْ نَقَادَكَ ، وَاسْتَعْالُ التَّبْغِيِّ وَالصَّلَفِ وَالسَّكَرَهُ لَا يَزِيدُنَا
إِلَّا إِبَاءَ عَلَيْكَ ، وَعَادِيَا فِي الْلَّجَاجِ مَعَكَ . وَانْخَالُ : الْكَبِيرُ . وَانْخَالُ الرَّجُلُ
فَهُوَ مُخْتَالٌ وَخَالٌ أَيْضًا . قال الشاعر :

* إِذَا تَجَرَّدَ لَا خَالٌ وَلَا بَخَالُ *

ويقال خَالٌ يَخْنُولُ وَيَخَالُ خَوْلًا وَخَالًا ، وفي الظُّنُونِ يُقالُ خَالٌ يَخَالُ
لَا غَيْرَ . وقوله « فاذْهَبْ » أَمْرٌ من قولكَ ذَهَبَ يقول كذا . وعلى هذا
قول الشاعر :

* فاذْهَبْ فَا يَكَ وَالْأَيَامِ مِنْ عَجَبِ (١) *

وكذلك قوله للغريم : قُمْ فَأَعْطِنِي حَقّ . فالامر في الحقيقة بالعطية لا بما
سِوَاهُ . وأُجْرِيَ سَجْرَاهُ قَوْلُهُمْ : أَخْذِي تَمْسَكَ بِكَذَا ، وَطَلِيقَ يَتَحَدَّثُ بِكَذَا ،
وَجَعْلِي يَشْتَمِنِي . وَخَرْجُوا فِي التَّوْسُعِ إِلَى أَنْ قَالُوا : قَامَ يَهْزَأِ بِي ، وَقَعْدَ يَظْنَ أَنَّهُ
أَمِيرٌ (٢) . وَلِيُسَ القَصْدُ إِلَى فعله القيام والقعود ، ولَكِنْ زِيَادَةً كَالْتَّصْوِيرِ لِلْحَالِ
وَالتأكِيدِ لِلقصَّةِ .

(١) البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف لها قائل . انظر الكتاب (٣٩٢:١) والحزنة (٢ : ٣٣٨) والإنساف (٢٧٣) . وصدره :

* فَالْيَوْمَ قَرِبَتْ تَهْجُونَا وَتَشْتَمَنَا *

(٢) م : « أَمِيرٌ » .

٦٨

وقال بعض بنى أسد :

١ - كلاً أخوينَا إِنْ يُرَعِّيْدُ عِيْدَ قَوْمَهُ ذَوِي بَجَامِلِ دَبَّرِ وَجْمَعِ عَرَمَرَمِ
يقوله رجل اقتتل فريقان من قومه على بئر ، فيقول : كلاً صاحبَيْنَا إِنْ
يُفَزَّعَ يَسْتَغْثِيْبُ قَوْمَهُ ذَوِي عَدَدِ وَعْدَةٍ . والبَجَامِلُ : الإِبَلُ ، وهو اسم صيغ
للجمع . والدَّبَّرُ : الْكَثِيرُ . والعَرَمَرَمُ : الجيش العظيم . وعَرَامُ الجيش : حَدُّهُمْ
وَكَثُرَتْهُمْ . وانتصب « ذوى » على الحال . والجزاء مع جوابه خبر المبتدأ ،
وهو كلاً .

٢ - كلاً أخوينَا ذُورِجَالِ كَاهِمْ أَسُودُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَغْلَبِ ضَيْقَمِ
يقول : كل واحد من صاحبينا مؤيد برجال كاهم أسود هذه المأسدة ،
من كل ليث غليظ العنق ، شديد العض . وضَيْقَمُ : قَيْعَلُ من الضَّغْمِ ، وهو
العض . وكلاً مُوحَّدُ اللَّفْظِ ، موضوع المثنى ؛ لكن المراد به هنا كل واحد .

٣ - فَمَا الرُّشْدُ فِي أَنْ تَشْتَرُوا بِنَعِيمِكُمْ بَئِيسًا وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا مَاءَ بِالدَّمِ
يدعوه إلى المصالحة ، ويعرّفهم أنه لا خير في ماء ، يصلون إليه بإراقة دماء ؛
ويزهدُهم في خصْبٍ ونَعِيمٍ ، يحصل عن عَيْشِ بَئِيسٍ ، فيقول : ليس الصَّلاحُ
والنَّجَاحُ فِي أَنْ تَسْتَبِلُوا بِنَعِيمِكُمْ بُوسًا ، وَبِسَلامَتِكُمْ هُلْكَاً ، وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا
مَاءَ بَسْقَكَ الدَّمَاءِ . والبَئِيسُ ، يكون مَصْدَرًا كالبُؤْسُ ، ويوضع في مقابلة النَّعِيمِ
كما فعلَهُ هذا ، ويكون صفةً ، على هذا قول المذلى^(١) :

وَمَعِي لَبُوسٌ لِلْبَئِيسِ كَاهَهُ رَوْقٌ بِجَهَةِ ذِي نِعَاجٍ مُجْفِلٌ
وهو الرَّجُل الشَّبَاعِ ذُو الْبَأْسِ .

(١) هو أبو كير المذلى . ديوان المذلين (٢ : ٩٨) .

٦٩

وقال حُرَيْثُ بْنُ عَنَّابٍ^(١):

١ - تَعَالَوْا أَفَآخِرُكُمْ : أَعْيَا وَقَعْسٌ إِلَى الْجَدِّ أَدْنَى أَمْ عَشِيرَةً حَاتِمٍ
 يقول : هَلُمُوا أَنَا فِرِّكُمْ : أَهْوَاءُ الْبَطْوَنُ أَقْرَبُ إِلَى الْجَدِّ أَمْ رَهْطُ حَاتِمٍ ؟
 وَبْنُو أَعْيَا : مِنْ بَنِي سَعْدَ بْنَ قَيْسٍ ، وَبْنُو فَقْعَسٍ : حَتَّىٰ مِنْ بَنِي أَسَدٍ . وَرَوَى
 بَعْضُهُمْ : « أَعْيَارٌ فَقْعَسٌ » ، يَرِيدُ رَؤْسَاهُ فَقْعَسٌ . وَزُعمَ أَنَّ أَعْيَا لَا يَعْرَفُهُ
 اسْمَ قَبْيلَةٍ ، وَأَنَّ هَذَا تَصْحِيفٌ اسْتَدْرَكَهُ . فَأَمَّا إِنْكَارُهُ لِأَعْيَا قَبْيلَةً فَلَا وَجْهٌ لَهُ
 لِأَنَّ بَنِي أَعْيَا مِنْ قَبَائِلَ سَعْدَ بْنَ قَيْسٍ ، وَهُوَ مَشْهُورٌ ذِكْرُهُ النَّسَابُونَ وَغَيْرُهُمْ ،
 وَوَهْبُ بْنُ أَعْيَا بْنُ طَرِيفٍ الْأَسْدِيُّ ، مَعْرُوفٌ مَعْدُودٌ فِي الْأَعْلَامِ . وَأَمَّا مِنْ
 طَرِيقِ النَّظَمِ فَلَأَنَّ تَكُونُ الْقَبْيلَةُ مُقَابِلَةً بَمِثْلِهَا ، وَمَذْكُورَةً فِي الْمُنَافَرَةِ مَعَهَا —
 أَحْسَنُ مِنْ أَنْ يُقَابِلَ الْأَفْرَادَ بِالْقَبْيلَةِ . وَ« أَعْيَارٌ » إِشَارَةٌ إِلَى الْأَفْرَادِ ، لِأَنَّهُ
 يُرَادُ بِهَا الرَّؤْسَاءُ . يَقَالُ : هُوَ عَيْرُ قَوْمِهِ ، أَيْ سَيِّدُهُمْ . هَذَا وَقْدَ رَجَعْنَا إِلَى نُسُخِ
 مُخْتَلَفَاتِ الْمَصَادِرِ ، فَوَجَدْنَاهَا مُتَوَافِقةً فِي تَحْمِيلِهَا « أَعْيَا وَقَعْسٌ » . وَإِذَا كَانَ

(١) عناب ، بالتون ، كاف في م . قال ابن جن في المبهج . « اسْمٌ مُتَجَلٌ غَيْرُ مُتَوَقَّلٌ . وهذا أحد الأمثلة التي جاءت على فعال اسمًا لا صفة ، وهي الكلاء ، والجلان ، والفياد : ذكر ال يوم ، والجبار في الصدر وهو أيضًا الصاروخ ، والعقار : أحد الأبنته ، وعناب هذا الرجل والخطار : دهن طيب . ويجوز أن يكون عناب من العنبر كamar من التبر ». وحرث ، ذكره الآمدي في المؤتلف ١٦١ وقال : أحد بنى نبهان بن عمرو بن القووث بن طيء . شاعر محسن مكث ، وهو القائل :

أَتَرْجُو حِيَ أَنْ تَجْنِيَ صَفَارَهَا بَغْيَرِ وَقْدَ أَعْيَا حِيَا كَبَارَهَا
 فَأَخْذَهُ الْفَرِزَدْقُ فَقَالَ :

أَتَرْجُو كَلِبَ أَنْ تَجْنِيَ صَفَارَهَا بَغْيَرِ وَقْدَ أَعْيَا كَلِيَا كَبَارَهَا
 وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدِ الْأَعْرَابِيِّ فِيمَا قَلَلَهُ عَنْهُ التَّبَرِيزِيُّ : « وَهُوَ فِي عَصْرِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَبَعْدَ
 ذَلِكَ إِلَى زَمْنِ مَعَاوِيَةَ » .

كذلك لا يجوز العدول عمّا قاله الشاعر إلى ما لم يقله . و قوله «أأعيا وفَقْعُسْ» استفهام في الأصل نقل عن باه ، والمعنى : أنا فرك بالقضية التي تكون نتيجة هذا هذا الاستفهام ، و قوله «أدْنِي إِلَى الْمَجْدِ» لم يُتَّهَ وإن كان خَبَرًا عن اثنين ، لأنَّه أفعى الذي يتم بِعْنَ ، وقد دَخَلَ عليه الاستفهام ، فيجب أن يستوى فيه الواحد والاثنان ، ولذا ذُكر المؤنث . وهذا الكلام لو أتى به على وجهه لكان : أم عَشِيرَةُ حاتِم أَدْنِي إِلَى الْمَجْدِ مِنْهُمْ ، لكنه حَذَفَ إذْ كان المراد مفهوما . وإنما جاء على حرف الاستفهام ليَبصَرُوا ضلالَهُمْ . وفي طريقته بيت جرير :

هَلَمُوا نُحَا كُمْكُمْ فِي الْحَكْمِ مَقْنَعْ إِلَى الْغُرْرِ منْ آلِ الْبِطَاحِ الْأَكَارِمِ

والتقدير : أنا فرك أَيُّهُمْ أَمْجَدْ وَأَعْرَفْ . وحاتِم المذكور هو حاتِم بن عبد الله الطائي . و «تَمَالَ» كان يقوله من هو في رابية للمسفل ، لأنَّه تفاعَلَ من العلو ، فكثير استعماله حتى جرى مجرى هَلْمَ ، فصار المسفل يقوله عند الدُّعاء للمُسْتَغْلِي .

٣ — إلى حَكَمٍ من قيس بن عيلان فَيَصِلُّ وَآخَرَ من حَيَّ ربيعة عَالَمْ
قيل : أراد بأحد الحَكَمَين عاصِرَ بنَ الظَّرِبِ^(١) وبالآخر دَغْفَلَا النَّسَابَةَ .
والفَيَصِلُ : الذي يفصل الأمور ، والياء دَخَلتُه لتلحظه بيناء جمفر ، كأنَّ الضَّيْفَ
فَيَقْعُلُ من الضَّفْرَ ، والبناء انِّ بحصول الياء فيها صفتَين بعد أن كانا
مُصْدَرِيْن ، لأنَّ فَضْلًا من دون الياء مصدرٌ فَضْلٌ ، كأنَّ ضَغْمًا من دون الياء

(١) التبريزى : « وقال المجرى : الحَكَمُ من قيس عيلان عاصِرَ بنَ الظَّرِبِ العَدَوَانِي ، والآخر الذي هو من حَيَّ ربيعة دَغْفَل . وحَيَا ربيعة : بكر وَتَفْلِب ، ورجل واحد لا يكون من حَيَّن ، وإنما يريد من أحد حَيَّ ربيعة » . وقال أبو محمد الأعرابي معتبراً على ذلك : « كَيْفَ
يكون الحَكَمُ من قيس بن عيلان ها هنا عاصِرَ بنَ الظَّرِبِ ، وهو قبل الإسلام يائِي عام ، ومتى
لَحِفَّةُ حرث بن عتاب وهو في عصر عمر بن الخطاب وبِسَدْ ذلك إلى زَمْنِ معاوِيَة ؟ ! وإنما عني
بالحَكَمِ من قيس عيلان هَرَمَ بن قطبَةَ بن سِيَارَةَ بن عمرو النَّزَارِيِّ . والحاكم من حَيَّ ربيعة
دَغْفَلَا النَّسَابَةَ . وحَيَا ربيعة : ذهَلَ بن شَيْبَانَ بن نَعْلَةَ ، وذهَلَ بن نَعْلَةَ ، وهو عم ذهَلَ بن
شَيْبَانَ ، وعم الرَّجُلِ أَبُوهُ » .

مصدر ضَغْمَ ، فَلَمَّا حَصَلَ إِلَيْهِ فِيهَا وُصِفَّ بِهَا وَأَفَادَ مِبَالَغَةً فِي الْمَعْنَى . أَلَا تَرَى أَنَّ فِي صَلَامًا يُفِيدُ مَا لَا يُفِيدُ فَاصِلٌ ، وَكَذَلِكَ ضَيْقَمٌ يُفِيدُ مَا لَا يُفِيدُ ضَاغِمٌ ، فَاعْلَمُهُ .

٣ — ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ مَتَّلِكُمْ ضَرَبْنَا الْعِدَى عَنْكُمْ بِبِضِّي صَوَارِمْ
قام لَهُ بِمَعْنَى تَقْوَمْ وَتَرَكَ الْخَلَافَ ، وَقَامَ عَلَيْهِ بِمَعْنَى دَأْوِمْ وَلَازَمْ . وَفِي الْقُرْآنِ :
﴿إِلَّا مَا دَمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ . يَقُولُ : قَدْعَنَاكُمْ^(١) بِالْمَكْرُوهِ ، حَتَّى إِذَا بَانَ لَنَا فَيَتَّكِمُونَ وَاسْتَقْمَاتُكُمْ ، حِينَئِذٍ ذَبَبْنَا الْأَعْدَاءَ عَنْكُمْ بِسَيُوفِ قَوَاطِعَ . وَالْمَعْنَى : نَعَالِمُكُمْ بِعِمَالَةِ الْأَعْدَاءِ ، إِذَا اسْتَقْمَتْ لَنَا وَذَهَبَ الْخَلَافُ عَنْكُمْ ، ضَمَّنَنَاكُمْ إِلَى أَنْفُسِنَا ، وَحَمِّنَا عَلَيْكُمْ مَعَ الْأُولَاءِ .

٤ — فَجَلُوا بِأَكْنَافٍ وَأَكْنَافِ مَعْشَرِي أَكْنَنْ حِرْزَكُمْ فِي الْمَأْقِطِ التَّلَاجِمِ
فِي جَمِيعِهِ لِأَكْنَافِ ظَهُورٍ تَجْبِيرٍ فِيهِمْ ، وَأَخْذَ بِالْتَّعَلَّلِ عَلَيْهِمْ . يَقُولُ : انْزِلُوا
بِيَحْنَابِي وَجَنَابِ عَشِيرَتِي ، وَتَحَصَّنُوا بِيَنَانِي وَفِنَاهِ قَوْمِي ، أَكْنَنْ كَهْفَكُمْ فِي
الْمَضِيقِ مِنَ الْحَرْبِ التَّلَاصِقِ . وَالْتَّلَاجِمِ ، يَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْلَّاحَامِ ، لَأَنَّ
كُلَّ شَيْءٍ كَانَ مِتَابِيَّاً ثُمَّ تَلَازَمَ^(٢) يُقَالُ فِيهِ : التَّحَمَّ وَتَلَاجَمَ ، وَيَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ
مِنَ الْلَّاحِمَةِ ، لَأَنَّ أَهْلَهَا يَتَلَاحِمُونَ فِيهَا . يُقَالُ : سَلَمْتُهُ فَهُوَ لَحِيمٌ ، أَى قَتْلَتُهُ .
قَالَ الْمُذَلِّ^(٣) :

* فَلَا رَبَّ أَنْ قَدْ كَانَ ثُمَّ لَحِيمٌ^(٤) *

٥ — فَقَدْ كَانَ أَوْصَانِي أَبِي أَنْ أَضِيفَكُمْ إِلَى وَأَنْهَى عَنْكُمْ كُلَّ ظَلْمٍ

(١) م : « فَرَعَنَاكُمْ » ، أَى عَلَوْنَاكُمْ .

(٢) كَذَافِ الأَصْلِ ، وَقِ م : « تَلَانَ مِنْ » ، وَالْأَخِيرَةُ مُخْرَفَةٌ .

(٣) هُوَ سَاعِدَةُ بْنُ جَوْيِهِ الْمُذَلِّ . دِيْوَانُ الْمُذَلِّيْنِ (١ : ٢٣٢) وَاللِّسَانُ (حَصْرٌ ، لَحِيمٌ) وَمَقَارِيسُ اللِّغَةِ (رَبِّ ، لَحِيمٌ) .

(٤) صَدْرُهُ : * فَقَالُوا تَرَكَنَا الْقَوْمُ قَدْ حَصَرُوا بِهِ *

نَبَّهَ بِهِذَا الْكَلَامَ عَلَى اسْتِعْلَانِهِ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا لَهُمْ
كَانُولِ التَّقْبِيعَ ، وَأَنَّ الْأَسْلَافَ كَانَتْ تُؤْصِي الْأَخْلَافَ بِهِمْ لِتَطَاوُلِ أَيَّامِهِمْ فِي
جَبَابِهِمْ ، وَأَكْتَنَافِ الْعِنَاءِ بِهِمْ مِنْ مَاضِهِمْ وَغَيْرِهِمْ .

٧٠

وقال إبراهيم بن كثيف التهاني^(١) :

١ — تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّابَرَ بِالْحُرَّ أَجْلَلُ^(٢) وَلَيْسَ عَلَى رَبِّ الزَّمَانِ مُعَوَّلُ^(٣)
الخطاب بِهِذَا الْكَلَامَ لِلنَّفْسِ عَلَى طَرِيقِ التَّسْلِيَةِ ، فَيَقُولُ : تَصْبِرْ فَإِنَّ
الصَّابِرُ بِالرَّجُلِ الْكَرِيمِ أَحْسَنُ مِنَ التَّخْشُعِ فِيهَا لَا يَحْسُنُ الْخُضُوعُ فِيهِ وَلَهُ .
وَالْأَصْلُ فِي الصَّابِرِ الْحَبْسُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ : قُتِلَ فَلَانُ صَابِرًا . وَقَوْلُهُ « وَلَيْسَ عَلَى
رَبِّ الزَّمَانِ مُعَوَّلٌ » ، يَرِيدُ بِهِ أَنَّ الْأَحْدَاثَ لَا تَقْفَ عَلَى شَيْءٍ بِحُكْمِ وَاحِدٍ ،
وَلَكِنَّهَا تَتَنَقَّلُ وَتَتَبَدَّلُ ، فَلَا مُتَسَكِّلٌ عَلَيْهَا ، وَلَا مُعَمَّدٌ عَلَى عَهْدِهَا ، فَهُنَّ كَمَا
تُخْسِنُ تُسَيِّرُ ، وَكَمَا تُدْوِي تُدَاوِي ، وَكَمَا تَجْمَعُ تُفَرِّقُ . وَقَوْلُهُ « تَعَزَّ » هُوَ
مِنْ عَزَّ الرَّاجِلِ وَعَزِيزِ الرَّجُلِ ، إِذَا صَبَرَ عَزَّاً ، وَرَاجِلٌ عَزِيزٌ أَيْ صَبُورٌ . وَفِي
بَنَاءِ تَفَعَّلٍ زِيَادَةٌ تَكْلُفٌ ، وَدَلَالَةٌ عَلَى فَرْطِ تَعْمِلٍ . وَالْمُعَوَّلُ : الْمَحْمُولُ وَالْمُتَسَكِّلُ .

(١) قال البكري في الالال: « شاعر إسلامي » .

(٢) بعده عند التبريزى أبيات ثلاثة وهي :

فَلَوْ كَانَ يُعْنِي أَنْ يُرْسِي الْمَرْءَ جَازِعًا لَخَادِثَةِ أَوْ كَانَ يُعْنِي التَّذَلُّلُ
لِكَانَ التَّعْزِيَ عِنْدَ كُلِّ مَصِيبَةٍ وَنَائِبَةٍ بِالْحُرَّ أَوَّلَيْ وَأَجْلَلُ
فَكِيفَ وَكِيفَ لَيْسَ يَعْدُو حِمَامَهُ وَمَا لَامِرَى عَمَاقَةَ اللَّهِ مَرْحُلُ

والمخر أصله الأعتق من كل شئ والأكرم ، ولذلك قيل لما بدا من الوجه في
اللقاء : حُرُّ الوجه . قال الشاعر^(١) :

* لقد شان حُرُّ الوجه طفنة مُسْهِر^(٢) *

٢- فإنْ تكنِ الأيامُ فِينَا تَبَدَّلْتُ بِيُوسَى وَنُعْمَى وَالْحَوَادِثُ تَقْعُلُ
قوله « والحوادث تفعل » يسمى اعتراضا ، ومثل هذا من الاعتراض يزيد
القصة تأكيداً ، وهو هنا حائل بين الجزاء وجوابه ، لأن جواب إن تكن
قوله « فَلَيَنْتَ مِنَّا قَنَّاهُ صَلَبِيَّةً » . وحسن الكلام به جداً إذ كان تأكيداً لما
يقتضيه من تحويل الأحوال ، وتحقيقاً لما شكاه من ريب الزمان ، وبعثا على
التسلل ، وأخذ النفس بالتأني ، فيقول : إن كانت الأيام دارت فينا بالنعماء مرّة
 وبالأساء أخرى — وهذا عادة الدهر وحوادثه — فما غيرت منا شيئاً .

٣- فَمَا لَيَنْتَ مِنَّا قَنَّاهُ صَلَبِيَّةً وَلَا ذَلَّلْنَا لِلَّذِي لَيْسَ يَحْمُلُ^(٣)
ذُكْرُ القنّاه مثال ، وقد مفى الكلام في مثيله . وأين ما يستشهد به في
استعارتها للإباء والتشدد قوله :

كانت قنّاني لا تلين لفامنِ فَلَانَهَا الإِصْبَاحُ وَالإِمْسَاهُ^(٤)
وهذا البيت بيان لفائدة الصبر الذي دعا إليه ، وبعث نفسه عليه ، لأن

(١) هو عامر بن الطفيلي . ديوانه ١١٩ والشعر والشعراء ٢٩٣ .

(٢) مصدره : * لمرى وما عمرى على بهن *

(٣) التبريزى : « لات ليس تحمل ». .

(٤) في الكامل ١٢٥ ليسك : « وقال بعض شعراء الطاھلية » . والبيت مع قرن له
في الكامل وعيون الأخبار (٢ : ٢٢٢) . ونسبا في زهر الآداب (١ : ٢٠١) إلى
عمرو بن قيبة .

الصابر على الشدائـد حـقـيقـةً بـأـلـا يـتـذـلـلـ لـمـا لـا يـحـسـنـ بـهـ ، وـلـا تـجـمـلـ الـأـحـدـوـثـةـ فـيـهـ عـنـهـ ، وـأـلـا يـتـلـيـنـ لـاـ كـانـ يـتـصـلـبـ لـهـ مـنـ قـبـلـ .ـ فـإـنـ قـالـ قـائـلـ :ـ فـإـذاـ كـانـ غـايـةـ الصـبـرـ وـمـعـنـاهـ هـذـاـ ،ـ فـإـلـىـ أـيـ شـيـ دـعـاـ نـفـسـهـ بـقـوـلـهـ :ـ تـعـزـ فـإـنـ الصـبـرـ بـالـحـرـ أـجـلـ ؟ـ وـقـدـ خـبـرـ عـنـ نـفـسـهـ بـأـنـ آـخـذـ بـمـاـ هـوـ حـقـيقـتـهـ ؟ـ قـلـتـ :ـ يـحـوزـ أـنـ يـكـونـ سـعـنـيـ «ـ تـعـزـ »ـ دـمـ عـلـىـ التـعـزـيـ ،ـ وـيـكـونـ بـنـاءـ الـأـمـرـ لـمـاـ هـوـ لـلـحـالـ ،ـ وـلـاـ يـرـيدـ اـسـتـئـافـهـ ،ـ كـمـاـ أـنـ قـوـلـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ :ـ {ـ يـأـيـهـاـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ آـمـنـواـ بـالـلـهـ وـرـسـوـلـهـ }ـ مـعـنـاهـ دـوـمـواـ عـلـىـ الـإـيمـانـ .ـ وـيـحـوزـ أـنـ يـكـونـ أـسـرـ نـفـسـهـ فـيـ الـمـسـتـقـبـلـ بـمـاـ كـانـ عـادـتـهـمـ فـيـ الـمـسـتـقـدـمـ .ـ

٤- ولـكـنـ رـحـلـنـاـهـاـ نـفـوسـاـ كـرـيـةـ تـحـمـلـ مـاـ لـاـ يـسـتـطـاعـ فـتـحـمـلـ^(١)
 يـحـوزـ أـنـ يـكـونـ معـنـيـ رـحـلـنـاـهـاـ رـحـلـنـاـ هـاـ نـفـوسـاـ ،ـ وـالـضـمـيرـ لـلـحـوـادـثـ ،ـ وـيـكـونـ هـذـاـ كـقـولـمـ كـلـتـكـ وـكـلـتـكـ لـكـ ،ـ وـوـزـنـتـكـ وـوـزـنـتـكـ لـكـ ،ـ وـيـكـونـ نـفـوسـاـ مـفـعـولاـ لـرـحـلـنـاـ .ـ وـيـحـوزـ أـنـ يـكـونـ الضـمـيرـ أـعـنـ ضـمـيرـ الـمـنـصـوبـ فـيـ «ـ رـحـلـنـاـهـاـ »ـ لـلـنـفـوسـ ،ـ عـلـىـ أـنـ يـكـونـ مـفـعـولاـ .ـ وـأـنـىـ بـالـضـمـيرـ قـبـلـ الذـكـرـ ،ـ ثـمـ جـعـلـ قـوـلـهـ نـفـوسـاـ بـدـلاـ مـنـهـ ،ـ عـلـىـ طـرـيـقـ التـبـيـيـنـ .ـ وـقـوـلـهـ «ـ وـلـكـنـ »ـ حـرـفـ يـسـتـدـرـكـ بـهـ بـعـدـ النـفـيـ ،ـ فـيـكـونـ الـمـعـنـيـ مـاـ تـذـلـلـنـاـ لـلـنـوـائـبـ ،ـ وـلـكـنـ هـيـأـنـاـ هـاـ نـفـوسـاـ تـأـنـفـ مـنـ الرـضـاـ بـالـدـنـيـةـ ،ـ فـلـاـ تـنـسـيـ كـرـمـهـ ،ـ وـتـكـافـ أـمـرـاـ لـاـ تـهـضـ بـهـ فـتـكـلـفـهـاـ .ـ وـفـيـ وـصـفـ النـفـوسـ بـالـكـرـمـ إـشـارـةـ إـلـىـ الـظـلـفـ وـالـعـقـةـ ،ـ وـالـتـائـيـ مـنـ الـمـخـزـيـةـ ،ـ وـمـجـانـبـ الـرـيـبـةـ ،ـ وـالـنـفـورـ مـنـ كـلـ قـبـيـحةـ .ـ وـلـذـلـكـ قـالـ اللـهـ عـزـ

(١) بـعـدـ عـنـ التـبـرـيـزـيـ :

وـقـيـنـاـ يـحـسـنـ الصـبـرـ مـنـاـ نـفـوسـنـاـ فـصـحـتـ لـنـاـ الـأـعـراضـ وـالـنـاسـ هـزـلـ

وَجَلَ فِي صَفَةِ الْمُخْتَارِينَ مِنْ عِبَادِهِ الْمَزَكِّيْنَ^(١): «وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا
مَرُوا بِاللَّغْوِ سَرُّوا كَرَامًا». فَأَمَا قَوْلُهُ «رَحَلْنَا هَا» فِي الْإِسْتِعَارَةِ، فَكَا يَقُولُ
اسْتَحْمَلْتُ فَلَانَا نَفْسِي، وَرَكِبْتُنِي طَلَامَاتُ وَمَا أَشْبَهَهَا. وَحُسْكِي: هُوَ رَحْلَهُ بِمَا
يَكْرِهُهُ، أَى يَرْكَبُهُ؛ وَلَا رَحْلَتُكَ بِالسِّيفِ، أَى لَا عَلَوْنُكَ.

٧١

وقال آخر :

١— وَكُنْ دَهْمَتِنِي مِنْ خُطُوبِ مُلْمَعَةٍ صَبَرْتُ عَلَيْهَا ثُمَّ لَمْ أَتَخَشَّعْ
يَقُولُ : مَرَارًا كَثِيرًا فَاجَانِي خُطُوبٌ شَدِيدَةٌ، وَنَزَّلَتْ بِي، فَخَبَسْتُ نَفْسِي
عَلَيْهَا، وَتَجَلَّدتُ لَهَا ، فَلَمْ يَظْهُرْ فِي مَنَاظِرِي خُشُوعٌ ، وَلَا بَدَأَ فِي جَوَارِحِي
خُضُوعٌ . وَمُوْضِعُكَمْ عَلَى هَذَا التَّاوِيلِ ظَرْفٌ . «وَمِنْ» عَلَى طَرِيقَةِ
الْأَخْفَشِ تَكُونُ زَانِدَةً ، لَأَنَّهُ يُجُوزُ زِيَادَةً «مِنْ» فِي الْوَاجِبِ ، وَيَسْتَدِلُّ مِنْ
اللَّسْمَوْعِ بِقَوْلِ بَعْضِهِمْ : «قَدْ كَانَ مِنْ مَطْرِي فَخَلَّ عَنِّي» وَبَعْيَرِهِ . فَكَانُهُ قَالَ :
كَمْ دَهْمَتِنِي خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ . وَيَكُونُ قَوْلُهُ صَبَرْتُ عَلَيْهَا صَفَةً لِلْخُطُوبِ .
وَيَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ كَمْ فِي مَوْضِعِ الْابْتِداءِ ، وَمِنْ خُطُوبِهِ هُوَ بِيَانُ لَهُ ، وَقَدْ فَصَّلَ
يَنْهَمَا بِخَبِيرِهِ ، وَهُوَ دَهْمَتِنِي ، وَتَقْدِيرِهِ كَمْ مِنْ خُطُوبٍ دَهْمَتِنِي ، أَى كَثِيرٌ مِنْ
الْخُطُوبِ . فَأَمَّا فَانِدَةُ الْعَطْفِ بِهِمْ مِنْ قَوْلِهِ «ثُمَّ لَمْ أَتَخَشَّعْ» فَهُوَ إِبَانَةُ الْإِسْتِمَارَ
فِي الصَّبَرِ ، وَإِنْ طَالَتِ الْمُنْهَلَةُ إِلَى أَنْ انْكَشَفَتْ تَلْكَ الْمَلَمَاتُ الْعَارِضَةُ وَانْفَرَجَتْ .
وَمَعْنَى دَهْمَتِنِي : فَاجَانِي ، وَمِنْهُ الدَّهْمُ وَدَهْمَاءُ النَّاسِ .

٢— فَأَدْرَكْتُ ثَارِي وَالَّذِي قَدْ فَعَلْتُمْ قَلَائِدُ فِي أَعْنَاقِكُمْ لَمْ تُقْطَعْ

(١) المَزَكِّيْنَ ، كَذَا ضَبَطَتْ بِكَسْرِ السَّكَافِ فِي النَّسْخَيْنِ ، أَى الَّذِينَ زَكَوْا أَنْفُسِهِمْ . وَفِي
كِتَابِ اللَّهِ : «قَدْ أَفْلَحَ مِنْ زَكَاهَا» .

يقول : أَصَبْتُ مَا طَلَبْتُهُ ، وَتَقَاضَيْتُ بِهِ مَنْ كَانَ لِي عِنْدَهُ ثَارٌ أَوْ وِتْرٌ ، فَاسْتَرْزَلَهُ عَنْهُ ، وَمَا فَلَمْ مِنَ الْقَعْدَةِ عَنْ نُصْرَتِي ، وَخَذَلَنِي فِيمَا نَابَنِي لِزِمْكُنْ ، فَكَانَهَا قَلَادٌ وَأَطْوَاقٌ لَا تَنْحَلُّ عَنْكُمْ وَلَا تَنْقَطِعُ . وَهَذَا تَحْقِيقُ لِلزَّوْمِ الْعَارِ لِهِمْ فِيهَا أَتَوْا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ يَشْرُ :
 « وَقُلْدَهَا طَوْقَ الْجَاهِ جَفَرَ »

يصفُ غَدْرَةً ارْتَكَبُوهَا . وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : « سَيُطْوَقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

٧٣

وقال عَوَّيْفُ القَوَافِي^(١) :

١ - ذَهَبَ الرَّقَادُ فَمَا يُحْسِنُ رُقادٌ مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ الْعُوَادُ
 يقول : طَارَ النَّوْمُ فَلَا يُعْرَفُ لَهُ أَثْرٌ ، مَا دَهَاكَ وَحَزَبَكَ ، وَنَامَ الَّذِينَ كَانُوا

(١) عَوَّيْفُ القَوَافِيُّ الْغَزَارِيُّ ، وَهُوَ عَوْفُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَيْنَةَ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، سَمِيُّ عَوَّيْفَ القَوَافِيِّ بِبَيْتِهِ ، وَهُوَ سَأْكَذِبُ مِنْ قَدْ كَانَ يَرْزُعُ أَنْفِي إِذَا قَلَتْ شِعْرًا لَا أَجِيدُ القَوَافِيَا
 وَهُوَ شَاعِرٌ مَقْلُ عَنْ شُعُرَاءِ الدُّولَةِ الْأَمْوَيَّةِ ، مَدْحُ الْوَلِيدِ وَسَلَيْحَانَ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَعَزْرَ
 ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ . الْبَيَانَ (٣٧٤:١) وَمُعَجمُ الْمَرْبُزِيَّانِ (٢٧٧ - ٢٧٨) وَالْأَغَانِيَّ (١٠٥:١٧) .
 وَالاشْتَاقَاقُ (١٧٣) .

قال أَبُو رِيَاشُ : « وَكَانَتْ أَخْتَهُ عَيْنَةُ بْنُ أَمْمَاءَ فَلَقَلَفَهَا ، فَكَانَ مِنْ أَغْنَامِ عَيْنَةِ وَقَالَ :
 الْمَرْأَةُ تَطْلُقُ لِنَفِيرِ بَأْسٍ ! فَلَمَّا أَخْذَ الْحِجَاجَ عَيْنَةَ خَبِيْهَ قَالَ عَوَّيْفُ هَذَا الشِّعْرُ » .

(٢) روَى التَّبرِيزِيُّ بَعْدَهُ :

خَبِيْرٌ أَتَانِي عَنْ عَيْنَةَ مَوْجِعٍ كَادَتْ عَلَيْهِ تَصَدَّعُ الْأَكْبَادُ
 لِمَغْ نَفْوسَ بِلَاؤِهِ فَكَانَتْ مَوْتَيْ وَفِينَا الرُّوحُ وَالْأَجْسَادُ
 يَرْجُونَ عَثْرَةَ جَدَنَا وَلَوْ أَنَّهُمْ لَا يَدْفَعُونَ بِنَا لِلْكَارِهِ بَادُوا

يعودونك ولم يَسْهِرُوا لك . والمعنى : إنَّ اخْتُصُصْتُ فِيكَ بِمَا عَرِيَّ مِنْهُ عَوَادُكَ ، وَتَحَمَّلْتَ مِنَ الْجُزَعِ مَا سَقَطَ عَنْهُمْ وَخَفَّ عَلَيْهِمْ . والرَّقَادُ والرُّثُودُ : النَّوْمُ بِاللَّيلِ ، وَعَرَفَ الْأُولَى تَرْيِيفَ الْجِنْسِ ، وَنَكَرَ الثَّانِي لِأَنَّهُ أَرَادَ نَوْعًا مِنَ الْجِنْسِ ، كَانَ الْمَرَادُ : ذَهَبَ النَّوْمُ عَلَى اخْتِلَافِهِ حَتَّى مَا يُرَى لَنْوَعٌ مِنْهُ مُخْتَصٌ أُثْرَهُ .

٣ — لَمَّا أَتَانِي عَنْ عَيْنِهِ أَنَّهُ أَمْسَتْ عَلَيْهِ تَظَاهِرُ الْأَقْيَادِ^(١)

قوله « لَمَّا أَتَانِي » ظرف لقوله « نَخَلَتْ لَهُ نَفْسِي » لأنَّ لَمَّا إذا ولَيْهِ الفِعلُ الماضي ، كانَ علَمًا للفُرُوفِ ، وفُسِّرَ بمحين . والمعنى : حينَ سَاقَتْ إِلَيَّ عنْ هَذَا الرَّجُلِ وَتَأْدَى أَنَّهُ أَسِرَّ وَقِيدَ بِقِيدٍ بَعْدَ قِيدٍ ، فَارْقَنِي مَا كُنْتُ أَخْمَرِهُ وَأَنْطَوْيَ عَلَيْهِ مِنَ التَّنَكُّرِ لَهُ ، وَأَزَّلْتُ عَنْ نَفْسِي مَا اسْتَجْفَفَتِهِ فِيهِ ، لِأَنَّ الْكَرِيمَ يُرِقُّ مُلْهَهُ مِنَ الْكِرَامِ عِنْ الدَّوَازِلِ . وَمِنْ الظَّاهِرِ : أَنْ يُصِيرَ الشَّيْءَ فَوْقَ الشَّيْءِ فَيَقُوَّى . وَيُقَالُ : ظَاهِرٌ بَيْنَ ثَوَابِنِ ، إِذَا لَيْسَ أَحَدَهَا فَوْقَ الْآخِرِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ » مَعْنَاهُ تَعَاوَنَا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ : هُوَ ظَاهِرٌ ظَهِيرٌ ، أَى قَوِيٌّ فِي الْاسْتِغْاثَةِ .

٤ — نَخَلَتْ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ إِنَّهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَدْهَبُ الْأَحْقَادُ

يَقُولُ : أَصْفَتَ عِنْدَ ذَلِكَ نَفْسِي لِهِ النَّصِيحَ ، لِأَنَّ الضَّغَانَ تُفَارِقُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ .

وَهَذَا الْكَلَامُ هُوَ بَيْانٌ عَلَيْهِ مَفَارِقَةٍ ضَغْفِيَّهُ وَرَجُوعِهِ إِلَى سَلَامَةِ الصَّدْرِ لَهُ . وَقَدْ ذَكَرَ فِيهَا بَعْدَهُ مَا يَدْلِلُ عَلَى حَسْنِ الْإِنْصَافِ مِنَ النَّفْسِ ، وَالاعْتَرَافُ بِالْفَضْلِ لِلْغَيْرِ . وَيَحْوزُ أَنْ يُرَوَى « أَنَّهُ » بفتحِ الهمزة ، وَالمعنى لِأَنَّهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ . وَإِذَا رُوِيَ بِالْكَسْرِ يَكُونُ عَلَى الْاسْتِئْنَافِ .

(١) التبريزى : « أَمْسَى عَلَيْهِ » .

٤— وَذَكَرْتُ أُمِّي فَتَى يَسْدُدُ مَكَانَهُ بِالرِّفْدِ حِينَ تَقَاصَرُ الْأَرْفَادُ
مَصْدِرُ ذَكْرِهِ فِي هَذَا الْذُّكْرِ بِضَمِ الدَّالِ، لِأَنَّهُ بِالْقَلْبِ . وَقُولُهُ «بِالرِّفْدِ»،
يُرِيدُ بِذِلِّ الرِّفْدِ، خَذْفَ الْمُضَافِ . يَقُولُ: أَجْلَتُ فِي كُرْبَى، وَقُلْتُ فِي حَدِيثِ
نَفْسِي: لَوْخَلَ مَكَانَهُ مَنْ كَانَ يَسْدُدُ مَسَدَّهُ، وَمَنْ يُعْطِي عَطَاءَهُ عِنْدَ تَقَاصَرِ الْعَطَاءِ
وَتَرَاجُعِ الْمَعْوَنَاتِ . وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى زَمَانِ الْجَذْبِ وَالْقَحْطِ وَقَتْ تَنَافُسِ النَّاسِ
فِي الْتَّمَكُّنَاتِ، وَالْدَّافَعِ عَنْهَا بِإِعْدَادِ الْعِلَالَاتِ . وَالْمَعْنَى: إِنَّ مِثْلَهُ لَا يُوجَدُ
وَلَا يُظْفَرُ بِهِ فِي مَثْلِ ذَلِكِ الْوَقْتِ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكِيفَ يَسْمَحُ لِلنَّصِيفِ
بِهِ لِدَهْرِهِ، أَوْ كَيْفَ يَنْطُوِي الصَّدْرُ عَلَى الشُّلُوْعِ عَنْهُ وَالْخُلُوْعِ مِنْهُ، مَعَ شَدَّةِ الْحَاجَةِ
إِلَيْهِ . وَيَقُولُ: رَفَدْتُ الرَّجُلَ رَفْدًا إِذَا أَعْطَيْتَهُ، ثُمَّ سُمِّيَ الْعَطِيَّةُ رِفْدًا بِكَسْرِ
الرَّاءِ، وَجَمِيعِ الْأَرْفَادِ . وَأَرْفَدْتُهُ تَحْكِيًّا لِكَنَّهُ لَيْسَ بِالْمُتَحَكِّمِ . وَتَقَاصَرُ، أَصْلُهُ
تَقَاصَرُ، خَذْفُ إِحْدَى التَّاءِيْنِ تَحْكِيًّا، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْجَرِ بِإِضَافَةِ حِينِ إِلَيْهِ .

٥— أَمْ مَنْ يُهِينُ لَنَا كَرَامَ مَالِهِ وَلَنَا إِذَا عُسْدَنَا إِلَيْهِ مَعَادُ
أَمْ هَذِهِ الْمُنْقَطِعَةُ، وَالْاسْتِفَاهَ دَخَلَ فِي الْكَلَامِ عَلَى طَرِيقِ التَّوْجُّعِ
وَالتَّلَهُفِ لِمَا جَرَى عَلَى عَيْنِيَّةِ الْمَذْكُورِ . وَالْمَعْنَى: لَوْ قَدِنَاهُ مَنْ كَانَ يَبْذُلُ لَنَا
عَقَائِلَ أَمْوَالِهِ، وَمَتَى شَئْنَا وَجَدْنَا عَنْهُ مَعَادًا فَلَا يَمْلِئُ الشُّوَالُ، وَلَا يَغْبُّ النَّوَالُ؟
وَهَذَا الْكَلَامُ تَنبِيَّهٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُدْبِمُ الْإِحْسَانَ، وَلَا يَحُولُ عَطَاءَ يَوْمِهِ دُونَ
عَطَاءِ غَدِيرِهِ . وَقُولُهُ «كَرَامَ مَالِهِ»، بَجْمُ كَرِيمَةِ، وَقَدْ أُجْرِيَ بَحْرِيَ الْأَسْمَاءِ
حَتَّى جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِذَا جَاءَكُمْ كَرِيمَةُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ»^(١) .

(١) قَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَكْرَامِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ لِمَا وَرَدَ عَلَيْهِ فِي سُطُّهِ لِهِ رِدَاءٌ
وَعَمَّهُ يَنْهَى . الْلَّاسَانُ (كَرِيمٌ) .

٧٣

وقال بشر بن المغيرة^(١) :

١ - جفاني الأمير والغيرة قد جفنا وأمسى يزيد^(٢) لي قد ازور جانبه^(٣)
أراد بالأمير المهلب بن أبي صفرة . والغيرة أخوه ، ويزيد ابنه . وقاتل هذا
الشعر بشر بن المغيرة ، وهو أحد الفرسان المشهورين^(٤) ، فيقول : جفاني عمي
المهلب ، وأبي المغيرة ، وصار يزيد ابن عمى لاقتدائ بهم منحرفاً عنى ، غير مائلٍ
إلى . والازورار : الانحراف ، وهو من الزور : نتو أحد شق الصدر واطمثان
الآخر . ويقال رجل أزور ، وامرأة زوراء .

٢ - وكلهم قد نال شيئاً بطنـه وشبع الفتى لؤم إذا جاء صاحبـه
أراد بالكلـل الاتـحاد لا الجـمـع . يقول : كلـ واحدـ منهم قد نـالـ من الدـنـيـا
وأعـراضـها قـدرـ ما يـشـبـعـهـ وـيمـكـنهـ الاـكتـفـاهـ بـهـ ، ثمـ قالـ : وـشـبـعـ الإـنـسـانـ لـؤـمـ إـذـا
لمـ يـشـرـكـ صـاحـبـهـ فـيـهـ فـبـقـيـ جـائـعاـ . أـىـ هـوـ كـذـلـكـ فـذـلـكـ فـذـلـكـ
الـحـالـةـ . وـالـشـبـعـ لـاـ يـكـونـ لـؤـمـاـ ، لـكـنـ التـفـرـدـ بـهـ مـنـ دـوـيـهـ عـلـىـ حـاجـةـ مـنـهـ
إـلـيـهـ يـكـونـهـ^(٤) ، فـرـمـيـ بالـكـلـامـ عـلـىـ مـاـ تـرـىـ لـأـنـ الـمـرـادـ مـنـهـ مـفـهـومـ . وـالـفـرـقـ بـيـنـ
الـشـبـعـ وـالـشـبـعـ ، أـنـ الشـبـعـ بـسـكـونـ الـبـاءـ : الـقـدـرـ الـذـيـ يـشـبـعـ ، وـالـشـبـعـ بـفـتـحـ الـبـاءـ :

(١) قال التبرizi : « ويروى أن اسمه كان بُسرًا ». وقال أيضاً : « وكان بشر بن المغيرة يخراسان مع المهلب فلم يوله شيئاً ».

(٢) يزيد ، ضبطة في الأصل بضمتين في أعلى الدال وضمة في وسفلها لنقرأ بالصرف .
وعدمه ، وذلك مع كتابة كلة « ما » فوق الضتين .

(٣) م : « المشهورين » .

(٤) أى يكون لؤماً .

الاملاه من الطعام ، وقد استعمل الشَّبَعُ في غير الطعام فيقال : أشْبَعْتُ الثوبَ
صِبْغًا ، وكذلك في كل ما وفرته من القول وغيره ، حتى قيل تَشَبَعَ الرَّجُلُ ،
إذا تَكَثَرَ .

٣ - فِيَاعَ مَهْلَأً وَاتَّخَذْنِي لِنَوْبَةٍ تُلِمُ إِنَّ الدَّهْرَ جَمِّ نَوَائِبِهِ^(٢)
قوله « مَهْلَأً » معناه رِفْقًا وَدَعِ العِجَالة . ويحرّك الهاء منه فيقال انت
كذا على مَهْلَأ وَمَهْلَأ جيما . ويقال : ما بِي عن كذا مَهْلَأ ، أي إِنِّي فيه مستعجل .
وفي هذا بعض التَّوْعِيد والتَّطْنِز وإنْ كان ظاهِرُهُ أَنَّه يَسْتَعْطِفُ الْمُهَابَ وَيُعْرَفُ
أَنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرٍ وَذُو الْوَانِ فَلَا يُؤْمِنُ بِوَاقِعِهِ ، وَأَنَّه قد يُحْتَاجُ إِلَى الْمُسْتَعْنَى عَنْهِ
لِحَادِثَةٍ تَحْدُثُ . فيقول : ادَّخِرْنِي لِنَوْبَةٍ تَنْزِلُ ، وهي المصيبة أو النَّكبة ،
ولَا تَطْرِحْنِي اغْتِرَارًا بِالْأَمْنِ ، إِنَّ الدَّهْرَ كَثِيرُ النَّوَابِ ، وشِيك التَّحْوِلِ . وقوله
« يَا عَمَّ » حَذَفَ الْيَاءَ مِنْهُ لِوُقُوعِهِ مَوْقِعًا يُحْذَفُ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَهُوَ التَّنْوِينُ ،
وَلَأَنَّ بَابَ النَّدَاءِ بَابٌ إِيمَازٌ ، وَلَأَنَّ السَّكْرَةَ تَدْلُلُ عَلَيْهِ .

٤ - أَنَا السَّيْفُ إِلَّا أَنَّ لِلسَّيْفِ نَبَوَةً وَمِثْلِي لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ
يُفَضِّلُ نَفْسَهُ فِي نَفَادِهِ فِي الْأَمْرِ وَمَضَائِهِ ، عَلَى السَّيْفِ ، قَالَ أَوْلَأَ : أَنَا
السَّيْفُ ، أَيْ أَشْبَهُهُ ، ثُمَّ تَلَاقَ فَقَالَ : إِلَّا أَنَّ السَّيْفَ رُبَّمَا نَبَأَ عَنِ الْفَرِيقَةِ
وَكَبَّا ، وَمِثْلِي لَا تَكُلُّ وَلَا تَنْبُو حُدُودُهُ عَنْ شَيْءٍ تَلَاقَهُ . وفي هذه الطريقة
قول جرير :

وَلِيس لَسَيْفٍ فِي الْعَظَامِ بَقِيَةٌ وَلَسَيْفٍ أَشَوَّى وَقَعَةً مِنْ لِسَانِيَا
وَالْمَضَارِبُ : جَمِيعَ مَضَرِبٍ ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُضَرِبُ بِهِ مِنْ السَّيْفِ .

(١) التبريزى : « جم عجائبه » .

٧٤

وقال بعض بنى فقعن^(١) :

١— يائِهَا الرَّاَكِبَانِ السَّائِرَانِ مَعًا قُولَا لِسِنْبِسَ فَلَتَقْطُفْ قَوَافِيهَا
 راكب : اسم من ركب حيواناً إلا الفرس ، فإنه يقال لراكب فارس متى
 أطلق . ومعاً ، انتصب على الحال ، ومعناه مُصطحبين ومجتمعين . فيقول :
 يائِهَا السَّائِرَانِ الْمُصْطَحِبِانِ ، قُولَا لَهُذِهِ الْقِبْلَةِ لَتَرَكْ قُولَ الشَّعْرَ ، أو توقفَ
 قليلاً حتى تباطأ قوافيهَا عن^(٢) . وفي هذا الكلام ضربٌ من الاستهزاء بهم ،
 وإشارة إلى التجبر والتعالي عليهم . والقطوفُ من الدواب : الذي في خطوه
 بُطْه مع تقارب . وجعل فعل الأمر للقواف على السعة والجاز . وسِنْبِسُ هم
 المأمورون . وهذا كما يقال في النهي : لا أَرِيَنَّكَ هاهنا ، والمخاطب هو المنهي ،
 لأن المعنى : لا تكن هاهنا فأراك . شم بين هذا الشاعر الوجه الذي أوجبه منه
 طرحاً الافتخار ورفض المجادلة ، فقال :

٣— إِنِّي أَسْرُ مُكْرِمٌ نَفْسِي وَمُتَنَدٌ مِنْ أَقْدَعَهَا حَتَّى أَجَازَهَا
 يقول : إنَّ رجُلَ أَرْبَابًا بقدرِي عن مكاييلهم ، وأترفع عن موازتهم ،
 وأتوقف عن ملاحاتهم ، طلبًا لجازاتهم . والتقدير : لا أَقْدَعَهَا لكي أَجَازَهَا ،
 لأنَّ حَتَّى الدَّاخِلَةَ عَلَى الْفَعْلِ مَرَّةً يَكُونُ بِمَعْنَى كَيْ ، وَمَرَّةً يَكُونُ بِمَعْنَى إِلَى أَنَّ .

(١) التبريزى : « وقال بعض بنى عبد شمس من فقعن » .

(٢) جعل « قطف » هنا من الفطاف وهو بظاهر الديابة . وأما أبو رياش فجعلها من قطف
 الثرة بمعنى قطعها ، أى لندع قول الشعر فيما يبتنا وبينها . وأما التبرى ففسرها من القطف : جنى
 الثرة ، أى إن فعلنا بهم شرًا فهو جنحة قوافيهم عليها . وهذا القول الأخير حسن جداً ، إلا أن
 ما بعده يدل على أنه لم يجازوهم بعد ، لقوله : إنَّ اسْرَ مُكْرِمٌ نَفْسِي وَمُتَنَدٌ . وعلى هذين المعنين
 تكون « قطف » متدية . وعلى ما فسره المرزوقي تكون لازمة .

ويجوز أن يكون المعنى : لا أُفاذِعُها إلى أن أجازَيْها ، أى أوَّلًا أجازَيْها فعلاً لأرى القدرة عليها ، ثم حينئذ أجازَيْها بالكلام . والأول أحسن . ثم أخذ يقتضي ما كان منهم لما طلب مكافأةِهم بالفعل . والمقاعدة : المفاحشة . ويقال قدْعُته ، إذا رسميتها بالفحش . ومتى دُعِيَّ : مُفْتَعِلٌ من التَّوْدَةِ ، وهى الرِّفْقُ .

٣— لَمَّا رَأَوْهَا مِنَ الْأَجْزَاعِ طَالَعَهُ شُعْنَا فَوَارِسَهَا شُعْنَا نَوَاصِيهَا
يقول : لما رأوا الخيل بارزة لهم ومفاجئة إياهم من أجزاء الوادي — وهي جوانبها — معتبرة النواصي معتبرة الفرسان . وجواب لما فيما بعده . ويقال شَعِثْ شَعْنَا وشُعُونَةً ، وهو أَشَعَثْ وشَعِثْ . وأضيرَ الخيل في قوله « لما رأوها » وإن لم يجُر لها ذِكْرٌ ، لأنَّ الحال الحاضرة تدلُّ عليه . ويجوز أن يكون تقدَّم ذكرها فيما ترِكَ من أبياته .

٤— لَاذَتْ هُنَالِكَ بِالْأَشْعَافِ عَالِمَةٌ أَنْ قَدْ أطَاعَتْ بَلَيْلٍ أَمْ غَاوِيْهَا
يقول : التجأت في ذلك الوقت إلى قلل الجبال وأعلى المضاب ، عارفةً
سوء اختيارها في تحكُّكمها ، وترتضى بالشعر لـ ، وأنها قد انتمرت لغواتها
بلَيْلٍ . وذِكْرُ الليل هنا إشارة إلى حِيمَتها فيها أَتَتْهُ من تَرَكَها الرَّشاد ،
وقبولها مشورة الغواة . والأشعاف : جمع الشَّعْفَة ، وهي أعلى الجبل ، وأعلى كلِّ
شيء ، ولذلك قيل شَعْفَةُ القَلْبِ لرأْسِهِ عند معلقِ النَّيَاطِ . وهنالك ظرف ،
ويكون للزَّمانِ والمَكَانِ جميـعاً ، وزيادة اللام تكون للتأكيد فيه ، كأنَّ البعد
فيما يشار إليه بهنالك أبلغُ ما يمكن فيما يشار إليه بهنالك . وهذا على طريقة
ما تقوله في ذلك وذاك . وقوله « أَنْ قَدْ أطَاعَتْ » أَنْ فيه مخففة من التقيلة ،
أى عالمة أنها قد أطاعت . ويقولون لما لا يُعمل بتثبيـثِ وحسن تدبر : « هذا

أمر قد قدرَ بليلٍ ». وعلى هذا قوله تعالى : « **بَيْتَ طَافِهُ** مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ » .

٧٥

وقال آخر في ابن له :

١ - لَا تَعْذُلْ فِي حُنْدُجٍ إِنْ حُنْدُجًا وَلَيْثَ عِفْرِينَ لَدَى سَوَاءٍ
 يخاطب لائمة عذلة في التوفُّر على ابنه حندجٍ واختصاصه إياه واستخلاصه ،
 وذكر الخليل أن حندجاً في اللغة : رملةٌ طيبةٌ تُنبتُ ألواناً من النبات . فيقول :
 لا تلوميني في أمر حندجٍ ، إن حندجاً وليثٌ هذه المأسدةٌ متساويةٌ بيني وبينك . وقد
 قيل في ليث عفرين : إنها هي التي تصيد الذبابَ وثباً ، فشبّهه في كيدهِ ومكرهِ به ،
 وقد وصف النبيت المُنْكَر بالعفر والعفريّة وعفرئي ، ويقال أيضاً للأسد عفرٌ
 وعفرئي . وقيل هو أشدُّ عفاراً ، واستعمرَ فلان . وحكي الأصمعي أنَّ ليث عفرينَ
 دابةً كالحرباء يتهدى الرأكَ ويضرب بذنبه^(١) . وقيل عفرينَ : موضعٌ نسبَ
 إليه ، وقيل عفرينَ : فعلٌ من العفر ، وهو التراب ، لأنَّ عادة الأسدِ أن لا يصيب
 من فريسته حتى يُعفرَه ، يشهد لذلك قولُ الآخر في صفتة :
 « **وَلَا نَالَ قَطُ الصَّيْدَ حَتَّى تَعْفَرَ** »^(٢)

وذكر بعضهم أنَّ ليثَ عفرينَ كقولهم : **لَيْثُ لَيْوِثٍ** ، لأنَّه يقال للمنكَر
 الدهنية عفرٌ ، ويوصف به الأسود والرجال . ويكون على هذا عفرينَ جمع
 جمَّ السلامَ كالآفُورينَ ، ومرءٌ بـ أنَّ قوله ليث عفرينَ يستعمل في المدح والذمَّ
 سواءً : مصدرٌ في الأصل وصفٌ به .

(١) م : « تهدى الرأكَ وتضرب بذنبها » .

(٢) م : « حتى يعفرا » .

٣ - حَمِيتُ عَلَى الْأَطْهَارِ أَطْهَارَ أُمِّهِ وَبَعْضُ الرِّجَالِ الْمُدَعِينَ جُفَاءً

يُبيّن في هذا الكلام انتفاء الرَّيْبِ عن مشابهته له ، وتفتيله إياته ، وأنه لا يُشكُّ في كونه من صُلْبه ، فيقول : حَفِظْتُ أَطْهَارَ أُمِّهِ عن الزَّنَةِ ، لَا نَ اخْتَرْتُهَا مِنْ بَيْتِ الْعَفَةِ ، وَأَرْوَمَةِ الْكَرْمِ ، وَمَعْرِسِ النَّجَابَةِ ، وَالْمِنْقَةِ وَالشَّهَامَةِ^(١) وَدَعْوَائِيْ حَقًّا ، وَبَعْضِ دَعَوَى الْمُدَعِينَ كَالَّذِي يَعْلُو السَّيْلَ وَيَحْتَمِلُهُ مِنْ سَقْطِ الْأَرْضِ . ولِمَرَادِ بِقُولِهِ : وَبَعْضِ دَعَوَى الرِّجَالِ ، خَذْفُ الْمُضَافِ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ . وَالْعَهْرُ وَالْعُهُورُ : الْفَجُورُ . وَيُجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِقُولِهِ « حَمِيتُ عَلَى الْأَطْهَارِ » مَا أَرَادَ اسْرُ الْقِيسِ بِقُولِهِ :

* وَأَمْنَعَ عِزْمِيْ أَنْ يُرَنَّ بِهَا إِنْخَالِي^(٢)

أَيْ يُفَرِّطُ غَيْرِي وَكَالِ رُجُولِيَّيِّ وَتَكَامُ مَحَاسِنِي . وَإِنَّمَا خَصَّ الْأَطْهَارَ لِمَا فِي الْمَحِيصِ مِنِ الْاعْزَالِ ، وَكَمَا قَالَ الْآخِرُ^(٣) :

* دُونَ النَّسَاءِ وَلَوْ بَاتَ بِأَطْهَارِ^(٤)

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ لِمَرَادِ بِقُولِهِ جُفَاءً : وَبَعْضُ الرِّجَالِ مُحْمَلُ دِعَى ، فَهُوَ كَاجْفَاءِ لَا يُعْتَدُ بِهِ . وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ .

٣ - فَجَاءَتْ بِسَبْطِ الْعِظَامِ كَانَمَا عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرِّجَالِ لِوَاءً

(١) قال أبو محمد الأعرابي : إنما وصف الشاعر ابن أمة . يقول : لم أُسِبِّها كَمَا تُسَبِّ الإماماء بِفَاعَتْ بِهِ لِرَشْدَةِ . وإذا وقفت على قصة البيت عرفت مصداق ما قلته . أَكْتَبْنَا أَبُو النَّدِي قال : كان رجل من بيتي جناب من بلقين عنده ابنة عم ، له منها ابن يقال له سيار ، وكان له ابن من أمة يقال له دملج ، فكانت الحمراء إذا رأته يلطف دملاجاً بعض الاطف لامته وغضبت ، فأنداً يقول :

الْأَمْنَى فِي دَمْلَجِ إِنْ دَمْلَجَا وَشَرْكَةَ سِيَارِ إِلَى سَوَاءِ شَفَقَتْ عَنِ الْمَشَاقِ أَطْهَارَ أُمِّهِ وَبَعْضِ الرِّجَالِ الْمُدَعِينَ زَنَةِ

(٢) صدره : * كَذَبْتُ لَنْدَ أَصْبَى عَلَى الْمَرْءِ عَرْسَهِ

(٣) هو الأخطل . ديوانه ١٢٠ وشرح شواهد المغني . ٢٢١

(٤) صدره : * قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُوا مَازْرَمْ *

يقول : جاءت الأم بـهذا الولد وهو تـام العظام مـديـد القامة ، فـكـان قـاتـه رـمح ، وـكـان عـامـتـه إـذـا توـسـطـ الرـجـالـ لـواـهـ مـحـولـ عـلـيـهـ . وأـحـسـنـ صـنـعـةـ مـنـهـ قولـ مـسـلـ ، وـإـنـ كـانـ هـذـاـ سـلـيـماـ مـنـ الـعـيـبـ :

يـقـومـ مـعـ الرـثـمـ الرـدـيـنـ قـامـةـ وـيـقـصـرـ عـنـهـ طـوـلـ كـلـ نـجـادـ
وـفـيـ طـرـيقـتـهـ قولـ الآخـرـ^(١) : * يـكـادـ يـسـاـوـيـ غـارـبـ الفـحـلـ غـارـبـ^(٢) *

٧٦

وقـالـ آخـرـ^(٣) :

١ - إـذـاـ كـانـ أـوـلـادـ الرـجـالـ حـزـازـةـ فـأـنـتـ اـخـلـالـ الـخـلـوـ وـالـبـارـدـ الـعـذـبـ^(٤)
إـذـاـ يـتـضـمـنـ مـعـيـ الـجـزـاءـ ، وـهـذـاـ اـحـتـاجـ إـلـىـ الـجـوـابـ فـجـعـلـ بـالـفـاءـ . فـيـقـولـ :
إـذـاـ كـانـ أـوـلـادـ تـقـطـيـعـاـ فـيـ الصـدـورـ وـتـحـزـيـرـاـ فـيـ الـقـلـوبـ ، لـعـقـوـقـهـمـ وـاسـتـعـاـهـمـ الـجـنـاءـ
فـمـوـضـعـ الـبـرـ مـعـ آـبـاهـمـ ، فـأـنـتـ العـسـلـ مـشـوـبـاـ بـالـمـاءـ الـعـذـبـ . وـقـدـ وـصـفـ بـعـضـهـمـ
كـلـامـاـ قـفـالـ : «ـهـوـ السـحـرـ الـخـالـلـ ، وـالـعـذـبـ الـزـلـالـ» . وـيـشـيرـ الشـاعـرـ إـلـىـ سـهـولةـ
جـانـبـهـ ، وـحـسـنـ طـاعـتـهـ ، وـدـمـائـهـ خـلـقـهـ . وـقـالـ الـخـلـيلـ : الـحـزـازـةـ : وـجـعـ فـيـ الـقـلـبـ
مـنـ غـيـظـ أوـأـذـىـ . وـالـحـزـازـ أـيـضاـ كـذـاكـ ، وـأـشـدـ يـتـ الشـمـاخـ :

(١) هو فرعان بن الأعرف ، يقوله في ابنه منازل . الخامسة ٦٠٣ .

(٢) صدره : * لـرـيـهـ حـتـىـ إـذـاـ آـشـ شـيـظـاـ *

(٣) قال أبو رياش : هو لأبي الشعب العربي ، وقال أبو عبيدة : الراقرع بن معاذ الشيبري .

(٤) أول المقطوعة عند التبريزى :

رأـيـتـ رـبـاطـاـ حـيـنـ تـمـ شـبـابـهـ وـوـلـيـ شـبـابـيـ لـيـسـ فـيـ بـرـهـ عـتـبـ
قالـ : «ـلـيـسـ فـيـ بـرـهـ عـتـبـ ، أـيـ لـيـسـ فـيـهـ فـسـادـ . قالـ أـبـوـ هـلـالـ : الـوـجـهـ أـنـ يـقـالـ إـنـ لـيـمنـ
بـرـهـ فـيـنـكـرـ مـنـهـ ذـلـكـ ، يـقـالـ عـتـبـتـ عـلـيـ الرـجـلـ عـتـبـاـ ، إـذـاـ أـنـسـكـرـتـ عـلـيـهـ شـبـابـاـ مـنـ فـلـهـ . وـيـجـوزـ أـنـ
يـقـالـ : إـنـهـ يـعـمـ بـالـبـرـ جـمـعـ أـهـلـهـ فـلـيـسـ يـعـتـبـ عـلـيـهـ أـحـدـ مـنـهـ ، أـوـ يـقـومـ بـجـمـعـ مـاـ يـعـتـاجـ إـلـيـهـ أـبـوهـ
دـلاـ يـعـتـبـ عـلـيـهـ فـيـ شـيـءـ . » .

* وفي الصدر حزاز من اللوم حامِز^(١)

٣ - لنا جانب منه دميت وجائب إذا رأمه الأعداء ممتنع صعب

خاطب في الأول ثم عدل في الثاني إلى الإخبار ، وهذا عادتهم إذا افتوا في كلامهم ، نظموه أو نثروا ، لما في التحول من سهولة تحاب الألفاظ ، وتلاوة طرائق النظم . فيقول : لنا من هذا الولد خلق سجيح ، ومذهب في البر فسيح ، فهو هين لين معنا ، وللأعداء منه إذا طلبوه أو جربوه جانب خشن مدفع ، وطريق صعب مختلف ، وخلق وعر شرس . ولم يقل للأعداء جانب ولكن عطف الثاني على الأول ، بمعنى أن أحدهما لاجتذاب الخير ، والآخر لدفع الشر . فكان التقدير : ولنا منه جانب معد للأعداء ذلك صفتُه ، فصار الجانبان لهم في اللفظ ، والقسمة ثابتة في المعنى . والدَّمَائَةُ : سهولة الخلق وليس الجانب . ويرى « ممتنع صعب » ، و « مُتَلَفَّةٌ صعب » ، ولمعنى ظاهر .

٣ - وتأخذه عند المكارم هزة كا اهتز تحت البارح الفصن الرطب
 البارح : ريح حارة تجيء من قبل المين . فيقول : تملكه عند اكتساب المكارم أريحية يهتز عندها اهتزاز الفصن الرطب ، الذي جرى الماء فيه ، إذا هبت عليه الريح . و « كا اهتز » أراد كاهتزاز . وقوله « تحت البارح » حسن جداً ، لأن الريح تعلو الفصون في صورها . وقد نسبوا البارح إلى النجوم إذا ذكروا الأنواء . قال :

أيا بارح الجوزاء مالك لا ترَى عيالك قد أمسوا مسأيل جوغا^(٢)

(١) صدره في ديوان الشماخ ٤٩ والسان (حزز ، حز) :

* فلما شرحاها فاضت المين عبرة *

(٢) انظر الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (١: ٢١٦) وبجالس ثعلب ٤٩٠ .

هذا يقوله بعض الملاصقة . وعيالها : الشراف ، وذلك أن البارح تحمل العباد وتدرس الآثار ، فتجسر الملاصقة على السعى ، وتُمكِّنُهم السرقة .

٧٧

وقال آخر^(١) :

١— وفارقت حتى ما أبالي من النوى وإن بآن جيران على كرام^(٢)
 يروى : « مَنْ اتَّوْيَ » وهو افتقل من النوى ، وهي الوجهة المنوية للقوم ، أو البعد . يقول : أَلْفَتْ مفارقة الوَطَنِ والإخوانِ شيئاً بعد شيء ، واعتنتُ التباعد عنهم يوماً بعد يوم ، حتى لا أبالي من النوى منهم أو نأى ، وإن كرموا على عند الجاورة . ومن روى : « لَا أَبَالِي مِنَ النَّوَى^(٣) » فعنده لا أحتفظ به ، والأول أحسن . فإن قيل : كيف تعلق « حتى » بفارقت ؟ وما معناه ؟ قلت : أراد تكررت المفارقة على وقتاً بعد وقت ، وحالاً بعد حال ، إلى أن صررت لا أبالي بالفارق . فمعنى حتى : إلى أن . قوله « فَارَقْتُ » مُسْتَعْصِلٌ للقليل والكثير فانصرف إلى الكثير ، بدلة أن التمرن بالبلاء قد عاد ، والتحق به كثيرا ، هو الذي يستهين به كثيرا ، دون من مارسه يسيرا ، وعاد به حديثا .

٢— فقد جعلت نفسى على النوى تتطوى وعينى على فقد الصديق تنام
 جعلت نفسى ، بمعنى طافت وأقبلت ، وذلك لا يتعدى . فيقول :أخذت نفسى تصير على النوى ، وتنطوى على الفراق ، فلا يظهر منها جزع ، ولا تبوح بشكوا ، وعينى تنام على فقد الصديق منهم فلا تسهر ، ولا تبكي

(١) التبريزى : « وذكر أنه لعبد الصمد بن العذل ، وقيل للحسين بن مطير » .

(٢) التبريزى : « وبروى : وفارقت حتى ما أحن من النوى » .

(٣) كذا في النسختين مع اتفاقهما في صلب البيت أنه « ما أبالي » .

فتذرف . وهكذا النفس إذا وُطنت على الشدائـد ، وتمـرت بالـمـصـائب . وقوله « تـنـطـوى » أصلـ الطـئـيـ الشـئـيـ والـقـبـضـ ، ومنـهـ الطـاوـيـ والـعـائـيـانـ .

٧٨

وقال آخر ^(١) :

١ - رُوَعْتُ بـالـبـيـنـ حـتـىـ ماـأـرـاعـ لـهـ وـبـالـمـصـائبـ فـيـ أـهـلـيـ وجـبـرـانـ
يـقـولـ : فـزـعـتـ بـالـفـرـاقـ مـرـةـ بـعـدـ أـخـرىـ ، وـثـانـيـةـ بـعـدـ أـولـىـ ، حـتـىـ صـرـتـ
لـأـرـاعـ لـهـ ، وـواـظـبـتـ الـمـصـائبـ عـلـىـ وـاتـصـلـتـ فـيـ الـأـهـلـ تـارـةـ ، وـالـإـخـوانـ
أـخـرىـ ، حـتـىـ صـارـتـ الرـازـيـاـ بـالـإـلـفـ كـأـنـهـ مـرـازـيـ وـعـطـيـاـ . وـالـكـلامـ فـيـ حـتـىـ
وـاتـصـالـهـ وـمـعـنـاهـ عـلـىـ مـاـنـقـدـمـ .

٢ - لـمـ يـتـرـكـ الـدـهـرـ لـيـ عـلـقاـ أـضـنـ بـهـ إـلاـ اـصـطـفـاهـ بـنـائـيـ أوـ بـهـجـرـانـ
يـقـولـ : لـمـ أـدـخـرـ لـنـفـسـيـ عـلـقاـ نـافـشـتـ فـيـ إـلاـ زـاحـفـ الـدـهـرـ عـلـيـهـ فـاسـتـأـثـرـ بـهـ
إـماـ يـاـيقـاعـ بـعـدـ بـيـنـاـ ، أـوـ إـحـدـاثـ هـجـرـانـ تـوـسـطـانـاـ . وـأـصـلـ عـلـقـ : الـمـالـ
الـكـرـيمـ ، وـجـمـعـهـ أـعـلـاقـ وـعـلـقـ . وـاستـغـارـهـ هـاـهـنـاـ .

٧٩

وقال طـفـيلـ الفـنـوـيـ ^(٢) :

١ - وـمـأـنـاـ بـالـمـسـتـنـكـرـ الـبـيـنـ إـنـيـ بـذـيـ لـطـافـ الـجـيـرانـ قـدـمـاـ مـفـجـعـ

(١) التبريزى : « قال أبو العلاء : هذا يروى مؤرج السدوسي ، وكان مؤرج يكنى
أبا فيد ». .

(٢) هو طفيلي بن عوف ، أو هو طفيلي بن كعب الفنوى . كان من أوصاف الناس للجخل
وكان يقال له في الجاهلية الحبر ، لحسن شعره . وطفيلي شاعر جاعلى خل كان أكبر من النابغة
وليس في قيس خل أقدم منه . الأغاني (١٤ : ٨٥ - ٨٧) والخراء (٣ : ٦٤٢ - ٦٤٣)
والعيين (٣ : ٣١ - ٢٤) والاشتقاق ١٦٥ والمؤتلف ١٤٧ ، ١٤٢ ، ١٨٤ والاقتضاب
والشعر والشعراء ٤٢٢ .

يقال : نَكِرَ وَأَنْكَرَ وَاسْتَنْكَرَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . فيقول : أَنْسَتُ بِفِرَاقِ الْأَحْبَةِ
بعد نَفْرَتِي ^(١) ، وَبِيَمْدُ ذُو الْلَّطْفِ عَقْبَ ^(٢) قَلْقِي ، وَذَلِكَ لِأَنِّي فَجَعْتُ بِالْخُلْطَاءِ
وَالْجِيْرانِ قَدِيمًا ، حَتَّى صَارَ كَالْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ . وَقَوْلُهُ «بِذِي لَطْفِ الْجِيْرانِ» أَرَادَ بِلَطِيفِ
الْجِيْرانِ ، أَيْ بِاللَّطِيفِ مِنْهُمْ . وَقِدْمًا ظَرْفُ الْمُفْجَعِ .

٣— جَدِيرُهُمْ مِنْ كُلِّ حَيٍّ صَحِبُهُمْ إِذَا أَنَّهُ عَزَّوا عَلَىٰ تَصَدَّعُوا
يقول : أَنَا خَلِيقُ الْبَيْنِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ أَجَارُهُمْ إِذَا اسْتَوْقَفْتُ قُرْبَهُمْ ،
وَاسْتَحْلِيتُ الْكَوْنَ مَعْهُمْ ، حَتَّىٰ لَا يَعْزِزُ عَلَىٰ أَنَّاسٌ إِلَّا تَفَرَّقُوا عَنْ كُثُبِ .
وَالْأَنَّسُ : الظَّافِحةُ مِنَ النَّاسِ . يَقُولُ : رَأَيْتُ مَعَهُ أَنَّسًا كَثِيرًا ، أَيْ نَاسًا . تَصَدَّعُوا
تَفَرَّقُوا . وَمِنْهُ يَقُولُ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ بُغْلَانٍ ، إِذَا تَقَيَّبَ هَارِبًا .

٨٠

وقال الراعي ^(٣) :

٤— وَقَدْ قَادَنِي الْجِيْرانُ حِينًا وَقُدْتُهُمْ وَفَارَقْتُ حَتَّىٰ مَا تَعِنْ جِهَالِيَا ^(٤)
يقول : جَدَّبَنِي الْخُلْطَاءُ زَمَانًا وَجَدَّبَهُمْ ، حَتَّىٰ كُنْتُ فِي حُكْمٍ مِنْ لَا يَصِيرُ
عَنْهُمْ ، وَلَا يَنْفَكُّ مِنْهُمْ ، كَالْقَانْدُ لِلشَّائِيِّ وَهُوَ مَقْوُدُ لَهُ ، لَأَنَّ مَنْ كَانَ هَذِهِ صِفَتَهُ
مَعْ شَيْءٍ فَهُوَ يَازِمُهُ وَلَا يَفَارِقُهُ . وَالآنَ فَارَقْتُهُمْ فَلَا أَحِنُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا أَنْزِعُ نَحْوَهُمْ .

(١) م : « قرى » .

(٢) كذا يسكون الفاف في النسختين ، وهي لغة صحيحة .

(٣) الراعي لقب له ، واسميه عبد بن حبيب بن معاوية ، أو حبيب بن معاوية التمزي ، وإنما قيل له الراعي لأنه كان يصف الإبل في شعره . وهباه جريرا لأنه كان آهمه بالليل إلى الفرزدق . الأغاني (٢٠ : ١٦٨ — ١٧٣) والمؤتلف ١٢٢ والخرزاتة (١ : ٥٠٢ — ٥٠٤) والاشتقاق ١٧٩ والنقاوش في مواضع كثيرة . والشعر والشعراء (٣٧٧ — ٣٨١) .

(٤) البيتان في معجم البلدان (وهبين) .

وَنَسَبَ الْخَيْرَ إِلَى حِمَالِهِ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ النَّفْسُ ، لِأَنَّهَا فِي الْخَيْرِ أَقْلَى صَبْرًا حَتَّى
رَبَّا تَهْمَمَ عَلَى وِجْهِهَا ، وَتَنْدِلُ عَنْ صَوْاحِبِهَا ، طَلَبًا لِلْأَلْفِ ، وَجَزِيَّا مَعَ الْهَوَى .
وَعَلَى هَذَا قَالَ مَنْ قَالَ فِي مُخَاطَبَةِ رَاحِلَتِهِ وَقَدْ رَأَاهَا :

فَإِنِّي مِثْلُ مَا تَحْدِيدَنَّ وَجْدِي وَلَكِنْ أَصْبَحْتُ عَنْهُمْ قَرُونِي^(١)
٢— رَجَاؤُكَ أَنْسَانِي تَذَكَّرُ إِخْوَتِي وَمَالِكَ أَنْسَانِي بِوَهْبِيَّنَ مَا لِيَا
يَقُولُ : أَمْلِي فِيكَ أَنْسَانِي الْفَكْرُ فِي إِخْوَتِي وَأَهْلِيَّتِي ، وَطَمْعِي فِي مَالِكِ
أَنْسَانِي مَا لِي بِوَهْبِيَّنَ . وَهَذَا قَالَهُ لَأَنَّهُ يُرِي أَنَّ رَجَاهُ فِيهِ لِتَحْقِيقِهِ صَارَ مُؤْثِرًا
عَلَى ذَكْرِ وَطْنِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، وَأَنَّ مَا طَمِيعَ فِيهِ مِنْ مَالِهِ لَمَّا كَانَ أَكْثَرَ مِمَّا مَلَكَ
بِوَهْبِيَّنَ صَارَ مُنْسِيًّا لَهُ .

وَهَذِهِ الْمَقْطُوعَاتُ بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْفَضَّاَةِ وَالْقَسْوَةِ ، وَذِكْرُ قَلَةِ الْفِكْرِ فِي
الْأُوْطَانِ وَالْأَحْبَةِ ، وَتَنَاسِي الْعَهْدِ وَالْأَذْمَةِ ، وَمُفَارَقَةِ الْأَمَاْكِنِ الْمَأْلُوفَةِ ، وَالْحِلَالِ
الْمُوْرُودَةِ ، وَشَكْوَى النَّفْسِ إِلَى التَّنَافِيِّ وَالْفُرْبَةِ ، دَخَلَتْ فِي بَابِ الْحَمَاسَةِ . وَيَمْثُلُ
هَذِهِ الْمَنَاسِبُ دُخُلُّ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ نَظَارِهَا . وَسَنَدُلُّ عَلَيْهَا إِذَا اتَّهَيْنَا إِلَيْهَا .

٨١

وقال آخر :

١— وَإِنَّا لَتُصْبِحُ أَسْيَافُنَا إِذَا مَا اصْطَبَحْنَ يَوْمٍ سَقُوكِ
يَرْوَى « تُصْبِحُ » بفتح الباء على ما لم يسمّ فاعله ، فيكون المعنى : إِنَّا
لَتُسْقَيْنَا أَسْيَافُنَا الصَّبُوحَ يَوْمٍ سَقُوكِ إِذَا مَا اصْطَبَحْنَ . وَمِنْ روَى « تُصْبِحُ »
بكسر الباء فَخَبَرَ تُصْبِحُ فِي الثَّانِي ، وَهُوَ « مَنَابِرُهُنَّ بُطُونُ الْأَكْفَرِ » .
وَالْمَعْنَى : إِنَّا لَتُصْبِرُ أَسْيَافُنَا إِذَا شَرَبَتِ الصَّبُوحَ فِي يَوْمٍ سَقُوكِ لِلَّدَمَاءِ بِهَذِهِ الْحَالَةِ .

(١) فِي الْلَّاْسَانِ (فَرْنَ) : « أَسْمَحْتُ عَنْهُمْ قَرُونِي ». وَالْبَيْتُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي كَلِيبٍ . افْتَرَسَ ٢٩٥ .

ونسبة السُّفْكِ إلى الْيَوْمِ مَجَازٌ لَا كَانَ يَقْعُدُ فِيهِ، فَهُوَ كَوْلُمْ : نَهَارُهُ صَائِمٌ .
 ٣- مَنَابِرُهُنَّ بُطُونُ الْأَكْفَى وَأَغْمَادُهُنَّ رُؤوسُ الْمُلُوكِ
 أَرَادَ أَنَّهَا تُنَتَّصِي فَتَخْطُبُ وَاعْظَةً لِلْأَعْدَاءِ زَاجِرَةً ، وَمُنْذَرَةً لِلْكُمَاءِ
 مُحَذَّرَةً ، لَكِنَّ مَنَابِرَهُنَّ أَكْفَى الصَّارِبِينَ ، وَأَغْمَادُهَا إِذَا أَغْمَدَتْ رُؤوسَ
 الْمُلُوكِ الْمُعَظَّمِينَ . وَهُمْ يَتَبَجَّحُونَ بِقَتْلِ الْمُلُوكِ وَقِتْلِهِمْ . وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ :
 « يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطَلُ التَّجَيِّدُ »

وقوله :

من عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقُتُلُهَا وَقُتُلَاهَا
 وَالْمَنَابِرُ : مَوَاضِعُ النَّبَرِ ، وَهُوَ الصَّوْتُ ، لِأَنَّهَا نُصِبَتْ لِلْخُطُبِ وَالْمَوَاعِظِ
 وَالْتَّحْمِيدَاتِ .

٨٣

وقال :

١- لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضَ الْعِيشِ فِي دَعَةٍ زَرَاعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلٍ وَأَوْطَانٍ^(١)
 يقول : لَا يُزَهَّدَنَّكَ اشْتِيَاقُكَ إِلَى السَّكْنِ ، وَحِينَئِنَّكَ إِلَى الْوَطَنِ ، فِي إِيَّاشِ
 سَعَةِ الْعِيشِ وَرَغْدَهِ ، مَعَ الرَّاحَةِ وَالشَّكُونِ . وَيُرْمُوكِي : « نُزُوعُ نَفْسٍ »
 وَالنُّزُوعُ اشْتِهَارُهُ فِي الْكَفَ عن الشَّيْءِ ، وَالنُّزُوعُ فِي الشَّوْقِ ، وَإِنْ كَانَ جَائزًا
 وَقَوْعُ أَحَدِهَا مَوْقِعُ الْآخِرِ فِي التَّشْوِقِ . وَيَقَالُ نَاقَةٌ مَنَازِعٌ وَنَزَوْعٌ . وَقَدْ
 أَنْزَعُوا ، إِذَا حَنَّتْ إِلَيْهِمْ . وَالنُّزُوعُ : الْجَذْبُ ، وَيَقَالُ : خَرَجَ نَازِعَ يَدِهِ ، إِذَا
 خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ .

٢- تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانٍ

(١) جعل التبريزى الرواية الأولى : « نَزُوعُ نَفْسٍ » ، ثُمَّ نبه على رواية « زَرَاعٌ » .

هذا تسليةٌ للنفس عن الأهل . يقول : تجذب بكلّ بلد تنزل به أهلاً بدلاً من أهلك ، وجيراً ماً بدلاً من جيرائك . والعربُ يقولُ : هذا بذلكَ ، أى هو عوضٌ منه . وإنما ضمَّنَ أبو تمام هذه الآياتَ بابَ الحاسة ، لما قدَّمتُه من أنها صادرةٌ عن قسوةٍ شديدةٍ ، وقلةٍ فِكْرٍ في التحول عن الإلْفَ والعادة ، ولأنَّ ترْكَ الوطن والإخلال بالشَّيرة يُضْمِنُ إلى القتلِ وتلف النفس ، فالصبر عليه كالصبر على القتل . ألا ترى قوله تعالى : « وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ أَخْرُجُوهُم مِّن دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ » .

٨٣

وقال بعض بنى أسدٍ^(١) :

١— إِلَّا كُنْ مِّنْ عَالِمِينَ إِلَى نَسَبٍ مِّنْ جَهْلٍ كَرِيمٍ

يقول : إن لم أُكُنْ من عرفتهم بالشرف ، فإني أنتهى إلى شرفٍ كريمٍ من جهْلِهِم . كأنه يريد : ليس الاعتبار بما تَعَدَّينه شرفاً أو تعرفيه نسباً ، لكنَّ الاعتبار بحصول الكرم على أى وجهٍ حصل ، وحوْزِ المجد وإنْ جَهَلَ من جَهَل . وقوله « إِلَى نَسَبٍ » يتعلّق بفعلٍ مضمرٍ ، كأنه قال : فإني أنتهي إلى نسبٍ .

٣— إِلَّا كُنْ كُلَّ الْجَوَادِ فَإِنِّي عَلَى الزَّادِ فِي الظَّلَامَاءِ غَيْرُ شَتِيمٍ

يقول : إن لم أُكُنْ النهاية في الجود فإني لا أُشَتِّمُ بسبِ الزادِ في الليلة المظلمة ، فلا أُذْمِ لصرفِ الضيف عن نفسِهِ بالعلل الكاذبة في الشَّتْوَةِ القَحْطةِ . وقد اشتمَّ قوله « على الزادِ في الظَّلَامَاءِ » على ما يَبَّنا وأكثَرَ منه . وهذا الذي خَبَرَ

(١) التبريزى : « قيل هي عبد العزيز بن زرارة » .

به عن نفسه هو الجُود ، لكنه أراد أن يُرى من نفسه ترك ادعاء النَّهَايَات ، والأخذ بالاقتصاد في الحالات ، وإن كان تناهياً من حيث اقتصاد . ويقال زَيْد الشجاع كل الشجاع ، والمُعنى أنه الكامل في معناه . ومن هذا الباب قوله عز وجل : « وإنما أُتيكم لعلَّ هُدًى أو في ضلالٍ ». وهذا كلام من نظر لنفسه وغيره ، وتبيَّن ما عليه قوله ، فأثبتت ما أثبتت في أحسن معرض ، ودفع مادفع بالطف تعرِيض . وتعلق على من قوله : « على الزاد » بشتم وإن كان مصافاً إليه ، لأنَّه أُجْرِيَ غير مجرَّى لا ، لأنَّهما للنَّفْي ، فجعل الكلام على المُعنى فكأنَّه قال : إِنِّي على الزاد لا أُشَتِّم . ونزيد هذا شرحاً فيما بعده .

٣— وإلا أَكُنْ كُلَّ الشجاع فإنِّي بضربِ الطلى والهمام حَقُّ عَلِيم
 هذا كالبيت الذي قبله . يقول : إن لم أَكُنْ النَّهَاية في الشجاعة ، والمُعنى إن لم يكن فعل النهاية فيما يفعله الشجاع ، فإني عالمٌ حَقًا بضرب الرهوس والطلى . والتناهيا في الشجاعة لا يتعدى فعله هذا ، لكنه سَلَكَ طريقته فيما قبله . الطلى : الأعناق وأعراضها ، والواحدة طُلْيَة . والباء من قوله « بضربِ الطلى » تعلق بقوله عَلِيم .

فإن قيل : كيف ساعَ ذلك والمُضَاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف ؟ قلت : لما كان قوله « حَقُّ عَلِيم » لا زيادة فيه إلا التوكيد لم يعتمد بالمُضَاف ، فجعل الكلام على المُعنى لا على اللَّفظ ، فكأنَّه قال : إِنِّي بضربِ الطلى عَلِيم جدًا . ويجري هذا المجرَّى إجازتهم لقول القائل أنت زَيْدًا غير ضارِب ، مع اعتنائهم من إجازة أنت زَيْدًا مثل ضارِب ، لما كانت مَعْنَى غير مُعْنَى لا ، فجعل الكلام على المُعنى لا على اللَّفظ ، حتى كأنَّه قيل : أنت زَيْدًا لا ضارِب . فاعلمه ، وبالله التوفيق .

٨٤

وقال عمرو بن شاس^(١) :

١— أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهُوَانِ وَمَنْ يُرِدُ عِرَارًا لِعَمْرِي بِالْهُوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ الْمُضْمَرَةَ فِي أَرَادَتْ رَابِّةً عِرَارًا ، فَقَالَ وَالدُّهُّ عَمْرُو : أَرَادَتْ امْرَأَتِي إِهَا نَهَى عِرَارًا وَالْإِسْتَعْفَافَ بِهِ ، وَمَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ فِي مُثْلِهِ فَقَدْ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مُوْضِعِهِ . فَإِنْ قِيلَ : هَلْ تَفَصِّلُ بَيْنَ قَوْلِهِ أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهُوَانِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ لَوْقَالْ أَهَانَتْ عِرَارًا ؟ قَلْتَ : بَلَى ، لَأَنَّ مَعْنَى أَرَادَتْهُ بِالْهُوَانِ أَرَادَتْ كُونَهُ لَهَا وَصَحِبَتْهُ إِيَاهَا بِاسْتِعْمَالِ الْهُوَانِ مَعَهُ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْهُوَانُ وَاقِعًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ وَاقِعٍ . وَمَعْنَى أَهَانَتْهُ : ابْتَذَلَتْهُ وَأَدَلَّتْهُ . فَهُوَ إِخْبَارٌ لِوَقْعِ الْفَعْلِ بِهِ فِيمَا مَضِيَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ظَلَمٌ : تَحْيَفَ حَقَّهُ وَبَخْسَهُ .

٢— إِنْ كُنْتِ مِنِّي أَوْ تُرِيدِينَ صَاحِبَتِي فَكُوْنِي لَهُ كَالسَّمْنِ رُبَّتْ لَهُ الْأَدَمُ نَقَلَ السَّكَلَامَ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخِطَابِ ، عَلَى عَادَةِ تَفَنِّنِهِمْ . يَقُولُ : إِنْ كُنْتِ تَهْوَيْنَ هَوَائِي ، أَوْ تُرِيدِينَ الْكَوْنَ مَعِي وَمَصَاحِبِتِي ، وَإِنْ انْطَوَيْتِ فِي حُبِّهِ عَلَى مُخَالَفَتِي ، فَكُوْنِي لَهُ فِي تَصْنَعِكِ كَأَنِّكِ موَافِقُ الظَّاهِرِ لِلْبَاطِنِ ، جَارِيَةً مَعَهُ عَلَى الْخَلْدِ الْوَاحِدِ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ ، وَإِظْهَارِ الْلَّيْلِ وَالْمَوَدَّةِ . وَالسَّمْنُ

(١) عمرو بن شاس الأسدى ، قال الجعى : « كثير الشعر فى الجاهلية والإسلام ، وهو أكثر طبقته شعراً ». وأسلم فى صدر الإسلام وشهد الفاديسية . وقال ابن قبية : « هو أبو عرار ، وفيه يقول عمرو لامرأته ». وأنشد الأيات . الشعر والشعراء ٣٨٩ والجعى ٦٤٧ والمرزباني ٢١٢ — ٢١٣ — ٧٥٠ — ٧٥١ والأغانى ١٠ : ٦٠ — ٦٣ ». وقال التبريزى : « هو مخضرم أدرك الإسلام وهو شيخ كبير ، وكانت له امرأة من قومه وابن من أمة سوداء يقال له عرار ، فكانت تغيره إيه وتوذيه ويؤذتها ، فأنكر عمرو أذاتها ». .

إذا رُبَّ نَحْيَهُ لَمْ يَتَغَيِّرُ . يَرِيدُ فَلَا تَتَغَيِّرُ أَنْتِ أَيْضًا . وَمَعْنَى رُبَّتْ لَهُ أَيْ منْ أَجْلِهِ ، وَالْأَدَمُ : جَمْعٌ ، يَقَالُ أَدِيمٌ وَأَدَمٌ . وَلَهُ نَظَائِرٌ قَلِيلَةٌ : إِهَابٌ وَأَهَبٌ ، وَأَفِيقٌ وَأَفَقٌ ، وَعَمُودٌ وَعَمَدٌ .

٣— وَإِنْ كُنْتَ تَهْوِينَ الْفِرَاقَ ظَمِينَتِي فَكُونِي لَهُ كَالذَّئْبِ ضَاعَتْ لَهُ الْفَمُ
يَقُولُ : وَإِنْ كُنْتَ تُؤْثِرِينَ مَفَارِقَتِي وَتَمْلِيَنَ إِلَى التَّبَانِ عَنِي فَأَسِنِي عِشْرَتَهُ
وَكُونِي لَهُ كَالذَّئْبِ ضَاعَتِ الْفَمُ مِنْ أَجْلِ وَقْوَعِهِ فِيهَا . وَالْمَعْنَى عَاشِرِيَّهُ عِشْرَتَهُ
لَهَا . وَيُحَجِّزُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ « ضَاعَتِ لَهُ الْفَمُ » فَاتَّهَ الغَمُ بَعْدَ أَنْ أَنْكَنْتَهُ .
وَالسَّيْعُ إِذَا شَارَفَ فَرِيَسْتَهُ ثُمَّ كَانَ ذَلِكَ مُهَيَّجًا لَهُ ، وَدَاعِيًّا إِلَى الْفَسَادِ
فِيهَا يُمْكِنُهُ^(١) .

٤— وَإِلَّا فَسِيرِي مِثْلَ مَاسَارَ رَاكِبٍ تَجَسَّمَ خَمْسًا لَيْسَ فِي سِيرِهِ أَمْ
هَذَا كَمَا يَقَالُ عَلَى طَرِيقِ الْوَعِيدِ أَوْ إِظْهَارِ الزَّهْدِ لِمَنْ يُؤْمِنُ شِينَا : اعْمَلْ كَذَا
وَكَذَا وَإِلَّا فَدَعْهُمَا وَلَا تَعْمَلْ أَحَدُهُمَا فَلَا حَاجَةَ لِنَافِيَهِ . يَقُولُ : وَإِلَّا فَلَا تُخْسِنِي
إِلَيْهِ وَفَارِقِي مِنْ وَقْتِكِ . وَهَذَا إِظْهَارٌ لِزَهْدِهِ فِيهَا ، وَاطْرَاحٌ تَكْلِفُ الْاِشْتَرَاطَاتِ
مَعَهَا . ثُمَّ قَالَ : لِيَكُنْ سِيرُكِ سِيرًا إِلَّا كِبِ تَكْلِفَ وَرُودَ الْمَاءِ نَحْمَسِي ، وَلَيْسَ
فِي سِيرِهِ قَصْدٌ وَلَا قُرْبٌ . وَقَوْلُهُ « مِثْلَ مَاسَارَ رَاكِبٍ » أَيْ سِيرًا يُشَابِهُ سِيرَهُ .
وَقَوْلُهُ « تَجَسَّمَ » مِنْ صِفَةِ رَاكِبٍ . وَالْأَمْ : الْقُرْبُ ، وَيَقَالُ أَمْرِيَ مِنْ أَمْرِكُمْ
أَمْ . وَيُرَوِّي : « لَيْسَ فِي سِيرِهِ يَتَمَّ » أَيْ إِبْطَاء^(٢) .

٥— إِنَّ عِرَارًا إِنَّ يَكُنْ ذَا شَكِيمَةً تُلَاقِيْنَاهُ مِنْهُ فَا أَمْلِكُ الشَّيْمَ
يَقُولُ : إِنَّ عِرَارًا إِنَّ يَكُنْ ذَا سَوِّهُ خُلُقٌ تُمْنَيْنَ بِهِ وَتَشْقَيْنَ بِمَقْسَاتِهِ ، فَإِنِّي

(١) زَادُ التَّبَرِيزِيُّ : « وَهَذَا تَهَدُّدُ مِنْهُ لَهَا ، وَلَيْسَ هُوَ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ » .

لَا أَمْلِكُ تَغْيِيرَ الطَّبَائِعِ وَالخَلَائِقِ . وَكَانَهُ جَوَابٌ لِاعْتِذَارِهِ مِنْ قَلَةِ الْمَلَاهَةِ بَيْنَهُمَا .
وَالشَّكِيمَةُ : الْخَلْدُ وَالشَّدَّةُ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ لِشَدِيدِ الشَّكِيمَةِ ، أَى شَدِيدِ الْعَارِضَةِ .
وَيَحْزُنُ أَنْ يَكُونَ شَكِيمَةُ الْجَامِ — وَهِيَ الْخَدِيدَةُ الْمُتَرَضِّهُ مِنْهُ فِي الْفَمِ — مَا خُوذَ
مِنْهُ ، وَالجَمِيعُ الشَّكَامُ .

٦— وَإِنَّ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضْعَفٍ فَإِنِّي أَحِبُّ الْجُنُونَ ذَا الْمَنْكِبِ الْعَظِيمِ
يَقُولُ : وَإِنَّ وَلَدِي عِرَارًا إِنْ لَمْ يَكُنْ وَضِيءً الْوَجْهُ مَمْسُوَّحًا بِالْجَالِ ، فَإِنِّي
أَحِبُّهُ عَلَى سُوادِهِ وَتَكَامُ خَلْقِهِ . وَهَذَا كَانَهُ إِسْقَاطٌ لِقُولِّ مِنْ يُزَيْفُ أَبْنَهُ وَيُعَيِّرُهُ
الْقُبْحَ وَالدَّمَامَةَ . وَكَانَ عِرَارُ هَذَا أَحَدَ الْفُضَّلَاءِ ، وَتَوْجِهُ عَنِ الْمَهْلَبِ بْنِ
أَبِي صُفْرَةِ إِلَى الْحَجَاجِ رَسُولًا فِي بَعْضِ فُتُوحِهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الْحَجَاجِ لَمْ
يَعْرُفْهُ ، وَازْدَرَاهُ ، فَلَمَّا اسْتَنْطَقَهُ أَبَانَ وَأَعْرَبَ مَا شَاءَ ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ وَالْمَرَادَ فِي كُلِّ
مَا سُأْلَ ، فَأَنْشَدَ الْحَجَاجُ : « أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ ... ». الْأَبْيَاتُ مَقْمَثًا ،
فَقَالَ عِرَارٌ : أَنَا أَيَّدَ اللَّهَ الْأَمِيرَ عِرَارًا ! فَأَعْجَبَ بِهِ وَبِذَلِكِ الْاِتْفَاقُ . وَفِي هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ قُولُ الْمُؤْمِنِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ :

إِنْ يَكُنْ لِلسَّوَادِ فِيكَ نَصِيبٌ فِيَّاضُ الْأَخْلَاقِ مِنْكَ نَصِيبِي
وَالْعَيْمُ وَالْعَظِيمُ : الطَّوْيِلُ التَّامُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَالْجُنُونُ الْأَسْوَدُ هَاهُنَا ،
وَيُجْعَلُ مِنَ الْأَضْدَادِ .

٨٥

وقال آخر^(١) :

١— لَوْلَا أُمِيَّةً لَمْ أَجْزَعَ مِنَ الْعَدَمِ وَلَمْ أَقْاسِ الْدُّجَى فِي حِنْدِسِ الظَّلَمِ

(١) التبريزى : « وهو إسحاق بن خلف » .

يرُوَى : « لم أَجِبْ فِي الْلَّيَالِ حِنْدِسَ الظُّلْمِ ». والمبتدأ بعد لولا يُحذفُ خبره أبداً ، ويُستغَى بـجواب لـلولا عنه . والتقدير : لولا أُمِيمَةٌ مانعَةٌ لـم أَجِزَعْ . فيقولُ : لولا ابْنَتِ أُمِيمَةٍ لـم أَخْفَى الْفَقْرَ وـلـم أَرْجَلْ فـي طَلَبِ الْمَالِ ، وـلـم أَرْكَبْ الـلَّيلَ ، فـكـنـتْ أـجـوـبـ ظـلـمـاهـ ، وـأـكـابـدـ أـهـوـالـهـ . والـحـنـدـسـ : شـدـةـ الـظـلـمـ ، وـقـدـ اـشـتـقـ مـنـهـ الـفـعـلـ ، فـقـيـلـ : حـنـدـسـ الـلـيـلـ فـهـوـ حـنـدـسـ^(١) . وـمـعـنـىـ لـمـ أـجـبـ : لـمـ أـقـطـعـ . وـقـاطـعـ الـمـاـضـيـ الـظـلـمـ كـأـنـهـ قـاطـعـ لـلـظـلـمـ . وـمـنـ رـوـىـ « لـمـ أـفـاسـ الدـجـيـ » يـرـيدـ أـهـوـالـهـ . وـإـضـافـةـ أـخـنـدـسـ إـلـىـ الـظـلـمـ كـإـضـافـةـ الـبـعـضـ إـلـىـ السـكـلـ ، أـىـ فـيـ الشـدـيدـ مـنـ الـظـلـمـ . وـيـقـالـ تـحـنـدـسـ الرـجـلـ^(٢) ، إـذـاـ ضـعـفـ وـسـقـطـ .

٣ — وزادني رَغْبَةً فِي الْعَيْشِ مَعْرِفَتِي ذُلَّ الْيَتِيمَةِ يَجْفُونَهَا ذُؤُو الرَّحِيمِ
يقولُ : زـادـنـيـ حـرـصـاـ عـلـىـ الدـنـيـاـ وـرـغـبـةـ فـيـ الـعـيـشـ فـيـهـاـ ، عـلـىـ بـذـلـ الـيـتـيمـةـ
وـقـدـ جـفـاـهـاـ أـقـارـبـهـاـ ، وـأـطـرـحـهـاـ أـهـلـهـاـ . وـمـوـضـعـ « يـجـفـونـهـاـ » مـنـ الـإـعـرـابـ نـصـبـ
عـلـىـ الـحـالـ الـيـتـيمـةـ ، وـالـعـاـمـلـ فـيـهـ ذـلـلـ الـيـتـيمـةـ . وـالتـقـدـيرـ : زـادـنـيـ مـعـرـفـتـيـ بـذـلـلـ
الـيـتـيمـةـ إـذـاـ جـفـاـهـاـ ذـؤـوـهـاـ رـغـبـةـ فـيـ الـعـيـشـ وـمـهـلـةـ الـعـمـرـ .

٤ — أـحـاذـرـ الـفـقـرـ يـوـمـاـ أـنـ يـلـمـ بـهـاـ فـيـهـتـكـ السـتـرـ عـنـ لـحـمـ عـلـىـ وـضـمـ
قولـهـ « أـنـ يـلـمـ بـهـاـ » مـوـضـعـهـ نـصـبـ عـلـىـ الـبـدـلـ مـنـ الـفـقـرـ . وـالـمـعـنـىـ : أـحـاذـرـ
إـلـامـ الـفـقـرـ بـهـاـ فـيـكـشـفـ السـتـرـ عـنـ لـاـ دـفـاعـ بـهـ ، فـتـنـاؤـلـهـ مـنـ شـاءـ بـمـاشـاءـ . وـالـعـربـ
تـقـوـلـ : « النـسـاءـ لـحـمـ عـلـىـ وـضـمـ إـلـاـ مـاـذـبـ عـنـهـ ». وـالـوـضـمـ : خـوـانـ الـجـزـارـ وـالـخـبـازـ ،
وـمـوـضـعـهـ مـيـضـمـةـ ، وـالـجـمـيعـ الـمـوـاضـمـ .

٥ — تـهـوـيـ حـيـاتـيـ وـأـهـوـيـ مـوـتـهـاـشـفـقاـ وـالـمـوـتـ أـكـرمـ نـزـالـ عـلـىـ الـحـرـمـ

(١) هذا الفعل ومشتقه مما لم يرد في الماجم المتدالوة .

(٢) ورد في القاموس ، ولم يرد في المسان .

يقول : تحب ابنتي بقائي لها ، وأنا أؤدّي موتها إشفاقاً عليها ، وخوفاً من ابتسالٍ
يلحقها ، وابتساله من لا يعرف لها ما يُعرف لثلثها ، ثم قال : ولموت أكرم
نزاً على المحرم ، كاً قيل : « نعمَ الختنُ القبرُ » و « دفنُ البناتِ من المكرمات ». .
وانتصب شفقاً على أنه مفعول له .

٥ - أخْشى فَظَاظَةَ عَمٍّ أوجفَاءَ أَخْ . وَكُنْتُ أُبِقِيَ عَلَيْهَا مِنْ أَذَى الْكَلِيمِ
هذا تفسير قوله « أهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا » يريد : أشْفَقَ مِنْ مَغَالَظَةَ عَمٍّ لها ،
أو جفوةَ أَخٍ تَلْحَقُهَا ، وأنا كنت^(١) أُبِقِيَ عَلَيْهَا بِالْكَلِيمِ فَضْلًا عَنْ
غَيْرِهَا مِنَ الْأَفْعَالِ . يقال : رَجُلٌ فَطَّ ، إِذَا كَانَ قَاسِيَ الْقَلْبِ غَلِيظَ الْقَوْلِ .
وَالْكَلِيمُ : جَمْعُ كَلِيمٍ . وَمَعْنَى : « أَذَى الْكَلِيمِ » الْأَذَى الَّذِي يَلْحَقُ مِنْ الْكَلِيمِ .
وَهَذِهِ الْأَيَّاتُ مَعَ مَا يَشْبَهُهَا لَمَّا ضَادَتْ مَا قَبْلَهَا فِي تَضْمِنِهَا رِقَبَ الْقَلْبِ ،
وَالْعَطْفَ عَلَى الْوَلَدِ وَالْأَهْلِ ، أَتَبْعَهَا بِهَا . وَكُلُّ ذَلِكَ كَالْعَارِضِ ثُمَّ يَمُودُ إِلَى
مَا بَنَى عَلَيْهِ الْبَابِ . وَهَذَا عَادَةُ أَبِي تَمَامَ فِي أَبْوَابِ هَذَا الْإِخْتِيَارِ . وَيَشْبَهُهَا
قُولُ الْآخِرِ^(٢) .

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَى حُبْـا
بَنَاتِي إِنْهُنَّ مِنَ الْضَّعَافِـ
أَحَادِيرُ أَنْ يَرَيْنَ الْبُؤْسَ بَعْدِـ
وَأَنْ يَشْرِبْنَ رَنْقًا بَعْدَ صَافِـ^(٣)
وَأَنْ يَغْرِيْنَ إِنْ كُسِيَ الْجَوَارِـ
فَتَنْبُو الْعَيْنُ عَنْ كَرَمِ عِجَافِـ

(١) م : « وإنما كنت » .

(٢) هو أبو خالد القناني ، كا في الكامل ٤٢٩ هـ ليسك والسان (كرم) .

(٣) الكامل : « أن يرين الفقر » .

٨٦

وقال خَطَابُ بْنُ الْمَعْلَى^(١) :

١- أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ مِنْ شَامِخٍ عَالٍ إِلَى خَفْضٍ
يقول : للدَّهْرِ حُكْمٌ مَعْرُوفٌ ، وطَرِيقٌ مَأْلُوفٌ ، فِي رَفْعِ الوضِيع ، وَحَطٌّ
الرَّفِيع ، فَأَجْرَى حُكْمَهُ عَلَى ، وَأَنْزَلَنِي عَنْ رُتبَةِ عَالِيَّةٍ إِلَى مَنْزِلَةِ مُنْخَفَضَةٍ ،
وَالْخَفْضُ : ضِدُ الرَّفْعِ ، وَهُوَ مَصْدَرٌ وُضِعْ مَوْضِعَ الْفَعْلِ . يَرِيدُ إِلَى
مَكَانٍ مُنْخَفَضٍ .

٢- وَغَالَنِي الدَّهْرُ بِوَفْرِ الْغَنَى فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِي
يَرْوَى : « عَالِنِي » وَمَعْنَاهُ غَلْبِي ، وَيَرْوَى : « غَالِنِي » وَمَعْنَاهُ أَهْلُكَنِي
بِارْتِحَاجِ عَوَارِيَّهُ مِنَ الْمَالِ ، وَاسْتِلَابِ مَا كَنْتُ وَقْرَتُ^(٢) بِهِ مِنَ الْعَتَادِ ، فَالِي مَالٌ
سِوَى نَفْسِي ، وَلَيْسَ النَّفْسُ مِنَ الْمَالِ فِي شَيْءٍ . وَمَوْضِعُ « سِوَى » نَصْبٌ عَلَى
أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ خَارِجٌ ، وَهُوَ الْإِسْتِثْنَاءُ يَتَأَكَّدُ بِهِ انتِفَاءُ الْغَنَى . وَمَثَلُهُ قَوْلُهُ :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَابِ^(٣)
وَيَحْوِزُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَنِي : لَيْسَ لِي غَنَى سِوَى نَفْسِي ، خَذْفُ الْمُضَافَ ، وَالْمَعْنَى :
إِنَّ نَفْسِي غَنِيَّةٌ فَلَا تَطْمَعُ فِي الْمَكَاسِبِ الْوَضِيعَةِ ، وَلَا تَتَدَنَّسُ بِالْمَالِ كُلَّ الْخَيْشَةِ .
وَقَوْلُهُ « بِوَفْرِ الْغَنَى » أَى بِسَلْبِ وَفْرِ الْغَنَى ، خَذْفُ الْمُضَافَ . وَيَتَعَلَّقُ الْبَاءُ مِنْهُ
بِقَوْلِهِ غَالَنِي . وَالْوَفْرُ : كَثْرَةُ الْمَالِ ، وَأَضَافَهُ إِلَى الْغَنَى ، لِأَنَّ الْمَرَادُ الْمَالُ الَّذِي يَحْصُلُ

(١) كَذَا بِاَنْفَاقِ النَّسْخَيْنِ . التَّبَرِيزِيُّ : « حَطَانُ بْنُ الْمَعْلَى » وَذَكَرَ عَنْ اِشْتِفَاقِهِ عَنْ أَنْبَىِ الْعَلَاءِ : « حَطَانٌ : فَعَلَانٌ مِنَ الْحَطَّ » .

(٢) م : « وَقْرَتْ » بِالْقَافِ .

(٣) الْبَيْتُ لِلْنَّابَةِ الْذِيْبَانِيِّ فِي دِيْوَانِهِ ٦ .

به الفَيْ . وهم يضيقون الشَّيْء إلى الشَّيْء لأدنى مناسبة بينهما ، سَوَاءً كان له أو عَلَيْهِ ، أو معه أو فيه ، أو من أَجْلِهِ ، أو مَا يليه . ويجوز أن يكون مَوْضِع « بُوْفِ الرِّغْنِ » نَصَبًا على الحال لِدَهْرٍ ، كَما تقول : فَاتَّيْ فُلَانَ بَكْذَا ، والمعنى فَاتَّيْ مَسْبِضُبَّاً لَهُ . ومثله : جاءَ فِي أَطْمَارِ ، أَيْ لَا يَسَا لَهَا . ويجوز أن يكون حَلَّ الْكَلَامَ عَلَى الْمَقْتَى ، فَعَدَى خَالِيَ تَقْدِيرَةً فَجَعَنِي ، لأنَّهُ فِي مَعْنَاهِ ، فَكَانَهُ قَالَ : فَجَعَنِي بُوْفِ الرِّغْنِ وَأَصَابِنِي .

٣ - أَبْكَانِي الدَّهْرُ وَيَارِبَّمَا أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي

قوله « بِمَا يُرْضِي » يُدْلِلُ عَلَى أَنَّهُ أَضْمَرَ مَعَ قَوْلِهِ أَبْكَانِي الدَّهْرُ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَابِلَتِهِ ، وَحَذْفُ لَأْنَ الْمَرَادُ مَفْهُومٌ . وَالْمَعْنَى أَبْكَانِي الدَّهْرُ بِمَا يُسْخِطُ . وَقَوْلُهُ « يَارِبَّمَا » الْمَنَادِي فِيهِ مَحْذُوفٌ ، كَمَا قَالَ : يَا قَوْمٍ رُبَّمَا . وَهَذَا النَّدَاءُ عَلَى وجْهِ التَّحْسِرِ وَالتَّوْجِعِ مِنْ مَعْاملَةِ الدَّهْرِ وَسُوءِ تَنْقِلَةٍ . وَقَوْلُهُ « رُبَّمَا » « مَا » هَذِهِ دَخَلَتْ كَافَةً لِرُبَّ عَنِ الْعَمَلِ ، وَمُخْرِجَةً لَهَا إِلَى أَنْ تَصِيرَ مَشْتَرَكَةً حَتَّى جَازَ وَقْوَعُ أَضْحِكَنِي بَعْدَهُ . وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : « رُبَّمَا يَوْمَ الْذِينَ كَفَرُوا »^(١) . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَبْكَانِي الدَّهْرُ بِمَا أَسْخَطَنِي ، وَيَا قَوْمٍ رَبِّمَا أَضْحِكَنِي الدَّهْرُ فِيمَا مَضِيَ بِمَا أَرْضَانِي . وَفِي طَرِيقِهِ قَوْلُ الْآخِرِ^(٢) :

٤ - لَوْلَا بُنَيَّاتٌ كَزُغْبٌ الْقَطَا رُدِّدَنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ

(١) قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بتحقيق الباء في ربما، والباقيون بتشديدها . إنما فضلاء البشر ٢٧٤ . وقد وردت في النسختين بتشديد الباء . وما يمدد ذكره أن « رب » لم تقع في القرآن إلا في هذه الآية من سورة الحجر على كثرة وقوعها في لسان العرب . نشير إلى حيان (٥ : ٤٤٢) .

(٢) هو كعب بن سعد العنوي . أمال الفالي (١٤٩ : ٢) .

بُنيَاتٌ في موضع المبتدأ ، وجاز الابتداء به لكونه محدوداً^(١) بما اتصل به من الصفات . وجواب لولا « لكان لي مُضطربٌ واسعٌ » وهو أول البيت الذي يليه ، واستغنى به عن خبر المبتدأ ، والتقدير : لولا **بُنيَاتٌ** صفاتهن هذه مانعةٌ لـ لفعلت . ومعنى البيت : لولا **بُنيَاتٌ** لـ صغيراتٌ كفراغ القطا التي عليها الزَّغَب — وهو الشَّعرُ الْلَّيْنَ لصغرهن — اجتمعنَ لـ في مُدَّةٍ يسيرةٍ ، فـ ثانيةٍ بعد أولى ، وواحدةٍ إلى جنب أخرى فكثُرْنَ — لـ كان كذلك . ومثله :

تَجَمَّعُنَ مِنْ شَتَّى ثَلَاثَةً وَأَرْبَعَةً وواحدةً حَتَّى أَجْتَمَعُنَ ثَمَانِيَا

أى حين متواليات . ويروى : « رَدَدَنَ مِنْ بَعْضِي إِلَى بَعْضِي » ، بفتح الراء من رَدَدَنْ وإضافة البعض ، والمعنى : قوَسْنَتِي وحَنَّتِي ظهرى . ويجوز في الرواية الأولى أن يكون المعنى أن هذه البناء زوجين فرِدَدَنْ مع بناتِهنَ صغار . ويقال : ابنته مردودة ، أى مطلقة . وإلى في موضع مع ، يقالُ هذا إلى ذلك أى معه . ويكون « من بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ » في موضع الحال ، أى رَدَدَنْ مع غيرهن . وقد شبهَ الحُطَيْثَةَ وغيره الأولادَ بِزَغَبِ القطا ، فقال :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاجِ بَذِي سَرَاجِ زُغَبِ الْحَوَالِصِلِ لَامَّا وَلَا شَجَرُ

ويجوز أن يُروى « رَدَدَنْ » على ما لم يسمَّ فاعله ، و « من بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ » مُضافين . والمعنى : كُنْ في صلبى ، فلما ولدتهنَ صرُونَ في كَبِيدِي فهي تحرق عليهنَ لفطر شفقتى .

٥ - لـ **كَانَ** لـ **مُضطربٌ** واسعٌ في الأرض ذات الطُّولِ والعرضِ
 المضطربُ يكون الاضطراب ، ويكون موضع الاضطراب . يقول : لولا
 خوف من ضياعهنَ وإيقاعي عليهمَ ، لـ **كَانَ** لـ **مَجَالٌ** واسعٌ ، ومذهبُ فسيح

(١) في الأصل : « مخدوفاً » ، صوابه في م والتبيرizi .

فِي الْأَرْضِ الطَّوِيلَةِ الْمُرِيَّةِ . وَإِنَّا تَلَوَّمْتُ وَلَزِمْتُ مَكَانِي هَذَا هَنَّ وَبِسِيرَهِنَّ .

٦— وَإِنَّا أَوْلَادُنَا سَيِّنَنَا أَكْبَادُنَا تَقْشِي عَلَى الْأَرْضِ^(١)

يقول : محلُّ أَوْلَادُنَا مِنْ أَنفُسِنَا فِيهَا بَيْنَنَا وَإِنْ كَانَتْ مَاشِيَّةً عَلَى الْأَرْضِ
مَحَلُّ الْأَكْبَادِ مِنَ الْأَجْوَافِ . وَيَقُولُ « الْوَلَدُ فِلَذَةُ مِنَ الْكَبْدِ » ، أَيْ قِطْعَةُ .
وَقُولُهُ « تَقْشِي عَلَى الْأَرْضِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلْأَوْلَادِ ، وَبَيْنَنَا ظَرْفٌ لِتَقْشِي .
وَالْتَّقْدِيرُ : أَوْلَادُنَا وَهِيَ مَاشِيَّةٌ عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا . وَقُولُهُ « إِنَّا » يَدْخُلُ
لِتَحْقِيقِ الشَّيْءِ عَلَى وَجْهٍ مَعْ نَفِي غَيْرِهِ عَنْهُ .

٨٧

وقال حيان بن ربيعة^(٢) :

١— لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي ذُووْ جِدَّيْ إِذَا لَبِسَ الْحَدِيدَ^(٣)
يَقُولُ : شَهِدَتِ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي يَجْهَدُونَ فِي الْحَرْبِ إِذَا تَدَجَّجَ أَهْلُهَا فِي
الْأَسْلَحةِ ، وَيُبَيِّلُونَ فِيهَا وَلَا يُقْصَرُونَ . وَ « إِذَا لَبِسَ الْحَدِيدَ » ظَرْفٌ لِقُولِهِ
« ذُووْ جِدَّيْ » كَانَهُ قَالَ : إِنَّهُمْ يَجْهَدُونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَأَنَّ قَوْمِي مَعَ مَا بَعْدَهُ
سَدَّ مَسَدَّ مَفْعُولَيْ عَلِمَ .

(١) بَعْدَهُ عِنْدَ التَّبَرِيزِيِّ :

لَوْهَبَتِ الرَّيْحَنُ عَلَى بَعْضِهِمْ لَامْتَنَعَتْ عَيْنِي مِنِ الْفُعْضِ

(٢) التَّبَرِيزِيُّ : « قَالَ أَبُو هَلَالٍ : هَكَذَا قَالَ أَبُو تَعَامٍ . وَنَحْنُ قَوْلُهُ : هُوَ حَيَانُ بْنُ عَلِيقٍ بْنُ رَبِيعَةِ الطَّائِيِّ ، أَخُو بْنِ أَخْزَمٍ أَحَدُ بْنِ عَدَى بْنِ أَخْزَمٍ بْنِ أَبِي أَخْزَمٍ بْنِ عَمْرُو بْنِ ثَعَلَبٍ . وَفِي نَسْخَةِ أَبِي أَحَدٍ : جَيَارُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَهُوَ غُلْطٌ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ جَيَارُ بْنُ رَبِيعَةَ ، إِنَّمَا هُوَ جَيَارُ بْنُ جَزْءٍ بْنُ ضَرَارٍ ، إِنَّ أَخِي الشَّهَاجَ ، وَجَيَارُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ حَمَارٍ الشَّمْخِيُّ مِنْ فَزَارَةَ ، وَجَيَارُ بْنُ عَمْرُو بْنُ عَمِيرَةِ الطَّائِيِّ ، وَيَعْرَفُ بِالْأَسْدِ الرَّهِيمِ . وَأَمَّا جَيَارُ بْنُ رَبِيعَةَ فَلَيْسَ يَعْرَفُ بِهِ مَذْكُورٌ » .

(٣) التَّبَرِيزِيُّ : « وَرَوَى : ذُووْ حَدٍ . وَالْمَدُّ : السَّلاجُ » .

٢ - وَأَنَا نِمَّ أَحْلَاسُ الْقَوَافِي إِذَا اسْتَعْرَ الشَّانِفُ وَالنَّشِيدُ

يقول : ويشهدون أيضاً أنه نعم أصحاب القوافي وأربابها نحن ، إذا التهبت نار التفاخر والبناشدة والتحادم . والحلس ، أصله البرذعة وما يلي الظهر تحت الرحل ، ثم يستعمل على طريق التشبيه على وجهين : يقال في الذم : فلان كالحلس الملقى ، فيمن لا غناه عنده ولا كفاية إذا حزبه أمره . ويقال فيمن لازم ظهور الخليل : هم أحلاسها ؛ وهذا إذا مدحوا بالفروسيّة . ثم قالوا : ما هذا من أحلاس فلان ، أى ليس من آلاتِه . وقد مر بي أيضاً أنه يقال للكلفل الذي ليس بفارسٍ : هو كالحلس . وأحلاسُ البيت : ما يلقي تحت حر متاعه .

٣ - وَأَنَا نَصِرِبُ الْمَلْحَاءَ حَتَّى تُولَّ وَالسَّيُوفُ لَنَا شَهُودُ^(١)

يقول : وشهدوا أيضاً أنا نصاربُ الكتبة البيضاء لكثره سلاحها فتفعل بهم حتى تولى منهزم ، وسيوفنا لها حاضرة نكتسحهم بها في المرب أيا ، والملحاء من الملح ، وهو البياض . يقال : كبس أملاح . ويروى « نصربُ لللحاء » بضم الهمزة . ويقال : ضاربته فضر بته أضر به ، أى غلنته في الضرب .

٨٨

وقال الأعرج المعنى^(٢) :

٤ - أَنَا أَبُو بَرْزَةَ إِذْ جَدَ الْوَهَلُ^(٣)

(١) م : « لها شهود » .

(٢) التبريزى : « معن طي » . وقيل الصحيح أنها لعمرو بن يعربى . والأعرج المعنى هو عدى بن عمرو بن سويد بن ريان الأعرج الطائى المعنى ، وقيل اسمه سويد بن عدى . وهو شاعر مخضرم . معجم المزيانى ٢٥١ .

(٣) التبريزى : « ويروى : أنا أبو بردة » . وقد روى التبريزى الأشعار الخمسة الأولى بترتيبها هنا ، ثم روى بعدها الشطر الرابع ثم شعر آخر لم يروه المزوق ، وهو : = (١٩ - حاشة)

٣ - خلقتُ غيرَ زُملٍ ولا وَكْلٍ

يريد أنا الذي لشهرته تُغْنِي كنيته عن صفاته وذكر أحواله، وقت اشتداد الخطوف. فإن قيل: ما العامل في قوله «إذ جَدَ»؟ قلت: ما دَلَّ عليه قوله أنا أبو بَرَزَةَ من المعنى الذي بيَّنته هو العامل — ومثله:

* أنا أبو النَّجْمِ وشَعْرِي شَعْرِي *

وقوله «خلقتُ غيرَ زُملٍ»، أي غير ضعيف ولا جبان يتتكل على غيره فيما يَنْوِيه . والزَّمَل^(١) والزَّمَال والزَّمَلة^(٢): الضعيف . والوَكْلُ: الذي يتتكل على غيره .

٤ - ذَا قُوَّةً وذا شَبَابٍ مُقْتَبِلٍ

٤ - لا جَزَعَ الْيَوْمَ عَلَى قُرْبِ الْأَجَلِ

٥ - الْمَوْتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسْلِ

يقول: خلقتُ قويًا مُقْتَبِل الشَّباب، لم تُثْبِنِي السَّنُونَ، ولم يُضْعِفْنِي ما مَسَّنِي من التواب والهموم . فإن قيل: ما الزِّيادة في قوله «ذا قُوَّةً» على قوله «غيرَ زُملٍ»؟ قلت: يجوز أن يكون قوله ذا قوة مصروفاً إلى الرأي ، وغير زُمل مصروفاً إلى البنية . ويجوز أن يكون المراد بهذا قوة الجلادة ، لأنَّه ليس من كان غير ضعيف كان جَلَدًا . واقتراح الشَّباب: ألا يُرسَى أَرْتُ من الكِبر معه .

وقوله «لا جَزَعَ الْيَوْمَ» يقول: استقْتَلْنَا يَوْمَنا ، فلا نجزع على دُنُوِّ الأجل

* نَحْنُ بُنُوِّ الْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ *

=

ثم الشطر الثامن ثم الشطر السادس .

(١) يقال بتشديد الميم وتحقيقها .

(٢) وهذا أيضاً بتشديد الميم وتحقيقها .

فيه إن دَنَا ، لأنَّ الموت إذا غشَيَنَا فيما نطلبُه ، أحْلَى طَعْمًا عندنا من طعم العسل . وقوله «اليوم» ظرف لقرب الأجل ، وعلى قرب الأجل ، خبر لا . ويجوز أن تجعل اليوم خبراً على قرب الأجل «تبينًا له أو حالًا . وإن جعلته خبراً بعد خبر ، كاًنَّ يقول : هذا حلو حامِض ، جاز أيضًا . وذكْر بعض المتأخرِين أنه لا يجوز أن يكون معنى «على» هنا معناها في قوله جزعت على كذا ، أى أشفقت عليه ، لأنَّه غير الغرض المقصود . ألا ترى أنَّ معناها لا جَزَعَ اليَوْمَ من الموت على أنَّ الأجل قريبٌ مُنَاهًا ، فإذا قرَبَ منها فلم يَجْزَعْ منه فاذْنُوك بنا إذا بعْدَ عنا . وأنا أقول : وإنَّ من البيان إسحراً ، وإنَّ من الفوْصِ على المعانِي لِشَلِيلِ دُرَّا .

- ٦— رُدُوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَعْلَ
 ٧— نَحْنُ بَنِي صَبَّةَ أَصْحَابِ الْجَلِّ
 ٨— نَتْعَى ابْنَ عَفَانَ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ

يعني بالشيخ عثمان بن عفان رضي الله عنه . والمعنى : إنَّ طالبون بدمِه ، فإذا أدركنا ثأره فحسبنا ذلك . وهذا معنى قوله «ثُمَّ بَعْلَ». وموضع بعْل رفعٌ على الابتداء وخبره مُضمر ، كأنَّه قال : «ثُمَّ بَعْلَنَا ذلك» ، أى حسبنا ذلك . وثُمَّ عاطفةٌ تجليةٌ على جملةٍ . وقال ليَمِيدُ :

* بَعْلِيُّ الْآنَ مِنَ الْعِيشِ بَعْلَ^(١) *

وحكى الأخفش أنَّ بعْلَ ساكنةً أبدًا . يقولون بعْلَك ، كما يقولون قطْكَ وقدْكَ ، إِلَّا أنَّهم يقولون بعْلِي ولا يقولون بعْلَنِي كما يقولون قطْنِي وقدْنِي ،

(١) صدره كما في ديوان ليَمِيد ١٧ طبع ١٨٨١ : * فِي أَهْلِكَ فَلَا أَحْفَلَهَ *

وهو القياس مع مجيئه على السكون . وانتساب « بنى ضَبَّةَ » بِغَلِيلٍ مُضْمَرٍ ، والقصد فيه المدح والاختصاص . وخبر المبتدأ الذى هو نحن ' « أَحْصَابُ » ، والتقدير : نحن ' — أَذْكُرُ بنى ضَبَّةَ — أَحْصَابُ الْجَمَلِ . وهذا الكلام يُتبَّعُ به على أنهم مُجَدُّون في طلب دم عثمان رضى الله عنه ، لأنَّ الذين خرجوا مع عائشة رضى الله عنها وقاتلوا يومَ الْجَمَلِ كان دعواهم طَلَبُ الثَّارِ . ولو قال نحن بنو ضَبَّةَ لكان يسقط خاتمة المدح وتعظيمه ، وكان يصير أَحْصَابُ صَفَّةً وبنو خبراً ، وكان يجوز أن يكوننا جميعاً خرين ، ويجوز أن يكون أَحْصَابٌ بدلاً من بَنُو . وقوله « نَنْعَى ابن عفان » كان عادتهم إذا مات رئيسُ فِيهِمْ عظيمُ الشأن والمحل . أن يطوفَ واحدٌ منهم على القبائل ، ويصعدَ الرَّوَابِيَّ المطلةَ عليهم ، والآكام المرتفعة بمحالهم ويقول : نَنْعَى فُلاناً ! يريدون تشهيرَ أمره ، وتعظيم الفجع به ، وربما أَرْخَاوا بيته . فيقول : نحن نجعلُ بدَّلَ هذا الفعل أن نطلبَ دمه بأطرافِ الرِّمَاحِ . وهذا معنى حَسَنٍ .

19

وقال آخر^(١):

١- داوى ابن عم السوء بالناعي والغنى كفى بالغنى والناعي عنه مداويا
يقول : عالج ما ينفك و بين ابن عم السوء من التضاغن والتباين ، والتفاوت
والتحاسد ، بالبعد منه ، والاستغناء عنه . ثم قال : وكفى بهما من مداو معه .
وهذا يجري مجرى الالتفات ، وهو تنبية على أنهما الفاية فيما يحسم به شره ،
ويدفع به ضيروه . وموضع بالغنى رفع بكفى . ومداويا يجوز أن يكون حالاً ويجوز
أن يكون تميزاً ، وهو أحسن ، ومثله : { كفى بالله شهيداً } . والكلام يجري

(١) التبرزى : « وقيل إنه لرجل من بي أسد ». .

أيضاً مجرى التأكيد فيما دعا إليه ، والتحقيق لغناه ما أشار به .

٢ - جَزَى اللَّهُ عَنَّا مِحْصَنًا بِبِلَانِهِ وَإِنْ كَانَ مُولَىَ الْقَرِيبَ وَخَالِقَ
مِحْصَنَ الْمَذْكُورِ ، هُوَ ابْنُ عَمِّهِ الَّذِي تَأْذَىَ بِهِ فَدَعَا عَلَيْهِ . يَقُولُ : جَزَاءُ اللَّهِ
بِفَعْلِهِ فِينَا ، إِنْ خَيْرًا خَيْرًا وَإِنْ شَرًا شَرًا ، وَإِنْ كَانَ مُتَصَلَّ النَّسَبِ بِطَرَفِِ
أَبِي وَأُمِّي .

٣ - يَسْلُلُ الْغِنَى وَالنَّائِيُّ أَدْوَاءَ صَدْرِهِ وَيَبْدِي التَّدَانِيَ غِلْظَةَ وَتَقَالِيلَهَا
السَّلْلُ : النَّزَعُ . وَالْأَدْوَاءُ : جَمْعُ الدَّاءِ . وَهَذَا مِثْلُ مَارُوفِي : « أَنْ مُرِّ
ذَوِيَ الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَوَّرُوا وَلَا يَتَجَوَّرُوا »^(١) ، وَزَادَ عَلَيْهِ أَيْضًا بِمَا شَفَعَ النَّائِيَ^(٢)
بِهِ مِنْ ذِكْرِ الْغِنَى . وَنَبَّهَ أَيْضًا عَلَى أَنَّ فِي التَّدَانِيِّ تَحَاسِدًا يَبْدُو مَعَهُ الْقِلَى وَالْقَسْوَةَ
لِأَنَّ الْكَلَامَ كَالْتَعْلِيلِ لِلْأُمْرَيْنِ الَّذِيْنَ رَغَبَ فِي أَحَدِهِمَا وَزَهَدَ فِي الْآخَرِ ، وَهَا
الْتَّدَانِيُّ وَالنَّائِيُّ . وَالْمِثْلُ السَّائِرُ : « فَرَقْ بَيْنَ مَعْدَنِ تَحَابَّ » مِثْلُ الْبَيْتِ .

٤ - أَعَانَ عَلَىَ الدَّهْرِ إِذْ حَكَ بِرَكَهُ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَلَّتِهِ بِـ كَافِيَا^(٣)
هَذَا الْكَلَامُ شِكَايَهُ مَا عَامَلَهُ بِهِ مِحْصَنٌ ، وَتَصْرِيفُ بِإِذْهَاهِ ، فَيَقُولُ : لَمْ يَرِضَ
بِالْقَعْدَهُ عَنِّي وَإِسْلَامِي لِلَّدَهْرِ حَتَّىَ صَارَ عَوْنَانِ لِهِ عَلَيَّ ، لَمَّا أَخْذَ يُؤْثِرُ تَأْيِيْهِ ،
وَيَلْقِي كُلَّ كَلَهُ وَجِرَانَهُ . شَمَ قَالَ مُنْتَقِلًا عَنِ الإِخْبَارِ عَنْهُ إِلَى مُخَاطَبَتِهِ ، إِاظْهَارًا
لِلْجَزَعِ مِنْ فَعْلِهِ . لَوْ اتَّخَذَتِ الدَّهْرَ وَكِيلًا وَاعْتَدَتِ عَلَيْهِ ، دُونَ أَنْ تُبَاشِرَ
مَسَاءَتِي بِفَعْلِكَ لَكَفَاكَ . وَمِثْلُ هَذَا الْقَوْلُ ، أَعْنِي كَفَى الدَّهْرُ ، يُسَمِّي التَّفَاتًا .
وَقَوْلُهُ « كَافِيَا » يُحُوزُ أَنْ يَكُونَ تَميِيزًا ، وَيُحُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْمُصْدَرِ ،

(١) هَذَا مِنْ كِتَابِ عُمَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ . اَنْظُرْ بَعْدَ الْأَمْثَالِ
فِي (فَرَقْ بَيْنَ مَعْدَنِ تَحَابَّ) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الثَّانِي » ، صَوَابُهُ مِنْ م .

(٣) التَّبَرِيزِيُّ : « وَرُوِيَ : إِذْ حَلَّ بِرَكَهُ » . وَكَتَبَ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « حَلٌّ » بِحِيثِ
تَقْرَأُ بِاللَّامِ وَالسَّكَافِ أَيْضًا ، وَذَلِكَ بِتَعْقِيرِ الْلَّامِ وَالْمَاقِ عَلَمَةُ السَّكَافِ مِنْ جَانِبِهِ الْأَيْنِ .

أراد : كَفِي الدَّهْرُ لَوْ وَكَلْتُهُ بِي كِفَايَةً . واسم الفاعل يقع موقع المصدر كثيراً كـ يَقُولُ المصدر موقعاً اسم الفاعل . ومثله قول بشرٌ :

* كَفِي بِالنَّاَيِّ مِنْ أَسْمَاءَ كَافِ^(١)

قوله كافٍ في أحد الوجوه مصدر لكنه لم ينْصِبْ ، وجعله كقول الآخر :

* كَانَ أَيْدِيهِنَّ بِالقَاعِ الْقَوِيقَ^(٢)

في ترك إعراب المعتل في موضع النصب أيضاً ، إذ كان من العرب من يستقبل الفتحة في الياء ، والتقدير : كَفِي النَّاَيِّ مِنْ أَسْمَاءَ كَافِياً ، أى كِفَايَةً . وقد جاء في المثل : « أَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيَهَا » ، بسكون الياء في باريها ، ولم يَرُوْ أَحَدٌ باريها بالفتح ، فليس يجوز إلا ما حُسِّكَ ، لأنَّ الأمثال لا تُغَيِّرُ .

٩٠

وقال رَجُلٌ مِنْ بَنِي كَلَيْبٍ^(٣) :

١ — وَحَنَّتْ نَاقَتِي طَرَبًا وَشَوْقَانَا إِلَى مَنْ بِالْخَنِينِ تُشَوَّقِينِي انتصب « طَرَبًا » على أنه مصدر في موضع الحال ، أو على أنه مفعول له . وأول البيت خبر عن راحلته ، وأخره خطاب لها . قوله « تُشَوَّقِينِي » حذف نونه استئنافاً لاجتماع نونين ، والأصل تشوقيني . ومثله في الحذف قول الآخر^(٤) :

* يَسُوْهُ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَيْنِي^(٥)

(١) عجزه في مختارات ابن الشجري ٧٥ :

* وليس لها إذ طال شاف *

(٢) انظر اللسان والمقاييس (فرق) وإصلاح المطلق ٤٦٤ .

(٣) التبريري : « من بنى كلاب » .

(٤) هو عمرو بن معد يكرب ، كما في اللسان (فلا) .

(٥) صدره : * تراه كالثمام يعل مسكا *

يريد فليني . ولمعنى : اشتكت ناقتي حانة لطرها وشوقها . ثم أخذ يخاطبها مُنْكِرًا عليها ما ظهر منها فقال : تُشوّقيني بمحنيك إلى مَنْ ؟ أراد أنه مع حصول اليأس يجب ألا تخن ولا تُشوق . ويجوز أن يكون المعنى تعظيم المشتاق إليه ، فكانه قال : تشوقيني إلى مَنْ بمحنيك ؟ أى إلى إنسان وأى إنسان ؟ ومن من قوله « إلى مَنْ » في هذا الوجه يكون نَسْكِرَة غير موصفة وإن كان الكلام خبراً ، وفي المعنى الأول يكون مَنْ استفهاماً . وتقول : مررتُ بما صالح ، ومررتُ بمنْ كريم ، تريدي بـإنسان كريم . وقد حمل قوله عز وجل : « مثلاً ما بعوضة » ، على أن معناه مثلاً شيئاً بعوضة . والطرب : خفة تعتزى لعارض سرور أو هم .

٣ - فإنَّ مثلَ ما تجدينَ وجدى ولكنَّ أصبحتَ عنهم قروني
 هذا الكلام اعتراف بالحُب ، وتسويغ لحنين الناقة وإنْ كرهَ التذكرة
 الحاصل منه ، والشجو المنتج عنه . وقوله « مثل ما تجدين » يجوز أن يكون
 خبراً مقدماً ولابداً وجدى ، فيكون التقدير : إنَّ وجدى مثلَ ما تجدين ،
 والجملة خبرُ إن . ويجوز أن يكون مثلُ خبرِ إن ، ووجدى بدلُ من ياء الضمير
 المتصل بياني ، كأنه قال : إنَّ وجدى مثلَ ما تجدين . وما بمعنى الذي ، وتجدين
 من صلته ، والضمير العائد إليه ممحوظ ، كأنه قال : مثلُ ما تجدينه ،
 أى مثلُ الوجدِ الذي تجدينه . ويجوز أن يكون ما مع الفعل في تقدير مصدر ،
 كأنه قال : إنَّ وجدى مثلُ وجدى . والأصلُ في إنَّ إنني ، لكنه حذف
 نونه لاجتماع ثلاث نونات ، ويجوز أن يكون لم يأتِ بنون العياد كما لم يؤتَ
 به في آعلى ولئني ، ولمعنى إنَّ وجدى مثلُ وجدى ، ولكنَّ تأبّتني نفسى
 باليأسِ منهم ، وأنت لا تعرفين اليأس . والإصحاب : الانقياد . والقرؤت

والقرُونَةُ : النَّفْسُ . ويقولون : أَخَذْتُ قَرُونَيْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ، أَئِ رَفَضْتُهُ
وَاطَّحْتُهُ .

٣ — رَأَوْا عَرْشِي تَلَمَّ جَانِبَاهُ فَلَمَّا أَتَ تَشَلَّمَ أَفْرَدُونِي
يقول : رأوا عَزِيزِي قد تَهَدَّمْ جانِبَاهُ ، وانهَدَ رُكْنَاهُ ، فلما صارَ أَمْرِي
كَذِيلَ تَرَكُونِي وَحِيدًا ، وَقَدُّمُوا عَنْ مُشَايِعِي وَمُتَابِعِي ، فَدَعَتِي الْحَالُ إِلَى
مَفَارِقِهِمْ ، وَالْتَّحَوْلِ عَنْهُمْ . والعرشُ : سَرِيرُ الْمَلِكِ ، وَقَوْمُ أَمْرِ الرَّجُلِ وَعِزَّهُ ،
إِذَا زَالَ قِيلَ : ثُلَّ عَرْشُهُ وَتَشَلَّمَ . وَقَدْ أَلَمَ فِي هَذَا بِقَوْلِ أُوسِ
* وَهُمْ لِعْقَلٌ لِلِّمَالِ أَوْلَادُ عَلَيْهِ^(١) *

وَبِقَوْلِهِ :

* بَنُو أَمْرِ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ^(٢) * (البيتان)

٤ — هَنِيئَا لَابْنَ عَمَ السَّوءَ أَنِي مُجَاوِرَةُ بَنِي ثُلَّ لَبُونِي
أَنِي فِي مَوْضِعِ الْفَاعِلِ لَهُنِيئَا ، وَمُجَاوِرَةُ ارْتَفَعَ عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبَرَ أَنَّ
وَلَبُونِي فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى أَنْهَا فَاعِلَةُ لِجَاؤَرَةُ ، وَبَنِي ثُلَّ مَفْعُولُ بِهِ . وَالْمَعْنَى :
لَيَهْنِي ابْنَ الْعَمِ السَّوءِ بَعْدِي عَنْهُمْ ، وَمُجَاوِرَةُ لَبُونِي لِغَيْرِهِمْ . وَاللَّبُونُ : النَّاقَةُ
الَّتِي بَهَا لَبَنَ . وَيَحُوزُ أَنْ يَرْتَفَعَ مُجَاوِرَةُ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ مُقَدَّمٍ ، وَالْمُبَدِّأُ لَبُونِي
وَالْجَلَةُ كَمَا هِيَ تَكُونُ خَبَرَ أَنَّ . وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ لَبُونِي بَدَلًا مِنَ الضَّمِيرِ لِلتَّصِيلِ
بَأَنِي ، وَانْخَبَرَ مُجَاوِرَةً . وَالْمَعْنَى وَالتَّقْدِيرُ أَنَّ لَبُونِي مُجَاوِرَةُ بَنِي ثُلَّ . وَهَذَا
الْكَلَامُ إِنْبَلَأَ أَنَّ مَا حَصَلَ مِنْ بَعْدِهِ عَنِ الْعَشِيرَةِ كَانُوا يَتَمَمُونَهُ ، فَقَالَ هَنَّا اللَّهُ
أَبْنَاءَ عَمِيْ ما أَرَادُوهُ وَفَازُوا بِهِ . وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ وَعِدًا وَتَهْكِيًّا .

(١) عِزَّهُ : * وَإِنْ كَانَ عَصَمًا فِي الْعُوْمَةِ مَحْوُلًا *

(٢) هَوْبَاتِمَهُ :
بَنُو أَمْرِ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرُونَهُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا سَيِّدَ الْأَمْرِ جَعْفَلَا

٩١

وقال رَجُلٌ مِّنْ بَنِيْ أَسَدٍ :

١ - وَمَا أَنْبَلَ النَّكْسِ الدَّنِيِّ وَلَا الْذِي إِذَا صَدَّ عَنِّي ذُو الْمَوَدَّةِ أَحْرَبُ
النَّكْسَ أَصْلُهُ فِي السَّهَامِ ، وَنُقْلَ إِلَى الْضَّعِيفِ مِنِ الرِّجَالِ . يُقَالُ
نَكْسَتُهُ نَكْسَانِمْ يُسَمِّي لِلنَّكْسَ نِكْسًا ، كَمَا يُقَالُ نَفَضَتُهُ نَفَضَانِمْ يُسَمِّي
الْمَنْفُوضُ نَفَضًا بَكْسَرِ التَّوْنِ . كَأَنَّ السَّهَامَ انْكَسَرَ فَوْقَهُ فَنَكْسَ فَسَمِّيَ نِكْسًا .
فَيَقُولُ : مَا أَنَا بِالْمُسْتَضْعَفِ اللَّيْلِ ، وَلَا الْذِي إِذَا اخْرَفَ عَنْهُ مَنْ يُوَادِهُ دَعَا
بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ فَقَالَ : وَاحْرَبَاهُ . وَفِي طَرِيقَتِهِ :

وَلَا أَقُولُ إِذَا مَا خَلَّهُ صَرَّمَتْ يَا وَيْحَ نَفْسِيَ مِنْ شَوْقٍ وَإِشْفَاقٍ^(١)
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى أَحْرَبُ : أَغْتَاظُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

* إِنِّي إِذَا الشَّاعِرُ الْمَعْزُورُ حَرَّبَنِي *

وَهَذَا أَسْلَكُ فِي طَرِيقَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَقُولَ : وَلَا الْذِي إِذَا صَدَّ
عَنِّي ذُو الْمَوَدَّةِ يَحْرُبُ ، حَتَّى يَكُونَ فِي الْعَلَةِ مَا يَعُودُ إِلَى الْمَوْصُولِ ، لِكِتَابَهُ لَمَّا
كَانَ التَّصْدُّعُ فِي الْإِخْبَارِ إِلَى نَفْسِهِ وَكَانَ الْآخِرُ هُوَ الْأُولُ ، لَمْ يُبَالِ بِرَدَّ الضَّمِيرِ عَلَى
الْأُولِيِّ الْكَلَامِ عَلَى الْمَعْنَى ، لِأَمْنِهِ مِنِ الْالْتِبَاسِ . وَهُوَ مَعْذِلٌ قَبِيحٌ عَنْدِ
النَّحْوَيْنِ ، حَتَّى إِنْ أَبْاعِثَنَّ الْمَازِنِيَّ قَالَ : لَوْلَا اشْتَهَارُ مُورِّدِهِ وَكَثْرَتُهُ لِرَدَّتُهُ . وَمِثْلُهُ :
* أَنَا الْذِي سَمَّنْتُ أُمِّي حَيْدَرَهُ^(٢) *

(١) لِأَبْطَأْ شَرًّا . الْمُفْضِلَاتِ (١: ٢٦) .

(٢) لَعْلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، كَافِ الْمَانِ (حدَر ، سَنَدَر) . وَقَدْ سَبَقَ فِي ص ١١٥ .

٣— ولَكُنْتِي إِنْ دَامَ دُمْتُ وَإِنْ يَكُنْ لَهُ مَذَهَبٌ عَنِّي فَلِي عَنْهُ مَذَهَبٌ^(١)

يقول : أَمْلَكُ نَفْسِي وَوَدِي فِي مَصَادِقَةِ الْأَخْلَاءِ ، فَإِنْ دَامَوْا لِي عَلَى الْعَهْدِ دُمْتُ لَهُمْ ، وَلَرِمْتُ الْوَفَاءَ مَعْهُمْ ، وَإِنْ رَأَوْا ذَهَابًا عَنِّي وَمَيِّلًا إِلَى غَيْرِي ذَهَبْتُ عَنْهُمْ ، وَمِلَّتُ إِلَى غَيْرِهِمْ . وَيُرَوَى : « ولَكُنْتِي مَا دَامَ دُمْتُ » وَيَكُونُ مَوْضِعُ مَا دَامَ ظَرْفًا ، وَخَبَرُ لَكَنَّ دُمْتُ . وَفِي الْأُولَى يَكُونُ الْجَزَاءُ وَجَوَابُهُ خَبَرًا . وَفِي طَرِيقِهِ قَوْلُ لَبِيدَ :

نَاقْطَعُ لِبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصَلَّى وَلَخِيرُ وَاصِلٍ خَلَّةَ صَرَامُهَا

٣— أَلَا إِنَّ خَيْرَ الْوَدَّ وَدُنْتَطَوَعَتْ بِهِ النَّفْسُ لَا وَدَ أَتَى وَهُوَ مُتَعَبُ

يقول : خَيْرُ الْوَدَّ مَا جَاءَ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ جَهَدٍ ، وَلَا إِكْرَاهُ نَفْسٍ وَطَبَعُ ، بَلْ يَبْعَثُهُ الْمَيْلُ ، وَيَحْكُمُهُ الْخُلُوصُ ؛ فَإِنَّمَا الْمُتَعَبُ مِنَ الْمَوَدَاتِ ، الْمَشُوبُ بِالْتَّعْمِلِ وَالْتَّكْلُفِ ، فَلَا طَائِلَ فِيهِ . وَمَثَلُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَا خَيْرٌ فِي وَدِ اَسْرَى مُتَكَارِهِ عَلَيْكَ وَلَا فِي صَاحِبِ لَا تُوَافِقُهُ^(٢)

وَقَوْلُ الْآخِرِ :

إِذَا أَنْتَ لَا يَنْتَنِيكَ إِلَّا شَفَاعَةً فَلَا خَيْرٌ فِي وَدِي كُونُ بِشَافِعٍ

٩٣

وَقَالَ أَبُو حَنْبَلٍ الطَّائِي^(٣) :

١— لَقَدْ بَلَّافٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ عِنْدَ اخْتِلَافِ زِجاجِ الْقَوْمِ سِيَارٌ

(١) كَتَبَ بِخَطِّ مُخَالِفٍ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

وَلَسْتُ إِذَا وَلَى الصَّدِيقِ بِوَدِهِ بِعَكْتَبٍ أَحْنَوْ إِلَيْهِ وَأَنْدَبَ

(٢) أَنْشَدَهُ التَّبَرِيزِيُّ ، مَعَ بَيْتِنَ بَعْدِهِ ، وَقَالَ : « قَالُوا هُوَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ » .

(٣) هُوَ جَارِيَةُ بْنُ مَرْيَانُ ، أَبُو حَنْبَلِ الطَّائِي ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ فَارِسٌ . ذُكْرُهُ فِي الْمُؤْلَفِ ٩٩ .

التَّبَرِيزِيُّ : « وَقَالَ إِنَّ هَذِهِ الْأَيَّاتِ لِعَامِرِ بْنِ جَوْبِنِ ، حِينَ أَجَارَ سِيَارَ بْنَ مَوَالَةَ بْنَ عَامِرَ =

ارتفاع «سيّار» بقوله بلاياني . واللام في «لقد» تؤذن بيمنين . يقول : لقد خبرني هذا الرجل على ما اتفق من حدث ، واعتراض من شرير ، فعرف حسن بلاي عند اختلاف القنا بالطعن . وذكر الزجاج ، ولمراد الرماح بكلها . ومثله قول الآخر^(١) :

* الواطئين على صدورِ نعاليهم^(٢) *

إنما يوطأ النعل كلها . ويقال : زججته بالروح ، إذا زرقته .

٣ - حتى وفيت بها دهماً معلقة كالقار أردفة من خلفه قار

يقول : صبرت لما عز من أمر ، وتعسر من وفاء وأداء ، لأنخرج مما هي تكفلت ، من العهدة التي فيها دخلت . وقد كان أبوحنبل تضمن لسيّار إيلاء بأعيانها أو شرها ، أي مثليها ، فيقول : أخذ سيّار ينتظر ماذا يكون من فيما تضمنت حتى وفيت بإيله سوداً مشدودة بعقلها ، كأنها في سوادها فارعولي بقار . وهذا يراد به تأكيد السواد . ويقال ردفته وأردفته ، إذا جئت بعده . وردفتكم وزدف لكم ، أي تبعكم وجاء بعدهم . وانتصب «دهماً» على أنه حال للإبل . وفائدة قوله «القار» تصوير للإبل بالوانها . ومعنى لقد بلاي حتى وفيت ، أي انتظر ما يكون من البلاء في وفائي عند ما ضمنت ، وصار يحربني إلى أن وفيت . وفائدة قوله معلقة ، أنه سلمتها في مباركهها آمنة .

بن مالك بن تيم الله بن ثليلة ، وكان سيّار جاراً لرجل من بيته نعل يقال له عدى بن أفلات ، فر عامر بن جوين بعدي بن أفلات وقد قامره سيّار بن موالة بالقداح فقرره عدى حتى غلق مال سيّار ، فظعن الحى فقال سيّار لقيتين له : تحملنا بأهلكما بعد الحى حتى ينزلوا ، فإذا نزلوا فانطلقوا برحلكما حتى نندا إلى رجل عامر بن جوين ، فعلينا بناء عدى بن أفلات فأراد أن ينقلاها ورحلها ، فأبى ذلك عامر بن جوين وقال : قد جاورني الرجل ! فلما خرج أمره القيس بن حجر عند عامر بن جوين فنزل على أبي حتبيل جارية بن مر ، ثمادى أبوحنبل وعامر الشعر ، فقال عامر : لقد بلاي

(١) هو الأعشى . الكامل ٣٥ ليسك والسان (دفن) .

(٢) عجزه : * عشون في الدفن والأبراد *

ويجوز أن يكون أراد إيلاء مقدماتها ومتاخراتها سوداً، فلذلك قال كالقار أردف بقار، ويجوز أن يكون أراد بالقار جمع قارة، وهي الجبال، فشبيهها بها في عظمها.

٣—قدْ كَانَ سَيِّرَةُ حَلُولٍ عَنْ حَمْوَلَتِكُمْ إِنَّ لِكُلِّ اَمْرٍ مِّنْ جَارِهِ جَارٌ

يقول : وجَبَ السَّيِّرُ للخوف والخذر قبل هذا الوقت ، وأمّا الساعة وقد بَلَغْتُمُ الْأَمْنَ فِي جِوَارِي فَحَلُولَا عَنْ أَجْمَالِكُمْ ، إِنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِّنْكُمْ جَارٌ بَدَلًا مِّنْ جَارِهِ الْأَوَّلِ . والعرب تقول : هذا من ذاك ، وهذا بذلك أى عِوضٌ .
وفسرَ قولُ الشاعر :

لَيْتَ لَنَا مِنْ مَاء زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الْطَّهِيَانِ^(١)
عَلَى أَنَّ الْعُنْيَ لَيْتَ لَنَا بَدَلًا مِنْ مَاء زَمْزَمَ شَرْبَةً . وَيَقُولُونَ : فَلَانَ لَكَ
مِنَ الْجَارِيْ جَارٌ ، وَمِنَ النَّدِيمِ نَدِيمٌ ، وَمِنَ الْأَكِيلِ أَكِيلٌ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ
مَعْنَاهُ : إِنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مُبَيِّرٌ مِّنْ يَجَاوِرُهُ ، أَى مِنْ يَدْانِيهِ بِسُوءٍ ، وَالْأَوَّلِ
أَجْوَدُ وَأَضْوَبُ . وَالْحَمْوَلَةُ : بَجْمُ حَجْلٍ ، وَدَخَلَتِ الْمَاءُ فِيهِ تَوْكِيدًا لِأَنَّهُ يَنْتَهِ التَّجْمُعُ .
وَالْحَمْوَلَةُ : الْإِبْلُ الَّتِي يُحَمَّلُ عَلَيْهَا ، وَهِيَ فَوْلَةُ الْكَلْقُوَةِ وَالرَّكْوَةِ ، وَلَا يَجْرِي
عَلَى الْمَوْصُوفِ ، لَا يَقُولُ دَابَةُ حَمْوَلَةٍ .

٩٣

وقال يزيدُ بنَ حَمَانَ السَّكُونِيَّ^(٢) :

١— إِنَّ حَمَدَتْ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ حَمَدَتْ نِيرَانَ قَوْمِيْ وَفِيهِمْ شُبَّتِ النَّارُ

(١) للأحوال الكندي كاف في معجم البلدان (الطهيان). وهو اسم قلة جبل بالهين.

(٢) كذا في النسختين. وعند التبريزى ومعجم المرزبانى ٤٩٣ أنه « يزيد بن حمان السكونى ». قال المرزبانى : « حليف بن شيبان، وكان له بلاه، ورأى يوم ذى قار، فقال يدع

الحمد : الثناء على الرجل بما فيه من الخصال المرتضى . وبهذا المعنى فارقَ الشُّكْرَ ، لأنَّ الشُّكْرَ لا يَكُونُ إِلَّا عَلَى صَنْعِيَّةٍ . فيقول : لَمَّا رأَيْتَ بْنَ شَيْبَانَ عَنْدِ إِحْمَالِ الْأَرْضِ وَإِجْدَاهَا ، وَإِفْتَارِ النَّاسِ وَإِضاقَتِهِمْ ، يُوقَدُونَ نَارَ ضِيَافَتِهِمْ وَيَقِيمُونَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ نِيرَانَ غَيْرِهِ خَامِدَةً مُتَرُوكًا إِشْعَالًا ، أَثْنَيْتُ عَلَيْهِمْ ، وَنَسَرْتُ فَضْلَيْهِمْ . وَقَالَ « نِيرَانَ قَوْمٍ » وَإِنْ أَرَادَ غَيْرَهُمْ مَعْهُمْ ، تَفْضِيلًا لَهُمْ عَلَى قَوْمِهِ ، وَإِذَا نَا بالصَّدْقَ فِي مَخْبِرِهِ ، فَبَدَأَ بِذِكْرِ قَوْمِهِ وَذُوِّيهِ . وَيُرُوَى : « نِيرَانَ قَوْمٍ » ، وَالْأُولُ أَجْوَدُ .

٢ - وَمِنْ تَكْرَهِهِمْ فِي الْأَحْلَلِ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْجَارَ فِيهِمْ أَنَّهُ الْجَارُ^(١)

٣ - حَتَّى يَكُونَ عَزِيزًا مِنْ نَفْوسِهِمْ أَوْ أَنْ يَبْيَسْ جَيْعَانًا وَهُوَ مُخْتَارٌ^(٢)

يَقُولُ : مِنْ تَكْلِفِهِمُ الْكَرَمُ كَأَنَّهُمْ لَا يَرْضَوْنَ فِي مُثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ مَا طَبِعُوا عَلَيْهِ وَجْبُلُوا ، حَتَّى تَكْلِفُوا أَكْثَرَ مِنْهُ ، أَنَّهُمْ يُحْلُلُونَ جَارَهُمْ مِنَ الْعِنَابَةِ بِهِ وَالْإِتْحَافِ^(٣) وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالاصْطَنَاعِ ، مَحَلًا يَتَشَكَّكُ مِنْ بَعْدِ فِي نَفْسِهِ : هُلْ هُوَ جَارُهُمْ أَمْ مِنْ صَمِيمِهِمْ . وَعَلَى هَذَا يَتَعَلَّقُ حَتَّى مِنْ قَوْلِهِ « حَتَّى يَكُونَ عَزِيزًا » بِالْمَعْنَى الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ الْجَارُ ، أَئِ يَعْامِلُونَهُ بِهَذِهِ الْمَعَالَةِ إِلَى أَنْ يَكُونَ عَزِيزًا فِي مَا بَيْنَ ظَهَارَيْنِهِمْ ، أَوْ يَخْتَارُ مَفَارِقَهُمْ . وَالْمَعْنَى : ذَلِكَ لَهُ فِيهِمْ ، مَا اعْتَزَّ بِجَوَارِهِمْ ، أَوْ مَالَ إِلَى فِرَاقِهِمْ . وَيَحْمُزُ أَنْ يَكُونَ

بْنَ شَيْبَانَ : أَنِّي حَدَّتْ وَقَالَ التَّبَرِيزِيُّ : هَكَذَا قَالَ أَبُو قَامٍ — أَى فِي نَسْبَةِ الشِّعْرِ — وَالصَّحِيفَ أَنَّهُ عَدَى بْنَ يَزِيدَ بْنَ حَارَ ، بَعْدَ الْأَلْفِ رَأْءَ ، بَنْ عَبَادَ بْنَ مُسْلِمَةَ بْنَ عَوْفَ بْنَ تَرَاغَمَ بْنَ مَعَاوِيَةَ بْنَ ثَلْبَةَ بْنَ سَكُونَ . وَعَدَى جَاهِلِيَّ ، وَيَعْرَفُ بِالْجَلُونَ ، وَكَانَ نَازِلاً فِي بْنَ شَيْبَانَ .

(١) المرباني : « لَا يَشْعُرُ الْجَارُ فِيهِمْ » .

(٢) المرباني : « فِي نَفْوسِهِمْ » .

(٣) فِي النَّسْخَتَيْنِ : « وَالْإِتْحَافِ » ، وَلَمْ يَجِدْ لَهُ وَجْهًا .

قوله «من نفوسهم» في موضع الحال ، وعزيزًا خبر كان . وإن جعلت «عزيزًا» في موضع الحال ومن نفوسهم خبراً جاز . وللمعنى : حتى يكون كأنه من أصلهم ، كما قال الله عز وجل : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» ، والمعنى من جنسكم ومن بطانتكم . ويجوز أن يكون البيت مضمّنًا ، ويكون معنى لا يعلم الجارُ فيهم أنه جار ، أنَّ الجارَ لا يكون قد أحسنَ بمحاجورته لهم حتى يتقدّدوه هذا التقدّد ، ويُحللوه هذا المُحلَّ . وقوله «أو أن يَبِينَ جميًعا» انتصب جميًعا على الحال ، والمعنى أو أن يفارِق وهو مجتمع الحال غير منتشرٍ لها ، وختار لذلك غيرَ مُضطَرٍ إليه . ومثلُ هذا بيت زهير :

ضَمِّنَا مَالَهُ وَغَدَأْ جَمِيعًا عَلَيْنَا نَقْصُهُ وَلِهِ النَّمَاء

وقبل بيت زهير هذا قوله :

وَجَارٍ سَارَ مَعْتَمِدًا إِلَيْنَا أَجَاءَتُهُ الْخَافَةُ وَالرَّجَاهُ
فِي أَوْرٍ مُسْكُرًا حَتَّى إِذَا مَا دَعَاهُ الضَّيْفُ وَانْقَطَعَ الشَّتَاءُ
ضَمِّنَا مَالَهُ وَغَدَأْ جَمِيعًا

فقد علِمتَ اشتالها على ما ذكره هذا الشاعر وتقرّدَها بما زاد عليه من المعنى . ويجوز أن يكون «حتى» بمعنى كَيْ ، فيكون المراد لا يعلم الجار الحسن توفرِهم عليه ، وتوحِّدهم إِيَاه باتخاذ الصنائع لديه أنه جار ، لكنَّ يكون عزيزًا مُدَّةً مقامه ، أو يفارِقهم مُختارًا ، موفورَ المال ، مصُونَ الحال .

ـ كأنَّه صَدَعَ في رأسِ شاهقةٍ من دونِه لِعَنَاقِ الطَّيْرِ أوْ كَار١) يقول : كأنَّ الجارَ لمْ يُنْتَهِ بهم ، وتعزُّزَه حين استَظَهَرَ على الزَّمانِ بمكانته فيهم ، وعلَّ احتزَ عن طَلَابِه في رأسِ قُلَّةٍ شَاحِنةٍ أوْ كَار٢) عَنَاقِ الطَّيْرِ دونَه ، وهو

(١) فِي مَعْجمِ الرَّزْبَانِ : « وَدُونَه » .

أرفع منها وأحسن . فالتشبيه تناول ما ذكرت من التئم والتحضن . ويُعنى بعنق الطير : العقبان وما أشبهها من أحرار الطير ، وما يَتَخَذُ الوَكْرَ في الجبال . وإلى هذا أشار المُهذل^(١) في قوله :

حتى انتهيت إلى فراش عزيزة سوداء رؤمه أنفها كمل خصف
يعني وكُرّ عِقَاب . والصداع والصداع^(٢) : الفتى من الأوعال ، وقيل هو الرابع
وقد استعمل في الرابعة من الرجال .

٩٤

وقال آخر^(٣) :

١ - نَزَّلْتُ عَلَى آلِ الْهَلْبِ شَاتِيَا غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ تَحْلِيلٍ^(٤)
يقول : أَوَيْتُ لِمَا تَغَرَّبَتُ عَنْ أَوْطَانِ دَاخِلًا فِي الشَّتَاءِ ، مُمْتَحَنًا بِالْجَدْبِ
وَالْقَحْطِ ، مُنْجَأً إِلَى الْاسْتِعَانَةِ عَلَى الزَّمَانِ بِغَيْرِي ، إِلَى آلِ الْهَلْبِ بْنَ أَبِي صَفْرَةَ
وَنَزَّلْتُ فِيهِمْ . ثُمَّ أَخْذَ يَقْصَصُ مَارَأِيَ فِيهِمْ . وَيَقَالُ زَمَنُ تَحْلِيلٌ ، وُصِفَ
بِالْمَصْدَرِ ، وَزَمَنُ مَاحِلٌ وَزَمَنُ تَمْحِيلٌ . وَالْأَصْلُ فِي الْمَحْلِ : انْقِطَاعُ الْمَطَرِ وَيُبَسِّ
الْكَلَإِ . وَيَقَالُ أَرْضُ تَحْلِيلٌ وَأَرْضُ تَمْحِيلٌ ، وُصِفَ بِالْجَمْعِ ، كَانَهُ أَجْرِيَ عَلَى
أَفْطَاعِ الْأَرْضِ ، كَمَا يَقَالُ : ثُوبٌ مِنْ قُ .

٢ - فَمَا زَالَ بَنِي إِكْرَامَهُمْ وَاقْتَفَاؤُهُمْ وَإِلْطَافُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي^(٥)

(١) هو أبو بكير المُهذل . ديوان المُهذلين (٢ : ١١٠) .

(٢) هو بكير بن الأحس ، كما في البيان والتبيين (٣ : ٢٣٣) . علي أن المقطوعة بدون نسبة في ترجمة الهلب بن أبي صفرة من وفيات الأعيان ، وكذلك في عيون الأخبار (١ : ٣٤١) .

(٣) في البيان : « فقيراً بعيد الدار » .

(٤) البيان : « إلطافهم واقتادهم وإكرامهم » .

يقول : لم يزالوا يؤثرونني بالإحسان والحسنى ، وينحصونني بإسداء الجميل والنعمى ، ويلزمون لي من الإكرام والتقريب ، والإدانة والترحيب ، حتى ظننتهم عشيرتى ، وتشككت فى اغترابى منهم ، وبعد نسبي عنهم . ومن الاقفام القفى ، وهو المكرم من الضيوف والسكنى ، والقفاؤه . قال : * يُعَضِّى دَوَاءَ قَبْيَ السَّكْنِ مَرْبُوبٌ^(١)

٩٥

وقال جابر بن ثعلب الطائى^(٢) :

١ — وقَامَ إِلَىَ العَادِلَاتِ يَلْمَنِي يَقْلُنَ أَلَا تَنْفَكْ تَرْحَلُ مَرَحَلاً^(٣)

يقول : انتصب اللوائمه عاتبات على ، ساقفات العنف إلى فاثلات : ألا تزال ترحالاً فلاتستقر بك دار ، ولا يقرب لك مزار ، ولا يحط عن راحلتك رحل . ومرحلاً انتصب على المصدر ، كما تقول : أما تفتك تخراج مخرجًا وتبعده مبعداً . ومعنى ترحال تشد الرحل . وموضع « يلمنى » موضع الحال ، « ويقلن » في موضع البدل من يلمنى .

٢ — إِنَّ الْفَقِيْهَ ذَا الْخَزْمِ رَامٌ بِنَفْسِهِ جَوَاسِنَ هَذَا الْلَّيْلِ كَيْتَمُولَا
فِي الْكَلَامِ اختصار ، كأنه قال : فأجبتهنَ قلت : إنَّ الفقيْهَ الخازَمِ يُحَمَّلُ
نَفْسَهُ الْمَشَقَاتِ ، ويرْجِي بِنَفْسِهِ الْمَتَالِفِ الصَّعَبَاتِ ، ويَمْتَطِي الْأَهْوَالِ ، كَيْ يَنْالَ

(١) لسلامة بن جندل السعدي ، كما في الفسان (فقا) . وصدره : * ليس بأمن ولا أقى ولا سهل *

(٢) البريزى وابن جى : « جابر بن الثعلب ». وفي الكامل ٢٩٩ ليسك : « جابر بن ثعلبة ». واظظر ما سبق في ص ٢١٥ .

(٣) البريزى : « وروى : ألا يارحل لأهلك مرحلا ».

الأموال ، غير مفكّر في ظلمة ليل ، ولا مستضعف لِرُكوبِ خطبٍ . وقوله : «جواثنَ هذا الليل» يعني صدورها وأوائلها . والليل يزايد النهار في الاستعمال ، والليلة يزايد اليوم . والإشارة بـ«هذا» على طريق التقرير . وهم يستعيرون الجواشنَ والموادِيَ والصدورَ والثورَ والأعناقَ والثُّوسَ لأوائلِ الأمور ، كما يستعيرونَ الأنجازَ والأدبارَ والأعقابَ والأذنابَ لأواخرِها .

٣— ومن يفتقرُ في قومِه يَحْمِدُ الْفَقِيرَ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَ الْعِلْمِ مُخْلُولاً^(١)
افتقرَ فعلُ مُفتَقِرٍ وَفَقِيرٍ جَمِيعاً ، استغنى به عن فقيرٍ . يقولُ : من نالهُ
الفقرُ بين عشيرته وأهلهِيَ حَدَّ الغَنَى ، وصار عنده المطلوبَ والمتنَى ، وإن كان
معطوفاً عليه مُسْكِرَماً ، ومُعَمَّا فيهم مُخْلُولاً . وقوله : «واسطَ العِلْم» سِطْهُ
الحسبُ : كرمُه ، وال فعلُ منه وسَطَ . قال :

* وَقَدْ وَسَطْتُ مَا لِكَ وَحْنَظَلَا^(٢) *

ويقالُ : فلانُ وَسِطْ فِي قَوْمِه : جَلِيلٌ ، وفلانُ وَاسِطُ الْقَوْمِ ، وهو
أوْسَطُهُمْ أَى أَشْرَفُهُمْ .

٤— كأنَّ الفتى لم يعرِيَ ما إذا اكتَسَى وَلَمْ يَكُ صُمِلُوكاً إِذَا مَا تَمَوَّلاً
هذا الكلامَ بعثَتْ على التجوالِ ، وتحضيضَ في اكتسابِ المالِ ، فيقولُ :
إذا اكتَسَتَ بَعْدَ فَقْرِكَ ، وَأَكْتَسَتَ عَنْ عُرْيِكَ ، فَكَانَكَ مَا كُنْتَ قَطُّ
فَقِيرًا ولا عُرْيَاناً . ولِمَعْنِي : إنَّ من استبدلَ بعُسْرِهِ يُسْرًا ، ونال عَقبَ ضِيقِهِ

(١) ضبطت «مخولاً» بفتح الواو فقط في النسخين ، وهي لغة صحيحة . يقال أخول الرجل وأخربول ، بالبناء للمعلوم والمحبوب ، فهو مخول ومخولاً بكسر الواو وفتحها . ومثله المع لم ، وهو الكثير الأسماء . ورواه ابن جني :

وَزَرِي بَظْرَ الرِّءَقَةِ مَالَهُ وَإِنْ كَانَ أَقْوَى مِنْ رِجَالٍ وَأَحْوَالٍ

(٢) أراد : وحنظلة . وهي القبلة . والرجز لغيلان بن حرث . اللسان (وسط) . وبعده :

* صَابِيَهَا وَالْمَدْهُلُجَلُجَلَا *

رخاءً، فكأنه ما سبق إليهما، ولا زوجم فيهما. وفي طريقته ما بعده، وهو:
«ولم يك في بوسٍ». والصلعلوك : الفقير .

٥ - ولَمْ يَكْ فِي بُوسٍ إِذَا بَاتَ لَيْلَةً يُنَاغِي غَزَّ الْأَسَاجِيَ الْأَطْرَفَ أَكْحَلَ^(١)
يقول : وإذا استمتع ليلةً بمناجاة إنسان كأنه غزالٌ في طرفه فتر ، وفي
عينيه كحل ، فكأنه ما كان ذا بوس قط . أى تغنى النعمة على آثار الصر ،
وتتحوها حتى تنسى . قوله « ولم يك في بوس » قد مر الكلام في حذف
اللون منها تحفيماً . والمناغة : المغازلة ، وأصله من النعمة ، وهي الصوت الطيف ،
والنعمة الحسنة الخفية ، ولذلك يغمس المغازة على المسارة . والساجي : الساكن ،
يقال ليل ساج . قال :

* يا حبذا القمراء والليل الساج^(٢) *

٩٦

وقال بعض بنى طيءٍ :

١ - إِنْ أَدَعَ الشَّعْرَ فَلَمْ أَكْدِهِ إِذْ أَزَمَ الْحَقَّ عَلَى الْبَاطِلِ

قوله « إذ أزم » ظرف لقوله أدع . وتقدير الكلام : إن أدع الشعر
إذ أزم الحق على الباطل فلم أكده . ويريد بالحق كبرته وشيخوخته ، وما أخذ
به النفس عنده من مراءة الحق ، والرجوع عن المزل إلى الجد . وأراد بالباطل
الصبا واللهو وما يتبعهما مما يعد سفها . قوله « فلم أكده » أصله من حفر

(١) التبريزى : « فاتر الطرف » ، ثم أشار إلى رواية « ساجي الطرف » . وأنشد
بعده يتألم يروه المزوف ، وهو :

إذا جانب أعياك فاعمد جانب فإنك لاق في بلاد موعلاً

(٢) في الأصل : « ساجي » ، صوابه من م والسان (قر) . وبعد :

* وطرق مثل ملاه النساج *

فَأَكْدَى ، إِذَا بَلَغَ الْكُدْيَةَ ، فَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ الْحَفْرُ وَإِنْبَاطُ الْمَاءِ . وَالْكُدْيَةُ : مَكَانٌ صُلْبٌ يُعَيِّنُ الْحَافِرَ . وَيَقَالُ أَيْضًا : حَفَرَ فَاجْبَلَ ، إِذَا بَلَغَ جَبَلًا . وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : أَكْدَى فِي الشَّغْرِ وَالْعَطَاءِ . وَفِي الْقُرْآنِ : « وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى » . وَقَالُوا أَيْضًا : فَلَمْ يَلْعَمْ النَّاسُ كُدْيَتَهُ ، أَيْ كَانَ يُعْطَى شَمَاءً أَمْسَكَ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنْ تَرَكْتُ الشَّعْرَ حِينَ تَحَلَّمَتْ^(١) وَارْعَوْيَتْ^(٢) ، وَصَارَ الْحَقُّ عَاضًا عَلَى بَطَالَتِي ، وَالْحَلْمُ^(٣) مَانِعًا مِنْ جَهَالَتِي ، فَلِمَ أَتَرَكْتُهُ عَنْ عَجْزٍ لَاحِقٍ ، وَإِخْفَامٍ حَاصِلٍ . وَالْأَذْمُ : الْعَضُّ ، وَتَوْسِعُ فِيهِ ، فَقَيْلٌ : « نَمْ الدَّوَاهُ الْأَذْمُ » ، يَرِيدُونَ الْجَمِيمَيْةَ .

٢ - قَدْ كُنْتُ أَجْرِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَأَكْثَرُ الصَّدَّ عَنِ الْجَاهِلِ
يَقُولُ : كُنْتُ أَجْرِيَ الشَّعْرَ عَلَى حَقِّهِ وَكُنْهِهِ ، وَأَفْرَضُهُ مُسْتَمِرًا فِيهِ عَلَى
حَدَّهُ أَيَّامَ شَبَابِي ، وَقَبْلَ ارْتِدَاعِي ، وَمَعَ ذَلِكَ كُنْتُ أَكْثَرُ الْإِعْرَاضِ عَنِ
الْجُهَّالَ ، وَأَنْصَوْنُ عَنْ مَكَايِّلَتِهِمْ وَمَوَازِينَهُمْ . وَهَذَا يَجْرِي بِمُجْرِي قَوْلِ الْآخَرِ :
إِنِّي أَسْرُ وَمُكْرِمٌ نَفْسِي وَمُنْتَهِدٌ مِنْ أَنْ أَقَادِعَهَا حَتَّى أُجَازِيَهَا^(٤)
وَالْمَعْنَى أَرْبَأْ بِقَدْرِي عَنْ مَقَارِضَةِ الشِّعْرِ ، وَمَجَاذِبَةِ الشِّفَاهِ ، وَلَكِنْ إِنْ
دَعَتِ الْحَالُ مَعَهُمْ ، وَالضَّيْجَرُ بِهِمْ ، إِلَى الْمُجَازَةِ مَعَ مَرَاجِعِ الْحَلْمِ ، فَبِالْفَعْلِ
لَا بِالْقَوْلِ ، وَعَلَى هَذَا كُنْتُ قَبْلَ هَذَا الْأَوَانِ مَعَ الْجُهَّالِ .

٩٧

وقال آخر :

١ - زَعَمَ الْعَوَادِلُ أَنَّ نَافَةَ جُنْدَبٍ بِجَنُوبِ خَبْتٍ عَرِيَتْ وَأَجَجَتْ^(٥)

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَحَمَّكَتْ » ، صَوَابُهُ فِي مِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَالْحَسْكَمْ » ، صَوَابُهُ فِي مِ .

(٣) مِنَ الْمَحَاسِيَةِ ٧٤ . مِنْ ٢٦٧ .

(٤) « جَنُوبٌ » فِي النَّجَدَتَيْنِ بِهِمِ الْجَمِيمِ : جَمْ جَنْبٌ . وَعِنْدَ التَّبَرِيزِيِّ بِفتحِ الْجَمِيمِ .

يقول : قال اللوام عاتبَةً على جُنْدَبَ ، وَمُنْكِرَةً لِتَوْدِعِهِ وَمَيْلِهِ إِلَى الرَّاحَةِ
وَالْخَفَضِ وَرَثِكَ السَّفَرَ : إِنَّ نَاقَتَهُ حُطَّ عَنْهَا رَحْلَاهَا ، وَأَزْيَلَ كَلَالَاهَا ، فَهِيَ
جَامِةٌ بِجُنُوبِ خَبْتِ . وَالخَبْتُ ، أَصْلُهُ مَا اطْمَانَ مِنَ الْأَرْضِ^(١) . وَيَقُولُ أَخْبَتَ
الرَّجُلُ ، إِذَا صَارَ فِي الْخَبْتِ ؛ وَتُوَسِّعُ فِيهِ فَقِيلُ لِمَتَالَهُ انْتَشَعُ : هُوَ مُخْبِتُ .

٢ - كَذَبَ الْعَوَادِلُ لَوْرَأَيْنَ مُنَاخَنَا بالقادِسِيَّةِ قُلْنَ لَجَ وَذَلَتِ
أَبْطَلَ قَوْلَهُنَّ فَذَكَرَ أَهْنَنَ لَوْرَأَيْنَ مَنْزِلَنَا وَمَبْرَ كَنَا بِهَذَا الْبَلَدِ ، لَقْلَنَ لَجَ
جُنْدَبَ فِي السَّيْرِ وَذَلَتِ النَّاقَةُ . وَيُحَوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ « مُنَاخَنَا » لَمْ يُشَرِّبْ بِهِ
إِلَى إِبَاخَةٍ وَإِلَى مَوْضِعِهَا ، وَإِنَّمَا يَكُونُ كَقُولُهُ :
* فإنَّ الْمُنَدَّى رِحْلَةُ وَرُكُوبُ^(٢)

فيكون المعنى : لو رأين ما جُمِلَ بَدَلًا لِنَاقَتنا فِي مَوْضِعِ الإِبَاخَةِ لَقْلَنْ
ذلك . ومثله :

* تَعْلِيقُهَا الإِسْرَاجُ وَالْإِبْلَامُ *

أَيْ جُعِلَ الإِسْرَاجُ بَدَلًا مَا كَانُ يُعْلَقُ عَلَيْهِ . وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُهُ :
لَمَا تَذَكَّرْتُ بِالدَّيْرَيْنِ أَرْقَنِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرْعُ الْنَّوَاقِيسِ^(٣)
وَإِنَّمَا شَاهَدَ وَقَتَهُما فَذَكَرُهُمَا بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ ثُمَّ دَجَاجٌ وَلَا نَوَاقِيسِ .

(١) ذَكَرَ ياقوتُ أَنَّ « خَبْتَ » عِلْمَ اصْحَارِهِ بَيْنَ مَكَةَ وَالْمَدِينَةِ وَمَاءَ لَكَلَبَ ، وَقَرِيبَةُ مِنْ
قرى زَيْدِ بْنِ عَائِدَنِ .

(٢) لعلمة الفحل في الفضليات (٢ : ١٩٤) والسان (ندي) . وصدره :

* تَرَادَى عَلَى دَمْنِ الْحَيَاضِ فَإِنْ تَعَفَ *

وَرَكُوبُ : مَصْدَرُ رَكْبَ ، وَبِرَوْيَ : « وَرَكُوبُ » بفتح الراءِ ، وَهُوَ اسْمَ هَبْبَةٍ . وَفِي
الْمَلَانَ : « رِحْلَةُ وَرَكُوبُ » : حَضْبَتَانَ .

(٣) طَرِيرَ فِي دِيْوَانِهِ ٣٢١ وَالْحَيَاضَ (٢ : ٣٤٢) .

٩٨

وقال الراعي^(١) :

١ - كفاني عرْقانُ الْكَرَى وَكَفَيْتُهُ كُلُّهُ النُّجُومُ وَالنُّعَاسُ مُعَايِنُهُ^(٢)
 عِرْقَانٌ : اسْم صَاحِبِهِ . فَيَقُولُ : نَامَ هَذَا الرَّجُلُ وَكَفَانِي الْاِشْغَالُ بِالنُّوْمِ ،
 وَكَلَّاتُ النُّجُومِ وَارْتِقَبَتُهَا ، وَكَفَيْتِهِ السَّمْهُرُ ، وَقَدْ لَأَرَمَ النُّمَاسَ وَعَانَقَهُ . إِنَّ
 قَيْلَ : كَيْفَ كَفَاهُ الْكَرَى ؟ قَلْتَ : هَذَا عَلَى مَطَابِقَةِ الْكَلَامِ ، فَلَمَّا قَالَ كَفَيْتِهِ
 مُرْعَاةَ النُّجُومِ وَنُبْتَ عَنْهُ فِيهَا ، قَالَ : كَفَانِي الْكَرَى ، وَإِنْ كَانَتْ نِيَابَةُ
 ذَلِكَ عَنْهُ فِي الْكَرَى لَا يَصِحُّ . وَيُرُوَى : « كَفَانِي عِرْقَانَ الْكَرَى
 وَكَفَيْتِهِ » ، أَيْ مَعْرِفَةُ الْكَرَى ، وَلِيُسْ بِعْرَقَضِي .

٢ - فَبَاتَ يُرِيهِ عِرْسَةً وَبَنَاتِهِ وَبِتُّ أُرِيهِ النَّجْمَ أَيْنَ مُخَافِقُهُ
 هَذَا تَطْنِزُ مِنَ القَوْلِ^(٣) ، لَأَنَّ السَّاهِرَ لَا يَعْلَمُ مِنْ حَالِ النَّائِمِ أَنَّهُ يَحْلِمُ
 أَوْ لَا يَحْلِمُ . وَإِنَّمَا نَبَّهَ بِهِذَا الْكَلَامِ عَلَى اسْتِحْكَامِ نُوْمِهِ وَتَلَذِذِهِ بِهِ ، إِذْ كَانَتْ
 الْأَحْلَامُ لَا تَحْصُلُ لِلنَّائِمِ إِلَّا عِنْدَ ذَلِكَ . وَلَمَّا قَالَ بَاتٍ يُرِيهِ النُّوْمَ اسْرَأَتْهُ
 وَأَوْلَادَهُ ، قَالَ فِي مَقَابِلَتِهِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ : وَبِتُّ أُرِيهِ النَّجْمَ .
 وَهَذَا الْجِنْسُ يَكْثُرُ فِي كَلَامِ الْبُلَغَاءِ ، وَمَثَلُهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « فَنِ اعْتَدَى
 عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ » . وَ« إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » .
 وَقَوْلُ الشَّاعِرِ^(٤) : « دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا »

(١) سبقت ترجمته في الحاسية . ٨٠

(٢) التبريزى : « قال أبو العلاء : ويروى : عرْقان . مسمى بالعرقان ، وهو دوبية ، وقيل ضرب من الجراد » .

(٣) التلطز ، أراد به السخرية والتهكم . والمعلوم « الطنز » .

(٤) هو شهيل بن شيبان . اظظر ما ماضى في ص ٣٥ .

وقد مرّ جمیعه مُستَقْصی .

٩٩

وقال آخر :

١ - فَلَسْتُ بِنَازِلٍ إِلَّا أَلَمْ
بِرَحْلِي أَوْ خَيَالَهَا السَّكَدُوبُ^(١)
حَذَفَ مفعول نازل لأن المراد مفهوم ، كأنه قال : لا أَنْزَلْ مَنْزِلاً . ومثله
قول الله عز وجل : « فَذَوْقُوا بِمَا نَسِيْتُ لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا » ، أى العذاب .
والإمام : زيارة لا لبُثَ منها . يقول : لا أَنْزَلْ مَحَلًا إِلَّا رأَيْتُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ مُلْمَةً
بِرَحْلِي ، أى متصرّةً لـ بهذه الصورة ، تشوّقاً مِنْيَ وتحفَّيَا . هذا في حالِ اليقظة
وعند فراغ البال والاشتغال بحال النفس . أو رأيت خيالَهَا السَّكَدُوبَ القليلةَ
الوفاء إذا نَمْتُ . ويقال خيال وخيالة ، كـ يقال مَكَانٌ وَمَكَانَةٌ . وجعلها
سَكَدُوبًا لـ لم يتحقق فقلُّها وقوُلُّها . والمعنى : إِنِّي لَا يُخْلِينِي منها لـ النَّوْمِ وَلَا
الْيَقْظَةُ ، وَلَا يَلْفِتُنِي عنْهَا لـ الرَّخَاهُ وَلَا الشَّدَّةُ ، وفي هذه الطريقة قول
امرأى القيس :

تَنَوَّرْهَا مِنْ أَذْرِعَاتِي وَأَهْلِهَا يَثْرِبْ أَدْنِي دَارِهَا نَظَرٌ عَالٍ
وقال الأصممي في قول الآخر :

أَئِنَّ بَصِيرًا مَنْ رَأَى وَهُوَ قَاعِدٌ بَعْكَةَ أَهْلَ الشَّامِ يَخْتَبِزُونَا
: هُوَ عَلَى التَّشْوُفِ وَالتَّحْفُ .

٢ - فَقَدْ جَعَلْتُ قَلْوَصَنْ أَبْنَى سَهْلِي مِنَ الْأَكْوَارِ مَرْتَهَمَا قَرِيبٌ^(٢)

(١) ابن جنى : « عطف على الضمير المرفوع المتصل بغیر توکید ، ولو أکد فقال أنت
هي لـ كان حسنا ، غیر أـنـ الكلام طال بقوله : بـرـحـلـي ، فـنـابـ طـولـهـ عنـ توـکـیدـهـ ، كـاـنـ قولـ
اللهـ تعالـیـ : ما أـشـرـکـناـ وـلـآـبـؤـنـاـ ، مـا طـالـ الـکـلامـ فـیـهـ بلاـ ».

(٢) البيت من شواهد الحزنة (٤ : ٩٢) . ويروى : « ابني زياد » .

جَعَلْتُ هاهنَا بِمَعْنَى طَفِيقَتْ وَأَقْبَلَتْ ، وَلَذِكْ لَا يَعْدَى . وَالْفَلَوْسُ :
الْفَتِيَّةُ مِنَ الْأَبْلِلِ ، وَمَرْتَهَا قَرِيبٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ^(١) . يَقُولُ : أَقْبَلَتْ فَلَوْسُ
هَذِينَ الرَّجُلِيْنَ قَرِيبَةً الْمَرْتَعِ مِنْ رِحَالِهِمْ ، قَصِيرَةً الْمَسْرَحِ فِي رِوَايَهِمْ ، لَأَنَّهُ لِمَا
لَهُ فِيهَا مِنَ الْكَلَالِ وَالْإِعْيَاءِ ، لَمْ تَقْدِرْ عَلَى التَّبَاعُدِ فِي الْمَرْعَى وَالْأَرْتِيَادِ .

٣ - كَانَ لَهَا بِرَحْلِ الْقَوْمِ بَوًا وَمَا إِنْ طَبَّهَا إِلَّا الْفُوبُ

يَقُولُ : كَانَ هَذِهِ النَّاقَةِ وَلَدَهَا بِرَحْلِ الْقَوْمِ ، تَتَعَطَّلُ عَلَيْهِ ، وَلَا تَتَبَاعِدُ
عَنْهُ ، وَمَا دَأَوْهَا إِلَّا إِعْيَاءً . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ :

مِنَ الْكَلَالِ لَا يَدْقُنَ عُودًا لَا عُقَدًا تَبْغِي وَلَا قُيُودًا
وَالْطَّبُ أَصْلُهُ الْعِلْمُ ، وَالْمَرَادُ بِهِ هاهنَا الدَّاءُ الَّذِي يُعْلَمُ وَيُعْرَفُ . وَالْبَوُّ ،
أَصْلُهُ : جِلْدٌ فَصِيلٌ يُخْشَى تِبْعَنَا لِتِدْرَ الْأُمُّ عَلَيْهِ .

١٠٠

وَقَالَ آخَرُ^(٢) :

١ - إِنْ كُنْتُ لَا أَرْمَى وَتُرْمِي كِنَانَتِي
تُصِبْ جَانِحَاتُ النَّبْلِ كَشْحِي وَمَنْكِي^(٣)

(١) التَّبَرِيزِيُّ : « وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءُ : وَرَوْيٌ : فَقَدْ جَعَلْتُ فَلَوْسَ ابْنِ سَهِيلٍ . وَكَثِيرٌ
مِنَ النَّاسِ يَرْفَعُ الْفَلَوْسَ ، وَهُوَ وَجْهٌ رَدِيءٌ ، لَأَنَّ الْفَائِلَ إِذَا قَالَ جَعَلَتْ وَهُوَ يَرِيدُ الْمَقَارِبَةَ لِمَ يَكُنْ
مِنْ إِيتَانِهِ بِالْفَقْلِ ... وَلَيْسَتْ جَعَلَتْ فِي هَذَا الْوَجْهِ فِي مَعْنَى الْمَقَارِبَةِ ، وَإِنَّمَا هِيَ بِعَنْصِيرَتْ فَلَا تَفْتَرِ
إِلَى فَقْلٍ ، وَبِكُونِ قَوْلِهِ مِنْهَا قَرِيبٌ ، جَلَّهُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي » .

(٢) التَّبَرِيزِيُّ : « وَقَالَ آخَرُ وَضَرَبَ بِنَوْعِهِ لِمَ مَوْلَى لَهُ أَسْمَهُ حَوْشَ — وَالْحَوْشُ :
الْعَظِيمُ الْبَطْنُ — وَقَالَ إِنْ هَذَا لِجَنْدُلُ بْنُ عَمْرُو » .

(٣) م : « جَانِحَاتُ » فَقْطٌ . وَكَبِيتُ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ كَمَا أَتَبَتَنَا لِتَرْأَ « جَانِحَاتُ »
وَ« جَانِحَاتُ » بِوَضْعِ هَمْزَةٍ تَحْتِ التَّوْنِ ، وَكَتَبَ فَوْقَهَا كَلْمَةً « مَعَا » .

هذا مَمْلُ . ولِمَنْ : إِذَا لَمْ أُقْسَدْ فِي خَاصٍ أَمْرِي ، ثُمَّ قُصِّدْتُ فِيمَنْ يَشْمَلُه
عِنْيَاتِي ، عَادَ ذَلِكَ الْقَصْدُ بِالشَّرِّ وَالْمَسَاءَةِ عَلَىٰ ، وَصَرَّتُ كَأَنِّي أَنَا الْمَقْصُودُ .
وَ «الْجَانِحَاتُ» : الْمَائِلَاتُ ، وَرَوَى بَعْضُهُمْ «جَانِحَاتُ النَّبْلِ» وَهِيَ
الْمُسْتَأْصِلَاتُ الْمُهْلِكَاتُ . يَقُولُ جَاهَهُ وَاجْتَاحَهُ بَعْنَى . وَلِيَسْتَ هَذِهِ الرَّوَايَةُ
بِحُجَّةٍ ، لَأَنَّ الْغَرْضَ مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ أَنَّ مَنْ يَمْسِهِ أَمْرُهُ إِذَا قُصِّدَ كَانَ كَفَنْسِهِ .
إِنَّ قِيلَ : فَلِمَ خَصَّ الْجَانِحَاتِ ؟ قَلْتَ : الْمَرَادُ فِيهَا ضَرْبُ الْمَثَلَ لَهُ : إِنَّ
رُمِيتُ^(١) إِذَا رُمِيَتِ الْجَمِيعَةُ الْمُلْقَةُ^(٢) عَلَىٰ ، لَأَنَّ بَعْضَ السَّهَامِ يَصِيبُهُ وَبَعْضُهَا
يَصِيبُنِي . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا بدَ مِنْ ذَكْرِ الْجَانِحَاتِ . وَ «الْنَّبْلُ» : اسْمٌ
صِيقٌ لِلْجَمِيعِ . وَالْكِنَانَةُ : مَا يُغْطَى بِهِ الشَّيْءُ فِي الْأَصْلِ ، وَاخْتَصَّ بِهَا الْجَمِيعُ
وَهُوَ مِنَ الْكَنَّ ، كَالْسَّيْرَةِ مِنَ السَّرِّ . وَفِي التَّرَآئِنَ : «وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ» .
وَقَدْ فُصِّلَ بَيْنَ كَنَّتُ وَكَنَّتُ ، فَجَعَلَ اكْنَنْتُ لِمَا يُصْمَرُ فِي الْقَلْبِ مِنْ
الْحَدِيثِ وَالسَّرِّ ، وَكَنَّتُ لِمَا يُسْتَرَ شَيْءٌ . وَذَكَرَ الدُّرِيدِيُّ أَنَّ الْكِنَانَةَ
لَا يَكُونُ إِلَّا لِلنَّبْلِ ، وَيَكُونُ مِنْ أَدَمٍ ، فَإِذَا كَانَتْ مِنْ خَشْبٍ فَهُوَ جَفِيرٌ ،
وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَطْعَتَيْنِ مَقْرُوتَيْنِ فَهُوَ قَرَنُ ، وَالْجَمِيعَةُ تَكُونُ لِلنَّبْلِ
وَالنَّشَابُ جَمِيعًا .

٢ - أَفِيقُوا بَنِي حَزْنٍ وَأَهْوَانُنَا مَعًا وَأَرْحَامُنَا مَوْصُولَةٌ لِمَ تُقْضَبُ^(٣)
يَقُولُ : اسْحَوْ بَنِي حَزْنٍ مِنْ سَكْرَةِ جَهَنَّمِكُمْ ، وَانْتَهُوا مِنْ رَقْدَةِ

(١) م : «أَنِي مَرْسِي» . (٢) فِي الْأَصْلِ : «الْمُلْقَةُ» ، صَوَابُهُ فِي م .

(٣) روى قبله التبريزى :

فَقُلْ لِبْنِي عَمِي فَقَدْ وَأَيْمَمْ مُنْوَا بِهَرِيَتِ الشَّدَقِ أَشْوَسْ أَغْلِبِ
وَفِي تَفْسِيرِهِ : «الْمَرْتُ» : سَعَةُ الشَّدَقِ . وَقَالَ مَنِ لَهُ كَذَا ، أَى قَدْرِ لَهُ كَذَا . وَقَوْلُهُ :
مُنْوَا ، أَى بَلَوَا بَعْنَ هَذِهِ صَفَتِهِ ، وَهِيَ مِنْ صَفَاتِ الْأَسَدِ» . وَرَوَى بَعْدِهِ :
وَلَا تَبْعُثُوهَا بَعْدَ شَدَّ عِقَالَهَا ذَمِيمَةً ذِكْرَ الْغَبَّ فِي الْمَتَعَقَّبِ
وَفِي تَفْسِيرِهِ : «هَذَا مَثَلٌ ، أَى لَا تَبْعُثُوا الْمَرْتَ بَعْدَ السَّلْمِ» .

غفلتكم ، والأهواه بعده متفقة ، وأسباب الرَّحْم موصولة ، لم يتسلط عليها المُقْوِق ، ولم يقطعنها الجفأة والنُّبُوَّ . والمعنى : كُفُوا عما أتُمْ عليه من سَيِّئات التقادُم والتَّدَارُر ، قبل تفاقُمِ الْخَطْبِ ، واستفحال الشَّأْنِ . والقصبُ : القَطْعُ ، ومنه قيل لِلسِّيفِ الْقَصَبُ والَّقَصِيبُ . وقوله « مَعَا » في موضع الخبر ، أى مجتمعة .

٣ - إِنْ تَعْشُوهَا تَبْعُثُوهَا ذَمِيمَةً قَبِيحَةً ذِكْرُ الغَبِّ لِلْمُتَغَبِّبِ
يقول : إنَّ هِيَجَمُّ الْحَرَبَ هِيَجَمُّوهَا مَذْمُومَةً قَبِيحَةً ذِكْرُ العَاقِبَةِ لِمَنْ
يَتَبَعَّعُ الْعَوَاقِبَ فِي تَدْبِرِهَا ، وَيَتَعَهَّدُ الْمَصَائِرَ فِي تَأْمَلِهَا . وَيَقَالُ : تَغَبَّبَتُ الْأَمْرَةَ
كَمَا يَقَالُ تَعَقَّبَتُهُ ، أَى تَفَقَّدَتُ عَاقِبَتَهُ وَغَيْبَهُ . وَالْغَبِّ أَصْلُهُ فِي وَرُودِ الْمَاءِ وَالزِّيَارَةِ ،
وَهُوَ يَنْوُبُ فِي أَسْمَاءِ الْأَطْيَاءِ وَغَيْرِهَا عَنِ الْثَّلَاثِ . فَمَا قَوْلُهُ : « زُرْ غَيْبًا تَزَدَّدْ
حُبَّاً » فَالْمُهْلَهُ فِيهِ أَوْسَعُ .

٤ - سَآخُذُ مِنْكُمْ آلَ حَزْنٍ لَحُوشَبٍ وَإِنْ كَانَ مَوْلَى لِي وَكُنْتُمْ بْنَى أَبِي
إِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ بْنَى عَمِّهِ ضَرَبَا مَوْلَى لَهُ ، فَيَقُولُ : سَأَنْتَمْ مِنْكُمْ يَا آلَ حَزْنٍ
وَإِنْ كُنْتُمْ بْنَى أَعْمَامٍ ، وَكَانَ حَوْشَبٌ مَوْلَى مَحَافَلَةٍ وَجَوَارٍ . وَفِي طَرِيقَتِهِ
قَوْلُ الْآخِرِ :

فَإِنْ غَضِبَتِ فِيهَا حَبِيبُ بْنُ حَبَّتِرٍ فَخُذْ خُطَّةً تَرْضَاكَ فِيهَا الْأَبَاعِدُ
وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « وَإِنْ كَانَ مَوْلَانِي وَكُنْتُمْ » ، وَالبَصَرِيُّونَ لَا يَجُوزُونَ
مَدَّ الْمَصْوَرَ ، لِأَنَّهُ إِدْخَالٌ زِيَادَةٍ عَلَى كَلَامِهِمْ ، وَيَجُوزُونَ قَصْرَ الْمَدْدُودَ ،
لِأَنَّهُ حَذْفٌ لِلتَّخْفِيفِ ، وَرَدَّ إِلَى الْأَصْلِ^(١) . وَحَوْشَبٌ عَنْدَ النَّحْوَيْنِ أَنَّهُ

(١) التبريزى : « وَرَوَى : « وَإِنْ كَانَ مَوْلَاي وَكُنْتُمْ بْنَى أَبِي . عَلَى الزَّحَافِ الَّذِي هُوَ
الْكَفُّ ، وَلَيْسَ فِي الْخَمَسَةِ بَيْتٍ مَكْفُوفٍ غَيْرَهُ . وَرَوَى : مَوْلَى لِي ، فَعَلَى هَذَا يَسْلُمُ مِنَ الزَّحَافِ .
وَالْأَوْلَى أَشْهَدَ بِطَرِيقَةِ الشَّعْرَاءِ . أَلَا تَرَى أَنَّهَا مَعْرِفَاتُ مَضَافَاتِنَ : مَوْلَاي وَبْنَى أَبِي » . قَلَّا :
وَالرَّوَايَةُ بِالْكَفِ هِي رَوَايَةُ ابْنِ جَنِيِّ فِي التَّنْبِيَّةِ .

[مما^(١)] لم يحيِ إلا بزيادة الواو، وأنه مثل كوكب. وحَسْكى الخمارَ تجھي
أن حَشَبَ اسْمُ رَجُلٍ ، وأنه يقالُ أَخْشَبَنِي كذا ، أَى أَخْشَمَنِي^(٢) .

١٠١

وقال جيل^(٣) :

١- أَبُوكَ أَبُوكَ أَرْبَدَ غَيْرَ شَكٌ أَحَلَّكَ فِي الْخَازِي حَيْثُ حَلَّ
ارتفاع أبوك بالابتداء، وكرره تأكيداً، وأربد بدل منه، وخبر المبتدأ
أَحَلَّكَ . وانتصب « غير » على المصدر، وهو ما يؤكّد به ما قبله . ومثله حقاً
وما أشبهه . والمعنى أنَّ نُؤمَّ أَيْهِ موروث ، وأنه اقتداء بسلفه قد أُنْزَلَ ابنه
متزلاً في الخازى والقبائح ، حقاً لا مِرْيَةً فيه .

٢- فَمَا أَنْفِيكَ كَمْ تَرْدَادَ لَوْمَـا لِلَّامَ مِنْ أَيْكَ وَلَا أَذَّـا
يقول : لا أُبرئُكَ من أَيْكَ طَلَبَا لَأَنْ أَنْسَبَكَ إِلَى مَنْ هُوَ لَأَلَامُ مِنْهُ وَأَذَّـا
تَرْدَادَ ذُلَّـا وَلَوْمَـا ، لَأَنَّ أَبَاكَ النَّهَايَةُ فِي هَذِينِ . وانتصب « لَوْمَـا » على التبييز ،
واللام من « لَأَلَامَ » تعلق بفعل مضمر ، كأنه قال : ما أَنْفِيكَ من أَيْكَ
وأَدْعُوكَ لَأَلَامَ مِنْهُ ، لأنَّهُ إِذَا نَفَاهُ مِنْ أَيْهِ قَدْ جَعَلَهُ لَغَيْرِهِ . ويجوز أن يُحَمَّلَ
الكلام فيه على المعنى ، فَيُتَصَوَّرُ أَنْفِيكَ بِأَدْعُوكَ ، وَيُعَدَّ تَعْدِيَةً . ومثله

(١) هذه من م فقط .

(٢) م : « أَخْشَبَنِي كَذَا فِي مَعْنَى أَخْشَمَنِي ، أَى أَخْضَبَنِي » .

(٣) عند التبريزى وابن جي : « وقال آخر » وعكس الأمر في المقطوعة التالية ، إذ
نسبها التبريزى إلى جيل ، على حين تجد عبارة الإنشاد فيها في النختين : « وقال آخر » . وهو
جيل بن عبد الله بن معمر ، أحد عشاق العرب الشهورين ، وصاحبته بنتيه ، وما جبعا من عذر .
وجيل شاعر إسلامي معاصر طبرى والفرزدق وكثير عزة . الشعر والشعراء ٤٠٠ - ٤١٢
والأغاني (٧ - ٧٢: ٧٢ - ١٠٤) المؤتلف ١٦٨، ٧٢ وابن سلام ٢٠٨ والخزانة (١: ١٤٣ - ١٤٦)
وابن خلkan في رسمه .

قول الله عز وجل : « هل لك إلى أن تزكي ». وعلى هذا يُحمل قول الفرزدق :
 * قد قتلت الله زباداً عنَّي ^(١) *
 لما كان معناه صرفة الله عنَّي . ومن أبيات الكتاب ^(٢) :
 إذا تغنى الحمام الورق هيجنِي ولو تعزيت عنها أم عمار ^(٣)
 لأنَّه تصوَّر هيجنِي أنه ذكرني ، فعدي تعيته .

١٠٣

وقال آخر ^(٤) :

١ - أبوك حباب سارق الضيف بُرْدَة وجدى يا حاج حاج فارس شمرا
 يقول : أبوك الذي سرق بُرْدَة ضيفه وغدر به وخانه ، وجدى فارس هذا
 الفرس المعروف . وسارق الضيف بُرْدَة ، أصله سارق بُرْدَة الضيف ، لكنه
 أضافه إلى الضيف بناء على قوله سرقت الضيف بُرْدَة ، والمراد سرقت من
 الضيف ، لكنه لما حذف الجار تخفيفاً وصل الفعل فعمل فيه ، ثم أضاف اسم
 الفاعل إليه . وعلى هذا يقال اخترت الرجال زيداً . وشمرة فعل في الأصل
 شمَّى به الفرس ، لأنَّه ليس في الأسماء شم على فعل . ومثله خضم ، وهو
 لقب للعنبر بن مازن ^(٥) . وحباب يجوز أن يكون بدلاً وسارق الضيف خبراً ،

(١) ديوان الفرزدق ١٨١ . قاله حين خرج من المدينة بعد موت زياد . وقبله : كيف ترانى قالا بمعنى *

(٢) كتاب سيبويه (١ ١٤٤) .

(٣) للنابغة الذئاني من مناقبه في رواية جهرة أشعار العرب ٥٣ . والرواية فيها : « ولو
 تقربت » ، وكذا في كتاب سيبويه .

(٤) كذا في النسختين . وعند التبريزى وابن جنى : « قال جيل » .

(٥) التبريزى : « وشر اسم فرس يشد بفتح الشين وكسرها ، فإذا فتحت الشين فهو
 مسمى بالفعل الماضي ، كما سمى الرجل خضم لكثرته أكله ... وإذا كسرت الشين فهو اسم
 فعل ، مثل الإسر والخلع ، و يجب أن يكون على هذا الوجه اسم فرس أثى ، وهو علم المؤنث
 كامرأة نسماها بقنب ودب . هنا ما ذكره أبو العلاء في هذه الكلمة » .

ويجوز أن يكون حبّاباً خيراً وسارقاً الضيف صفةً؛ وهذا أوجد حتى يكون في مقابلة فارس شمر. كأنَّ المراد: أبوك المعروف بهذا الاسم، وجدي المعروف بهذا. ورواه بعضهم «فارس شمر» بكسر الشين، وقال: هو عَلَمٌ مؤنث مثل امرأة تُسمِّيها قنَب ودِنَب.

٣ - بُنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَن يَكُنْ لَا بَاءٌ صِدْقٌ يَلْقَهُمْ حَيْثُ سَيَرُوا
 كا فضل جده على أبيه في البيت الأول فضل نفسه عليه في البيت الثاني.
 والمعنى أنَّ المرء يتقيَّل أباه، فإذا كان جدَّى صالحًا فأنا صالح، وإذا كان أبوك صالحًا فأنت صالح. قوله «وَمَن يَكُنْ لَا بَاءٌ صِدْقٌ» يُريدُ من كان ولدَ آباءٍ كرامٍ عُرِفَ بهم حيث ذهب، ولقيهم أني سارَ وظَعَنَ . واللام دَخَلَ في قوله لآباء صدق لهذا المعنى. ومثاله:

لَئِنْ كَانَ لِلْقَبْرِينَ قَبْرٌ يَحْلِقُ وَقَبْرٌ بِصَيْدَاءِ الَّتِي عِنْدَ حَارِبٍ^(١)
 أَى إِنْ كَانَ وَلَدَهَا . وَصِدْقٌ يُضَافُ إِلَيْهِ الْوَاحِدُ وَالْمُجْمَعُ ، وَالْمُؤْنَثُ وَالْمَذْكُورُ
 وَيُرَادُ بِهِ الْمَدْحُ . فَإِذَا قُلْتَ ثُوْبُ صِدْقٍ وَرَجَالٌ صِدْقٌ ، فَالْمُعْنَى نَعْمَ الشَّيْءِ
 ذَاكَ ، أَى هُوَ صَادِقٌ فِيمَا يُحْمَدُ فِيهِ لَا كاذِبٌ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَجْعَلَهُ نَعْمَاً فَتَحْتَ
 الصَّادَّ مِنْهُ قَلْتَ : هُوَ الرَّجُلُ الصَّدَقُ ، وَيُنَذَّنَ وَيُجْمَعَ وَيُؤْنَثَ . قَالَ :
 * مَقْدُوذَةُ الْآذَانِ صَدَقَاتُ الْخَدْقِ^(٢) *

٣ - إِنْ تَفْضِبُوا مِنْ قَسْمَةِ اللَّهِ حَظَّكُمْ فَلَلَّهُ إِذْلِمْ رُضِّيَّكُمْ كَانَ أَبْصَرًا
 يقول: إن تسخَّطتم ما قَسَمَهُ اللَّهُ، تَعَالَى جَدُّهُ، لَكُمْ ، وَجَعَلَهُ نَصِيبَكُمْ ،

(١) للنابغة الظياني في ديوانه ص ٣.

(٢) لرؤبة في ديوانه ١٠٤ والسان (صدق).

فَلَمَّا كَانَ أَعْلَمَ بِكُمْ وَبِقُدْرَةِ اسْتِحْقَاقِكُمْ، لَمْ يَرَكُمْ أَهْلًا لَا كَثُرَ مِنْهُ . وَالْمَعْنَى : إِنَّمَا حَصَّلْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَخْسِ فِي الْقِسْمَةِ، وَالنَّفْقَةِ مِنَ الْقَدْرَةِ، وَالتَّأْخُرُ فِي الْمَرْزَلَةِ، حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَصْفَةً، وَلَوْزَادَ مِسْتَحْقَقَكُمْ عَلَيْهِ لِأَعْطَاكُمْ، فَإِنَّهُ الْعَالَمُ الْحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْضِيَتِهِ . وَالْبَصِيرُ فِي صَفَةِ اللَّهِ، تَحْقِيقُهُ الْعَالَمُ .

١٠٣

وقال أبو النشانش^(١) :

١ — إِذَا مَرَّهُمْ يَسْرَحُ سَوَامِيْلُ مِرْحٌ سَوَاماً وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ أَقْارِبُهُ^(٢)
 يُقَالُ مَرَحْتُ الْمَاشِيَةَ، إِذَا أَخْرَجْتَهَا بِالْغَدَاءِ إِلَى الْمَرْعَى؛ وَأَرَحْتُهَا، إِذَا
 رَدَدْتَهَا بِالْعِشَىَ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : لَمْ قَالْ « وَلَمْ يَرِحْ سَوَاماً » وَالنَّكِرَةُ إِذَا
 أُعِيدَ ذِكْرُهَا يَحِبُّ تَعْرِيفُهَا، بَدَلَةً أَنْكَ تَقُولُ رَأَيْتَ رَجُلًا بِمَكَانِ كَذَا، فَقَالَ لِي
 الرَّجُلُ كَذَا؟ قَلْتَ : يَحُوزُ أَنْ يَكُونَ نَكَرُهُمَا لِأَنَّهُ تَصَوَّرَ الْمَرَاحَ بِمَا دَخَلَهُ مِنْ
 التَّنَاقُصِ وَالْتَّزاِدِ، [بِالْأَخْذِ^(٣)] مِنْهُ وَالرَّدِّ إِلَيْهِ غَيْرَ الْمَسْرُوحِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
 فَالثَّانِي غَيْرُ الْأُولِيِّ . وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّوَامُ الثَّانِي غَيْرُ الْأُولِيِّ، وَذَاكَ أَنَّ الْمُكْثِرِينَ
 مِنْهُمْ كَانُوا يَأْسُرُونَ رِعَاهُمْ بِأَنْ يَقْتَصِبُوا قِطْعَةً مِنَ الْمَالِ كَيْفَ اتَّفَقُتْ^(٤)، لِيَجِبُسُوهَا
 عَلَى الْحَقْوَقِ الْعَارِضَةِ، سِوَى الْمُؤْنَ الْلَّازِمَةِ، فَكَانَتِ الْفَادِيَةُ لِمَا يَقْيِمُونَهَا مِنَ النُّوَابِ

(١) كان أبو النشانش من لصوص بي عيم ، وكان يعترض القوافل في شنداذ من العرب بين طريق الحجاز والشام ، فظفر به بعض عمال صوان نفسه وقيده ، ثم هرب فلقي في طريقه غرابة على شجرة بان ، ينتف ريشه ، فلما جآ إلى رجل من بي لهب فقال له : إن صدقتك الطير يعاد إلى جسمه وقيده ويقتل ويصلب . فقال أبو النشانش هذه الآيات . الأغاني (١١ : ٤٢ — ٤٣) .

(٢) الأغاني : « وَلَمْ يَبْسُطْ لَهُ الْوَجْهَ صَاحِبَهُ » .

(٣) النَّكِرَةُ مِنْ مَ وَالْتَّبَرِيزِيِّ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « اغْفَهَا » ، صَوَابُهُ فِي مَ .

فِي ذَلِكَ غَيْرُ الرَّاحِهَةُ ، وَالرَّاهِهَةُ غَيْرُ الْفَادِيَةِ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْسُّؤُالُ ساقِطٌ .
وَالْمَعْنَى : إِذَا الرَّجُلُ لَمْ يَكُنْ ذَا مَالٍ يُسْرَحُ بِعَضُهُ وَيُرَاحُ عَلَيْهِ بَعْضُهُ ، عَلَى
حَسَبِ مَا يَتَقَوَّلُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَقْارِبٌ يَقْتَطُفُونَ عَلَيْهِ وَيَرَوْنَ مِنَ الْفُرُوضِ^(١)
الْوَاجِهَةُ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ ، فَلَمَوْتُ خَيْرُهُ لَهُ . وَجَوَابٌ إِذَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي . وَيَحُوزُ
أَنْ يَكُونَ الْمَرْادُ بِقُولِهِ وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ أَقْارِبُهُ تَعْطِفُ النُّصْرَةُ وَالْإِعْزَازُ ، فَيَكُونُ
الْمَعْنَى إِذَا لَمْ يَكُنْ غَنِيًّا وَلَمْ يَكُنْ مُؤْيَدًا بِذُوِّيهِ فَيَعْتَزُ بِهِمْ ، فَلَمَوْتُ أَصْلَحُ لَهُ مِنَ
الْحَيَاةِ . وَهَذَا الْمَعْنَى أَحْسَنُ .

٢— فَلَمَوْتُ خَيْرُ لِلْفَتَى مِنْ قُوْدِيَةِ عَدِيَّا وَمِنْ مَوْلَى تَدِبُّ عَقَارِبِهِ^(٢)
فَلَمَوْتُ جَوَابٌ إِذَا ، لِتَضْمِنَهُ مَعْنَى الْجَزَاءِ . يَقُولُ : إِذَا الرَّجُلُ لَمْ يَكُنْ
عَلَى مَا وَصَفْتُ فُورُودُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ قُوْدِيَةِ رَاضِيَّا بِفَقْرِهِ ، وَبِإِفْضَالِ
مَوْلَى يُؤْذِيَهُ بِالْمَنَّ ، وَلَا يُخَالِصُ النِّعَمَةَ عِنْدَهُ مِنَ الشَّوَائِبِ . وَدِبِيبُ الْعَقَارِبِ
كِتَابَةٌ عَنْ فَقْلِ الْأَذَى وَالتَّحْمِيدِ بِالْكَلَامِ الْمُكَدَّرَةِ . وَانتَصَبَ « عَدِيَّا »
عَلَى الْخَالِ . وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فِي قُولِهِ « وَمِنْ مَوْلَى تَدِبُّ عَقَارِبِهِ » أَنْ
يَحْصُلُ الْفَسَادُ بَيْنَ الْعِشِيرَةِ ، وَالْتَّدَابُرِ وَالْأَخْتِلَافِ ، فَكُلُّ يَقْصِدُ صَاحِبَهُ بِالْمَسَاءَةِ ،
وَيَبْتَغِي لَهُ الْغَوَائِلِ . وَهَذَا الْمَعْنَى يَتَقَلَّفُ مَعَ الْمَعْنَى الثَّانِي فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ .

٣— وَنَاثِيَةُ الْأَرْجَاءِ طَامِسَةُ الصُّوَرِيِّ خَدَّتْ بَأْبِي النَّشَاشِ فِيهَا رَكَابِهُ^(٣)
أَنْجَرَتْ « نَاثِيَةً » بِإِضَارَ رُبَّ ، وَالْوَادِي دَاخِلَةً لِلْمَعْطُوفِ ، وَلَمْ يَتَسْرِ بِدَلَامَنْ رُبَّ

(١) م : « الفرائض » .

(٢) الأغانى : « ثَافُ مَشَارِبِهِ » .

(٣) الأغانى : « وَدُوَيْةُ قَفْرٍ يَحْمَارُ بِهَا الْفَطَا » . وَبَعْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ التَّبَرِيزِيِّ :
لِيَكْسِبَ مَجْدًا أَوْ لِيَدْرِكَ مَغْنًا جَزِيلًا وَهَذَا الدَّهْرُ جَمِيعَابِهِ
وَعِنْدَ أَبِي الْفَرْجِ :

لِيَدْرِكَ ثَارًا أَوْ لِيَكْسِبَ مَغْنًا أَلَا إِنْ هَذَا الدَّهْرُ تَرَى عَجَابَهِ

بَدَلَة وَقُوَّةِ الْفَاءِ الْعَاطِفَةِ مَوْقِعَهُ وَبَلْ فِي نَحْوِ :

* فَمِثْلِكِ حُبْلَى قد طَرَقْتُ^(١)

* بَلْ بَلْدِ ذِي عَقْدٍ وَإِحْبَابٍ^(٢) *

يقول : وَرَبُّ مَهَازِيْهِ بَعِيدَةِ الْأَطْرَافِ ، دَارِسِيَّ الْأَعْلَامِ ، سَارَتْ بِأَبِي النَّشَاشِ فِيهَا رَوَاحِلَ يَطْلُبُ الْمَالَ ، وَيَكْتُسُ الْمَجْدَ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَبَجُّحٌ مِنْهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ الْفَقْرَ ضَجِيعًا ، وَلَا الدَّعَةَ حَلِيفًا ، بل رَجَى بِنَفْسِهِ نَحْوَ الْمَرَامِيَّ الْمُتَلَفِّةِ ، وَطَوَّهَا فِي الْمَوَاجِيَّ الْمُغَطَّبَةِ . وَالْأَرْجَاهُ وَاحِدُهَا رَجَاهُ . وَالظَّاهِيْسُ : الدَّارِسُ . وَيَقَالُ طَمَسَ وَطَسَ . وَالصُّوَى : الْأَعْلَامُ ، وَالْوَاحِدَةُ صُوَّةُ ، وَمِثْلُهُ قُوَّةُ وَقُوَّى . وَمَعْنَى خَدَتْ : أَسْرَعَتْ ، وَمَصْدَرُهُ أَنْلَدَيَانُ . وَالرَّكَابُ : جَمْعُ الرَّكُوبَةِ ، وَهِيَ الْمَرْكُوبَةُ ، وَلَا يَتَّبِعُ الْمَوْصُوفُ ، بل يُسْتَعْمَلُ عَلَى اِنْفَرَادِهَا ، وَمِثْلُهَا الْخَلُوبَةُ .

٤ — وَسَائِلُهُ بِالْغَيْبِ عَنِّي وَسَائِلُ وَمَنْ يَسْأَلُ الصَّمْلُوكَ أَينَ مَذَاهِبُهُ^(٣)

يقول : رَبُّ رَجُلٍ وَاسِرَةٍ مَالًا عَنِّي بَظَهَرُ الْفَيْبِ ، لَمَا تَدَخَّلَ الْقُلُوبَ مِنْ هَيْبَتِي ، وَالْإِشْفَاقِ مِنْ وَقْعَتِي . سَمِّيَّ قَالَ مُسْتَفِهِمًا عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ : وَمَنْ يَسْأَلُ الصَّمْلُوكَ ، أَى يَجِبُ أَلَا يَسْأَلَ الصَّمَالِيَّكَ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ وَطُرُقِهِمْ ، لَأَنَّهَا لَا تَعْلَمُ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يَسْتَقِرَّ بِهِمْ مَوْضِعٌ ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْتَوِيَّهُمْ بَلَدٌ وَمَذَهَبٌ يَزَّمُونَهُ أَوْ يَخْتَصُّونَ بِهِ . وَكَانَ وَجْهُ الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ : وَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الصَّمْلُوكِ لِيَكُونَ وَفْقَ قَوْلِهِ « وَسَائِلُهُ بِالْغَيْبِ عَنِّي » ، لَكَنَّهُ عَدَّ عَنِهِ إِلَى مَا قَالَهُ تَأْكِيدًا لِلْمَرَادِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ سُؤَالُ نَفْسِهِ عَنْ مَذَاهِبِهِ مُنْسَكِرًا لِاستِهْمَامِهِ عَلَيْهِ ، فَسُؤَالُ غَيْرِهِ عَنْهُ أَبْعَدُ مِنَ الصَّوَابِ .

(١) لا مرى القيس في معانته ، وهو بهامه :

فَنَلَكْ حُبْلَى قد طَرَقْتُ وَمَرْضَعَ فَأَهْمَيْتُهَا عَنْ ذِي تَأْمُمِ حَوْلَ

(٢) فِي مِنْ : « بَلْ بَلْدَة » فَقَطْ . وَعِنْدَ التَّبَرِيزِيِّ : « بَلْ بَلْدَ » فَقَطْ .

(٣) الأَغْنَى : « وَسَائِلُهُ أَينَ اِرْتَحَالِي » .

٥ — فلم أَرَ مِثْلَ الْفَقْرِ ضَاجِعَهُ الْفَقَىٰ وَلَا كَسْوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَالِبَهُ
 يُروى «مِثْلَ الْهَمَ» ، وهو مصدر هَمَتْ بِالشَّىءِ ، أى إذا هَمَ يُجَبُ عَلَيْهِ
 أَنْ يُنْفَذَهُ وَلَا يُؤْخَرَهُ . ويقول : لَمْ أَرَ كَالْفَقْرِ يَتَعَذَّهُ الْفَقَىٰ ضَحِيعًا ، أى يَرْضَى
 بِهِ وَبِزَوْمِهِ لَهُ ، وَلَمْ أَرَ كَسْوَادِ اللَّيْلِ كَدِى رَأَكُبُهُ وَالْطَّالِبُ فِيهِ . والمعنى :
 يُجَبُ أَلَا يَحْصُلَ وَاحِدٌ مِنْهُما ، لَا الرَّضَا بِالْفَقْرِ ، وَلَا الإِخْفَاقُ مَعَ رُكُوبِ اللَّيْلِ .
 ويقال ضَجَعٌ ضَجَعًا وَضُجُوعًا وَاضْطَبَعَ بَعْنَى وَاحِدٌ ، وَمِنْهُ قِيلُ لِلْعَاجِزِ الضِّجْعِيُّ
 وَالضِّجْعَةُ . وَتُسَمَّى السَّكَوَاتُ الَّتِي لَا تُسِيرُ : الضَّوَاجِعُ . وَالإِخْفَاقُ : أَنْ
 يَغُزوَ فَلَا يَغْنِمُ ، أَوْ يَرْجُوَ فَيَخِيبُ . قال عنترة :

فَيُخْفِقُ حَرَّةً وَيُصِيبُ أُخْرَىٰ وَيَنْجَعُ ذَا الضَّغَائِنِ بِالْأَرِيبِ
 وَقُولُهُ «أَخْفَقَ طَالِبَهُ» ، أى الطَّالِبُ فِيهِ . وَهَذَا مِنْ إِضَافَةِ الشَّىءِ إِلَى الشَّىءِ
 لِكَوْنِهِ فِيهِ .

١٠٤

وقال آخر ^(١) :

- ١ — أَلَا قَالَتِ الْأَنْخَسَاءُ يَوْمَ سُوَيْقَةَ
 عَهِدْتُكَ دَهْرًا طَاوِيَ الْكَشْحَ أَهْضَمَا
 يقول : قالت هذه المرأة يوم اجتماعنا في سُوَيْقَةَ : عَهِدْتُكَ زَمَانًا مُتَدَدًّا صغيرَ
 الْبَطْنِ ، مطويَ الْكَشْحَ وَالْجَنْبِ . وإنما أنْكَرَتْ سَمْنَهُ وَكُثْرَةَ لَهُ ، فَأَجَابَهَا
 بِالْبَيْتِ الثَّانِي . وَالْهَمْضُ : انْفَضَامُ الضَّلْوَعِ ، وَتَقَارُبُ الْجَنْبَيْنِ .
 ٢ — فَإِمَامَتِي الْيَوْمَ أَصْبَحْتُ بَادِنًا لَدَيْكِ فَقَدْ أُلْفَى عَلَى الدُّبْلِ مِرْجَمَا

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْحَمَاسِيَّةُ عِنْدَ التَّبَرِيزِيِّ بَعْدَ المَقْطُوْعَةِ النَّالِيَّةِ إِذْ تَقْدَمَتْ الْمَقْطُوْعَةُ النَّالِيَّةُ عَلَيْهَا عَنْهُ .

يقول : إن كنت تريننى اليوم - وهو إشارة إلى يومه وما يقرب منه - أصبحت مُنْقَلَّ النفس ، مُبَدِّنَ الخاتم لديك ، أى في منظرك ومتقدبك ، فإني إذا رَكِبتُ البُزُلَ وُجِدتُ علها مِرْجَمًا . والمِرْجَمُ : الذى كانه آلة في رَجْمِ الأرض بأخلف الإبل ووطه الأقدام . وينتصب « مِرْجَمًا » على الحال . وقيل المِرْجَمُ في السَّفَرِ : البعيد في الغاية . وكما قيل رَجُلٌ مِرْجَمٌ ، قيل يَدُ مِرْجَمٍ ، ورِجْلٌ مِرْجَمٌ ، ولسانٌ مِرْجَمٌ ، قال الشاعر :

* شَدِيدُ الرَّجَامِ بِاللسانِ وبِاليدِ *

و « إِمَّا » ، في أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ يَلْزَمُ الفعل الواقع بعده إحدى التوينين الثقيلة والخفيفة ، لأنَّه كَا أَكْدَ حَرْفُ الشَّرْطِ بـ « ما » أَكْدَ الفعل المشترط به بالثُّون أيضًا . وهاهنا جاء خاليًا من النون .

وقال آخر^(١) :

١ - أَلَا قَالَتِ الْمَصْمَاءِ يَوْمَ لِقَيْتِهَا أَرَاكَ حَدِيثًا نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَعًا^(٢)
هذا في طريقة ما قبله . فيقول : قالت هذه المرأة لما التقى بها : أَعْلَمُك عن قريب ناعم الحال ، تام شعر الرأس ، لم يتسلط عليك صَلَعٌ ، ولا حدث اخسار شعر ، ولا سُحُوب لون ، فكيف تغيرت مع قرب الأمد . وانتصب « حَدِيثًا » على الظرف . وناعم البال ، مفعول ثانٍ من أَرَاكَ . والأفرع : التام شعر الرأس ، وجُمعه فُرْعَانٌ . والأصلع خِلَافَه .

(١) اظر ما سبق من الكلام على الترتيب في الحاسية السابقة ، وقد روی هذه الحاسية صاحب الحزانة (٤٨٢ : ١) ، وذكر أن أحدا لم يعرف نسبتها .

(٢) وقع هذا العجز في شعر متم بن نويرة في قصيدة التي رُتِّب بها مالكا :
تقول ابنة العمري مالك بعد ما أَرَاكَ حَدِيثًا نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَعًا
الفضيليات (٦٨ : ٢) .

٢ - قُلْتُ لَهَا لَا تُنْكِرِينِي فَقَلَّ مَا يُسُودُ الْفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَ
يَقُولُ : أَجَبَتْهَا وَقُلْتُ : لَا تُنْكِرِي مَا رأَيْتِ مِنْ شُحُوبٍ لَوْنِي ، وَانْخَسَارِ
الشَّعْرِ عَنْ رَأْسِي ، فَإِنَّا لِلْفَتَى السِّيَادَةَ حَتَّى يَسْتَبِدَ بِشَبَابِتِهِ شَبَابًا ، وَوُفُورِ
شِعْرِهِ^(١) صَلَعًا ، وَإِلَّا بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الرَّأْيِ ، وَاسْتِنْفَادِ الْعُمَرِ فِي اِكْتَسَابِ الْمَجْدِ .
وَقَوْلُهُ « قَلَّ مَا » يَفِيدُ النَّفْيَ هُنَا ، وَمَا تَكُونُ كَافَةً لِقَلَّ عَنْ طَابِ الْفَاعِلِ ، وَنَاقَةً
لِهِ عَنِ الاسمِ إِلَى الْفَعْلِ ، فَإِذَا قُلْتَ : قَلَّ مَا يَقُولُ زِيدٌ فَكَانَكَ قُلْتَ مَا يَقُولُ
زِيدٌ . يَدْلِلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا : قَلَّ رَجُلٌ يَقُولُ ذَاكَ إِلَّا زَيْدٌ ، وَأَجْرِيَ
بِحِرَى مَا يَقُولُ ذَاكَ إِلَّا زَيْدٌ ، وَقَالُوا أَيْضًا : أَقْلَرُ رَجُلٌ يَقُولُ ذَاكَ إِلَّا زَيْدٌ . وَأَنَّهُمْ
أَجْرَوُا خِلَافَةً مُجْرَاءً ، فَيَقُولُ : كُلُّ مَا يَقُولُ زَيْدٌ . وَعَلَى ذَلِكَ بَيْتُ الْكِتَابِ :
..... وَقَلَّ مَا وَصَالَ عَلَى طَولِ الصُّدُودِ يَدُومُ^(٢)
وَيَحْوِزُ أَنْ يَكُونَ « مَا » مِنْ قَلَّ مَا يُسُودُ الْفَتَى ، مَعَ الْفَعْلِ فِي تَقْدِيرِ الْمَصْدَرِ ،
كَانَهُ قَالَ : قَلَّ سِيَادَةُ الْفَتَى ، أَيْ يَنْزُرُ اسْتِكَاهُمَا إِلَّا مَعَ هَذِهِ الْحَالَةِ . وَمِثْلُهُ
قَوْلُ لَبِيْدِ :

قَلَّ مَا عَرَسَ حَتَّى هِبَجَتُهُ بِالْتَّبَاشِيرِ مِنَ الْصُّبْحِ الْأُولَى
لَا نَهِيْ لَيْسَ يَرِيدُنِي التَّغْرِيسُ رَأْسًا ؛ إِذْ كَانَ يَعْتَادُهُ قُطَاعُ الْفَلَلَةِ ، وَرُكَّابُ
الظَّلَامِ ، بَلْ يَرِيدُ عَرَسَ تَعْرِيْسًا قَلِيلًا فَهِبَجَتُهُ . وَيَقَالُ : صَلَعَ صَلَعًا وَصَلْعَةً ،
وَهُوَ أَصْلَعُ وَصَلَيعُ .

٣ - وَلَلْقَارِخُ الْيَعْبُوبُ خَيْرُ عَلَالَةِ منِ الْجَذَعِ الْمُرْخَى وَأَبْعَدَ مَنْزَعًا
هَذَا مَثَلُ ضَرَبَهُ فِي تَفْضِيلِ نَفْسِهِ عَلَى شِيخُوتِهِ وَقَدْ أَدَبَهُ الْكِبَرُ ، وَنَازَعَ

(١) فِي الْأَسْلِ : « وَوُفُورِ شَبَابِهِ » ، صَوَابَهُ فِي م .

(٢) فِي الْأَسْلِ : « وَصَالَ يَدُومُ عَلَى الصُّدُودِ » ، صَوَابَهُ فِي م وَسِيْبُوْهِ

(٤٥٩، ١٢: ١) . وَنَسِيْبُهُ إِلَى عَمْرِ بْنِ أَبِي رِيْبَةَ ، وَالشَّتَمُرِيُّ إِلَى الْمَارِ الْفَقْسِيِّ .

* صَدَدَتْ فَاطِلَوتُ الصُّدُودِ وَقَدْمَا *

وَصَدَرَهُ :

الدَّهْرِ وَأَبْنَاءُهُ أَطْرَافَ الْحَطُوبِ ، وَرَائِرَ السِّيَادَةِ وَالْعَلُوِّ عَلَى الْأَحْدَاثِ الَّذِينَ لَمْ يَجْرِبُوا الْأَمْوَارَ ، وَالْأَغْمَارَ الَّذِينَ لَمْ يَجْاَزُوا الشَّدَانَ ، فَيَقُولُ : لَفَرَسُ الْمُقْتَنَاهِ فِي الْقُوَّةِ وَالسُّنَّ ، الَّذِي يَجْرِي حِرَيَّةَ الْمَاءِ سُهُولَةً وَنَفَادَ ، خَيْرٌ إِبْقَاءً وَأَبْعَدُ غَايَةً مِنْ ابْنِ سَنَتَيْنِ وَهُوَ مُهْمَلٌ لَمْ يُسْتَغْنَ بِهِ فِي رُكُوبٍ وَنَزُولٍ ، وَلَمْ يُرَضِّ^(١) بِإِسْرَاجٍ وَإِلَامٍ . وَالْيَعْبُوبُ : الْفَرَسُ الْكَثِيرُ الْجَرْيِ^(٢) ، وَالْجَدْوَلُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ . وَالْعَلَالَةُ : الْبَقِيَّةُ مِنَ الْجَرْيِ وَغَيْرِهِ ، وَهَا هُنَا يَرِيدُ الْجَرْيِ . قَالَ الشَّاعِرُ^(٣) :

إِلَّا عُلَالَةً أَوْ بُدَّا هَهَ سَابِعَ تَهْدِي الْجَزَّارَةَ
فَالْبُدَاهَةُ : أَوْلُ الْجَرْيِ ، وَالْعَلَالَةُ : آخِرُهُ . وَقُولُهُ « مِنَ الْجَدْعِ الْمُرْخِي »
يُرَوَى الْمُرْخِي بِكَسْرِ الْخَاءِ ، وَالْإِرْخَاءُ : لِينُ فِي الْعَدُوِّ . قَالَ :
* وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَنْفُلِ^(٤) *
وَإِذَا رُوِيَ بِفَتْحِ الْخَاءِ فَهُوَ الْمُرْسَلُ الْمُهْمَلُ النَّزُوعُ إِلَى الْغَايَةِ . وَاتِّصَابُ
« عَلَالَةً » وَ« مَنْزَعًا » عَلَى التَّبَيِّنِ .

١٠٦

وقال شبيب بن عوانة^(٥) :

١ - قَفَى بَيْنَنَا مَرْوَانُ أَمْسٍ قَضَيَةً فَا زَادَنَا مَرْوَانٌ إِلَّا تَنَاهَيَا

(١) م : « وَلَمْ يَؤْدِبْ ». .

(٢) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « السَّكْرِيمُ الْجَرْيِ ». .

(٣) هُوَ الْأَعْمَى . دِيْوَانَهُ ١١٤ .

(٤) لَا مَرْيَ الْقَيْسُ . وَصَدْرُهُ :

* لَهُ أَيْطَلَاظِي وَسَاقَا نَعَامَةَ *

(٥) التَّبَرِيزِيُّ : « قَالَ أَبُو هَلَالٍ : وَرَوَاهُ بَعْضُ عَلَمَاءِ الْبَصْرَةِ لِالْكَرْوَسِ الْطَّائِيِّ ، وَهُوَ الْكَرْوَسُ بْنُ زَيْدٍ بْنِ الْأَخْزَمِ بْنِ مَصَادِ بْنِ مَعْقَلِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ عَمْرُو بْنِ ثَامِنَةِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ جَدِيعَهِ بْنِ ذَهْلَ بْنِ رَوْمَانِ بْنِ جَنْدِبِ بْنِ خَارِجَةِ بْنِ سَعْدِ بْنِ فَطْرَةِ — وَفَطْرَةُ هُوَ جَدِيلَةُ — . وَخَاصِّمُ بْنُ عَمِّ هُوَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكْمَ ، فَبَسَّهُ مَرْوَانٌ .

يقول^١ : قضى بيننا هذا الرجل بحكمةٍ تسخّطناها ، ولم نرضَ بها ، إذ لم يقصد بها صلاح ذاتِ البين ، ولا تلافٍ جمْع الشمل ، فازدنا بها تبائناً عن الاصطلاح والراجحة واختلافاً ، وتبائناً عن الاتئام والموافقة وتباعدًا . وقوله «أمس» تقرير لزمانِ فعله ، ولم يُردِ اليوم الذي ولَّ يومه . وهذا كما تقول : فلا رُب بالأنسِ يفعل كذا . وأمس معرفة ، وإنما بنيَ لضمِّ منه معنى الألف واللام .

٣— فلو كنتُ في الأرضِ الفضاءِ لعفتها ولكنْ أتَتْ أبوابه من ورائيا^(١)
يقول : لو كنت بالبدو لرددت حكومته وأبديت كراهتي لها ، ولكنني
كنتُ أسيراً إذ كنتُ في الحضرِ حاصلاً في داره ، وداخلاً تحت ملكته .
ومعنى «أتَتْ أبوابه من ورائيا» أي حالت مصالحه ومراسده بيني وبين
سرادي . ووراء بمعنى قُدَّامَ هنا ، ومثله في القرآن : «وكانَ وراءَهُم ملِكٌ» .

١٠٧

وقال جليل^(٢) :

١— فلَيَتَ رِجَالًا فِيكِ قدْ نَذَرُوا دِيٍّ وَهُمْ بِقَتْلِي يَا بُشَيْنَ لَقُونِي
فيكِ أى في معناكِ وبسبِيكِ . وقوله «قد نذروا» من صِفةِ رجالاً ،
ولقونِي خبرَ ليتَ . وللهِ تعالى تمنيتُ أنَّ رجالاً فعلوا في معناكِ ما فعلوا من لهم
قتلني ، وعقدَ النَّذْرُ في سفكِ دمي ، التقوَّا معي ، ما ذا كانوا يفعلون . وفي هذا
الكلام إيهامٌ أنَّهم لا يجسرون على التعرُّض له ، وفيه استهانةٌ بأقوالهم

(١) م والطبريزى : « بالأرضِ الفضاء » .

(٢) فالأصل : « وقال آخر » وأثبتت ما في م . وعند الطبريزى : « وقال جيل بن عبد الله بن معمر المذري » . وقد سبقت ترجمة جيل في الحاسية ١٠٢ .

ومكايدهم ، وإن كانوا قد بذلوا من القول ما بذلوا ، وأضمروا فيه ما أضمروا . وقد فسر تهبيتهم له ، ونكلو صهم عن الإقدام عليه في البيت الثاني .

٢ - إذا مارأوني طالعاً من ثنتي يقولون من هذا وقد عرّفوني
يقول : إذا ما أبصروني ^(١) مُقْبِلاً من عَقْبَةٍ ، طالعاً عليهم من طريق
إليهم مُفْضِيَةٍ ، يتساءلون فيما ينهم بقولهم : من هذا ، وإن كانوا عارفين بي .
أى يتجاهلونني جُنْبَنَا وإيجاما .

٣ - يقولون لي أهلاً وسهلاً ومرحباً ولو ظفرُوا بي ساعة قتلوني
نبأ بهذا الكلام على تلقِّيهم وإظهارِهم بالتفاق ما لا يوافق باطِّنِهم ، عجزاً
وضعفَ كيدِي . وللمعنى يستقبلونني بالتأهيل ويتلقوْنِي بالترحيب عند الاتقاء ،
ولو أُعطُوا الظفر لأترا على وما أبقوَا .

٤ - فكيفَ ولا توفِّ دِماؤُهم دِيٌ ولا ما لَهُم ذُو كُثْرَةٍ فَيَدُونِي ^(٢)
يقال : أوفيتُهُ كذا وَوَفَيْتُ لَهُ بِكَذَا وَأَوْفَيْتُ . وفي هذا بيان عذرِهم في
تركِ البقاء بالنَّذْرِ ، وتعجِّبُ من أفعالِهم عند اختلاف أحوالِهم . فيقول :
كيف يُقدِّمون على وليس في دمائِهم كلامٌ وفلا بدِّي ، ولا في مالِهم اتساع ،
إذا عَجَزَت دماءُهم عن دمي فكيف يُعْطُونَ دِيَتي .
ويقال وَدِيَتُهُ أَدِيهِ دِيَةً وَوَدِيَا .

(١) في النسختين : « أبصروا بي » .

(٢) البريزى والاسان (نده) : « ذوندحة » . والندحة ، بفتح التون وضمها : كثرة المال .

١٠٨

وقال يحيى بن منصور^(١) :

١ - وَجَدْنَا أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِيَلْدَةً سِوَى بَيْنَ قَيْسٍ عَيْلَانَ وَالْفِزْرِ سِوَى فِي مَوْضِعِ جَرِ على أَنَّهُ صَفَةُ الْبَلْدَةِ . وَالْمَعْنَى وَجَدْنَا أَبَانَا حَلَّ بِيَلْدَةً مَقْوِسًا طَلَيْارَ قَيْسَ بْنَ عَيْلَانَ وَسَعْدَ بْنَ زَيْدٍ مَنَاءَ . وَالْمَعْنَى حَلَّ بَيْنَ مُضَرَّ وَنَائِي عَنْ رِبِيعَةِ ، لِأَنَّ قَيْسًا وَالْفِزْرَ مِنْ مُضَرَّ . وَالْفِزْرَ : لَقْبُ لَسَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءَ . وَقَالَ الْأَخْفَشُ : سِوَى وَسَوَالَةَ فِي مَعْنَى الْعَدْلِ . وَفِي الْقُرْآنِ : « إِلَى كَلِمَةِ سَوَالَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ » . وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ : « أَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سِوَى^(٢) » ، أَيْ مَكَانًا عَدْلًا .

٢ - فَامَّا نَاتُتْ عَنِ الْمُشِيرَةِ كُلُّهَا أَنْحَنَا فِي حَالَفَنَا الشَّيْوَفَ عَلَى الدَّهْرِ

٣ - فَمَا أَسْلَمْتَنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيْهَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجُفُونَ عَلَى وَتْرٍ
يَقُولُ : لَمَا خَذَلْنَا عَشِيرَتَنَا - وَهُمْ رَبِيعَةٌ - فِيمَا نَابَتْنَا ، وَتَبَاعَدَتْ بِنُصْرَتِهَا
وَمَعْوِتِهَا عَنَّا ، وَتَرَخَّصَتْ فِي الْقُعُودِ عَنْ مُسَاعِدَتِنَا ، أَكْتَفَيْنَا بِأَنْفُسِنَا فَاقْمَنَا بِدَارِ
الْحِفَاظِ وَالصَّبْرِ ، وَاتَّخَذْنَا شَيْوَفَنَا حَلْفَاءَ عَلَى الدَّهْرِ ، فَمَا خَذَلْنَا فِي يَوْمِ حَرْبٍ
وَعِنْدَ مُدَافَعَةِ وجَهَدٍ ، وَلَا نَحْنُ عَغَضَنَا^(٣) جُفُونَنَا عَلَى وَتْرٍ وَحْقَدٍ . وَالْمَعْنَى : إِنَّا
وَشَيْوَفَنَا تَوَافَّيْنَا فِيمَا عَلَيْهِ تَعَاهَدْنَا ، وَتَوَازَنَا فِيمَا لَهُ تَحَالَّفَنَا^(٤) ، فَبَلَغَنَا نَحْنُ أَقْصَى

(١) التبريزى . « وقال يحيى بن منصور الحنفى . قال أبو رياش : هذا غلط من أبي تمام .

يحيى بن منصور هو ذهلي ، وهذه الآيات لموسى بن جابر الحنفى » .

(٢) كذا بكسر السين في النسختين ، وهي لحدى القراءات ، وقرئ « سوى » بضم السين في أخرى . تفسير أبي حيان (٦ : ٢٥٣) .

(٣) م : « أغضبنا » .

(٤) في الأصل : « وتوزننا له تحالفنا » ، صوابه في م .

المبالغ في طلب الأوامر ، وانتهت هي إلى أبعد النهايات في المعاونة والإحلاب . وهذا مثل ضربه لاستقلالهم فيما نهضوا فيه بعد دمهم وعدتهم ، وبالنهم وصبرهم واستغناهم عن القاعدين عن التحتمل معهم والذب عنهم من عشيرتهم . وقوله : «أنَّا» كِتَابَةً عن الإقامة والثباتِ في وجوه الأعداء ، إلى أن وصلوا إلى المراد .

١٠٩

وقال أبو صخر المذلي^(١) :

١ - رأيتُ فضيلةَ القرشىَّ لَمَّا رأيتُ الْخَيلَ تُشْجَرَ بِالرَّماحِ^(٢)
جعل القرشى جنساً لا عيناً . وللمعنى : رأيتُ فضيلةَ القرشيين حين قسّمهم إلى غيرهم عند اشتجار الخيل بالرماح ، وانتظامها بها للطعنِ المختلف بينهم ، المردود فيهم . وجوابُ لَمَّا مُقْدَمُ ، وهو «رأيتُ» في صدر البيت . يزيد : عند هذا الأمر بيان فضلهم على الناس ، وقوله «تُشْجَرُ» كل شيء دخل بعضه في بعض فقد تَشَاجَرَ ، ومنه سُمِّيَّ المُشْجَبُ مُشْجَراً ، وتشاجرَ القومُ بالرماح : تعانُوا .

٢ - وَرَنَقَتِ الْمَنِيَّةُ فَهِيَ ظِلٌّ عَلَى الْأَبْطَالِ دَانِيَةُ الْجَنَاحِ

(١) هو عبد الله بن سلم السهلي المذلي ، شاعر إسلامي ، من شعراء الدولة الأموية ، كان متخصصاً لبني سروان موالياً لهم ، ولهم في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائع كثيرة ، وروي أبو الفرج خبراً طريراً له مع عبدالله بن الزبير إذ حبسه في سجن عارم ، بعد مقاولة أخيه بينهما ، ثم أطلق سراحه . الأغاني (٢١ : ٩٤) والحزنة (١ : ٥٥٥) .

(٢) مما هو جدير بالذكر أن هذه المقطوعة لم ترد في أشعار المذلين أو دواوينهم . وذكر التبريزى رواية أخرى أيضاً ، وهي «فضيلة» بهيمة التصغير ، جمله علام ، وقال : «رأيت فضيلة ، أى ضربت رئته . ويجوز أن يكون من رؤبة العين ، أى رأيته في مشتجر الرماح ، وكان شهد هذا الشاعر وفضيلة الحرب ، فعاد ولم يعد فضيلة ، فسئل عنه في جمع في الجواب » .

انعطفَ «رَنَقَتْ» على الفِعلِ الذي تناولَهُ لَمَّا . فَيَقُولُ : ولَا استدارتِ
 الْمَنِيَّةُ وَحَلَقَتْ عَلَى رُؤوسِ الْأَبْطَالِ ، فَهِيَ ظِلُّ دَانِيَّةِ الْجَنَاحِ مِنْ قِيمَ رُؤوسِهِمْ .
 وهذا مِثْلُهُ . وَالْمَعْنَى : لَمَّا أَشْرَفَتِ الْمَنِيَّةُ عَلَيْهِمْ إِشْرَافَ الطَّائِرِ عَلَى مَا يَرِيدُ
 اسْكَدَارَهُ عَلَيْهِ ، بَانَتْ فَضْلِيَّتُهُمْ . وَيَقُولُ : رَنَقَ الطَّائِرُ فِي الْمَوَاءِ ، إِذَا حَلَقَ
 وَاسْتَدَارَ ، وَجَعَلَ لِلْمَنِيَّةَ ظِلًا تَحْقِيقًا^(١) لِلْإِسْتِعَارَةِ مِنْ الطَّائِرِ ، لَأَنَّهُ يُوَقِّعُ ظِلَّهُ
 فِي تَلْكَ الْحَالَةِ . وَجَعَلَ الْجَنَاحَ دَانِيَّةً تَأْكِيدًا لَطَمَعِ الْمَوْتِ فِي الْفُوزِ بِالْأَرْوَاحِ
 وَالْأَخْتِلَاصِ . وَكَذَا الطَّائِرُ فِي التَّحْلِيقِ عِنْدِ الْانْقِضَاضِ . وَارْتَفَعَ «دَانِيَّةُ الْجَنَاحِ»
 وَ«ظِلُّهُ» جَمِيعًا عَلَى أَنْ يَكُونَا خَبْرَيْنِ لِقَوْلِهِ هِيَ ، كَمَا تَقُولُ : هَذَا حُلُوٌّ حَامِضٌ .
 وَيُحَوَّزُ أَنْ يَكُونَ دَانِيَّةً صَفَةً لِلظِّلِّ ، وَأَنَّهَا عَلَى الْمَعْنَى . وَيُحَوَّزُ أَنْ يُرَوِّى
 «دَانِيَّةً» بِالنَّصْبِ عَلَى أَنْ يَكُونَ حَالًا .

١١٠

وَقَالَ بَعْضُ بَنِي عَبْسٍ :

١- أَرِقُّ لِأَرْحَامِ أَرَاهَا قُرِيبَةً لَحَارِ بْنُ كَعْبٍ لَا جَرْمٌ وَرَاسِبٍ
 يَقُولُ : يَرِقُّ قَلْبِي بِمَا تَمَلَّكَهُ^(٢) مِنِ الرَّحْمَةِ ، فَانْعَطَفَ^(٣) مِنْ أَجْلِ أَوَاصِرِ
 أَرَاهَا قُرِيبَةً مُشْتَبِكَةً بَيْنَنَا ، مِنْ جَهَّةِ الْحَارِثَ بْنِ كَعْبٍ ، لَا مِنْ جَهَّةِ جَرْمٍ
 وَرَاسِبٍ . وَالْحَارِثَ بْنَ كَعْبٍ فِي نِزَارٍ ، وَجَرْمٌ وَرَاسِبٌ مِنْ قَضَاعَةَ ، وَهُمُّ مِنْ
 الْيَمِينِ ، وَكَانَ الْحَارِثَ بْنَ كَعْبٍ اتَّقَلَتْ إِلَيْهِ الْيَمِينُ ، وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ ، فَلِهَذَا قَالَ مَا قَالَ .

(١) فِي الأَصْلِ : « تَحْقِيقًا » ، صَوَابَهُ فِي مِ .

(٢) مِ : « مَا عَلَكَ » .

(٣) مِ : « فَانْعَطَفَ » .

وقيل : عَبْسٌ وَضَبَّةُ الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ إِخْوَةُ لَامٌ . [وَرَحْمُ الْحَارِثِ فِي غَيْرِ النَّدَاءِ وَذَكْرُهُ فِي الشِّعْرِ جَائزٌ^(١)] .

٢ - وَأَنَا نَرَى أَقْدَامَنَا فِي نِعَالِهِمْ وَآنْفَنَا بَيْنَ الْلَّهِيِّ وَالْخَوَاجِبِ^(٢)
ذَكْرُ الْمَشَايِّهِ الْحَاصِلَةِ بَيْنَهُمْ تَأْكِيداً لِلْقُرْبَى وَالْقَرَابَةِ ، الْمُوجِبَةُ لِمَا ذَكَرَ
مِنِ الرَّقَّةِ وَالشَّفَقَةِ ، عَلَى مَا حَدَثَ فِيهِمْ مِنْ وَقْوَعِ الْفُرْقَةِ ، وَسُقُوطِ التَّجَاوِيرِ
وَالْخُلُطَةِ . فَيَقُولُ : أَرِقْ لِلرَّاحِمِ الْقَرِيبَةِ ، وَلَأَنَا نَرَى أَقْدَامَهُمْ فِي النَّعَالِ
أَقْدَامَنَا^(٣) ، وَآنْفُهُمْ بَيْنَ لَاهِمْ وَحِوَاجِبِهِمْ كَآنْفَنَا . وَقَالَ بَيْنَ اللَّهِيِّ وَلَمْ يَقُلْ
لَاهِمْ ، لِأَنَّهُ يَاضِافَةُ الْأَقْدَامِ وَالنَّعَالِ اكْتَفِي . وَذَكْرُ الْأَطْرَافِ لِأَنَّهَا تَظْهَرُ
لِلْعَيْنِ ، وَالْمَشَايِّهِ تَعْقِبُ بَهَا كُثْرَ .

٣ - وَأَخْلَاقَنَا إِعْطَاءُنَا وَإِبَاءُنَا إِذَا مَا أَبَيَنَا لَا نَدْرُ لِعَاصِبِ
جَعَلَ الشَّبَهَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فِي الْخِلْقِ وَهَا هُنَا فِي الْخِلْقِ ، تَأْكِيداً لِلأَسْرِ .
وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ وَأَخْلَاقَنَا أَخْلَاقُهُمْ ، فَاعْتَمَدَ عَلَى أَنَّ الْعَطْفَ عَلَى قَوْلِهِ أَقْدَامَنَا
يَدُلُّ وَيُغْنِي - لَا يُفِيدُهُ مِنِ الْاِشْتِراكِ - مَا يُغْنِي فِي قَوْلِهِمْ قَامَ زِيدُ وَعَمْرُو ، وَإِنَّ
زِيدَاً مُنْطَلِقَ وَعَمْرُو . فَكَانَهُ قَالَ : وَأَنَا نَرَى أَخْلَاقَنَا كَأَخْلَاقِهِمْ ، إِذَا أَعْطَيْنَا
أَوْ أَبَيَنَا . ثُمَّ ذَكَرَ مَا دَلَّ عَلَى تَشَدِّدِهِمْ بَعْدِ الْأَمْتِنَاعِ فَقَالَ : وَإِذَا أَبَيَنَا لَا نَتَسْهَلُ

(١) التَّكْلِهُ فِي م . وَنَحْوُهَا فِي التَّبَرِيزِيِّ ، وَقَالَ ابْنُ جَنِيٍّ : « رَحْمُ حَارِثَةِ فِي غَيْرِ النَّدَاءِ كَتْوُلَهُ :

* وَأَضْحَتْ مِنْكَ شَاسِعَةً أَمَماً *

وَغَيْرِهِ . وَسَبَبَ جُوازُ ذَلِكَ عِنْدَهُ الضرُورَةَ كُثْرَةُ مَا تَنَادِيَ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ ، فَإِذَا نُوَدِّيَتْ
رَغْتُ كَثِيرًا ، فَلَمَا أَلْفَ فِيهَا ذَلِكَ وَكَانَ فِيهِ أَيْضًا ضَرْبٌ مِنَ التَّغْفِيفِ بِجَنْحِهِ إِلَيْهِ
عِنْدِ الضرُورَةِ » .

(٢) م : « فَإِنَا نَرَى » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « كَأَقْدَامِهِمْ مِنَا » ، صَوَابُهُ فِي م .

لَمْ يُرِيدُ قَهْرَنَا . وَأَصْلُ الْعَصْبِ الشَّدَّ ، وَمِنْهُ الْعِصَابَةُ . وَضَرَعُ الْحَلْوَبَةِ إِذَا
اشْقَدَ الزَّمَانُ بِهَا ، وَسَاءَ خُلُقُهَا فَرَفَعَتِ الْلَّبَنُ ، يُشَدُّ وَيُخْتَابُ وَإِنْ ضَجَرَتْ ،
لِسَاسِ الْحَاجَةِ ، وَاسْتِيلَاءِ الْفَاقَةِ . وَهَذَا السَّكَلَامُ مَثَلُ هَاهُنَا . وَمِثْلُ الْبَيْتِ
قُولُ الْآخِرِ^(١) :

لَا يُخْرِجُ الْكَرْهَةَ مِنِّي غَيْرَ مَأْبِيَةَ
يُرِيدُ : إِنَّ الْإِكْرَاهَ لَا يُزِيدُنَا إِلَّا امْتِناعًا ، وَالْإِقْتِسَارَ لَا يُحَصِّلُ مَنَا إِلَّا إِبَاءَ .
وَيُشَبِّهُ مِنْ حِيثِ النَّظَمِ قَوْلَهُ : « إِذَا مَا أَبَيْنَا لَا تَدْرِرُ لِعَاصِبِ » الالتفاتَ . الْأَتَرَى
أَنَّهُ تَرَكَ مَا كَانَ يَطْرُدُهُ مِنَ الْقَوْلِ وَصَارَ كَانَهُ التَّفْتَ قَالَ ذَلِكَ .

١١١

وقال بعضُ شعراءِ حمير^(٢) :

١ - مَنْ رَأَى يَوْمَنَاوَيْوَمَ بَنِي الْيَمِّ إِذَا التَّفَّ صِيقَهُ بِدَمِهِ
ذُكِرَ أَنَّهَا قِيلَتْ فِي وَقْعَةٍ كَانَتْ بَيْنَ حَمِيرٍ وَعَبْدِ مَنَاهَةِ وَكَلْبٍ ، وَكَانَتْ عَلَى
حَمِيرٍ ، وَقُتُلَ فِيهَا عَلْقَمَةُ بْنُ ذِي يَزَنَ . وَقَوْلُهُ « مَنْ رَأَى » لِفَظُهُ اسْتِفَاهَ ، وَمَعْنَاهُ
التَّفْلِيْعُ وَالْتَّعْظِيمُ . وَأَرَادَ بِالْيَوْمِ الْوَقْعَةَ ، لَوْلَا ذَلِكَ لَمَا صَلَحَ أَنْ يَكُونَ إِذَا ظَرْفَاهُ .
وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : « إِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ . فَذَلِكَ يَوْمٌ مَيِّدَيْوَمٌ عَسِيرٌ » . الْأَتَرَى

(١) هو ذو الإصبع العدواني . المفضليات (١ : ١٦١) .

(٢) ذُكِرَ البُرْزِيُّ عَنْ أَبِي رِيَاشِ خَبْرَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ ، وَهُوَ خَبْرُ طَوَيْلٍ آثَرَنَا الإِشَارَةُ إِلَيْهِ . وَمُلْكُهُ أَنَّ الْحَرْبَ وَقَتَّ بَيْنَ حَمِيرٍ وَصَحَارٍ ، فَفَلَهُرُتْ عَلَيْهِمْ صَحَارٌ ، وَقُتُلُوا مُلْكًا مِنْ
مَلُوكِهِمْ يَدْعُى « ذَا ثَاتٍ » ، بَعْدَمَتْ حَمِيرٌ لِصَحَارٍ ، فَارْتَحَلَتْ صَحَارٌ مِنَ الْبَيْدَاءِ فَلَهُرُتْ بِيَلَادِ مَعْدٍ
فَتَارَتْ حَمِيرٌ إِلَى كَلْبٍ تَظَاهِرُهُ بَدْمُ الْمَلَكِ — وَكَلْبٍ إِخْوَةُ صَحَارٍ — فَاسْتَجَدَتْ كَلْبٍ بَتِيمُ الْرِّبَابِ
فَأَنْجَبَهُمْ عَلَى حَمِيرٍ ، ثُمَّ ظَلَّنَ بَتِيمٌ مِنَ الْبَيْدَاءِ فَلَهُرُتْ بِيَلَادِمَ وَخَلَوَا بَيْوَهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَمِيرٍ ، ثُمَّ
صَارَتْ حَمِيرٌ إِلَى الْتَّمِّ وَعَدَى وَعَكَلَ بَيْنِ وَبَرَةٍ ، فَفَلَهُرُتْ بَنُو عَبْدِ مَنَاهَةِ وَكَلْبٍ عَلَى حَمِيرٍ وَقُتْلَتِ التَّمِّ
عَلْقَمَةُ بْنُ ذِي يَزَنَ ، قَالَ بَعْضُ شعراءِ حميرٍ هَذِهِ الْأَيَّاتِ .

أنَّ في قوله « يوم عسِيرٌ » معنَى فِعْلٍ ، فصار يومئذ ظرفاً له ، كأنَّه قال : فذلك النَّقْر يومئذ نَقْرُ يوم عسِير . فيقول : مَنْ شاهَدَ يومنا مع بَنِي التَّمَّ حين التَّفَّ غُبارُ الجُوَّ بالدَّم ، وتنَدَّى به وابتَلَّ ، حتَّى قَلَّ . والعصِيقُ : الغبار الجاثل في الجلو . وأضافةً إلى الْيَوْمِ لِكَوْنِهِ فيه ، والنَّفَافِـ كان يُرَشَّش الدَّم القاطِر من الجراح . وُيقال صِيقَةً أَيْضًا . قال [رؤبة^(١)] :

* يَتَرُّكْنَ تُرْبَ الْأَرْضِ مَجْنُونَ الصِّيقَ *

وصِيقَةً : جمع صِيقَةٍ .

٢ - لَمَّا رَأَوْا أَنَّ يَوْمَهُمْ أَشَبُّ شَدُوا حَيَازِهِمْ عَلَى الْأَلْمِ
قوله أَشَبُّ أَيْ كثِيرُ الْجَلَبَةِ ، ضَيْقُ الْاخْتلاط ، وَالْمَكَانُ الْأَشَبُ فِيهِ
شَجَرٌ مُلْتَفٌ . وجوابُ لَمَّا « شَدُوا ». يقول : لَمَّا أَحَسَّ بَنُو التَّمَّ بِفَضَاعَةِ الْأَسْرِ
وَالْخُلَطِ الشَّانِ ، وَتَضَاعِيفِ الْجَهَالِ وَالْمَكَرِ ، وَطَنَّوا أَنفُسَهُمْ عَلَى الْأَلْمِ ، وَشَدُوا
حَيَازَهُمْ لِلْجَهَدِ ، وَتَهَيَّئُوا لِلصَّبَرِ عَلَى مَا ابْتُلَوْا بِهِ وَشَقَّوْا لَهُ . وَالْحَلِيزُومُ : الْصَّدْرُ ،
لأنَّ مَوْضِعَ الْخَزْمِ وَالْعَزْمِ ، لَا شَيْلَهُ عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُهُمَا . وَيُسَمِّي
حَزِيمًا أيضًا ، كأنَّه المَوْضِعَ الَّذِي يُشَدُّ بِالْحِزَامِ . وَالْحِزَامُ مِنَ الْخَزْمِ أيضًا . وَشَدُّ
الْحَيَازِيمَ مَثَلُ لِلصَّبَرِ عَلَى مَا لَهُمْ . وَرُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

حَيَازِيْكَ الْمَوْتِ إِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيْكَ^(٢)

يُرِيدُ : أَشَدُّ حَيَازِيْكَ .

٣ - كَانَمَا الْأَسْدُ فِي عَرَبِهِمْ وَنَحْنُ كَاللَّائِلِ جَاسَ فِي قَتِيمِهِ

(١) التَّكْلِهَةُ مِنْ مَوْلَى التَّبَرِيزِيِّ ، وَانْظُرْ دِيْوَانَ رَؤْبَهَ ١٠٦ .

(٢) يُروَى أيضًا : « أَشَدَّ حَيَازِيْكَ الْمَوْتِ » ، وَهُوَ أَكْثَرُ مَا جَاءَ فِي الْخَزْمِ . انْظُرْ

الْمُدَدَّةَ (١ : ٩٢) وَالْأَغْنَى (١٤ : ٣٣) .

يقول : إن هؤلاء القوم يتمتعون على الأعداء ، ويتبشرون بهم ، تمنع
 الأسد في أجنبها وبطشها منها ، ونحن كالليل ، يريدون نحن في كثتنا وهو لنا
 وإهانتنا بهم ، وإدراينا إياهم كالليل إذا جاش ظلمة ، وترام سواده . والقتام
 والقتمة والقتمة ، يجيء في الظلمة والبار والربيع ، وجاء الفعل منه فقيل قتيم يقتيم
 قتاما وقتاما . وذكر بعضهم أنه أراد بالقتام خدف الألف ، كما قال غيره
 ورواه قطرب :

ألا لا بارك الله في سهلٍ إذا ما الله بارك في الرجال
 ومصدر ما كان على فعل الفعل في الأكثـر ، فلا أدري لم أنكره حتى
 اعتذر بما ذكره . والمعنى : الأجمة ، أجمة الأسد ، ثم يسمى مقتلة القوم عرينا .
 ويقال للرجل : هو عزنة لا يطاق ، إذا كان خبيثا . وقوله « في عرينا » موضعه
 موضع الحال ، والأسد خبر مبتدأ ممحوظ ، كأنه قال كأنماهم الأسد في مقتتلهم ،
 ونحن كالليل في هؤلئنا وإدراينا ، ويكون قوله جاش في قتمة ، في موضع الحال
 أيضا ، والأجود أن يكون قد معه مضمرة ، أي كالليل وقد جاش .

٤ - لا يُسلِّمُونَ الْغَدَاءَ جَارَهُمْ حتى يَرْلِي الشَّرَاكُ عن قَدْمِهِ
 مَدَحَّهُمْ بِحُسْنِ الْمُحَامَةِ عَلَى الْجَارِ ، وَتَرْكُ الْإِسْلَامِ لِهِ مَدَّةَ بِقَائِمِهِ فِيهِمْ .
 وقوله « الغدأة » أشار بها إلى غدأة اللقاء ، أو صباح الغوار . وقوله « حتى
 يَرْلِي الشَّرَاكُ عن قَدْمِهِ » فيه قلب ، والأصل زلت القدم عن الشراك .
 وهذا مثل لموته ، لأنه لا يلبسها بعدة . واحتمل الكلام القلب لأن المعنى
 لا يخيل ^(١) كلام لا يخيل في قوله : أدخلت الخف في رجلي ، والقلنسوة في

(١) لا يخيل : لا يفتحه ولا يتبعه . وفي اللسان : « وأغال الفيء » : اشتباه . يقال :
 هذا الأمر لا يخيل على أحد ، أي لا يشكل . وفي الأصل : « لا يخيل كلام لا يخيل » ،
 صوابه في م .

رأسي . وهذا كا يقال هرِيق حِفانهُ ، وصَفَرَ و طَابِهُ ، و طُوئَ حَصِيرِهُ ، وخَلَ مَكَانِهُ . والمعنى : لا يُسْمِونُ الْجَارَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ فِيهِمْ . ويجوز أن يكون الماء من قَدْمِهِ راجعاً إلى الشَّرَاثَكَ ، ويكونُ الْكَلَامُ مَثَلًا لتفظيع الْأَمْرِ ، وهذا كا يقالُ : « زَالَ السَّرْجُ عَنِ الْمَعْدَ »^(١) و « بَلَغَ الْحِزَامُ الطَّبَيْبِينَ » وما أشَبَّهُمَا . والمعنى إلى أن يَرْلَقَ الرَّجُلُ عن مَقْرَهُ فَلَا يَثْبُتُ فِي النَّعْلِ ، والمعنى إلى أن يَتَلَقَّ الْأَمْرَ كَلَّ مَبْلَغٍ فَظِيلَعَ .

٥ - ولا يَحِمُ اللَّقاء فَارِسُهُمْ حَتَّى يَشُقَ الصَّفُوفَ من كَرْمِهِ

يقول : ولا يَجِدُونَ عَنِ الْلَّقاء فَارِسُهُمْ فَيُحْجِمُ ، ولا يَضُعُ دُونَهُ فِي حَارَ ، بل يُقْدِمُ إِذَا تَخَرَّقَ^(٢) الصَّفُوفُ بِهِ عِزَّةَ نَفْسٍ ، وَكَرْمٌ عِرْقٌ . واللقاء ينتصب على المفعول ، والأصل عن اللقاء ، فلما حَذَفَ حَرْفَ الْبَلْرَ تَخَيَّفَا وَصَلَّ الْفِعْلُ فَعَمِلَ . ويجوز أن يكون ظرفاً كمطلع الشمس ، أراد وقت اللقاء . وقوله « حَتَّى يَشُقَ الصَّفُوفَ » يريده إلى أن يشقها كَرْمًا منه ، كأنه لا يرضي بأدواتِ المزاراتَين في اللقاء لنفسه ، بل يأبى إِلَّا النَّهَايَا وَالْغُلُوْ . ويُقال خَامِ الرَّجُلُ يَحِمُ ، إذا كادَ كَيْدًا فَلَمْ يُفْلِحْ فِيهِ ، أو تقدمَ في الحربِ فَنَكَصَ وَلَمْ يَظْفَرْ .

قال الشاعر ، وأنشدهُ الخليل :

رَمَوْنِي عَنِ قِسِّي الزُّورِ حَتَّى أَخَاهُمُ الْإِلَهُ بِهَا فَخَامُوا^(٣)
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُمُ حَيْمَ بِالسَّكَانِ ، إِذَا أَقامَ ، وَانْلَهَيَّةُ وَاحِدَةُ الْخِيَامِ ،
مِنْهُ أَخِدَا .

٦ - وَمَا بَرَحَ النَّيْمَ يَعْتَزُونَ وَزُرُ قُ الْخَطَّ تَشَفِي السَّقِيمَ مِنْ سَعِيمَهِ^(٤)

(١) المعبد : واحد المدين ، وهو موضع دفع السرج .

(٢) م : « يَخَرِقُ ». (٣) أنشده في اللسان (خيم) .

(٤) كذا جاء البيت في الأصل بالحزم ، أي بزيادة حرف في أوله . وف م والتبريزى : « مابرخ » .

ما بَرَحَ وَمَا زَالَ بِمَعْنَى ، وَلِيُسْ هَذَا مِنَ الْبَرَاحِ مِنَ الْمَكَانِ . أَلَا تَرَى
أَنَّ اللَّهَ قَالَ : « لَا يَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مُجْمَعَ الْبَخْرَيْنِ » ، وَمُحَالٌ أَنْ يَبْلُغَ هَذَا
الْمَوْضِعُ ، وَهُوَ لَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَكَانِهِ . وَكَانَ الْكَلِمَةُ فِي الْلُّغَةِ تَدْلُّ عَلَى مَعْنَى الْجَاؤِزَةِ ،
وَلِذَلِكَ قِيلَ :

* أَبْرَحْتَ رَبِّيَا وَأَبْرَحْتَ جَارَا^(١) *

أَيْ جَاؤَتْ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ أَمْتَالُكَ مِنَ الْخِلَالِ الْمَرْضِيَّةِ . وَالْمَعْنَى : مَا زَالَ
بِنَوَالَتِّيْمَ يَتَسَبَّبُونَ وَيَدْعُونَ بِيَالَفَلَانِ مُعْتَزِّيْنَ ، أَوْ يَبْخُذُ الْطَّعْنَةَ وَأَنَا فَلَانُ مُدَعِّيْنَ ،
وَالرَّمَاحُ الْحَمْوَلَةُ مِنَ الْخُلُطِ الْزَّرْقُ فِي الْأَوَانِهَا تَشْفِي الْمُتَكَبِّرُ مِنْ كَبِيرِهِ ، وَالْعَدُوُّ
الْمُخَاتِلُ مِنْ دَائِهِ . وَقَوْلُهُ « السَّقِيمُ » يَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ كَنْيَاةً عَنِ الْمُنَافِقِ الْمَدَاجِيِّ ،
كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَا وَصَفَهُمْ : « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » . وَيَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ يُرَادُ بِهِ
الصَّلِيفُ التَّيَاهُ ، كَمَا يُقَالُ عِنْ صَفَتِهِ : فِي طَرْفِهِ شَوَّسُ ، وَكَمَا جَاءَ فِي صَفَةِ
الشَّيْوِفِ :

* يُدَاوِي بِهَا الصَّادُ الَّذِي فِي النَّوَاطِرِ^(٢) *

وَيَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : وَالرَّمَاحُ فِي اخْتِلَافِهَا تَشْفِي الْمُوْتَوْرِيْنَ مِنْ أُوتَارِهِمْ
وَذُحُولِهِمْ . وَجَعَلَ الْفِعْلُ لِلرَّمَاحِ عَلَى الْجَازِ وَالسَّعْيِ . وَقَوْلُهُ « وَزُرْقُ الْخُلُطُّ »
الْوَاوُ وَالْحَالُ . وَيَعْتَزِّزُونَ بِخَبْرِ ما بَرَحَ .

٧ — حَتَّىٰ تَوَلَّتْ جُوْعُ حَمِيرَ فَالْفَلَ سَرِيعٌ يَهُوِي إِلَى أَمِيمَةٍ^(٣)
يُرِيدُ : مَا زَالَوا بِهَذِهِ الْحَالَةِ إِلَى أَنْ انْهَزَمَتْ جِيُوشُ حَمِيرَ ، فَصَارَ الْمَفْلُولُ
الْمُهْزِمُ مُبَادِرًا فِي السُّرْعَةِ إِلَى مَقْصِدِهِ . وَقَوْلُهُ الْفَلُ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ وَصِفَةٌ بِهِ

(١) لِلْاعْمَى فِي دِيْوَانِهِ ٣٧ . وَهُوَ بِنَامَهُ :

تَقُولُ ابْنَى حِينَ جَدَ الرَّحِيْدِ * مَلْ أَبْرَحْتَ رِبَا وَأَبْرَحْتَ جَارَا

(٢) سَبِقَ فِي ص ٢٤٤ . (٣) التَّبَرِيزِيُّ : « وَالْفَلُ » .

وهو موضع موضع المفعول ، ولذلك جاز أن تقول رَجُلٌ فَلْ وَقَوْمٌ فَلْ وَنِسْوَةٌ فَلْ . ومثله رَجُلٌ فَرِيزٌ ، إلا أنه موضع موضع فارٍ ، ويقع للواحد والجمع .

٨ - وَكُمْ تَرَكْنَا هُنَاكَ مِنْ بَطَلٍ تَسْفِي عَلَيْهِ الرِّيَاحُ فِي لِمَمِّهِ مَوْضِعُ كَمْ نَصَبْ عَلَى الْمَفْعُولِ مِنْ تَرَكْنَا . يَقُولُ : وَكَثِيرًا تَرَكْنَا فِي تِلْكَ الْمَرْكَةِ مِنَ الْأَبْطَالِ وَهُمْ مُصَرَّعُونَ مُعَفَّرُونَ فِي تِلْكَ الْمَرْكَةِ ، بَادُونَ لِلضَّيَا وَالظُّلْمَةِ ، تَائِي الرِّيَاحُ بِسَفَاهَاهَا وَتَجْعَلُهُ فِي لِمَمِّهِمْ وَلَحَاظُهُ . وأَشَارَ بِقُولِهِ هُنَاكَ إِلَى مُعْتَرَكِ الْقَوْمِ وَمُزَدَّهِمِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ .

١١٢

وقال حَسَانُ بْنُ نَشْبَةَ (١) :

١ - وَنَحْنُ أَجْرَنَا الْحَيَّ كُلَّبًا وَقَدَأْتَنِي لَهَا حِيمَرٌ تُرْجِي الْوَشِيجَ الْمُقَوْمًا (٢) يقول : أدخلنا في جوارنا هذه القبيلة ، وضممنا لها الذب عنها وسلامتها على ما يعرض لها ، وقد قصدت لها حِيمَرٌ بعدها وعدتها ، تَسْوُقْ نَحْوَهَا الْخَيلَ الْمُطَهَّمَةَ ، وَالرَّمَاحَ الْمُنَقَّفَةَ . والْوَشِيجُ أَصْلُهُ عُرُوقٌ ، ثُمَّ جُعِلَ لِلرَّمَاحِ أَنْفُسَهَا . وَجَعَلَهَا مُنْقَفَةً ، لِيُرَى عَنِّيهِمْ بِإِعْدَادِ الْآلَةِ لِزَمَانِ الْمُقَاوَلَةِ .

٢ - تَرَكْنَا لَهُمْ شِقَّ الشَّمَالِ فَأَصْبَحُوا جَمِيعًا يُرْجِعُونَ الْمَطَىَ الْمُخَزَّمًا

(١) التبريزى : « وقال حسان بن نشبة العدوى في ذلك — أى في الحرب التي سبق الكلام عليها — أخوه بنى عدى بن عبد مناف بن أذ . قال أبو محمد الأعرابى : هذا الاسم مصحف ، والصواب جناس بن نشبة ، مثل عباس . قال جرير وهو جندي بن خرعب النبى :

أَجَنْدَبُ أَشَبَّهُ الَّتِي كَانَ بِظَرِّهَا كَفَرُ ثُوَثُ أَرْضٍ غَيْرِ ذَاتِ أَنَاسٍ
لَقَدْ شَهَدَتْ تِيمَ عَلَى أَمْ جَنْدَبٍ وَكَانَ سَرَّاهُ التِّيمَ رَهْطُ جَنَاسٍ
يُعْنِي جَنَاسَ بْنَ نَشْبَةَ النَّبِيِّ » .

(٢) م والتبزي : « نحن أجرنا » بالحزم في أوله .

لَهُمْ يعْنِي لَحْمِيرَ . وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ الشَّمَالَ كَنَاءَةً عَنِ الشَّوْمِ . فَنَأْتَاهُمْ :
* صَبَخَنَاهُ فَغَدُوا شَامَةً *

وَيَقُولُونَ : خَلَيْنَاهُمْ وَالْجَانِبَ الْأَشَامُ ، وَخَلَيْنَاهُمْ وَالنَّاحِيَةُ الشَّوْئِيَّ . فَكَانُوهُمْ
يَقُولُونَ ذَلِكَ لِلنَّهْزَمِ وَإِنْ كَانَ مَأْخَذَهُ فِي الشَّقِّ الْأَيْمَنِ ، لَأَنَّ الشَّوْمَ مَعَهُ وَالْإِدْبَارَ ،
أَيَّ طَرِيقٍ أَخَذَ ، وَمَسَلَّكَ تَوْجَهَ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : فَلَانُ مِنِي بِالْيَمِينِ ، وَفَلَانُ
بِالشَّمَالِ ، وَفَلَانُ بِقَلِيلِهِ عَنْدِي ، وَفَلَانُ فِي الْمَهَابِطِ ؛ إِذَا جَمَلْتَ مَنْزِلَتَهُ عَلَيْهِ
أَوْ مُسْفَلَةً . وَعَنْيُ الْبَيْتِ : خَلَيْنَا لَهُمْ فِي الْأَنْهَزَمَ شِقَّ الشَّوْمِ وَجَانِبَهُ ، فَأَصْبَحُوهُ
يُرَجُونَ مَطَالِيَّهُمْ مُخْزَمَةً حَسْرَى كَالَّهَ^(١) لَا يُبَقِّي عَلَى وَجَاهَهَا ، وَلَا يُتَقَى حَفَاهَا .
وَالْخَرْمُ : الشَّدُّ وَالْقَطْعُ . وَيَقَالُ شِرَّاكٌ مُخْزُومٌ ، أَيْ مَقْطُوعٌ .

٣ — فَلَمَّا دَنَوْا صُلْنَا فَرَقَ جَمِيعَهُمْ سَحَابُنَا تَنَدَى أَسْرَهُمْ دَمًا^(٢)
يَقُولُ : لَمَا قَرُبُوا فِي الْاِلْتِقاءِ ، صُلْنَا عَلَيْهِمْ وَبَطَشَنَا بِهِمْ ، قَبَدَّ شَمَلَهُمْ
جِيشُنَا الَّذِي كَانَهُ سَحَابَةً تَنَدَى طَرَاقُهُ دَمًا . جَعَلَ السَّحَابَةَ تَرَسُخُ بِالدَّمِ لَمَّا
كَثُرَ سَقْكُهُمْ لَهُ . وَتَنَدَى فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَاتَّصَبَ دَمًا عَلَى التَّمِيزِ .
وَيَقَالُ : نَدِيَ يَنَدَى نَدَى . وَالْأَسْرَةُ : الْأَوْسَاطُ وَالظَّرِائقُ ، وَاحِدُهَا
سِرَرٌ ، وَيَسْتَعْمِلُ فِي بُطُونِ الْأَوْذِيَّةِ أَيْضًا .

٤ — فَقَادَرْنَ قِيلَامَنْ مَقَاؤِلْ حَمِيرٍ كَأَنَّ بَخْدَيْهِ مِنَ الدَّمِ عَنْدَمَا
يَقُولُ : تَرَكَتِ الْخَلِيلُ فِي تَجْوِيلِهِمْ رِئَسًا مَصْرُوعًا ، قَدْ سَالَ الدَّمُ
عَلَى بَخْدَيْهِ فَكَانُوهُمَا خُضِبَا بِالْعَنْدَمِ ، وَهُوَ دَمُ الْأَخْوَيْنِ . وَالْمِقْوَلُ بِلِفَةِ أَهْلِ
الْيَمِينِ : الْقَيْلِ ، وَالْمَقَاؤِلُ وَالْمَقَاؤِلَةُ بُجُعَهُ ، وَهُمُ الْأَقْوَالُ وَالْأَقْيَالُ . وَقَيْلٌ مُخَفَّفٌ

(١) كَذَا فِي مِنْ ، وَفِي الْأَصْلِ : « فَالَّهُ » .

(٢) مِنَ التَّبَرِيزِيِّ : « تَنَدَى أَسْرَهُمْ » .

من قَيْلٍ ، فهو من الواو أيضاً ، ومعناه هو الذي ينفُذ قوله ، ويُعتمد أمره ونهيه . ووصف به الملك كاً وصيف بالضم ، لما كان إذا هم بالشيء فعل ، لا يرده ولا يدفع . وقيل لسان مقول لما كان آلة في القول .

٥— أَمْرٌ عَلَى أَفْوَاهِ مِنْ ذَاقَ طَعْمَهَا مَطَاعِمُنَا يَمْجُجُونَ صَابَّاً وَعَلْقَماً
يقول : صارت مطاعيمنا مرأة على أفواه من ذاقها ، حتى إنها تمجع بعد
ذواقها صابباً وعلقاً ، والصاب : شجرة لها لبنة إذا أصاب العين حلتها . والعلم :
شجرة مر ، وقيل هو الخنطل . وحُكِي أن العلماء المارة . ويقال علم الخنطل ،
إذا أدرك مرارته . وقوله : « يَمْجُجُونَ » حال للأفواه ، والتقدير أمر مطاعيمنا
على أفواه الذين طعمها ، ماجحة صابباً وعلقاً ، أى إذا ذاقت رمت بما هو
كمدين . وللمعنى : إذا خبرنا حصل منها على ما هو كذلك . وجاز في « طعمها »
الإضمار قبل الذكر ؛ لأن الكلام يحتمل نية التقديم والتأخير ، لما كان رتبة
الفاعل وهو مطاعيمنا التقديم ، ورتبة المفعول وما يجري مجرأه التأخير ، وهو على
أفواه من ذاق طعمها . وفي طريقة هذا البيت قول الآخر ^(١) :

فإنْ تَغْمِزْ مَفَاصِلَنَا تَجِدْنَا غِلَاظًا فِي أَنَامِلِنَا منْ يَصُولُ
والطَّعْمُ : الذوق ، والمطاعم : جمع المطعم . ويقال هو حسن المطعم ، أى
طَيِّبُ الطَّعَام .

١١٣

وقال في ذلك أيضاً :

١— وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أَفِدْ حَيَا سُوَا هُمْ فَدَائِهِ لِتِيمٍ يَوْمَ كَلْبٍ وَحِمِيرًا
يقول : أنا وإن كنت أرميا بقدر ، وأرفع نفسى أن أجعلها فداء لغيري ،

(١) هو عمر وبن مسعود . انظر الخامسة ٦٦ .

أَفْدِيْ تَنِيَا بِهَا؛ لِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ حُسْنِ الْبَلَاءِ يَوْمَ اجْتِمَاعِ كَلْبٍ وَحُمَيرَ لِلْقَتَالِ.
وَجَوَابُ الشَّرْطِ، وَهُوَ قَوْلُهُ «إِنْ لَمْ أَفْدِ» قَدْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ السَّكَلَامُ، لِأَنَّ الْمَعْنَى:
[إِنْ^(١)] لَمْ أَفْدِ غَيْرَهُمْ تَرْفَعًا، فَإِنِّي أَفْدِهِمْ تَشْكُرًا.

٢ - أَبَوَا أَنْ يُبَيِّنُوا جَارَهُمْ لِمَدْعَوْهُمْ وَقَدْ ثَارَ تَقْعُدُ الْمَوْتِ حَتَّى تَكُونُ ثَرَّا^(٢)
أَبَوَا، الْفِعْلُ لِبَنِي التَّمِّ. يَقُولُ: امْتَنَعُوا مِنْ أَنْ يُخْلُوا بَيْنَ جِرَانِهِمْ قَبْيلَةً
كَلْبٍ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِمْ حُمَيرَ، وَقَدْ ارْتَفَعَ غُبَارُ الْمَوْتِ حَتَّى التَّفَّ في الْجَوَّ. وَأَرَادَ
بِالْجَارِ وَالْعَدُوِّ السَّكْرَةُ، إِذْ كَانَ الْمَرَادُ بِهِمَا الْقَبَيلَيْنِ، وَإِنَّمَا أَضَافَ النَّفْعَ إِلَى
الْمَوْتِ تَهْوِيَّلًا، وَيُجَوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْمَوْتِ الْحَرْبَ. وَتَكُونُ ثَرَّا: تَفَوَّعَلَ مِنَ
السَّكْرَةِ، يُرِيدُ تِرَاكُمُ الْفُبَارِ وَالنَّفَاقَةَ. وَهَذَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَكُونُ
مِنَ التَّرَاكِمِ، جَمَلَهُ بَعْضُهُمْ كَالسَّحَابَ، وَجَعَلَهُ بَعْضُهُمْ يَسْدُعُ عَيْنَ الشَّمْسِ حَتَّى
ظَهَرَتْ لَهُ الْكَوَاكِبُ، وَحَتَّى صَارَ النَّهَارُ بِسَبِيلِ كَاللَّيلِ. وَتَجَازَ الْمَنْبِي^(٣) جَمِيعَ
ذَلِكَ، حَتَّى بَلَغَ حَدَّاً مِنَ الْإِفْرَاطِ مُسْتَشْنَعًا فَقَالَ:

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثِيرَا لَوْ تَبْقَيْ عَنْقَا عَلَيْهِ أَنْكَنَا^(٤)
وَإِذَا أَرْدَتَ بِالْمَوْتِ الْمَنْيَةَ يَكُونُ الْمَرَادُ: كَانَ الْمَوْتُ أَثَارَ الرَّاهِيجَ فِي سَلْبِ
الْفُؤُوسِ حَتَّى كَثُفَّ فِي الْهَوَاءِ. وَهَذَا مَثَلٌ.

٣ - سَمِوْ أَنْحُوْ قَيْلِ الْقَوْمِ يَتَدْرُوْنَهُ بِأَسِيَا فِيهِمْ حَتَّى هَوَى قَتَقَطْرَا
يَعْنِي بَنِي تَمِّ. يَقُولُ: ارْتَفَعُوا نَحْوَ رَئِيسِ الْقَوْمِ مُسْتَبِقِينَ إِلَيْهِ بِأَسِيَا فِيهِمْ
فَتَنَالُوهُ حَتَّى سَقَطَ . وَمَعْنَى تَقَطَّرَ: وَقَعَ عَلَى أَحَدٍ قُطْرَبَهُ . وَالْقُطْرَانِ: الْجَانِبَانِ.

(١) بِهَا يَلْتَمِمُ السَّكَلَامُ، وَلَيْسَ فِي إِحْدَى النَّسْخَيْنِ.

(٢) التَّبرِيزِيُّ: «وَبِرُوْيِ: تَكُورَا. مِنْ كَوْرِ الْمَاهَةِ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ» .

(٣) كَذَا بِالْمَهْزَنِ فِي الْأَصْلِ، وَبِالْتَّسْهِيلِ فِي مَ .

(٤) رَوَايَةُ الْدِيْوَانِ بِشَرْحِ الْمَكْبُرِيِّ: «عَلَيْهَا أَمْكَنَا» .

وفي الكلام اختصار، كأنه قال : ابتدروه بالأسيااف وضرّوه حتى سقط ،
خذف ضربوه . وموضع يلتقرون به نصب على الحال ، وتعلق حتى بالمحذف
الذى بيّنته .

٤ — كانوا كأنفَ الْيَثْ لَا شَمَّ مِرْغَمًا ولا نَالَ قَطُ الصَّيْدَ حَتَّى تَعْفَرَا^(١)
الأَسْدُ أَحَمَّ الْحَيْوَانَ أَنَّا ، ويبلغ من عجوبه بنفسه أنه لا يتواضع لأكل
صَيْدٍ غيره . ونُسِبَ الْأَنْفَةُ إِلَى الْأَنْفِ كَمَا يُنْسَبُ الْحَمِيمَةُ إِلَيْهِ . يقالُ : هُوَ أَحَمَّ
أَنَّا مِنْ فَلَانٍ ، وَأَنَّفُ أَنَّا مِنْهُ ، وَسَمِيَ فَلَانٌ أَنْفَهُ مِنْ كَذَا ، أَئِ أَنْفَ مِنْهُ وَلَمْ
يَرْضَ بِهِ . وَحَسْنٌ فِي الْكِتَابَةِ عَنِ الْإِبَاهِ وَالْتَّصَوُّثِ عَنِ الدَّنَاهَةِ وَالْمَذَاهَةِ قَوْلُهُ :
«لَا شَمَّ مِرْغَمًا» بَعْدَ ذِكْرِ الْأَنْفِ . فيقول : وكان بنو التَّمِّ في التَّمَّنِ كَالْيَثْ
الذى لا يُغمضُ عَلَى قَذَى ، ولا يَشَمُّ مِرْغَمًا وَمَذَلاً ، ولا يَصْبِرُ لَشَىءٍ عَلَى هَوَانٍ ،
وَلَا يَعْظِفُ عَلَى مَكْرَهٍ وَصَفَارٍ ، وَلَا يَنَالُ الصَّيْدَ قَطُّ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمَعْقُورُ .
والعَقُورُ : التَّرَابُ . هذا إِذَا رَوَيْتَ «قَطُ الصَّيْدَ حَتَّى تَعْفَرَا^(٢)» . وقال ذلك لأنَّه
فيما يتصيده لا يرضى بالاختلاس ، ولا يعتمد على صَيْدٍ غيره والإصابة منه .
ويُرُوِيُ : «وَلَا نَالَ فَطَ الصَّيْدَ حَتَّى تَعْفَرَا^(٢)» . والفَطُ : ماء السكريش . وُيقال
افتَنَطَتُ السكريش ، إِذَا استخرجت ذلك الماء منه . والمعنى : ولا نال الفَطَ من
بطن الصَّيْدِ حَتَّى يتعفَّرُ أَيْ يسقط في القَفَرِ ويتمكنُ منه . والأَسْدُ يبدأ من
الصَّيْدِ بِحَسْوٍ بَطْنِه ، فلذاك خَصَّ الفَطُ . والشَّمِيلَةُ خِلَافُ الفَطُ ، لَأَنَّهُ اسْمٌ
لما يبقى في البطن من العَلَفِ وَالرَّطْبِ . وَقَطٌّ فِي الْمَاضِ كَأَبَدًا فِي الْمُسْتَقْبِلِ »

(١) م فقط : « يعفرا » .

(٢) م : « يعفرا » . وزاد البرزى رواية : « قَصَصُ الصَّيْدِ » عن عبد السلام

وهو معرفة مبنية كامس ، وأبداً نكرة كفداً . ولا نال ولا شم في معنى لم يشم ولم ينل . ومثله قوله تعالى : « فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَى » .

١١٤

وقال هلال بن رزين^(١) :

١ - وباليداء لاماً تلقتْ بِهَا كلبٌ وَحَلَّ بِهَا الثُّدُورُ
يقول : لما تلقت كلبٌ وَحَلَّ بالبيداء وأدركتوا الأوتار ، فَحَلَّ بها الثُّدُور وسقطت الأقسام عن الحالين بها لإدراكِهم الآثار^(٢) . وجواب لما يجوز أن يكون مادل عليه قوله « فَحَانَتْ حِمْرَ » أو قوله « وَحَلَّ بها الثُّدُور » . ويجوز أن يكون قوله « أَجَادَتْ وَبَلْ مُذْحَنَةً » ، وهو أول البيت الرابع ، وعند من يجوز زيادة المثروف في مثل هذا المكان يكون « حَلَّ بها الثُّدُور » أو « خَانَتْ » الجواب ، فيكون الفاء والواو ممحونة ، وهكذا يقولون في قول الله تعالى : « حَتَّى إِذَا جَاهُوهَا وَفُتُحَتْ أَبْوَابَهَا » عندهم الواو زائدة ، وللمراد فتحت^(٣) ، وقول امرى القيس :

* فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْخَلْيَ وَأَنْتَحَيْ^(٤) *

(١) التبريزى : « أحد بنى ثور بن عبد مناة بن أذ » . وعند ابن جنى : « وقال هلال بن رzin الرباعي » . وذكره المزبانى في المعجم ٤٨٢ وقال : « هلال بن رزن أحد بنى ثور بن عبد مناة بن أذ ، جاهلى . يقول في وقعة كانت لبني عبد مناة وكلب على تعبير » . وأنشد بعض هذه الحاسبة .

(٢) كذا في الأصل ، وهو على القلب ، حكاه يعقوب ، والمأثور في جمع ثار آثار كما في م .

(٣) كذا ورد في النسختين بتخفيف الفاء هنا وتشديدها في التلاوة قبلها . وقراءة التخفيف هي قراءة عاصم وحزة والكافى وخنث ووافقهم الأعمش ، والباقيون بالتشديد . إعماض فضلاء البشر ٣٧٧ .

(٤) بجزه : * بنا بطن خبت ذى حتف عتنقل *

يقولون : المراد انتهى ، والواو زائدة .

٢ — فَحَانَتْ حِمِيرُ لِمَا تَقَيَّنَا وَكَانَ لَهُمْ بِهَا يَوْمٌ عَسِيرٌ^(١)
 يقول : هَلَكَتْ حِمِيرٌ عند الالقاء ، لأنَّ الدَّرْةَ كانت عليهم لا لهم ،
 وكان لهم بالبيداء يَوْمٌ صَعْبٌ . ويقال : يَوْمٌ وَأَمْرٌ عَسِيرٌ وَعَسِيرٌ ، والفِعلُ
 مِنْهُ عَسَرٌ بالضم وعَسِيرٌ بالكسر ، ويقال هو العُسْرُ واليُسْرُ ، والعُسْرَى
 واليُسْرَى .

٣ — وَأَيْقَنَتِ الْقَبَائِلُ مِنْ جَنَابٍ وَعَامِرٌ أَنْ سَيْمَنَعُهَا نَصِيرٌ^(٢)
 يقول : وَتَيقَنَتْ جَنَابٌ وَعَامِرٌ بِطُونُ بْنِ كَلْبٍ^(٣) أَنَّهُ سَيَذْبُثُ عَنْهَا نَصِيرٌ
 ظَاهِيرٌ ، وَسَعْيَنَ قَوْيٌ . وَيُعْنِي بِالنَّصِيرِ بْنِ التَّمِّ . وَجَعَلَ الْفَظْلَ تَكْرَةً لِيَكُونَ
 أَبْلَغٌ فِي تَعْظِيمِ النُّصْرَةِ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ نَصِيرًا مِنَ النَّصَارَى ، أَى كَاملًا فِي مَعْنَاهِ .
 وَجَعَلَهُمْ كُلَّهُمْ نَصِيرًا لِلنَّصَارَى ، لَا تَفَاقَ كُلُّهُمْ وَأَهْوَاهُمْ . وَقَوْلُهُ « أَنْ سَيْمَنَعُهَا »
 أَنْ تَخْفَفَةً مِنَ التَّقْيِيلَةِ ، وَاسْمُهُ مَذْوَفٌ ، يَرِيدُ : أَنَّهُ سَيْمَنَعُهَا ، وَالسَّيْنُ فِي الْفَعْلِ
 لَثَلَاثًا تَلَبِّسُ الْمُخَفَّفَةَ بِالنَّاصِبَةِ لِلْفِعْلِ . وَالْهَاءُ الَّذِي أَظْهَرَتْهُ ضَمِيرُ الْأَمْرِ وَالشَّأْنِ .
 ٤ — أَجَادَتْ وَبْلَ مُدْجَنَةَ فَدَرَّتْ عَلَيْهِمْ صَوْبَ سَارِيَةٍ دَرُورٌ^(٤)

(١) المزباني : « تحابت » .

(٢) ابن جنى : « وبروى عامر ، عطفاً على القبائل . ولم يصرف عامر لأنه عنى بها القبيلة ... وقد يجوز أن تكون الرواية : وعامر أَنْ ، على تخفيف الهمزة ولفاء حركتها على تنوين عامر » .

(٣) التبريزى : « وقال أبو رياش : يعني عامر الأجدار ، وهو جلن عظيم من كلب ، وإنما لقب بالأجدار لأنه ولد في أصل جدار ، وهو أخو عامر بن صعصعة لأمه . وجناب بن هبل بن عبد الله من كلب » .

(٤) التبريزى : « وبروى : صوب ساريَة — يعني بالرفع — قال أبو رياش : أَنَّ الصوب لَأَنَّهُ أَرَادَ الدَّفْعَةً » . وقد نبه إلى هذه الرواية ابن جنى ، بل جعلها الرواية الأولى .

يُقال : هذا يوم دجن ، أى يوم إلباس غيم . والدجنة : الظلمة ، وليلة مدبجان . فيقول : أنت سحابة الجيش بمطر جود ، فوابلت وبيل مدبجة — أى سحابة لها ظلام ، لكتافتها وقر بها من الأرض — فصبت عليهم المنايا در ساربة ، أى سحابة تسرى ليلا . والدرور ، هي الكثيرة الدر . ويرتفع على أنه فاعل درت . وصوب مصدر من غير لفظه ، كأنه قال صابت درور صوب ساربة . وجعل ما في العجز من هذا في مقابلة ما في الصدر ، من قوله « أجادت وبيل مدبجة » كأنه قال : أجادت الخليل وبيل مدبجة فدرت درور الموت در ساربة ، فالساربة يزاها المدبجة لا غير . وكل ذلك مثل لتكثير الشر ، وتفظيع البلا والقتل . وفي هذه الطريقة قول النابغة :

وَمُعْلَقِينَ عَلَى الْجِيَادِ حُلَيْهَا حَتَّى تَصُوبَ سَمَوَاتِمَ بِقَطَارِ
وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنْ أَجَادَتْ وَدَرَتْ فِقْلَانَ جُمِعاً لِلْدَّرُورِ ، فَهُوَ كَايُوقَلَ قَامَ
وَقَعَدَ زَيْدٌ . قَالَ : وَالدَّرُورُ : حَرْبٌ تَدْرُرُ بِالدَّمَاءِ . وَيُقَالُ : جَادَتْ وَأَجَادَتْ
بِعْنَى وَاحِدٍ ؛ وَالْمَرَادُ بِجَادَتْ دَرُورُ فَدَرَتْ عَلَيْهِمْ كَوْبِلٌ مَدْبِجَةٌ ، وَكَصَوبٌ
سَارِبَةٌ . وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ وَأَكْشَفُ وَأَصَحُّ .

٥ - فَوَلَّوْا تَحْتَ قِطْقِطِهَا سِرَاغاً تَكُبُّهُمُ الْمَهْنَدَةُ الْذُكُورُ

يقول : انهزمت حمير مسرعين تحت صفار البرد ، ولم يصروا إلى كباره ، والشيوخ الهندية تسقطهم لوجوههم . ويُقال هندت السيف ، إذا نسبته إلى الهند . وقال أبو عمرو : وهندت السيف ، إذا أحذنته . وذكر الترمذى في القطفى أنه ضرب من المطر ، ولم يحمد . وموضع « تكب » نصب على الحال ، وما قدمناه في القطفى قول الخليل .

١١٥

وقال جَزْهُ بْنُ ضِرَارٍ^(١) :

١— أَتَانِي فَلَمْ أُسْرَرْ بِهِ حِينَ جَاءَنِي حَدِيثٌ بِأَعْلَى الْقَتَنَيْنِ عَجِيبٌ
تَقْدِيرِهِ : أَتَانِي حَدِيثٌ عَجِيبٌ بِأَعْلَى الْقَتَنَيْنِ^(٢) ، فَلَمْ أُسْرَرْ بِهِ حِينَ جَاءَنِي .
وَإِنَّمَا اسْتَفْجَبَ مِنَ الْحَدِيثِ لِتَضَمِّنِهِ مَا كَرِهَهُ ، فَكَانَ يَرْدُهُ بِمَا يَقُولُ فِي
أَمْلِئِ مِنْ ضِدِّهِ . وَقَدْ اجْتَمَعَ فِي قَلَانِ أَتَانِي وَجَاءَنِي ، فَأَعْمَلُ الْأُولَى . وَمُثْلِهِ
قَوْلُ الْآخَرِ^(٣) :

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأَرْضِيهِ بِشِعْرٍ لَّيْلَةً^(٤)

٢— تَصَاهَّمْتُهُ حَتَّى أَتَانِي يَقِينِهِ وَأَفْرَغَ مِنْهُ مُخْطَطٌ وَمُصَيْبٌ^(٥)
تَصَاهَّمْتُهُ ، أَرَادَ تَصَاهِمَتْ عَنْهُ ، حَتَّى أَتَانِي يَقِينِهِ ، أَى الْجَلِيلِ الْوَاضِحِ مِنْهُ .
وَأَفْرَغَ يَحْبُزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ صَادَفَ الْفَرَزَعَ فَلَا يَقْتَضِي مَفْعُولاً ، وَيَحْبُزُ أَنْ
يَكُونَ أَفْرَغَ الْغَيْرِ فَيَكُونَ مَفْعُولَهُ مَحْذُوفًا . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : تَكَلَّفَ الصَّمُ عنْ

(١) جَزْهُ بْنُ ضرارٍ ، أَخُو الشَّمَاخِ بْنِ ضرارٍ ، قَالَ أَبْنُ حِجْرٍ فِي الإِصَابَةِ ١٢٨١ : ذَكَرَهُ الْمَرْبِزِيُّ فِي مَعْجِمِهِ وَقَالَ : هُوَ شَاعِرٌ مُخْصَصٌ . وَهُوَ الْفَائِلُ يَرْثِي عَمْرَ بْنَ الْحَطَابِ : جَزِيَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكَ بِدِلْلَةٍ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمَرْزِقِ .
وَاقْتُلَ الأَنْعَانِي (٨ : ٩٨) .

(٢) التَّبَرِيزِيُّ : « الْقَتَنَيْنُ : جَبَلُ أَسْوَدٍ مُشَرِّفٌ بَعْضِ الإِشْرَافِ » .

(٣) هُوَ ذُو الرَّمَةِ كَافِي التَّنْبِيَهِ لِابْنِ جَنِيِّ .

(٤) تَامَهُ كَافِي التَّنْبِيَهِ : * لَيْلَةً أَنْ يَكُونَ أَسَابِ مَالًا *

وَعِنْدَ التَّبَرِيزِيِّ : « أَنْ يَقَالُ أَسَابِ » .

(٥) جَعَلَ التَّبَرِيزِيُّ الْرَّوَايَةَ الْأُولَى عَنْهُ : « أَفْرَغَ » بِالْإِرْأَءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَقَالَ : « أَفْرَغَ مَعْنَاهُ صَادَفَ الْفَرَزَعَ ، وَإِذَا كَانَ هَكَذَا فَلَا يَقْتَضِي مَفْعُولاً . وَيَحْبُزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَفْرَغَ الْغَيْرِ ، فَيَكُونَ مَفْعُولَهُ مَحْذُوفًا » .

ذلك الخبر حتى جاء ما لم يكن ردة ، لكون الشبه^(١) متنافية عنه ، واتفاق الخطى والنصيب على تصحيحه ، وصادقا الفرزع فيه ، أو أفرغا الغير منه . ومثل قوله « تصاصته » في الحذف حرف الجر^(٢) منه قول الآخر : # وأخفى الذى لولا الأسى لقضانى^(٣) *

يريد : لقضى على . وفي القرآن : « وإذا كالوهم أو وزنوم » ، يريد كالوا عليهم أو وزروا عليهم . وأضاف اليقين إلى ضمير الخبر لأنه يريد المتيقن منه .

٣- وحدت قومي أحذث الدهر فيهم وعهدتم بالحادثات قريب
 ٤- فإن يك حقا ما أتاني فائهم كرام إذا ما النابتات تنوب
 قوله « حدثت » يتعدى إلى ثلاثة مقاعيل ، فالأول قام مقام الفاعل وضميره النساء ، والثانية قومي ، والثالث أحذث الدهر فيهم أحذثنا . وكما قال الآخر^(٤) : * وإن تكلمك تبتلت^(٥) *

يريد تبتلت كلامها . ويجوز أن يكون أجرى قوله « أحذث الدهر فيهم » ثمجرى نكى الدهر فيهم ، فاستغنى عن المفعول . وقوله : « وعهدتم بالحادثات قريب » يجوز أن يكون من جملة ما يبلغ وأنت به ، ويجوز أن يكون الوا للحال ، كأنه نكى الدهر فيهم وحالم قرب العهد بمحادثه ، ويجوز أن يكون جارياً مجرى الاعتراض بين ما قبله وما بعده ، وحقيقة معناه تصديقه لما خبر به ،

(١) م : « الشبه » .

(٢) م : « بحذف حرف الجر » .

(٣) لرجل من بي كلاب ، كما في الكامل ٢١ ليسك . وصدره :

* تحن فتبدى ما بها من صباة *

(٤) هو الشفرى . المفضليات (١٠٧ :) .

(٥) البيت بقابنه :

كان لها في الأرض نسأ تقصه على أنها وإن تكلمك بتلت

وأنَّ قومَهُ مِنَ الْكِرَامِ الَّذِينَ لَا يَسْمَوْنَ عَلَى الدَّهْرِ ، بَلْ يُولَعُ بِالْتَّأْيِيرِ فِيهِمْ كَمَا قَالَ :

أَرَى الدَّهْرَ يَعْتَمِمُ الْكِرَامِ وَيَصْطَفِي عَقِيمَةً مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(١)
وَإِذَا عَرِلَ هَذَا الاعتراض يَكُونُ الْكَلَامُ : وَحْدَتْ قَوْمٍ أَحَدَثَ الدَّهْرَ
فِيهِمْ ، فَإِنْ يَكُ حَقًا مَا أَتَانِي . وَمَعْنَى الْبَيْنَنِ : أَبْيَثْتُ أَنَّ قَوْمَى نَكَى الدَّهْرَ
فِيهِمْ ، وَحَمَلَ أَنْقَالَهُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ كَانَ مَا بُلْغَتْ حَقًا مِنْ إِخْنَاءِ الدَّهْرِ عَلَيْهِمْ ،
وَسُوءِ تَأْيِيرِهِ فِيهِمْ ، فَإِنَّ أَخْبَارَهُمْ كَرِيمَةٌ فِي التَّوَابِ إِذَا نَابَتْهُمْ ، وَنَفْوَهُمْ عَزِيزَةٌ
تَأْتَى الْأَنْقِيادُ مَا لَا يَحْسُنُ ، وَالْمُطَاؤَعَةُ فِيمَا يَشَاءُنَّ وَلَا يَرَى . وَجَوابُ «فَإِنْ يَكُ حَقًا»
مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فَإِنَّهُمْ كَرِامٌ ، لَأَنَّ مَعْنَاهُ فِيهِمْ يَصْبِرُونَ صَبْرَ الْكِرَامِ .
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ ؛ لَأَنَّ الْمَعْنَى : فَإِنَّكَ تَمْلِكُهُمْ
وَتَقْدِيرُهُمْ عَلَيْهِمْ .

٥ - فَقِيرُهُمْ مُبْدِي الْغِنَى وَغَنِيَّهُمْ لَهُ وَرَقُ لِلسَّائِلِينَ رَطِيبٌ
يَقُولُ : مُحْتَاجُهُمْ مُتَجَمِّلٌ ، وَبِمَا لَا تَنَاهُ مَقْدُرَتُهُ وَلَا يَنْهَضُ وُسْعُهُ مُتَكَبِّرٌ ،
وَظَاهِرُهُ الْغِنَى أَكْفَاءٌ بِمَا يَمْلِكُهُ ، وَتَصْنَعُهُ مِنْ يَرْمُقُهُ ؛ وَغَنِيَّهُمْ لَهُ إِفْضَالٌ عَلَى
الْعُفَافِ ، وَمَعْرُوفٌ عِنْدَ السُّؤَالِ ، يَحْمِيُّونَ فِي جَنَابَتِهِ ، وَيَعِيشُونَ فِي كَنْفِهِ وَظَلَالِهِ .
وَقَوْلُهُ «لَهُ وَرَقٌ» مَثَلٌ ضَرَبَهُ لِلنَّدَى ، وَأَصْلُهُ هَاهُنَا وَرَقُ الشَّجَرِ ، وَبِهِ عَيْشُ
الْمَالِ : الْإِبْلِ وَالْفَنَمِ . وَإِذَا لَمْ يَمْنَعُوا مِنَ الْوَرَقِ عَاشَ النَّاسُ فِي فِنَائِهِمْ . هَذَا
الْأَصْلُ ، ثُمَّ يَتَمَثَّلُ بِهِ بَعْدُ لِغَيْرِهِ مِنْ ضَرُوبِ الْمَنَافِعِ ، وَوِجْهِهِ الْمَازِيُّ . وَسَلَكَ
فِي هَذِهِ الْاسْتِعَارَةِ وَالْمَثَلِ مَسْلَكَ زَهِيرٍ حِيثُ يَقُولُ :
وَلِيسَ مَانِعَ ذِي قُرْبَى وَلَا رَحْمٌ يَوْمًا وَلَا مُغْدِمًا مِنْ خَابِطٍ وَرَقاً

(١) الْبَيْنَنُ لِطَرْفَةٍ فِي مَعْلَقَتِهِ .

ويقال : وَرَقَتِ^(١) الشَّجَرَةُ وَأَوْرَقَتِ ، وَشَجَرَةُ وَرِيقَةُ ، إِذَا كَثُرَ وَرْقُهَا .
وَالْوِرَاقُ : زَمْنُ خَرْجِ الْوِرَقِ ، كَالصُّرَامِ وَالْجَدَادِ .

٦ — ذَلُولُهُمْ صَعْبُ الْقِيَادِ وَصَعْبُهُمْ ذَلُولٌ بِحَقِّ الرَّاغِبِينَ رَكُوبُ^(٢)
يقول : مَنْ كَانَ سَهْلًا لِجَانِبِهِ مِنْهُمْ تَرَاهُ مُتَعَسِّرًا إِذَا سِيمَ الضَّيْمَ ، مُتَصَعِّبًا
فِي النِّزَامِ الظَّلْمِ وَالْجُورِ ؛ وَالْأَبِي الْخَشِنُ الْخُلُقُ مِنْهُمْ مُعْتَرِفٌ بِحَقِّ الرَّاغِبِينَ ،
مُرْكَبٌ بِهِ وَلَا يَمْنَعُ ، وَيُقَادُ لَهُ وَلَا يَأْتِي . وَقُولُهُ رَكُوبٌ ، هُوَ فِي مَعْنَى مَفْعُولٍ
هَاهُنَا . وَالذَّلُولُ : الْوَطِيْهُ الظَّهَرُ ، وَالذَّلُولُ وَالذَّلِيلُ يَرْجِعُونَ إِلَى السَّهْلَةِ وَالْوَطَاءَةِ ،
وَإِنْ كَانَ كُلُّ ثُقُولٍ يَنْفَدِعُ يَتَمَيَّزُ عَنْ صَاحِبِهِ بِمَا يُضَادُهُ . أَلَا تَرَى أَنَّ ضِدَّ الذَّلُولِ
بِالضِّمْنِ الْعِزَّةِ ، وَضِدَّ الذَّلِيلِ بِالسَّكْرِ الصَّعُوبَةِ .

٧ — إِذَا رَنَقَتِ أَخْلَاقَ قَوْمٍ مُصِيبَةٌ تُصَنَّفُ بِهَا أَخْلَاقُهُمْ وَتَطَبِّبُ^(٣)
يقول : إِذَا كَدَرَتِ الْمَصَابِ أَخْلَاقُ النَّاسِ فَتَغَيَّرَتْ ، حَتَّى لا يَصِيرَ عَلَيْهَا
تَخْمِيلٌ ، وَلَا إِلَيْهَا مِنَ التَّوَائِبِ مَلْجَأٌ ، فَإِنَّ أَخْلَاقَ هُؤُلَاءِ تُصَنَّفُ بِهَا [وَهَا^(٤)]
وَتَطَبِّبُ عِنْدَ تَحَامِلِهَا ؛ كَأَنَّهُمْ كَلَّا ازْدَادُوا امْتِحَانًا بِالدُّهُرِ ازْدَادُوا طَلَاقَةً وَهَشَاشَةً ،
وَلِينَ مَعْطِفٍ وَلُدُونَةً ، وَنُهُوضًا بِالْأَعْبَاءِ ، وَصَبِرًا لَدَى الْلَّاؤَاءِ . وَيَقَالُ مَا
رَنِقُ وَرَنِقُ ، وَمَا فِي عِيشِهِ رَنِقُ أَيْ كَدَرٌ .

٨ — وَمَنْ يَعْرُرُ وَمِنْهُمْ بَفَضْلِ إِنَّهُ إِذَا مَا أَنْتَمَيْ فِي آخِرِنَ نَجِيبٌ
أَصْلُ الْفَمِ التَّعْطِيَةُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ دَخَلَ فِي غُمَارِ النَّاسِ . وَالنَّجِيبُ :
الْكَرِيمُ مِنَ النَّاسِ وَالْخَلِيلُ وَالْإِبْلُ ، وَلِذَلِكَ قَيلُ الْمُخْتَارِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الْمُنْتَجَبُ ،
وَفَدَ نَجِيبَ الرَّجُلِ نَجِيَّبَةَ ، وَأَنْجَبَهُ : أَتَى بِأَوْلَادِ نَجِيَّبَةِ . يَقُولُ : وَالْمُنْفُورُ

(١) ضبط في الأصل بتشديد الراء ، وفي مفتحها فقط . وما لفنان صحيحتان .

(٢) م : « لَحْقُ الرَّاغِبِينَ » . (٣) التبريزى : « تُصَنَّفُ لَهُ » . (٤) هذه من م .

الخاملُ منهم ، لظُهورِ الفضلِ عليه ، إذا انتَسَبَ في قومٍ آخرينْ عُدَّ نجيبياً .

ومثله قولُ الآخر^(١) :

يَسُودُ مِنَانَا مَنْ سِوانَا وَبَدُونَا يَسُودُ مُعَدًا كُلُّها مَا تَدَافَعَهُ
وَإِنْ كَانَ هَذَا زَائِدًا عَلَى ذَلِكَ . وَحَذَفَ مَقْعُولٌ «يَغْمُرُوا» لَأَنَّهُ
لَا يَلْتَبِسُ . أَرَادَ وَمَنْ يَغْمُرُوهُ ، أَى الْفَضُولُ^(٢) فِيهِمْ إِذَا انتَسَبَ فِي غَيْرِهِمْ
كَانَ فَاضِلاً .

١١٦

وقالُ القُطَّامِيَّ^(٣) :

١— من يَكُنْ الْحِضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ فَأَيَّ أَنَّاسٍ بَادِيَّةٍ تَرَانَا^(٤)
الْحِضَارَةُ تُكْسِرُ مِنْهُ الْحَاءَ وَتُفْتَحُ ، وَكَذَلِكَ الْبَدَاوِةُ تُكْسِرُ مِنْهُ الْبَاءَ
وَتُفْتَحُ . وَالْمَرَادُ بِالْحِضَارَةِ أَهْلُ الْحِضَارَةِ ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ ، يَدْلُلُ عَلَى ذَلِكَ
قُولُهُ «فَأَيَّ أَنَّاسٍ بَادِيَّةٍ» ، لِأَنَّ التَّفْصِيلَ إِنَّما يَصْحُّ بَيْنَ الْحَسَرَيْنِ وَالْبَدَوَيْنِ .
وَأَيَّ هَذِهِ تُضَافُ إِلَى النَّسْكِرَةِ ، وَلَا تُضَافُ إِلَى أَكْثَرِ مَنِ الَّذِي جَعَلَتْهُ خَبْرًا ،

(١) هو حِيجُور بن خالد الثعلبي ، كاتب سيرته في المعاشرة ١٢٠ .

(٢) في الأصل : «المقصود» ، سوابيه في م .

(٣) القطامي ، بضم الفاف وفتحها : لقب غلب عليه . قالوا سمي به لقوله :
يَحْمَلُنَّ جَانِبَ خَابِيَا صَكَ الْقُطَّامِيَّ قَطَا قَوَارِبَا

واسمه عبد بن شيم التغلبي ، شاعر إسلامي مقل ، ولد في ديوان مطبوع . وكان قبل إسلامه
نصرانيا ، وكان الأخطبل يعجب به كثيرا . وكان يدعى زفر بن الحارث الكلابي لأنه كان
أسره من عليه ووهد له مائة ناقة ورده إلى قومه . الشعر والشعراء ٢٠١ — ٧٠٥ — ٢٠٠
سلام ١٢١ — ١٢٢ والاشتقاق ٢٠٤ — ٢٠٥ المؤتلف ١٦٦ والمرزباني ٢٤٤ — ٢٤٥
والآغاني (٢٠ : ١١٨ — ١٣١) والخازنة (١ : ٣٩١ — ٣٩٤) — ١٨٨ : ٣ / ٣٩٤ —

١٩٠ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(٤) م والبريزى : «من تكن بالباء .

لأنك تُريد صِفَتَه . ألا تَرَى أنك تقول مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَيْ رَجُل ، وأَيْ رَجُل أَخْوَكَ إِذَا جعلته خبراً يَكُون مُخْرَجَ الْكَلَامِ الْمَدْحُ وَالْمَعْجَبُ ، كَانَك قلت : نِهايَةُ فِي الرِّجُولَيَّةِ أَخْوَكَ . فَعَلَى هَذَا قَوْلَهُ فَأَيْ رَجُل بَادِيَّةٌ . فَيَقُولُ : مَنْ أَعْجَبَهُ رَجُلُ الْحَضْرِ ؟ فَأَيْ رَجُلٍ بَدُونُنَا ، إِذَا حُصِّلَتِ الرِّجَالُ . وَالْمَعْنَى : أَيْ أَنَّاسٍ نَحْنُ وَإِنْ كَنَّا مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ . وَالْمَرَادُ الْمَدْحُ وَالْمَعْجَبُ .

٢— وَمَنْ رَبَطَ أَلْجِحَاشَ إِنَّ فِينَا قَنَا سُلْبًا وَأَفْرَاسًا حِسَانًا^(١)

يَقُولُ : وَمَنْ ارْتَبَطَ الْحُمْرُ وَاقْتَنَاهَا ، وَكَانَ عِيشَهُ مِنْهَا ، إِنَّا أَرْبَابُ الْفَزْنِ ، وَآلَانُنَا رِمَاحٌ طِوَالٌ ، وَخَيْلٌ رَائِفَةٌ عِتَاقٌ . وَالْجِحَشُ مِنْ أَوْلَادِ الْحُمْرِ كَلْمَهْرُ
فِي الْخَيْلِ ، وَالْجِمِيعُ الْجِحَاشُ وَالْجِحَشَةُ . وَالثَّلْبُ : الْطَوَالُ ، وَالْوَاحِدُ سَلُوبُ .

٣— وَكَنَّ إِذَا أَغْرَنَ عَلَى جَنَابٍ وَأَعْوَزَهُنَّ نَهْبٌ حَيْثُ كَانَا
يَقُولُ : عَوْزَ الرِّجْلِ كَذَا عَوْزًا ، مُثْلِ عَدَمَ ، وَأَعْوَزَهُ الدَّهْرُ : أَفْقَرَهُ .

وَأَعْوَزَ الرِّجْلُ : سَاعَتْ حَالَهُ ، وَهَذَا لَا يَتَعَدَّى . يَقُولُ : كَانَتْ هَذِهِ الْخَيْلِ إِذَا
أَغَرَتْ عَلَى مَاحُولَهَا مِنِ الْقَبَائِلِ فَبَدَدَتْ شَمْلَهَا ، وَخَوَقَتْ آمِنَهَا ، وَصَارَتْ
تَأْخِذُ حِذْرَهَا ، وَتَقِيمُهَا بِالْبُقْدِ عَنْهَا ؛ حَتَّى أَعْوَزَهَا النَّهْبُ حَيْثُ كَانَ النَّهْبُ ،
لِمَاؤَدِهِمُ الْفَارَةُ وَقَتَّا بَعْدَ وَقْتٍ ، وَإِدَامَتْهُمُ إِيَاهَا ؛ وَإِلْحَاحَهُمُ بِهَا . وَقَوْلُهُ « إِذَا
أَغْرَنَ » ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ أَغْرَنَ مِنِ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ ، وَهُوَ جَوَابُهُ ، وَالْجَملَةُ
خَبْرٌ كُنْ .

٤— أَغْرَنَ مِنِ الضَّبَابِ عَلَى حُلُولِ وَضَبَّةٍ إِنَّهُ مَنْ حَانَ حَانَا

(١) أشار ابن جني في التبيه إلى رواية « سلما » بالتعريف . قال : « وَمَنْ رَوَى سَلْمًا
وَصَفَهُ بِالْوَاحِدِ ، كَقُولَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ : مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ، وَأَعْجَازُ خَلْقِ مُنْقَرٍ . وَمَنْ قَالَ سَلْمًا
وَصَفَهُ بِالْجَمِيعِ ، كَقُولَ اللَّهِ تَعَالَى : وَيَنْشِي السَّعَابَ الثَّقَالَ . وَقَدْ جَاءَ الشِّعْرُ بِهَا جِيَعاً ، وَذَلِكَ
فِيمَا كَانَ يَنْهِي وَيَنْهِي وَاحِدَهُ الْهَاءُ ». »

٥ - وأحياناً على بَكْرٍ أخيناً إذا مالم نَجِدْ إلا أخاناً
 الضباب يشتمل على ضبَّةَ وضبَّبَ ، وجِنْلٍ وحُسْنَلٍ ، فلذلك سُمُوا
 الضباب . يقول : أغارت على أقاربهم وعلى الحالات النازلة حَوْلَمَ وفيهم ، لأنَّ
 من قُدرٍ له الحُلْمُ فقد أدركه . وللمعنى : إنهم لا عتادهم الغارة لا يصيرون عنها ،
 حتَّى إذا أعزُّهم الأبعاد عطفوا على الأقارب . ألا ترى أنه تم ذلك بقوله :
 وأحياناً على بَكْرٍ أخيناً إذا ما لم نَجِدْ إلا أخاناً
 وقوله : «إنه من حان حانًا» يسمى الالتفات ، كأنه التفت إلى إنسانٍ
 فقال : إنه من هَلَكَ بفَزْنَا فقد هَلَكَ . وقوله «على بَكْرٍ» تعلق بفعلٍ مضمرٍ
 دَلَّ عليه ما تقدم فيما قبله ، كأنه قال : وأحياناً أغرنَ على بَكْرٍ .

١١٧

وقال الأعرج المعنى^(١) :

١ - أَرَى أَمَّ سَهْلٍ مَا زَالُ تَفَجَّعُ تَلُومُ وَمَا أَدْرِي عَلَامَ تَوَجَّعَ
 يقول : أرى هذه المرأة تتفجع تارةً وتتوهج أخرى ، تعتبُ على وتلومُ ،
 وما أدرى من أى شيء شَكُواها ، وفي أمرٍ توجَّهَ على عَتْبِها ، لأنَّ لا أتعاطى
 مُنْكَرًا فاستحقَّ به ذلك . وقد مرَ الكلامُ في عَلَامَ وأشباهِه^(٢) . وقوله :
 «ما زال» يريده بـ اتصال تلك الحالة منها ، لأنَّ ما زال لدوم الماضي ، وما يزال
 هو مُسْتَقْبِلُ ما زال ، فيصير لامتداد الحال . فإن قيل : أليس زال ضِدَّ دام

(١) التبريزى : «وهو رجل من الموارج» . وذكره المرزبانى في المجمع ، ٢٥١ ، وقال : «عندى بن عمرو بن سويد بن زبان الأعرج الطائى المعنى ، وقيل سويد بن عدى ، وهو محضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام» . وذكره ابن حجر في الإصابة ، ٣٧١٣ ، ٦٤٠٩ . وأنشد له :

تركت الشعر واستبدلته منه إذا داعي صلاة الصبح فاما
 كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامه والنداما

احرمته الخور وقد أراني بها سدكا وإن كانت حراماً

(٢) انظر ص ١٩٥ .

فكيف يُفيدُ وهو للنَّفْيِ معنى الدوام؟ قُلْتَ: لِمَا دَخَلَ مَا النَّافِيَةُ عَلَيْهِ تَغَيَّرَ معناهُ
إِلَى الإِيجَابِ، لِأَنَّ نَفْيَ النَّفْيِ إِيجَابٌ، فَعَادَ إِلَى معنى الدوامِ. وَقَوْلُهُ: « تَلُومُ »
فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَى تَنَجَّعُ لِأَثْمَةٍ، وَقَوْلُهُ: « وَمَا أَدْرِي عَلَامَ »، يَرِيدُ
وَمَا أَدْرِي مَا يَقْتَضِي هَذَا السُّؤَالُ.

٢ - تَلُومُ عَلَى أَنْ أُعْطِيَ الْوَرْدَ لِقُحَّةٍ **وَمَا تَسْتَوِي الْوَرْدَ سَاعَةً تَفَزَّعَ**

يَقُولُ: تَعِيبُ عَلَيَّ فِي إِبْشَارِي فَرَسِي الْوَرْدَ بِلِبْنِ لِقُحَّةٍ — وَهِيَ النَّاقَةُ التِّي
بِهَا لِبْنٌ — وَمَا تَسْتَوِي هِيَ مَعَ الْوَرْدِ سَاعَةً التَّفَزَّعِ وَوقْتِ الْفَارَةِ . وَقَوْلُهُ
« الْوَرْدَ » مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ . يَرِيدُ: لَا تَسْتَوِي هِيَ مَعَ الْوَرْدِ .
وَلَوْ أَرَادَ مَا تَسْتَوِي هِيَ وَمَا يَسْتَوِي الْوَرْدُ لَمْ يَكُنْ يَحْوِزَ إِلَّا الرُّفْعَ، وَالْعَالِمُ فِي هَذَا
الْمَعْوَلِ^(١) لَا يَعْمَلُ إِلَّا بِتَوْسُطِ الْوَاوِيْنِهِمَا . وَإِذَا أَرَدْتَ تَجْرِيدَ الْفَعْلِ عَلَى مَا يَدْلِي
عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَسْتَوِي، يَكُونُ تَقْدِيرُهُ إِذَا أَظْهَرَتْهُ عَامِلًا فِيهِ: وَمَا تُسَاوِي الْوَرْدَ . وَعَلَى
هَذَا قَوْلِهِمُ : اسْتَوِيَ الْمَاءُ وَالْخَشَبَةُ لِأَنَّ الْمَعْنَى سَاوِيَ الْمَاءَ وَالْخَشَبَةَ . فَإِنْ قِيلَ :
كَيْفَ قَالَ وَلَا أَدْرِي عَلَامَ تَوَجَّعُ، ثُمَّ أَتَبْعَثُ بِقَوْلِهِ تَلُومُ عَلَى أَنْ أُعْطِيَ الْوَرْدَ
لِقُحَّةٍ، وَهُلْ كَذَبَ نَفْسُهُ؟ فَالْجَوابُ أَنَّ قَوْلَهُ مَا أَدْرِي إِنْكَارٌ وَتَفْظِيمٌ لِلشَّانِ ،
وَالْمُتَضَبِّرُ بِالشَّيْءِ . يَقُولُ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ عَالِمًا . وَرَوَى بَعْضُهُمْ « الْوَرْدَ » بِالرُّفْعِ
وَكَانَ الْأَجْوَدُ أَنْ يَقُولَ: وَمَا تَسْتَوِي هِيَ وَالْوَرْدُ، لِأَنَّ عَطْفَ الظَّاهِرِ عَلَى الْمُضْمَرِ
الْمَرْفُوعِ ضَعِيفٌ حَتَّى يُؤْكَدَ . وَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَمَا تَسْتَوِي أُمُّ سَهْلٍ وَفَرَسِي
فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، لَا خَتْلَافٌ غَنَّاهُمَا، وَلِأَنَّ قُصَّارِي تِلْكَ الْهَرَبُ وَالدَّهَشُ ،
وَغَنَّاهُ فَرَسِي كَوْنُهُ عُدَّةً لِلَّدَفَاعِ وَالذَّبْتِ . وَالْأَوْلُ أَجْوَدُ وَأَفْصَحُ وَأَسْلَمُ .

٣ - إِذَا هِيَ قَامَتْ حَاسِرًا مُشْمَعَلَةً **نَخِيبَ الْفَوَادِ رَأْسَهَا مَا تَقْنَعُ**^(٢)

(١) م: « المَفْعُولُ ». (٢) التَّبَرِيزِيُّ: « رَأْسَهَا مَا تَقْنَعُ » ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى .

هذا بيان الحالِ ساعة الفزع ، وموضع إذا نصبَ على أنه بدَلُ من ساعة تفزعُ ، ويكون على ذلك قوله « هنالك يجزينى الذى كفت أصنعُ » من البيت الذى يليه مُنقطعاً ، وإن كان بياناً علة إشاره باللهين واتفاق المساواة بينه وبين المرأة . والمعنى : ما تساوى هذه المرأة الفرس إذا هي قامت بلا قناع ، جادة في العدو ، مُنحوبة القلب ، طائرة اللب ، لا يخاف عليها ولا قناع ، لدهشتها في اختصارها ، وذهابها عن عادتها وإلفها . قوله « مشملة » أى جادة في العدو . وانتصب « رأسها » لأنه مفعولٌ مقدمٌ . ويجوز أن يكون « إذا هي قامت » استئناف كلام ، وحيثئذ يكون جواباً إذا قوله هنالك يجزينى الذى كفت أصنع .

٤ - وقمتُ إليه باللّاجام ميسراً هنالك يجزينى الذى كفت أصنع يقول : وقمتُ إلى فرسى في تلك الحال ، مهيتاً له باللّاجام ، للدفاع والقتال . ثم قال : في ذلك الوقت يجزينى ما أعامله به الساعة من إشاره بلبن ، وتصدير وصنعة . قوله « ميسراً » أى مهيتاً . وفي القرآن : ﴿ فَسَيُسرُهُ لِعُشْرَى ﴾ . هنالك إشارة إلى الوقت ، ويستعمل في المكان . ويقال هناك أيضاً فيما . والعامل فيه هنا يجزينى .

١١٨

وقال حجر بن خالد^(١) :

١ - كُلْبِيَّةٌ عَلِقَ الْفَوَادُ بِذِكْرِهَا مَا إِنْ تَزَالُ تَرَى لَهَا أَهْوَالًا

(١) التبريزى : « وقال حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن حميد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن تعلبة ». وحجر شاعر جاهلى كان معاصرأً لعمرو بن كلثوم ، وكان أنشد شعراً بين يدي النهان بن النذر ، فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطفه عمرو في مجلس الملك ثم اقتض منه حجر ، وأجار الملك حجراً ، فقال حجر أياها يدح بها النهان ، رواها الجاحظ في الحيوان (٣ : ٥٨) . وانظر الحاسية ٧١٩ .

يقول : عَلِقَ الْفَوَادُ بِذِكْرِ امْرَأَةٍ كُلْبِيَّةٍ ، لَا تزالُ تُقَاسِي مِنْ أَجْلِهِمَا
أَهْوَالًا ، وَتَتَحَمَّلُ مَشَقَاتٍ . قَوْلُهُ «عَلِقَ الْفَوَادُ بِذِكْرِهَا» يُحَوِّزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ
عَلِقَ ذِكْرُهَا بِالْفَوَادِ فَقَلَّبَ ، لِأَنَّ الْمَرَادَ مَفْهُومٌ ، وَيَكُونُ كَوْلُ الْآخِرِ :
* عَلِقَ الْأَحْشَاءَ مِنْ هِنْدٍ عَلَقُ *

وَكَانَ يَقَالُ عَلِقَ بِقَلْبِهِ عَلَاقَتُهُ . وَيُحَوِّزُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَ الْفَوَادَ تَابِعًا لِذَكْرِ
فَكَانَهُ تَعْلَقَ بِهِ . وَكُلُّ شَيْءٍ وَقَعَ مَوْقِعَهُ قَبْلَ عَلِقَ مَعَالِيقَهُ . وَجَعَلَ صَدْرَ الْبَيْتِ
عَلَى الْإِخْبَارِ عَنْهَا ، ثُمَّ نَقَلَ الْكَلَامَ إِلَى مُخَاطَبَةِ نَفْسِهِ . وَيُحَوِّزُ أَنْ يَكُونَ اسْتَمْرَأَ
فِي الْإِخْبَارِ عَنْهَا وَيَكُونُ الْمَعْنَى : عَلِقَهَا الْفَوَادُ فَلَا تَرَالُ هِيَ تُقَاسِي أَنْتَ بِسَبِيلِهِ
أَهْوَالًا . وَ«إِنْ» مِنْ قَوْلِهِ «مَا إِنْ» زَيَّدَتْ لَنَا كِيدَ النَّفْيِ .

٣ — فَأَقْنَى حَيَاءَكَ لَا أَبَا لَكَ إِنِّي فِي أَرْضِ فَارِسٍ مُؤْتَقِّنٌ أَهْوَالًا
أَقْبَلَ يَخَاطِبُ الْمَرْأَةَ قَالَ : أَنْزِمِي حَيَاءَكَ ، أَئِ لَا تَفْعَلِي مَا يُقَالُ نُسِيَ الْحَيَاةَ
مَعَهُ وَأَطْرِحَ ، إِنِّي مَحْبُوسٌ فِي أَرْضِ فَارِسٍ سَيِّنِينَ لَا أَبَا لَكَ . وَقَوْلُهُ
«لَا أَبَا لَكَ» بَعْثٌ وَتَحْضِيضٌ ، وَلِيُسَبِّحَ لِلْأَبُوَةِ . وَخَبَرٌ لَا مَذْوَفٌ ، لِأَنَّ
الْمَعْنَى لَا أَبَا لَكَ ، وَدَخَلَتِ الْلَّامُ مُؤَكِّدَةً لِلِإِضَافَةِ ، لِأَنَّ هَذِهِ إِضَافَةٌ لَا تُخَصِّصُ ،
فَسَاغَ تَأْكِيدُهَا بِالْلَّامِ ، وَلَوْ كَانَتِ الإِضَافَةُ مُخَصَّصَةً لِكَانَ لَا يَعْمَلُ فِي أَبَا لَكَ .
وَتَقْدِيرُ الْخَبَرِ : لَا أَبَا لَكَ مَوْجُودٌ . وَيَقَالُ : قَنِيْ يَقْنَى ، وَأَقْنَى : أَمْرٌ مِنْهُ . وَقَنَا
يَعْنُونُ . قَالَ الْمَلَمَسُ :

* كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطْعَةٍ مُضَلَّ (١) *

وَإِنَّا قَالَ إِنِّي مُؤْتَقٌ وَمِمَّا يَكُنْ قَدْ أَسْبَرَ وَأَوْثَقَ ، لِعَلْمِي بِمَا يُؤْوَلُ إِلَيْهِ فِي

(١) صدره : * فَأَلْقَيْتَهَا بِالثَّنِي مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ

مَقْصِدُهُ أَمْرُهُ ، كَأَنَّهُ لَا وَطَنَ نَفْسَهُ عَلَى تَرْكِ التَّحَاجِيِّ وَالاِتِّقَاءِ عِلْمَ أَنَّ أَخْسَنَ الْعَاقِبَيْنِ فِيهِ الْأَسْرُ ، فَذَكَرَهُ . وَيَكُونُ هَذَا كَوْلُ الْآخِرِ :

* قَدْ يَتَقَمَّتْ بَنْتِي وَأَمْتُ كَنْتِي *

فَهَذَا وَجْهٌ ، وَيُحُوزُ أَنْ يَكُونَ قَالَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ بَعْدِ الْأَسْرِ .

٣— وَإِذَا هَلَكَتْ فَلَاتُرِيدِي عَاجِزًا غُسًا وَلَا بَرَمًا وَلَا مِعْزًا

لِيُسَقَّدُهُ فِي هَذِهِ الْوَصَّاَةِ إِلَى أَنْ يَبْعَثَهَا عَلَى تَخْيِيرِ الرِّجَالِ ، أَوْ يَرْشِدَهَا

لِوْجُوهِ الْإِنْتِخَابِ^(١) ، وَإِنَّمَا الْمَرَادُ : اطْلَبِي مَثَلِي . وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا لَا تَنْظُفُ بَنْ يُمَاثِلُهُ

أَوْ يَقْارِبُهُ . وَالْفُسُّ : الْضَّعِيفُ . قَالَ :

* فَطَغْنَهُ لَا غُسٍّ وَلَا بِمُغَمَّرٍ^(٢) *

وَالْبَرَمُ : الَّذِي لَا يَدْخُلُ مَعَ الْقَوْمِ فِي الْلَّيْسِرِ ، لِضَيقِ صَدْرِهِ وَتَبْرُمِهِ بِمَا يَلْتَزَمُ

فِي مَثَلِهِ . وَالْمِعْزَالُ : الَّذِي لَا يَحْمِلُ السَّلَاحَ ، وَيَتَنَاهِي أَعْزَالُهُ وَرَفْضُهُ إِيَاهُ .

وَالْأَعْزَلُ مَثَلُهُ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ ابْنِ أَحْمَرَ :

فَإِنَّمَا زَالَ سَرْجُ عن مَعَدٍ وَأَجْدِرُ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا فَلَا تَصْلِي بِعَطْرُوقٍ إِذَا مَا سَرَى فِي الْقَوْمِ أَصْبَحَ مُسْتَكِينًا إِذَا شَرِبَ الْمَرْضَةَ قَالَ أُوْرَكِي عَلَى مَا فِي سِقَائِكِ قَدْرَوِينَا ٤— وَاسْتَبَدَلَيْ خَتَنًا لَأَهْلِكِ مَثَلُهُ يُعْطَى اَجْزِيلَ وَيَقْتُلُ الْأَبْطَالًا يَقَالُ : اعْتَاضَى مِنْ لَأَهْلِكِ خَتَنًا مِثَلَ ذَلِكَ الْخَتَنِ ، يُعْطَى عَطَاءً جَزَلًا ، وَيَقْتُلُ الْأَبْطَالَ بَطَلًا فَبَطَلًا . وَمِثْلُهُ يَرْتَفِعُ بِالْأَبْتِداءِ ، وَمَا بَعْدُهُ فِي مَوْضِعِ اَخْتِرِ لَهُ ، وَالْجَلَةُ فِي مَوْضِعِ الصَّفَةِ لِلْخَتَنِ ، وَلَا يُحُوزُ نَصْبَ « مَثَلُهُ » .

(١) م : « الْإِنْجَابُ » .

(٢) لَزَهِيرُ بْنُ مُمْوُدٍ ، فِي الْلَّاسَانِ (غَسٌ) . وَصَدْرُهُ :

* فَلَمْ أُرْقَهُ مَنْ يَنْجُ مِنْهَا وَانْ يَعْتِ *

٥- **غَيْرَ الْجَدِيرِ بِأَنْ تَكُونَ لَقَوْحَهُ** رَبَّا عَلَيْهِ وَلَا الْفَصِيلُ عِيَالًا

(١) هذا أيضًا من صفة الختن . يقول : لا يكون خليقًا بأن يكون ملوكًا ملله

لامالكاً ، ويخلع الفصيل منه تحمل العيال لا تحمل المال . وهذا كما قال الآخر :

فَلَا وَاللَّهِ مَا لَتَبَني بِرَبِّهِ وَلَا لَحْمِي عَلَيْهِ وَلَا سِلَانِي^(٢)

واللقوح صفة ، يقال ناقة لقوح إذا كان بها لين ، وجمعه لقوح . قال

الخليل : فإذا أرادوا استعمالها على حد الأسماء قالوا لقحة ، يقال : هذه لقحة فلان ،

للناقة الخلوب — ولا يقال ناقة لقحة — والجميع لقاح .

١١٩

وقال ابن رميس العنبرى^(٣) :

١- بَاتُوا نِيَامًا وَابْنُ هِنْدٍ لَمْ يَنْمِ

٢- بَاتَ يُقَاسِيهَا نُـلَامُ كَالَّزَامُ

يقول : مكث الناس نائمين في ليتهم ، وهذا الرجل لم ينم ، لأنَّه كان يَتَ للغاره ، ثم قال «بات يقاسيها» ، أي يُعاني الغاره كيف يُوقئها ويدبرها حتى

(١) في الأصل : « بما له » ، وأثبتنا ما في م .

(٢) سبق البيت في م ٤٤٠ .

(٣) هو رشيد بن رميس ، بهيئة النصیر فیهمما . في الأصل : «رميس» ، تحریف صوابه ق م . والعنبرى ، كذا وقع في نسخة المزوقي ، والصواب « العنبرى » ، نسبة إلى بني عنبر ابن وايل ، أو بني عترة . انظر ناج العروس (٥ : ٣٧) ، والأرجح أنه من بني عترة . انظر أمالى القالى (٢ : ١٢٦) وتحقيق اسمه في حواشى الحيوان (٥ : ٤٣٤) وسط اللآلى ٧٢٩ . وقال التبرىزى : قال أبو رياش : هذه قائمها في غارة الخطم ، وهو شريح بن شرجيل بن عمرو وبن مرشد ، أغاث على اليمين فقتل ولعنة بني معدى كرب ، أنا قيس ، وسي بنت قيس بن معدى كرب ، أخت الأشعث بن قيس ، فبعث الأشعث يعرض في قائمها بكل قرن من قرونها مائة من الإبل ، فلم يفعل الخطم ، وماتت عنده عطشا .

يأخذ فيها، علام مدمج انفاقٍ خفيفٍ نصفٍ مسمرٍ، كأنه قدحٌ يعني ابن هنديٌ.
والزَّلَمُ بفتح الزاء وضمها : القدحُ كان يُستَقْسِمُ به . قال الله تعالى : «وَأَنْ سَتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ» ويجوز أن يكون المضمرين في باطوا
المعار علىهم .

٣- خَدَلْجُ السَّاقَيْنِ خَفَاقُ الْقَدَمِ

٤ - قد لفها الليل بسوق حطم

يصفه بأنه غليظ الساقين ، ولوطنِه الأرض صَوْتُ ، ولقدمه حَفْقٌ ، وهو مُرْعَة اخْلَطَوْ مع ضرب الأرض بها ، كأنه يشير بهذا إلى ثباته وقوته في العمل والسير ، وشدة بلانه وصبره على السُّكَد . وقوله « قد نَهَا » يريد الإبل . وجعل الفِعل لِلليل على المجاز . والمعنى : جَمِيعَهَا بِرَجُلٍ مُتَنَاهِي الْقُوَّةِ ، عنيف السُّوقِ ، يَكْسِرُ الطَّرَائِدَ بعَضًا^(١) على بعض ، لقلة رفقه وكثرة عَسْفِهِ ، وأنه قليل الْفَكْرِ فيها إذ كانت حصَّلت بالغارة ، فإن سَلَّمَتْ فهى غُمْ ، وإن تَلَفَتْ فليسَتْ بِغُرْمٍ ، فالغُوضُ منها بالقُرْبِ . وقوله « حُطْمٌ » بناءً للمبالغة ، وهو من الحطم السَّكَرِ .

٥- لَيْسَ بِرَاعِي إِبَالٍ وَلَا غَنَمً

٦- ولا بجزَّارٍ على ظهْرِ الْوَضْمَ

يقول : لا يرْفَقُ هذا الرجل بِوَسائِقِهِ رِفْقَ الرُّعَاةِ ، ولا رِفْقَ الْجَزَارِ ،
وذلك أَنَّ الرَّاعِي مُكْتَرٌ لِاستِصْلَاحِ مَرْعِيَّهِ ، وَحَفْظِ ماضِمٍ إِلَيْهِ بِجَهْدِهِ ،
وَالْجَزَارُ لَا يَسْتَهِنُ بِكُلِّ مَالِهِ لَا يَعْنِفُ عَنْفًا مَنْ لَا يَبْلِي بِهِ . وَهَذَا صِفَةُ الْمُغَوَّرِ

(١) م : « بعضها

القليل الفِكْرُ فِي فَسَادِ مَا يَحْوِيهِ مِنْهَا ، الْذَّاهِبُ عَنِ اسْتِبْقَائِهَا ، لَا يَبْلُى كَيْفَ اسْتَوْسَقَتْ ، وَعَلَى أَيِّ حَالَةٍ تَحْصَلَتْ .

١٢٠

وقال جعفر بن علبة الحارثي^(١) :

١— أَلَا لَا أَبَلِي بَعْدَ يَوْمِي بِسَحْبِلٍ إِذَا لَمْ أُعَذَّبْ أَنْ يَجْعَلِي حَمَامِيَا^(٢)

يقول : اشْتَفَقْتُ مِنْ أَعْدَائِي يَوْمَ سَحْبِلٍ — وَهُوَ اسْمَ وَادٍ — وَأَدْرَكْتُ آثارِي^(٣) عَنْهُمْ فَلَا أَبَلِي بَعْدَهُ مَوْتِي بَعْدَهُ إِذَا لَمْ يُعَذَّبْ بْنَيَ اللَّهِ تَعَالَى تِبَارِكَ اسْمُهُ ، إِذْ كُنْتُ نِلْتُ أُمْنِيَّتِي ، وَقَضَيْتُ مَأْرِبِي . وَالَّذِي تَنَوَّلَهُ قَوْلُهُ « لَا أَبَلِي » هُوَ أَنْ يَجْعَلِي حَمَامِيَا . وَيَقُولُ لَا أَبَلِي كَذَا وَلَا أَبَلِي بِكَذَا . وَإِذَا لَمْ أُعَذَّبْ طَرْفُنْ لَلَا أَبَلِي ، أَيْ لَا أَبَلِي بِالْمَوْتِ إِذَا سَلِمْتُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَإِنَّمَا أَنِّي يَا ذَرْجَاءَ أَنْ يَكُونَ الْأَسْرَ كَذَلِكَ . وَقَدْ مَضَى القَوْلُ فِي أَبَلِي وَأَصْلِهِ وَمَا اسْتَقْرَرَ عَلَيْهِ فِي الْاسْتِعْدَالِ ، وَأَنَّ قَوْلَهُمْ لَا أَبَلِي بِاللَّهِ أَصْلِهِ عِنْدَ سَبِيبِهِ بِالْيَهُ فَخُفْفَ . وَقَدْ ذَهَبَ غَيْرُهُ إِلَى أَنَّهَا مَقْلُوبَةٌ ، وَيَقُولُ فِي بَالَّتِي إِنَّهَا فَعْلَةٌ ، وَإِنَّ أَنْفَهَا مَنْقُلَبَةٌ عَنْ وَاوْ ، وَأَنَّ أَبَلِي كَانَ أَبَوِيلُ أَيْ لَا أَكَاثِرْ ، شَمْ وَضْعَ مَوْضَعٌ لَا أَخْفِلُ وَلَا أَكْتَرُ . وَلِلتَّرجِيحِ وَالنَّظَرِ فِي الْمَسْأَلَةِ مَوْضَعٌ غَيْرُهُذَا .

٢— تَرَكْتُ بِجَنِي سَحْبِلٍ وَتِلَاعِيَهِ مُرَاقَ دَمٍ لَا يَبْرُحُ الدَّهَرَ ثَاوِيَا أَخْذَ يَقْتَصِنَ مَا هَوَنَ عَلَيْهِ الْمَوْتَ مِنْ فَلِهِ ، فَيَقُولُ : تَرَكْتُ بِجَنِي هَذَا الْوَادِي

(١) سبقت له الخامسة الرابعة . التبريزى : « وقال جعفر بن علبة الحارثي حين لقي بنى عقبة » .

(٢) التبريزى : « يوم سحبل » .

(٣) الآثار : جمع ثأر بالقلب ، ومثله الآثار .

ومسائل مياهه مصوب دم ، يلزم ذلك المكان على مرور الأيام فلا يبرح . وقوله « ثاوِيَا » من ثوَى بالمكان ، إذا أقام . يقال ثوَى وأُثْوَى جميعاً . وقوله « مُرَاقَ دَمًّ » يجوز أن يريد موضعًا أرقى به دَمًّ ، كما يجوز أن يريد به دَمًّا مُرَاقًا ، ولكن إذا أريد به الموضع يكون لا يبرح من صفة الدَم ، ويجوز أن يريد به رجلاً أرقى دمه ويكون كقولك هو حَسْنٌ وجَهٌ . وذكر بعضهم أن المراد مُرَاق دَم لا يزال ذكره باقياً على الدَّهر ، خذف المضاف . والتلاع : جَمْع تَلَعَّة ، وهي أرض مرفوعة يتَرَدَّد فيها السَّيل إلى بطن الوادي . ومن الاستعارة الحسنة : فلان لا يُوثقُ بسَيْلٍ تَلَعِتَه ، إذا كان غير صَدُوقٍ في أخباره .

٣—إذا ما أتَيْتَ الْحَارِثِيَّاتِ فَانْتَهِيَ لَهُنَّ وَخَبْرُهُنَّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا هذا كلامُ رجل يوئسُ أَحِبَّتَهُ من نفسه لاستشهاده ، أو لأنَّه مُنِيَّ بما لم يرْجُ الخلاصَ منه . فقال : إذا زَرْتَ نَسَاءَ بَنِي حَارِثَةَ فَأَذْكُرْ مَوْتَ لَهُنَّ ، وأعْلَمُهُنَّ أَنَّه لا التقاء بيني وبينهن . قوله « أَنْ لَا تَلَاقِيَا » أَنْ مَخْفَفَةً من أَنَّ الشَّيْءَةَ ، واسمه مُضْمَرٌ ، وتلاقياً نَصْبٌ بلا وَبَرْهٌ مُحْذَفٌ ، المرادُ لَا تلَاقِيَ لَنَا ، والهاء في أَنَّه ضمير الشأن والأمر ، والمحلَّةُ خَبْرُ أَنْ . وهذا البيت مع ما بَعْدَهُ لِسَالِكَ بْنَ الرَّئِبَ (١) فِيمَا أَظَنَ ، وانْفَتَمَا إِلَى أبياتِ جَعْفَرَ بْنَ عُلَيْبَةَ عَلَى سَيْلِ الْفَلَطِ .

٤—وَقَوْدَ قَلَوْصِي فِي الرُّكَابِ فِيهَا سُتْضِحِكُ مَسْرُورًا وَتُبَكِّي بِوَاكِيَا يقول : وَأَكِيرٌ قَوْدَ ناقتي حالاً بعد حال ، فإنَّ الأعداء يَشْتَمُونَ إذا استدلوها بها ويضحكون سروراً ، والأصدقاء ذواتُ الشَّفَقة يَغْتَمُونَ فيكون توجعاً (٢) . وهذا الكلام تحزن وتحشر . وقوله « سُتْضِحِكُ مَسْرُورًا وَتُبَكِّي بِوَاكِيَا

(١) انظر المخازنة (١: ٣١٧ - ٣١٩) . (٢) كذلك في النسختين .

بواكيما» من باب وصف الشيء بما يُؤول إليه، ومثله قوله: خرجت خوارجها.
وقول الفرزدق:

* قَتَلْتَ قَتِيلًا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَه *

والقلوص، قال الخليل: هي الناقة الباقة على السير، لا تزال قلوصا حتى
تبزُل^(١). وإنما سميت قلوصا لطول قوائمها ولم تتجسم بعد.

١٢١

وقال آخر^(٢):

١— لَعْمَرِي لَرَهْطُ الْمَرْءُ خَيْرٌ بَقِيَةً عَلَيْهِ وَإِنْ عَالَوْا بِهِ كُلَّ مَرْكَبٍ
خَيْرٌ «لَعْمَرِي» مُضْمِرٌ ولا يجوز إظهاره، وهو قسمٌ، ولا يجوز أيضاً
فيه إلا فتح الميم، ولرَهْطُ جوابه. والرَّهْطُ يقع على ما دون العشرة، وهذا
دخل عليه من الأسماء أسماء الآحاد فقيل ثلاثة رَهْطٌ . ومثله نَفَرٌ، ولو كان يقع
على الكثير لما جاز ذلك فيه. ألا ترى أنك لا تقول ثلاثة إبل . وانتساب
«بَقِيَةً» على التمييز، وموضع «وَإِنْ عَالَوْا بِهِ» نَصْبٌ على الحال للرهط،
وجواب الشرط فيها دلالة عليه قوله «خَيْرٌ بَقِيَةً». قوله «كُلَّ مَرْكَبٍ»
يريد به كُلَّ مَرْكَبٍ مذمومٍ . وعاليته بغلان بمعنى أعلىته . ومعنى البيت:
وبقائي، لعنة الرجل أحسن إبقاء عليه، وأكثر حشمة له، وإن أركبوه
مراكب صفتة مكرودة، وأنزلوه منازل حزنَة مذمومة.

٢— مِنَ الْجَانِبِ الْأَفْسَى وَإِنْ كَانَ ذَاغِيَ جَزِيلٌ وَلَمْ يَخِرِّكَ مِثْلُ مُجَرِّبٍ
تعلق «من» بقوله خَيْرٌ بَقِيَةً، لأن معناه أَفْعَلُ الذِّي يَتَمَّ بِمِنْ . يقول: هُمْ

(١) البازل: التي استكملت الثامنة وطعنت في التاسعة.

(٢) هو خالد بن نضلة، كما في الحيوان (٣: ١٠٣) والبيان (٣: ٢٥٠).

أَحْسَنُ إِبْقَاءً عَلَيْهِ مِنَ الْغَرِيبِ الْأَبْعَدِ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ مُخْتَشِّاً فِي نَفْسِهِ غَيْرًا ، وَمُؤْتَلًا مَهِيَّبًا . وَقَوْلُهُ « وَإِنْ كَانَ ذَا غَنْيَ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْضًا . وَالْجَانِبُ يَرَادُ بِهِ الْجِنْسُ لَا وَاحِدًا بِعِينِهِ . وَقَوْلُهُ « لَمْ يُخْبِرْكَ مُثْلُ مُجَرَّبٍ » يُخْبِرُ بِمَجْرِيِ الْالْتِفَاتِ ، وَهُوَ تُوكِيدٌ لِلْخَبَرِ الَّذِي أُورَدَهُ ، وَتَحْقِيقُ لِمَا أَنْبَأَ بِهِ وَشَرَحَهُ ، وَأَنَّ مَا قَالَهُ قَالَهُ عَنْ تَجْرِبَةٍ وَخَبْرَةٍ ، لَا عَنْ سَمَاعٍ وَخَبَرٍ .

٣— إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ فَكُلْ مَا عَلِفْتَ مِنْ خَيْثٍ وَطَيْبٍ
هَذَا السَّكَلُمُ تَحْذِيرٌ مِنَ الْأَغْتَارِ بِالْأَجَابِ ، وَالْاسْتِنَامَةِ إِلَى نَاهِيَّتِهِمْ ،
وَبَعْثَةٌ عَلَى طَلَبِ مَوْافِقَتِهِمْ وَتَرْكِ الْخَلَافِ عَلَيْهِمْ ، بَعْدَ الْحُصُولِ فِيهِمْ ، وَأَنَّ
اسْتِعْمَالُ الْإِدَلَالِ مَعْهُمْ ، وَالْأَخْذُ بِالْمُضَايِقَةِ فِي إِبْنَاهُمْ وَالْاسْتِيَافَةِ مِنْهُمْ غَيْرُ وَاجِبٍ .
وَيَرَوِيُّ : « فِي قَوْمٍ عِدَّى لَسْتَ مِنْهُمْ » وَيَكُونُ مَعْنَى لَسْتَ مِنْهُمْ : وَأَنْتَ
لَا تَهُوَى هُوَاهُمْ . وَالْعِدَّى يَقُولُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ ، يَقُولُ رَجُلٌ عِدَّى ، وَقَوْمٌ
عِدَّى ، أَى بُعْدُ غَرِيَّاهُ . وَقَوْلُهُ : « كُلْ مَا عَلِفْتَ » مَثَلٌ . وَمَثَلُهُ :
* وَلَا تَطْعَمْنَ مَا يَعْلَفُونَكَ *

وَكَانَ الْعَلْفَ مُخْتَصٌ بِهَذَا الْمَعْنَى ؛ فَإِنَّ لَمْ أَجِدْهُ فِي غَيْرِهِ .

١٢٢

وَقَالَ الْبُرْجُ بْنُ مُسْهِرٍ^(١) :

١— فَنِعْمَ الْحَيُّ كَلْبٌ غَيْرُ أَنَا رَأَيْنَا فِي جِوَارِهِمْ هَنَّا

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَثَلٌ » وَأَنْبَتَنَا مَا فِي مَوْلَانَا التَّبَرِيزِيِّ .

(٢) هُوَ الْبُرْجُ بْنُ مُسْهِرٍ بْنُ جَلَاسٍ ، أَحَدُ بْنِ جَدِيلَةِ الْمُؤْتَلِفِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ عَمْرُو بْنِ عَامِةِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ جَدِيعَ بْنِ ذَهْلَ بْنِ رُومَانٍ . وَهُوَ مِنْ مَعْرِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَكَانَ قَدْ جَاءَهُ كَلْبًا أَيَّامَ حَرْبِ الْفَسَادِ فَلَمْ يَعْمَدْهُمْ . الْمُؤْتَلِفُ ٦١ وَشَرَحُ التَّبَرِيزِيِّ عَلَى الْحَالَةِ فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ . وَانْظُرْ لِحَرْبِ الْفَسَادِ شَرَحُ التَّبَرِيزِيِّ وَالْأَغَانِيِّ (١١ : ١٢٧) وَالْمِيَانِيِّ (٢ : ٣٥٨) .

هذا الكلام تهكمٌ وسخريةٌ . وجاز أن يأني به بلطف المدح لأنه بما بعده تبينَ الفرضُ ؛ فيكونُ أبلغَ في المزءُ . والمنات : الأمور المتكررة ، ولا تستعمل إلا في الشر^(١) ، وهي جمْع هنَّةٍ ، وإنما يُكتَنُ بها عن المحرَّرات ، كأنه يُرى الإبقاء والجاءلة ، ويُخْرِي الأمر على الداجنة وترك الجاهزة . وقد يُجمِعُ هنَّةٌ على هنَّواتٍ ، فن ردَ اللام في الجمع ردَّه في النسبة أيضًا ، ومن لم يَرُدْه فهو في النسبة بالخيال ، إن شاء قال هنَّى وإن شاء قال هنَّوى . فيقول : قبيلة كلب محمودة في الأحياء ، غيرًا نَمِينَا في جوارِهم بدواه وبلينا بمنكرياتٍ . والاستثناء في هذا المكان يكون منقطعًا . وكان فارق قومه طينًا مُرَايًّا وجاور كلبًا فلم يَحْمِدْ جوارِهم فتار قومهم دائمًا لهم .

٣— وَنِيمَ الْحَىُّ كَلْبٌ غَيْرُ أَنَا رُزِينَا مِنْ بَنِينَ وَمِنْ بَنَاتِ

يريد مثل ما أراد في البيت الأول من السخرية . ومعنى رُزِينَا : أصبنا ببنين وبنات . ويقال فلانٌ مُرزاً في ماله فيكون مَدْحَى ، وفلانٌ مُرزاً في أهله فيكون تَرْحَمًا وتوجُّعًا . ومثل هذا التهكم قول الآخر^(٢) :

فِدَى لِسْلَمَى ثُوبَى إِذْ دَنِسَ الْ قَوْمُ وَإِذْ يَدْسُونَ مَا دَسُوا
فَالْتَّقْدِيَّ هَا هَنَا كَالدَّحْ بِنْعَمَّ . وقوله « من بَنِينَ » مِنْ دَخَلَ للتفضيل ، كأنه قال : رُزِينَا أَنَاسًا من بَنِينَ وَمِنْ بَنَاتِ . ومفعول رُزِينَا مُحذوف ، ويجوز أن يكون زاد مِنْ في الواجب على ما أجزاء الأخشن وحكاه عنهم من قوله : « قد كان من مطرِ خلَّ عَنِّي^(٣) » ، فيكون المراد رُزِينَا ببنين وبنات .

(١) ذكر التبريزى أن بعض المحدثين ، قد استعملها في الحير ، وهو قوله : وعشرة محمودة تحتها مساعدات وهنات عذاب

(٢) هو الجبيح الأسدى . المفضليات (٤٠ : ١) .

(٣) كذا في م . وفي الأصل : « على ما أجزاء الأخشن وحكاه عنه كان من مطر » . وفيه تحريف وقعن .

٣- فإنَّ الْفَدَرَ قدْ أَمْسَى وَأَضْحَى مُقِيمًا بَيْنَ خَبْتَ إِلَى الْمَسَاتِ^(١)
 يقول زارياً عليهم ومبيناً : إنه نالهم ما نالهم لأنَّ الْفَدَرَ مُقِيمٌ فيما بين ديارهم ،
 وما انطوى عليه أحشاؤهم . وفائدة قوله أَمْسَى وَأَضْحَى يان اتصالِ الوقت .
 قوله « فإنَّ الْفَدَرَ » الفاء رَبْطٌ أُجلَّةَ التي بعدها بما تقدَّم ورتبها عليه ، كأنه
 قال : قاسوا ما قاسوه في جوارِهِ فانهم غادرون . وخَبْتُ الْمَسَاتُ : ماءانِ
 لَكْلَبٍ . يقول : الْفَدَرُ مُقِيمٌ في كَلْبٍ بين هذين ، أى في أوَّلِ ديارِهِ
 وآخِرِهَا .

٤- تَرَكْنَا قَوْمًا مَنَامَ حَرْبِ عَالِمٍ أَلَا يَا قَوْمٍ لِلأَمْرِ الشَّتَّاتِ

هذا الكلام اقتصاصٌ لحاله ، وإظهارٌ للتائشِ على مجاورةِ كلب ، والتنديم
 على ما اتفق من مفارقة العشيرة . وقوله « يَا قَوْمٍ لِلأَمْرِ الشَّتَّاتِ » تعجبُ .
 والشتاتُ : مصدرٌ وصفٌ به . واللام في الأمرِ لام الإضافة ، لكن فائدةه
 ما ذكرناهُ من التعجب ، وأُتِيَ به مع المدعوه . وقد يقالُ يَا لَزَيْدِ فيكون للنادى
 مخدوفاً . وهذه اللام تدخل مفتوحةً في النادى ويراد به الاعتزاء^(٢) ، كقولك
 يَا لَبْكُرٍ وِيَا لَتَمِيمٍ . فيقول : إنقلنا عن قومنا وفارقناهم مُنذ زمانِ الحربِ التي
 اتفقت بيننا عاماً أوَّلَ . ثمَّ أخذ يستطفهم ، ويقدمُ من مراجعتهم ، ويُظهر
 الحاجةَ إليهم فقال : يَا قَوْمٍ أَقْبِلُوا لِمَا تَشَتَّتَ مِنْ أَمْرِنَا ، وَاخْتَلَّ مِنْ حَالِنَا .
 وقوله « مِنْ حَرْبِ عَالِمٍ » جعلَ مِنْ بَدَلَ مُنذُ ، لأنَّه في المكانِ مثلهِ في الزمان ،
 كما قال زهير^ر :

(١) المسات ، كذا ضبط في النسختين بفتح الميم ، وضبطه ياقوت بضمها .

(٢) الاعتزاء : الادعاء والاتهاء في الحرب ، ومثله التعزى . وفي الحديث : « من لم يتعز بعز الله فليس منا . أى من لم يدع بدعوى الإسلام يقول ياه أو يا للإسلام أو يا المسلمين » .

* أَقْوِينَ مِنْ حِجَّجٍ وَمِنْ دَهْرٍ^(١) *

٥— وَآخِرَ جُنَاحَ الْأَيَامِ مِنْ حُصُونِيهَا دَارُ الإِقَامَةِ وَالثَّبَاتِ
يقول : أَخِرَ جُنَاحَ النِّسَاءِ الْلَّاتِي صِرْنَ أَيَامِي مِنْ مَقْرَرٍ عَزِيزِهِنَّ ، وَدارُ أَقْتَهِنَّ ،
إِلَى جِوارِ كَلْبٍ ، حَتَّى اتَّفَقَ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَا اتَّفَقَ ، وَمِنْ حُلُولِ الرَّزَّابِ
وَمَقَاسَةِ الْهَنَاتِ بِهِنَّ مَا أَفْقَى . وَوَصَفَ النِّسَاءَ بِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُنَّ مِنَ الْأَيَّةِ ،
وَإِنْ كُنَّ وَقْتَ الْإِخْرَاجِ ذَوَاتٍ بُعُولٍ . وَمُثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرَ^(٢) :

* سَتُضْحِكُ مُسْرُورًا وَتُبَشِّكِي بَوَاكِي^(٣) *

وَفِي الْقُرْآنِ : « إِنَّ أَرَانِي أَعْصِرُ خَرَّاً ». وَأَيَامِي : جَمِيعُ أَيَّمِ ، وَيَقُولُ عَلَى
الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ . وَالْفِعْلُ مِنْهُ آمَ ، أَيْ بَقِيَّ بلا زَوْجٍ . وَهُوَ مِنَ الْفِعْلِ فَيَقُولُ
وَجَمِيعُهُ أَيَامٌ عَلَى فِيَاعِلٍ . وَأَيَامِي مَقْلُوبٌ كَأَنَّهُ قَدْمُ الْلَّامُ عَلَى الْعَيْنِ فَصَارَ أَيَامِي
عَلَى فِيَاعِلٍ ، ثُمَّ فَرُوا مِنَ الْكَسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ ، فَانْقَلَبَتْ أَلْفَانِيَا .

٦— إِنْ تَرْجِعْ إِلَى الْجَبَلَيْنِ يَوْمًا نُصَارَاحْ قَوْمَنَا حَتَّى الْمَاتِ
هَذَا إِظْهَارٌ رَغْبَةٍ فِي الرَّجُوعِ إِلَى الْمُشِيرَةِ ، وَمُعاوِدَةِ الْوَطَنِ وَالْمَحَافَلِ . يَقُولُ :
إِنْ اتَّفَقَ لَنَا عُودَةً إِلَى بَلَادِنَا تَرْكُنَا تَحْلِفُ عَلَى ذَوِيْنَا ، وَأَقْنَا بِهَا إِلَى انْفَضَاءِ
الْأَجْلِ ، وَاسْتَنْفَادَ الْمَهْلِ . وَيَعْنِي بِالْجَبَلَيْنِ أَجَا وَسَلَمَى : جَبَلَ طَيِّبٍ^(٤) . وَقَوْلُهُ
« حَتَّى الْمَاتِ » أَرَادَ بِهِ إِلَى حِينِ الْمَاتِ ، حَذْفَ الْمَضَافَ . وَالْمَاتُ يَكُونُ مَصْدَرًا ،
وَإِنْ جَعَلْتَهُ أَسْمًا لِلْحَيَّنِ فَلَا حَذْفٌ .

(١) صدره كاف في الديوان ٨٦ طبع دار الكتب :

* مِنْ الْبَيْارِ بَقْنَةِ الْحَجَرِ *

(٢) هو مالك بن الريب . الأمال (٣ : ١٣٨) والحزانة (١ : ٣١٩) . وانظر
الأغاني (١١ : ١٤٢) .

(٣) صدره : * وَعَطَلْ قَلْوَصِي فِي الرَّكَابِ فَإِنَّهَا *

(٤) وَكَانَ أَجَأْ لَبَقِيَّ ثَمَلْ ، وَسَلَمَى لَبَقِيَّ نَبَهَانَ .

١٢٣

وقال موسى بن جابر^(١) :

١- لا أشتَهِي ياقُومٍ إِلَّا كَارِهًا بَابَ الْأَمِيرِ وَلَا دِفاعَ الْحَاجِبِ
 يصفُ بهذا الكلام ميئَةً إِلَى الْبَعْدُ ، وَتفضيلَهِ رِجَالَهُ عَلَى رِجَالِ الْخَضْرَ ،
 فيقولُ : لَا أَنْتَنِي وَرَوْدَ بَابِ الْأَسْرَاءِ ، وَمُدَافِعَةَ الْحِجَابِ ، وَلَا أَعْلَقُ شَهْوَتِي بِهِمَا
 إِلَى عَلَى كَرْهٍ وَعَنْ دَاعِيَةِ عَارِضَةٍ ؛ إِذْ كُنْتُ أَلْفَتُ الصَّحَارِيَ وَالْبَرَارِيَ ،
 وَصَاحَبَتْ بِهِمَا لَا تَمْكِنُنِي مَعَهُ حِشْمَةٌ ، وَلَا يَصْدُنِي دُونَهُ عِزَّةٌ . وَانتَصَبَ
 « كَارِهًا » عَلَى الْخَالِ .

٢- وَمِنَ الرِّجَالِ أَسِنَةً مَدْرُوبَةٌ وَمَرْنَدُونَ شُهُودُهُمْ كَالْغَائِبِ
 يقولُ : مِنَ الرِّجَالِ رِجَالٌ كَالْأَسِنَةِ الْمَطْرُورَةِ ، أَيْ يَمْضُونَ فِي الْأَمْرِ
 وَيَفْصِلُونَهَا نَفَادَ الْأَسِنَةِ ؛ وَمِنْهُمْ مَرْنَدُونَ . وَالْمَرْنَدُ : الْمُبْخَلُ الْمُقْلَلُ . وَقِيلَ الزَّنْدُ
 ضُرِبَ بِهِ الْمُثْلُ فِي الْقِلَةِ . يَقَالُ : « زَنْدَانٌ فِي مُرْقَعَةٍ^(٢) » ، ثُمَ قِيلَ هُوَ مَرْنَدٌ مُشْتَقَّا
 مِنْهُ . وَقَوْلُهُ « شُهُودُهُمْ كَالْغَائِبِ » أَيْ لَا غَنَاءَ عَنْهُمْ ، وَلَا دِفاعَ بِهِمْ ، فَخَضُورُهُمْ
 كَغَيْبِهِمْ . وَأَرَادَ بِالْغَائِبِ الْكَثِيرَةَ لَا التَّوْحِيدَ . وَكَانَ مِنْ حَقَّ التَّقْسِيمِ أَنْ يَقُولَ :

(١) هو موسى بن جابر بن أرقمن بن مسلمة بن عبيد الحنفي البهائى ، شاعر نصراني جاهلى
 كثیر الشعرا ، فيما ذکر الأكمدی والمرزباني ، وكان يلقب أزرق البهائة ، ويعرف بابن لیلی ومه
 امه . وكان يقال له أيضا : ابن الفربية ، كما يقال لحسان بن ثابت . وقال أبو العلاء فيما نقله
 عنه التبریزی : « موسى منقول من البرانية ، ولم أعلم أن في العرب من سمي موسى زمان
 الجاهلية ، وإنما حدث هذا في الإسلام لما نزل القرآن وسمى المسلمين أبناءهم بأسماء الأنبياء على
 سبيل التبرک » . وتقول أبي العلاء هذا معترض بما ذكره المرزباني في معجمه ٣٧٦ ، وانظر
 المؤتلف ١٦٥ .

(٢) انظر ما سبق في ص ١٨٠ .

ومنهم مزندون ، لكنه أكتفى بِمِنَ الْأَوَّلِ . ومنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : « مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ » . وسمعتُ أبا علي الفارسي رحمة الله يقول : كُلُّ صِفَتَيْنِ تَنَافِيَانِ وَتَنَادِيَانِ فَلَا يَصْحُ اجْتِمَاعُهُمَا لِمَوْصُوفٍ لَا بُدَّ لِإِضَارَةِ مِنْ مَعْهُمَا إِذَا فُصِّلَ جُمْلَهُ بِهِمَا ، مَتَى لَمْ يَجِدِ ظَاهِرًا ، ثُمَّ أَنْشَدَ :

وَمَا زَوَّدُنِي غَيْرَ سَحْقٍ عَبَاءَةٌ وَخَسِ مِنْهَا قَسِيٌّ وَزَافِ^(١)
وقال : يريده منها زائف . وهذا كما تقول زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ وَعَمْرُو ، والمعنى
وعمرٌ مُنْطَلِقٌ ، خذف أكتفاء بالخبر عن الأول ، وعلمًا بأن المعنَّى ذلك حاله .
قال : فإنْ أَمْكَنْ اجْتِمَاعُ الصِّفَتَيْنِ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٌ اسْتَغْنَى عَنِ إِضَارَةِ مِنْ ، وَذَلِكَ
كَقُولُكَ صَاحِبَكَ مِنْهُمَا ظَرِيفٌ وَكَرِيمٌ .

٣- مِنْهُمْ لَيُوتُ لَا رَامٌ وَبَعْضُهُمْ مِمَّا قَمَشَتَ وَضَمَ حَبْلُ الْحَاطِبِ
يقول : من الرجال رجال كالأسود عزة وآفة ، لا يطلب اقتارهم
واهتضاضهم ، ومنهم متقاربون كالقمash واللفائف ، جمعوا على ما اتفق من شيء إلى
شيء . كأنهم يُقْنِعُونَ ذلك التشبيه وتلك القسمة ، فاستأنفهما على وجه آخر . وقوله
« وبعضهم مما قَمَشَتَ » ينوب فيه ذكر البعض عن قوله « وَمِنْهُمْ » ، لأنَّ مِنْ
التبعيض فاستغنى به . وقوله « وَضَمَ حَبْلُ الْحَاطِبِ » كقول الآخر :

* وَكُلُّهُمْ يَجْمِعُهُمْ بَيْتُ الْأَدَمَ^(٢) *

قال الأصماني : لأنَّ بَيْتَ الْأَدَمَ يجمع الجيد والرديء ، على تقارب بينهما ،
فقيه من كل جلدي رقة . وكذلك الحاطب يجمع في حبله^(٣) الجيد والرديء ،

(١) البيت لمزداد ، كما في اللسان (سحق ، قسا ، مأى) .

(٢) قبله في اللسان (أدم) :

* الناس أضياف وشقى في الشيء *

(٣) في الأصل : « صدره » ، صوابه في م والتبريزى .

والرَّطْبُ واليابسُ، عَلَى تَدَانٍ بِينَهُمَا. فَإِنْ قِيلَ : وَمَا الْفَائِدَةُ فِي إِعَادَةِ التَّقْسِيمِ وَالتَّشْيِيهِ؟ فَالجوابُ أَنْ يُقَالُ : كَأَنَّهُ صَنَفُوهُمْ^(١) فِي الْأُولَى مِنْ حِيثُ اخْتَلَفُوا عَنْهُ فِي الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، وَعَلَى تَوْهِمٍ تَبَاعِدُ بَيْنَهُمْ، بَدْلَةُ قَوْلَهُ مِنَ الرَّجَالِ أَسْيَنَةُ وَمِنْهُمْ مِنْ نَدُونَ لَا يُعْتَدُ بِحُضُورِهِمْ. وَبَيْنَ الصَّفَتَيْنِ تَفاوتٌ عَظِيمٌ، وَتَبَاعِيدٌ شَدِيدٌ. وَصَنَفُوهُمْ فِي الْأُخْرَى مِنْ حِيثُ اخْتَلَفُوا فِيهَا عَلَى تَوْهِمٍ تَقَارُبٌ بَيْنَهُمْ؛ لَأَنَّ فِيمَنْ يُقْمَشُ مِنْ لَا يُبَيِّنُ الْمَبَايِنَةَ الْفَاحِشَةَ، وَلَا يُخَالِفُ الْمَخَالِفَ الْمُنْكَرَةَ.

١٢٤

وقال آخر :

١- أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَدَ رَأْلَهَا مَكَانَكِ لِمَا تُشْفِقِي حِينَ مُشْفَقَ
يقال : خَوَدَ رَأْلَهُ، لِلْمَذْعُورِ الْمَرْتَاعِ. وَالرَّأْلُ : فَرَخُ النَّعَامِ. وَهَذَا مَثَلٌ.
وَالْتَّخْوِيدُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ سَرِيعٌ . وَالْتَّخْوِيدُ وَالْوَخْدُ وَالْخَدُّ مِقَارَبَةٌ
الْمَعْنَى ، فِي أَنَّهَا تَفِيدُ ضَرْوًا مِنَ الْمَشْيِ ، وَيُوصَفُ بِجَمِيعِهَا النَّعَامُ . وَيُقَالُ فِي هَذَا
الْمَعْنَى « زَفَ رَأْلَهُ » ، لِأَنَّ الزَّفِيفَ ضَرْبٌ مِنَ الْعَدْوِ سَرِيعٌ أَيْضًا . وَفِي هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ قَوْلُهُمْ « طَارَ طَائِرَهُ ». وَيُقَالُونَ : « هُوَ أَنْفَرُ مِنْ نَعَامٍ » ، وَ« أَشْرَدُ
مِنْ ظَلِيمٍ » . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنِّي أَثْبَتُ نَفْسِي إِذَا هَمَّتْ بِالْإِحْجَامِ ، أَوْ وُسُوسَ إِلَيْهَا
وَيَفْجُأُ مِنْ رُوَءَةِ الْقَتَالِ ، فَأَخَاطِبُ نَفْسِي إِذَا هَمَّتْ بِالْإِحْجَامِ ، أَوْ وُسُوسَ إِلَيْهَا
وَجُوبُ الْاِنْهِزَامِ : أَلْزَمَ مَكَانَكِ لَمْ تُذْعِرِي وَقْتَ ذُعْرِي . وَقَوْلُهُ « مَكَانَكِ^(٢)
أَمْرٌ » ، وَهُوَ مَوْضِعٌ مُوْضِعٌ لِلْفَعْلِ الَّذِي عَمِلَ فِيهِ ، وَمَكْتَفٌ^(١) بِهِ عَنْهُ ، فَهَذَا
إِيجَابٌ . وَقَوْلُهُ « لَا تُشْفِقِي حِينَ مُشْفَقَيْ » تَأْنِيسٌ ، أَيْ لَمْ تَخَافِ وَقْتَ مُخَافَةٍ .

(١) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « وَصَفْهُمْ » .

(٢) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « وَمَكْتَفٌ » .

فهما كلامان . والإشفاقي : **الذُّعْرُ** ، وقد يختلط بالنَّصْحِ ويتجزَّد عنه . قال الله تعالى : « إِنَّا كُنَّا قَبْلًا فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ » .

٢—**مَكَانَكِ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي** عمَّا يُهَمِّ هذَا الْعَارِضِ **الْمَأْنَقِ**^(١) يقول : أَسْتَأْنِي وَأَتَرْفَقُ ، وأقول في تلك الحالة : تماسِكِي يا نَفْسُ واحفظِي مكانَكِ إلى أن يتبيَّن لكِ عن أيِّ شَيْءٍ تُنكِّشَفُ لكَ ظَلَمَةُ هذَا الْعَارِضِ المتشقق بالبرق . والعارضُ ، أصلُهُ فِي السَّحَابِ ، وهاهُنا أَرَادَ بِهِ الْجَيْشُ . وجُلِّ التَّأْلُقِ مثلاً لِلْمَعْانِ الْأَسْلَحَةِ . ويقال اتَّلَقَ البرقُ أَيْ تَلَّا ، وَتَأْلَقَ . والعَمَّا يُهَمِّ :

الظُّلْمَةُ والهَبَوةُ . ويروى : « غَيَّابَةُ هذَا الْعَارِضِ » ، وهي في طَرِيقِ الْعَمَّا يَهُمُّ لِأَنَّهُمَا مِنَ الْغَيْ وَالْعَمَّ ، وقد توسيعُ فِيهِمَا . وإنما طَلَبَ مِنَ النَّفْسِ الصَّبَرَ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لأنَّ مَنْ ثَبَّتَ فِي الْحَرْبِ إِلَى اِنْكَشَافِ الْحَالِ فِيهِ فَقَدْ أَعْطَاهَا حَقَّهَا .

١٢٥

وقال موسى بن جابر^(٢) :

١— وقلت لزيد لا تتراء فلنغم يرونَ المَنَآيَا دُونَ قُتْلَكَ أوْ قُتْلِي^(٣)
الترارة : العَجَلة . وحكي الذريدي أنها كثرة الحركة^(٤) ، فهى كالتنبلة .
وروى الحديث : « تَلْتَلُوهُ وَمَزْمُزُوهُ » بالراء^(٥) واللام جميعاً . ويروى

(١) ذكر التبريزى أنَّ بَعْدَ الْبَيْتَيْنِ :

وَكَوْنِي مَعَ النَّالِي سَبِيلُ مُحَمَّدٍ وإنْ كَذَبَتْ نَسْخَةُ الْمَصْرِ فَاصْدِقْ
إِذَا قَالَ سَيفُ اللَّهِ كَرَوا عَلَيْهِمْ كَرَنَا وَلَمْ يَخْفِلْ بِقَوْلِ الْمَوْعِدِ .

(٢) سبقت ترجمته في الحاسبة ١٢٣ .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي مِنْ وَالْتَّبَرِيزِيِّ : « قَلْتُ لِزَيْدَ » بِالْحَرْمِ .

(٤) انظر الجمهرة (٢ : ١٣٠) .

(٥) فِي النَّسْخَتَيْنِ : « بِالْبَرَائِيِّ » ، تَحْمِيلِي .

« لا تُبَرِّزْ » ، والبَرَّة ؛ كثرة الكلام ، وكذلك التَّرْتُّة بالثاء ، ورَجُلٌ مُرْثَأ . ويقال : ما أَكْبَرَ بَرْتَهُم ، إذا ماجُوا في الكلام . ومنه سُمِّيَ الْبَرَّرَ : جِنْسٌ من المغاربة^(١) . وكذلك الْبَرَّة بالزاي : كثرة الحركة . وقد رُوِيَ : « لا تُبَرِّزْ » . ويقال ما أَكْثَرَ بَرْتَهُم ، ورجل بَرْ بازْ وَبَرَّايزْ ، إذا كان يكثُر حركة وتحفظ^(٢) . فيقول : لا تَغْبِلْ يازِيدُ ، أولاً تُكْثِر كلامك ولا تَضْطَربْ ، فإنَّ القوم يَرَوْن الصبر على المنيا وتحفظ عليهم ويقل عندهم إذا ثبت فيه قَتْلَكَ أو قَتْلِي لَهُم^(٣) . واتَّهَزُوا في تحصيل أحدٍ فُرَصَّهم . ويكون « يَرَوْنَ » في هذا الوجه من الرأي ، كما يقال فلان يَرَى في دينه أو في مرسومه كذا ، أي يتَّخذُه مذهبًا ويذوِّم عليه . ويجوز أن يريده يَرَوْنَ المنيا : يُقَاسُون الشَّدَائِد ، ويذوقون المنيا ، ولم يَصِلُوا بَعْدًا إلى قَتْلِي أو قَتْلَكَ . ويكون معنى « دون قَتْلَكَ » كما يقال « دون هذا الأمر خَرْطُ القَتَاد » ، وكما قال بشر^(٤) :

* ومن دون لَيْلَى ذو بَحَارَ وَمَنَور^(٤) *

ومعنى يَرَى كما يُقال لو عَلِمْتَ ماذا رأيتُ من فلان ، يَرَادُ أي شئ مارَستْ وكايدَتْ . والكلام في المعنى الأول تصوير تحالف القوم في عداوتهم ، ونهى عن المعاجلة^(٥) معهم ، وبعث على مصابرتهم ومحاذرتهم . وعلى المعنى الثاني يكون تشبيهاً لصاحبه وتشجيعاً ، وتسكيناً منه وتصيرأ ، فيكون مثل قوله :

(١) ومنه سُمِّيَ الْبَرَّر ، إلى هنا ساقط من م .

(٢) م : « إذا كان تكثُر حركة وتحفظ » .

(٣) أي إذا ثبت لهم . وكلمة « لهم » في م فقط .

(٤) صدره كاف في معجم البلدان (٢ : ٦٥) :

* لَيْلَى عَلَى بَعْدِ الْمَازَرِ تَذَكَّر *

وبحار في النسختين بفتح الباء ، وهي لغة فيه نسخ عليها ياقوت ، وأورد لغة أخرى ، وهي كسر الباء . وقد جاء مصراوفاً في م ومتناوعاً من الصرف في الأصل .

(٥) كنا في م . وفي الأصل : « العالمة » ، تحرف .

* أقول لنفسي حين خود رأهـا^(١) *

وكان أبو تمام تصور هذا المعنى ، فلذلك ألحق الآيات بما يليها .

٢- فإنْ وَصَعُوا حَرْبًا فَضَعَهَا وَإِنْ أَبْوَا فَعْرُضَةً عَضًّا لِحَرْبٍ مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي يقول : إن حطوا الحرب أو اطّرحوها ، ورموا المسالمة والماركة فيها ، فاتّبعهم في ذلك واقتدي بهم ، وإن أبوا إلا الشّر فالقوى على عِصاپِي الحرب والصّبور على زمامها مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي ، والمعنى : أنا وأنت . وهذا كما يقال : مثله لا يُعْتَاضُ منه ، وللمعنى هو لا يُعْتَاضُ منه . ويقول : فلان عرضه الشّر ، إذا كان قويًا عليه .

٣- وإنْ رَفَعُوا لِحَرْبِ الْعَوَانَ الَّتِي تَرَى فَشُبَّ وَقُودَ لِحَرْبٍ بِالْخُطْبِ الْجَزْلِ جَعَلَ الرَّفْعَ فِي مَقَابِلَةِ الْوَضْعِ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، وَالْمَعْنَى : إِنْ هَيَّجُوهَا . والْعَوَانُ : الَّتِي قُوْتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَنَقَادَمْ وَتَطَالُوْلَ لَبَّهَا ، وَاتَّصَلَ هِيجانُهَا ، وَاتَّسَعَ نَفَيَانُهَا . وَهَذَا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْعَوَانِ مِنَ النِّسَاءِ . فَهُوَ كَا وَصْفِهَا غَيْرُهُ — لَمَّا أَرَادَ ابْتِداَهَا وَجَدَهَا — بَأْنَهَا فَتَاهُ وَبَكْرُهُ ، فَقَالَ : الْحَرْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فُتَيَّةً تَسْعَ بِرِزْتِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ^(٢) وقد استعملوا البَكْرَ والْعَوَانَ فِي الْحَاجَاتِ أَيْضًا ، فَقَالَ : هِيَ بَكْرٌ حَاجَاتٌ ، وَحَاجَتِي بَكْرٌ ، وَحَاجَتُكَ عَوَانٌ . يَقُولُ : وَإِنْ أَجَجُوا نَارَ الْحَرْبِ الْعَوَانَ الَّتِي تَشَاهِدُ وَاسْتَجَاهُوا لَهَا ، وَأَثَارُوا كَوَافِنَهَا ، فَاسْتَحِشَّ أَنْتَ أَيْضًا وَأَوْقِدَ نَارَهَا بِالْخُطْبِ الْغَلِيلِيَّظِ الْجَزْلِ .

(١) الْبَيْتُ الْأَوَّلُ مِنَ الْحَمِيسَةِ السَّابِقَةِ . وَقَدْ رُوِيَ فِي مِكَامِهِ .

(٢) لَعْمَرُو بْنُ مَعْدِيْكَرْبَ . اخْلَرَ شِرْوَحَ سَقْطَ الزَّندَ ١٦٧٨ .

١٤٦

وقال أيضًا :

١—إِذَا ذُكِرَ أَبْنَا الْعَنْبَرِيَّةِ لَمْ تَضِقْ ذِرَاعِي وَأَلْقَى بَاسْتِهِ مَنْ أَفَارِخِر^(١)
 قُولُهُ : « لَمْ تَضِقْ ذِرَاعِي » مَثَلُهُ ، وَيَقُولُ ذَرْعِي . قَالَ الْخَلِيلُ : الْذِرَاعُ
 اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا يُسَمَّى يَدًا مِنَ الرُّوْحَانِينَ^(٢) . يَقُولُ : إِذَا ذُكِرَ هَذَا
 الرِّجَالُ مِنْ آبَائِي اتَّسَعَ نِطَاقُ افْتِخَارِي ، وَرَحْبَةُ مَجَالِي وَبَاعِي ، وَلَمْ تُعْنِي
 غَلَبَةُ مِنْ أَسَاجِلِهِ ، وَلَمْ يَقْعُدْ بِ ذِكْرِهِمَا عَنِ الْأَرْتِقَاءِ فِي الْفَخْرِ إِلَى مَا لَا يَطْلُعُ لَهُ
 مِنْ أَوْزَانِهِ وَأَكَابِلِهِ ، حَتَّى أَلْقَاهُ بَاسْتِهِ دُونَ وَجْهِهِ لِتَوْلِيهِ وَإِعْرَاضِهِ . وَذُكْرُ
 الْأَسْتَ تَقْبِيْحٌ لِفَعْلِهِ عِنْدِ النُّكُوصِ وَالْأَنْهَازِ ، وَتَشْنِيْعٌ عَلَيْهِ فِي التَّوْلِيِّ وَالْإِدْبَارِ .

٣—هِلَالَانِ حَمَالَانِ فِي كُلِّ شَتَوَةٍ مِنَ الثَّقْلِ مَا لَا يُسْتَطِيعُ الْأَبَاعِرُ
 يَقُولُ : هَذَا فِي الْأَشْتِهَارِ وَاعْتِلَاءِ الشَّأْنِ ، وَاسْتِضَاةِ النَّاسِ بِنُورِهَا ، وَالْأَنْتِفَاعِ
 بِمَكَانِهِمَا ، بِمَنْزِلَةِ هِلَالَيْنِ ؛ وَيَتَكَلَّفَانِ عِنْدَ كُلِّ جَدْبٍ وَمَخْلِلٍ ، مِنَ الْأَنْتِقالِ
 وَالْأَبْعَادِ ، مَا لَوْ صَارَتْ أَجْرَامًا لِعَجَزٍ عَنِ النَّهْوِ بِهَا وَتَحْمِلُهَا الْبُغْرَانِ . فَإِنْ
 قِيلَ : إِذَا كَانَ قَصْدُهُ فِي تَحْمِلِ الْأَنْتِقالِ إِلَى قِرَى الصَّيفِ ، وَنَحْرِ الْجَزَورِ
 وَقِسْمَتِهَا فِي الْمَيْسِرِ ، وَالصَّبَرِ عَلَى الْمَوْئِنِ ، وَالنَّهْوُ بِالْكُلُّ ، فَكَيْفَ قَالَ حَمَالَانِ
 مِنَ الثَّقْلِ مَا لَا يُسْتَطِيعُ الْأَبَاعِرُ ؟ وَكَيْفَ مَثَلٌ مَا يَقْلُلُ عَلَى الْقُلُوبِ مِنَ الْغَرَامَاتِ
 وَالْحَقُوقِ ، بِالْأَوْقَارِ الَّتِي تَنْقُلُ عَلَى الظَّهُورِ ؟ قَلْتَ : إِنَّمَا يَرِيدُ أَنَّ تَلَكَ الْمَوْئِنِ
 وَالْتَّكَالِيفَ الَّتِي يَلْتَزِمُهَا ، وَيَسْعَى بِهَا وَفِيهَا ، لَوْ جُسِّمْتُ ثُمَّ حُمِّلْتُ ، لَكَانَتْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ يَفَاخِرُ » ، وَصَوْبَ الرَّوَايَةِ الْمُتَسَاوِقِ مَعَ التَّفْسِيرِ مِنْ مَ وَالْتَّبَرِيزِيِّ .

(٢) فِي الْلِسَانِ (ذِرَاع٤٤٨) : « مِنَ الرُّوْحَانِينَ ذُوِّي الْأَبْدَانِ » .

الجَمَلُ لَا تَسْتَقْلُ بِهَا ، وَلَا تَقْوَى عَلَيْهَا^(١) ، فَهَذَا وَجْهٌ . وَيَحْوزُ أَنْ يَكُونَ لَمَّا قَالَ حَمَالًا فِي كُلِّ شَتَّوَةٍ مِنِ النَّقْلِ ، جَعَلَ لِفَقَهَ مَا لَا تُسْتَطِعُ الْأَبَاعُرُ ، إِذْ كَانَتِ الْجِمَالُ وَأَشْبَاهُهَا هِيَ الَّتِي تَحْمِلُ الْأَنْقَالَ خَلْقَتْ^(٢) ، وَبِهَا اشتَهِرَتْ ، وَلِيَكُونَ فِي الْفَظْ تَوَافُقٌ ، مَعَ الْأَمْنِ مِنْ عَارِضِ الْأَلْتِبَاسِ . وَيَكُونُ هَذَا كَمَا قَالَ غَيْرُهُ^(٣) :

أَلَا هَلَّ أَمْرُكُ ظَلَّتْ عَلَيْهِ يَجْنَبُ عَنِيزَةً بَقَرْ هُجُودُ
سَمِعْنَ بِمَوْتِهِ فَظَلَّلَ نَوْحًا قِيمًا مَا يَحْلِلُ لَهُ عُودُ

أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا كَانَ قَدْ كَفَى عَنِ النِّسَاءِ بِقَوْلِهِ « بَقَرْ هُجُود » عَبَرَ عَنِ إِيمَانِكُنَّ عَنِ الطَّعَامِ تَخْرُزُنَا بِقَوْلِهِ « مَا يَحْلِلُ لَهُ عُودٌ » إِذْ كَانَتِ الْبَقَرُ وَمَا يَحْانِسُهَا مِنِ الْبَهَائِمِ تَعْتَلُ الْعُودُ وَمَا يَكُونُ كَالْعُودِ . وَلِيَسْ ذَلِكُ إِلَّا طَلَبُ الْمُوَافِقَةِ فِي الْفَظْ ، مَعَ الْأَمْنِ مِنِ اللَّبْسِ . فَأَمَّا قَوْلُ لَبِيدِ :

إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لِيْسَ الْجَمَلُ
فَإِذَا جُزُوزِيَتْ قَرْضًا فَاجْزِيهِ

فَعَنَاهُ إِنَّمَا يَعْرِفُ النَّعْمَ وَمَا يَجِبُ لَهَا مِنْ شُكْرِ الْمُنْعَمِ أَرْبَابُ الْعَقْوَلِ وَذُوو التَّمِيِّزِ ، لَا الْبَهَائِمِ . فَتَى أَرْلَتْ إِلَيْكَ نِفَمَةً فَكَنْ مِنَ الْجَازَةِ عَلَيْهَا بَمَرْصَدٍ ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ وَالْأَخْذَ بِهِ مِنْ تَنَامِ الْعَقْلِ ، وَيُوجِبُهُ الْمَيِّزُونُ وَأَولُو الْحِجَّيِ ، لَا غَيْرُهُمْ مِمَّا لَا تَمِيزُ لَهُ ، وَلَا مَعْرِفَةُ بِذَلِكَ عَنْهُ . وَذَكَرَ الْجَمَلُ مُسْكَنِيًّا

(١) م : « بِحَمْلِهَا » .

قال الترمذى : « هذا قول المرزوق . وقال الترمذى : أى هذان الرجالان يحملان من أعباء المفاصير وأثقال الصنائع مالو أنه يوزن لم تستطع حمله الإبل ، وهي أثقل الحيوان حلا ، وأكتنه صبرا . قال أبو العلاء : قد تأولن الترمذى له معنى قد يجوز مثله ولكنه بعيد ، وإنما ينبغي أن يحمل الشيء على ما كثر ، وذلك أنه ذهب إلى أن هذين المدحوبين يحملان من قوى الأشياء ومن خبر الإبل مالا تستطيعه الأباء ، أى إنها لا تقوى عليه لأنه يهلكها » .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « هي التي تحمل الأثقال لها خلقت » .

(٣) هو امرأة من بني حنيفة ثرثى يزيد بن عبد الله بن عمرو المحنى . المفضليات

(٤) ٢٢ : ٢ .

وإن كان القصد جنسه أو أجناس مثله . وفي طريقة ما نحن فيه قول أبي تمام
إلا أنه فصل بين المترددين ، وهو :

والصبر بالأرواح يُعرف فضله صبر الملوك وليس بالأجسام

١٢٧

وقال^(١) :

١— ألم ترِيَ أَنِّي حَيْتُ حَقِيقَتِي وباشَرْتُ حَدَّ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ دُونَهَا
الحقيقة : الأصلة التي يتحقق على الإنسان حياتها . وقال الخليل : الحقيقة :
ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه . قوله « ألم ترِيَ » تقرير للغير على ما كان
من بلائه . يقول : ألم تعلماً أني ذبَّتْ عَمَّا يَحِبُّ عَلَى الذَّبْعِ عنه ، وبشرت الموت
بنفسي ، والموت دون حياة الحقيقة . يريد أن الحافظة على الشرف أشق من
اقتحام الموت والاستقال ، لأنَّه يحتاج أن يصبر فيه من المكاره على مالا يُحدَّدُ
ولا يُخَصَّ ، ويُتَكَافَّ له من المشاق ما لا يُعَدُ ولا يُضبط . فهذا وجہ . والضمير
من قوله « دونها » يرجع إلى ما دَلَّ عليه حَيَّتُ من الحياة والحفظ . ويجوز أن
يكون قوله « والموت دونها » أى قريب من الحقيقة التي دفعت عنها أو من
الحياة التي التزمتها ، وحالاته بيني وبينها ، ويكون هذا بياناً لكيفية مباشرته
حدَّ الموت ومشافهته إياه على سُمْتِ الْقُرْبِ ، والواو من قوله « والموت »
وأحوال . وإذا جَعَلَتَ المعنى الأول فيكون الكلام بياناً لفضيل حماية الحقائق
على مباشرة المنايا .

(١) كذا في م . وعند التبريزى : « وقال أيضاً » . وعبارة م والتبريزى تدل على
أنَّ الحاسية لموسى بن جابر . وفي الأصل : « وقال آخر » .

٢— وَجُدْتُ بِنَفْسٍ لَا يُحَاجُّ عِنْهَا وَقُلْتُ اطْمَئْنَى حِينَ سَاءَتْ ظُنُومُهَا

يصف ابتداله نفسه فيما تعناه على حاجة من العشيرة إلى بقائهما ، وخلوها من القلوب محل ما يُضُنُّ بها ، فيوجب صياتها . يقول : تسخّيتُ بنفس لا يُتسخّى بمثلها كرماً وعزّةً ، وشرقاً وأبهةً ، وقلتُ تثبّتاً لها : اسْكُنِي واصبرِي عند استيلاء الرعب عليها ، واختلاف الظنون بها . وهذه إشارة إلى ما يلحق النفس في الأول من الاتقاء^(١) ، للوهلة العارضة ، والتجمة المروعة . ومثله :

أَقُولُ لِنفْسِي حِينَ خَوَدَ رَأْلَهَا مَكَانَكِ لَمَّا تُشْفَقَ حِينَ مُشْفَقٍ^(٢)

٣— وَمَا خَيْرُ مَالٍ لَا يَقِنُ النَّمَّ رَبَّهُ وَنَفْسٌ امْرَى فِي حَقِّهَا لَا يُهِنُّهَا^(٣)

لقطه لنظر الاستفهام ، والمعنى معنى الإنكار الذي يجري بمجرى النفي .
يقول : أى خير في مال لا يصون صاحبها من ذم وعار ، ولا يحميه من لحقوق تهّجين وشنار ؟ وأى شيء غناه نفس لا يبتذلها صاحبها في استيفاء حقوقها ، ولا يتعبعها في الدّفاع دون حقائقها ؟ وهذا الكلام تبرؤ من التحمد^(٤) بما كان منه من إنفاق المال ، وابتذال النفس . ومثله قول الآخر :

وَيَبْتَذِلُ النَّفْسَ الْمَصُونَةَ طَائِعًا إِذَا مَا رَأَى حَقًا عَلَيْهِ ابْتَدَالًا^(٥)

(١) م : « في أول الاتقاء » .

(٢) انظر الحماية ١٢٤ .

(٣) التبريزى : « نفس امرى » .

(٤) هذا ماق في م . وفي الأصل : « التحمل » ونراه تحريفا .

(٥) م : « المصونة نفسه » ، وقد سبق البيت في ص ١٤١ برواية م .

١٢٨

وقال :

١— ذَهَبْتُمْ فَلَذْتُمْ بِالْأَمِيرِ وَقُلْتُمْ تَرَكْنَا أَحَادِيثًا وَلَحْمًا مُوَضَّعًا^(١)
 يخاطِبُ قومَهُ ويلوِهمُ على ما كانُوا مِنْهُمْ مِنِ القعودِ عنِ نُصْرَتِهِ، والثُكُوص
 عنِ مشايعِهِ، واعتلَاهُمْ عندِ اعتذارِهِمْ مِنْ ذَلِكَ بالمعاذِيرِ المُشْوَبَةِ بالكذِبِ،
 فيقولُ : التجأْتُمْ إِلَى الْأَمِيرِ وَقُلْتُمْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا يَقُولُونَ لَا يَفْعَلُونَ، وَعِنْدَ
 سَلْطَنِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِمْ لَا يَمْتَنِعُونَ مِنْهُمْ لَا يَدْافِعُونَ، فَهُمْ كَالْحَمْلِ الْمُبَضَّعِ عَلَى خُوَانِ
 الْجَزَّارِ، تَنْتَدِي الأَيْدِي عَلَى تَوْضِعِهِ إِلَيْهِ، وَتَتَعَلَّقُ الْأَطْعَامُ بِتَنَاوِلِهِ وَأَخْذِهِ^(٢). وَيَكُونُ
 هَذَا كَوْلُ الْآخَرَ :

رَضُوا بِصَفَاتٍ مَا عَدَمُوهُ جَهَلًا وَحُسْنِ الْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ الْفِعَالِ
 هَذَا إِذَا رَوَيْتَ « تَرَكْنَا » بفتح التاءِ، وَإِنْ رَوَيْتَ بضم التاءِ كَانَ
 الْعُنْيُ : ادْعَيْتُمْ عَلَيْنَا فِيهَا نَابَنَا، وَعِنْدَمَا هَمَمْتُمْ بِهِ مِنْ مَفَارِقَتِنَا وَخِذْلَاتِنَا، أَنَا
 تَرَكْنَا أَحَدَنَا لِلنَّاسِ قَبِيحةً، يَقُولُونَ وَيَقْعُدُونَ بِذِكْرِنَا، وَأَذْلَاءُ مَهِتَضِمِينَ
 لَا دِفَاعَ بَنَا، وَلَا امْتِنَاعَ مِنْ مَذَمَّةِ طَبَاعِنَا . وَالْمَوْضَعُ : الْمُقْطَعُ الْمُفَرَّقُ فِي
 مَوَاضِعِهِ^(٣) .

٢— فَمَا زَادَنِي إِلَّا سَنَاءَ وَرِفْعَةَ وَمَا زَادَكُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَخَضَّعُوا
 يَقُولُ : لَمْ يَرِدْنِي فِعْلُكُمْ وَقُوَّلُكُمْ عِنْدَ اعْتِلَالِكُمْ فِي مَفَارِقِكُمْ إِلَّا ارْتِفَاعَ

(١) أُشِيرُ فِي هَامِشِ نَسْخَةِ الْأَصْلِ إِلَى أَنَّهُ فِي نَسْخَةِ أُخْرَى : « مِبْسَعًا ». وَالْمَبْسَعُ : الْمَقْطَعُ.

(٢) كَذَا فِي م. وَفِي الْأَصْلِ : « عِنْدَ الْأَيْدِي إِلَيْهَا، وَتَعَلَّقُ الْأَطْعَامُ بِتَنَاوِلِهَا وَأَخْذِهَا » .

(٣) كَذَا فِي م. وَفِي الْأَصْلِ : « وَالْمَبْسَعُ : الْمُقْطَعُ الْمُفَرَّقُ » .

مَحَلٌ، وَسُوْحَ حَالٍ، وَجَلَّالَةَ قَدْرٍ، وَلَمْ يَرِدْ كُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَرَاجَعَا وَتَذَلَّلَا،
وَتَصُورًا بِالقَبِيحِ وَتَسْقُطًا ، لَأَنَّ مَنْ لَا يَصْلُحُ لِعَشِيرَتِهِ وَأَفْرِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ
وَذَوِيهِ ، لَمْ يَسْكُنْ إِلَيْهِ الْبَعِيدُ الَّذِي يُؤْوِيهِ ، وَالْمُسْتَعَنُ بِهِ لَا يَرْجِيهِ .

— فَمَا نَفَرَتْ جِنِّيٌّ وَلَا فُلَّ مِبْرَدِيٌّ وَلَا أَصْبَحَتْ طَيْرِيٌّ مِنْ أَخْوْفِ وَقَمَّا

وَهَذَا يَحْتَمِلُ وَجُوهًا : يَحْبُزُ أَنْ يَرِيدَ لَمْ يَنْخُرُلَ — لَمَّا أَنْتُمْ وَأَخْبَرْتُمْ — أَحْمَابِي
الَّذِينَ هُمْ كَالْجَنِّ ، وَلَا فُلَّ لِسَانِ الَّذِي هُوَ كَالْمِبْرَدِ ، وَلَا ذُرَّ عَرَجَاشِي فَصَارَ طَيْرِيٌّ
وَاقِعَةً . وَيَكُونُ الْأَوَّلُ كَقُولِ الْآخَرِ :

* عَلَيْهِنَّ فَتْيَانٌ كَجَنَّةٍ عَبْقَرٌ *

وَتَشْبِيهُ اللِّسَانِ بِالْمِبْرَدِ وَحْدَ السِّيفِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ لَهُ إِلَى شَاهِدٍ .

وَقَدْ قِيلَ فِي « نَفَرَتْ جِنِّيٌّ » إِنَّهُ مَثَلٌ لِفَلَّاتِهِ وَبَدَرَاتِهِ ، وَيَكُونُ هَذَا كَمَا
وَصَفَ اسْرَوْ الْقَيْسَ فِرْسَهُ بِالْمَرْحِ وَحِدَّةِ الْقَلْبِ فَقَالَ :

* بِهِ طَائِفٌ مِنْ جِنَّةٍ غَيْرُ مُعْقِبٍ *

وَإِنَّ ذِكْرَهُ الْمِبْرَدُ مَمْلُ لِصَلَاحِهِ ، وَإِنَّ ذِكْرَهُ الطَّيْرِ مَمْلُ لِصِيَّتِهِ وَذِكْرِهِ
الْذَّاهِبِ فِي النَّاسِ . وَيَحْبُزُ فِي هَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَرِيدَ بِهِ ذَكَاءً وَنَشَاطَهُ وَشَهَامَتَهُ ،
فَقَدْ قِيلَ فِي ضِدِّهِ : هُوَ سَاكِنُ الطَّائِرِ ، وَكَانَ عَلَى رَءُوسِهِمُ الطَّيْرُ . وَيَحْبُزُ أَنْ
يُشَيرَ بِالْجَنِّ إِلَى مَا يَدْعِيهُ الشُّعُرَاءُ مِنْ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَابِعًا مِنَ الْجَنِّ
يَسْتَعِينُ بِهِ فَمَا يَحْزُبُ بِهِ ، وَيَجْعَلُ الْمَرَادُ بِالْمِبْرَدِ فِي هَذَا الْوَجْهِ اللِّسَانَ لَا غَيْرَ . وَيَحْبُزُ
(١) أَنْ يَرِيدَ بِالْطَّيْرِ مَرَايَاهُ وَطَوَافَتَ خَيْلِهِ الَّتِي يَطْيِئُهَا لِلْغَارَاتِ وَالْأَرْتِيَاءِ ، وَتَجْسِسُ
الْأَخْبَارَ وَغَيْرِهَا .

(١) م : « وَتَجْسِسُ » بِالْمَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَكُلُّهَا يَعْنِي وَاحِدٌ ، وَهُوَ الْجَثْ .

١٢٩

وقال حريث بن جابر^(١) :

١- لعمركَ ما أنصفتني حين سمتني هواك مع المولى وأن لا هوى ليما
 العمرُ والعمُر لقنان ، ولا يُستعمل في القسم إلا بفتح العين . وأنصفتني :
 أعطيتني النصفة والنصف . ويقال انتصفت من فلان ، أي استوفيت حقّ
 منه كاملاً حتى صرت أنا وهو على النصف سواء . ومعنى سمتني : جسّمتني
 خطة من الشر . ويقال أيضاً : سام فلان فلاناً ، إذا داوم عليه وألح في شيء .
 يقول : وبقائك ما أعطيتني النصفة حين عرضت على الرضا بأن يكون لكَ
 هوى مع مولاك ، حتى تنتقم له وتذهب دونه ، وألا يكون لي هوى مع مولاي
 وأخلي بيته وبين أعدائه . قوله « وأن لا هوى ليما » أراد : وأنه لا هوى ليما .

٢- إذا ظلمَ المولى فزعتُ لظلمِه فحركَ أحشائي وهرتَ كلابيا
 يُبَيِّنُ كيف يتعصبُ لمواليه ، وكيف يأنفُ من اهتمام يلحقُهم ، يقول :
 إذا اهتمم حليف لي أو ابن عم ، ذعرت لامتهانه واهتمامه ، فاضطرَّب أحشائي
 ونبحت كلابي . والمعنى : لم أعتقد المضيمة فيما يتصل بي ، وينسب إلى ،
 فإذا انقض وقوعها صارت كلابي تنبخ ، وأخذت نفسى تقلق . فيجوز أن يكون
 تحرك أحشاوه لوجيب قلبه وخفقانه ، ونبحت كلابه لتهشيه للانتقام ، وتدججه
 في السلاح له ، وتبجمع أصحابه وإعدادهم الخليل والرجل لإغاثته . والكلب
 يُذكر أصحابه إذا رأهم بهذه الأحوال فينبخ . أنسد الأصمى في مثله :

(١) التبريزى : « وقال حريث بن جابر بن سرى بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن ربوع
 بن ثعلبة بن الدئل بن حنيفة بن طليم بن صعب بن على بن بكر بن وائل » .

أَنَّاسٌ إِذَا مَا أَنْكَرَ الْكَلْبُ أَهْلَهُ حَوْا جَارُهُمْ مِنْ كُلِّ شَنَعَةٍ مُظْلِمٌ^(١)
وَوِجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَحْرِكَتْ أَحْشَاؤَهُ لاضطِرَابِهِ فِي جَمْعِ مِنْ يَجْمِعُ،
وَإِعْدَادٍ مَا يُعِدُّ، وَالْمُتَسَرِّعُ فِي الشَّيْءِ يَلْحِقُهُ ذَلِكُ، وَمِثْلُهُ:
أَشَارَتْ لِهِ الْحَرْبُ الْعَوَانُ بِخَاءَهَا يُعْقِفُهُ بِالْأَقْرَابِ أَوْلَى مِنْ أَنَّهُ
فَعَقْعَدَهُ الْأَقْرَابُ كَتْحَرُكَ الْأَحْشَاءِ وَأَكْثَرُ . وَيَكُونُ مَعْنَى فَرَغْتُ أَغْتَثُ
عَلَى هَذَا . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ:

* حَلَّلْنَا الْكَتَبَ مِنْ زَرُودَ لِنَفْزَ عَـا^(٢)

أَى لُغْيَتُهُ . وَيَحْوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالْكَلَابِ الْأَحْبَابَ ، وَيَكُونُ مُثْلُ
قَوْلِ الْمَهْذَلِ^(٣):

وَلَا هَرَّهَا كُلُّي لِيَبْعُدَ نَفْرُهَا وَلَوْ نَبْحَثْنَيْ بِالشَّكَّاهِ كَلَاهَا
فَقَدْ فُسِّرَ فِي بَعْضِ الْوِجْهَاتِ عَلَى هَذَا . وَكَذَلِكَ قَوْلُ تَابِطَ شَرَّاً:
* لَيْلَةَ صَاحُوا وَأَغْرَوْا بِي كَلَاهُمْ^(٤) *

فُسِّرَ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا .

١٣٠

وَقَالَ الْبَعِيْثُ بْنُ حَرَيْثٍ^(٥):

١— خَيَالٌ لَأَمَّ السَّلْسَبِيلِ وَدُونَهَا مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْبَرِيدِ الْمُذَبَّبِ

(١) روى في الحيوان (٢: ٧٠) مع نسبته إلى حفيف الغنوبي: « شناعه مظلع ». وف الأمال (١: ٥٥) : « مظلع » ، وقال: « ويروى مفظع » .

(٢) لسلجة العرني في الفضليات (١: ٣٠) . وصدره:

* وَقُلْتَ لِكَاسِ أَلْجِيَهَا فَإِنَّا *

(٣) هو أبو ذؤوب . انظر ديوان المذلين (١: ٨٠) .

(٤) عجزه في الفضليات (١: ٢٦) : * بالمعكثتين لدى معدى ابن بران *

(٥) هو البعيث الحنفي ، كما في المؤتلف ٥٦ . وهو البعيث بن حرث بن جابر بن سري بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدليل بن حنيفة بن لميم . وقد سبق ترجمة والده حرث بن جابر في الحماية السابقة .

خبر الابتداء مذوف ، كأنه قال : خيال هذه المرأة أتاني أو زارني ، وبينها مسيرة شهر للبريد المسرع المتبعج . كأنه استطرف من الخيال ما كان يستطرفه من المرأة لوزارت . قوله « البريد المذبذب » كما يقال للسائق الحات طارد . لا ترى قوله يصف فراسا :

* ويُسْبِقُ مطروداً ويلحقُ طاردا *

لأن المذبذب والمذبذب الأصل فيما واحد ، يرجع إلى الطرد والاستبعاد . والمسريع المستتعجل يتذبذب ، أي يضطرب . فاما قوله تعالى : {مذبذب بينَ يَنْ ذَلِكَ} فهو من صفة المنافقين ، ومعناه مطرودين بين المؤمنين والكافرين ، فليسوا بمحظوظين عند واحدة من الفرقتين . ومثل ذب وذذب ، كب وككب . فإن قيل : لم نَكَرْ فقال خيال لأم السلسيل ؟ قلت : يجوز أن يكون كان يرى خيالها على هيئات مختلفة ، فاعتقد لاختلاف هيئته أنه عدة خيال ، فذلك نكرة ، كأنه قصد إلى واحدة منها ، ومثله :

خيال لزينة قد هاج لي نكasa من الحب بعد اندماج^(١)

٢— فقلت لها أهلاً وسهلاً ومرحباً فرددت بتأهيل وسهيل ومرحباً حكي ما دار بينه وبين الخيال . والخيال يذكر ويؤثر . ونبه بكلامه على أنه أظهر لها قبولاً حسناً ، وبشراً وطلاقة ، فقل التشوق لها ، المتشوق إلى لقاءها ، وأنه تلقاها بالترحيب والتأهيل ساعة طلوعها ، فأجابته بمثل ذلك . وانتصب أهلاً بفضل مضرور كأنه قال أتيت أهلاً لا غراء ، وسهلاً من المنازل لا حزنًا ، ورخباً من الأماكن لا ضيقاً . والتأهيل : مصدر أهلته أي قلت له أهلاً . وكان يجب أن يقول فرددت بتأهيل وتسهيل وترحيب ، لوأني

(١) لأمية بن أبي عائد في ديوان المذلين (٢ : ١٧٣) برؤاية : « خيال بلعدة » .

بالكلام على حَدِّ وَاحِدٍ ، لَكَنَّهُ أَنِّي فِي بَعْضِهِ بِحَكَايَةِ الْفَظْلَ ، وَفِي بَعْضِهِ بِبَنَاءِ الْأَخْبَارِ . وَقَالَ سِيبُوِيْهُ : إِذَا قَالَ الرَّادُ وَبَكَ أَهْلًا ، فَإِنَّمَا يَقُولُ : أَنْتَ عَنْدِي بِمَنْزَلَةِ مَنْ يَقُولُ لَهُ هَذَا لَوْ جَئْتَنِي . وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا الْأَنَّ الْحَالَ لَا تَقْتَضِي مِنَ الزَّائِرِ أَنْ يُصَادِفَ الْمُزُورَ عِنْدَهُ ذَلِكَ ، خَمْلُ الْكَلَامِ — وَقَدْ اعْتَدَ فِيهِ مَا ذَكَرَهُ — عَلَى أَنْهُ يُرَادُ لَوْ جَئْتَنِي لَكُنْتَ بِهِذِهِ الْمَنْزَلَةِ .

٥— مَعَادًا إِلَهًا أَنْ تَكُونَ كَظِيَّةً وَلَا دُمْيَةً وَلَا عَقِيلَةً رَبَّ بِ
مَعَادَ انتَصَابَ عَلَى الْمَصْدَرِ . وَالْمَعْنَى اسْتَعِيدُ بِاللَّهِ أَوْ أَعُوذُ بِهِ مَعَادًا . كَانَهُ أَنِّي
وَصَارَ يَرِبْ باً بِصَدِيقَتِهِ أَنْ تَكُونُ فِي الْحُسْنِ بِحِيثِ تَشَبَّهُ بِالظَّبْنِي أَوِ الظَّبْنِيَّةِ
أَوِ الْمُقْتَوِشَةِ ، أَوِ بِكَرِيمَةِ مِنْ بَقْرِ الْوَحْشِ ، إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَايَهُ عِنْدَهُ
دَوْهَنَا ، وَقَاصِرَةً عَنْ رُتْبَتِهَا . وَقَدْ سَلَكَ مِنَ الْمُتَقْدِمِينَ اسْرَؤُ الْقَيْسِ هَذِهِ
الطَّرِيقَةَ قَوْلًا :

كَانَ دُمِّي سَقْفِي عَلَى ظَاهِرِ مَرْمَرٍ كَسَا مُزِيدَ السَّاجُومَ وَشِيَّا مُصَوَّرًا^(١)
غَرَائِرُ فِي كِنْ وَصَوْنِي وَنَعْمَةٌ يُحَلِّيَنَ يَاقُوتًا وَدُرُّا مُفَقَّرًا
فَشَبَّهَ الدُّمَى بِالنِّسَاءِ لَا النِّسَاءَ بِالدُّمَى . وَمَا يَسْتَحْسِنُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ
قولُ أَبِي تَمَامَ :

كَانُوا جَادَ مَغْنَاهُ فَغَيْرَهُ دُمُوعُنَا يَوْمَ بَاوَا وَهِيَ تَنْهَمِلُ
لَا نَهِ شَبَّهَ الْأَمْطَارَ الْغَيْرَةَ لِرُسُومِ الدَّيَارِ بِدَمْوعِ الْعَشَاقِ ، فِي إِثْرِ الْأَخْبَابِ
يَوْمَ الْفِرَاقِ . وَالْعَقِيلَةُ : الْكَرِيمَةُ مِنَ النِّسَاءِ [وَالدُّرُّ]^(٢) وَكُلُّ شَيْءٍ . وَالْرَّبُّ :
الْقَطِيعُ مِنَ الْبَقْرِ .

(١) مُزِيدُ السَّاجُومَ ، مُبَيَّنُهُ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ ، وَإِبَانُهُمَا مِنْ شَرْحِ دِيْوَانِ اسْرَؤِيْلِ
الْقَيْسِ ٩٢ — ٩٣ . وَالسَّاجُومُ : اسْمُ وَادٍ . وَالْمُزِيدُ : الَّذِي عَلَاهُ الْزِيدُ . وَفِي مِنْ مِنْ : « مُزِيدُ
السَّاجُومُ » ، تَعْرِيفٌ . (٢) هَذِهِ مِنْ مِنْ .

٤- وَلَكِنْهَا زَادَتْ عَلَى الْحُسْنِ كُلَّهُ كَالَا وَمِنْ طَيْبٍ عَلَى كُلِّ طَيْبٍ
 يقال : زَدَتْهُ فَزَادَ وَازْدَادَ جَمِيعاً . وكالاً ينتصب على المميز ، والمعنى أنها
 يزيد حُسْنَها على كُلِّ حُسْنٍ كالاً ، لِأَنَّهُ لَا حُسْنَ إِلا وَتَدْخُلُهُ نَقِيَّةٌ ، سَوَى
 حُسْنَهَا . وكذلك كُلِّ الطَّيْبٍ يَتَعَلَّهُ حَطِيطَةٌ إِلَّا طَيْبَهَا . و « من طَيْبٍ » أَي
 وزَادَتْ مِنْ طَيْبِهَا عَلَى كُلِّ طَيْبٍ طَيْبًا . والفَرَضُ أَنْ يَبْيَّنَ لِمَ أَنْكَرَ لَهَا^(١) تَشِيهِهَا
 بغيرها ، فقال : هِيَ تَرْفَعُ عَنِ ذَلِكَ ، إِذْ كَانَتْ جَامِعَةً لِلْمُحَاسِنِ ، مُسْتَحْجِةً لِلْوَاصِفِ
 بِالْكَمَالِ ، وَإِذْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ تَلْكَ الأَشْيَايِ اسْتَبَدَّ بِصَفَّةٍ دُونَ صَفَّةٍ ،
 وَيَنْفَرِدُ بِنَوْعٍ دُونَ نَوْعٍ .

٥- وَإِنَّ مَسِيرِي فِي الْبِلَادِ وَمَنْزِلِي لِبِالْمَنْزِلِ الْأَقْصِي إِذَا لَمْ أَقْرَبْ
 يقول : مَكَانُ الذِّي أَسِيرُ فِيهِ مِنَ الْبِلَادِ ، وَمَوْضِعُ الذِّي أُنْزِلَ فِيهِ ، لَا بَعْدَ
 الْمَنَازِلِ ، وَأَوْضَعُ الْمَسَارِ ، إِذَا لَمْ يَلْحِظْنِي فِيهَا تَقْرِيبٌ وَتَمْظِيمٌ . وَقُولُهُ « أَقْرَبْ »
 بِمَعْنَى أَكْرَمْ وَأَدْنَى ، عَلَى طَرِيقِ الإِعْظَامِ . وَلِيُسْ يَرِيدُ تَقْرِيبَ^(٢) الْمَسَافَةِ بِهِ .
 وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى إِذَا لَمْ أَقْرَبْ كَمْتُ بِمَنْزِلَةِ الْمَطْرُودِ الْمُنْفَقِ ، وَإِنْ كُنْتُ مَقِيمًا
 دَائِيًّا . وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ لِبِالْمَنْزِلِ وَالْمَسِيرِ ؛ فَأَكْتَفَ بِأَحَدِهِ . وَآتَى الْمَنْزِلَ
 بِالذِّكْرِ لِأَنَّ النَّزُولَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ السَّيْرِ . وَدَلِيلُهُ الْكَلَامُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَرْضَى فِي
 مَتَّصِرٍ فَإِنَّهُ إِلَّا بِمَا يَقْرِبُ بِتَجْمِيلِهِ ، وَيُفْضِي إِلَى اصْطِفَانِهِ وَالرُّفْعِ مِنْهُ ؛ وَأَنَّهُ لَا يَصْبِرُ
 عَلَى الْهُوَانِ وَالْجُنَاحِ حِيثُ سَارَ وَنَزَّلَ ، بَلْ يَطْلُبُ إِكْرَامَهُ وَإِلَّا اتَّقْلِ وَتَحْوِلَ .

٦- وَلَسْتُ وَإِنْ قُرُبْتُ يَوْمًا يَابَعَ خَلَاقِ وَلَا قُوَّى ابْتِغَاءَ التَّحْبِبِ

(١) كَلْمَةُ « لَهَا » لَيْسَ فِي مِنْ.

(٢) مِنْ : « تَقْلِيلٌ » .

يقول : لستُ وإنْ أَدْنِيتُ وَبُحْلَتُ بِيَاعَ نصِيبِي مِنْ شَرَفِي ، وَمُوْضِعِي^(١)
مِنْ عَشِيرَتِي ، طَلَبًا لِلتَّحْبِبِ إِلَى مِنْ أَجَارَهُ وَأَعْشَرَهُ ، أَوْ تَهالِكًا فِي تَعْلِيقِ
الظَّلَمَعْ بَنْ أَرْجُوهُ وَآمُلُهُ . وَالْخَلَاقُ : الْحَظُّ وَالنَّصِيبُ مِنِ الصَّلَاحِ . وَيُقَالُ :
مَا لِفَلَانٍ خَلَاقٌ ، إِذَا لمْ يَكُنْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الْاسْتِصْلَاحِ وَأَكْتَسَابِ الْخَيْرِ . وَاتَّصَبَ
« ابْتِغَاءَ التَّحْبِبِ » عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ .

٧— وَيَعْتَدُهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ تَجَارَةً وَيَعْنِي مِنْ ذَاكَ دِينِي وَمَنْصِبِي
يَقُولُ : وَيَعْدُ مَا تَبَرَّأَتْ مِنْهُ وَأَنْفَتْ مِنْ فَلَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَجَارَةً رَاجِحةً ،
وَصَفْقَةً مَفْيِدَةً نَافِعَةً ، وَأَنَا يَدْفَنِي عَنْهُ وَيَرْهَدِنِي فِيهِ شَرْفٌ وَدِيَانَتِي . وَهَذَا القُولُ
يُحُوزُ أَنْ يَكُونَ تَنْزِيْهًا لِنَفْسِهِ ، وَتَرْكِيَّةً لِفَعَالَهِ وَخَلِقِهِ فَقَطَ ، وَأَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ
مِنْهُ التَّعْرِيْضُ بِغَيْرِهِ . وَهَذِهِ الْأَيَّاتُ وَإِنْ كَانَ فِي جَلْتِهَا^(٢) مَا لِيْسَ مِنِ الْبَابِ
فَإِنَّهُ كِرَهَ تَبَدِيْدَهَا لِسَالِمَتِهَا مِنِ الْعَابِ ، وَوَفُورٌ حَفْظُهَا مِنِ الْاِتْخَابِ .

٨— دَعَانِي يَزِيدُ بَعْدَ مَا سَاءَ ظَنَّهُ وَعَبَسُ وَقَدْ كَانَ عَلَى حَدِّ مَنْكِبِ
مَا قَدَّمَهُ تَوَصَّلَ إِلَى بَيَانِ صِرَاّعَاتِهِ أَمْرَ العَشِيرَةِ ، وَالتَّعَطُّلُ عَلَى الْقَرِيبِ
وقْتَ الْحَاجَةِ ، وَالْمُتَشَكِّلُ بِمَا يَوْجِبُهُ الْكَرَمُ وَالْحَرَّيَّةِ . يَقُولُ : دَعَانِي هَذَا الرَّجُلُ
وَصَاحِبُهُ مُسْتَغِيْثَيْنِ ، بَعْدَ سُوءِ ظَنِّهِ بِعَشِيرَتِهِ وَبِمَا لَمْ أَسْلَفَ مِنِ الشَّرِّ ، وَقَدْمَ
مِنِ الْعُقوَقِ وَالْإِيَّادِ ، وَقَدْ كَانَ أَشْرَفَ عَلَى حَدَّ الْهَلاَكِ . هَذَا إِذَا روَيْتَ بِفَتْحِ
الْكَافِ مَنْكِبَ ، وَالْمَعْنَى : شَافَهَا حَدَّ الشَّرِّ وَحَرْفَهُ ، وَلَا يَأْمُنَانَ اقْتِحَامَهُ
وَتَوْشِطَهُ . وَيُقَالُ أَصَابَهُ نَكْبَهُ مِنَ الدَّهْرِ وَمَنْكِبَهُ وَنَكْبَهُ وَنُكْبَهُ
كَثِيرَةٌ ، وَمِنْهُ قَيلَ حَافِرٌ نَكِيبٌ وَمَنْكُوبٌ ، إِذَا أَثْرَ فِيهِ حَجْرٌ أَوْ غَيْرُهُ .

(١) م : « أو مُوضِع ». .

(٢) كَذَافَ م . وَفِي الْأَصْلِ : « مِنْ جَلْتِهَا »

ويروى « على حد منكِب » بكسر الكاف ، وللمعنى : كانوا مهاجرين إلى .
يقال : فلان معى على حد منكِب ، أى كلام آنى التوى ولم يتلقنَّ وجهه ، وتنكبَ
عَنْ ؛ أى اجتنبَنى . والمنكِبُ من كل شئ : جانبه وناحيةه . ومثله قوله :
فلان يلقاني على حرفٍ ؟ وهو منحرفٌ عنِ متصرفٍ . ويجوز أن يريد بقوله
« بعد ماساة ظنه » بعد تسلط اليأس والقنوط من الحياة عليه .

٩- وقد علما أن العشيرة كلها سوئيَّ محضري من خاذلين وغييبِ
دلَّ بهذا الكلام على الفرورة الداعية إلى الاستعانة به ، والاستظهار
بدعوته وإجابته . يقول : استغاثا بي متيقنين أن كلَّ عشيرتها إذا لم أحضرُ
من بين شاهدي لا ينصرُ ، وغائب لا يحضر ، وأن الكفاية لا توجد إلا عندى ،
والنصرة لها لا تحصل إلا بسعى . قوله « من خاذلين وغييبِ » أراد ومنْ
بين غييبِ ، فاكتفى بمن الأول عن الثاني ، وقد مررَ القول في مثله مشروحاً .
ومعنى سوئي هنا معنى بدلٍ ومكان . وذكر الحضر والمراد النفس ؛ كأنه
قال : وقد علما أن العشيرة كلها بدلًا مني ومكانى ، من خاذلٍ وغائبٍ .

١٠- فكنت أنا الحامي حقيقة وائلٍ كَا كَانَ يَخْمِي عن حقائقها أَيْ
يقول : أعنتمُوا على صرف رجائهما ، وتسلط الظنون السيئة عليهم ، جاريَا
على الغاية الموروثة عن أسلاف ، ومقتدىً في الذَّبَّ عن العشيرة ، والمواظبة على
حياة الحقيقة ، ببابي . ويقال : حَمِيت الحقيقة وَحَمِيتُ عن الحقيقة ، وهو يَخْمِي
عليه ويُحَامِي عليه .

١٣١

وقال المثل بن رياح^(١) :

١— مَنْ مُبْلِغٌ عَنِ سِنَانًا رِسَالَةً وَشِجْنَةً أَنْ قُومًا خُذَا الْحَقَّ أُودِعَا

يقول : مَنْ يُؤْدِي عَنِ رسَالَةٍ إِلَى هَذِينَ الرَّجُلَيْنِ ، بَأْنَ ارْضَيَا الْحَقَّ وَقَوْمًا
وَاسْتَوْفِيَاهُ ، أَوْ اتَّرَكَاهُ فَالَّكُمَا غَيْرُهُ وَإِنْ تَسْخَطْتُمَا . وَهَذَا تَوْعِيدٌ وَاسْتَهَانَةٌ .
وَقَوْلُهُ «أَنْ قُومًا» أَنْ مُخْفَفَةً مِنْ أَنَّ النَّقِيلَةَ ، وَالْمَرَادُ : أَنَّهُ قُومًا . وَمُثْلُهُ قَوْلُهُمْ فِي
أَمَّا أَنْ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَيَحْبُزُ أَنْ يَكُونَ أَنَّ الْمُفَسَّرَةَ ، كَأَنَّهُ فَسَرَ الرِّسَالَةَ بِقَوْمًا
خُذَا الْحَقَّ . وَمُثْلُهُ قَوْلُهُمْ : أَنْفَخْرُ عَلَيْهِ أَنْ أَصْحَابُكَ أَكْثَرُمِنْ أَصْحَابِي . وَأَنْ هَذِهِ
تَجْرِيَ مَجْرِيَ أَيِّ فِي أَنَّهُ يُفَسِّرُ بِهِ . وَلَوْ قَالَ قَوْمًا وَخُذَا الْحَقَّ ، فَأَنِّي بِحَرْفِ الْعَاطِفِ
كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿قُمْ فَانْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِير﴾ كَانَ أَفْصِحَّ . وَقَدْ جَاءَ مُثْلُهُ
بِغَيْرِ الْعَاطِفِ كَثِيرًا . وَقَوْلُهُ «قُومًا» لِيَسْ الْمَرَادُ بِهِ قَفْلَ الْقِيَامِ ، لِكُنْهِهِ وَصْلَةُ فِي
فِي الْكَلَامِ ، وَقَدْ يُبَيِّنَ فِيْمَا مَضَى أَمْثَالَهُ . وَيَحْبُزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ خُذَا الْحَقَّ عَلَى
طَرِيقِ التَّهْكُمِ وَالسُّخْرِيَّةِ . أَيْ إِنْ قَدَرْتُمَا عَلَى أَخْذِ الْحَقَّ الْمُدَعَّى فَخُذُّهَا . وَيَحْبُزُ
أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : تَرَكَكَا مَا سَيِّئَهُ حَقًا ، وَطَلَبَكَا لَهُ عِنْدِي سَوَاءَ عَلَى الْحَقِيقَةِ .

٢— سَأَكْفِيكَ جَنَبِيَّ وَضَعْهُ وَوَسَادَهُ وَأَغْضَبَ إِنْ لَمْ تُعْطِ بِالْحَقِّ أَشْجَعَهُ^(١)

(١) التبريزى : «المثل بن رياح بن علام المرى». وقال المربانى في المعجم ٣٨٦ :
«المثل بن رياح المرى باهلى ، وله يقول سنان بن أبي حارثة وأجار عليه :
من مبلغ عن المثل آية وسهملا فقد فرم الوحش أجمعها
هم لخوئي دنيا فلا تهربنهم أبا حشرج وافسح لجنبك مضجعا
 فأجباه المثل :

من مبلغ عن سنانا رساله وشجنة أن قوما خذا الحق أودعا

(٢) قال التبريزى : « هو أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ».
وقال أيضاً : « قال أبو هلال في قوله إن لم تعط بالحق : هكذا روى ، وهو تصحيف =

يقول : أَ كَفِيكَ مَا يُمْسِنِي وَيُخْصِنِي ، وَلَا أَضَايِقُكَ فِيمَا يُرْجِعُ نَفْعَهُ وَضَرَّهُ
إِلَى . وَذَكْرُ وَضْعِ الْجَنْبِ وَالْوَسَادِ مُأْخُوذٌ مِنَ الْمُثْلِ السَّائِرِ فِي الْمُعْتَنِفِ بِالشَّيْءِ الْمُتَعَهَّدِ
لَهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : « أُمْ فَرَشتَ فَأَنَامْتُ » . وَالْمَعْنَى : لَا أَكْلَفُكَ عَنْيَةً بِأَمْرِي ،
وَلَا أَوْاَخِذُكَ بِمَصَالِحِ أَسْبَابِي . وَمَتَى لَمْ تَنَاوِلْ مَوْلَايَ أَشْجَعَ الْحَقَّ ، وَلَمْ تُعَامِلْهُ فِيمَا
يُنْكَا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، غَضِبْتُ لَهُ وَانْتَقَمْتُ ؛ لَأَنَّ فِي تَضِييعِ حَقِّ الْمَوْلَى وَالْأَخْذِ
بِالْتَّغْيِيرِ فِيهِ لَازِمٌ الْعَارِ ، وَفِي اسْتِعْمَالِ التَّغَيْبِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِي وَاطْرَاحِ الْمَنَاقِشَةِ
وَالْمَشَاحَةِ فِيهِ بِأَقِيلِ الصَّيْتِ وَالْجَهَالِ . قَوْلُهُ « إِنْ لَمْ تُعْطِ بِالْحَقِّ » قِيلُ فِيهِ مَفْعُولٌ تُعْطِ
الثَّانِي مَحْذُوفٌ ، وَمَعْنَى بِالْحَقِّ : بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ . كَأَنَّهُ قَالَ : تُنْفِتِ أَشْجَعَ
مَا يَحِبُّ لَهُ بِالْحَقِّ . وَقِيلَ أَرَادَ بِتُنْفِتِ تُعَالِمِ فَعَدَاهُ تَعْدِيَتِهِ . وَقِيلَ بِالْحَقِّ هُوَ
الْمَفْعُولُ الثَّانِي ، لَكِنَّهُ زَادَ الْبَاءَ فِيهِ تَأْكِيدًا ، كَمَا قَالَ الْآخِرُ^(١) :

* سُودُ الْمَحَاجِرِ لَا يَقْرَأُنَّ بِالشَّوَرِ^(٢) *

وَيَغْلِبُ فِي نَفْسِي أَنَّ الشَّاعِرَ قَالَ وَأَغْضَبَ إِنْ لَمْ تُعِظِّلَا الْحَقَّ أَشْجَعَ ،
لَأَنَّهُ بَنَى الرِّسَالَةَ عَلَى أَنْ تَكُونَ مُتَوَجَّهَةً نَحْوَ الْأَثْنَيْنِ : سِنَانٍ وَشِجَنَةَ . وَمُخَاطَبَتُهُ
مِنْ بَعْدِ أَحَدِهَا فِي قَوْلِهِ سَأَ كَفِيكَ ، عَلَى عَادِتِهِمْ فِي الْأَفْتِنَانِ وَالْتَّصَرُّفِ ، لَا يَعْنِي
مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى مَا بَنَى كَلَامَهُ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِ الْأَثْنَيْنِ . وَهَذَا ظَاهِرٌ مِنْ تَأْمِلِهِ .

٣— تَصْبِيحُ الرَّدِيَنَاتِ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَاحٌ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوَاعًا
يريد : تختلف الرماح المنسوبة إلى هذه المرأة^(٣) يبنينا وينهم بالطعنِ ،

= قبيح ، والصحيح : وأغضب إن لم يغضب الحق أشجعا . يقول : سأ كفيك أمرى كله ولا
أُهلاك شينا ، وأغضب لك وحقك إن لم يغضب له أشجع ». .
(١) هو الراعي النبوي ، أو القاتل الكلابي ، إذ ورد في شعر لشك منهما . المزانة .
(٢) ٦٦٧ : ٣ .

(٤) صدره : * هنَّ الْمَرْأَوْنَ لَارْبَاتِ أَحْمَرَ *

(٣) هي ردينة ، واسم زوجها سمهر ، كانوا يقونان الرماح بخط هاجر ، فنسبت إلى كل
منهما . اللسان (سمهر ، ردن) .

فصياحها كصياح بنات الماء إذا جاءت . وهذا كما حكى الآخر وقُعَّ القنا
والشيف عند الطعن والضرب ، فقال :

* والطَّفْنُ شَغْشَغَةُ وَالضَّرْبُ هَيْقَعَةُ^(١)

ويُعْنِي ببنات الماء طيور الماء . وهذا كما يقال في الوحش : بنات الفلام ،
وللنواب : بنات الدهر .

٤ - لَفَقَنَ الْبَيْوَتَ بِالْبَيْوَتِ فَأَصْبَحُوا بَنِي عَمَّا مِنْ يَرْمِنَا يَرْمِنَا مَعَا^(٢)
يقول : استأنفنا حالة جامدة لنا ولعشيرتنا ، فاستبدلنا بالتبان اجتماعاً ،
وبالتزاييل اختلاطاً ، وبالتنافر تائساً ، وبالتشارد تالفاً ، حتى صرنا يدآ واحدة
على المناذين ، ولسانا واحداً على الحالين ، فمن رَسَى واحداً مِنَّا فقد رسى جميعنا .
هذا إذا رويت : «من يَرْمِنَا يَرْمِنَا مَعَا» . ومن روی : «من يَرْمِنَهُمْ يَرْمِنَا مَعَا»
يكون المعنى في اجتماع الكلمة أبين . وفي هذه الطريقة قول الآخر^(٣) :
فَأَمْسَى كَعْبَهَا كَعْبَةً وَكَانَتْ مِنَ الشَّنَآنِ قَدْ دُعِيَتْ كِمَابَا

(١) البيت لعبد مناف بن ربيع المذلي . اللسان (شفع ، هقع ، عول ، عضد) وبقية
أشعار المذلين من ٣ . وقد سبق الاستشهاد به في س ٣٧ . وعجزه :

* ضرب المعون تحت الدعوة العضدا *

(٢) هو معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب . المفضيات (٢ : ١٥٨)

١٣٢

وقال آخر^(١) :

١— يازِمْلُ إِنِّي إِنْ تَكُنْ لِي حَادِيًّا أَغْكِرْ عَلَيْكَ وَإِنْ تَرُغْ لَا تَسْبِقِّ

يقول : إن تَخَلَّفَ عَنِّي حتى يكون مكانك مكان الحادي من البعير أَعْطِفْ عَلَيْكَ . وإن تَقْدَمْتَنِي هارِبًا حتى تصير كالحادي لي مستعملاً الخداع والرَّوَاغَ معِي لم تَفْتَنِي . وللمعنى : إِنِّي أَدْرِكُكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وقد أَحْسَنَ النَّابِغُ فِي قَوْلِهِ :

فَإِنَّكَ كَالْلَّيلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي وَإِنْ خَلَتْ أُنَّ النَّتَائِي عَنِّكَ وَاسِعُ وَيَقَالُ عَسْكَرٌ وَاعْتَكَرٌ بِمَعْنَى عَطَافٍ ، وَإِنَّهُ لَعَكَارٌ فِي الْفِتَنِ ، إِذَا كَانَ ثَابِتَ الْقَدَمِ .

٢— إِنِّي امْرُؤٌ تَجِدُ الرَّجَالُ عَدَاؤِي وَجْدَالُ كَابِ مِنَ الدَّبَابِ الْأَزْرَقِ

يقول : إِنِّي رَجُلٌ يَنْالُ أَعْدَائِي مِنْ عَدَاوَتِهِمْ لِمَا يَنْالُ الْأَبْلَى مِنَ الدَّبَابِ الْأَزْرَقِ ، وَهَذَا الْجِنْسُ مِنَ الدَّبَابِ يَتَأذَّى بِهِ الْأَبْلَى تَأذَّى الْحُمْرُ بِالثَّعْرِ أَوْ أَشَدَّ . عَدَاؤِي يَنْتَصِبُ عَلَى الْمَفْعُولِ ، كَانَهُ قَالَ : يَمْدُ الرَّجَالُ مِنْ عَدَاؤِي ، خَذْفُ

(١) عند التبريزى فقط : « وقال ابن دارة ». وابن دارة هو سالم بن مسافع ابن يربوع — ويربوع هودارة ، وإنما سمى دارة لأن رجلاً من بي الصادر قتل ابن عم يربوع ، فقتله به وأخذ ابنه ، ثم أرسلها فأقتلت قومها ، فسألوها عن قتل أبيها فقالت : غلام كان وجهه دارة القبر . انظر الحزانة (١ : ٢٩١) والأغاني (٢١ : ٥٠) .

(٢) زمل هنا ، هو زميل بن أبيه ، أحد بنى عبد الله بن مناف ، قاتل ابن دارة . وفي ذلك يقول :

أَنَا زَمِيلُ قَاتِلِ ابنِ دَارَةِ

وَغَاصِلُ الْمُخَزَّانِ عَنْ فَزارِهِ

وَكَانَ سَالِمٌ وَزَمِيلٌ جِيَعاً فِي صَدْرِ الإِسْلَامِ ، أَدْرِكَ زَمَانَ مَعَاوِيَةَ .

حَرْفَ الْجَزِّ وَوَصْلِ الْفِعْلِ فَعِيلَ . يَدْلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ : « وَجْدُ الرَّكَابِ مِنَ الدَّبَابِ » . وَمِثْلُهُ :

* أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبِي لَسْتُ مُخْصِيَةً^(١)

وَقَوْلُهُ « عَدَاوَتِي » يَحْبُزُ أَنْ يَكُونَ مُضَافًا إِلَى الْفَاعِلِ ، أَيْ عَدَاوَتِي لَهُمْ ، وَيَحْبُزُ أَنْ يَكُونَ مُضَافًا إِلَى الْمَفْعُولِ ، أَيْ عَدَاوَتِهِمْ لِي . وَمَعْنَى تَحِيدُ تَحْزَنُ ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْوَجْدُ مَصْدَرَهُ . وَيَحْبُزُ أَنْ يَكُونَ تَجْدُ بِمَعْنَى تَعْلَمَ ، وَيَكُونُ عَدَاوَتِي الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ وَوَجْدُ الرَّكَابِ الْمَفْعُولُ الثَّانِي . وَالْمَعْنَى : إِنَّ عَدَاوَتِهِمْ لِي تُعَقِّلُهُمْ وَتُقَزِّرُهُمْ ، فَيَعْلَمُهُ الْرِّجَالُ مِثْلَ وَجْدِ الرَّكَابِ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مِنَ الدَّبَابِ ؛ أَيْ يَنَالُونَ مِنْهَا مَا يَنَالُ تَلْكُ مِنْهُمْ . وَيَحْصُلُ فِي الْبَيْتِ تَجْنِيسٌ حِينَذِ.

١٣٣

وَقَالَ الْحُسَينُ بْنُ الْحَمَامَ^(٢) :

١ - فَقُلْتُ لَهُمْ يَا آلَ ذُيَّانَ مَا لَكُمْ تَفَاقِدُمُ لَا تُقْدِمُونَ مُقَدَّمًا

يَقُولُ : قُلْتُ لِهُؤُلَاءِ الْقَوْمَ : مَا لَكُمْ تُعْجِمُونَ وَلَا تُقْدِمُونَ ، فَقَدَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَلَا اهْتَدَى أَهْدُوكُمْ إِلَى الْآخَرِ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَضَبَّرُ مِنْهُ بَعْضُهُمْ لِمَا تَخَذَّلُوا وَلَمْ يَكُونُوا عِنْدَ الظَّنِّ فِيهِمْ . وَوَوْضَعَ مُقَدَّمًا مَوْضِعَ الإِقْدَامِ ، وَسَاعَ ذَلِكَ لِأَنَّ مَصَادِرَ الْكَلَامِ الصَّادِرَةُ عَنِ أَصْلٍ وَاحِدٍ يَوْضُعُ بَعْضُهَا مَوْضِعَ الْبَعْضِ لِدَاعِ يَدْعُو إِذَا لَمْ يَسْكُنْ ثَمَّ مَا نَيَّعَ . وَإِنَّمَا قُلْتُ هَذَا لِأَنَّ قَدَّمَ يَكُونُ مَرَّةً مَتَعَدِّيًّا ،

(١) هُوَ مِنْ أَبْيَاتِ سَيِّدِهِ الْحُسَينِ الَّتِي لَا يَعْرِفُ لَهَا قَائِلٌ . سَيِّدِهِ (١٧ : ١) وَالْحَزَانَةِ (١ : ٤٨٦) . وَعِزْرُهُ :

* رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ *

(٢) سَبْتَ تَرْجِيْهِ فِي الْحَاسِبَةِ ٤١ .

ومرة تكون بمعنى تقدّم ولا يتعدّى ، ومقدماً هاهنا مصدر ما لا يتعدّى ، فهو مِثْلُ تَقْدِيمٍ لِوَقَالَهُ ، وَمِنْهُ مُقْدِمَةُ الْجَيْشِ ، يُرَادُ مِتَقْدِمَتُهُ . وقوله : « تقادم » اعترافٌ بين مَا لَكُمْ وبين لَا تُقْدِمُونَ ، وهو دعاء عليهم . ومثله في الأمرين جيئاً قول الآخر^(١) :

إِنَّ النَّاسَيْنَ وَبُلْغَتِهَا
قد أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُحِ
وَإِنْ كَانَ هَذَا دُعَاءَ حَيْثُ .

٣ - مَوَالِيكُمْ مَوَالَى الْوِلَادَةِ مِنْهُمْ وَمَوَالَى الْيَمِينِ حَابِسًا مُتَقَسِّمًا

إنما قسم المولى هذه القسمة لأن المولى له موضع في استعمالهم ، منها المولى في الدين ، وهو الولى . على ذلك قول الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بَأْنَ اللَّهِ مَوَالَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوَالَى لَهُمْ ﴾ ، وقول النبي عليه السلام : « من كُنْتُ مَوْلَاه فَعَلِّمْ مَوْلَاه » ، وقوله عليه السلام : « مُزَيْنَةُ وَأَسْلَمَ وَغَفَارٌ مَوَالِيُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » ، ومنها العصبة وبنو العم ، وهو الذي سماه الشاعر مَوَالَةُ الْوِلَادَةِ . ومنها الخليفة ، وهو من انضم إليك واعتبر بعزمك وامتنع بمنعك ، وهو الذي سماه مَوَالَى الْيَمِينِ ؛ لأنَّه يُقْسِمُ له عند الانضمام بذلك ، وهو المفترق لك ينتسب بنسبيك ، وأنت مَوَالَاه وذاك مَوْلَاكَ . وهم يقولون : إنَّ المَوَالَى لَا يَكَادُ يَفْضُلُ الصَّمِيمِ ، قال :

وَلَيْسَ أَبْيُورُكُمْ كَأَبْيُورِ سَوْءٍ وَمَا جَعَلَ الْمَوَالِيَ كَالصَّمِيمِ

يقول : تداركوا الذين ينتسبون بالولاء ، ولاء النسب ، وولاء الحليف والنصرة ، فَكُلُّهُمْ ذو حَسْنٍ عَلَى الشَّرِّ مُتَقَسِّمٌ الْحَالُ ، مَتَوزَّعُ الْمَالُ مُغَارِبٌ عَلَيْهِ ، فَالَّكُمْ لَا تَمْتَعِضُونَ وَلَا تُنْسِكُونَ .

وقوله : « حَابِسًا » في معنى محبوس ، لكنه أخرجه محرج النسب ؟ أى

(١) هو عوف بن عمِّل الخزاعي . الأمال (١ : ٥٠) .

ذو حبسٍ ، وانتصابه على الحال . وقوله «مواليك» على هذا انتصب بفعلٍ مُضْرِّ ، كأنه قال : أغيثوا مواليك وتداركوا . ويرُوى «حابس قد تُفْسَّرَا» . وقيل هو اسم علمٍ ، وارتفاعه على أنه بدلٌ من مولى المين ، وقد تُفْسَّرَا في موضع الخبر . واكتفى بالإخبار عن المؤيدين لأنَّ الوالى انقسموا إليهما .

٣- وَقُلْتُ تَبَيَّنْ هَلْ تَرَى بَيْنَ وَاسِطٍ وَنَهْيٍ أَكْفَتٍ صَارِخًا غَيْرَ أَعْجَمًا^(١) يُرُوى «فارسًا غيرَ آخرَ ما» ، كأنَّه أقبل على واحدٍ منهم فقال : تأملْ هل تَرَى بينَ هذينَ الموضعين فارسًا غيرَ منقطع . وللمعنى : أنهم يتواترون أرسالاً في الصراخِ غير متجمعين له ، بل يتبَعُ بعضُهم بعضاً في أرضِكم وديارِكم يستنصرُون فلا يُنصرُون ، فالكلم لا تأْنفوْنَ . ومن روى : «صارِخًا غَيْرَ أَعْجَمًا» فعنده مستفيضاً لا يُحَاجَبُ ، فكانه أعمى لا يُفهُمُ قوله . يزيد : تَبَيَّنْ فإنك لا تَرَى إلا فارسًا آخرَ ما ، أو صارِخًا أَعْجَمَ . والأعمى : الذي لا يُفْصِحْ . والصارخ والصرَّيخ واحد ، ويقال صرخ فَأَصْرَخْتُه ، أي استغاث فاغتُثْتُه . وفي القرآن : «مَا أَنَا مُصْرِخُكُمْ» والصرخةُ تستعمل في الفزع والمصيبة . وفي المثل «لَهُ صَرْخَةُ الْحَبْلِ» . وأنحرمُ : القطع ، ومنه آخرَمُ الْكَتْفِ ، وهو مَحْزُونٌ في طرفِ غيرِها^(٢) .

٤- مِنَ الصَّبَحِ حَتَّى تَقْرُبَ الشَّمْسُ لَا تَرَى مِنَ الْجَيْلِ إِلَّا خَارِجِيًّا مُسَوَّمًا أَيْ ابْتَدَأَ الْأَعْدَاءِ يَغْيِرُونَ وَيَنْهَيُونَ ، وَهُؤُلَاءِ يَصْرُخُونَ وَيَسْتَغْيِثُونَ ، مِنْ

(١) التبريزى ومعجم البلدان : «ونهى الأَكْـ» ، وعى يافت على أن النهى بالكسر وفتح . وذكر التبريزى في بعض رواياته : «غير آخرما» ، وقال : «وسارخ» ، قبل مغيث . وأنحرم : جبل . ومعنى البيت على هذا أنه ليس بين هذين الماءين مفرز إلا عدا الجبل » .

(٢) في الأصل : «غيرها» ، وفي م : «غيرها» ، والوجه ما أثبتنا . والعبر ، يفتح العين المهملة : كل عظم ناتي .

وقت الغدَاءِ إِلَى أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ ، فَلَا تَرَى مِنَ الْخَلِيلِ إِلَّا مَا خَرَجَ بِنَفْسِهِ
لَا أُوْلَئِيَّةَ لَهُ كَمِثْلَهُ ، وَقَدْ أَعْلَمَ بِعِلْمٍ بِعْلَمَةً لِيُعْرَفَ بِلَاهٌ صَاحِبِهِ . وَقَوْلُهُ : « مِنْ
الصَّبْحِ » ، وَضَعَ مِنْ فِيهِ مَوْضِعَ مُنْذُ ، لَأَنَّ مُنْذُ فِي الْأَزْمَنَةِ بِمَنْزَلَةِ مِنْ فِي الْأَمْكَنَةِ .
وَمِثْلُهُ قَوْلُ زَهِيرٍ :

* أَفَوْنَ من حِجَّاجٍ وَمِنْ دَهْرٍ *^(١)

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْأَخَارِجِيُّ : كُلُّ مُنْتَاهٍ فِي جِنْسِهِ ، فَإِنِّي نُظَرَّأُهُ فِي مَعْنَاهُ .
وَالْمُسَوْمُ مِنَ السَّيْمَا ، وَهِيَ الْعَلَمَةُ ، وَفِي الْقُرْآنِ : « سَيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ » .

٥ - عَلَيْهِنَّ فِتْيَانَ كَسَاهُمْ مُحَرِّقٌ وَكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادَ وَأَكْرَمَ
يَقُولُ : عَلَى هَذِهِ الْخَلِيلِ رِجَالٌ كَسَاهُمْ مُحَرِّقٌ ، أَى دَرُوعُهُمْ وَسَائِرُ أَسْلَحَتِهِمْ
مَا كَانَ يَكْسُوْهُمْ ، وَيَجْعَلُهُمْ خَلْعَةً . وَكَانَ مُحَرِّقٌ إِذَا كَسَ الْأَسْلَحَةَ أَتَى بِهَا
جَيِّدَةً كَرِيمَةً . وَمُحَرِّقٌ : لَقْبُ لَمْزُونِ بْنِ هَنْدٍ ، وَكَانَ أَحْرَقَ قَوْمًا مِنْ تَمِيمٍ حِينَ
أَجَجَ النَّارَ بِأَوَارِهِ ، فَلَقِبَ بِهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَقْبٌ بِذَلِكَ لَأَنَّهُ كَانَ إِذَا عَاقَبَ
عَاقِبَ بِالنَّارِ . وَقَوْلُهُ « إِذَا يَكْسُو » اعْتَرَاضٌ بَيْنَ الْفَعْلِ وَ« يَكْسُو » وَبَيْنَ الْمَفْعُولِ
بِهِ وَهُوَ « صَفَاعَ بُصْرَى » مِنَ الْبَيْتِ الثَّانِي . وَيَقُولُ أَجَادَ الشَّيْءَ بِمَعْنَى جَاءَ بِهِ
جَيِّدًا ، وَبِمَعْنَى جَوَدَهُ . وَكَذَلِكَ أَكْرَمَهُ يَكُونُ بِمَعْنَى أَتَى بِهِ كَرِيمًا ، وَبِمَعْنَى
كَرِمَهُ . وَقَدْ توَسَعُوا فِي كَسَا وَإِنْ كَانَ أَصْلُ الْكُسُوةِ الْلِّبَاسُ ، فَقِيلَ : أَكَتَى
الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ ، عَلَى التَّشْبِيهِ ، فَقَالَ رُؤْبَةُ يَصِفُ الثَّورَ وَالْكَلَابَ :

* وَقَدْ كَسَا فِيهِنَّ صِنْفًا بَرْزَغًا *

أَى كَسَا الْكَلَابَ دَمًا طَرِيًّا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ نَبَالٍ :

* وَزُرْقٌ كَسَهَا رِيشَهَا مَضْرَحَيَّةٌ *

* لِمَنِ الدِّيَارِ بِقَنَةِ الْحِجَرِ

(١) سَدْرَهُ :

أى قَذْهَا مِنْ رِيشِ مَضْرَحِيٍّ . فَعَلَى هَذَا قُولَهُ « كَسَاهُمْ مُحَرَّقٌ » .

٦ - صَفَاعِحَ بُصْرَى أَخْلَاصَتْهَا قَيْوَنَهَا وَمُطَرِّدًا مِنْ نَسْجِ دَاؤَدْ مُبْهَمَّا

صفائح انتصب على أنه مفعول ثانٍ من كسامٌ محرقٌ . وبصرى : قريحة بالشام تطبع بها الشيفون . فيقول : كسامٌ محرقٌ سيفوناً بضرية ، اخذها طباعوها من خالص الحديد ، ودرعواً لينةً سهلة سلسنةً ، متابعة السرد ، تطرد ولا تختلف ، داودية . والصفائح : جمع صفيحة ، وهي كل سيفٍ عريضٍ أو خشبية عريضة . ويقال سيفٌ مُضفَحٌ أيضًا ، أى عريض ، كأنه زيدٌ في صفحته ، أى جانبيه . ويقال أصفحَ بسيفه ، أى ضرب بصفحه . ومعنى أخلاصتها : أتت بها خالصة الحديد . واستعمل الكسوة في السيف كا يستعمل فيه البز . قال :

* فَوَقَرَ بَزْ مَا هُنَالِكَ ضَائِعٌ^(١) *

يريد السيف . ووصف الدرع بالاطراد لتنابع سردها على حذرٍ واحد ، لا اختلاف في حلقها ، ولا تفاوت في نظمها . وجعلها مبهماً لإحكامها .

٧ - فَلَمَّا رَأَيْتُ الصَّبَرَ قَدْ حَيْلَ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ مُظْلَمًا^(٢)

يقول : لما رأيتَ الأمرَ مُستفحلاً ، والخطبَ عظيمًا مُستفطلاً ، والصبر عامًا لنا كثنا ، مغلوبًا عليه متعدًا ، صبرنا نحن من بين أصحابنا على عادتنا الممهودة مينا ، ووطئنا أنفسنا على الشر . ويجوز أن يريد بقوله « لما رأيت الصبر قد حيل دونه » لما رأيتَ الوقتَ وقتاً يُعالِ فـيـه الصـبر ، ويـحالـ بـيـن طـالـبـهـ وـيـنـهـ .

(١) ليس بن عزيزارة الهندي ، في ديوان المذلين (٣ : ٧٨) . وصدره :

* فَوَقَرَ امْ بَزْ جَرْ شَعْلَ عَلَى الْجَصَى *

(٢) م : « ولما رأيت » ، التبرizi : « ولما رأينا الصبر » .

وقوله « وإن كان يوماً ذاكوا كب مُظْلِّماً » اعتراض بين لما وجوابه ، وهو شرط في وقوع الصبر منهم يتحقق عن الحال . أى صبرنا وإن كان اليوم يوماً مُظْلِّماً ترى فيه الكواكب ظهراً ، لأن سداد عين الشمس بغير الموت . وجواب الجزاء استغنى عنه بجواب لما . وروى بعضهم : « وأن كان يوماً » بفتح الممزة على أن يكون أن مخففة من الثقلة ، والمراد وأنه كان اليوم يوماً ذاكوا كب . وهذا الرأى لعله لم يعرف الاعتراضات والفصاحة فيها ، والتبيّن المعنى عليه أيضاً .

٨- صَبَرْنَا وَكَانَ الصَّبَرُ مِنَّا سَجِيَّةً بِأَسِيافِنَا يَقْطَعُنَّ كَفَّاً وَمِعْصَمًا^(١)
يقول : حملنا أنفسنا على المكره ، وحبستها في مجال الموت والشر ، وكان ذلك مينا عادةً وطبيعةً . قوله « أسيافنا » يجوز أن يتعلق الباء منه بصبرنا ، واعتراض بينهما قوله « وكان الصبر مينا سجية » ، إذ كان أراد أن يبيّن أن ذلك الفعل ليس بمستبدع ولا مستنكر من أخلاقهم . ويجوز أن يتعلق بما دلّ عليه « وكان الصبر مينا سجية » . ويقطعن في موضوع الحال للأسياف على الوجهين جميعاً . وفي طريقته قول نهشل بن حري :

وَيَوْمَ كَانَ الْمُضْطَلِّينَ بِحَرَّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَارٌ قَعُودٌ عَلَى بَحْرٍ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى يَبُوْخَ وَإِنَّمَا تُفَرَّجُ أَيَامُ الْكَرِيهَةِ بِالصَّبَرِ

٩- نَفَّلُكُ هَامًا مِنْ أَنَاسٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْقَ وَأَظَلَّهَا

يقول : نشقق هامات من رجال يكرمون علينا ويعزون ، لما يجمعنا وإياهم من الأحوال الوكيدة ، والحرم القوية بالأنساب والأسباب ، وهم كانوا

(١) ابن جن : « يريد أكفا وبعاصم ، فوضع الواحد موضع الباقي ... وجاز ذلك لأنها إنما يقطعنها كفافاً وبعاصماً ، وبعاصماً فتصور هذه الحال موجوداً » .

أشدَّ عقوفًا وأثمَّ ظلماً ، بما اطْرَحُوه من مراعاة الحقوق ، وبدعوا به من تفاصي
الْهُود ، واستعجلُوه من التبعي ، وسلَكُوه من سُنَنِ النَّبِيِّ . ويروى أنَّ يزيد
ابن معاوية لا رحمه الله^(١) تمثَّلَ بهذا الْبَيْتِ لما وُضِعَ بين يديه رأسُ الحسين
ابن علىٰ رضي الله عنهمَا .

١٠ - ولَمَارَأَيْتُ الْوَدَّ لِسْ بِنَ فَعَلِيٍّ عَمِدْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَخْزَمَا

١١ - فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِذَلِيلٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِّن خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمَانًا

قوله «إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَخْزَمَا» جعلَ الْحَزْمَ لِلأَمْرِ كَمَا جُعِلَ لِلْعَزْمِ
فِي قَوْلِه تَعَالَى : «فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ» ، فَكُلُّ ذَلِكَ مجازٌ واسعٌ . وَصَلَحَ أَنْ
يُرِيدَ بِقَوْلِه أَخْزَمَ ، أَخْزَمَ مِنْ غَيْرِه ، لِوقْوعِه خَبْرًا ، لِأَنَّهُ كَمَا يُحُوزُ حَذْفَ الْخَبْرِ
بِأَسْرِه إِذَا دَلَّ دَلِيلٌ عَلَيْهِ ، كَذَلِكَ يُحُوزُ حَذْفَ مَا يَتَمَّ بِه مِنْهُ إِذَا لمْ يَلْتَبِسْ
بِغَيْرِه ، وَلَمْ يَخْتَلِ الْكَلَامُ بِسَبِيلِه . وَقَوْلُه «لَمَا رَأَيْتُ الْوَدَّ» حَذْفَ الْمُضَافِ فِيهِ
وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَمَا رَأَيْتُ مَرْاعَاةَ الْوَدِ وَمَحَافَظَتَهُ ، أَوْ إِظْهَارَ
الْوَدِ وَإِبْقَاءَه . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : لَمَا رَأَيْتُهُمْ لَا يَرْتَدِعُونَ عَنْ رُكُوبِ الرَّأْسِ ،
وَالْمَحَازِبِ إِلَى أَفْصَى مَا فِي الطَّوْقِ مِنَ الْجَاجِ وَالشَّرِّ ، قَصَدْتُ إِلَى مَا كَانَ
أَجْعَلَ لِلْحَزْمِ مَعْهُمْ مِنْ مَكَاشِفَتِهِمْ ، وَتَرَكْتُ الإِبْقَاءَ عَلَيْهِمْ ؛ لِأَنَّ ظُهُورَ التَّعَادِيِّ
وَالتَّكَافِفِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْغُرُورِ^(٢) مِنْ التَّشَابِكِ . وَيُلَاحِظُ هَذَا الْبَيْتُ
قَوْلُ الْآخَرِ :

إِذَا حَاجَةٌ عَزَّتْكَ لَا تَسْتَطِيْعُهَا فَدَعْهَا لِآخْرَى لَيْنَ لَكَ بِاَبِهَا

وَقَوْلُه «فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسُبْتَيِّ^(٣)» ، يَقَالُ ابْتَاعُ الشَّيْءِ بِعُنْفِ اشْتَرِيِّ .

(١) م : « لعنة الله » .

(٢) الرَّوَايَةُ فِي مَتَّ الْبَيْتِ : « بِذَلِيلٍ » . أَمَّا رَوَايَةُ « بَسْبَةٍ » فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا التَّبَرِيزِيُّ .

(٣) كَذَا فِي النَّسْخَيْنِ . وَالْوَجْهُ « الْفَرَرُ » .

وإن كان بعْثُه يعني اشتريتُه وبعْثُه جيئاً . والشَّيْءُ : الخَلْصَةُ الَّتِي يُسْبِبُ بِهَا ، فهى كالمُجْنَّةِ والمُرْغَةِ^(١) . يقول : قَعَلْتُ ذَلِكَ ، فَإِنِّي لَسْتُ مِنْ يَطْلَبُ الْعِيشَ مَعَ الذُّلِّ ، وَلَا يَمْنَى يَرْتَقِي فِي الْأَسْبَابِ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ ، بَلِ الْمِيَّةُ الْحَسَنَةُ عَلَى مَا يَتَعَقَّبُهَا مِنَ الْأَحْدَوْنَةِ الْجَلِيلَةِ آثَرُهُ عِنْدَنَا ، وَأَوْقَعَهُ مِنْ هَوَانَا ، مِنَ الْعِيشَةِ الْذَّمِيمَةِ عَلَى مَا يَخْالِطُهَا مِنَ الرَّضَا بِالْدِينَيَّةِ .

١٣٤

وَقَالَ بَشَّامَةُ بْنُ الْغَدَيرِ^(٢) :

١— وَلَقَدْ غَضِبْتُ لِخَنْدِيفِ وَلِقَيْسِهَا لَمَّا وَنَى عَنْ نَصْرِهَا خُذَّالَهَا خِنْدِيفُ . لَقَبٌ لِلَّبِيلِ اسْرَأِيَالِيَّاسِ بْنِ مُضْرَّ ، لَقِوَطُهَا لِزَوْجِهَا يَوْمًا : مَا زَلْتُ أَخْنَدِيفُ فِي أَثْرِكُمْ — وَالْخَنْدَافَةُ : مَشِيهَةَ كَالْمَرْوَةِ — فَقَالَ لَهَا : وَأَنْتِ خِنْدِيفُ . فَلَازِمَهَا ، فَصَارَتْ مُضْرَّ نَسْلِينِ : أَحَدُهَا وَلَدُ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ ، وَالآخَرُ خِنْدِيفُ . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ الزَّيْرِ بْنِ الْعَوَامِ ظَلِيمًا . فَنَادَى : يَا لِخِنْدِيفَ^(٣) . فَرَجَ الزَّيْرُ وَيَدِهِ السَّيْفَ ، وَهُوَ يَقُولُ : خِنْدِيفُ أَيُّهَا الْخِنْدِيفُ ، وَاللَّهُ لَئِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا

(١) في الأصل : « والمسرة » وفي م : « والغرة » ، والوجه ما أثبتنا ، والمرة بوزن المجننة : ما يعنى المرء من جنون .

(٢) جعل التبريزى هذه الحماضية ل بشامة بن حزن ، وقال : « قال أبو هلال : في الشعراه رجلان يقال لها بشامة ، أحدهما بشامة بن الغدير ، وهو عمرو بن هلال بن سهم بن حمراء بن عوف بن سعد بن ذبيان والآخر بشامة بن حزن التهشلى ، وهذا الشعر له . وقال الأمدى : هو ل بشامة بن الغدير » . وابن الغدير خال زهير بن أبي سلمي ، كاف المؤلف للأمدى من ٦٦ . وقد سبق ل بشامة بن حزن الحماضية رقم ١٤ .

(٣) كذا في الأصل . وفي م والتبريزى : « خِنْدِيفٌ إِلَيْكَ أَيُّهَا الْخِنْدِيفُ » ، وصواب هذه الأخيرة : « أَخْنَدِيفٌ إِلَيْكَ أَيُّهَا الْخِنْدِيفُ » ، كما في اللسان (خنديف) ، وقال : « يقول : يامن يدعو خندفأ أنا أجييك وآتيك . قال أبو منصور : إن صع هذا من فعل الزبير فإنه كان قبل نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التعزى بعزاء الجاهلية » .

لأنْصُرَنَّكَ . يقول : غَضِبْتُ لِنَسْلِي مُضَرَّ خِنْدِيفٍ وَقَيْنِسٍ ، لما وُفي عن معاونتها والثُّبُوض لها نُصَارُها . ويقال وَنَّى يَنِي وَنِيَا ، وهو وان . وإنما قال : «خُذَ الْمُهَاجِرَة» ولم يقل نُصَارُها ، لأنَّه وصفهم بما آتَى إِلَيْهِ أَمْرُهُم . وهذا كَايُّقال قَتَلْتُ قَتِيلَ بْنِ فَلَانٍ ؛ وقد مضى له أشباه وأمثال . فكأنَّ الشاعر تبرع بما كان منه من المدافعة دُونَهُمْ والمقاتلة عنهم ، فلذلك تَحْمَدْ به . وقال غَضِبْتُ لَهُمْ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ وَجَبْ نُصْرَتِهِمْ عَلَيْهِ خَذَلَهُمْ . وجواب لَمَّا وَنَى ، ما هو صدر البيت .

٢ - دَافَعْتُ عَنْ أَعْرَاضِهَا فَنَفَعْتُهَا وَلَدَى فِي أَمْثَالِهَا أَمْثَالُهَا
هذا تفسير للغضب الذي ذَكَرَهُ وبيان نتيجته . والعرض : النَّفْس ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْحُسْبَ . يقول : ذَبَّبْتُ عَنْهَا وَمَنَعْتُ الْأَعْدَاءَ مِنْهَا ، وَلَدَى فِي أَمْثَالِهَا مِنَ الْقَبَائِلِ أَمْثَالَ هَذِهِ النُّصْرَةِ . هَذَا وَجْهٌ ، وَيُحُوزُ أَنْ يَرِيدَ وَلَدَى فِي أَمْثَالِ هَذِهِ النُّصْرَةِ أَمْثَالَ هَذِهِ الْقَهْيَدَةِ . وَالْقُرْآنُ الَّتِي تَسْوَغُ رَدَّ الْضَّمِيرِينَ إِلَى جَمِيعِ مَا ذَكَرَنَاهُ حَاضِرَةً فِي الْكَلَامِ قَوِيهً .

٣ - إِنَّ اصْرُقْ أَسِمُ الْقَصَادِيَّ لِلْعِدَى إِنَّ الْقَصَادَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا
هذا يمكن الاستدلال به على صحة المعنى الثاني ، ومعنى «أَسِمُ الْقَصَادِيَّ» : أَغْفَالُهَا بِمَا يَصِيرُ كَالسَّمَةِ عَلَيْهَا ، حتَّى لا تُنْسَبَ إِلَى غَيْرِي ، وَحَتَّى يُعْرَفَ مِنْهَا السبب الذي خَرَجَتْ عَلَيْهِ ، فَمَنْ سَمِعَهَا عَرَفَ قصتها ؛ ولهذا قال إنَّ الْقَصَادَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا ، أَيْ شَرُّ الشِّعْرِ مَا لَا مِيسَمَ لِقَائِلِهِ وَالْمَقْولُ فِيهِ عَلَيْهِ . ويقال دَابَّةً غُفْلُ ، إِذَا عَرِيَ مِنَ الْأَعْلَامِ . وسمعتُ من يقول في البيت إنه مقلوب ، والمراد أَسِمُ العِدَى بِقَصَادِي ، كَايُقال الْآخِرُ^(١) :

(١) هو المنس . ديوانه من ١ نسخة الشنقيطي بدار الكتب والكلام ١٥٨ ليسك .

* جَعَلْتُ لِهِ فَوْقَ الْعَرَانِينِ مِسَّاً^(١) *

وَالْأَوَّلُ كَشَفُ أَصْحَى ، بِدِلَالَةِ أَنَّ الْفُلْجَ جَعَلَهُ مِنَ الْقَصَابِدِ ، فَكَذَلِكَ
الْمُوسُومُ يَحْبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا^(٢).

٤ - قَوْمِي بَنُو الْحَرْبِ الْعَوَانِ بِجَمِيعِهِمْ وَالْمَشْرِفَيَّةُ وَالْقَنَا إِشْعَالُهَا
يُرْوَى «وَالْمَشْرِفَيَّةُ بِالْجَزْرِ» وَيَكُونُ مَعْنَى الْبَيْتِ قَوْمِي إِخْوَانُ الشَّرَّ
الْفَظِيمُ ، وَأَبْنَاءُ الْحَرْبِ الَّتِي قُوْلَتْ فِيهَا سَرَّةً بَعْدَ أَخْرَى ، فَصَارَتْ عَوَانًا بَعْدَ أَنَّ
كَانَتْ بَكْرًا ، أَى رُفِعَتْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ أَشَدَّ مِنْهَا ، وَيَكُونُ هَذَا مِثْلَ
قُولِ الْآخَرَ :

فَلَسْنَا مِنْ بَنِي جَدَّاءِ يَكْرِيرٍ وَلَكِنَّا بَنُو جَدَّ النَّقَالِ
وَعَلَى مَا ذَكَرْنَا يَتَمَّ الْكَلَامُ بِقُولِهِ الْعَوَانِ ؛ ثُمَّ قَالَ «بِجَمِيعِهِمْ» أَى بِاجْتِمَاعِ قَوْمِي
وَاجْتِمَاعِ آلاتِ الْحَرْبِ اشْتَعَلَتْ نَارُهَا . وَالْبَاءُ مِنْ بِجَمِيعِهِمْ يَتَعَلَّقُ بِقُولِهِ إِشْعَالُهَا .
وَيُرْوَى «وَالْمَشْرِفَيَّةُ» بِالرِّفْعِ ، وَيَكُونُ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ تَامُ الْكَلَامِ عِنْدَ قُولِهِ
بِجَمِيعِهِمْ ؛ لَأَنَّ الْبَاءَ مِنْهُ حِينَئِذٍ يَتَعَلَّقُ بِقُولِهِ الْعَوَانِ^(٣) . وَالْمَعْنَى : قَوْمِي بَنُو الْحَرْبِ
الَّتِي عُوْنَتْ ، أَى صَارَتْ عَوَانًا بِهِمْ ، وَبِاجْتِمَاعِ جِيشِهِمْ ؛ ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الْكَلَامُ ؛
فَقَالَ : «وَالْمَشْرِفَيَّةُ وَالْقَنَا» ، وَالْمَرَادُ وَاشْتَعَالُ نَارِهَا بِالرِّمَاحِ وَالشَّيْوِيفِ الْمَشْرِفَيَّةِ .

(١) صوابِ الرِّوَايَةِ : « جَعَلْتُ لَهُمْ » . وَصَدِرَ الْبَيْتُ :

* وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا بِقِصْقَى *

(٢) التَّبَرِيزِيُّ : « قَالَ أَبُو الْمَلَاهُ : أَى أَجْعَلَ فِيهَا شَيْئًا تَشَهِّرُ بِهِ وَتُعْرَفُ ، كَمَا تُعْرَفُ
النَّاقَةُ بِسَمْطِهَا . وَأَمَّا الشَّعَرَاءُ الْيَوْمَ فَيَجْعَلُونَ الْمُوسُومَ مِنَ الشِّعْرِ مَا ذَكَرَ فِي فَاتِنَهُ اسْمُ الْمَدْوَحِ ،
كَيْفَيْلُ الْأَعْشَى :

فَآلَيْتُ لَا أُرْثَى لَهُ مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ حَقِّ حَتِّ تَلَاقِ مُحَمَّداً

(٣) ابنِ چنی : « وَالْقَنَا إِشْعَالُهَا ، أَى ذَوَاتُ إِشْعَالِهَا لِيَكُونَ الْأَنَّ الْأَوَّلُ ، وَهَذَا
وَاضْعَفُ . وَالْبَاءُ فِي بِجَمِيعِهِمْ حَالٌ مِنْ قَوْمِي ، أَى قَوْمِي فِي حَالٍ اجْتِمَاعِهِمْ بَنُو الْحَرْبِ . وَعَمِلَ فِيهَا
مَا فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ مِنْ مَعْنَى الْفُلْجَ . أَلَا تَرَاهُ فِي مَعْنَى صَبْرٍ وَمَقْدِمَوْنَ » .

وهذا الكلام — أعني والشرفية — وإن استُزِفَ به فلن صفة الحرب . وقيل في الشرفية إنها نسبت إلى المشرف ، وهي قرئ معروفة تُجلب منها وتُطبع بها . ويقال : أشعلت النار في الخطب ، وأشعلت الخيل في الغارة ، وأشعلته غضباً .

٥— مازال مَرْوَفًا لِمَرْأَةِ الْوَغَى عَلَى الْقَنَا وَعَلَيْهِمْ إِنْهَا لَهَا
ما زال لدوم الماضي ، وارتفع على القنا على أنه اسمه ، وخبره معروفاً . والمعنى : سُقِّ الرَّمَاح عَلَّا بَعْدَ نَهَلٍ عَادَةً مَعْرُوفَةً لَهُمْ ، فِيمَا تَقدَّمَ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَى الْآنِ إِذَا حَسْرَوا الْحَرَبَ . وَالْعَلَلُ وَالْعَلَلُ : الشَّرَبَةُ الثَّانِيَةُ ، وَيَقُولُ : عَلَى إِبْلٍ يَعْلَمُهَا قَتَّلَتْ هِيَ . وَأَهْلَتْ الْإِبْلَ ، إِذَا سَقَيْتَهَا أَوْلًا ، فَنَهَلَتْ ، إِذَا شَرِبَتْ فِي أَوَّلِ الْوَرَودِ حَتَّى رَوَيْتَ . وَمِثْلُ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُ الْآخِرِ :

نَهَلْنَا مِنْ دِمَاءِ بَنِي لَوَّى وَأَهْلَنَا الْقَبْنَا حَتَّى رَوَيْنَا
وَتَوَسَّعُوا فِي الْاسْتِعْمَالِ حَتَّى سَمَّوْا مَنَازِلَ السَّفَرِ عَلَى الْمَيَاهِ مَنَاهِلَ . وَإِنَّمَا
قَالَ : « وَعَلَيْهِمْ إِنْهَا لَهَا » لِأَنَّهُ كَانَ جَعَلَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَيْهِمْ .

٦— مِنْ عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَرْوَفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا
وَضَعَ مِنْ فِي قُولِهِ « مِنْ عَهْدِ عَادٍ » مَوْضِعٌ مُنْذُ لَقَوْتَهَا وَكَثْرَةٌ نَصْرُهَا
وَقِتْلُكُنْهَا فِي بَابِ الْجَزَرِ ، وَأَدَاءُ مَعْنَى الْابْتِداءِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : « لَمْ يَسْجُدْ
أَسْسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ » ، وَقَوْلُ الرَّاجِزِ :
مِنْ غُدُوَّةِ حَتَّى كَانَ الشَّمْسًا بِالْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ تُطَلِّي وَرْسَا
وَمَعْنَى الْبَيْتِ أَنَّهُ نَبَّهَ عَلَى مَجَاذِبِهِمُ الْمُلُوكُ وَالْعُلَيْةُ ، لَا لِلْأَذْنَابِ وَالسَّفَلَةِ .
وَالْقِتَالُ فِي تَرْتِيبِ الْفِعْلِ مُسَابِقٌ^(١) لِلْأَسْرِ وَالْقَتْلِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يُبَالْ بِتَأْخِيرِهِ فِي
تَوْتِيبِ النَّظَرِ ، لِأَنَّ الْوَأْوَلَ لَا يُوجِبُ فِي الْعَطْفِ تَرْتِيبًا ، إِنَّمَا هُوَ مَوْضِعَةٌ لِلْجَمْعِ

(١) كذا في النسختين .

فقط ، وتبَعَّجَ أَيْضًا بِأَنَّ ذَلِكَ قَدِيمٌ فِيهِمْ^(١) مِنْذُ زَمِنِ عَادٍ لَا حَدِيثٌ .

١٣٥

وقال أَرطَاءُ بْنُ سَهِيْبَةَ^(٢) :

١ — وَنَحْنُ بُنُوْمٌ عَلَى ذَاكَ يَيْتَنَا زَرَابِيٌّ فِيهَا بِغَصَّةٍ وَتَنَافُسٌ^(٣)

يقول : نحن أبناء عم ، وعلى ما يتنا من القربي والقرابة فرشت يتنا بسط شر تشمل على تباغض وتحاسد . وذكر الزرابي مثل هاهنا ، وهي البسط ، واحدُها زربية وزربى^(٤) ، وقال أبو عبيدة : وهي في لغة أخرى الشواذ كين^(٥) : وأنشد لذى الرمة :

تَرَدَّيْتَ مِنْ أَفْوَافِ نَوْرٍ كَائِنَةً زَرَابِيٌّ وَأَرْتَجَتْ عَلَيْكَ الرَّوَاعِدُ
وَفِي الْقُرْآنِ : « وَنَمَارِقُ مَضْفُوفَةٌ . وَزَرَابِيٌّ مَبْشُوْثَةٌ » ؛ أَيْ مَفَرَّقَةٌ فِي
الْمَجَالِسِ . وَيَقَالُ : اطْبُوا سَاطَ الشَّرِّ بَيْنِ وَبَيْنِكُمْ . وَيَقُولُونَ أَيْضًا : أَعْطَانَى
فَلَانٌ فِي سَاطِ كَلَامِهِ كَذَا ، أَيْ فِي بَسْطِهِ مِنْهُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ فِي الزَّرَابِيِّ : إِنَّهَا

(١) فِي الأَصْلِ : « قَدِيمًا مِنْهُمْ » ، وَأَيْتَنَا مَا فِي مِنْهُ .

(٢) ذَكَرَ ابْنُ جَيْفَى فِي الْمِهْجَرَةِ أَنَّ الْأَرْطَاءَ وَاحِدَةُ الْأَرْطَى ، وَأَنَّ سَهِيْبَةَ تَحْقِيرٌ سَهِيْبَةَ ، يَقَالُ فَرْسٌ سَهِيْبَةَ ، إِذَا كَانَتْ سَهِيْبَةُ الْجَرَى . وَسَهِيْبَةُ أُمُّ الْأَرْطَاءِ غَلَبَتْ عَلَى نَبِهِ ، وَأَبْوَهُ زَرْفَرَ
ابْنُ عَبْدِ الْهَمَّةِ بْنُ مَالِكٍ . وَأَرْطَاءُ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ فِي دُولَةِ بَنِي أُمِّيَّةِ لَمْ يَسْبِقَهَا وَلَا تَأْخُرَ عَنْهَا ، وَقِيلَ
أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَعَاشَ إِلَى خَلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانٍ . وَهُوَ مِنْ بَنِي مَرَّةَ بْنِ عَوْفَ بْنِ سَعْدٍ ،
وَكَانَ مِنْ وَفَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانٍ وَكَانَ عُمْرُهُ إِذَا ذَاكَ مَائَةً وَتِلْيَاتِنَ سَنَةً . الْأَغَانِيُّ
١١ : ١٣٤ — ١٤٠) وَالاشْتِقَاقُ ١٧٦ — ١٧٧ وَالإِصَابَةُ وَاللَّالِيُّ ٢٩٩ . ٦٣٠ .

(٣) التَّبَرِيزِيُّ : « قَبِيلٌ لَنَهَا فِي دِيْوَانِ أَرْطَاءٍ : زَرَابِيٌّ عَلَى مَثَالٍ غَرَابِيٌّ ، فَكَائِنٌ جَمِيعٌ
زَرَبِيٌّ ، بَقْلُ الْمَدَاوِةِ زَرَبِيٌّ لَنَهَا تَرْبَبُ فِي الْقَلْبِ ، أَيْ تَدْخُلُ » . وَأَنْشَدَهُ أَبُو النَّدِيِّ
« زَآنِبُ » وَهِيَ الْقَوَارِسُ ، قَالَ أَبُو النَّدِيِّ : وَلَا أَعْرِفُ لَهَا وَاحِدًا .

(٤) بَثْلَيْتُ الزَّارِيِّ فِيهِمَا ، كَمَا فِي الْلِسَانِ .

(٥) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْأَفْظَرُ . وَلَعْلَهُ صَلَةٌ بِكَامَةِ « شَادَّوْكُونَهُ » الْفَارَسِيَّةِ ، يَعْنِي مَا يَنْهَا
عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ حَشِيشَةٍ وَنَحْوَهَا . انْظُرْ مَعِجمَ اسْتِيْجَاجَسْ . ٧٢٢ .

القطوعُ الحِيرية الرَّقيقة . وفي كلام بعض الفصحاء : « فُرِشتَ بيننا قُطُوعُ اللَّام » . فعلى هذا استعمل هذا الشاعر الزَّرَابي . فأما قوله « على ذاك بيننا » ، فإنما أشار بذلك إلى ما يجمعهم من سبب العمومة ونسبيها . ويرُوى : « على ذات بيننا ، زَرَابٌ » كأنه أراد بذاتٍ بينهم خالصَة النَّسب والقرابة ، ثم جمل فوقها ما قد عَمِّرَها وسقراها من زَرَابٍ الفساد . ويرُوى :

..... على ذاك بيننا تَنَاهُ وفينا بِغْضَةٍ وتنافسٌ

والمعنى : وعلى ما يجمعنا من الرَّاجح ينأى بعضاً عن البعض ، ومع ذلك بيننا تدابرٌ وتباغضٌ ، وتهاجر وتقاطع . كأنهم جعلوا الثنائيَّة مداواةً في إزالة ما بينهم فلم ينفع .

٢- وَنَحْنُ كَصَدْعِ الْعُسِّ إِنْ يُمْطَشَّأِعَبَا يَدَعُهُ وَفِيهِ عَيْبٌ مُّتَشَّاخصٌ

الْعُسُّ : القدحُ الضخمُ . والشَّعْبُ ، يستعمل في الجم والتفرق . ويقال أيضاً : تفرق شعبهم . والشَّاعِبُ هاهنا : مُصلحُ القدح . يقول : استحکم الفسادُ بيننا حتى لا يقبل صلحاً ولا صلاحاً ، وتفاقم الانصداع حتى لا يلتزم تباينًا وتدافعاً ، فلن تعود الحال إلى ما كانت وإن أمسكنا عن إثارة الشر والزيادة فيه زماناً ، وتصنعنَا في الاحتمال وللقاربة إبقاء على الحظ من المراجعة وإدناه ، بل يكون ما بيننا كالأشق في القدح ، إن أُعطي شاعبًا ترَكَهُ والعيب ظاهر فيه ، غير مُنكِّم ولا خافٍ . والمتخاصس : المتفاوتُ للتباين . ومنه قولهم : تشاخستَ أسنانه من الكَبَر ، إذا اختلفتْ . قال الخليل : هو أن يسقط بعضها ويميل بعضها . وقيل الشَّخْسُ في الأصل فتح القم للثاؤب . ويجوز أن يزيد بقوله « وفيه عَيْبٌ » : ومعه عَيْبٌ هكذا . وفي طريقة قول الآخر :

وَمِنَ الْمَوَالِي ضَبْ بِجَنْدَلَةٍ نَخْرُ الْمَوَدَّةِ ظَاهِرٌ الْغَنْرُ

وقد أحسنَ أباًنُ الْأَحْقِيُّ فِي مُنْدَوْجِتِهِ حِينَ قَالَ :

وإِنَّمَا مَوْدَةُ الْأَشْرَارِ فِي وَهِبَاهَا كَمَثْلِ الْفَخَارِ
يَصِيبُهُ أَذْنَى يَدِي فَيَنْكِسُرُ^(١) وَلَيْسَ ثُرْجَى شَعْبَهُ إِذَا جُبِرَ

٣ - كَفَى يَلِنَّا أَلَا تَرَدُّ تَحِيَّةُ عَلَى جَانِبٍ وَلَا يُشَمَّتُ عَاطِسُ

يُرُوَى « يُشَمَّتُ » بالشين والسين ، وهو بمعنى واحد ، وسمعتُ أبا على^٢
الفارسي يقول في اشتلاف التسمية بالسين غير معجمة — وهو قولك للعاطس :
يَرْحَمُكَ اللَّهُ — فقال : كأنه إذا عَطَسَ لَفْتَهُ نَفَضَّةً فِي جَسْمِهِ ، فَإِذَا دَعَا الدَّاعِي
لَهُ فَكَانَهُ رَدَّهُ إِلَى سَمْتِهِ وَهَذِيهِ . وَقَالَ فِي التَّشْمِيتِ بِالشِّينِ مَعْجَمَةً : كَانَهُ التَّثِيتُ
مِنَ الشَّوَامِتِ وَهِيَ الْقَوَامُ^(٣) . يَقُولُ : يَكْفِيكَ مِنَ الشَّرِّ الرَّاتِبِ يَلِنَّا أَنَّهُ لَا تَرَدُّ
تَحِيَّةُ الْوَاحِدِ مِنَّا — يَرِيدُ جَوَابَ تَسْلِيمِهِ — وَإِنْ كَانَ الْاِلْتِقاءُ مَعَهُ عَنْ عَفْرٍ
كَالْاِلْتِقاءِ مَعَ الْأَجَانِبِ وَالْفُرَاءِ ، وَأَنَّهُ إِذَا عَطَسَ وَاحِدًا لَا يُتَلَاقِي بِالدُّعَاءِ لَهُ
عَلَى مَا سَتَرَ وَعُرِفَ مِنْ عَادَةِ النَّاسِ فِي تَنَادِيهِمْ وَتَجَارِهِمْ^(٤) . وَقَوْلُهُ « كَفَى يَلِنَّا »
هُوَ بَيْنَ الَّذِي كَانَ ظَرْفًا ، فَنَقَلَهُ إِلَى بَابِ الْأَسْمَاءِ . وَمَثَلُهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿لَقَدْ تَمَطَّعَ بِيَنْكِسُكُمْ﴾^(٥) . وَقَالَ الشَّاعِرُ^(٦) :

كَانَ رِمَاحَهُمْ أَشَطَانُ بَئْرٍ بَعِيدٌ بَيْنَ جَائِلَهَا جَرُورٍ
وَيَحُوزُ أَنْ يُرُوَى « أَنْ لَا تَرَدُّ » بِالرُّفْعِ ، وَكَذَلِكَ « وَلَا يُشَمَّتُ » عَلَى أَنْ

(١) كذا في الأصل ، وفي م : « أَذْنَى أَذْنِي » .

(٢) قال ابن جنی : « وذلك أن القاعدة هي التي تحمل الفرس ونحوه ، وبها عصمته ، وهي قوامه . وكأنه إذا دعا له فقد ثبت أمره وأتمضه وأحكم دعاءه » .

(٣) كذا في النسختين ، بالجليل .

(٤) وردت في الأصل بفتح النون والاستشهاد يقتضي ضمها كاف م . والأولى قراءة فافع . وحفس والكسائي وأبي جعفر ، وقرأ الباقيون بالضم . إتحاف فضلاء البشر ٢١٣ في سورة الأنعام .

(٥) هو مهلل . انظر السكامل ٢١٢ ، ٣٥٢ ليسك . واقتصر الفصيدة بتامها في .

أعمال القال (٢ : ١٢٩ - ١٣٣) .

تَجْعَلَ أَنْ مُحْفَفَةً مِنَ التَّقِيَّةِ . وَيَكُونُ الْمَرَادُ أَنَّهُ لَا تُرَدُّ تَحْيَةً . وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى :
 »أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ لَا يَرْجِعُ« ، بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ .

١٣٦

وَقَالَ عَقِيلُ بْنُ عُلْقَةَ^(١) :

١ - تَنَاهَوْا وَاسْأَلُوا إِبْرَاهِيمَ الْأَعْبَرَ بَارِمَةَ النَّجِيدِ

يَقُولُ : كُفَّوْا عَمَّا أَتَمْ عَلَيْهِ مِنْ تَهْبِيجِ الشَّرِّ ، وَأَمْسَكُوا عَنِ الشَّرْفِ تَارِيَثِ نَارِ الْحَرْبِ ، وَاسْأَلُوا هَذَا الرَّجُلَ : هَلْ أَرْضَاهُ الْأَسْدُ الْقَوِيُّ الْفَلَيْطُ الشَّدِيدُ لَمَّا حَكَّكَ بِهِ ، وَهُلْ وَفَاهُ مَا اسْتَحْقَهُ عَلَيْهِ . كَانَهُ جَعَلَ إِزَالَةَ الشَّوْءِ بِهِ وَالزِّيَادَةِ عَنْدَ تَكْرُرِهِ لِإِغْتَبَابِهِ ، عَلَى التَّهْكِمِ وَالشَّخْرِيَّةِ . وَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ قَوْلُ بَشَّرِيَّ :

غَضِيبَتْ تَسِيمٌ أَنْ تُقْتَلَ عَامِرٌ يَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ

وَالضَّبَارِمَةُ ، قَالَ اثْلِيلُ : هُوَ الْجَرِيَّةُ عَلَى الْأَعْدَاءِ . وَسَمِيَ الْأَسْدُ ضَبَارِمًا .

قَالَ : وَيُقَالُ هُوَ الْأَسْدُ الْوَثِيقُ الْخَلْقِ ، الْمَكْتَنِزُ الْحَمْ . وَيُجُوزُ عِنْدِي أَنْ يَكُونَ مِنْ مَعْنَى الْمُضَبَّرِ لَا مِنْ لَفْظِهِ ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ دَمَثٍ وَدَمَثَرٍ ، وَدُلَامِصٍ وَدِلَاصٍ وَسَبِطٍ وَسَبَطَرٍ . وَالنَّجِيدُ : ذُو النَّجْدَةِ ، وَهُوَ الْبَأْسُ وَالشَّدَّةُ .

(١) هو عقيل بن علقة بن الحارث المري . شاعر مجيد من شعراء الدولة الأموية ، وكان معروفاً بكبره واعتزازه بنفسه . وانظر أخباره في الأغاني (١١: ٨١ - ٨٩) وابن سلام ٢١٤ والهزانة (٢: ٢٧٨ - ٢٧٩) . وعقيل ، بفتح العين ، قال ابن جنی في المبهج : « اسم صالح ، وعكن أن يكون فعلاً بمعنى مفعول ، أى معقول ... والملف : عمر الأراك ، الواحدة علقة » .

٣— وأبغضُ من وضفتُ إلى فيه لِسَانِي مُغشَّرٌ عنهم أذودُ
يقول : إنَّ متعطفَنَ على عشيرَنَ وإنْ كانوا مُسيِّدينَ إلى ، متكرِّمٌ معهم
وإنْ كانوا متعاملينَ على ، فأبغضُ إنسانَيْ ذُكْرُه وأناولُه بِلسانِي مُتَقْصِّصاً له ،
قومٌ أدفعُ عنهم في وقتِي ، وأحابِّي عليهم في ظاهرِ أمرِي . وفي البيت تقدِيمٌ
وتأخيرٌ ، وأصلُ ترتيبِه : أبغضُ من وضفتُ لِسَانِي فيه إلى قومٍ هكذا شأنِي
معهم . وهذا تنبِيَّه على أنَّ الرِّشدَ في الحافظةِ على حُرَمٍ ذُوي الرَّحْمِ وإنْ كانوا
مُنَاهِذِينَ . فمَنْ مِنْ قوله «أبغضُ مَنْ» نَكِرَةٌ موصوفَةٌ ، وصفتها وضفتُ لِسانِي
فيه ، الجلة . وقد فَصَّلَ بين بعضِها والبعضِ الآخر بِقولِه «إلى» وهو أجنبيٌّ
منها . وهذا في الصفةِ أقربُ منه في الصلةِ ، فاحتالَه فيه أقربُ . ومثلُ هذا
قولُ جرير :

فَلَوْ شَاءَ قَوْمٌ كَانُوا حَلِمِيَّا فِيهِمْ وَكَانُوا عَلَى جَهَنَّمِ أَعْدَاءِهِمْ جَهَنَّمِيُّا
وَمَعْنَى أَذْوَادِهِمْ : أَذْفَمٌ ، وَمِنْهُ سُمَّيَ اللسانُ الْمِذَوَدُ ، وَهَذَا كَا سُمَّيَ الْمِفْصَلُ .

٤- ولست بسائل جاراتٍ يُنْتَيْ أغياب رجالكِ أُمْ شهودٌ
يختتم وجهين : أحدهما أن يتبعج بتعففه في جاراته ، وأنه لا يتطلب مفارقة القديمين
(٢٦ - حاسة)

بِهِنَّ ، مُتَرْضِدًا لِلتَّمْكِنِ مِنْهُنَّ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ بِاعْثَانًا لِلشَّوَّالِ عَنْ رَجَالِهِنَّ ، لِيَقْتَنِمُ
الْخَلْوَةَ بِهِنَّ . وَالثَّانِي أَنْ يَرِيدَ رَفْعَ الْطَّمَعِ عَنْ جِيرَتِهِ ، وَقَلَّةَ النِّفَرِ فِي تَتْبِيعِ
أَخْوَاهُمْ ، عِنْدَ حُضُورِهِمْ وَغَيْرِهِمْ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ هُنَّ فِي النَّيْلِ مِنْهُمْ ، وَمُشارِكَتِهِمْ
فِيهَا يَتَجَدَّدُ لَهُمْ مِنْ خَيْرٍ ، فِعْلَ السِّفَرِ لِلْمَطَامِعِ الدِّينِيَّةِ . وَيَكُونُ هَذَا كَمَا
قَالَ الْآخِرُ :

وَإِذَا أُتِيَ مِنْ وَجْهِهِ بِطَرِيقِهِ لَمْ أَطْلِعْ إِمَّا وَرَاءَ خَبَائِهِ
وَهَذَا أُوْجَهٌ ، لَأَنَّ ذِكْرَ الْعِفَةِ قَدْ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِ .

٥— وَلَسْتُ بِصَادِرٍ عَنْ بَيْتِ جَارِيٍّ صُدُورُ الْعَيْرِ غَمَرَهُ الْوَرُودُ^(١)
هَذَا يَشَهِدُ لِمَا اخْتَرَنَاهُ فِي تَفْسِيرِ مَا قَبْلَهُ ، فَيَقُولُ : وَإِذَا دَعَانِي الْجَارُ إِلَى
بَيْتِهِ يُكَرِّمِنِي بِرِّهُ ، وَيُشَرِّكُنِي فِي خَيْرِهِ ، لَا أَنْصَرِفُ عَنْهُ وَالظَّمَعُ فِيهِ بِحَالِهِ ،
وَالْاسْتِغْنَامُ لِلْحَقِيرِ مِنْ مَالِهِ وَطَعَامِهِ عَلَى حَدِّهِ ، انْصَافَ الْقَيْرِ عَنِ الْمَاءِ وَقَدْ غَمَرَهُ
الْوَرُودُ . وَالتَّعْمِيرُ كَالْتَّصْرِيرِ ، وَهُوَ شُرُبٌ دُونَ الرَّئِيْسِ . وَمِنْهُ الْغَمَرُ : الْقَدَحُ
الصَّغِيرُ ، وَقَالَ الْخَلِيلُ : يُتَكَالَّبُ بِهِ الْمَاءُ فِي الْمَهَامِهِ . وَأَنْشَدَ :

تَكْفِيهِ حُزْنٌ فَلَذٌ إِنْ أَلَمْ بِهَا مِنَ الشَّوَّاءِ وَيُرْوِي شُرْبَهُ الْفَمُ^(٢)
وَقَيلَ فِي عَمَرَهُ مَعْنَاهُ أَرْوَاهُ مِنَ الْفَمِ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : إِنَّ
لَا أَتَهَاكَ عَلَى طَعَامِهِ فَقُلَّ الْمَنْهُومُ الْخَسِيسُ الْهِمَةُ فَاتَّضَلَّ ، لَكُنِي آكُلُ
أَكْلًا كَرِيمًا . وَهَذَا الْمَعْنَى أَقْرَبُ عِنْدِيِ .

٦— وَلَا مُلْتِ لِذِي الْوَدَعَاتِ سَوْطِيٌّ الْأَعْبُيْهُ وَرِيَتِهُ أَرِيدُ

(١) التَّبَرِيزِيُّ : « قَالَ أَبُو رِيَاضٍ : الْبَيَانُ الْأَخِيرُ لَابْنِ أَبِي نَعِيرِ الْفَتَالِيِّ ، مِنْ بَنِي صَرَّةِ ،
جَاءَ بِهِمَا أَبُو ثَمَامَ صَلَةً فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ ، وَلِيَا مِنْهَا » .

(٢) لِأَعْشَى بِأَهْلِهِ يُرْفَى أَخَاهُ الْمُنْتَشِرُ بْنُ وَهْبٍ . الْمَانُ (غَمَرٌ) وَإِصْلَاحُ النُّطْقِ ٥ ، ٩٨ .
وَقُصْدِنَةُ فِي حَاسَةِ ابْنِ الشَّبَرِيِّ ١٠ وَالْأَصْمَعِيَّاتُ ٣٣ لِيُسِكُ .

هذا مثل قول الآخر^(١) :

لَا أَخْذُ الصَّبِيَانَ أَمْهُمْ وَالْأُمُرُّ قَدْ يُغْرِي بِهِ الْأُمُرُّ

وفي طريقته أيضاً قول الآخر :

أَحِبُّ صَبَّى السَّوءَ مِنْ أَجْلِ أُمَّهِ وَأَبْغَضُهُ مِنْ بُغْضِهَا ، وَهُوَ حَادِرٌ^(٢)
أَيْ حَسَنُ الْخَلْقِ . يَصِفُ عِفْتَهُ فِي قَوْلٍ : لَا أُلْقِي سَوْطِي بَيْنَ يَدَيِ الصَّبِيِّ
الَّذِي فِي عَنْقِهِ عُوذُ وَتَعَاهُ لِصِفْرِهِ ، أَلَا عِبَهُ فِي الظَّاهِرِ ، وَأَضْمِرُ التَّوْدِدَ إِلَى أُمَّهِ ،
وَأَطْلُبُ الْخُلْوَةَ بِهَا لِاشْتَغَالِهِ . وَهَذَا إِذَا رَوَيْتَ : « وَرَبَّتْهُ أُرِيدُ » ، وَقَوْلُهُ
أَلَا عِبَهُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَرِبُّهُ : « وَرَبِّتَهُ » وَهُوَ كَشْفٌ . وَرَأَيْتُ مِنْ
يَقْصُرُ الْأَيَّاتِ الْثَّلَاثَةِ عَلَى صِفَةِ الْعَفَةِ عَنِ الْجَارَاتِ ، وَأَنْ يَكُونَ كُلُّ بَيْتٍ مِنْهَا
لِمَعْنَى أَحْسَنٍ وَأَوْلَى .

١٣٧

وقال محمد بن عبد الله الأزدي^(٣) :

١— لَا أَدْفَعُ ابْنَ الْعَمِ يَمْشِي عَلَى شَفَّا وَإِنْ بَلَغْتَنِي مِنْ أَذَاءِ الْجَنَادِعِ
الشَّفَّا : حَرْفُ الشَّيْءِ . وَيَمْشِي فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَالْبَيْتُ يَحْتَلُّ وَجْهِيَنِ :
أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى إِذَا أَشْفَى ابْنَ عَمِّي عَلَى بَلَاءِ وَشَرِّ يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْهُ ،
وَيَمْشِي عَطَابُهُ فِيهِ ، فَإِنِّي لَا أَدْفَعُ فِي صَدِرِهِ تَحْمِلًا عَلَيْهِ لِيَقْتَحِمَهُ ، وَلَا أَزْجُ بِهِ
فِيهِ لِأَغْرِيقَهُ . وَيَحُوزُ أَنْ يَرِيدَ : إِذَا انْحَرَفَ عَنِ مَهَاجِرِهِ وَمَشَى عَلَى جَانِبِ
مِنَ الْمَوَانِسَةِ مَعِ لَأْنَفِهِ ، وَلَا أَتَمْ استِيحاشَهُ بِمَا أُثْبِرُ مِنْ كَوَامِنْ غَيْظَهِ ، وَإِنْ

(١) هو مسكن الداري . أمالى الفال (١ : ٤٥) .

(٢) أنشده في اللسان (حدر) شاهداً على أن المادر : الفليط .

(٣) المهج : « قد قالوا الأزد والأسد ، وكان الزاي بدل من السين ، وكلها علم من مجل ». .

بلغتني الدواهي عنه ، وقاسيتُ الشدائِدَ من التأذى به . أى لا أنتهزُ الفرصةَ في مكاشفته وإن اتصل بالشوه تعرضاً له ، ودام فيها يعْنَى اعتراضه . والجناحُ في الأصل تستعمل في هوامِ الأرض ، تستعمل كنائِيَةً عن ضروب المكارِه وأنواع الأذى . ومن قوله^(١) : « بَدَتْ جَنَادِعُهُ وَاللَّهُ جَادِعُهُ ». وهذا كما استعاروا العقاربَ فقالوا : دَبَّتْ عَقَارُبُهُ . وقال الخليل : الجنادع : جنادب في جحرة الحشرات يخربُون إذا كان الحافرُ يبلغُ أقصاها . ومنه قيل في المثل : « جاءت جنادعُ الشَّرِّ » ، أى أوائله . واستعمل في الكلام أيضاً فقيل جنادعُ القولِ لِمَا يَسُوِّهُ منه . ويحوز في قوله « يمشي على شفَّاً » وجْه آخر حَسَنٌ ، وهو أن يكون يمشي في معنى يَسِّمُ ويَحْطُبُ . وفي المثل : « هو أضَرَّ بِمَشَى بِشَفَّةٍ »^(٢) . وكأنه مأخوذٌ من قوله تعالى : « مَسَاءَ بَنَمِيمٍ » ، ويكون على هذا قوله « على شفَّاً » متعلقاً بضمير ، كأنه قال : يَفْعَلُ ذلك كائناً على شفَّاً أو حاصلاً ; والمعنى مُنْحَرِفاً . أى لا أدفعهُ عن التحريرِ والنَّيمِيَةِ قَهْراً وعَنْفَاً ، ولكن أُعْظِمُهُ بالحسْنَى .

٢—ولكنْ أَوَاسِيَهُ وَأَنَسِيَ ذُنُوبَهُ لِتَرْجِعَهُ يَوْمًا إِلَى الرَّوَاجِعِ

قوله « أَوَاسِيَهُ » أى أجعلُه إسوةَ نفسي ، فأقسامه مالي وملكي . يقول : لكنَّ أَنْتَ أَنَسِيَ ذُنُوبَهُ وَهَفَوَاتِهِ ، وَأَتَغَابَيْ جِرَانِهِ وَزَلَانِهِ ، وَأَحْسِنَ التَّائِيَّ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ لِمَوَاسِاتهِ ، عِنْدَ مَا أَنْتَظَرَ مِنْ فَيَنْتَهِ وَعَظَفَتِهِ ، حَتَّى يَرُدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ دَوَاعِي الْأَحْوَالِ ، وَتَشَابِكُ الْأَرْحَامِ ، وَرَوَاجِعُ الْعَقِبِ ، وَلَوْاحِقُ السَّبَبِ . وهذا الذي وَصَفَهُ هو الغاية في الإيقاء والاستبقاء .

٣—وَحَسْبُكَ مِنْ ذَلِكَ وَسُوءِ صَنِيعَةِ مُنَاوَاهَةِ ذِي الْقُرْبَى وَإِنْ تَيَلْ قَاطِعُ

(١) م : « ومن كلامهم » .

(٢) كذا في م والبريزى . وفي الأصل : « هو أَخْرَبْ » ، بالباء .

يقول : كافيك من سوء الفِعل واكتساه الذل ، أن تُناوِي أقاربك وإن كانوا قاطِعين عاقِين ، مهاجِرين مُصارِمين . وإنما قال « من ذل » لأنَّ عزَّ الرجل بعشيرته ، ومن أفات نفسه الحظَّ منهم فقد ذلَّ . والمناواة أصلُها الهمز ، واشتقاقها من النَّوْء : النَّهُوض . كأنَّ المتعادِين يُناهِضُ كلُّ صاحبَه إما بنفسِه ، وإما بعقيدته ونِيَّته . قوله « سُوءٌ صنِيعٌ » جعل الصنِيعَ اسمًا فهي كالكريمة . قوله « وإن قيل قاطِعٌ » ارتفعَ قاطِعٌ على أنه خبرُ ابتداءٍ مُضْمَرٍ ، كأنَّه أراد وإن قيل هُوَ قاطِعٌ . وفي طريقته قول الحطينة :

فَأَبْقُوا الْأَبَالَكُمْ عَلَيْهِمْ^(١) فإنَّ مَلَامَةَ الْمَوْلَى شَفَاعَه

وروى بعضهم : « وأنْ قيل » بفتح الميمزة ، كأنَّه يُعَظِّفُه على قوله مُناواة ، وللمعنى حسبك من الأمرِينِ المذكورين مُناواةً للأقارب ، وقول الناس هو قاطِعٌ عاقٌ . والأول أَجْوَدُ وأَشَبُّ بما اقتضاه وتصرَّفَ فيه .

١٣٨

وقال آخر :

١ - إِنْ يَحْسِدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَا يَمْهُومْ قَبْلِي من الناسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قد حُسِدُوا^(٢)
الضمير في « يحسدوني » لطائفةٍ من الناس خَصَّهم بالإخبار عنهم ، وقصدَهم بالكلام . فيقول : إن نافَسْوني وحسَدْوني ، ورمَقُوا النُّعْمةَ عَلَيَّ بَعْنَانَ التَّسْخَطِ . فإنِّي لا أَلوهُم ولا أُغْتَبُ عليهم ، إذْ كانَ التَّنَافُسُ والحسدُ يَتَبَعَانِ الفَضْلَ ،

(١) وكذا في الديوان ٢٧ . وفي م : « عليكم » تحريف . وبعده :

فإن أيام الأدنى أيام وان صدورهم لكم براء

(٢) الآيات في أمال القالى (١٩٨: ٢) وعيون الأخبار (١٠: ٢ - ١١) . ورواية

عيون الأخبار :

* إن تحسدوني فإنِّي لا أَلوهُم *

وإذْ كَانَ مِنْ قَبْلَنَا اعْتَادَ بِعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ مِثْلَ مَا نَرَاهُ بِسَبِيلِ الْفَضْلِ . وَقَدْ أَحْسَنَ كُلَّ الْإِحْسَانِ مِنْ قَالَ :

وَإِذَا سَرَحْتَ الطَّرْفَ حَوْلَ قِبَابِهِ لَمْ تَلْقَ إِلَّا نِعْمَةً وَحَسُودًا^(١)
فَأَمَّا قَوْلُهُ « قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا » . فِي شِلْهُ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

* وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْخَسَدُ^(٢) *

وَقَبْلِي جَعَلَهُ لَغْوًا ، وَمِنَ النَّاسِ تَبَيَّنَ ، وَقَدْ حُسِدُوا خَبْرُ الْمُبِتَدِأِ .

٣ - فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ
هَذَا السَّكَلامُ دُعَا لِنَفْسِهِ وَعَلَيْهِمْ ، عَلَى طَرِيقِ التَّسْلِي وَقَلَةِ الاحْتِفالِ ، وَلَأَنَّ
الْخَاسِدَ يَرْفَعُ اخْتَالَ مِنَ الْفَضْلِ وَيُنْوِهُ بِهِ . فَيَقُولُ : أَدَمَ اللَّهُ لِي مَا أَنَا عَلَيْهِ
مِنَ الْفَضْلِ ، وَلَهُمْ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخَسَدِ ، وَمَاتَ أَكْثَرُنَا لِغَيْظِهِ بِمَا يَجِدُ . وَقَوْلُهُ
« وَمَاتَ أَكْثَرُنَا » الْأَكْثَرُ هُمُ الْخَاسِدَةُ ، لِأَنَّهُ — وَإِنْ أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِينِمْ
أَضَافَ الْأَكْثَرُ إِلَيْهِ — وَاحِدٌ . وَقَوْلُهُ « بِمَا يَجِدُ » حَدَفَ الْمَفْعُولَ ، وَالْمَعْنَى بِمَا
يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْخَسَدِ ، أَوْ بِمَا يَجِدُهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْفَضْلِ عِنْدَ الْمَحْسُودِ .
وَحَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَمَزةُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْمُحْسِنِ عَلَيَّ بْنَ مَهْدِيَ
الْكِسْرُوِيَّ يَقُولُ : أَنَا قَدْ تَبَيَّنَتْ مِنْ دُوَوَيْنِ الشُّعُراَءِ قَدِيمِهِمْ وَمُحَدِّثِهِمْ فَوْجَدْتُ
أَبَا تَمَّامَ الطَّائِيَّ مُتَفَرِّدًا بِمَعْنَى قَوْلِهِ :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشَرَ فَضْيَلَةً طُوبَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا التَّخْوِفُ لِلْعَوْاقِبِ لَمْ يَرَكِنْ لِلْخَاسِدِ النِّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

(١) فِي مِنْ : « وَإِذَا سَرَحْتَ » .

(٢) صَدْرُهُ فِي الْدِيْوَانِ ٧٦ :

غير مسبوقٍ إليه . وعندى أنه أخذه من فحوى هذين البيتين وإن كان زاد عليه .

٣ - أنا الذي يجدوني في صدورهم لا أرتقي صدرًا منها ولا أرد
قوله «يجدوني» كان يجب أن يقول يجدونني ؟ لأن الفعل في موضع
رفع ، لكنه حذف اللون تخفيفاً . وكان يجب أن يقول لو جرى على حكم
الصلة : يجدونه ، حتى يكون في الصلة ضمير يعود إلى الذي . وإنما جاز أن
يحيى وليس فيه ما يعود إلى الذي وإن كان صلة له ، لأن الذي خبر أنا ، وهو
والمبتدأ شيء واحد ، فلما كان الأول والثاني شيئاً واحداً لم يبال أن يرد الضمير
الذي يجب رجوعه إلى الثاني إلى الأول . ومثل هذا ما نسب إلى أمير المؤمنين
عليه السلام :

* أنا الذي سمعت أمي حيدرَة^(١) *

قال سمعت ولم يقل سمعته . وقد مضى القول في مثله فيما تقدم مستقى ،
ومعنى البيت : أنا الذي صررت غصّة في صدورهم قد نشيت فلا تصدر
ولا تردد ، أي صارت لازمة لا تسع ولا تزوب . وقوله «صدرًا» مصدر
في موضع الحال . و «لا أرتقي» إن جعلت في صدورهم لغواً يكون في موضع
المفعول الثاني ، وإن جعلت في صدورهم مفعولاً ثانياً كان لا أرتقي حالاً .

١٣٩

وقال آخر :

١ - الشَّيْءَ يَبْدُؤُ فِي الْأَصْلِ أَصْفَرُهُ وَلَيْسَ يَصْلِي بِكُلِّ الْحَرْبِ جَانِهَا
يَبْدُؤُ أَيْ يَبْدُأُ مِنْهُ ، خذف حرف الجر ووصل النقل فنصب . يقول :

(١) سبق الرجز في س ١١٥

أوائل الأمور ضعيفة ، ومبادئها صغيرة حقيقة ، ثم تستحِّكم على مر الأيام
وتصرُّف الأحوال فمعظم . وهذا كما قال الآخر^(١) :

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتَيْتُهُ تَسْعَ بِزِيَّهَا لِكُلِّ جَهُولٍ
وَفِي طَرِيقِهِ قَوْلُ الْآخَرِ^(٢) :

* كَمْ مَطَرَ بَدْوَهُ مُطَيْرَ^(٣) *

وقوله « وليس يصلي بنار الحرب جانها » يروى : « يجْلِي الحرب » والمعنى :
لا يصطلِّي بنار الحرب ومُعظمهَا من يكتسبُها ويُقدُّها فقط ، بل يحصل بالمشاركة
فيها ويعيُّنها بِبُلْواهَا ، من لم ينْقُلْ خطوهَهُ في بعثتها ، ولم يَسْعَ في تهبيجها .

٢- والْحَرْبُ يَلْحَقُ فِيهَا الْكَارِهُونَ كَمْ تَدْنُو الصَّحَاحُ إِلَى الْجَرَبِ فَتُقْدِيْهَا
يقول : شَرُّ الْحَرْبِ يُعْدِي إِعْدَاءَ الْجَرَبِ ، فَتَرِي الْكَارِهِ هَا يَلْتَحِقُ بِهَا^(٤)
وإن كان غير حازِم لها ، وتلقى البعيد منها يصطلي بمحرّها وإن لم يذِكُرها^(٥)
ولم يُشَيَّعْ مَوْقِدُها . وفي هذا التشبيه خروج المشبه من الْكَمُونِ إلى الظَّهُورِ ،
ومن الخفاء إلى البرُوز ، حتى يتَجَلَّ اِمْتَانُهُ وَالْفَكَرُ فِيهِ عَلَى بُعْدِهِ فِي التَّصَوُّرِ
تَجَلَّ الْقَرِيبُ فِي الْعَرْفِ وَالْعَتِيَادِ . وهذا هو غاية المراد من التشبيهات .

٣- إِنْ رَأَيْتُكَ تَقْضِيَ الدِّينَ طَالِيَهُ وَقَطْرَةُ الدَّمِ مَسْكُرُوهُ تَقْاضِيَهَا
هذا البيت يصلح أن يكون مدحًا ، فيكون المعنى : إن رأيتَكَ تخرج إلى
المُدِينين سريعاً من دِينِهم عليك ، غير مُدافِع بما في ذِمَّتكَ لهم ولا يُماطلُ ،

(١) عمرو بن معد يكرب . شروح سقط الزند ١٦٧٨ .

(٢) هو أبو تمام . البيان والتبيين (٣: ٦٧) .

(٣) صدره : * رب قليل جنى كثيرا *

(٤) م : « يتعذر بها » .

(٥) في الأصل : « يدركها » والوجه ما أثبتنا من م .

فإذا طولتَ يَدَمِ أو نُوْزَعْتَ فِي دَخْلِ ، شَقَّ تَقَاضِيكَ بِهِ وَتَعْذَرَ ، وَتَصَعَّبَ نَيْلُهُ مِنْ جِهَتِكَ وَتَعْسَرَ . فَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ « مَكْرُوهٌ تَقَاضِيهَا » ، مَعْنَاهُ مَكْرُوهٌ تَقَاضِيكَ بِهَا . وَيَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ ذَمَّاً ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : إِنِّي رَأَيْتُكَ بِأَهْوَانِ سَعْيٍ وَأَقْرَابٍ طَلَبَ تَخْرُجٍ مِنَ الْأَوْتَارِ وَالدَّمَاءِ إِلَى طَلَابِهَا ، فَلَا كُلُّفَةَ فِي نَيْلِهَا وَإِدْرَاكِهَا مِنْ جِهَتِكَ ، وَالْتَّقَاضِي بِالدَّمِ عَسِيرٌ صَعْبٌ إِلَّا إِذَا كَانَ عِنْدَكَ وَقَبْلَكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَّا لَضْعَفٌ كِيدِكَ وَمَهَانَةٌ نَفْسِكَ ، وَقُصُورٌ أَبَائِكَ . وَالَّذِينَ فِي هَذَا الْوَجْهِ يُرَادُ بِهِ الْوِتْرُ وَالدَّمُ . وَقَوْلُهُ « مَكْرُوهٌ تَقَاضِيهَا » يَعْنِي تَقَاضِي غَيْرِكَ بِهَا . وَمَثْلُ قَوْلِهِ مَكْرُوهٌ تَقَاضِيهَا فِيمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ قَوْلُ لَبِيْدِ :

* باَكَرْتُ حاجَهَا الدَّجاجَ بِسُحْرَةِ^(١) *

لَأَنَّ الْمَعْنَى بِاَكَرْتُ حاجَتِي إِلَيْهَا .

١٤٠

وَقَالَ شَرِيعُ بْنُ قِرْوَاشِ^(٢) :

١ - لَمَّا رَأَيْتُ النَّفْسَ جَاءَتْ عَكْرَتُهَا عَلَى مِسْحَلٍ وَأَيْ سَاعَةٍ مَعْكَرٍ يَقُولُ : لَا تَحْرَكْتُ حَيْقَنِي وَغَلَبَ^(٣) نَفْسِي ، حَتَّى كَادَتْ تَشُوَّرُ مِنْ مَقْرَرِهَا فَتَجْرِي أَنْفَهُ وَامْتَعَاصِمًا ، عَطَقْتُهَا عَلَى صَاحِبِي مِسْحَلٍ وَفِي أَيْ وَقْتٍ مَعْطَفِي فَعَلَتُ ذَلِكَ . وَهَذَا تَفْظِيمٌ لِلشَّأْنِ ، وَتَفْخِيمٌ لِلأَمْرِ . فَإِذَا رَوَيْتَ « وَأَيْ سَاعَةٍ مَعْكَرٍ » بِالرُّفْعِ يَكُونُ مُبْتَدِأً وَخَبْرُهُ مَحْذُوفٌ ، كَانَهُ قَالَ : وَأَيْ سَاعَةٍ مَعْكَرٍ

(١) مِنْ مَعْلَقَتِهِ . وَعِزْزَهُ :

* لَأَعْلَمُ مِنْهَا حِينَ هُبِّ نِيَامِهَا *

(٢) كَانَ مِنْ سَبْبِ هَذِهِ الْأَيَّاتِ مَا رَوَاهُ الشَّيْرِيزِيُّ عَنْ أَبِي رِيَاسٍ قَالَ : لَقِي شَرِيعَ بْنَ مُسْهِرَ أَخْوَهُ بِالْحَارِثِ بْنَ كَعْبٍ ، مِسْحَلَ بْنَ شَيْطَانَ بْنَ جَذِيمَ بْنَ رَوَاحَةَ ، فَطَمَنَ مِسْحَلًا فَصَرَعَهُ فَحَلَ شَرِيعُ بْنَ قِرْوَاشَ عَلَى شَرِيعٍ بْنَ مُسْهِرٍ فَطَعَنَهُ فَصَرَعَهُ وَاسْتَنْذَدَ مِسْحَلًا ، وَقَالَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ . كَذَا فِي النَّسْخَيْنِ ، أَيْ غَلْبَتْ قَسْيَ

(٣) كَذَا فِي النَّسْخَيْنِ ، أَيْ غَلْبَتْ قَسْيَ

ومَكْرٌ تلك الساعة . وإذا رويتها بالنصب يكون ظرفاً ، ويكون العامل فيه مضرراً ، كأنه قال : وعَكَرْتُ أَيَّ وقتِ مَكْرٍ . ومعنى عَكَرْ : عطف . ويقال : هو عَكَارٌ في الفتنة . وجواب لما « عَكَرْتَها » .

٢- عَشِيَّةَ نَازَلَتُ الْفَوَارِسَ عِنْدَهُ وزَلَّ سِنَانِي عن شَرِيفِ بْنِ مُسْهِرٍ
عشية انتصب على أن يكون بدلاً من قوله وأى ساعة مَكْرٌ إذا نصبت
أيّاً ، وإن رَفْقَتْهُ فاتتصابُ عَشِيَّةَ على أن يكون ظرفاً والعامل فيه فِقلُّ مضرٍ
دلٌّ عليه ما قَبْلَهُ ، كأنه قال عَكَرْتُ عَشِيَّةَ . ولا يكون العامل نازلتُ ، لأنَّه
مضافٌ إليه وبيانٌ للوقتِ ، والمضافُ إليه لا يَعْمَلُ في المضافِ . فيقول :
عَطَفْتُ عليه ذَابِّاً عنه ومداهِقاً دونه ، عَشِيَّةَ مَنَازَلَتِ الْفُرَسَانَ بِحُضْرَتِهِ ، وَحِينَ
زَلَّ سِنَانُ رَحْمِيَّ عن ابنِ مُسْهِرٍ ، وإنما زَلَّ السِّنَانُ عنه وسَلَمَّ من طَعْنَتِهِ لَأَنَّه
كان لِبِسِ دِرْعًا تَحْتَ ثِيَابِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِهَا ، فَكَانَهُ يَعْتَذِرُ وَيَتَلَهَّفُ .

٣- وَأَقِيمُ لَوْلَا دِرْعَهُ لَتَرَكْتُهُ عليه عَوَافٍ من ضِبَاعٍ وَأَنْسُرٍ
قوله أَقِيمُ يَمِينَ ، والخلوف به مَحْذُوفٌ ، وهو لفظُ الله . ولِكثرةِ مجيئها
مع أَقِيمٍ صار وهو مَحْذُوفٌ كالمنطقِ به ، وجوابُ القَسْمِ استُغْنِيَ عَنْهُ بِحدِيثِ
لَوْلَا ، لأنَّهُ فيَهُ . ولِلْمَعْنَى أَنَّهُ بَيْنَ الْمُذْرِ فِيهَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَوْلَا دِرْعَهُ الَّتِي
اسْتَظْهَرَ بِهَا ، وَظَاهِرٌ بِشُوَبِهِ فَوْقُهَا ، لَتَرَكْتُهُ بِطَغْنَتِي مَقْتُولًا ، وَعَوَافِ السَّبَاعِ
وَالطَّيْرِ تَأْتِيهِ وَتَنَالُّ مِنْهُ . ويقال عَفَاءُ واعْتِفَاهُ بِعَنْفٍ وَاحِدٍ .

٤- وَهَلْ غَمَرَتُ الْمَوْتَ إِلَّا نَزَالَكَ أَلْ كَمِيَّ عَلَى لَحْمِ الْكَبِيِّ الْمُقْتَرِ
هذا الكلام بيانٌ ما تكلَّفَهُ عند التعلُّفِ على مِسْحَلٍ ، وتصويرٌ لِهَوْلٍ
ما رَكِبَهُ وَعَانَهُ من عظيمِ البلاءِ في نُصرَتِهِ . ولِهَذَا جَعَلَ النَّفْ بِلِفْظِ الاستِفْهامِ ،
فَقَالَ : وَمَا شَدَادُ الْمَوْتِ إِلَّا مَنَازِلَتِكَ الْكَبِيِّ فَوْقَ لَحْمِ الْكَبِيِّ ، أَلْ كَمِيَّ
أَلْ حَيْفَ

القتلي . ولو لا أنَّ هَلْ فِي طَرِيقِ النَّفْحِ هَا هُنَالِمَا جَاءَ بَعْدَهُ إِلَّا . وَالْقَطَرُ : الْمُلْقُ
عَلَى أَحَدِ قُطُرِيهِ ، وَهَا الْجَانِبَانِ . وَالْقَطَرُ اخْتِصَاصٌ بِالْمَبَارَةِ عَنِ الإِسْقَاطِ وَالصَّرْعِ .
عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ عَمْرُو بْنِ مَعْدِيَّكَرَبَ :

* ما قَطَرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا *^(١)

وَمِنَ الْحَكِّيْمِ عَنْهُمْ فِي الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَهُ هَذَا الشَّاعِرُ ، أَنَّهُ سُئِلَ بَعْضُهُمْ :
مَا أَشَدُ مَارِيَتَهُ فِيمَا زَاوَلَتْهُ مِنَ الْحَرَوبِ ؟ فَقَالَ : « الْزَّلَقُ عَلَى الْعَلَقِ » . وَفِي طَرِيقِهِ
قَوْلُ الْآخِرِ :

يَطَّافَ مِنَ الْقَتْلَى وَمِنْ قِصْدِ الْقَنَاءِ شَرِيجًا فَإِلَّا تَوَهًا^(٢)

٤١١

وقال طرفة الجذعي :

١ - يَارَأْ كِبَّا إِمَّا عَرَضْتَ قَبْلَنْ ^{بَنِي فَقْعَسٍ} قَوْلَ اَمْرِيْ ^{نَاخِلَ الصَّدَرِ}^(٤)

(١) صدره كاف في شرح شواهد المغني . ٢٤٥ .

* قد علمت سلمي وجاراتها *

(٢) م : « إِلَّا تَقْحِمَا » .

(٣) ذكره الأعمى في المؤتلف ١٤٦ ، وقال : « أَحَدُ بْنِ جَذِيعَةَ بْنِ رَوَاحَةَ بْنِ قَطِيعَةَ
ابْنِ عَبْسٍ بْنِ يَعْيَشٍ ، شَاعِرَ فَارِسٍ » ، وَتَصْحَّفُ عَلَى صَاحِبِ الْقَامُوسِ بِحَسْلِهِ طَرْفَةُ الْخَزْعِيِّ ،
وَقَالَ : « مِنْ بْنِ خَزِيعَةَ بْنِ رَوَاحَةَ » . وَقَالَ ابْنُ جَنِيَّ فِي الْمَبْهَجِ : « الطَّرْفَةُ : وَاحِدَةُ الْطَّرَفَاتِ
وَمُثْلِهِ قَصْبَاءُ وَقَصْبَاءُ ، وَحَلْفَةُ وَحَلْفَاءُ وَجَذِيعَةُ : عِلْمُ مَرْجَلٍ وَلِسْنٍ مَقْوُلٍ . وَيُحُوزُ
أَنْ يَكُونَ مِنْ جَذَّبَتْ يَدَهُ أَيْ قَطْلَتْهَا ، فَيُكَوِّنُ أَسْمَاءً كَالْعَصِيَّةِ وَالْقَيْحَةِ . وَقَالَ ابْنُ جَنِيَّ فِي
الْتَّنِيَّةِ : « طَرْفَةُ الْجَذِيعِيِّ جَذِيعَةُ عَبْسٍ ، وَيَقَالُ الْجَذِيعِيُّ » . وَهَذِهِ النَّسْبَةُ الْأَخِيرَةُ وَرَدَ فِي المؤتلفِ .

(٤) قَالَ أَبُو رِيَاثٍ : كَانَ مِنْ خَبْرِ هَذِهِ الْأَيَّاتِ أَنَّ جَذِيعَةَ بْنَ رَوَاحَةَ بْنَ رِيَعَةَ بْنَ
الْخَارِثَ بْنَ مَازْنَ بْنَ قَطِيعَةَ بْنَ عَبْسٍ — هَوَابِنْ فَقْسَ بْنَ طَرِيفَ بْنَ الْخَارِثِ
ابْنَ ثَمْلَةَ بْنَ دُودَانَ بْنَ أَسْدَ بْنَ خَزِيعَةَ . وَذَلِكَ أَنَّ حَيَّةَ بْنَتْ مَالِكَ بْنَ مَرَةَ كَانَتْ تَحْتَ قَفْسَ
فَاتَّ عَنْهَا ثَلْفٌ عَلَيْهَا رَوَاحَةٌ ، فَوَلَدَتْ جَذِيعَةَ عَلَى فَرَاسِهِ . فَزَعَمُوا أَنَّهَا تَزَوَّجَتْهُ وَهِيَ جَبَلٌ بِجَذِيعَةَ
فَوَلَادَتْهُ لِثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، خَاءَ جَذِيعَةَ يَطْلُبُ بِعِيرَاهُ مِنْ أَيِّهِ فَقَالَ لَهُ أَهْيَا بْنَ طَرِيفَ : مَا أَعْرِفُكَ وَلَا
كَعْنَدِي مِيرَاثَ . فَقَالَ لَهُ : وَيَحْكُمُ أَعْطِنِي وَلَوْ بَكْرًا أَسْتَحْقُ بِهِ النَّسْبَ . فَنَفَهَ وَيَتَ
جَذِيعَةَ فِي بَنِ عَبْسِ » .

يُخاطِبُ واحداً من الركبان غيرَ مُعَيْنٍ ، ويُكلِّفُهُ إنْ عَرَضَ لِبَنِ فَقْسٍ
أنْ يُبَلِّغُهُ عنه قولَ رَجُلٍ نَاخِلٍ الصَّدْرِ ناصِحُ الْجَيْبِ ، صَادِقُ الْوَدِ . وإنما
نَكَرَ المَدْعُوُ لِأَمْرِينَ : أَحَدُهَا شَدَّة اهْتَامَهُ بِالرِّسَالَةِ وَتَحْمِيلُهَا رَسُولًا كَائِنًا مِنْ كَانَ .
وَالثَّانِي أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَضْعِفَ رِسَالَةَ ظَاهِرِهَا أَهْمَّهَا أَوْدِعَتْ مَتْحَمِلاً ، عَلَمًا بِأَنَّ الرِّسَالَةَ
بِنَفْسِهَا إِذَا ضَمَّنَتِ الشِّعْرَ وَعَقِدَتْ بِهِ سَبِيلٌ عَلَى أَفْوَاهِ الرَّوَاةِ . وَقَوْلُهُ « نَاخِلٍ
الصَّدْرِ » يَرِيدُ مُصْنَفَ مَا فِي الصَّدْرِ ، خَذْفَ الْمُضَافِ . أَوْ يَرِيدُ نَاخِلَ الصَّدْرِ لِمَا
يَعِيهِ بِفَعْلِ الْفَعْلِ لِلصَّدْرِ تَوْسِعاً ، وَالْمُعْنَى أَنَّهُ مُوافِقُ الظَّاهِرِ لِلْبَاطِنِ . وَيَقُولُ :
نَخَلْتُ الْوَدَّ وَالنُّصْحَ لِفَلَانٍ ، إِذَا أَخْلَصْتُهُمَا .

٢ - فَوَاللَّهِ مَا فَارَقْتُكُمْ عَنْ كَشَاحَةٍ وَلَا طَيْبٌ نَفْسٍ عَنْكُمْ أَخْرَ الدَّهْرِ
يَقُولُ : أَحْلِفُ أَنِّي لَمْ أُوْزِنْ فَرَاقْكُمْ لِعَدَاوَةٍ لَازِمَةٍ لِكَشْحِي ، وَبِغَضَاءٍ
مُتَمَكِّنَةٍ مِنْ طَوِيقِي ، وَلَا يُسْلُو نَفْسٍ عَنْكُمْ وَسْخَاءٌ قَلْبُكُمْ أَخْرَ الدَّهْرِ . وَهَذَا
الْكَلَامُ إِظْهَارٌ مُتَمِيلٌ إِلَى إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ لَوْ تَسَاعَدَتِ الْأَحْوَالُ ، وَمَعَذْرَةٌ
أَقْامَهَا فِيمَا قَصَدَهُ مِنْ مُرَاخِّتِهِمْ ، وَآمِرَةٌ فِي مَهَا جِرْتِهِمْ وَمَفَارِقِهِمْ ، وَإِيَّاهُ عَنِ
الْأَمْرِ فِي أَنَّ الْبَاعِثَ عَلَى مَا اتَّفَقَ لَمْ يَكُنْ مِنْ سُوءِ خَلَقِهِ ، وَانْطَوَاهُ عَلَى حَسَدِ
وَقَطْعِيَّةٍ . وإنما قَرَنَ الشَّلُو بِقَوْلِهِ آخْرَ الدَّهْرِ لِيُرِيَ أَنَّ ذَلِكَ الْقَدِيرُ لَيْسَ بِمَحَاصلٍ
وَلَا وَاقِعٌ أَبْدَأُ ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُ لَا أَفْعُلْ كَذَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ .

٣ - وَلَكَنِي كُنْتُ أَمْرًا مِنْ قَبِيلَةٍ بَغَتْ وَأَتَتْنِي بِالْمَظَالِمِ وَالْفَحْرِ
هَذَا كَشْفُ الْعِذْرَةِ وَذِكْرُ السَّبِبِ الْمُوجِبِ لِلْمَعْبَدَةِ وَالْفُرْقَةِ ، فَيَقُولُ :
وَلَكَنِي كُنْتَ رَجُلًا مِنْ قَبِيلَةٍ خَرَجْتُ عَنْ طَرِيقِ التَّوَاصُلِ إِلَى طَرِيقِ التَّقَاطُعِ ،
بِمَا اسْتَعْمَلْتُهُ مِنْ الْبَغْيِ وَالشَّقَاقِ ، وَتَعَاطَتُهُ مِنْ الظُّلْمِ وَالْعِنَادِ ، حَتَّى تَدَاعَتْ
مَبَانِي التَّوَاشِجُ وَالتَّحَابَ ، وَانْفَصَمَتْ عَرَقِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَنَا وَالْتَّوَادَ ، وَعِيلَ

الصبرُ، بما لحق من المفْضُم ، وحرجَ الصدرُ ، لما تلاحقَ حالاً بعد حالٍ من الاستخفاف والذلة .

٤—**إِنَّ لِشَرِّ النَّاسِ إِنْ لَمْ يَتَّهِمْ عَلَى حَالَةٍ حَدْبَاءٌ نَّابِيَّةٌ الظَّهَرِ**^(١)
انتقل عن الخطاب إلى الإخبار حين توعدهم ، وإن كان الكل من جملة الرسالة . ويروى : « لِشَرِّ النَّاسِ » بكسر اللام ، وللمعنى أنا ابن شر الناس ، كما قال النابغة :

* لَئِنْ كَانَ لِلْقَبْرِيْنَ قَبْرٌ بِحَلَّٰيِّ ^(٢) *

والكلام لفظه انطبخ والمعنى معنى القسم . وهذا من الأيمان الشريفة .
ويروى : « لِشَرِّ النَّاسِ » . وللمعنى : أنا شر الناس إن لم أحمل هؤلاء القوم بيأتم على حالة مُنكرة ، وخطبة صعبة ، لا يستقر عليها ، ولا يثبت على ظهيرها .
وفي هذه الطريقة قول الآخر ^(٣) :

لَقَدْ حَمَلَتْ قَيسُ بْنُ عِيلَانَ حَرَبَنَا عَلَى يَابِسِ السَّيَّاسَةِ مُحَدَّدَ دِبِ الظَّهَرِ
فَقَوْلُهُ نَابِيَّةُ الظَّهَرِ مُثْلُ قَوْلِ هَذَا مُحَدَّدَ دِبِ الظَّهَرِ ، أَى ظَهِيرَهَا يَحْفُو لِنَتُوْهُ وَنُبُوْهُ
فِي قَلْقِ رَاكِبَهَا وَلَا يَقِرُّ ، وَجَوَابُ الْجَزَاءِ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ وَإِنِّي لِشَرِّ النَّاسِ .

٥—**وَحَتَّى يَفِرَّ النَّاسُ مِنْ شَرِّ يَنْتَنَا** وَنَقْمَدَ لَا نَدْرِي أَنْتَرِعُ أَمْ نَجْرِي
تَعَلَّقُ حَتَّى بِفَعْلِ مُضْمِرٍ ، كَانَهُ قَالَ : وَأَدِيمُ ذَلِكَ لَهُ حَتَّى يَفِرَّ النَّاسُ ،
أَى إِلَى أَنْ يَفِرَّ النَّاسُ . وللمعنى : إِنِّي لَا أَزَالُ أَتَمَادِي فِي الْلَّاجَاجِ وَالشَّرِّ ، وَأَرْقَ فِي
دَرَجَاتِ الْبَرَّاجِ وَالْخَرْبِ ، حَتَّى يَسْتَقِيمَ النَّاسُ مِنْ مَشَارِكِنَا وَمَلَابِسِنَا فِي زَاوِلَهُ ،
وَيَسْتَعْفِفُوا مِنَ التَّوْسُطِ يَبْنَنَا وَرَدَنَا عَمَّا نَفْتَحُهُ ، وَيَنْفَضُوا أَيْدِيهِمْ مِنْ اسْتَصْلَاحِنَا

(١) كذا ورد في الأصل وفي م والتريزى والمولنف : « على آلة ». والآلة : الحالة أيضا .

(٢) عجزه : * وقرب بصيادة التي عند حارب *

(٣) هو الأخطل ، ديوانه ١٢٩ والسان (سيس) .

ونتعير نحن أيضاً وترتكب إذا توسلنا أمورنا ، فلا ندرى أنقصر ونكشف ، أم
نجري فلنفذه . وهذا إلمام بمسار به المثل في قصة السالمة للسمّ ، ويقول الشاعر^(١) :
وَكُنْتُ كَذَاتِ الْقِدْرِ لَمْ تَدْرِي أَذْعَلَتْ أَتَنْزِلُهَا مُذْمُومَةً أَمْ تُدْبِيهَا^(٢)
وفي المثل السائر : « اختلط الخاير بالزياد »^(٣) . قوله « لا ندرى » في
موضع الحال .

٤١٢

وقال أبي بن حمam المرى^(٤) :

١ - تَمَنَّى لِيَ الْمَوْتَ الْمُعْجَلَ خَالِدٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يُعْرَفُ حَاسِدُهُ
٢ - فَخَلَ مَكَانَ الْمَتَكَبِّرِ لِتَسْدِهِ عَزِيزٌ أَعْلَى عَبْسٍ وَذِيَانَ ذَائِدٍ^(٥)
يقول : وَدَ لِيَ الْمَوْتَ الْوَحِيَ السريعَ الإتيانِ خالِدٌ ، حَسَدًا منه وبُغضًا ،
ومنافسةً في الرئاسة وحقدها . ثم قال متسلياً : ولا خيرٌ فيمن لا حاسد له ، لأنَّ
الحسد من توسيع الفضل ومبنياته . ومثل هذا قول الآخر :
إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لِأَنْتِهِمْ

قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسِدُوا^(٦)

وقد شرح القول فيه . قوله « فَخَلَ مَقَاماً » أقبلَ على خالِدٍ مُبَكِّتاً له

(١) هو بشر بن أبي حازم . المفضليات (٢ : ١٣٢) .

(٢) رواية للمفضليات : « فَكَانُوا كَذَاتِ ». .

(٣) الزياد ، كرمان : ما لا خير فيه .

(٤) التبريزى والأمدى : « المبى » قال التبريزى : وحمam هو ابن جابر بن قراد بن
مخزون بن مالك بن غالب بن قطيبة بن عيسى . . ومثله عند الأمدى في المؤتلف . ٩١

(٥) التبريزى والأمدى : « خل مقاماً » .

(٦) من الحاسية ١٣٨ .

ومُقْصِرًا به ، يعرّفه أنه يَحْسُدُه فِيهَا لَا يَصْلَحُ لَه ولا يُسْتَكْفَى مِثْلُه فِيهِ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ كُمَا مَقَامًا تَرَلُّ قَدَمَكُمْ عَنْهُ ، وَتَسْقُطُ رُبْتَكُمْ دُونَهُ ، وَأَنْسَ مَكَانًا لَا تَسْدُهُ بِكَفَايَتِكُمْ ، وَلَا تَقُولُ فِيهِ بِغَنَائِكُمْ ، [وَيَعْزُزُ الْمَدَافِعُ دُونَهِ عَلَى طَوَافِ عَبْسٍ وَذِيَّانٍ — وَإِنَّمَا يَرِيدُ رِيَاسَةَ الْعَشِيرَةِ^(١) —] وَخَلَّ الْقِيَامُ بِأَسْرِ عَبْسٍ وَذِيَّانٍ إِذْ لَسْتَ مِنْ رِجَالِ ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ « لِتَسْدَهُ » الْلَّامُ فِيهِ لَامُ الْجَحْودِ ، وَهِيَ لَامُ الْإِضَافَةِ ، وَالْفَعْلُ بَعْدَهُ يَنْتَصِبُ بِأَنْ مُضْمَرَةً وَلَا يُفْلِهِ الْبَيْتَةَ .

١٤٣

وقال أيضًا :

١ - لَسْتُ بِمَوْلَى سَوْءَةٍ أَدْعَى لَهَا فَإِنَّ لَسْوَاتِ الْأَمْوَارِ مَوَالِيَا
مَوَالِيَ سَوْءَةٍ : مُتَوَلِّيَا وَصَاحِبِهَا . وَيَحْبُزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْوَلِيِّ : الْقُرْبُ
أَيْ لَا أَقْارِبُهَا^(٢) وَلَا أَدْانِيَهَا . وَقَوْلُهُ « أَدْعَى » مِنَ الدَّعَوَةِ وَالدَّعْوَةِ ، وَهِيَ
النَّسْبَةُ . يَقُولُ : لَا أَتَعَاطِي قَبِيحاً ، وَلَا أَتَوَلَّ تَحْزِيْةَ فَأَنْسَبَ إِلَيْهَا ، وَأَعْرَفَ
بِهَا ، فَإِنَّ لِقَابَ الْأَمْوَارِ أَرْبَابًا غَيْرِي . وَهَذَا اِنْتِفَالٌ مِنَ الْأَدْنَاسِ ، وَتَبَرُّوْنَ مِنَ
الْمَقَابِحِ ، وَتَعْرِيْضُ بِأَنَّ مَا يَتَنَزَّهُ عَنْهُ حَاصِلٌ فِي مُجَاذِبِهِ وَمَلَازِمِهِ .

٢ - وَلَنْ يَجِدَ النَّاسُ الصَّدِيقَ وَلَا أَعْدَى أَدِيعَى إِذَا عَدُوا أَدِيعَى وَاهِيَا^(٣)

(١) التَّكْلِفَةُ مِنْ مِنْ .

(٢) م : « أَقْارِبُهَا » . وَالْمَفَارِفَةُ : الْمَفَارِيْةُ وَالْمَدَانَةُ .

(٣) أَبْنَ بَنْيَ : « زَادَ لَا مُؤْكِدَةَ لِلنَّفِيِّ ، وَفَاصِلَةَ بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ قَالَ : وَلَنْ يَجِدَ النَّاسُ الصَّدِيقَ وَالْعَدَى أَدِيعَى وَاهِيَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ دَلِيلٌ أَنَّهُ لَا يَحْدُدُ بِعَضِّهِمْ دُونَ بَعْضٍ ، وَلَمْ يَجِدْ النَّاسُ الصَّدِيقَ وَالْعَدَى أَدِيعَى وَاهِيَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ دَلِيلٌ أَنَّهُ لَا يَحْدُدُ بِعَضِّهِمْ ، كَمَا أَنَّكَ إِذَا قَلْتَ مَا جَاءَ فِي النَّاسِ كَلِمَتَهُ فَقِيهِ تَقْرِيْبٌ الْكَلْ وَلَيْسَ فِيهِ تَقْرِيْبٌ الْبَعْضِ . فَإِذَا قَلْتَ مَا جَاءَ فِي الصَّدِيقِ وَالْمَدُورِ جَازَ أَنْ يَكُونَ قَدْ جَاءَ بَعْضُ أَوْلَاكَ . فَإِذَا قَلْتَ مَا جَاءَ فِي الصَّدِيقِ وَالْمَدُورِ لَمْ يَجِزْ أَنْ يَكُونَ بِإِيمَانِكَ أَحَدُهُمْ . فَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ ، وَهُوَ أَمْدَحُ ، لَأَنَّهُ لَمْ يَطْلَعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى ضَعْفِهِ » .

يقول : إني صحيحُ الأصل ، نقِيُّ العرض ، فلو تعاونَ فِي الكَشْفِ عَنَّ
أَدَعِيهِ وَالبَحْثِ دُونَهِ أَصْدَقُنِي وَأَعْدَانِي ، وَمَنْ يَرَى التَّعْمِيْسَ عَلَى مَا يُنْكِرُهُ ،
أَوْ التَّشْهِيرَ وَالتَّنْدِيدَ بِمَا يُثِيرُهُ ، لَمْ يَجِدُوا غَيْرَةً ، وَلَا ظَفَرُوا بِتَقْيِيسَةً . وَذِكْرُ
الْأَدِيمِ مَثَلُ للِّعْرُضِ وَالْأَصْلِ . وَالْقَدُّ وَالْإِحْصَاءُ كُنْيَاهُ عَنِ الْفَحْصِ وَالتَّقْيِيرِ .

٣ - وَإِنْ بِجَارِيٍّ يَا بَنَ غَمِّ مُخَالِفٌ بِجَارِ اللَّاثَامِ فَابْغِنِي مِنْ وَرَائِيَا
النَّجَارُ : الأَصْلُ . وَهَذَا تَعْرِيْضٌ بِالْمُخَاطَبِ ، يَقُولُ : أَصْلِي مُخَالِفٌ لِلأَصْوَلِ
الْأَدْنِيَاءُ ، فَاطْلُبْنِي لِلْمُقَادِرِ إِذَا غَبَتْ عَنْكَ [أَوْ فَتَّكَ^(١)] . فَأَمَا إِذَا حَضَرْتُ
فَإِنَّكَ لَا تَقاوِمُنِي وَلَا يَسْتَقِمُ لَكَ مَسَاجِلِي . هَذَا إِذَا جَعَلْتَ وَرَاءَ بَعْنَى خَلْفَ ،
فَإِنْ جَعَلْتَهُ بَعْنَى قَدَامَكَ يَكُونُ بَعْنَى أَبِيْغِنِي إِذَا تَقْدَمْتَنِي . وَمَنْ طَلَبَ مِنْ تَخْلِفَ
عَنْهِ مِنْ قَدَامٍ لَا يُدْرِكُهُ . وَالْكَلَامُ عَلَى هَذَا يَكُونُ تَهْكِمًا وَسُخْرِيَّةً . فَالْمَعْنَى
فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي : إِنَّكَ لَا تَلْعَحُ شَأْوِي فَاطْلُبْنِي طَلَبَ الْمَعْذُرَ وَالْيَائِسَ^(٢) . وَيَحْمُوزُ
أَنْ يَكُونَ يُرِيدُ : إِنَّ كَرِيمَ الْأَصْلِ ، رَفِيعَ الْمَحَلِّ ، عَلَى الرَّئِبَةِ ، وَمَنْ كَانَ
كَذَلِكَ لَا يُظْفَرُ بِهِ ، وَلَا يُصْطَادُ مِثْلَهُ [إِلَّا^(٣)] بِالْخَضْوعِ لَهُ وَالْأَنْقِيادِ بِالْتَّذَلُّ
بَيْنِ يَدِيهِ ، فَأَبِيْغِنِي وَأَنْتَ تَابِعٌ لِي ، وَوَاطِئٌ عَقِيْبِي ، حَتَّى تَنَالَنِي ، وَإِلَّا لَمْ تَبْلُغْ
مُرَادَكَ مِنِّي . وَيَقُولُ : فَلَانُ مِنْ وَرَاءَ فَلَانٍ ، إِذَا كَانَ نَاصِرًا لَهُ ، وَتَابِعًا .
وَأَنْشَدَ ابْنَ السَّكِيْتَ :

أَعْمَرُكَ مَا كَانَ الْقَرْبَى وَرَهْطَهُ بَعْنَى وَلَا خَالِي وَلَا مِنْ وَرَائِيَا
وَقَالَ : الْمَغْنَى وَلَا نَاصِرِي . فَأَمَا قَوْلُهُمُ اللَّهُ مِنْ وَرَائِكَ ، فَالْمَعْنَى طَالِبُكَ وَمُتَرَصِّدٌ
لِمَكَافَاتِكَ . فَقَلَى الْقَوْلُ الْأَخِيرُ يَكُونُ مِنْ وَرَائِي فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِضَمِيرِ
الْفَاعِلِ فِي أَبْعَجَ .

(١) الشكلة من م . (٢) التبريزى : « كبعض الرجال » .

(٣) المعذر : المنصر المتواهى من غير عذر . ومه : « وجاه المعذرون » .

٤ - وَسِيَّانِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى كَبْعَضِ رِجَالٍ يُوْطِنُونَ الْخَازِيَا
ارتفع سِيَّانٌ على أنه خبر مُقدَّم لقوله «أنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى» ، والمعنى :
مِثْلَانِ عِنْدِي مَوْتٌ وَأَنْ أَرَى كَمْ يَأْلَفُ الْخَازِيَا وَيَرْضَاهَا وَطَنًا وَمَأْوَى ،
وَلَا يَأْنَسُ إِلَّا بِهَا ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا إِلَيْهَا . وَهَذَا تَعْرِيفٌ بِالْمُخَاطَبِ أَيْضًا .
وَالسُّيُّورِيُّ : المِثْلُ . قَالَ :

فَإِنَّكُمْ وَحْيَةٌ بَطْنٌ وَادٌ هَمُوزٌ النَّابٌ لِيْسَ لَكُمْ بِسِيَّانٍ^(١)

٥ - وَلَسْتُ بِهِيَابٍ مِنْ لَا يَهْبِتُنِي وَلَسْتُ أَرَى لِمَرْءٍ مَا لَا يَرَى لِيَا
يقول : لا أحْتِشِمُ مَنْ لَا يَحْتِشِمُ ، ولا أَتَهْبِيَهُ إِذَا لَمْ يَتَهْبِيَنِي ، ولا أَرَى
مِنْ إِعْظَامِ الْمَرْءِ وَإِجْلَالِهِ مَا لَا يَرَاهُ لِي ، لَكِنْ أَوْاْزِنُ النَّاسَ فِي أَفْعَالِهِمْ ،
وَأَجَازُهُمْ عَلَى قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ . وَقَوْلُهُ «مَا لَا يَرَى لِيَا» حَذْفٌ مَفْعُولٌ يَرَى
تَحْقِيقًا ، وَهَذَا الْحَذْفُ سَائِغٌ إِنْ جَعَلْتَ مَا مَعْرِفَةً فَكَانَ مَا بَعْدُهُ صِلَةً ، أَوْ جَعَلْتَهُ
نَكْرَةً فَكَانَ صِفَةً .

٦ - إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُحْبِبْكَ إِلَّا تَكْرَهُهَا عِرَاضَ الْعَلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ باقِيَا
انتصب قَوْلُهُ «تَكْرَهُهَا» عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالتَّقْدِيرِ
إِلَّا مَتَكْرَهًا . وَانتَصَبَ «عِرَاضَ الْعَلُوقِ» عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ
«لَمْ يُحْبِبْكَ إِلَّا تَكْرَهُهَا» ، لَأَنَّ الْمَعْنَى إِذَا الرِّجْلُ عَارَضَكَ فِي الْحَبَّ عِرَاضَ
الْعَلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْحَبُّ باقِيًّا وَلَا ثَابِتًا . وَالْعَلُوقُ ، هِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَرَأَمْ وَلَدَهَا
وَتَلَسِّمُهُ حَتَّى يَأْنَسَ بِهَا ، فَإِذَا أَرَادَ ارْتِضَاعَ الَّذِينَ مِنْهَا ضَرَبَتْهُ وَطَرَدَتْهُ . قَالَ :

(١) للخطيب في ديوانه ٦٩ والسان (سوا).

وَمَا نَحْنِ كَيْنَاحٌ الْعَلُو فِي مَا تَرَى مِنْ غَرَّةٍ تَضَرِّبُ^(١)
وَيُشَيِّهُ الْبَيْتَ الَّذِي نَحْنُ فِي تَفْسِيرِهِ قَوْلُ الْآخَرِ^(٢) :
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعَلُوقُ بِهِ رِيمَانٌ أَنْفِي إِذَا مَا ضَنَّ بِاللَّبَنِ^(٣)

١٤٤

وقال عنترة بن شداد^(٤) :

١ - مِيدَبٌ وَرَدٌ عَلَى إِثْرِهِ وَأَمْكَنَهُ وَقْعُ مِرْدَى خَشِبٌ

هذا وَرَدُّ بْنُ حَاسِنٍ طَلَبَ نَضْلَةَ الْأَسْدِيِّ بِوْتَرٍ كَانَ لَهُ عِنْدَهُ^(٥) . فَيَقُولُ :
تَسْرَعَ هَذَا الرَّجُلُ فِي إِثْرِ الْمَارِبِ مِنْهُ ، وَاسْتَحْثَ فَرِسَةً فِي سَلَاقِهِ ، فَكَيْنَهُ مِنْهُ
عَدُوٌ فَرَسٌ صُلْبٌ كَأَنَّهُ مِرْدَادٌ . وَالْمِرْدَادُ : صَبَرَةٌ يُكْسِرُ بِهَا النَّوَى وَغَيْرُهُ . وَمَعْنَى
خَشِبٌ خَشِنٌ . وَيَقَالُ خَشِبَتُ الشَّيْءَ خَشِبًا فَخَشِبَ . وَالْخَشِبُ^(٦) مِنَ السَّيْفِ^(٧) :
الَّذِي بُدِّيَ طَبْعُهُ فَلَمْ يَلْمَ بَعْدُ . وَقَوْلُهُ « وَقْعُ مِرْدَى » هُوَ مِنْ وَقَعَتِ الْحَدِيدَةِ ،

(١) لِلنَّابَةِ الْجَعْدِيِّ فِي الْلَّاسَانِ (عَلَقْ) . وَقَدْ رُوِيَ فِي الأَصْلِ : « تَضَرِّبُ » بِالرُّفعِ ،
وَصَوَابُهُ بِالْجَفْسِ لِأَنَّهُ جَوَابُ الشَّرْطِ ، كَافٌ مِّنْهُ ، وَعَلَيْهِ نَهْيُ ابْنِ بَرِيِّ . الْلَّاسَانُ (عَلَقْ) . وَقَبْلَهُ :
وَكَانَ الْحَلِيلُ إِذَا رَأَى فَمَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ ثُمَّ لَمْ يَعْتَبْ

(٢) هُوَ أَفْنُونُ التَّفَلِيِّ . الْلَّاسَانُ (عَلَقْ ، رَأَى) وَالْبَيَانُ وَالْتَّبَيِّنُ (١ : ٩) وَالْمَفْضَلَاتُ

(٣) وَخِزَانَةُ الْأَدَبِ (٤٥٦ : ٤) .

(٤) كَذَا فِي الأَصْلِ . وَفِي مِنْ وَالْبَرِيزِيِّ : « وَقْلَ عَنْتَرَةَ » فَقْطَ . وَيَبْدُو أَنَّهَا الْأَخِيرُ
هُوَ النَّصُ الصَّحِيحُ . وَقَالَ الْبَرِيزِيُّ : « قَالَ أَبُو هَلَالٍ : يَعِي عَنْتَرَةُ بْنُ شَدَادٍ بْنُ قَرَادٍ
بْنُ عَزْرُومَ بْنُ مَالِكٍ بْنُ قَطْلِعَةَ بْنُ عَيْنٍ ، وَكَيْنَتِهِ أَبُو الْمَلْسُ . وَفِي الشِّعْرَاءِ جَمَاعَةٌ يَقَالُ لَهُمْ عَنْتَرَةُ
مِنْهُمْ هَذَا ، وَمِنْهُمْ عَنْتَرَةُ بْنُ عَكْبَرَةِ الطَّائِفِ ، وَهُوَ عَنْتَرَةُ بْنِ الْأَخْرَسِ ، وَقَدْ مَرَّ ذَكْرُهُ . وَمِنْهُمْ
عَنْتَرَةُ بْنُ عَرْوَسِ مَوْلَى ثَقِيفٍ ، وَكَانَ مَوْلَاهُ فِي بَلَادِ أَزْدٍ شَنْوَهَةً ، شَاعِرٌ رَاجِزٌ » . وَانْظُرْ الْمَحَاسِيْةَ
وَالْمَؤَنَّافُ وَالْمُخْتَابُ لِلْأَمْدِيِّ (١٥١ - ١٥٢) .

(٥) الْبَرِيزِيُّ : « وَقْلَ وَرَدٌ : اسْمُ فَرِسَهُ » .

(٦) فِي الأَصْلِ : « وَالْخَشِبُ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَبَيْتَا مِنْ مِنْ .

(٧) كَذَا فِي النَّسْخَيْنِ ، كَأَنَّهُ جَعَلَ السَّيْفَ جَنَّاً ، أَوْ لَعْلَهُ : « مِنْ » مَقْحَمَةً .

إذا ضربتها بالحقيقة ، كان الفرس كان يضرب الأرض بحواره ضرب الحديد
بالمقيقة . ومن هذا قول المذلى ساعدة :

وحوافر تقع البراح كأنما ألف الزماع بها سلام صلب^(١)

[فمعنى تقع البراح ، أى تقرعه . وروى الجمحي هذا البيت :

..... كأنما ألف^(٢) الزماع ردى سلام صلب^(٣)

وقال : ردى صخرة ، شبها الأنف بها ، فعلى هذه الرواية يحصل التوافق
بين بديتى عنترة وساعدة المذلى في اللفظ أيضا .

٢- يتبع لا يتنى غيره بأيض كالقبس الملتهب^(٤)

التتابع والمتابعة يستعملان في اطراد الشىء واستمراره على حد واحد . على
هذا قوله :

* وعراشه السينتين تويع برها *

ومفعول يتبع مخدوف ، ويجوز أن يكون الفعل للرجل ، ويجوز أن يكون
للفرس . كأن المراد : يتبع الركض أو العدو . وموضع لا يتنى نصب على
الحال . والباء من قوله « بأيض » يجوز أن يريد به سيفاً . والقبس : النار .
شبها بها في برقيها ولعائتها ، ويجوز أن يريد به رجلاً كريماً ، ويكون على هذا
« يتبع » للفرس . وشبها بالنار لذاته ونفاده . واستعمال البياض في الكرم
ونقاء العرض كثير معروف ، على ذلك قول الآخر^(٥) :

(١) ديوان المذلين (١ : ١٨٦) .

(٢) في الأصل ، وهو هنام : « كاف أقصه » . (٣) هذه التسمة من م .

(٤) جعل التبريزى الرواية الأولى : « تتابع » . وقال : « أى تمادى هذا الرجل لا يتنى
غير نصلة . والتتابع فى الشر دون الخير . وبروى : تتابع ، ومفعول تتابع مخدوف » .

(٥) هو ابن قيس القيات . ديوانه ٨٣ .

* أَمْثَكَ بِيَضَاهِهِ مِنْ قُضَاعَةٍ^(١) . . . *

فَأَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ « لَا يَتَغَيِّرُ غَيْرُهُ » فَيُجَرِّزُ أَنَّ يَكُونُ أَنْ هَمَّتْهُ كَانَتْ مُوكَوَّةً
بِهِ لَا بُشَّىٌ مِنَ الْفَنَاءِ وَالْأَمْوَالِ . وَكَانَهُ أَمَّا بِقَوْلِهِ :

* أَغْشَى الْوَغَىٰ وَأَعْفَى عَنِ الْمَغْنَمِ^(٢) *

وَيُجَرِّزُ أَنَّ يُرِيدَ أَنَّ قَصْدَهُ فِي الْطَّلَبِ كَانَ إِلَيْهِ لَا إِلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ .

٣— فَمَنْ يَكُونُ فِي قَتْلِهِ يَمْتَرِى فَإِنَّ أَبَا نَوْفَلَ قد شَجَبَ

أَضَافَ الْمَصْدَرَ فِي قَتْلِهِ إِلَى الْمَفْعُولِ . يَقُولُ : مَنْ شَكَّ فِي قَتْلٍ وَرَدَ لِنَضْلَةٍ
فَلَيُزِيلَ الشَّكَّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلِيَدَعَ الْأَرْتِيَابَ إِلَى غَيْرِهِ فَإِنَّهُ هَلَّكَ لَا حَمَالَةَ .
وَأَبُو نَوْفَلٍ : كُنْيَةُ نَضْلَةٍ . وَفِي السَّكَلَامِ تَهَكَّمُ وَإِظْهَارُ شَمَانَةٍ . وَيَقَالُ شَجَبَ
بِفَتْحِ الْجَيْمِ ، إِذَا هَلَّكَ ، فَهُوَ شَاجِبٌ ، وَشَجَبٌ بِكَسْرِ الْجَيْمِ فَهُوَ شَجَبٌ ، لِغَتَانٍ .

٤— وَغَادَرْنَ نَضْلَةَ فِي مَعْرَكَىٰ يَجْرِيُ الْأَسِنَةَ كَالْمُخْتَطِبِ

النُّونُ خَيْرُ الْخَيْلِ . يَقُولُ : تَرَكَتِ الْخَيْلُ هَذَا الرَّجُلُ لَمَّا انْكَشَفَتْ عَنْهُ
وَهُوَ فِي مُزْدَحَمِ الْحَرْبِ جَارًا لِلأَسِنَةِ الْمَكْسُورَةِ فِيهِ عِنْدِ الطَّعْنِ ، كَأَنَّهُ جَامِعٌ
حَطَبٌ . وَيَقَالُ أَجْرَرْتُ فُلَانًا الرَّئِحَةَ فِي رَفْرَاهُ ، أَىٰ كَسْرُهُ فِيهِ لَمَّا طَعَنْتُهُ فَصَارَ
يَجْرِيُهُ . وَأَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ :

* أَجْرَاهُ الرَّئِحَةَ وَلَا تُهَالِهَ^(٣) *

وَحَكِيَ بِعِضِهِمْ أَنَّ الْمُخْتَطِبَ : دُوَيْبَةٌ تَمَرُّ عَلَى الْأَرْضِ فَيَعْلُقُ بِهَا الْعِيدَانُ .

(١) هو بقائه كافٍ في الديوان وما مضى في حواشى الحماسية : ٢٥ : ٣ : ٣ :

أَمْكَ بِيَضَاهِهِ مِنْ قُضَاعَةٍ . *

(٢) لعنترة في معلقته . وصدره :

* يُغْزِي كُمْ شَهِدَ الْوَقْعَةَ أَنِّي *

(٣) سبق إنشاده في البيت السابع من الحماسية ٢٩ ص ١٦٢ .

ويكون المعنى يجُرُّ الأسنةَ كَمَا تجُرُّ هذه الدُّوَيْبَةُ العِيدانَ . وهذا تصويرٌ للخفي بالجلي .

١٤٥

وقال عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ^(١) :

١ — لَحَىَ اللَّهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلَهُ مُصَافِيَ المَشَاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزِرٍ^(٢) لَحَىَ اللَّهُ : كَلَّهُ نَسْتَعْمِلُ فِي السَّبَّ ، وَأَصْلَهُ اللَّوْمُ وَالْقَشْرُ أَيْضًا . وَالصَّاعِلُوكُ : الفَقِيرُ . يَقُولُ : زَادَ اللَّهُ كُلَّ فَقِيرٍ يُرْضِي مِنْ عِيشِهِ بَأْنَ يَطُوفُ فِي الْمَجَازِرِ إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِ اللَّيلُ ، وَيَلْقَطُ الْمَشَاشَ مِنْهَا كَأَنَّهُ يَصَافِيهَا وَيَلْازِمُهَا حُبًّا لَهَا — فَقَرًا^(٣) . وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ . أَى لَمْ يَقْنُعْ بِذَلِكَ ، وَمَا لَهُ يُسْفِرُ لِمُثْلِ هَذَا الْمَطْلُومِ الْخَسِيسِ وَلَا يَطْلُبُ مَعَالِيَ الْأَمْوَارِ . وَالْمَشَاشُ : كُلُّ عَظِيمٍ هَشٌّ دَسِيمٌ ، وَالْوَاحِدُ مُشَاشَةُ . وَقَوْلُهُ « مُصَافِيَ الْمَشَاشِ » نَسْكِرَةٌ ، وَاتَّصَبَ عَلَى أَنَّهُ صَفَةٌ لِقَوْلِهِ صُعْلُوكًا . وَإِضَافَتْهُ ضَعِيفَةٌ ، لَأَنَّ الْمَشَاشَ أُشِيرَ بِهِ إِلَى الْجِنْسِ ، وَلَا يَحْصُلُ التَّخَصِيصُ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ . وَعَلَى هَذَا قَوْلِهِ : قَيْدُ الْأَوَابِدِ ، وَدَرَكُ الْطَّرِيْدَةِ وَمَا أَشْبَهُ . وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَحْرُكَ الْيَاءَ مِنْ مُصَافِي بِالْفَتْحِ ، فَسَكَنَهُ لَأَنَّ مِنْهُمْ مِنْ يُجْرِيَ الْفَتْحَةَ فِي مِثْلِهِ مِنَ الْمَعْقُلِ^(٤) بَعْرِي سَائِرِ الْحَرَكَاتِ فَلَا يُشَبِّهُ .

٢ — يَعْدُ الْغَنِيَّ مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَهُ أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُّيسِّرٍ

(١) التبريزى : « سمى بالعروة من الشجر ، وهو ما لا يبس في الشتاء فتستعين به بالإبل في الجدب » . وعروة : شاعر جاهلى فارس من بنى عبس ، كان يلقب عروة الصعاليك ، لجهة إياهم وقيامه بأمرهم . انظر الأغانى (٢ : ١٨٤ — ١٩٠) واللآلى^(٥) (٨٢٣ — ٨٢٤) والحزنة (٤ : ١٩٤ — ١٩٦) والشعر والشعراء^(٦) .

(٢) رواية الديوان : « مضى في المشاش » .

(٣) فَقَرًا ، مفهوم « زَادَ » في أول هذه العبارة .

يقول : لِفَرَحِهِ بِمَا يَنْالُهُ مِنْ كَسْبِهِ الدُّنْيَا ، وَرَضَاهُ عَنْ أَيَامِهِ بِعِيشَتِهِ اللَّاثِيمِ
يَعْدُ — إِذَا أَصَابَ الْقِرَى لَدَى صَدِيقٍ وَلِدَتْ لَهُ شِيَاهٌ فَاتَّسَعَ الْلَّبَنُ عَنْهُ وَفِي
رَحْلِهِ — الْغَنَى مُحْوِرًا لَهُ ، وَمُحَصَّلًا عَنْهُ ، فَلَا غَضَاضَةَ تَلْهُقُهُ ، وَلَا أَنْفَةَ تَقْبِضُهُ .
وَالْمُيْسَرُ ضَدُّ الْجَنْبَ ، يَقُولُ يَسَرَ الرَّاجُلُ وَيَسَرَتْ غَنْمُهُ . وَجَنْبُ الرَّاجُلِ ،
إِذَا قَلَتِ التَّلْوِبَةُ فِي إِيلِهِ وَغَنْمِهِ . قَالَ :

* وَكُلُّ عَامٍ عَلَيْهَا عَامٌ تَجْنِيبٌ^(١) *

وقُولُهُ « أَصَابَ قِرَاهَا » أَضَافَ الْقِرَى إِلَى اللَّيْلَةِ عَلَى الْجَازِ ، وَالْمَرَادُ
قِرَاهُ فِيهَا .

٣— يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِسًا يَحْتُ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرِ^(٢)

يقول : يَنَامُ هَذَا الصُّعْلُوكُ لِدَنَاءَتِهِ ، وَقَادَةِ مَعِيشَتِهِ ، وَاسْتِيلَاءِ السَّكَلِ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَكْسِبِهِ قَبْلَ الْلَّيْلِ^(٣) ، لَأَنَّ هَذِهِ^(٤) فِي رَاحِتَهِ وَنُومِهِ ، وَجِرَصِهِ عَلَى
مَا يَسُدُّ جَوَعَتَهُ بِهِ . ثُمَّ يَأْتِي الصَّبَاحُ عَلَيْهِ وَهُوَ نَاعِسٌ بَعْدُ ، غَيْرَ قَاضٍ حَاجَتَهُ
مِنَ الرُّقَادِ ، وَلَا ضَحْرٌ فِي مَضْجَعِهِ بِالتَّسَاقِطِ وَالْأَنْجَدَالِ ، يَنْفِي عَنْ جَنْبِهِ مَا لَصِقَ
بِهِ مِنَ الْحَصَى وَالْتَّرَابِ ، وَنَشِبَ فِيهِ مِنْ دُفَاقِ الْحَصَى . وَذَلِكَ لِأَنَّ نَامَ بِلَا
وِطَاءً . وَقُولُهُ « يَحْتُ الْحَصَى » أَيْ يُسْقِطُهُ ، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ يَحْطُّ . وَالْعَفْرُ :
الْتَّرَابُ . وَيَقُولُ عَفَرَتُهُ فَتَعَفَّرَ .

(١) لِلْجَمِيعِ الْأَسْدِيِّ فِي الْمَفْضِلَاتِ (١ : ٣٣) . وَصَدْرُهُ :

* لَمْ رَأَتْ إِلَيْيَ قَلَتْ حَوْلَهَا *

(٢) الْدِيْوَانُ : « مُّ يَصْبِحُ طَاوِيَا » .

(٣) مُ : « وَمَكْسِبُهُ » . وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ : أَوْلَهُ .

(٤) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي مُ . وَفِي الْأَصْلِ : « لَأَنَّ نَهْتَهُ » .

٤—ولكن صُعْلُوكَا صَفِيحةً وَجِهِهِ كَضْوَءِ شَهَابِ القَابِسِ الْمُتَنَورِ^(١)
 صَفِحَةُ الرَّجُلِ وَصَفِحَتِهِ : عَرْضُ وَجِهِهِ . يَقُولُ : وَلَكِنَّ فَقِيرًا مُشْرِقَ
 الْوَجْهِ صَافِ اللَّوْنِ ، لَا يَتَخَسَّعُ لِفَقْرِهِ ، وَلَا يَتَذَلَّ إِذَا أَثَرَ الدَّهْرُ فِيهِ ، فَكَانَ
 ضَوْءُ وَجِهِهِ ضَوْءُ نَارِ القَابِسِ الْمُتَنَورِ . وَالقَابِسُ هَا هَنَا ذُو الْقَبْسِ مَعْنَاهُ .
 وَالْقَبْسُ : النَّارُ ، وَيَكُونُ القَابِسُ الطَّالِبُ . وَيَقُولُ : أَقْدِسْنِي نَارَكَ . وَالْمُتَنَورُ :
 الْمُتَفَعِّلُ مِنَ النَّارِ . وَيَقُولُ تَنَورَتُ النَّارُ ، أَى نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَاسْتَضَأْتُ بِنُورِهَا .
 وَمِنْ قَوْلِ اسْرَئِيلِ الْقَيْسِ :

تَنَورَتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتِهِ وَأَهْلُهَا بَيْثِرَبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرَ عَالٍ
 وَمَوْضِعُ « صَفِحَةُ وَجِهِهِ » مَعَ خَبَرِهِ نَصْبٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ صَفَةً لِصُعْلُوكَا
 وَخَبَرُ لَكَنْ يَجِدُ فِيمَا يَجِدُ مِنْ بَعْدِهِ . وَقَوْلُهُ « صَفِحَةُ وَجِهِهِ » حَذْفُ الْمُضَافِ
 مِنْهُ لِأَنَّ الْمَرَادَ ضَوْءُ صَفِحَةِ وَجِهِهِ كَضْوَءِ شَهَابِ ، فَأَقَامَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ .

٥—مُطْلَأً عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ الْمَنِيْحِ الْمُشَهَّرِ
 يَقُولُ : أَطْلَأَ عَلَى كَذَا ، إِذَا أَوْفَى عَلَيْهِ . وَالْمَنِيْحُ ، قَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ الثَّامِنُ
 مِنَ الْقِدَاحِ . وَقَالَ أَبُو عَمْرُو : الْمَنِيْحُ وَالسَّفِيْحُ وَالْوَغْدُ قِدَاحٌ لَا أَنْصِبَاءَ لَهَا ،
 وَإِنَّمَا يُكَثِّرُ بَهَا الْقِدَاحَ فَهِيَ تُجَالُ أَبْدَا ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْمَنِيْحُ الَّذِي لَا يُقْتَدِّبُ بِهِ .
 فَيَقُولُ : وَلَكِنَّ الْفَقِيرَ الْوَضِيُّ الْوَجِيْهُ ، الَّذِي يَبْذُلُ جُهْدَهُ وَيَتَذَلَّ نَفْسَهُ فِي طَلْبِ
 غِنَاهُ ، وَيُقْصُرُ سَعْيَهُ عَلَى مَا يَلْعُغُ بِهِ عُذْرَهُ فَيُشَرِّفُ عَلَى أَعْدَائِهِ غَازِيًّا وَمُفْرِداً ،
 وَهُمْ يَزْجُرُونَهُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَيُكْرِهُ هُوَ عَلَيْهِمْ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ ، كَمَا يُرْجَرُ هَذَا
 الْقِدَاحُ فِي خَرْوَجِهِ وَمَعَ ذَلِكَ يُرْدَهُ . وَخَبَرُ لَكَنْ بَعْدُ لَمْ يَجِدُ .

(١) يَعْنِي هَذَا الْبَيْتُ وَسَاقَهُ عَنْ التَّبَرِيزِيِّ :

يُعِينُ نِسَاءَ أَخْلَى مَا يَسْتَعْنَهُ وَيُنْسِي طَلِيقَهَا كَالْعَبِيرِ الْمُحَسَّرِ

٦— إِذَا بَعْدُوا لَا يَأْمُنُونَ اقْرَابَهُ تَشَوْفَ أَهْلَفَائِبِ الْمُتَنَظَّرِ^(١)

يقول : هذا الفقير لا يقنع به عن طلب الأعداء والإغارة عليهم والذين لهم بعد الغزاة وتناثر الدار ، فهم لا يأمنونه وإن شحطوا ، بل يتshawرون به تشويف الغائب المتمنى ، أى كايتشويف غائب دنا قوله وينتظر . واتصب « تشويف » على المصدر فيما دل عليه لا يأمنون اقرباه ، ومفعول تشويف مهدوف ، كأنه قال تشويف أهل الغائب رجوعه .

٧— فَذَلِكَ إِن يَلْقَ الْمَيْنَةَ يَلْتَهَا حَمِيدًا وَإِن يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَاجْدِرِ

يقول . ذلك الصعلوك إن أدركه الأجل ، قبل نيل الأمل ، لقيه محموداً ، إذ كان قد فعل ما وجب عليه ، وأقام عذرها في مطلوبه باستفراغ الوسع في السعي له ، وإذا كان التبعه فيما فات على من يملك العواقب دونه . وإن نال الغنى يوماً فما أخلقه بذلك . قوله « إن يلتق الميئه » خبر قوله ولكن صعلوكاً لو انفرد عن قوله بذلك ، لكنه لما تراخي الخبر عن الخبر عنه وتبعاد المقتضى عن المقتضى له أتي بقوله بذلك ، مُشيراً به إلى الصعلوك . فصار إن يلت خيراً عنه . وساغ ذلك لأن المراد بالأول والثاني شيء واحد ، وما أجرى هذا المجرى لحصول مثل هذا التراخي فيه قول الله عن وجل : « ألم تقلوا^(٢) أنه من يجادل الله ورسوله فإن له نار جهنم » ، فعاد أن في قوله « فان » كاترى .

(١) الديوان : « فان بدوا » .

(٢) هذه قراءة الحسن والأعرج . وقراءة الجمهور : « ألم يعلموا » بالباء . انظر تفسير أبي حيان (٥ : ٦٤) .

١٤٦

وقال عنترة بن شداد العبسى^(١) :

١ - تَرَكْتُ بَنِي الْهُجَيْمَ لَهُمْ دَوَارٌ إِذَا تَمْضَى جَاعَتْهُمْ تَعُودُ

البيت يُروى على وجهين : أحدهما :

تركتُ بني الهجيم له دواراً إذا يمضى جاعتهم يعود

ويكون الضمير في قوله له للفرس ، ويفضى قيل له ، وجاعتهم ينتصب على المفعول ، لأنَّ يمضى هذا يتعدى ، ومعناه يجاوزُهم . ويكون المعنى : تركتُ هؤلاء القوم لفرسى مطافاً بمنزلة الدوار — وهو صنم كانوا يحجونه — يطوفُ حولَ ذلك الصنم ، إذا نفذُهم وخرقَ صفوهم ودار عليهم عادَ إلى مثل فلهِ الأول ، وإلى مكانِه الأول . ويُشبِّه هذا البيتَ بيتَ الأعشى في المعنى واللُّفْظ ، وهو :

تطوفُ عليهم وتمضيهم كاطافَ بالرَّحْمَةِ المُرْتَجِمِ

وجاء في الحديث حُجَّةً لتعمدَى يمضى ، في صفة المحسن : « يَمْضِيهِمْ الدَّاعِي وَيَنْفَدِعُهُمْ الْبَصَرُ » .

والثاني أن يُروى :

تركتُ بني الهجيم لهم دواراً إذا تمضى جاعتهم يعود

والمعنى : تركتهم يطوفون حولَ قتلامهم كاطاف على ذلك الصنم ، أو ذلك النُّوك ، فإذا انقضتْ جماعةُ منهم عادت الأخرى للنَّظارة^(٢) . وقوله « جاعتهم » « يريدهم جماعةُ منهم ، فأضافَ البعضَ إلى الكلِّ ، وليس يريد بمحملِهم ، فهو في

(١) سبقت له الحاسية ١٤٤ .

(٢) كنا وردت الكلمة بضميتها في الأصل . وهي ساقطة من م .

حكم النكيرات . وموضِع « لم دوار » نصب على الحال ، وقوله « تَعُودُ » فاعله مضمر ، وهو جماعة أخرى ، فاكتفى بذلك الأولى عنها .

٣ — تَرَكْتُ جُرِيَّةَ الْعَمْرِيَّ فِيهِ شَدِيدُ الْعَيْرِ مُعْتَدِلٌ سَدِيدٌ^(١)

يفتخر بأنه أصاب المذكور ، لما رماه بهم محكم النصل ، مقوم القدح ، صلب العبر ، سديد الواقع . وموضِع قوله « فيه شديد العبر » نصب على الحال . والعبر : النَّاتِيُّ من وسط النصل . وقد أقيم الصفة مقام الموصوف ، لأنَّ المراد به بهم شديد العبر . ولو لا ما حَصَلَ من الاختصاص بإضافة الشديد إلى العبر لَمَا جاز ذلك فيه ، لأنَّ الصفة لا يقوم مقام الموصوف حتى يَدْلُّ عليه دلالة قوية . فاما إذا كانت عامة في أجناس ، فلا يجوز ذلك فيه . لو قُلتَ مَرَّتُ بطْوِيلٍ ، وأنت تريده رجلاً ، لم يَحْسُنْ ، لأنَّ الطويل يكون في غير الرجال كما يكون في الرجال . ولو قُلتَ سرتُ بـكَاتِبٍ ، يَحْسُنْ إذْ كانت الكتابة مُختَصَّة .

٤— إِنْ يَبْرُأُ فَلَمْ أَنْفَتْ عَلَيْهِ وَإِنْ يُفْقَدْ فَحَقٌّ لِهِ الْفُقُودُ

كان من رموزهم أنَّ الواحد إذا رمى بهم وأراد سلامته الرَّمِيمَةُ منه رَقَّ سَهْمَهُ بِعُودَةِ وَنَفْثَةِ فِيهِ ، ثمَّ رَمَّى به ، وإذا أراد هلاكه لم يفعل ذلك . ومثل هذا قول الآخر^(٢) :

فَلَمْ أَرْفِقْ إِنْ يَتْنَجُّ مِنْهَا وَإِنْ يَتَمَّتْ فَرَمِيمَةُ لَا غَسِّيْ لَا يَغْمُرَ^(٣)
وقوله « فَحَقٌّ لِهِ الْفُقُودُ » المبتدأ محنون ، كأنه قال فهو حق له الفُقد ،

(١) التبريزى : « إنما قال العمري لأن الهجيم ابن عمرو ». ورواية التبريزى : « معتدل شديد » بالثنين .

(٢) هو زهير بن مسعود ، كما في المسان (غس) . وقد سبق الاستشهاد بعجز البيت في من ٣٥٣ .

(٣) فيها سبق وفيها سياق في الصفة التالية : « فطعنَة لاغس ». ونخفي أن تكون الرواية التبريزى على المرزوق .

لأنَّ الفاء يُجلبُ في الجزاء إذا كان الجواب بالابتداء والخبر ، ولو قُصِدَ إلى أن يكون الفعل جواباً لا يستغني عن الفاء . وبعض من يدفع هذه الطريقة يقول لا رُقْيَة ولا نَفْت ، إنما كانوا عن الإبقاء بمثل هذا الكلام . وقوله : « وإن يُفْقَد » فهو مثل قوله « فَطَعَنَهُ لَا غُسْنٌ ». والمعنى : إن يَرَأْ فليس ذلك من بُقْيَاتِي ، وإن يَهْلِكْ فواحِب لأن المصائب بمنه يَهْلِكْ لا حَالَة .

٤— وما يَدْرِي جُرَيْةٌ أَنْ تَبْلِي يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطَلُ النَّجِيدُ يُرُوَى : « وهل يَدْرِي جُرَيْةٌ ». والمعنى لا يعلم أنه كما أني أصبتُه فدأبي وعادتني أن تكون الأبطال التَّبَدَّاهُ لِتَبْلِي بمنزلة الجحشة ، أصيَّبُهُمْ أبداً بها . وفي ذكره الْبَطَلُ النَّجِيد إمام بقول الآخر^(١) :

..... وَنَضَ طَادُ نُفُوسًا بُنَتْ عَلَى كَرَمٍ^(٢)

وبقول الآخر^(٣) :

مِنْ عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَقْرُوفًا لَنَا أَمْرُ الْمُلُوكِ وَقَتَلُهَا وَقَتَالُهَا

وأخذ أبو تمام هذا المعنى فقال :

فَلَا تَطْلُبُوا أَسْيَافَهُمْ فِي جُفُونِهَا فَقَدْ أُسْكِنَتْ بَيْنَ الْطَّلَى وَالْجَاجِمِ^(٤)
ويجوز أن يُريد بالبطل النَّجِيد جُرَيْةً بعينه ، ثم يجوز أن يكون مَهَكْماً فيما
وَصَفَهُ بِهِ ، ويجوز أن يكون مَادِحًا له ، لأن مدح خصمه وقتَ غَنِيَه راجحٌ إليه .

(١) أحد بنى بولان ، من طيء . الحاسية ٣١ .

(٢) صدره : * نستوقد التبل بالخضيش ونض . *

(٣) هو بشامة بن حزن . الحاسية ١٣٤ .

(٤) كذا في م والديوان ٣٨٧ . وفي الأصل : « ولا تطلبوا » .

١٤٧

وقال قيسُ بن زُهيرِ العَبْسِيِّ سَيِّدُ بَنِ عَبْسٍ^(١) :

١— تَعْلَمَ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيَاً عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءِ لَا يَرِيمُ^(٢)
 يُرَوَى «أَنْ خَيْرَ النَّاسِ حَيَا» ، والمعنى هو حَيٌّ ، وقوله «على جَفْرِ
 الْهَبَاءِ» خَبَرٌ أَنَّ . ويروى : «مَيْتًا» وإعرابه على ما ذكرناه في حَيَا .
 ويروى : «مَيْتٌ» وارتفاعه على أنه خبر أَنَّ ، و«على جَفْرِ الْهَبَاءِ» في
 مَوْضِعِ الصَّفَةِ لَهُ . وَمَعْنَى تَعْلَمَ : اعْلَمَ . وَلَا يَقُولُ فِي جَوَاهِيرِ تَعْلَمَتُ ، اسْتُغْنَى
 عَنْهُ بَعْلَمْتُ . وَيَعْنِي بِخَيْرِ النَّاسِ حَمَلَ بْنَ بَدْرٍ . وَجَفْرُ الْهَبَاءِ : بَذْرٌ قَرِيبَةُ
 الْقَرْفَ ، وَمَا وَهَا كَثِيرٌ مَعِينٌ . وَكَانَ حَلْ انْهَزَمَ فِي وَقْتَهُ بَيْنَ عَبْسٍ وَذَبَّانَ ، فَلَمَّا
 اتَّهَى إِلَى الْهَبَاءِ أَمِنَ لَبْعَدَهَا عَنِ الطلبِ ، فَرَأَى بِنَفْسِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَتَرِدَ ، فَانْتَفَقَ
 سَلَاقُ قَيْسَ بِهِ مَعَ عِدَّةٍ مِنْ ذَوِيهِ ، فَقُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ .

٢— وَلَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زَلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرُ مَا طَلَعَ النَّجُومُ
 أَشَارَ بِالظُّلْمِ إِلَى مَا جَرَى بِيْنَهُمْ فِي أَمْرِ دَاحِسٍ وَالْفَبَراءِ ، وَإِنْكَارِهِ السَّبِقَ ،
 وَرَكْوَبِهِ التَّبْغَى . وَقَوْلُهُ «مَا طَلَعَ النَّجُومُ» يَنْتَصِبُ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الدَّهْرِ .
 وَالْمَعْنَى : لَوْلَا مَا أَسْلَفَهُ مِنَ الظُّلْمِ لَا قَبْضَى مَا يَحْمِنُ وَإِيَّاهُ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالذُّمُّ ،

(١) قيس بن زهير العبسي شاعر جاهلي فارس . وهو صاحب داحس ، وكانت الفبراء فرس حذيفة بن بدر الفزارى ، وقد أجري السبق بين الفرسين فوضع حمل بن بدر أخو حذيفة كينا يصدون داحسا عن الغاية ، وحدث خلاف أيمها السابق ، فتشبت الحرب بسبب ذلك بين عبس وفزاره ، واستمرت أربعين عاما قتل فيها خلق كثير . انظر المقد والأغانى (١٤٣: ٧ / ١٦: ٢٣) والكامل ٣٤٣ والميدانى (١: ٣٥٩ / ٢: ٥١) .

(٢) جعل التبريزى الرواية الأولى : «أَنْ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتٌ» ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى رَوَايَتِي «حَيَا» و «مَيْتًا» .

والتشارِجُ والرَّحْم — البكاء عليه مدة الدهر . وقوله « ما طَلَعَ » بمنزلة المصدر ، وقد حذف اسم الزمان معه . والمراد بذكر الدهر التكثير والبالغة والتأييد . وقد يبينه بقوله « ما طَلَعَ النَّجُومُ » ، لأنَّه على ذلك يصح أن يكون بدلاً منه . فمعنى « عليه الدهر » عليه طوال الدهر^(١) ، وامتداد الدهر .

٣— ولكن الفتى حَمَلَ بَنَ بَدْرِ بَغَى وَبَغَى صَرْتَمُ وَخَمُ يقول : استعملَ البَغَى واستتوَبَلَ العافية ، واستندَ المراتع ، ومن بُغَى عليه فإنه يُنْصَرُ . ويقال : بَغَى الرَّجُلُ عَلَى فُلانٍ ، أى جار . وبَغَى الفَرَسُ فِي عَذْوَه ، وهو فرسٌ باعُ ، وذلك إذا اخْتَالَ وَسَرَحَ . وإذا استعملَ في الفخار والاستطالة فهو من هذا . والواحمة : النَّقْلُ يَعْرُضُ من الطعام . يقال وَخَمْ وخامة فهو وَخَمْ وَوَخَمْ ، أى لا يُسْتَمِرُ .

٤— أَظْنَنَ الْحَلْمَ دَلَّ عَلَى فَوْمِي وقد يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلْمِ^(٢)

يقول : احتمالي من عَشِيرتي ، واستعمالُ الحلم معهم ، هو الذي جسّرُهم على فيما أظن ، ودَلَّهُم على قَصْدِي واحتضاني على ما يتبيّن . ثم قال « وقد يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلْمِ » أى إذا أخْوَجَ الْحَلْمَ وَأَخْرَجَ^(٣) فقد يَتَكَلَّفُ ما لا يكون معهوداً في طَبْعِه ، ولا موجوداً من خُلُقه . وإنما تَبَثَّ بهذا الكلام على أنه يتحمل عن الأَدَنِينِ ، ويَصْبِرُ على أَذَاهِمْ ، وأنَّه لَمَا عِلِّمَ صَبَرَه وَحَمَلَ فَوْقَ مَا فِي وُسْعِه ، خرجَ عن المعتادِ منه إلى غيره .

(١) كذا في م . وفي نسخة الأصل : « طول الدهر » .

(٢) أنشد بعده التبريزى :

وَمَارَسْتُ الرَّجَالَ وَمَارَسْوْنِي فَمُغَوَّجٌ عَلَىٰ وَمُسْتَقِيمٌ

(٣) في الأصل : « وأخرَجَ » ، والصواب ما أثبتنا من م .

١٤٨

وقال مساور بن هند^(١) :

١ — سائل تميما هل وفيت فإني أعددت مكرمتى ليوم سباب يقول : سائل تميما هل كان مني وفلا بما تضمنته بخارى ، فإني رجل نظار في أعقاب الأحاديث ، ^{بهم} بإعداد المكارم ليوم النفار ، شديد النزاع في مجالس الفخار . كأنه يقرر خصاءه على ما كان من وفاته ، ليسقط التبعية عنه فيه ، وينبه على أنه يُراعى أفعاله فيخلصها مما يُعد سيئة وسبية ووضمة في حسيبه .

٢ — وأخذت جارى بني سلامه عنوة فدفعت رقبته إلى عتاب عتاب هذا كان معقصا بحبله ، ومستظرها بذمه ، فلحيته من بني سلامه اهتضام في أمر ، خاء مساور ومكانه من جاريم ، وأعطاء رقبته ليتحكم فيه ، ويشتق لاحقه منهم . وهذا الكلام بيان لكيفية وفاته والخروج إلى جاريه مما كان تضمن له . قوله « عنوة » أى قهر ، وهو مصدر في موضع الحال . ويقال : أخذ بلد كذا عنوة ، أى قهر بالسيف . والرقبة : الحبل يشد في عنق البهم ، وقد توسعوا فيه فقالوا : خلع فلان رقبة الإسلام . قوله « دفعت رقبته » ، هو كما يقال دفعت مقاداته .

٣ — وجلبته من أهل أبنة طائعا حتى تحكم فيه أهل إراب

(١) هو للساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذعة العبسى . شاعر فارس منضرم أدرك النبي ولم يجتمع به ، وقال إنه ولد في حرب داحس قبل الإسلام بخمسين عاما . الإصابة ، والخزانة (٤ : ٥٧٣) والشعر والشعراء ٣٠٧ . وفي المبحج أن « مساور » منقول من اسم الفاعل . وأما هند فعلم من تحمل .

الهاء من « جَلَبْتُه » ترجع إلى دار بني سلامه . وأبْضَهُ : اسم ماء . وقوله « جَلَبْتُه طائعاً » تبيه على أنه وإن لزمه جاريه الانتقام له من خصمه ومهمته ضميه فقد تبرع له بما لم يكن عليه ، وتتكلف فيه ما لم يأழمه . وإِرَابُ : موضع ، وقيل إِرَابُ : ماء لبني القنبر . وأبْضَهُ : ماء لطيء . والأبْضُ كالعقل ، ومنه المأبْضُ في الرجل . وقيل للغрабِ مُؤَبِّضُ النَّسَاء ، لأنَّه يَحْجِل فكأنَّه مأبْض .

٤ — قتلوا ابنَ أخْتِهِمْ وجارَ بُيُوتِهِمْ من حَيَّتِهِمْ وسَفَاهَةِ الأَلَابِ
يشَهُر بِفَعْلَتِهِمْ الْذَّمِيمَةِ وَيُنَدِّدُ ، فيقول : قطعوا الرَّسِيمَ ونَقَضُوا الْعَهْدَ ،
وارتكبوا ما كان محفوراً في الدين والمرءَة ، والمعهد والذمة ، فقتلوا جارَهُمْ وأبنَ
آخِيهِمْ ، بخِفَّةِ عَقْوَلِهِمْ ، وانزاب هلاكهُمْ . والسَّفَاهَةُ : الْخَلْفَةُ فِي الْأَصْلِ ، ومنه
قيل زِمامَ سَفَاهَةٍ ، إذا كان كثير الاضطراب ، ومنه قيل : تسفَهَتِ الرَّيحُ
الْفَصْنَ ، وتسفَهَتُهُ عن مالِهِ . واللَّبُ : العَقْلُ ، والفِعلُ مِنْهُ لَبَّ يَلَبُ . وقالت
صَفَيَّةُ بُنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(١) : « أَضَرَّ بِهِ لَكَنِي يَلَبُ ، وَيَقُودُ أَجْلَيْشَ
ذَا الْجَلَبِ^(٢) ». »

٥ — غَدَرَتْ جَذِيمَةُ غَيْرِ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَبَدَا لِأَوْلَفَ غَدَرَةً أَثْوَابِي
عَيْرَهُمْ باستعمال الفَدَرِ وَتَرَكَ الوفاء للجَارِ ، ثم بَرَأَ ساحتَهُ مِنْ تعاطِي مثل
فعالِهِمْ ، ونَزَّهَ نَفْسَهُ عن ارتكاب نظيرِ ما ارتكبُوهُ . فَأَمَّا قَوْلُهُ « لَمْ أَكُنْ
لِأَوْلَفَ » فاللامُ فيه لام الجحود ، وانتصابُ الفِعلِ بـأَنْ مضمورة بينه وبين اللام .
وموضع « لأَوْلَفَ » نَصَبٌ على أنه خبرُ كان ، وانتصاب غَيْرِ على أنه استثناء .

(١) في الأصل : « عبد الملك » ، صوابه في م والسان (لب) . وكانت قد ضربت
الزير فقيل لها : لم تضر بيته ؟ .

(٢) ويروى : « ذا الْجَلَبِ » .

مُنْقَطِعٌ . وَذَكَرَ التَّوْبَةَ عَلَى عَادِهِمْ فِي الْكِتَابَةِ عَنِ النَّفْسِ . وَعَلَى هَذَا قَوْلَهُ :
 نُبَيِّنُ أَنَّ دَمًا حَرَامًا نِلْتَهُ فَهُرِيقَ فِي تَوْبَةِ عَلَيْكَ مُحَبِّرٌ
 • وَقَدْ قِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَثِيَابَكَ فَطَهَرْ » ، أَيْ نَفْسَكَ . وَيَقُولُونَ عَلَى
 هَذِهِ الطَّرِيقَةِ : فَلَانْ غَمْرُ الرَّدَاءِ ، وَعَفِيفُ الْجِزْءَةِ ، وَلِلرَّادِ النَّفْسُ . وَعَلَى هَذَا
 قَوْلِ النَّابِغَةِ :

* رَفِيقُ النَّعَالِ طَيْبٌ حُجْزَانُهُمْ (١) *

وقول الْهَذَلِيِّ^(٢):

٦ - وَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكُمْ تَهْرُكُوا أَحَدًا يَدْبُثُ لَكُمْ عَنِ الْأَخْسَابِ
الْخُطَابُ يُوَجَّهُ إِلَى جَذِيْتَهُ وَهُوَ مِنْهُمْ ، وَلَذِكَ جَعَلَ لَهُمْ أَخْسَابًا يُعْتَاجُ إِلَى
الذَّبَّ عَنْهَا ، وَيَنْصَحُ لَهُمْ بِالْإِبْقَاءِ عَلَيْهَا ، وَتَرَكُ الأَفْعَالِ الَّتِي تَدْعُوهُ إِلَى الْبَرَاءَةِ
مِنْهُمْ وَمِنْهَا ، لَكِنَّهُ أَخْرَجَ نَفْسَهُ مَا عَصَبَ مِنَ الذَّمِّ بَهِمْ ، وَأَزْهَمَهُمْ مِنْ ذَمِّهِ
الْقَوْلِ فِي شَيْئِهِمْ وَطَرْقِهِمْ ، فَقَالَ : إِذَا رَكِبْتُمْ مِنْ شَانِعِ الْغَدْرِ مِثْلَ مَا أَنْكَرْتُهُ
اَشْتَهَرَ أَمْرُكُمْ ، وَاتَّقُ النَّسِيبَ وَالْفَرِيبَ مِنْ مُلَابِسْتُكُمْ ، وَخُلِّيَّ بَيْنَ الْفَادِحِ فِي
أَخْسَابِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ وَيَنْسَكُمْ ، فَلَا يَدْبُثُ عَنْكُمْ ذَابَّ ، وَلَا يُدَافِعُ دُونَكُمْ مُدَافِعَ ،
وَتَفَرَّدْتُمْ بِالْعَارِ الْلَّاْحِقِ ، وَالْتَّهَجِينِ الْعَانِدِ .

(١) عجزه : * يحيون بالرّيحان يوم البابس *

^(٢) هو أبو ذؤيب الهمذلي . ديوان الهمذلين (١ : ٢٦) .

١٤٩

وقال العباس بن مرداس^(١) :

١ - أَبْلِغْ أَبَا سَلَمَى رَسُولَيْرُوْعَهُ وَلَوْ حَلَّ ذَا سِدْرٍ وَأَهْلِي بَعْسَجَلٍ
 ٢ - رَسُولَ امْرِي يُهْدِي إِلَيْكَ نَصِيحةً فَإِنْ مَعْشَرٌ جَادُوا بِعِرْضِكَ فَأَبْخَلَ
 يخاطب بقوله «أبلغ» صاحبًا له ، يقول : أَدَّ إلى أبي سْلَمَى رسالَةَ
 تُفْزِعُهُ على ما يتنا من البُعد ، وعلى استيـطانه ذا سِدْرٍ وزنوـل أهـلـي بـعـسـجـلـ .
 وذـوـسـدـرـ : موضعـ فيـهـ السـدـرـ ، وـهـ شـجـرـ التـبـقـ . وـعـسـجـلـ : موضـعـ من حـرـةـ
 بـنـيـ سـلـيمـ ، وـبـنـهـماـ مـسـافـةـ بـعـيـدـةـ . وـالـرـسـوـلـ يـقـعـ عـلـىـ الـرـسـلـ وـالـرـسـالـةـ جـمـيـعـاـ ،
 وـيـجـرـىـ تـجـرـىـ الـمـاصـدـرـ ، فـيـقـعـ عـلـىـ الـوـاـحـدـ فـاـ فـوـقـهـ ، وـمـجـازـ «لـوـ حـلـ» مـجـازـ
 الشـرـطـ ، فـهـوـ يـفـيدـ مـعـنـىـ إـنـ ، كـاـنـهـ قـالـ : أـبـلـغـهـ ذـلـكـ فـإـنـ لـأـذـخـرـهـ نـصـحـيـ ،
 وـإـنـ بـعـدـ عـنـ عـشـيرـتـيـ . وـانتـصـبـ «رـسـوـلـ» مـنـ الـبـيـتـ الثـانـىـ عـلـىـ أـنـهـ
 بـدـلـ مـنـ رـسـوـلـ يـرـوـعـهـ . وـنـقـلـ الـكـلـامـ فـيـ الـبـيـتـ الثـانـىـ عـنـ الـإـخـبـارـ إـلـىـ الـخـطـابـ ،
 لـتـكـونـ الـوـصـاـةـ أـنـجـعـ ، وـالـرـسـالـةـ أـبـلـغـ . وـإـنـاـ قـالـ «رـسـوـلـ يـرـوـعـهـ» لـمـاـ فـيـهـ مـنـ
 التـحـذـيرـ . فـيـقـولـ : أـدـ إـلـيـهـ رـسـالـةـ رـجـلـ مـتـنـصـحـ مـتـقـرـبـ ، وـعـلـىـ مـاـ يـكـونـ فـيـهـ
 صـلـاحـهـ وـخـلـاصـهـ مـذـبـحـ . وـقـوـلـهـ «فـإـنـ مـعـشـرـ جـادـوـا بـعـرـضـكـ» تـعـرـيـضـ بـنـ كـانـ
 يـغـشـهـ وـيـخـنـونـهـ ، وـيـدـاجـيهـ فـيـاـ اـسـتـشـارـهـ فـيـهـ فـلـاـ يـضـدـقـهـ . وـوارـتفـعـ «مـعـشـرـ» يـغـعلـ
 مـضـمـرـ «جـادـوـا» تـفـسـيرـهـ ؛ لـأـنـ إـنـ بـالـفـيـقـلـ أـوـلـىـ ، وـالـلـفـنـيـ : إـنـ عـرـضـكـ مـنـ
 لـأـيـمـمـةـ سـلـامـةـ عـرـضـكـ لـاـ فـيـهـ ذـهـابـ النـفـسـ وـتـلـقـ الـمـهـجـةـ ، وـتـسـخـىـ بـكـ

(١) هو العباس بن مرداس السلمي الصحابي ، أسلم قبل فتح مكة يسمى : وأمه النساء الشاعرة ، وكان العباس من المؤلفة قلوبهم . الخزانة (١ : ٧٣) والإصابة ، والأغانى (١٣ : ٦٢ — ٦٠) والمرزباني ٢٦٢ — ٢٦٣ واللالى ٣٢ — ٣٣ والطبرى (٣ : ١٣٦ — ١٣٧) والشعر والشعراء ٢٥٩ — ٢٦٠ ، ٢٦٢ — ٢٢٢ ، ٢٢٥ — ٢٢٥) .

وَمَا يَجْمِعُكُ وَإِيَّاهُ مِنْ أَسْبَابِ الْوَدَّةِ وَالْحُمْمَةِ ، فَابْخَلْ أَنْتَ بِهِ وَتَمَاسِكْ ، قُبْيلْ
فَوْتِ الْوَقْتِ ، وَانْظُرْ لِيُومِكَ وَغَدِكَ قُدَامَ تَوْلَى الْأَمْرِ .

٣ - إِنْ بَوَّهُوكَ مِيرَ كَغَيْرِ طَائِلِ غَلِيظًا فَلَا تَنْزِلْ بِهِ وَتَحَوَّلْ
يقال : بَوَّأْتَهُ مُبَوَّأً صِدْقِ ، أَى أَخْلَاتُهُ . والْمَبَاءُ : المَنْزَلُ . يقول : وإنْ
حَمْلُوكَ عَلَى مَرْكَبِ غَيْرِ وَطِئِ يَسُومُونَكَ فِيهِ خَسْفًا ، وَأَنْزَلُوكَ مِنْزَلًا حَشِنَا
حَزْنًا يُؤَثِّرُ فِي ثَفَنَاتِ الإِبلِ فَيَدِمِهَا ، وَيَسْتَوِعُرُهُ الرَّكْبُ فَلَا يَرَوْنَهُ مِنْزَلًا
لَهَا ، فَلَا تَرْضَ بِهِ ، وَانْتَقِلْ عَنْهُ . وَهَذَا مَثَلٌ لِمَا عَرَضُوهُ لَهُ ، وَيَعْمَلُهُ بِضَرِّهِ
إِيَّاهُ عَلَى مُحَادِرَتِهِ ، وَتَصُورُ الْأَمْرِ مَعْهُمْ بِصَوْرَتِهِ . وَقُولُهُ «غَيْرِ طَائِل» يُجَبِّ
أَنْ يَكُونَ مِنَ الطَّوْلِ : الْفَضْلُ ؛ يقال : طَالَ عَلَيْهِمْ طَوْلًا فَهُوَ طَائِلٌ . والمعنى :
لَا خَيْرٌ فِيهِ فِي طُولِ عَلَى غَيْرِهِ . وَمِثْلُ هَذَا الْبَيْتِ قُولُ امْرِي الْقِيسِ :
هُوَ الْمَنْزَلُ الْآلَافِ مِنْ جَوَّ نَاعِطِي بَنِي أَسَدٍ حَزْنًا مِنَ الْأَرْضِ أَوْ عَرَأِ
وَقُولُهُ «فَلَا تَنْزِلْ بِهِ» الْفَاءُ [مع ما^(١)] بَعْدَ جَوَابِ الشَّرْطِ فِي قُولِهِ وَإِنْ بَوَّهُوكَ .
وَمَوْضِعُ فَلَا تَنْزِلْ رَفِيعٌ عَلَى أَنَّهُ خَبْرٌ مِبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : فَأَنْتَ لَا تَنْزِلْ بِهِ .

٤ - وَلَا تَطْعَمْنُ مَا يَعْلِفُونَكَ إِنَّهُمْ أَتَوْكَ عَلَى قُرْبَاهُمُ بِالْمُشَمِّلِ^(٢)
أَخْرَجَ مَا قَدَّمَهُ مِنَ التَّنْبِيلِ لِكِيدِهِمْ وَسُوءِ دِخْلِهِمْ ، وَمَا يُجَبِّ عَلَيْهِ مِنْ
الْأَخْذِ بِالْتَّحْرِزِ مَعَهُمْ ، وَتَرْكِ الْاسْتِنَاخَةِ فِي الْمَبَرِّكِ^(٣) الَّذِي اخْتَارُوهُ ، وَالْمُبَوَّأُ
الَّذِي أَعْدُوهُ ، فِي مِعْرَضٍ آخَرَ . وَالْمَعْنَى : وَمَا يُعَدُّ قُرَى لَكَ فَتَجَنَّبْهُ وَلَا تَتَنَاوِلْهُ ،
فَإِنَّهُمْ هَيْئَوْلَكَ بِهِ سَمَّاً قَاتِلًا فَلَا تَطْعَمْهُ . وَالْمُشَمِّلُ ، هُوَ السَّمُّ الَّذِي قَدْ خُلِطَ بِهِ

(١) التَّكْلِةُ مِنْ م.

(٢) سبق الاستعمال بصدر البيت في م ٣٥٩ .

(٣) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : «الْمَنْزَلُ» .

ما يقويه ويهيجه ، ليكون أندى . ويقال للصوفة التي توضع في الهناء عند^(١)
طلى البعير به : الشَّة ، وهو ما ذَرْتُ . قال الرَّاجز^(٢) :
* كَمِلَاثُ فِي الْهِنَاءِ الشَّمَلَهُ^(٣) *

وقوله « أَتَوْكَ عَلَى قُرْبَاهُمْ » يجوز أن يريد به على تقرُّبهم وتنصُّتهم ،
ويجوز أن يريد به على قرابتهم وتشابك الأحوال بينك وبينهم . وإنما تنقل في
الثلث بعدَ المثل تأكيداً للقول عليه في محاذيرهم^(٤) ، وإنذاراً في الرؤون
إليهم ، والاستنابة إلى ناحيتهم .

٥ — أَبَعَدَ الإِزارِ مجْسِدَ الْكَشَاهِدَأَتَيْتَ بِهِ فِي الدَّارِ لَمْ يَتَزَيلِ
هذا الكلام وإن كان لفظه لفظ الاستفهام فهو تقييع وإنكار ، وتتبئه
وإنذار ، فيما يضرِبُ المخاطبُ عنه ، ويغفلُ دونه ، مع كونه أعدلَ شاهدٍ على
سوء نيتهم ، وخبيث طويتهم ، ومع خروجه عن حيز الاستدلال عليه إلى
المشاهدة ، ومن خلل الخفاء والتشكُّل إلى ظاهرِ الضرورة . فيقول : أَتَغَنَّ
بِهِمْ ، أوَ تَسْتَرِيبُ بِمَا أَحْدَرْتُهُمْ ، بعد ظهورِ أمرهم وانكشفَ قصدِهم ،
وبعد ما أتَيْتَ به في الدارِ من الإزارِ المتلطخِ بدم ابنِ عمك ، وقد يُيسِّرُ عليه
ولم يتزَيلْ عنه . فقوله « بعدَ الإزارِ » يتعلقُ بيفعلِ مُضمرٍ قد دلَّ عليه خبيثات
القصة الحكيمية^(٥) . والمُجْسَدُ : التَّوْبُ الشَّبَعُ صِبَغاً . والجِسادُ : الزَّعْفَرانَ .
ومعنى لم يتزَيلْ : لم يفارق الدَّمَ ، ولم ينفكَّ ما خالطَهُ منه .

(١) م : « بعد » ، تحرير .

(٢) هو صغر بن عمير ، كما في اللسان (عل) .

(٣) في اللسان : « كَمِلَاثُ الْهِنَاءِ » . وقبله :

غموضة أعراضهم بمرطبه في كل ماء آجن وسلمه

(٤) في الأصل : « محاذيرهم » ، صوابه من م .

(٥) كلة « قد » و « خبيثات » من م .

٦— أراك إذا قد صررت للقوم ناضحاً يقال له بالغرب أذير وأقبل الناضح : البعير الذي يستقي عليه الماء . والنضاح من الحياض^(١) : ما قرب من البئر فيفرغ الماء من الدلو فيه ، وهذا الكلام صدر عن فصح جهدة وبين لمو عوظي رشدته ، فلما لم يتحقق بالقبول قوله جعله قضية منه على المخاطب ، بسوء الاختيار ، وركوب الاغترار ، وأظهر أنه قد صار من التضجع به ورفع الطمع عنه وعن صلاحه ، في حكم اليائس من فلاحة ، والمسك عن وعظه وإبلاغه ، لكونه في حكم المسخر لهم حتى لا رأى له ولا اعتبار ، ولا تدبر ولا اختيار . فقال : أراك قد صررت معهم بمنزلة البعير الذي يستقي عليه ، طاعة وانقياداً ، فيقال له أذير وأقبل بالغرب . والمعنى تسام ما تسام فتلتزمه وتنقاد ، فقل ذلك البعير . ومعنى « يقال له » أي يحمل على ذلك . والتصريف في القول على وجوه كثيرة من الجاز .

٧— فخذها فليست للعزيز بخطةٍ وفيها مقال لأمرى متذلل هذا الكلام خروج عن^(٢) عهدة ما يفعله المخاطب ، وبراءة إليه مع الإنكار عليه والتبنيه على موضوع الخطأ فيه ، فيقول : وكلتكم إلى نفسكم ، ونفدت يدي من سراجعنكم ، فأرض بما عليه تدار ، وابذل ما تراود عنك وتسام ، علام أن مثله لا يرضى به عزيز ، ولا يلتزمه آنفه ؟ وفيه مع ذلك نظر وجدال من يتذلل : هل هو خطته أيضاً . والمعنى : إنك تركب ظهر لا يقتعده التكليف للذل فكيف العزيز . ويجوز أن يكون المعنى : فيها للناس ، إذا تذاكر والأحوال والخطط ، نظر وكلام مبسوط : هل يرضى بمثله المتذلل

(١) كذلك في النسختين . وفي اللسان : « النضيج » .

(٢) م : « من » .

أو لا . ويجوز أن يريد : إن الدليل يتكلّم فيمن يرضاه خطةٌ ويعيره إياها ، فكيف يكون خطةً للعزيز . وهذا الوجه أبلغُ الوجوه الثلاثةِ وأدقُّها .

١٥٠

وقال العباس بن مرداس^(١) :

١ - أَشْحَذْ أَرْمَاحًا بِأَيْدِي عَدُوْنَا وَتَرَكْ أَرْمَاحًا بِهِنْ تَكَابِدُ^(٢)
هذا مثالٌ . وللمعنى : أتعين أعداءنا علينا ، لأنَّ من أحدَ سلاحِ العدوِّ الذي
يقاتل به ، وترك سلاحَ صاحبِه الذي يكابده فقد أعاذه عليه . وإنما خصَّ من
بين العددِ الرِّماح لأنها كأنها أخصُّ بهم . قوله « وترك أرماحاً » أراد وترك
شحدَ أرماح ، خذف المضافَ . ويجوز أن يكون كفي بالأرماح عن الرجال .
والمعنى : أتهيئ أصحابَ عدوِّي علىَ ، وتسدِّدُهم نحوَ ، وترك أصحابِ الذين
بهم أكابيدُ ، فلا تقوى في القتال والصبر رأيَهم ، ولا تمرُّ في الثبات عزائمِهم .
ومن المعروف قولهم : فلان سيفي ورمحي ، في الذي يستظهر به عند ملاقاةِ الأعداءِ .
وفلان ترسي وجنتي ، فيما يتنقَّب به من الأسواءِ . وإنما قال في هذا الوجه أرماحاً
بأيدي عدوِّنا لأنَّه إذا كفي عنهم بما يكون آلةً جعلها باليد . ويقال شحدَتْ
السَّكِين ، إذا أحدهُته . والباء من قوله « بأيدي » يتعلَّق بضمِّر ، كأنَّه قال
أرماحاً مستقرةً وحاصلةً بالأيدي . والعدُّ يقع على الواحد وعلى الجمع . وفي
القرآن : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوُّ لِي ﴾ .

٢ - عَلَيْكَ بِحَارِ الْقَوْمِ عَبْدِ بْنِ حَبْرٍ فَلَا تَرْشَدَنْ إِلَّا وَجَارُكَ رَاشِدُ

(١) التبريزى : « وقال أيضاً » .

(٢) التبريزى : « بهن تكابد ». وفي تفسيره : « والتكابدة : معالبة الأقران . يقال كابت الشيء مكابدة وكبادا ، إذا فاسيته في مشقة . والكبـد : الشدة .

(٣) في الأصل : « رسولي » ، وأنبأنا ماف م .

هذا الكلام بعثْ وتحضيضْ على صراعة المعهود والنَّمْ ، وصيانته الجار من الاهتمام ، وإن لام فيها اللَّوائِمْ . فيقول : أنتصِفْ جارِك وانتقم له بأن تؤثر في جار القوم ، فإذاك لا تكون راشِدًا إلا وقد رَشَدَ جارِك معك . ويقال رَشَدَ يَرْشُدُ ، ورَشَدَ يَرْشُدُ ، لغتان . والباء من قوله : « بـجـار » يتعلّق بعليك ، لأنَّ معنى عليك خُذْ . ويقال خُذْ كذا وخذْ بـكـذا . يقال أيضًا عليك كذا وبـكـذا . ودخول النون الخفيفة في قوله « تـرـشـدـنْ » لأنَّه ليس بواجب فهو يجري تجرى الأمْرِ والنَّهْي والاستفهام .

٣— فإنْ غَضِيتْ فيها حَيْبُ بْنُ حَبْتَرٍ فخذْ خُطَّةَ يَرْضَاكَ فيها الأبعدُ
الضمير في « فيها » للفعلة والخطة . الا ترى قوله « خذ خطة يَرْضَاكَ فيها الأبعدُ » . والمعنى : إن تسخّط ما تتكلّفه بـجـارـك من الذَّبْ عنه والانتقام له هؤلاء القوم فلا تُبالي بهم ، وخذْ في أمره ما يحمدك فيه الأبعدُ دون الأقارب ، فإنَّ الأخبار إذا انتشرت عنك بالوفاء استرجحـكـ الأجانب . وخذْ الجار وتسليمه إيشارـاـ لمـوـيـ الأـقـارـبـ ، وـمـجـانـبـ لـكـراـهـتـهمـ ، يـحلـبـ الذـمـ وـيـلـحقـ العـارـ .

٤— إذا طالت النجوى بغير أولى القوى أضاعتْ وأضفتْ خَدَّ منْ هو فارِدٌ
هذا بيان الرأى في قبول ما أشار به ، وترك التعرّيج على غيره . والعامل في « إذا طالت » أضاعتْ ، وهو جوابه أيضًا . فيقول : إذا طالت المواجهة وامتدَّت الاستشارة مع غير أرباب الآراء القوية ضيَّعتِ المستشير وأمالت خَدَّه ، وصار في الانفراد بما يعانيه بمنزلة مَنْ لا ناصر له ولا مُشير ، لوقوع التشاور على غير خَدَّه ، وتقدير المُشير في القيام بواجبه ، وقد جمع بين فعلين في قوله « أضاعتْ » و « أضفتْ » فأعمل الثاني ، وهو اختار عند أصحابنا البصريين . ويجوز أن يكون مفعول أضاعت غير « خَدَّ منْ » خذفة ، كأنه قال أضاعت ربها . وكان

الحكم في هذا الوجه أن يقول لو أظهر المفعول : وأصفت خدّه لكونه فارداً وحيداً ، لكنه لما كان الآخر هو الأول وقد حذفه ، لم يُبالي بإظهاره ، لأن الذي هو فارداً ربُّ النجوى لا غير . ومعنى إصغاء الخد الإذلال والآخراف للفتور والتججل . والقوى : جمع قوة ، وأصلها طاقات الخبل ، ثم استعملت في الآراء والعراشم . وأصل النجوى المسارة ، فاستعيرت للمشورة لأنّها في أكثر الواقع تقع بها . ويقال : فلان نجوى فلان ، وتناجوا فيما بينهم وانتجوا ، وهم نجوي ، وصف بال المصدر . وفي هذه الطريقة قول الآخر :

وَمَنْ لَا يَكُنْ ذَا نَاصِيَرِ يَوْمَ حَقَّهِ يُنْلَبُ عَلَيْهِ ذُو النَّصِيرِ وَيُضْمَدُ
٥—فَارِبٌ فَإِنْ مَوْلَاكَ حَارَدَ نَصْرَهُ فَفي السِّيفِ مَوْلَى نَصْرٍ لَا يُحَارِدُ
يقول : حارب من قصد جارك وأuan عليه ، ولا تُقْعِدُ عن نصرته والانتصار
له ، فإن لم يعاونك فيها ترؤمه مواليك ، وتأخروا عن النهوض معك ، فاستعين
بالسيف ، فإن فيه مولى لك لا يخذلك ، ولا يتباطأ عنك . وهذا كما قال غيره^(١) :
* أَنَّحْنَا فِي حَافَّنَا السِّيفَ عَلَى الدَّهْرِ^(٢) *

والمحاردة أصلها في قلة اللبن ، واستعير في قلة المعاشرة والمظاهره . وقوله
« فإن مولاك » ارتفع مولاك بفعل مضمر ما بعده . [تفسيره ، لأن إن بالفعل
أولى^(٣) .

(١) هو يحيى بن منصور . الحاسية ١٠٨ .

(٢) صدره : * فلما نأت عنا المشيرة كلها *

(٣) التكملة من م . وانظر ما سبق في ص ٤٣٣ س ١٦—١٧ .

١٥١

وقال أيضاً

وهذه الآيات تُعد من المنصِفات^(١) :

١— فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْحَيٍّ حَيَا مُصْبَحًا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّقِينَا فَوَارِسَا

أشار بالحي إلى قوم معهودين . يقول : لم أر مُغَاراً عليه كالذين صَبَحُناهم ، ولا مُغَيراً مثلنا يوم تَقِيناه . فَقَسَمَ الشَّهادَة فَسَمَ السَّوَاء بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَأَحْبَابِهِ ، وَتَنَاوَلَ بِالْمَدْحُ كلَّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ . وَانْتَصَبَ قَوْلُهُ « حَيَا مُصْبَحًا » عَلَى التَّمِيز ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى جُوازِ قَوْلِ الْفَائِلِ : عِنْدِي عَشْرُونَ درَّهَا وَضَحَّا^(٢) . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فَوَارِسًا تَمِيزَ وَتَبَيَّنَ . وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْأُولُ وَالثَّانِي فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالْمُصْبَحُ الَّذِي يُؤْتَى صُبْحًا لِلْفَارَةِ ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ أَيْضًا ، يَقُولُ : صَبَحَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ . فَإِنْ قِيلَ : لِمَ قَالَ فَوَارِسُ وَالْتَّمِيزُ يُؤْتَى بِهِ مُوَحَّدَ الْفَظْ . قَلْتُ : إِذَا لَمْ يَتَبَيَّنْ كُثْرَةُ الصَّدَدِ وَاخْتِلَافُ الْجِنْسِ مِنَ الْمَيْزِ يُؤْتَى بِالْتَّمِيزِ مُجْمَعَ الْفَظْ مَتَى أَرِيدَ التَّنْبِيَةُ عَلَى ذَلِكَ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : « قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمُ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا » ، كَأَنَّهُ لَا كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ مُخْتَلِفَةً كَثِيرًا ، تَبَّأَهُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : أَعْمَالًا

(١) المنصِفات : القصائد التي أُنْصَفَتْ فَاتَّلُوها فِيهَا أَعْدَاءُهُمْ ، وَصَدَقُوا عَنْهُمْ وَعَنْ أَنْفُسِهِمْ فِيهَا اصْطَلُوهُ مِنْ حِرْ الْمَقَاء ، وَفِيهَا وَصْفُوهُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ مِنْ إِعْنَاسِ الْإِنْجَاء . وَرَوَى أَنَّ أَوْلَى مِنْ

أُنْصَفَ فِي شِعْرِهِ مَهْلِهْلُ بْنُ رِيْعَةَ حِيثُ قَالَ :

كَانَا غَدْوَةَ وَبَنِي أَبِيَا بِجَنْبِ عَنْزَةِ رَحِيْمٍ مَدِيرٍ

وَمِنَ النَّصِيفَاتِ قَوْلُ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ أَبِي لَهَبٍ :

لَا تَطْمِعُوا أَنْ تَهْبِنُنَا وَنَكْرِمُكُمْ * وَأَنْ تَكْفُ الأَذى عَنْكُمْ وَتُؤْذِنُونَا

اَقْرَأُ الْخَرَاجَةَ (٣ : ٥٢٠ - ٥٢١) .

(٢) الْوَضْعُ : التَّقِيَّةُ .

ولو قال عَلَّا كَانَ التَّابُعُ لَا يَبْعُدُ فِي وَهُمْ أَنْ خُسْرَمَ^(١) كَانَ جُنْسٌ وَاحِدٌ مِنْ أَجْنَاسِ الْمُعْصِيَةِ، أَوْ لِعْلَى وَاحِدٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الْذَّمِيمَةِ. فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ «فَوَارِسَ» جَمِيعُهُ حَقٌّ يَكُونُ فِيهِ إِيذَانٌ بِالْكَثِيرِ.

٢— أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالشَّيْوِفِ الْقَوَانِسَ
 المصراع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو أسد ، والمصراع الثاني إلى عِترَتِهِ وأصحابه . والمراد : لم أَرْ أَحْسَنَ كَرَّا ، وأَبْلَغَ حَيَاةً لِلْحَقَائِقِ مِنْهُمْ ، ولا أَضْرَبَ لِلْقَوَانِسَ بِالشَّيْوِفِ مِنَّا . وَاتَّصَبَ الْقَوَانِسُ مِنْ فِعْلِ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ «وَأَضْرَبَ مِنَّا». ولا يجوز أن يكون انتصاره عن أَضْرَبَ ، لأنَّ أَفْعَلَ الدُّنْيَا كَيْمَ بَيْنَ لَا يَعْمَلُ إِلَّا فِي النَّكَرَاتِ ، كَقَوْلُكَ : هُوَ أَحْسَنُ مِنْكَ وَجْهًا . وأَفْعَلَ هَذَا يَجْرِي بِحَرَقِي فَعْلَ التَّعْجِبِ ، وَلِذَلِكَ تَعَدَّدَ إِلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي بِاللَّامِ ، فَقَلَّتْ مَا أَضْرَبَ زَيْدًا لِعَفْرِو . وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿الَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتِهِ﴾^(٢) ، مَوْضِعُ حَيْثُ نَصَبَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ أَعْلَمُ . وَالْقَوَانِسُ ، قَالَ الدَّرِيدِيُّ : هُوَ أَعْلَى الْبَيْضَةِ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : قَوْنَسُ الْفَرَسِ : مَا بَيْنَ أَذْنِيهِ إِلَى الرَّأْسِ . وَمِثْلُهُ قَوْنَسُ الْبَيْضَةِ مِنَ السَّلَاحِ .

٣— إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمْلَةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِيِّ وَالرَّمَاحَ الدَّوَاعِسَ
 يُرْوَى : «إِذَا مَا شَدَدْنَا شَدَّةً»^(٣) . يَقُولُ : إِذَا حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ ثَبَّتُوا فِي وُجُوهِنَا ، وَنَصَبُوا صُدُورَ الْخَيلِ الْقُرْحِ ، وَالرَّمَاحَ الْمُعَدَّةَ لِذَلِكَ^(٤) .

(١) فِي الْأَصْلِ : «جَسْرُهُمْ» ، وَالصَّوَابُ فِي مِنْ.

(٢) هَذِهِ هِيَ قِرَاءَةُ جَهْوَرِ السَّبْعَةِ . وَقَرَأَ أَبْنُ كَثِيرٍ وَحَفْصَنِ : «رِسَالَتِهِ» بِالتَّوْحِيدِ .

تَسِيرُ أَبْنِ حَيَانِ (٤: ٢١٦ - ٢١٧).

(٣) جَعَلَهَا التَّبَرِيزِيُّ الرَّوَايَةَ الْأُولَى ، وَمَا قَبْلَهَا الرَّوَايَةُ الثَّانِيَةُ .

(٤) مِنْ : «اللَّدْفُعُ» .

والدَّعْسُ : الدَّفعُ فِي الْأَصْلِ ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي الطَّعْنِ وَشَدَّةِ الْوَطْءِ وَالْجَمَاعِ .
وَالدَّكَاهُ : ضِدُّ الْفَتَاءِ . وَيُقَالُ فَرَسٌ مُذَكَّرٌ ، إِذَا تَمَّ سِنُّهُ وَكَلَّ قُوَّتُهُ . وَفِي
الْمَثَلِ : « جَرْوَى الْمَذَكَاهِيَّاتِ غِلَابٌ » . وَيُقَالُ « غِلَابٌ » . وَيُقَالُ : فَتَاءُ فَلَانَ
كَذَكَاهُ فَلَانَ وَكَتْذِكَاهُ فَلَانَ ، أَى حَزَامُتُهُ عَلَى نَقْصَانِ سِنِّهِ كَحْزَامَةً ذَاكَ مَعَ
اسْتِكَالِهِ لِسِنَّهُ . وَقَالَ زَهِيرُ بْنُ أَبِي سَلْمَى :

يُنَضِّلُ إِذَا اجْتَهَدَ عَلَيْهِ تَهَامُ السَّنَّ مِنْهُ وَالدَّكَاهُ

— إِذَا أَخْتَلَ بُجَالَتْ عَنْ صَرِيعِ نَكْرَهَهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعُنَ إِلَّا عَوَابِسًا
يَقُولُ : إِذَا أَخْتَلَ دَارَتْ عَنْ مَعْرُوفٍ مِنَّا كَرِهْنَا عَلَيْهِمْ لِنَصْرَعِهِمْ
مِثْلَ مَا صَرَعُوا مِنَّا . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ : إِذَا جَالَتِ الْأَخْتِلُ عَنْ صَرِيعِهِمْ مِنْهُمْ
لَا يُقِيمُنَا ذَلِكَ فِيهِمْ ، بَلْ نَكْرَهْهَا عَلَيْهِمْ لِنَلْهَهُ^(١) ، وَإِنْ كَرِهْتِ الْكَرَّ لِشَدَّةِ
الْبَأْسِ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَّا كَوَافِحَ . وَالْعَالِمُ فِي قَوْلِهِ « إِذَا أَخْتَلَ » نَكْرَهَهَا ، وَهُوَ
جَوَابُهُ أَيْضًا . وَإِلَّا عَوَابِسًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَقَوْلُهُ « الْأَخْتِلُ » ارْتَفَعَ بِفَعْلِ
مُضْمِرٍ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرِهِ .

١٥٣

وَقَالَ عبدُ الشَّارِقِ بْنُ عبدِ الْعَزِيزِ الْجَعْفِيَّ^(٢) :

— أَلَا حَيَّتِنَا يَا رُدِينَا نُحَمِّلُهَا وَإِنْ كُرِمْتَ عَلَيْنَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « لَمِيلَهُ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَقَالَ عبدُ الشَّارِقَ » ، وَالنَّكْلَةُ بَعْدَهُ م . وَزَادَ التَّبَرِيزِيُّ بَعْدَهُ
« وَهُوَ مِنَ الْمُنْصَفَاتِ » وَانْظُرْ مَا سَبَقَ مِنَ السَّكَلَامِ عَلَى « الْمُنْصَفَاتِ » فِي الْحَاسِبَةِ السَّابِقَةِ .
وَعبدُ الشَّارِقَ ، كَمَا يَظْهُرُ مِنْ تَسْمِيَتِهِ : شَاعِرٌ جَاهِلٌ . قَالَ فِي الْمَهِيجِ : « الشَّارِقَ اسْمُهُ لَهُمْ ،
وَلَذِكَ قَالُوا : عبدُ الشَّارِقَ كَفُولُهُمْ عبدُ الشَّارِقَ ، وَكَلَّا هُمْ مِنْهُ . وَمِثْلُهُ عبدُ يَنْوَثْ وَغَبُودُ وَخُوَ
ذَلِكَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّارِقَ مِنْ قَوْلِهِمْ عبدُ الشَّارِقَ ، وَهُوَ قَرْنُ الشَّمْسِ ، كَفُولُهُمْ لَا أَكْلِمُكَ
مَاذُرُ شَارِقَ ، أَى مَا طَلَمَ قَرْنُ الشَّمْسِ ، فَقَوْلُهُمْ إِذَا : عبدُ الشَّارِقَ كَفُولُهُمْ عبدُ شَمْسَ . وَأَمَّا
الْعَزِيزُ فَهُوَ اسْمُهُ شَمْسٌ ، وَهُوَ تَأْنِيَتُ الْأَعْزَمِ » .

هذا على كلامين . و «ألا» افتتاح^(١) . والتحية ، قال بعضهم : هي الوداع
ها هنا ، يقول : ألا أبلغت وداعنا يا ردينة . ثم قال : نحييها ، أى نودعها
وإن عزت^(٢) علينا مفارقتها . ويجوز أن يكون دعا لردينة مبتدئاً فقال :
جزاك الله عننا ، أى تؤلى الله ذلك من دوننا ، ثم راجع نفسه فقال : نفعل ذلك
على فخامة موقعها منا ، وجلاة محالها من قلوبنا ، إذ كنالا تقدر لها على غير
ذلك . وقوله «نحييها وإن كرمت» يسمى التفاتاً ، كأنه التفت إلى من معه
فقال ذلك .

٣— ردينة لو رأيت غدأة جتنا على أصنانا وقد أحتوينا
توصل بمخاطبتها إلى اقتصاص الحال التي يريد شرحها ، فأخذ يبناها
فيقول : لو رأينا غدأة جتنا على حزازات في النفس ، واحترافات في الجوف
والصدر ، من الغيظ والحدق ، وقد حويانا أموال أعدائنا ، واستبهنا حرفهم ،
وملأنا أيدينا من غنائمهم . هذا إذا رويته بالحاء غير معجمة . وروى بعضهم :
«أحتوينا» بانخاء المعجمة ، ويكون أفعال من الخوى ، والمعنى : خوت أفتدينا
من الود ، كقول الآخر^(٣) :

وإذ صررت عياب الود منكم ولم يك بيئنا فيما ذمام
وأجود منها «وقد أحتوينا» بالحيم ، وهو أفعال من الجوى ، كأنه يريد
ما اشتمل الجوانح عليه من القدرة حتى صار جوى . والأضم : الغضب . ومع
ذكر الأضم أجيئي بالحيم أشباهه ، وهو أقرب . وجواب لمحذف ، لأن
الأفعال التابعة لهذا البيت جميعها مقصورة على بيان القصة ، وشرح أحوال الواقعة .

(١) أى ألا : أداة لافتتاح الكلام . وفي الأصل : «والافتتاح» ، صوابه في م .

(٢) في الأصل : «كرمت» ، صوابه في م .

(٣) هو بشر بن أبي حازم . المفضليات (٢ : ١٣٥) .

وقد بيَّنتُ فيما تقدَّم أنَّ حذف الجواب من مثل قول القائل : لو رأيتَ زيداً
وفي يده السيف ، أدلَّ على التهويل والتفحيم من إثباته .

٣— فَأَرْسَلْنَا أَبَا هُمَرَ وَرَيْتَا فَقَالَ أَلَا أَنْعَمْنَا بِالْقَوْمِ عِنْنَا
يقول : توجَّهنا نحوَه وأنفَذنا مِنْ قَبْلَنَا من ارْتَبَّلَنَا ، فعادَ مبْشِّرًا وقال : قرُوا
عِنْنَا واستبَشِّرُوا ، فقد أُفْتَلُوا . وهذا مما يُترَجِّمُ عن محاجتهم ملاقاً الأعداء ،
وحرصهم على القتال ، وتشوُّفهم للمجادحة والنزاع ، حتى عَدُوا قُربَهُم بِشَارَةً ،
والانقاء معهم غنيمة . وهذا عندى أبلغُ من قول الآخر :
يَسْتَعْذِبُونَ مَنِيَّا هُمْ لَا يَيْأسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا^(١)
ومن قوله :

* لِقَاءُ أَعَادِ أَمْ لِقَاءُ حَبَابِ *

وقوله «عِنْنَا» انتصبَ على التمييز ، وهو من باب ما نُقل الفِعل عنه ووضع
النَّكِيرَةُ فيه موضع المَعْرَفَةِ ، لأنَّ الأصل في قرَرتْ به عِنْنَا : قَرَّتْ عيني .
ومثله قوله : يَتَصَبَّبُ عَرَقًا ، ويَتَفَقَّأُ شَحْمًا . وفي القرآن : «وَأَشَّتَعَلَ
أَرْأَسُ شَيْبَيَا» .

٤— وَدَسُوا فَارِسًا مِنْهُمْ عِشَاءَ فَلَمْ تَغْدِرْ بِفَارِسِهِمْ لَدِنَّا
يقول : وجَّهوا فارِسًا ليَنْدَسَ في أثناء خيلنا ، ويَعْرِف سرَّنا وعلَّتنا ،
ويقفَ على عَدَدِنا وعَدَّتنا ، فيرجع إِلَيْهِم بواضِح الأحوال والأخبار ، خيلَناه
والانصراف إِلَيْهِم ، ولم نَسْتَعِمْ غَدْرًا في احتِباسه عندنا ، وطَيَّ أخبارنا عنهم .

(١) « يستذبون منا » هي من هامش نسخة الأصل فقط مع عالمة إلخاق ، وهذه
العبارة ساقطة من م . وبقية حروف الكلمة ، وهي «يام» من «منيَّا هُمْ» هي تكلمة ضرورية
وليس في النسختين . ويدأ الاستشهاد في النسختين بكلمة «كَانُوهُمْ» .

وأصل الدسّ : إخفاء الشيء تحت غيره . وفي القرآن : «أَمْ يَدْسُهُ فِي التِّرَابِ»
ويقال^(١) : ادس إلى فلان ، أى أتاه بالغنايم . فإن قيل : مافائدة ذكر الغدر
ها هنا والفارس الذى أنفذوه جاسوساً^(٢) لم يكن أخذـ^(٣) منهم أماناً ، ولا اشتـ^(٤)
 عليهم شرطاً يوجـب سلامته به مع مخالطته لهم . قلت : كان المراد لم يستعمل
 مـكـراً باحتباس الرـسـول ، إذ كان في منعه من الانصراف إليـهم انطواهـ أـخـبارـنا
 عليهم ، فيكون كالغـدرـ بهـمـ وبـهـ . ويـجوزـ أنـ يكونـ ذلكـ الفـارـسـ الذىـ ظـهـرـ لهـ
 ثـقةـ بـالـعـرـفـ يـتـنـهـ وـيـنـهـ ، فـعـذـ ظـهـورـهـ أـخـذـاـ لـلـأـمـانـ عـلـيـهـمـ . ويـجوزـ أنـ يكونـ
 سـمـىـ تـرـكـ أـقـرـبـ الـأـمـرـيـنـ إـلـىـ السـكـرـمـ وـالـوـفـاءـ مـعـهـ غـدـرـاـ ، ثـمـ بـرـأـ سـاحـةـهـ مـنـهـ .

٥ - فجاءوا عارضاً بَرِدًا وَجْنَانًا كَمِثْلِ السَّيْفِ نَرْ كَبُّ وَازِعِينَا
 يقول : تَسَارَعُوا مُقْبِلِينَ نَحْوَنَا ، وَكَانُوهُمْ فِي كَثْرَتِهِمْ وَتَعْجِلَهُمْ قَطْعَةً مِنْ
 السَّحَابِ فِيهَا بَرَدٌ - وَوَجْهُ التَّشْبِيهِ أَنَّ لَهُمْ حَيْفِيًّا وَوَقْعًا شَدِيدًا مَتَاهِفَتِنَا ، كَمَا
 يَكُونُ لِذَلِكَ السَّحَابِ - وَنَحْنُ لِكَثْرَتِنَا وَإِتْيَانَنَا عَلَى مَا يَعْتَرِضُ فِي طَرِيقِنَا
 كَالسَّيْلِ الَّذِي لَا يُبْقِي وَلَا يَذْرُ . وَمَعْنَى « نَرْ كَبُّ وَازِعِينَا » أَى لَا نَنْقَادُ
 لِمَنْ يَرِيدُ ضَبْطَنَا ، وَلَا نُطَاوِعُ مَنْ يَطْلُبُ كَفَنَا مِنَ الْجَيْشِينِ جَمِيعًا . وَلَمْ يُشَنَّ
 « وَازِعِينَا » لَأَنَّهُ يُشَيرُ إِلَى رِجْلَيْنِ ، لَكِنَّهُ أَرَادَ الْكَثْرَةَ وَالْجِنْسَ بِالوازِعِ ، ثُمَّ
 ظَنَّ مِبْيَنًا اختلافَ الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الْخَيْلَيْنِ . وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرْوَى « وَازِعِينَا »
 بِكَسْرِ الْعَيْنِ لِمَا يَحْصُلُ مِنَ الْعِيبِ بِالسَّنَادِ مَعَ ارْتِفَاعِ الضرُورَةِ (٤) .

(١) في النسختين : « ويقول » .

(٢) م : « داسوسا » فاعول من الدس . وقد أشير في نسخة الأصل إلى أنها كذلك

خة أخرى . والمعروف ، كا في مادة (دسس) من المعاجم : « الدسيس » .

٣) م : «أخذ»

(٤) في التنبية : « وقد رواه بعض الرواة : وازرعينا ، فركب قبح السناد لضيق طريق المعنى الأول عليه . والقول فيه ما ذكرته » .

٦— فَنَادُوا يَا لَبْهَةَ إِذْ رَأَوْنَا فَقُلْنَا أَحْسِنِي ضَرَّ بِا جُهَيْنَا

يقول : لَمَّا شارفناهُمْ استغاثوا بِنِي بِهَشَّةَ مُعْتَزِينَ إِلَيْهِمْ ، وَمُسْتَمِدِينَ مِنْهُمْ ، فَاسْتَهْنَاهُمْ نَحْنُ أَيْضًا فِي مُقَابِلَةِ مَا فَعَلُوا بِنِي جُهَيْنَةَ ، وَهَزَّنَاهُمْ لِلضَّرَبِ فِيهِمْ ، وَالْإِيقَاعِ بِهِمْ . وَإِنَّمَا يَسْتَعْلُونَ الْإِعْتِزَازَ فِي مُثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ تَهْوِيَّاً لِلأَمْرِ ، وَتَكْثِيرًا لِلْعَشِيرَةِ ، لِيَسْتَشْعِرَ كُلُّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ الرُّعْبَ مِنْ صَاحِبِهِ ، وَالْتَّهِيَّبِ لِهِ . وَاللَّامُ مِنْ « يَا لَبْهَةَ » لَامُ الْجَزِّ ، وَتَعْلَقَتْ بِيَا : حَرْفُ النَّدَاءِ . وَلَا يَحُوزُ أَنْ يَقَالَ تَعْلَقَتْ بِالْفَعْلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ يَا ، لَأَنَّ ذَلِكَ الْفَعْلُ لَمْ يَخْرُجْ إِلَى الْوُجُودِ سَقْطًا حَكِيمًا . وَفَتَحَتْ لِوْقَعَ الْمُنَادَى مَوْقِعَ الْمُضَمَّرِ . وَبِهَشَّةَ مَدْعَوَةَ ، وَالْجَازِّ مَعَ الْمُحْرُورِ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ لِأَنَّهُ مُنَادَى . وَقَوْلُهُ « أَحْسِنِي ضَرَّ بِا » يَحُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَرَّ بِا مَفْعُولًا بِهِ مِنْ أَحْسِنِي ، وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْضًا ضَارَّ بِهِ . وَيُرُوَى : « أَحْسِنِي مَلَّا » ، وَمَعْنَاهُ خُلُقًا . وَالْمَرَادُ بِخَالَقَةٍ^(١) أَهْلِ الْحَرْبِ وَالْمُسْتَنْصِرِينَ ؛ وَهَذِهِ رِوَايَةُ أَبِي زِيدٍ . وَقَالَ ابْنُ السَّكِيْتِ : مَعْنَاهُ أَحْسِنِي تَمَلُّؤَا أَيْ تَعَاوُنًا . وَيَقَالُ مَالَاتْ عَلَى فُلَانْ ، وَكَانَهُ مِنْ قَوْلِهِ رَجُلٌ مَلِيْلٌ ، وَقَدْ مَلُؤَ يَمْلُؤُ مُلَادَةً وَمَلَادَةً .

٧— سَمِعْنَا دَعْوَةَ عَنْ ظَهَرِ غَيْبٍ فَجَلْنَا جَوَلَةَ ثُمَّ ارْعَوْنَا

يقول : قَرَاعَ أَسْمَاعَنَا فِي أَثْنَاءِ التَّهِيَّةِ وَالتَّطَالُعِ دَعْوَةٌ تَأَدَّتْ مِنْ مَكَانٍ غَائِبٍ عَنْ عَيْنَنَا ، فَدَرْنَا دَوْرَةً ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى أَمَّا كَنَا . وَهَذَا يَحُوزُ أَنْ يَكُونُوا خَافِرِ الْكَمِينِ خَاهِوْا لِيَتَمَلُّوا ، فَلَمَّا أَمْتُنُوا رَجَعُوا . وَيَقَالُ : ارْعَوَيْ عنِ الْجَهْلِ ارْعِوَيْ وَرَعِوَيْ حَسْنَةَ وَرَعِوَيْ ، أَيْ رَجَعَ . وَيَقَالُ : فَعَلَ فُلَانْ كَذَا بَظَاهِرِ الغَيْبِ .

(١) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ بِالْفَافِ عِنْدَ التَّبَرِيزِيِّ . وَفِي النَّسْخَيْنِ : « خَالَقَةَ » .

٨ — فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا أَنْخَنَا لِلْكَلَّا كِلِّ فَارْتَمَيْنَا^(١)

هذه المواقفة التي أشار إليها ، يجوز أن تكون للتعبيبة والتهيئه ، ويجوز أن تكون لتداعي الأبطال والبارزة ، واعتراضهم بين الصفين للمطاعنة . وقوله « قليلاً » يجوز أن يريد به زماناً قليلاً ، فيكون ظرفاً ، ويجوز أن يريد به^(٢) توافقاً قليلاً ، فيكون صفةً لمصدر مذوق . والصفات تُنْوِبُ عن المصادر والظروف كثيراً . وجواب لمن « أَنْخَنَا » ، ومفعوله مذوق . والمعنى : إننا بعده المطاردة نزلنا ، وأَنْخَنَا للصدور فتناضَلنا .

٩ — فَلَمَّا لَمْ نَدْعُ قَوْسًا وَسَهْمًا مَشَيْنَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا

١٠ — تَلَالُوا مِنْ نَهْرٍ بَرَقَتْ لِأَخْرَى إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافٍ رَدِينَا

يقول : لمن ملأنا الطرائد والرماء ، يافناء النبال وتعظيل القسي لاقطاع الأوتار ، مشى بعضنا إلى بعض للكفاح والجلاد ، طلباً للاشفاء ، كأنهم تنقلوا في درج القتال ومراتبه ، حتى يبلغوا أعلىها وأصعبها ، وأولاها بدرك النار وأحقرها . ولهذا التساؤل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنرو بن معدي يكتب عن أنواع السلاح ، وانتهى إلى ذكر السيف ، قال « عِنْدَهُ تَشَكَّلُ الْأَمْمَاتُ » . واتتصبـ

(١) م : « وارعنينا » . وقال ابن جي : « لك أن يجعل اللام صلة إلى المفعول توكيداً كقول الله سبحانه : قل عسى أن يكون ردد لكم ، وك قوله : إن كنتم لرؤيا تبرون . غير أن هذا قدم فيه المفعول خمس زيادة اللام لإعارة الفعل . وقرأت على محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى لابن ميادة :

وَلَمْكُتْ مَا بَيْنَ الْرَّاقِ وَيَرْبِ مَلْكَا أَجَارَ لِسْمَ وَمَعَاهِدَ أَيْ أَجَارَ مَسْلَمَا وَمَعَاهِدَا ، فَكَانَهُ قَالَ : أَنْخَنَا لِلْكَلَّا كِلِّ ، فَزَادَ اللام مِنْ حِيثِ ذِكْرِنَا . ويجوز أن يكون اللام خبر مبتدأ مذوق يدل عليه قوله أَنْخَنَا ، فَكَانَهُ لَا قَالَ أَنْخَنَا قَالَ : إِنْخَنَا لِلْكَلَّا كِلِّ .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « أَنْ يَكُونَ بِهِ » .

« تَلَلُّ مُزْنَةً » على أنه مصدرٌ ما دلَّ عليه « مَشَيْنَا نَحْوَه وَمَشَوْ إِلَيْنَا » ، لأنَّ في ذلك تَلَلُّ السَّلاح من الجنين جميعاً، وَمِنْ كُلّ واحدةٍ من الطَّافِقَيْن جِيعاً لِلأُخْرَى . وَقَوْلُه « إِذَا حَجَلُوا بِأَسْتِيافِ رَدِينَا » ، أَى إِذَا كَانَ مَشِيهِم إِلَيْنَا حَجَلاً كَانَ مَشِينَا إِلَيْهِم رَدِيَانًا . وَالرَّدِيَان فَوْقَ الْحِجَلَان ، لِأَنَّهُ مَشِيُّ الْحِجَلَان تَقَارُبَ أَرِيَّهُ وَمُتَمَعِّكِه ، فَهُوَ أَسْرَعُ مِنَ الْحِجَلَان ، إِذَا كَانَ فِي الْحِجَلَان تَقَارُبَ اَنْخَطُو كَشِي الْمَقِيد وَوَثْبَتِه . فَيَقُولُ : تَلَلَّا نَا لَوْفُورِ أَسْلَحَتِنَا ، وَبَرِيقِ دُرُونِنَا وَبَيْضِنَا ، وَإِيمَاضِ أَعْيَنَا ، تَلَلُّ سَحَابَةِ بَرَقَتْ لَسَحَابَةِ أُخْرَى قَابَلَتِهَا . وَقَالَ أَبُوزَيْد : هَذَا مِنْ رَدِيَانِ الْجَوَارِي إِذَا لَعِنْ(١) تَرْفَعُ إِحْدَاهُنْ رِجْلًا وَتَنْخُطُ بِأَخْرَى خُطُوتَيْن ، ثُمَّ تَضَعُهَا وَتَرْفَعُ الْأُخْرَى ، تَفْعَلُ ذَلِكَ مَرَّارًا . قَالَ : وَالْغُرَابُ يَرْدِي وَيَنْجِلُ .

١١ — شَدَّدْنَا شَدَّدَةً فَقَتَلْتُمْنَهُمْ ثَلَاثَةَ فِتْيَةَ وَقَتَلْتُ قَيْنَا

١٢ — وَشَدُّوا شَدَّدَةً أُخْرَى فَجَرَوْا بِأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوَيْنَا

يَقُولُ : حَلَّنَا عَلَيْهِمْ حَلَّةَ مُنْكَرَة(٢) ، فَأَصْبَنَا مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ مِنَ الْفِتَيَانِ ، وَقَتَلْتُ قَيْنَا . وَقَيْنُ : اسْمُ رَجُلٍ كَانَ مَشْهُورًا فِيهِمْ بِالْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ ، فَلِذَلِكَ عَيْنَ عَلَيْهِ . وَقَوْلُه « ثَلَاثَةَ فِتْيَةَ » فِتْيَةُ مِنْ أَبْنِيَةِ الْقَلِيلِ ، كَفْلَةٌ وَصِبْنَيْةٌ ، وَلِذَلِكَ أَضَافَ الْثَّلَاثَةَ إِلَيْهَا . وَبِنَاءَ الْكَثِيرِ الْفِتَيَانِ . وَ « شَدُّوا شَدَّدَةً أُخْرَى » ، يَقُولُ : وَحْلَوْا حَلَّةَ فَأَصَابُوا مِنَ مِثْلِهِمْ ، وَارْتَثُ مِنْ قَتَلَانَا مِثْلُ مَا ارْتَثُ مِنْ قَتْلَاهُمْ ، وَرَمَوْا جُوَيْنَا أُخْرَى . قَوْلُه « بِأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ » لَوْ قَالَ أَمْتَاهِمْ جَازَ ، وَفِي الْقُرْآن : « ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْتَالَكُمْ » ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ :

(١) فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « نَعِنْ » ، صَوَابُهُ فِي مِنْ .

(٢) هَذِهِ الْكَلْمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ مِنْ .

﴿ يَرَوْنَهُم مِثْلَهُم رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ ، وفي موضع آخر : ﴿ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُم ﴾ . وهذه الآيات تسمى المُنْصِفَةَ ، لِمَا تقابلَ فيها من صفاتِ المُجَاهِسِينَ على وجهِ التَّعَادُلِ ، وسَنَّ التَّبَاصُدُ . إن قيل ما فائدة قوله « شَدَّةُ أُخْرَى » ، ولم يكن قد تقدم له أُولَى ؟ قلت : يجوز أن يكون أرادَ تَوَالِي بَيْنَنَا حَمْلَتَانِ : الأولى مِنَّا ، والأُخْرَى مِنْهُمْ ، لأنَّ قَصْدَهُ اقْتِصَاصُ الْحَالِ الدَّائِرَةِ بَيْنَهُمْ . ويجوز أن يكون أرادَ أَنْ يبيِّنَ أَنَّهُمْ كَانُوا السَّابِقِينَ وَالْمُبْدِئِينَ ، فَوَصَّفَ شَدَّتَهُمْ بِالْأُخْرَى لِيُعْلَمَ أَنَّهُمْ الْمُبْدِئُونَ .

١٣— وَكَانَ أَخِي جُوَيْنُ ذَا حِفَاظٍ وَكَانَ القَتْلُ لِفِتْيَانٍ زَيْنًا

١٤— فَآبُوا بِالرِّمَاحِ مَكْسَرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسَّيُوفِ قَدْ أَنْهَيْنَا

نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ بِحُسْنِ مَحَافِظَتِهِ عَلَى الشَّرَفِ ، وَجَيَّلَ مَدَافِعَتِهِ دُونَ الْمُشِيرَةِ ثَبَّتَ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَنَّ قِتْلَتَهُ كَانَ قِتْلَةً مُحْمُودَةً تَزَيَّنَتْ لَا تَشَيَّنَ . وَقَوْلُهُ :

فَآبُوا بِالرِّمَاحِ مَكْسَرَاتٍ ، وَأَبْنَا بِالسَّيُوفِ مُنْحَنِيَاتٍ ، جَعَلَ فِيهِ أَعْلَى الصَّفَتَيْنِ لِنَفْسِهِ وَذُوِّهِ^(١) ، وَإِنْ كَانَ الظَّاهِرُ مِنْ قَصْدِهِ فِي الْوَصْفِ الْجَرْبِيِّ عَلَى سَنَنِ النَّصْفِ ، يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا رَتَبَهُ زَهِيرٌ فِي قَوْلِهِ :

يَطْعَمُهُمْ مَا أَرْتَهُمْ حَتَّى إِذَا أَطْعَنُوْا ضَارَبَهُمْ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا أَعْتَنَقَا أَلَا تَرَى أَنَّهُ جَعَلَ الطَّعْنَ فَوْقَ النَّضْلِ ، وَالضَّرَابَ فَوْقَ الطَّعْمَانِ ، وَالْعِنَاقَ فَوْقَ الْكِفَاحِ . وَكَذَلِكَ فَعَلَ فِي الرَّدَيَانِ وَالْحَجَلَانِ ، وَفِي وَصْفِ أَخِيهِ بِحُسْنِ الْحِفَاظِ عَنْدَ قَوْلِهِ « وَرَمَوْا جُوَيْنَا » فِي مُقَابَلَةِ « وَقَتَّلَتْ قَيْنَا » . وَأَتَأَ قَوْلُ الْآخِرِ^(٢) :

(١) كذا في م . وفي الأصل : « لِنَفْسِهِ مِنْ ذُوِّهِ » .

(٢) هو الحسين بن الحام المري . المفضليات (٦٣ : ١) .

نُطَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْجُرْدَ كَالْفَنَا وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمَوَرِيَّ الْقُومَةِ
فَلَيْسَ مِنَ التَّنَاصُفِ فِي شَيْءٍ؛ إِذَا كَانَ الْمَعْنَى : إِنَّا عِنْدَ الْطَّعَانِ نُذْرِيْهُمْ عَنْ
ظُهُورِ الدَّوَابَّ ، فَنَفَنَمْ دَوَابَّهُمْ وَنَفُوزُ بِهَا ، وَهُمْ يَسْتَنْقِذُونَ رِمَاحَنَا لَأَنَّا نَكْسِرُهُمْ
فِيهِمْ إِذَا طَعَنَاهُمْ ، وَنُجِّرُهُمْ إِيَّاهُمْ فَيَفْوَزُونَ بِهَا . فَيَقُولُ : انْصَرُفُوا وَقَدْ تَكَسَّرَتْ
رِمَاحُهُمْ بِالْإِجْرَارِ ، وَرَجَعْنَا وَقَدْ تَنَثَّتْ سُيُوفُنَا بِإِعْمَالِنَا إِيَّاهَا فِي الْبَيْضِ وَالدُّرُوعِ
وَقَتَّ الْجَلَادِ .

١٥ - فَبَاتُوا بِالصَّعِيدِ لَهُمْ أَحَاجُّ وَلَوْ خَفَّتْ لَنَا الْكَلْمَى سَرَّيْنَا

يَقُولُ : بَقُوا لِيَلَهُمْ يَنْئُونَ عَلَى الصَّعِيدِ ، وَهُوَ وَجْهُ الْأَرْضِ ، وَلَوْ سَاعَدَنَا
الْطَّائِهُ الْمُحْرُوْحَهُ مِنَّا ، وَقَدَرَتْ عَلَى الشَّرَى لَسَرَّيْنَا ، لَكِنَّ كُلَّاً مِنَ اضْطُرُّ
إِلَى الإِقَامَهِ وَالتَّلَوُّمِ رِيمَهَا يَثُوبُ إِلَيْهِ الْقُوَى بَعْدَ لُحُوقِ الْجَهَدِ ، وَمُشَارَفَهُ
الرَّدَى . وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْأَحَاجَ عَطْشٌ ، وَالْمُشَرِّفُ مِنَ الْجَرَاحِ عَلَى الْمَلَكِ يَعْطُشُ .
وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْأَحَاجَ شِدَّهُ الْوَجْدِ مِنَ الغَيْظِ حَتَّى يُسْمَعَ لَهُ مِنَ الصَّدَرِ
صَوْتٌ ، وَهُوَ عَلَى مَثَالِ الْأَدْوَاءِ وَالْأَصْوَاتِ جَمِيعًا ؛ لِأَنَّ فُقَالًا يَكْثُرُ فِيهِمَا .
وَالْكَلْمَى : جَمْعُ كَلْمَمٍ ، وَفَقْلَى يَكُونُ جَمْعًا لِمَا كَانَ مِنَ الزَّمَانَهِ وَالضَّرَّ
وَأَنْوَاعِ الْبَلَادِ . وَأَبْنِيَهُ وَاحِدَهُ تَخْتَلِفُ .

١٥٣

وَقَالَ بِشَرُّ بْنُ أَبِي ^(١) :

١- إِنَّ الرَّبَاطَ النُّكَدَ مِنْ آلِ دَاهِسٍ كَبُونَ فَمَا يُفْلِحُنَ يَوْمَ رِهَانٍ

(١) التبريزى : « وقال بشر بن أبي بن حام العبسى ، لبني زهير بن جذعة . وبروى :
بشر » . وفي المؤناف ٦١ « بشر بن أبي بن جذعة العبسى ، بضم الباء تصغير بشر » . وقد
سبقت ترجمة « أبي بن حام » في الحماية ١٤٢ .

يُرْوَى « أَبِينَ فَلَا يُفْلِحُنَّ^(١) » ، وَيُرْوَى « كَبُونَ » أَى سَقَطَنَ لِوْجُوهِهَا . قَالَ :

* فَكَبَّا كَمَا يَكْبُو فَنِيقُ تَارِزُ^(٢) *

وَهَذِ الْكَلَامُ تَضَعِّفُهُ بِمَا أَنْتَجَ بَيْنَ أَبْنَى بَغْيَضِ عَبْسٍ وَذُبْيَانَ مِنَ الشَّرِّ ، فِي الرِّهَانِ عَلَى دَاحِسٍ وَالْفَبِرَاءِ ، وَدُعَاءٌ عَلَى دَاحِسٍ وَنَسْلِهِ بِالْأَنْفُسِ فِي خِطَارٍ ، وَأَنْ تَأْبَى النَّجَاحَ فِي سِيَاقٍ ، فَقَالَ : إِنَّ الْخِيلَ الْمَرْبُوْتَةَ الْمَشَائِمَ مِنْ أَلَّ دَاحِسٍ وَدَاحِسًا ، أَبْتَ الشَّبِيقَ فِي حَلْبَةٍ وَمِيدَانٍ ، وَالْفَلَاحَ يَوْمَ خِطَارٍ وَرِهَانٍ . وَالْمَعْنَى : لَا جَعَلَ اللَّهُ لَهَا ذَلِكَ ، فَقَدْ تَرَدَّدْنَا مِنَ الْبَلَاءِ فِي عَمَائِلَاتٍ لَا اِنْكَشَافَ لَهَا . وَخَبَرَ إِنَّ « جَلَبْنَ يَإِذْنَ اللَّهِ » . وَقَوْلُهُ « كَبُونَ فَمَا يُفْلِحُنَّ » أَوْ « أَبِينَ فَلَا يُفْلِحُنَّ^(٣) » اِعْتَرَاضٌ بَيْنَ إِنَّ وَخَبَرِهِ . وَالْمَعْنَى مَعْنَى الدُّعَاءِ ، فَهُوَ كَا يَقَالُ إِنَّ زَيْدًا خَذَلَهُ اللَّهُ فَعَلَ كَذَا . وَمَثَلُهُ فِي الْاعْتَرَاضِ بِالْدُّعَاءِ قَوْلُ الْآخِرِ^(٤) :

..... مَا لَكُمْ تَفَاقَدُتُمْ لَا تَقْدِمُونَ مُقَدَّمًا^(٥)

وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ كَلَهُ إِخْبَارًا مَتَجَرِّدًا^(٦) عَنِ الدُّعَاءِ ، فَيُكَوِّنُ مَعْنَى كَبُونَ وَأَبِينَ ، أَنَّهُ حَصَّلَ لَهُنَّ ذَلِكَ . وَالنُّكُدُ : جَمْعُ أَنْكَدَ . وَالرَّبَاطُ :

(١) كَذَا فِي النَّسْخَيْنِ ، وَرِوَايَةُ التَّبَرِيزِيِّ : « أَبِينَ فَمَا يُفْلِحُنَّ » . وَأَفَلَّ مَاسِيَّاتِي فِي الْحَاشِيَةِ التَّالِيَةِ .

(٢) لَأَبِي ذُؤْبَ الْمَذْنَلِي فِي دِيوَانِ الْمَذْلَيْنِ (١١ : ١٥) . وَعِزْهُ :

* بِالْجُبْتِ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَبْرَعُ

(٣) كَذَا فِي الأَصْلِ . وَفِي مَ : « فَمَا يُفْلِحُنَّ » .

(٤) هُوَ الْمُحْسِنُ بْنُ حَمَّامِ الْمَرَى . الْحَمَاسِيَّةُ ١٣٢ .

(٥) صَدْرُهُ : * فَقْلَتْ لَهُمْ يَا آلَ ذِيَّانَ مَا لَكُمْ *

(٦) أَشِيرُ فِي هَامِشِ نَسْخَةِ الْأَصْلِ إِلَى أَنْهَا فِي نَسْخَةِ أُخْرَى : « بِمَرْدَ

مصدر رابطٌ ، ولذلك وقع على الواحدِ والجمع . والآلُ ، ذَكَر البصريون أنه في معنى الأهل ، لا فرقَ بينهما ، وأنَّ تصغيره أهيلٌ ، وهذا يؤذن بأنَّ أصل ألهِه هلا . وحكيَ ثعلبٌ عن شيوخه أنَّ الأهل ، القرابةُ ، مُتَّبعاً كان أو غير مُتَّبع ، وأنَّ الآلَ المُتَّبعُ وإنْ لم يكنْ ذا قرابةً ، فهما لمعنىَين . قال : وحكي الكسائي في تصغير الآلِ أوْ بَلْ ، وفي تصغير الأهلِ أهيلٌ .

٢- جَلَبَ بِإِذْنِ اللَّهِ مَقْتُلَ مَالِكٍ وَ طَرَحَ حَنَقَ قَيْسًا مِنْ وَرَاءِ عُمَانِ

أخذ يعتقدُ الحصولَ المكرُوهَةَ الحاصلةَ بها ، فيقول : جَلَبَ سَبْقُ دَاحِسٍ بِعِلْمِ الله تعالى قَتْلَ مَالِكَ بْنَ زُهَيرٍ ، وتطرىجَ قَيْسٌ بْنَ زُهَيرٍ من أرضِ العربِ إلى عُمانَ . وكانَ قَيْسٌ نَذَرَ أَلَا يَنْظُرَ فِي وَجْهِ غَطَفَانِيِّ أَبِدًا ، فَدَعَاهُ ذلكَ إِلَى سُراغنةِ العشيرةِ ، والتَّبَاعُدِ فِي الْغَرْبَةِ . وقولُه « بِإِذْنِ الله » من قولِكَ أَذِنْتَ بالقومِ . وفي الحديثِ : « مَا أَذِنَ اللَّهُ لَشِيَ »^(١) . وقدَضَدَ الشَّاعِرُ أَنْ يَذَكُرَ ما أَعْقَبَ سَبْقَ دَاحِسٍ مِنَ الشَّرِّ ، وَأَلْحَقَ مِنَ الشُّؤُمِ . وقولُه « جَلَبَنَ » جَعَلَ الْفَنْظَلَ الآلَ ، وَالْمُرَادَ دَاحِسَ ، لَكِنَّه لَمْ يَجْعَلْ الدُّعَاءَ لَاهُ استمرَّ فِي الإِخْبَارِ عَلَى حَالِهِ وَلَمْ يَغُيِّرْ . ويشبهه قولُ الآخر :

إِنَّ ابْنَ آلِ ضِرَارٍ حِينَ أَنْدَبَهُ زَيْدًا سَعَى لِسَعْيًا غَيْرَ مَكْفُورٍ

أراد : إنَّ ابنَ ضِرَارٍ زِيدًا ، فذَكَرَ الآلَ وَالْمُرَادُ غَيْرُه . وهم في كثير من الموضع أقاموا الْوَالِدَ مَقَامَ الْوَالَدِ وَالْوَالَدَ مَقَامَ الْوَالَدِ ، والعشيرةَ مَقَامَ الْوَاحِدِ مِنْهَا ، والواحدَ مَقَامَ العشيرةِ ، لأغراضٍ مُخْتَلِفةٍ ، حينَ أَمِنُوا الاتِّبَاسَ . وَمَمَّا يُجَانِسُ هَذَا زِيادَتِهِمْ « ذُو » وَ« حَيٌّ » . أَنشَدَ أَبُو زِيدَ :

(١) تمامُ الحديثِ ، كافٍ للسان : « مَا أَذِنَ اللَّهُ لَشِيَ كَذَنَهُ لَنِبِيٍّ يَتَنَزَّلُ بِالْقُرْآنِ » . وقد فسرَ الأذنَ ، بالتجزِيكَ ، أَنَّه الاستئنافَ .

يَا قُرَّ إِنَّ أَبَاكَ حَىٰ خُوَيْلِدٌ قَدْ كُنْتَ خَائِفَهُ عَلَى الإِنْجَاحِ^(١)
وَقَالَ الشَّمَاخُ :

* فَأَدْمَجْ دَمْجَ ذَى شَطَنَ بَدِيعَ^(٢) *
وَالْقَصْدُ إِلَى خُوَيْلِدٍ وَإِلَى شَطَنِ .

٣- لُطِّفَنَ عَلَى ذَاتِ الإِصَادِ وَجَمِعَكُمْ يَرَوْنَ الْأَذَى مِنْ ذِلَّةٍ وَهَوَانِ
الملطوم دَاحِسٌ ، فَبَرِى عَلَى مَا بَنَى عَلَيْهِ السَّكَلَامَ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنْ نَسْلِهِ
وَآلِهِ . وَكَانَ حُدَيْفَةُ بْنَ بَدْرٍ أَرْصَدَ فَتَيَانًا لَهُ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ لَمَّا تَفَاقَ هُوَ
وَقَيْسُ عَلَى الْفَرَسَيْنِ فِي مَوْضِعٍ مِنْ ذَاتِ الإِصَادِ لَقُبَّ بِشِعْبِ الْحَيْسِ - سَلْيَسِ
أَكْلُوهُ فِيهِ - وَقَالَ لَهُمْ : إِنْ جَاءَ دَاحِسٌ مُتَقَدِّمًا سَابِقًا فَالظِّمُومُ وَهَبَّهُونَهُ عَنِ
الْغَایِةِ حَتَّى تَقْدَمَهُ الْفَبَرَاءُ ، فَرَأَيْهُمْ دَاحِسٌ مُبَرَّزًا وَفَعَلُوا بِهِ مَارَسَمَ لَهُمْ حَتَّى
تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِرَاءِ ، فَاجْتَهَدَ دَاحِسٌ وَتَكَلَّفَ مِنَ الْعَدُوِّ مَا لَقَبَاهَا ، وَتَقَدَّمَ
عَلَيْهَا ثَانِيًّا بَعْدَ إِنْجَاحِهِ . وَقَوْلُهُ « وَجَمِعَكُمْ يَرَوْنَ الْأَذَى » ، يَخَاطِبُ بَنِي
عَبْسٍ ، وَإِنَّمَا يَصِفُّ مَا نَيَّلَ مِنْهُمْ وَرَكِبُهُمْ مِنَ الْمَضِيمَةِ فِي فَرَسِهِمْ لَمَّا لُطِّمَ ، وَفِي
أَنفُسِهِمْ حِينَ مُنْعِوا مَا اسْتَحْقَقُهُ . وَاللَّطَّمُ : الضرُبُ فِي الْخَدَّ ، ثُمَّ قِيلَ فَرَسٌ
لَطَّمَ تَشِيهًا بِذَلِكَ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ هُوَ تَمْسُوكُ بِالْجَمَالِ مَسْجَحًا . وَذَاتِ الإِصَادِ
يُرِيدُ الْبُقْعَةَ الَّتِي فِيهَا الإِصَادُ ، وَيُقَالُ هِيَ رَدْهَةٌ بَيْنَ أَجْبَلٍ . وَالرَّدْهَةُ
كَالْحَفَرَةِ^(٣) يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمَاءُ ، وَالْجَمِيعُ الرَّدَادُ .

٤- سَيْمَنَعْ مِنْكَ السَّبِقُ إِنْ كُنْتَ سَابِقًا وَتُقْتَلُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمَانِ

(١) نَوَادِرُ أَبِي زِيدٍ ١٦١ .

(٢) صدره في ديوان الشماخ : ٦١

* أَطْلَارُ عَقْيقَةِ عَنْهُ نَسَالَ *

(٣) م : « الْحَفَرَةُ » وَأُسِيرَ فِي الْأَصْلِ إِلَى أَنْهَا فِي نَسْخَةِ « كَالْفَرَةُ » .

هذا يحتمل وجهاً : أحدهما أنه جعل الخطاب لصاحب الفرس على المجاز والاسْعَة ، والمقصود الفرس ، فيقول : ثُمَّنَعْ من السَّبِقِ إِن سَبَقْتَ — وهذا إشارة إلى ما كان منهم من لَطْمٍ دَاحِسٍ . وقد قُدِّمَ ذِكْرُه — فَإِن خَفَتْ قَدْمَكَ بِكَ وَبَرَزَتْ ثَانِيَاً أُتْيَ عَلَيْكَ . ويكون قوله « زَاتْ بِكَ الْقَدْمَانِ » على ما فَسَرْنَاهُ من قوله قدح زَلْوَلْ ، إذا كان خفيفاً . وهذا وجْهٌ . والثاني أن يُترك الخطاب على ظاهره وحَدَّه ، فيكون المعنى : سَيُمْنَعُ مِنْكَ التَّنَقُّعُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطْرِ بِسَبِقِ فَرَسْكٍ ، فَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ قَدْمَكَ عَنْدَ التَّقاضِيِّ بِهِ ، وَفِي الدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِكَ فِيهَا يُرَادُ مِنْ ظُلْمِكَ وَيَرَامُ مِنْ هَضْمِكَ قُتِّلَتْ أَيْضًا . وهذا أَقْرَبُ وأُشَيْهُ بِالْقِصَّةِ .

١٥٤

وقال غَلَاقُ بْنُ مَرْوَانَ^(١) :

١— هُمُ قَطَعُوا الْأَرْحَامَ بَيْنِ وَبَيْنَهُمْ وَأَجْرَوْا إِلَيْهَا وَامْتَحَلُوا الْمَحَارِمَا
قطَعُوا بِالْتَّحْفِيفِ يَضْلُّ لِقْلِيلِ الْفِعْلِ وَكَثِيرِهِ ، فَإِذَا تَقْلَدَ لَمْ يَكُنْ
إِلَّا لِتَكْثِيرِ أوِ التَّكْرِيرِ . وَالشَّاعِرُ يَصِفُّ مَا أَجْرَى إِلَيْهِ الْقَوْمُ فِي سَبِقِ دَاحِسٍ
مِنْ قِطْيَعَةِ الرَّسِّمِ ، وَاتْهَاكِ الْمَحْرَمِ ، وَاسْتِحْلَالِ الْمَحْظُورِ الْمَحْرَمِ ؛ وَيَقْتَصِّ
مَا تَنَقُّلُوا فِيهِ وَتَدْرِجُوا إِلَيْهِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَشَيْئًا بَعْدَ شَيْئًا . وَقَوْلُهُ « أَجْرَوْا
إِلَيْهَا » الإِجْرَاءُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمُنْكَرِ الْمَذْمُومِ ، وَمَفْعُولُهُ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ أَجْرَوْا

(١) التبريزى : « غلاق بن مروان بن الحسين بن زبناع ». البهيج : « يكون غلاق فعلاً من غلق الباب ونحوه ، وهذا أقرب لها لزنة فعل من أفعال ، إنما جاء منه أساور فهو سار ، وأدرك فهو دراك ، وأجر فهو جبار ، وأقصر فهو قصار . وقرأ « ضمهم » : يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد . ومروان : علم مرتعيل » .

فِعَلَهُمْ إِلَيْهَا ، والضمير في «إِلَيْهَا» للقطيمة ، لأن الفعل يدل على مصدره . وهذا كما يقال : مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ ، أَى كَانَ الْكَذِبُ شَرًّا لَهُ .

٣ — فِيَالِيَّةُ كَانُوا لِأَخْرَى مَكَانَهَا وَلَمْ تَلِدِي شَيْئًا مِنَ الْقَوْمِ فَاطِمًا
الْبَيْتُ عَلَى كَلَامِينْ : صَدْرُهُ إِخْبَارٌ ، وَعَجْزُهُ خَطَابٌ لِفَاطِمَةَ ، وَهِيَ أَخْتُ
هُنْ . وَمِثْلُهُ فِي أَنَّهُ عَلَى كَلَامِينْ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي
لِذَنْبِكِ﴾ . وَالشَّاعِرُ قَصْدُهُ إِلَى إِظْهَارِ التَّوْجِعِ مِنَ الْحَالِ ، فَيَقُولُ مِيقَنِيًّا : بِوَدِّي
إِنْ يَكُونُوا لَوْصْلَةٍ وَقِرَابَةٍ غَيْرُ وَصْلَتِهِمْ وَقِرَابَتِهِمْ ، حَتَّى لَا يَبْلُغَ الْجَفَاهَ مِنْ جَهَتِهِمْ
مَبَالِغَهُ فِي نُفُوسِنَا ، لَأَنَّ ظُلْمَ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ تَأثِيرًا . وَالشَّرُّ إِذَا وَرَدَ عَلَى
الْإِنْسَانِ مِنْ مَظَانِهِ الْخَيْرِ كَانَ أَنْفَذَ تَحْزِيرًا . فَقَوْلُهُ «كَانُوا لِأَخْرَى مَكَانَهَا»
أَى لِقَرَابَةٍ أُخْرَى مَكَانٌ هَذِهِ الْقِرَابَةُ ، أَوْ لِأَرْحَامٍ أُخْرَى مَكَانٌ هَذِهِ الْأَرْحَامُ .
وَقَوْلُهُ «لَمْ تَلِدِي شَيْئًا» تَمَنَّى ارْتِقَاعَ الْوُصْلَةِ كَمَا تَمَنَّى فِي الْأُولَى انْقِطَاعَ الْقِرَابَةِ ؛
كَانَهُ وَدَّ بَعْدَ اسْتِبْدَالِهِمْ بِالْتَّنَاصُرِ تَدَابِرًا ، وَبِالْتَّوَاصُلِ تَقَاطُعًا ، أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْهُمْ
غُرَباء . وَقَوْلُهُ «فِيَالِيَّةُ» الْمُنَادَى مَحْذُوفٌ ، أَرَادَ يَا قَوْمَ لَيْتَهُمْ .

٣ — فَمَا تَدَعَى مِنْ خَيْرٍ عَدْوَةٌ دَاحِسٌ فَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا يَا ابْنَ وَبْرَةَ سَالِمَا
يَدْمُمْ مَا أَحْمَدُوهُ مِنْ سَبْقِ دَاحِسٍ وَتَبْرِيزِهِ ، وَيُسُوئِي رَأْيَهُمْ فِي تَبْجِيِّهِمْ ،
وَيَعْرُفُهُمْ قُبْحَ عَاقِبَةِ مَا اخْتَارُوهُ ، وَسُوءَ مَغْبَةِ مَا شَرَعُوا فِيهِ . وَإِنَّمَا قَالَ «مَا تَدَعَى عَيْ

لَأَنَّ أَصْحَابَ النَّبِرَاءِ كَانُوا يَعْلَمُونَ^(١) سَبْقَ دَاحِسٍ وَيَنْكِرُونَهُ ، فَلِهَذَا عَلَقَ مَا حَكَاهُ
عَنْهُ بِالْدَّاعُوَيِّ . وَقَوْلُهُ «مِنْ خَيْرٍ عَدْوَةٍ» أَى مِنْ نَفْعِهِ وَسَنَاءَ ذِكْرِهِ . وَقَوْلُهُ
«فَمَا تَنْجُ مِنْهَا» رَدَّ الضَّمِيرِ عَلَى الْمَضَافِ إِلَيْهِ وَهُوَ الْعَدْوَةُ . يَرِيدُ : لَمْ يَرْجِعْ

(١) هَذَا مَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : «لَأَنَّ أَصْحَابَ النَّبِرَاءِ لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» .

إِلَيْكُمْ مِنْهَا جَدْوَى ، وَلَا ارْتَقَعَ الْأَسْرُ فِيهِ كَفَافًا . وَلَمَّا فَاتَتِ الْغَنِيمَةُ فِيهِ لَمْ تَحْصُلْ لَكُمُ السَّلَامَةُ أَيْضًا .

٤ — شَاءْتُمْ بِهَا حَيَّيْ بَغْيَضٍ وَغَرَبَتْ أَبَاكَ فَأُوذَى حَيْثُ وَالِّأَعْاجِمَ
قال أبو زيد : يقال شَاءَمَ فلانُ أَحَبَابَهُ ، إِذَا أَصَابَهُمُ الشُّؤُمُ مِنْ قَبْلِهِ .
وَ « بَهَا » يُرِيدُ بِالْعَدْوَةِ ، وَهَذَا تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : فَمَّا تَنَجَّمَ مِنْهَا يَا ابْنَ وَبْرَةَ سَالِمًا .
يَقُولُ : أَوْقَتْمُ بَعْدَوْهَا وَالْخُطَارِ عَلَيْهَا الشُّؤُمُ فِي حَيَّيْ بَغْيَضٍ : عَبْسٌ وَذَبَيَانٌ ،
وَأُخْوِجَ أَبُوكَ — يَعْنِي قَيسَ بْنَ زُهْرَةَ — إِلَى تَرَكٍ أَرْضِ الْعَرَبِ وَمَهَاجِرَتِهَا .
يَعْنِي حِينَ أُخْرِجَ^(١) وَأَزْرَعَ إِلَى بَلَادِ الْعِجْمَ ، حَتَّى صَارَ يُوَالِيْهِمْ بَهَا ، إِلَى أَنْ
مَاتَ غَرِيبًا بَيْنَ ظَهَرَانِهِمْ . وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ « حَيْثُ » إِلَى عُمَانَ وَمَا وَرَاءَهُ .

٥ — وَكَانَتْ بَنُو ذَبَيَانَ عَزًّا وَإِخْوَةً فَطَرِّتُمْ وَطَارُوا يَضْرِبُونَ الْجَمَاجِمَ
يَقُولُ : كَانَ بَنُو ذَبَيَانَ لَكُمْ يَا بَنِي عَبْسٍ مَلَادًا وَعَزًّا ، وَمَتَادًا وَظَهَرًا ،
لَا يَجْمَعُكُمْ وَإِنَّاهُمْ مِنَ الْأَخْوَةِ ، فَاطَّرَ حَمْ مَوَاتَ التَّازِجُ وَالْتَّشَابُكُ ،
وَتَحَاوَزُتُمُوهَا إِلَى التَّجَاذِبِ وَالتَّقَائِلِ . وَهَذَا تَحْسِيرٌ لِلْمُخَاطَبِ فِيهَا اِنْتَقَلَ عَنْهُ مِنْ
مَوَالَةِ الْعَشِيرَةِ ، وَالْإِبْقاءِ عَلَى الْأَحْوَالِ الْجَامِعَةِ ، وَتَلْهِيفُ فِيهَا اِنْتَقَلُوا إِلَيْهِ مِنْ تَهْبِيجِ
الْحَرْبِ ، وَبَسْطِ الْأَذَى وَالشَّرِّ ، وَتَنبِيَهُ عَلَى مَا يَتَّقَبَّ أَحْوَالَهُمْ إِنْ اسْتَمْرَرُوا عَلَيْهَا
مِنَ التَّقَنَى وَالتَّهَالُكِ . وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ : فَطَرِّتُمْ تَضْرِبُونَ وَطَارُوا
يَضْرِبُونَ ، فَأَكْفَفَ بِالْإِخْبَارِ عَنِ إِحْدَى الْفَرَقَتَيْنِ ، إِذْ قَدْ عَلِمْ أَنَّ حَالَ الْأُخْرَى
كَحَالِهِمْ . وَمَعْنَى طَرِّتُمْ : تَسْرَعَتُمْ ، كَمَا قَالَ :

* طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا^(٢) *

(١) كَذَافَ م . وَفِي الأَصْلِ : « أُخْرَجَ » بِالْمَاءِ الْمُجَمَّةِ .

(٢) مِنَ الْحَاسِيَةِ الْأُولَى . وَصَدْرُهُ :

* قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَهُمْ *

٦ — فَاضْحَتْ زُهِيرٌ فِي السَّنَينَ الَّتِي مَضَتْ وَمَا بَعْدُ لَا يُدْعَوْنَ إِلَّا أَشَائِعًا
أَنْتَ الْفِعْلُ لَانَّ الْمُرَادُ بِذَكْرِ زُهِيرٍ الْقَبِيلَةُ بِأَسْرِهَا . وَمَعْنَى يُدْعَوْنَ يُسَمَّوْنَ ،
كَمَا قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ :

* وَكُنْتُ أَدْعُو قَدَّاهَا الْإِثْمِ الدَّرِيدَ (١) *

يُرِيدُ أَسْمَى ، وَلِذَلِكَ تَعْدَى إِلَى مَفْعُولِينَ ، فَيَقُولُ : صَارَ أَسْلَافُ بْنِ زُهِيرٍ
ابْنَ حُذَيْفَةَ وَأَخْلَافُهُمْ لَا يُسَمَّوْنَ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا إِلَّا الشَّائِعَ . وَالشَّائِعُ : جَمْعُ
شَائِعٍ . وَيَقُولُ : جَرَتْ لَهُمْ طَيْرٌ شَائِعٌ ، أَى جَرَتْ لَهُمْ بِالشَّوْءِ . وَقَالَ زُهِيرٌ :
* فَتُنْتَجُ لَكُمْ غَلَمانَ شَائِعَ (٢) *

أَى غَلَمانٌ أَمْرِي شَائِعٌ . وَقَوْلُهُ « فِي السَّنَينَ » يُحَوِّزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِأَضْحَتْ ،
وَيُحَوِّزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِقَوْلِهِ « لَا يُدْعَوْنَ » . وَقَوْلُهُ « وَمَا بَعْدُ » يَرَادُ بِهِ وَفِيهَا بَعْدٌ
فَيَكُونُ مَا مَعْطُوفًا عَلَى السَّنَينَ . وَيُحَوِّزُ أَنْ يَكُونُ مَوْضِعُ « مَا » نَصْبًا عَلَى أَنْ
يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى مَوْضِعٍ فِي السَّنَينَ لَا عَلَى لَفْظِهِ ، لَانَّ مَوْضِعَهُ نَصْبٌ لِكَوْنِهِ
ظَرْفًا . وَيُحَوِّزُ أَنْ يُجْعَلَ مَاصِلَةً ، كَأَنَّهُ فِي السَّنَينَ الْمَاضِيَّةِ وَبَعْدُهَا . وَيُحَوِّزُ أَنْ
يُرْوَى : « وَمَنْ بَعْدُ لَا يُدْعَوْنَ » ، وَهُوَ حَسَنٌ . وَذَكْرُ بَعْضِهِمْ (٣) أَنَّ مَا مِنْ قَوْلٍ
« وَمَا بَعْدُ » لَا يُحَوِّزُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا صَلَةً وَزَائِدَةً (٤) لَانَّ بَعْدَ لَمَّا جُعِلَ غَايَةً
وَدَخَلَهُ النُّفَصَانِ يُحَذَّفُ مَا كَانَ مُضَافًا إِلَيْهِ امْتَنَعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِبْنِيًّا عَلَى شَيْءٍ
وَخَبَرًا عَنْهُ ، وَإِذَا امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ صَلَةً لِمَوْصُولِ ، لَانَّ الذِّي يَكُونُ

(١) صدره ، كافي اللسان (دعا) :

* أَهْوَى لَهَا مُشَفَّصَا جَشِراً فَشَبَرَهَا *

(٢) ثانية : فَتُنْتَجُ لَكُمْ غَلَمانَ شَائِعَ كَمَرٍ عَادَ ثُمَّ تَرَضَعَ فَنَفَطَمْ

(٣) هو ابن جحني في التنبية .

(٤) نص التنبية : « يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَا مِنْ قَوْلٍ : وَمَا بَعْدُ ، زَائِدَةً ... » الخ

صلة من الظروف والجمل هو ما جاز أن يكون خبر المبتدأ . وليس الأمر على ما قاله ، ألا ترى أن قوله عزَّ وجلَّ : « قَالَ كَبِيرُهُمْ أَمَّا تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتِيقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلِ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ » . معناه : ومن قبل الذى فرطتم في يوسف ، أى قدْمَتُمْ . ويجوز أن يُرادَ : ومن قبل تفريطكم ، فيكون ما مع الفعل في تقدير مصدر . وعلى الوجهين جهيناً ما في موضع رفع ومن قبل خَبَرَه . وذكر أبو إسحاق الزجاج في ما من الآية ثلاثة أوجه ، ما ذكرنا أحدهما . وإذا كان الأمرُ على هذا فما ذكره هذا القائل غير صحيح ، لأنَّ قد أَرَيْتُكَهُ بَعْدَ وَهُوَ غَايَةُ خَبَرًا ، وَكَوْنُهُ صِلَةً تابِعًا لِكتونه خَبَرًا ، فاعلمه .

١٥٥

وقال المساور بن هند^(١) :

١ - أَوْدَى الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مُتَقَرَّرٌ وَقَدِتُ أَتْرَابِي فَإِنَّ الْمَغْبِرَ^(٢)
يقول : أَدْبَرَ الشَّبَابُ وَوَلَى^(٣) ، فَهُوَ فَائِتٌ لَا يُتَّبَعُ^(٤) ، وَمَطَلُوبٌ
لَا يُلْحَقُ ، وَعَدِمَتْ نُظُرَانِي وَأَقْرَانِي ، فَإِنَّ بَقَائِي بَعْدِهِ ، وَكَيْفَ خَلَاصِي مِمَّا
اخْتَرَهُمْ وَأَفَنَاهُمْ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَوْجِعُ وَتَحْسِرُ لِمَا تَقْضِي مِنْ شَبَابِهِ ، وَعَنْفَوَانِ
عُمْرِهِ^(٥) وَتَقْدَمَ مِنْ أَقْرَانِهِ وَلِدَاتِهِ . أَى إِذَا خَلَوْتُ مِنْهُمْ ، وَصِرَّتُ عَائِشًا فِي

(١) سبقت له الحاسية ١٤٨ .

(٢) التبريزى : « وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَنْشُدُ : وَقَدِتُ أَصْحَابِي » .

(٣) هذا ما في م . وفي الأصل : « وَقَدِ » مع الإشارة إلى أنها في نسخة أخرى : « وَوَلِ » .

(٤) م : « لَا يُتَّبَعُ » .

(٥) أُشَيْرُ فِي الأَصْلِ إِلَى أَنَّهَا فِي نَسْخَةٍ : « أَمْرَهُ » .

غَيْرِهِمْ فَكُمْ عَسَى أَنْ أَبْقَى بَعْدَهُمْ . ويقال غَبَرْ إِذَا مَضَى ، وغَبَرْ إِذَا يَقِيْ .
ويريد^(١) بالغَبَرْ هنا البقاء ، ويقال : افتقرتُ الشَّيْءَ ونَفَرْتُهُ ، إِذَا تَبَعَّتَهُ .

٢—وَأَرَى الْفَوَانِيَ بَعْدَمَاً وَجَهَنَّمِي أَعْرَضْنَ ثُمَّ قُلْنَ شَيْخُ أَعْوَرُ
الغَوَانِي : جمع غَانِيَةٍ ، وهى التي تَسْتَغْفِي بزوجها عن الرِّجال ، وقيل هي
التي تَسْتَغْفِي بمحاسنها عن التَّزِين بالحلَّى . وقال أبو عبيدة : هي المتزوَّجة ، وأنشد
لمحيل بن معتمر :

حَبَبْتُ الْأَيَّارِ إِذْ بُنْتِيْهُ أَيْمُونَ فَلَمَّا تَغَنَّتْ أَعْلَقْتُنِي الْفَوَانِيَّا
وأنشد ابن الأعرابى :

* أَزْمَانَ لَيْلَى كَعَابْ غَيْرُ غَانِيَةَ^(٢) *

والشاعر يقول متشكّلاً من الشَّيْبِ المُغَتَّاضِ من الشَّبَاب ، ومن الضعف
التَّابِع لصحة الجسم ، ومن السقوط والانحطاط بعد الجاهِ عند الغانيات : أرى
النساء بعدما كُنَّ يَجْعَلُنَّ لِي عِنْدَهُنَّ جاهاً أَعْرَضْنَ عَنِ واطرَحَنَّى ، وأَبْدَلْنَى بالحمد
ذَمَّاً ، وبالتسمية تَلْقِيَّاً وَبَرْزاً^(٣) ، فتى ذُكِرْتُ عِنْدَهُنَّ قلن هو شَيْخُ أَعْوَرُ .
وقوله «أَوْجَهَنِي» من الواجهة : المَنِزَّلَة . يُقَالُ وَجَهْ وَجَاهَة ، وَوَجَهَنِيُّ السُّلْطَان
وأَوْجَهَنِي : جعل لي جاهًا ومنزلة . ورَجُلْ مُوَجَّهْ وَوَجِيهْ . وقوله «شَيْخُ»
ارتفاع على أنه خبر مبتدأ مذوف ، وقد ماضى القول في الناء من ثُمَّتَ ورُوتَ ،
وأنه عالمة التأنيث للقصة . وجُعِلَتْ تاءً مفتوحة فرقاً بينها وبين التي تلحقُ
الفعل والاسم .

(١) أشير في الأصل إلى أنها في نسخة : « ويراد » .

(٢) لنصيب ، كما في اللسان (غنا) . ويعزه :

* وأنت أمرد معروف لك النزل *

(٣) البرز ، بالفتح : التلقيب ، وبالحرافيك : اللقب .

٣— ورأينَ رأسِي صارَ وجْهًا كُلُّهُ إِلَاقَفَائِي وَلِحْيَةُ ما تُضَرِّرُ^(١)

يقول مستمرًا في تكليف المجرى إنما تولى من الشباب ، وبساطاً معدّرةً النساء فيما استجدهن له : رأيني قد صلقتُ وانحرس الشَّغَرُ عن رأسِي حتى صار كلهُ كوجهِي ، إِلَاقَفَائِي فإنَّ به تبذاً مِن الشَّعَرِ ، وإِلَاحِيَة لا تُقام مقام الدُّوَابَة في الصَّفَرِ والتَّجَمِيلِ . فقوله « لِحْيَةُ ما تُضَرِّرُ » تَحَسَّرُ على ما عَدِمَ في رأسِه من الضَّفَائر وإن كانت اللِّحْيَة لم يُعتَدْ ضَفْرُها . وقوله « كُلُّهُ » ارتفع على أنه توكيده للمُضَرِّر في صار ، أو على أنه اسم صار ، أو على أنه يرتفع بفعله و فعله مادَّلَ عليه قوله « وجْهًا » كأنَّ المراد توجَّهَ كُلُّهُ ، ويكون كقولك رأيت زَبْداً قَيْسِيَاً أبوه ، أى تقَيَّسَ أبوه ، وسررت بِسْرَجٍ خَزِيَّ صفتَه^(٢) .

٤— ورأينَ شَيْخًا قد تَحَنَّى صُلْبُهُ يَمْشِي قَيْقَعْسُ أوْ يُكِبِّ قَيْعَرُ^(٣)

يقول : ورأينَ شَيْخًا منْحِيَ الصلَبِ ، مُحْدَوِّدَ الظَّهَرِ ، يَمْشِي مِشِيَةَ القُعَسان إذا استمرَّ في المشي ، أو يتعرَّف في سقط لوجهِه . وكان الواجب أن يقول : أو يَعْتَرُ فِي كِبِّ ، لأنَّ العِثَارَ قَبْلَ السُّقُوطِ للوجهِ ، لكنَّه لم يُبَالِ بِتَعْبِيرِ التَّرتِيبِ ، لأنَّه من الالتباس ، وهذا دون ما يجيئ في كلامِهم من القلبِ ، مثل قوله :

* كَمَا أَسْلَمَتْ وَحْشِيَّةً وَهَقَا *

(١) ابن جني : « يروى كله بالرفع والنصب . فالنصب على أنه توكيده للرأس ، والرفع على أنه توكيده للضمير في صار . والوجه الرفع ، وذلك أنه ليس يريد أنهن رأين رأسه كله ، وإنما يريد أنهن رأين رأسه قد صار كله وجهًا . وقد يجوز أيضاً أن يكون كله صفة أو صار ، حتى كانه قال : ورأين رأسِي صار جمعه وجهًا ... وقد يجوز أن يكون كله صفة أو تأكيداً ، وهو أولى من أن يباشر به العامل ، ألا تراه أخاً مالا يباشر العامل أبداً ، وهو أجمع وأجمون ». (٢) الصفة : هنة كالمفرقة فوق السرج ، بغير لة الميزة للرجل .

(٣) يقعن ، كذا ضبطت بضم العين في الأصل ، وهي رواية أبي هلال ، كما نص التبريزى . وضبطت في م . بفتح العين . التبريزى : « ورأى : يقعن . أى يضطرب . ومنه تقعوشت الحمية ، إذا سقطت ».

وَكَوْلُ امْرِيٍّ الْقِيسُ :

* كَمَا زَلَّتِ الصَّفَوَاهُ بِالْمُتَنَزَّلِ^(١) *

ويقال : قَعْسَ يَقْعُسُ ، إِذَا صَارَ أَقْعَسَ خَلْقَةً فِيهِ ، وَقَعْسَ يَقْعُسُ قَعْسَانَا
إِذَا مَشَى مِشِيَّةً أَقْعَسِ تَكْلُفًا ، وَمُثْلَهُ عَرِجَ يَعْرَجُ وَعَرَجَ . وَيُقَالُ : أَكَبَ
رَيْدٌ فَلَا يَتَعَدَّى ؛ وَكَبَّةُ اللَّهِ لَوْجَهُ ، وَهَذَا عَلَى الْعَكْسِ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَفْعَالِ .
وَمُثْلُهُ أَقْلَمَ الْغَيْمِ وَقَلْعَةُ اللَّهِ .

٥ — لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرَّوْا فِتْنَةً عَمِيَّاءً تُوقَدُ نَارُهَا وَتُسْعَرُ^(٢)

إِنَّمَا قَدَّمَ مَا افْتَصَّهُ مِنْ ضَعْفِهِ وَكَبْرِتِهِ ، لِيُرِيَ الْعُذْرَ فِيمَا يَقْحِزُ عَنْهُ مِنْ
النَّهْوَضِ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا ، فَيُقَوْلُ : لَمَّا وَجَدْتُ النَّاسَ قَدْ كَرِهُوْا مَا تَرَدَّدُوا
فِيهِ مِنْ فِتْنَةٍ لَا يُهْتَدَى لَوْجَهِهَا ، وَلَا يُقْتَدِرُ عَلَى كَشْفِهَا ، تَسْتَعِرُ نَارُهَا
وَتَتَلَهَّبُ ، وَيُبَتَّعُ شَرُّهَا فَيَسْتَهِمُ . وَيَعْنِي بِهَذَا فِتْنَةَ ابْنِ الزَّبِيرِ وَعَبْدِ الْمَلِكِ .
وَجَوَابُ لَمَّا مُنْتَظَرٌ ، وَهُوَ هَذَا مُحْذَوْفٌ يَدْلُلُ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : انْقَبَضَنَا
عَنِ النَّهْوَضِ فِيهَا وَالْحَرَّاكُ ، لِنَنْتَظِرَ مَاذَا تَكُونُ . وَالْفِتْنَةُ الْعُمِيَّةُ : الَّتِي لَا يُهْتَدَى
فِيهَا لَوْجِهُ أَمْرِيٍّ ، وَفَصْلٌ شَانٌ . وَالْعَمِيَّةُ : التَّلَبِيسُ . وَيُقَالُ : هُوَ فِي عُمِيَّانِهِ^(٣) ،
أَيْ عَمَاءُ ، مَصْدَرُهُ كَالْطَّفَيْلَانُ .

٦ — وَتَشَبَّهُوا شُعْبًا فَكُلُّ جَزِيرَةٍ فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْهُ^{*}
شَعْبَتُ يَكُونُ بِمَعْنَى جَمِيعَتُ وَبِمَعْنَى فَرَقَتُ . وَيُقَالُ التَّأَمَ شَعْبُهُمْ ، إِذَا
اجْتَمَعُوا بَعْدَ تَفَرُّقٍ ؛ وَتَفَرَّقَ شَعْبُهُمْ ، إِذَا تَبَدَّلُوا بَعْدَ تَجْمَعٍ . وَالشَّعْبَةُ :
الْطَّائِفَةُ ، وَجَمِيعُهَا شَعْبٌ . يَقُولُ تَفَرَّقَ النَّاسُ فِرْقًا ، فَصَارَ الْاِخْتِلَافُ لَازِمًا

(١) صدره : * يَزِلُ الدَّلَامُ الْحَفَ عن صَهْوَانِه *

(٢) م : « فَسْعَرَ » بالفاء . (٣) هَذِهِ الْكَلْمَةُ مَا لَمْ يَرِدْ فِي الْمَعْجَمِ الْمَنْدَوَةِ .

لأهواهم ، والتبان مفترٍ نا بآرائهم ، في كل جزيرة أمير المؤمنين ومينبره ، يدعى
إلى نفسه ويخطب على منبره لجذب^(١) الأمر إليه . وقوله « أمير المؤمنين »
لفظه معرفة بالإضافة المعتادة في هذه اللفظة للألوهة على الحد الذي ترى ، لكن
التنوين ممنوي ، وإذا كان كذلك كان في حكم النكيرات . وإنما ساغ ذلك
لأن قوله « أمير المؤمنين » يشار به إلى الحال ، أى فيها أمير على المؤمنين ،
واسم الفاعل إذا أريد به الحال أو الاستقبال كانت إضافته على وجه التخفيف
لا على وجه التعريف ، ويصير التنوين الذي هو الأصل ممنويًا فيه ، وعلى هذا
قوله : « عارضْتُ نَمِطْرَنَا » لأن التقدير نمطرنا لنا . وكذلك قوله عز وجل :
« هَدَيْنَا بِالْحَقِّ الْكَعْبَةَ » . وعنى بذلك ابن الزبير ونظراه من كان يتطلب
الخلافة في أيام عبد الملك بن مروان . وهذا البيت منعطف بما فيه على قوله
« كَهْرُوا فِتْنَةً » .

٧ — ولتعلمنَ ذُبْيَانَ إِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ أَنَا لَنَا الشَّيْخُ الْأَغْرِيُ الأَكْبَرُ^(٢)
يقول على وجه التوعيد : لتعلمنَ هذه القبيلة إن توجهت نحونا أنا لنا
هذا الرئيس المشهور الشأن ، العظيم الأمر . ويقال : عَنِيهِ زَهَيْرَ بنِ جَذِيْمَةَ
القبسي . وقيل هو قيس بن زهير . ويروى : « إِنْ هِيَ أَدْبَرَتْ » . وللمعنى :
إن وللت وأعرضت ، فإنها ستعلم أنا نكتفي من دونهم . ويجوز أن يكون
المراد بأدبرت : تركت الحق . وجواب إِن في قوله : « لتعلمنَ ذُبْيَانَ » ،
وقد مضى مثله .

٨ — ولنا قنَّةٌ مِنْ رُدَيْنَةَ صَدَقَةٌ زَوْرَاهُ حَامِلَهَا كَذَلِكَ أَزْوَرُ

(١) هنا ماقيل . وفي الأصل : « بجذب » .

(٢) في الأصل : « إِنْ هِيَ أَدْبَرَتْ » ، والوجه ما أتيتنا من م والتبريزى ، كما يدل
عليه سياق الشرح .

قوله : « من رُدِّيَّةَ » أى من رِمَاحِ رِدِّيَّةِ ، وهى امرأةٌ كانت تبيع الرِّمَاحَ ؛ خذف المضاف . والصَّدَقَةُ : الصَّلَبَةُ ، والعرْبُ تَذَكَّرُ القناةَ وصلابتها واعوجاجها ، وأنَّها لا تلين ولا تقبل التَّقويمِ والتَّسْقِيفَ ، ضاربةً بها المثلَ في الْخِلَافِ والإِيَاءِ ، والامتناعِ والتَّعَسُّرِ على من يُرِيدُ إِكْرَاهَهُمْ ، والتَّصَعُّبُ على من يُرِيدُ^(١) تَلْيِنَهُمْ أو النَّفْضَ مِنْهُمْ . والمعنى : قَنَاتُنَا لَا تَسْقِيمٌ لِمُقْوِمٍ ، وحَامِلُهَا لَا يَنْقَادُ لِجُنْدِبٍ . وعلى هذا قول عمرو بن كلثوم :

عَشْوَرَةَ إِذَا غَمَرْتُ أَرَنَتْ تَشْجُّعًا فَقَاءِ الْمُقْوِمِ وَالْجَيْنَاتِ^(٢)

وقول الآخر^(٣) :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلْيِنُ لِغَافِنِ فَلَأَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاهُ

وهذا الشاعر لم يَرُضْ بذِكْرِ القناةِ وما جَرَتْ به العادة من وصف اعوجاجها ، حتَّى عَقَبَهُ بقوله « حَامِلُهَا كَذَلِكَ أَزْوَرُ » ، فزاد على مَن تَقدَّمَ كَاَتَرِي ، وإنما أراد التأكيد والمبالغة وتبين قَوْة الامتناع على مَن يطلب اقتسارَهُ . وهذا كَا يَصْفُونَ التَّكَبُّرَ بِالشَّوْسِ وَالصَّعْرِ وَالصَّيْدَ . وقوله : « حَامِلُهَا كَذَلِكَ » من صِفَةِ القناة ، وارتَقَعْ حَامِلُهَا بِالابتداء ، وقد أَخْبَرَ عَنْهُ بِخَيْرَيْنِ : كَذَلِكَ ، وأَزْوَرُ . وقوله « كَذَلِكَ » إذا وَقَعَ هَذَا الْمَوْعِدُ لَا يُغَيِّرُ ، بل يَكُونُ لِلْمَذَكُورِ وَالْمَؤْنَثِ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ^(٤) . وأنشد أبو زيد :

(١) م : « يطلب ». .

(٢) الْمُقْوِمُ ، هِي فِي م : « الْمَنْفَفُ » . وقد أُشِيرَ في نسخة الأصل إلى أنها في نسخة أخرى : « الْمَنْفَفُ » .

(٣) هو شاعر جاهلي كافق السِّكَافِ ١٢٥ ليبسٍ .

(٤) المقص أن هذه إحدى الآيات ، وإلا فهناك لغة المطابقة التي تتطابق فيها الكاف المخاطب إِفَادَا وَجَمَا وَتَذَكِيرَا وَتَأْنِيَةَا ، وهي أَفْصَحُ الآيات . انظر هم الموامع (١: ٧٦ - ٧٧) وشرح ابن يعيش على المفصل (٣: ١٣٥) وشرح التصریح (١: ١٢٨) طبع ١٣٤٤ والمعنى (١: ١٥٥) طبع ١٣٤٨ .

أَمَا أَفَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلَى فَرَسٍ
وَلَا كَذَارَجًا إِلَّا بِأَحْبَابِي^(١)
وَالْمَغْنَى وَلَا كَا أَنَا السَّاعَةَ رَاجِلًا.

١٥٦

وقال عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدَ^(٢) :

١— قُلْتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَيْفِ تَرْوَحُوا عَشِيَّةً بِتْنَا عِنْدَ مَأْوَانَ رُزَّاحٍ
تقدير البيت : قلتُ لقوم رُزَّاح عشيةً بتنا عند مآوان في الكيف :
ترَوَحُوا . والمعنى بعثتهم على السير في الرواح ، وإن كانوا متساقطى القوى^(٣)
كاللين ، لا حراك بهم ، ولا نهوض يقيمهم ، هزلٌ لتأثير السفر فيهم ، وظهور
آخر الشقة عليهم . وواحد الرُّزَّاح رَازِح^(٤) ، ويقال رَزَّاح البعير رُزُوحًا ،

(١) في نوادر أبي زيد من ٥ وكذا عند التبريزى : « بأصحاب » ، بدون إضافة . وقد
تكلم أبو زيد على البيت ، ونبيه إلى حبي بن وايل .

(٢) سبقت ترجمته في الحماشية ١٤٥ . وكان من خبر هذه الآيات كاف في ديوانه من ٨٨
والتبّريزى عن أبي رياش : « تابت على معد سنوات جهدن الناس جهداً شديداً ، وكانت
طفقان من أحسن معد فيها حالاً ، وترك الناس الفزو بلدوة الأرض ، وكان عروة في تلك
السنين غالباً فرجع متفقاً قد ذهب إلهاً وخياه ، وجاء إلى قومه وقد عتن بعضهم عليه عنه ، فذهب
منهم رهطاً شرّعوا معه فنحر لهم بغير أرض سلاحهم على بغير آخر وقد دُلُّ لهم بغير فوزعه بغيرهم
وخرج يريد أرض قضاة ، وقصد قبل أرض بين الفين ، فر بغالك بن حمار الفزارى وقد نفذ
ما معه فقال له مالك : أين تتطلق بفتىتك هؤلاء تهلكهم ضيعة؟ قال : إن الضيعة ما تأمرون
به : أن أقيم حتى أهلك هزاً . فقال : إن أطعنتي رجعت على حرسين — وهو جبلان في أرض
بني فزاره — فكان طريقك حتى تأتي قوى تكون فيهم . فقال : فما أصنع بمن كنت عودتهم إذا
جاوني وأعترني؟ قال : تعتذر فتعذر ونرك إذا لم يكن عندك شيء . قال : لكن أنا لا أقدر
نفسى بترك الطلب . فقال عروة يذكر شدة حال أهل الكيف ومن مآوان ، وقيمه بأمرهم حتى
صلحوا ، ونذهب إياهم حتى خرجوا معه » .

(٣) م : « ساقطى القوى » . (٤) الكلام بعده إلى « رزاح » ساقط من م .

إذا أعنينا ، وإنيل رَزْحَى ، وقَوْمٌ رِّزَاحٌ^(١) أى مَهَازِيلُ ساقِطُون . والكيف : الخطييرة من الشجر .

٣— تَنَالُوا الغَنِيَ أو تَبَلُغُوا بِنفوسِكُمْ إلى مُسْتَرَاحٍ من حَمَامٍ مُبَرَّحٍ^(٢)
قوله « تنالوا » جواب الأمر من البيت الأول ، وهو ترَوْحوا . وللمعنى :
سيروا واجتهدوا تنالوا الغنى ، وتبلغوا حَدَّاً من الطلب يُفضي بكم إلى الموت المريح
الbasط لعذركم^(٣) . والمبرح : الملحة الشديد ، ومن هذا وصف الرَّيح بالبارح .
ويقال : بَرَحَ بِالْحَبَّ ، أى اشتدَّ ؛ وبَرَحَ بِفَلَان ، إذا آذى ؛ وأَبْرَحَ
الرَّجُل ، إذا أُنْجَى بالبرح ، والبرح يكون الشدة ويكون العَجَب ، ومنه
قول الأعشى :

* أَبْرَحْتَ رَبَّا وَأَبْرَحْتَ جَارًا^(٤) *

٣— لَيَتَلْعَبَ عُذْرًا أو يُصِيبَ رَغِيْبَةً وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ
قوله « ليتلعَبَ » تفسير ما قَدَّمه . ويشير بقوله « عُذْرًا » إلى قاطِع الموت
لأنَّ المجتهد في طَلب الشَّيْء إذا حَالَ أَجْلُه دون أَمْلَاه فقد أَعْذَرَ ، إذ كان قد
فعل ما عليه^(٥) . وقوله « أو يُصِيبَ رَغِيْبَةً » إشارة إلى نيل الغنى . والرغب :
اتساع الشَّيْء ، ومنه بطن رَغِيب . وقوله « ومُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ » أى من
أَعْذَرَ فِيمَا يَطْلُبُه ، أَصَابَهُ أَوْ فَاتَهُ ، فقد أَنْجَحَ . وهذا الْكَلَامُ وإنْ كان ظَاهِرًا

(١) هذا الجمع لم يرد في المعاجم المتداولة ، وبدهله « رِزَاحٍ » بفتح الراء مع قصر آخره .

(٢) الديوان : « من عناء مبرح » .

(٣) م : « إلى موت يريحكم ويسقط عذركم » .

(٤) هو بتناه في ديوان الأعشى ٣٧ :

تقول ابنتي حين جد الرَّيح * لَأَبْرَحْتَ رَبَا وَأَبْرَحْتَ جَارَا

(٥) م : « إذا كان ما عليه قد فعل » .

وظاهر صدر البيت الأول أنه يتذكر به المعنى الذي قدمه فيه ، فليس الأمر كذلك ، لأنَّه ذَكَرَ فِي الْأُولَى إِبْلَاغَ النَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ حَدَّاً يَرِيهِ ، وَلَمْ يُبَيِّنْ مِنْ فَعْلِ ذَلِكَ : هَلْ أَنْجَحَ أُولَا . وَفِي الثَّانِي بَيْنَ أَنَّ الْمُذَرِّرَ فِي طَلَبِ الشَّيْءِ كَالْمُنْجِحِ ، وَأَنَّهُ إِذَا اسْتَغْرَقَ وُسْعَهُ فِي طَلَبِ مَا يَهْمِمُ بِهِ شَمْ حَالَ دُونَهُ حَائِلًا فَقَدْ أَغْدَرَ . وَفِي طَرِيقِهِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامَ :

لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمِّمَ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمِّمَ عَوَاقِبُهُ

١٥٧

وقال أبو الأبيض العبسي^(١) :

١ - أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَقُولُنَّ فَوَارِسُ وَقَدْ حَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ قُفُولُهُ

قوله «شِعْرِي» اسم ليت ، وخبره مُضمر استغنى عنه بمفعول شِعْرِي . وليت شِعْرِي لا يجيء إلا هكذا ، كما أنَّ لولا يجيء أبداً مُحذوف خبر المبتدأ الذي بعده ، وقد استغنى عنه بخواه ، وذلك كقولك لولا عبد الله لفعت .

وقوله «هَلْ يَقُولُنَّ فَوَارِسُ» سَدَّ مَسَدَّ مفعول ليت شِعْرِي . ومعنى الكلام ليت عِلْمِي واقع : هل يَقْعُدُ هذا القَوْلُ من الفُرَسَانِ في تلك الحال ؟ ومفعول «يَقُولُنَّ» أول البيت الثاني ، وهو قوله «تَرَكْنَا» ، واعتراض ينهم ما قوله «وَقَدْ حَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ قُفُولُهُ» ، وموضعه نَصِيبٌ على الحال ، والذى تَعْنَى عِلْمَهُ أَنَّهُ هَلْ يُفْتَلُ ، فإذا انْصَرَفَ الْأَبطَالُ عنِهِ قَالُوا هَذَا القَوْلُ أُولَا . وتحقيق الكلام : ليتني عَلِمْتُ مَا يقتضى هَذَا السُّؤَالُ مِنَ الْجَوابِ ، لأنَّ ذاك يَهْمِمُه

(١) التبريزى : « قال أبو هلال : وكان في أيام هشام بن عبد الملك ، وخرج مجاهداً في بعض الوجوه فرأى في النَّاسِ كُلَّهُ أَكَلَ ثَرَأً وَزَبَداً وَدَخَلَ الجَنَّةَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الدَّهْرِ أَكَلَ عَرَضاً وَزَبَداً وَتَقدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ » .

لا نفس السؤال . وقوله : وقد حانَ منهم قُفُولٌ ، أى رُجُوعٌ عن المفركة إلى ديارِهم وحيَّهم ، كأنَّهُ كانَ همَّ بالاستقبال ، ووَطَنَ نَفْسَهُ من مُصادمةِ العدو^(١) ، ومُصادمةَ القِتال على ما غلَبَ اليأسَ من الانصرافِ عنهم ، لتمرُّضه لِمَا لا يُسلِّمُ معهُ من مُيلَاسَهُ ، فَتَكَلَّمُ بذلك . وقوله « يوم ذلك » إشارة إلى يوم ملاقاةِ الأعداء . فإن قيل : هل تقدَّر في الكلام بعد الاستفهام شيئاً لأنَّك إذا استفهامتَ عن شيءٍ كانَ ما تستفهم عنه وخلافه سواه عندك ، وإلا لم تكن مُستفهاماً ؟ قلتَ : مَعْنَى الاستفهام هل يَقُولُنَّ فوارسٌ كذا ، وهل زَيْدٌ عِنْدَكَ ، على « أو » أو « أُم » ، ولو لا ذلك لامتنع الاستفهام . ونشرح الكلام فيما يتضمنه هذا الموضع في البيت الذي بعده .

٣ - تَرَكْنَا وَمِنْ يُجَنَّنْ مِنَ الطَّيْرِ لَحْمُهُ أَبَا أَلَّا بَيْضٍ الْعَبْسِيٌّ وَهُوَ قَتِيلٌ^(٢)

يقول : ليتني عَلِمْتُ هل يقولون في مُنصرِّ فِيهِمْ تَرَكْنَا أبا الأبيض مصرُوعاً متروكاً بالعراء ، تغفوه^(٣) سباعُ الطير وتأكلُ من لحمه ، غير مستورٍ عنها ولا منزع منها . وقد اعترضَ بينَ تَرَكْنَا ومفهوله وهو أبو الأبيض بقوله « ولم يُجَنَّنْ من الطير لَحْمُهُ » ، وموضعه نصَبٌ على الحال . فإن قيل : فما المُقدَّر بعد الاستفهام هنا من حرفِ العطف : أُم ، وأُو ، وكيف يكون معنى الكلام مع ذلك المقدَّر ؟ قلتَ : المعنى على أُو ، بدلالة أنه يُحابُ مثل هذا الكلام بنعمٍ أُو لا ، إذ كان المبني على ليتني عَلِمْتُ هل يقعُ ذلك منهم . فأما تقدير أُم وهي عاطفةٌ فلا يصحُّ في مثل هذا الموضع ، كما لا يجوز اللفظ بها على جهة المعادلة . وقد قال أبو العباس :

(١) كذا على الصواب في م . وفي الأصل : « على مُصادمةِ العدو » .

(٢) التبريزى : « ولم يُجَنَّنْ » .

(٣) تغفوه : تغترِّ به . وهذه رواية م . وفي نسخة الأصل : « تغفوه » .

لا يكون أَمْ بَعْدَ شَيْءٍ مِنْ حُرُوفِ الْاسْتِفْهَامِ سَوْيَ الْأَلْفِ إِلَّا عَلَى كَلَامِنْ .
وَأَمَا تَقْدِيرُ أَمْ الْمَنْقُطَةِ فَبَعِيدٌ ، لَأَنَّهُ لَوْ قُصِّدَ لَمْ يَكُنْ بُدْدَ مِنْ ذِكْرِهِ وَذِكْرِ
الْمُسْتَفْهَمِ بِهِ عَنْهُ بَعْدَهُ . فَاعْلَمُهُ .

٣ - وَذِي أَمْلِ يَرْجُو تُرَاثِي وَإِنْ مَا يَصِيرُ لَهُ مِنْ غَدًا لَقَلِيلٌ
يَقُولُ : رَبُّ إِنْسَانٍ يُعَلَّمُ طَمَعَهُ بِمِيرَاثٍ ، وَيَرْجُو تَحْصِيلَهُ بَعْدِي ، وَالَّذِي
يَنَالُهُ مِنْهُ غَدًا — يُشَيرُ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ — قَلِيلٌ غَيْرُ كَثِيرٍ . وَالْمَعْنَى : إِنَّ
لَا أَذْكُرُ مَالِي بِلَ أَتْلُفُهُ فِي اِكْتَسَابِ الْخَامِدِ ، فَلَا يَكُونُ لِتُرَاثٍ إِلَّا سَلَاحٍ
وَمَا لَا بُدُّ لِلْفَارِسِ مِنْهُ .

٤ - وَمَا لِي مَالٌ غَيْرُ دِرْزِ حَصِينَةٍ وَأَبِيضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلٌ^(١)
٥ - وَأَسْمَرُ خَطَّى الْقَنَاءِ مُثَقَّفٌ وَأَجْرَدُ عُرْيَانُ السَّرَّاءِ طَوِيلٌ
فَقَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَالٌ يَدْخِرُهُ^(٢) طَوْلَ حَيَاتِهِ ، وَيَرِنُّهُ الْوارثُ بَعْدَ مَاتِهِ
إِلَّا دِرْزَهُ وَيَضْتَهُ ، وَسَيِّفًا مَصْقُولًا طَبِيعَ مِنْ خَالِصِ الْحَدِيدِ ، وَرُتْحًا جُحْلَتُ
قَنَائِهِ مِنَ الْخَطَّ — وَهُوَ جُزِيرَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ — وَفَرَسًا قَصِيرَ الشَّعْرِ مُنْجَرِدًا
الظَّاهِرِ مِنَ الْلَّحْمِ ، مُشَرِّفٌ الْهَامِةِ ، طَوِيلُ الْقَامَةِ . الْمِغْفَرُ : حَلَقٌ يَتَقَنَّعُ بِهَا
الْمُتَسَلِّحُ ، وَكَذَلِكَ الْفِنَارَةُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْمِغْفَرُ : رَفَرَفُ الْبَيْضَةِ . وَأَصْلُ
الْفَغْرِ التَّغْطِيَةِ وَالسَّتَّرِ . وَقَوْلُهُ « غَيْرُ دِرْزِ » يَحْوزُ رُفْقَهُ ، وَهُوَ الْوَجْهُ ، عَلَى أَنْ
يَكُونَ بَدْلًا ، وَيَحْوزُ النَّصْبَ عَلَى الْاسْتِثنَاءِ .

٦ - أَقِيهِ بِنَفْسِي فِي الْأُخْرُوبِ وَأَقِيَّ بِهَادِيهِ إِنِّي لِلْخَلِيلِ وَصُولُ

(١) م والتربرى : « غَيْرُ دِرْزِ وَمِغْفَرٌ » . وَأَشِيرُ فِي حَوَائِشِ الْأَصْلِ إِلَى أَنَّهَا فِي نَسْخَة
« مِغْفَرٌ » .

(٢) م : « يَدْخِرُهُ » .

هذا معنى شريف حسن . يقول : أحفظ مقاتل فرسى بفخذى ورجلى ، وأتقى فيما^(١) يأتينى بعنته . ولمعنى : من أراد أن يصيب مقتلى جئتُ يانى وينته عق دابى ، كا أن من أراد مقتل فرسى أجعل ينه ويئنه فخذى ورجلى . ثم قال : « إنى للخليل وصوْل » أى لا أخذله فى الشدائى ولا أنتفع به إلا وأنفعه . وهذا مثال . والعربى يسمى^(٢) سلاحه ومرز كوبه خليلًا ، على ذلك ما أنشد الأصمى^(٣) ، وهو :

وإنى كا قالت نوار إن أجئتَ على رجل ما شد كفى خليلها

١٥٨

وقال قيس بن زهير العبسى^(٤) :

١— لعمرك ما أضاع بنو زياد ذمار أيهم فيمن يضيع اللام من « لعمرك » لام الابداء ، وخبر المبتدأ مخدوف ، كأنه قال : لعمرك قسي . يقول : وبقائك ما ضيع هؤلاء العصابة من حق أيهم وشرف أسلافهم ، ما يوجب التذمر عند المحافظة عليه في جملة من يضيع حقوق آبائهم ، وما أثلوه من مفاسيرهم ومحاسنهم ؛ بل حافظوا عليه بما ضمموا مما استحدثوه واطرفوه إليه . وحذف مفعول يضيع كانه قال : فيمن يضيع الذمار . ويقال : فلان حمى الذمار ، أى إذا ذمر وغضب سحي . وهذا كا يقال ، هو ثبت الخبر ، أى إذا حصل في الخبر ثبت . قوله « ما أضاع » تهكم

(١) م : « مما » .

(٢) في النسختين : « والعرب تسمى » .

(٣) سبعة ترجمته في الحماية ٤٤ . التبريزى : « وقال قيس بن زهير في بي زiad الريع ، وعمارة ، وأنس ، وكان يقال لهم السكة » .

أو تعریض؟ لأنَّ الذين أخبر عنهم أَشْهَرُ أَسْرًا وأَعْظَمُ شَانًا مِنْ أَنْ يُقالَ
فيهم ذلك.

٣— بَنُو جِنِيَّةَ وَلَدَتْ سَيُوفًا صَوَارِمَ كُلُّهَا ذَكَرٌ صَنِيعٌ

يَقْنِي ولَدَ زِيَادَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ نَاصِبِ الْعَبَسيِّ، يَقُولُ : هُمْ بَنُو امْرَأَةٍ كَانَهَا
فَضْلِهَا وَدَهَانَهَا مِنَ الْجِنِّ . وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ هِيَ فَاطِمَةُ بْنَ الْخَرْشَبِ الْأَنْمَارِيَّةُ ،
وَهِيَ إِحْدَى الْمُنْحَبَاتِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا كَانَ^(١) قَائِلاً
قَالَ لَهَا : « أَعْشَرَةُ هَدَرَةٍ^(٢) ، أَحَبُّ إِلَيْكَ أُمُّ ثَلَاثَةَ كَعْشَرَةً » فَلَمَّا انتَهَتْ
اقْصَتْ رُؤْيَاهَا عَلَى زَوْجِهِ قَالَ لَهَا : إِنِّي عَاوِدُكِ فَقُولَى : بِلْ ثَلَاثَةَ كَعْشَرَةً .
فَرَجَعَتْ إِلَى الْمَنَامِ وَرَأَتْ مِثْلَ مَا رَأَتْ مِنْ قَبْلِهِ ، فَجَعَلَتْ تَقُولُ فِي الْجَوابِ :
بِلْ ثَلَاثَةَ كَعْشَرَةً . فَوُلِدَتْ بَنِينَ ثَلَاثَةَ^(٣) صَارَ كُلُّهُمْ أَبَّا لِقَبِيلَةٍ ، وَمُعَظَّمًا فِي
قَوْمِهِ وَعِشِيرَتِهِ ، وَهُمْ رَبِيعُ الْحِفَاظِ ، وَعُمَارَةُ الْوَهَابِ ، وَأَنَّسُ الْفَوَارِسِ . وَكَانَ
جَعْلُ الْأُمِّ جِنِيَّةً خَلِرُوجَاهَا فِيمَا أَتَتْ بِهِ عَنِ الْمَعْتَادِ [مِنَ الْإِنْسَانِ^(٤)] جَعْلُ الْأُولَادِ
سَيُوفًا . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : هُمْ أَوْلَادُ امْرَأَةٍ وَلَدَتْ رِجَالًا كُلُّهُمْ فِي النَّفَادِ سَيُوفًا

(١) كَذَافَ م . وَفِي الْأَصْلِ : « أَنْ » .

(٢) ضَبَطَتْ فِي الْأَصْلِ بِالْتَّحْرِيكِ ، وَفِي مِنْ كَسْرِ الْمَاءِ ، وَفِي مِنْ كَسْرِ الْمَاءِ وَهِيَ ضَمُ الْمَاءِ
وَفَتحُ الرَّاءِ ، أَيْ سَاقُلُونَ لِيُسَاوِيَ بَشِّيَ . وَفِي الْأَسَانِ : قَالَ ابْنُ سِيدِهِ : وَالْفَتْحُ أَقِيسُ ، لَأَنَّهُ جَمِيع
هَادِرٌ مِثْلَ كَافِرٍ وَكَفِرَةٍ . وَإِمَامُ هَدَرَةٍ — أَيْ بَكْسِرٍ فَفَتْحٍ — فَلَا يَكْسِرُ عَلَيْهِ فَاعْلَمُ مِنَ
الصَّحِيفِ وَلَا الْمَعْتَلِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَبْنَيَةِ الْجَمْعِ . وَأَمَّا هَدَرَةٌ — أَيْ بَضمِ فَفَتْحٍ —
فَلَا يَوَافِقُ مَا ذَاهِلُ التَّحْوِيلِينِ ، لَأَنَّ هَذِهِ بَنَاءُ مِنَ الْجَمْعِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْمَعْتَلِ دُونَ الصَّحِيفِ خَمْوَ غَزَّةٍ
وَقَضَاءٍ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ إِسْمًا لِلْجَمْعِ . وَالَّذِي رَوَى هَدَرَةَ بِالضمِّ إِنَّمَا هُوَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ . وَقَدْ
أَنْكَرَ عَلَيْهِ .

(٣) وَهَذَا يَوَافِقُ السُّجْعَ . وَالْحَقُّ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ ، أَوْ أَنَّهُمْ صَارُوا فِيهَا بَعْدَ أَرْبَعَةٍ
وَهُمُ السَّمُونُ بِالسَّكَلَةِ . وَالرَّابِعُ هُوَ قَيسُ الْحِفَاظِ . وَأَمَّا رَبِيعُ الْمُعْرُوفِ فِي لَقَبِهِ ، أَنَّهُ « رَبِيعُ
الْكَامِلِ » . انْتَرِ شَرْوَحَ سَقْطَ الزَّندِ ٢٠٥١ وَالاشْتَاقَاقِ ١٦٩ .

(٤) السَّكَلَةُ مِنْ مِنْ .

قواطع ، كل واحد منها ذكر الحمد ، مصنوع صقيل . و « صَنِيع » كا
ستعمل في السيف استعمل في الخليل . يقال صنعت الفرس ، إذا ضمّته .

٣— شَرَى وَدَى وَشُكْرِي مِنْ بَعِيدٍ لَا خِرِّ غَالِبٌ أَبْدَأَ رَيْسٌ
يقال : شَرَى الشَّىء بمعنى اشتريت و بعثت جيما ، وكذلك بعثت يَصْلُحُ
للأمراء ، ومن شَرَى النَّرْوَى ، وهو المثل ، لكن لامه وهو يلا قُلْبَتْ
واوا ، لأنَّ فَعْلَى إِذَا كَانَ اسْمًا وَلَامَهْ يَلا يَفْعُلُ بِهِ ذَلِكَ ، فَرَقَّا بَيْنَ الاسمِ والصفةِ .
وعلى هذا قوله الفتوى . فيقول : اشتري ربيع الحفاظ على بعديه مِنِّي ،
وَدَى لَهُ ، وَثَنَائِي عَلَيْهِ وَعَلَى آخِرِ رَجُلٍ يَبْقَى مِنْ بَنِي غَالِبٍ أَبْدَأُ^(١) . قوله « من
بعيد » في موضع الحال . وإنما قال هذا لأنَّه ناله إحسانه ووجب عليه شُكْرُهُ
وينهم مَسَافَةً وَبُعدًّا .

(١) وكذا وردت العبارة بتهاها عند التبريزى مما يدل على اعتقاده اعتقاداً كبيراً على المزروع .
وزاد التبريزى : « وإنما شكر الربيع بن زياد لقيامه معه ، ونصرته إياه في حرب
داحس ، وذلك أن الربيع قد كان ساوم قيساً على درع له ، والربيع راكب وقيس راجل ،
فلما وضعا على قربوته ركب فرسه فقضى بها ، فلما اتجعوا أخذ قيس بن زهير بزمام أمره
فاطميه بنت الخرشب يريد أن يرثها بذرمه فقالت : أين ضل حملك يا قيس ؟ أترجو الصلاح
فيما يبنك وبين بي زياد ، وقد ذهبت بأهله يمنة ويسرة ، وقال الناس ما شاهدوا ، وحسبك
من شرماعه ! فذهبت مثلا . وعلم قيس أنها صدق ، فأرسلها وأغار على ابن الربيع فاستافقها ،
وكان هذا بينهما . فلما قتل حذيفة مالك بن زهير طن قيس أن الربيع لا يقوم منه بطلب
ثار أخيه لما بينهما من الشجناه . فلما قام معه قال قيس :

* شَرَى وَدَى وَشُكْرِي مِنْ بَعِيدَ *

أى كان يبنه وبينه بعد فألقى العداوة وراء ظهره ونصرني ، للرحم والقرابة . وغالب من
عيين . وقال أبو هلال : وروى هشام بن محمد بن السائب السكاكى هذه الآيات حاتم . وكان
قد جاور حاتم زمان الفساد بين زياد بن عبد الله بن عيسى ، فأحسنوا جواره ، فقال فيهم هذه
الآيات .

١٥٩

وقال هدبة^(١) :

١—إِنِّي مِنْ قُضَاعَةَ مَنْ يَكِدْهَا أَكِدْهُ وَهِيَ مِنِّي فِي آمَانٍ^(٢)

ليس يريد بهذا الكلام نسبة نفسه إلى قضاة فقط ، بل يريد اختصاصه بهم ، وتعصبه لهم . وهذا كما يقال : أنا من فلان وإلى فلان ، أى ابتدائي منه وانتهائي إليه . فيقول : إنّي مُنْتَ إلى قضاة أهوى هواها ، وضديع معها ، فلن عاداها أو نابذها عاديتها ونابذتها ، وهي آمنة من مكرها وأذاء ، إذ كنت أنعطف عليها فيما ينبوها ، وأغتنم زلاتها فيما يتفق منها . وهذا الكلام في التنبية في الاختصاص ، والإيانة عن الطاعة والإخلاص ، من أبلغ كلام وأكرم إيناس . ألا ترى أنه فصل ما أجمل ، وفسر ما أبهم بقوله « من يكدها أكده وهى منى في آمان » ؟ وهذا صفة جوارح الإنسان مع جملته وأبعاضه مع كلّه ، بدلالته أنه يدافع من يريد إصابة أحدها ، ثم هي آمنة من جنائيته عليها ، أو على شيء منها .

٢—وَلَسْتُ بِشَاعِرِ السَّفَسَافِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مِدْرَهُ الْحَرْبِ الْعَوَانِ

(١) التبريزى : « هدبة بن خضرم ». البهيج : « هدبة واحدة الهدب ، وهي للثوب وللأرطى ... والحضرم : جماعة النحل ، وهو أيضاً والنول والدبر ». وهدبة ابن خضرم بن كرز شاعر عذري ، وكان صاحب زيادة بن العباس ، فلم يزل يطلب غرمه حتى قتل ، وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص ، وكان ولد أخيه عبد الرحمن زيد ، فركنه منه سعيد قتله . انظر الأغاني (٢١ : ١٦٩ - ١٧٧) ومعجم المرزبانى (٤٨٣ واللائى ٢٤٩ - ٢٥٥ ، ٦٣٩ - ٦٤٠ والخزانة (٤ : ٨١ - ٨٧) والشعر والشعراء ٦٧١ - ٦٧٦) .

(٢) روى التبريزى خبر هذه الآيات مسبباً في نحو تسع صفحات تصور ما كان ينه ويدين زيادة بن زيد من عداء ومكابدة .

يقول : ليس محلَّا منهم وفيهم محلَّ شاعِرٍ يُسقِّفُ القرِيبَ ، ثم يقف دونَ غايَتِه باليَدِ واللسان . والسفَّاف : ما لا خَيْرَ فيه من الأفعال والأقوال : وفي الحديث : « إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعْلَى الْأَمْوَارِ وَيُنْهِيُّضُ سَفَّافَهَا » . والعَوَانُ من الحرب : التي قُوْتِلَّ فيها مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . فإنْ قيلَ : أين عَجَزَ الْبَيْتِ مِنْ صَدْرِهِ فِي النَّظَامِ ، وهلَا قَالَ بَعْدَ مَا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الشِّعْرِ الرَّكِيكِ : ولَكُنِّي شَاعِرُ الْمُتَخَيَّرِ الرَّصِينِ ؟ قَلْتَ : إِنَّمَا الْمُرَادُ^(١) التَّنْبِيَّةُ عَلَى فَضْلِهِ فِيهِمْ^(٢) وَطَوْلِهِ ، وَعَلَى كَفَائِيَّةِ يَيْاهِ ، وَعَلَى غَنَاءِ سِنَاهِ . والْحَرْبُ كَاتِقٌ بِالضَّرَابِ وَالطَّعَانِ تَقْعِيْدٌ مُجَازِيَّةُ الْحِجَاجِ عِنْدَ النَّفَارِ وَالْفَخَارِ . وَآثَرَ أَنْ يَقُولَ : « وَلَكُنْ مِدْرَهُ الْحَرْبِ » لِيُدْخِلَ تَحْتَهُ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا . وَقَيْلَ : الْمِدْرَهُ هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي يُدْفَعُ بِهِ الشَّرُّ فَيَنْتَهِمُ بِهِ أُمُورُ الْحَرْبِ ، وَيَقُولُ بِأَسْبَابِ الصَّحَابِ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ مِنْ دَرَّةِ عَلَيَّاً ، أَى طَلْعَ . وَقَيْلَ إِنَّهُ مِنْ دَرَّةِ أَى دَفَعَ ، وَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْمَهْزَةِ . وَيُحَوَّزُ أَنَّ يَكُونَ الْكَلَامُ تَعْرِيْضاً بِإِنْسَانٍ نَفَى عَنْ نَفْسِهِ حَالَهُ وَأَنْبَأَ أَنَّ الْأَمْرَ^(٣) بِمُخَالَفَةِ .

٣— سَاهُجُوْمٌ هَجَاهُمْ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَعْرِضُ مِنْهُمْ عَمَّنْ هَجَانِي
قولُهُ « مِنْ سِوَاهِمْ » يَتَعَلَّقُ مِنْ بِهِجَاهِمْ^(٤) ، وَمَوْضِعُهُ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ .
وَيَحْتَمِلُ مَعَانِيَ : يُحَوَّزُ أَنَّ يَرِيدَ بِهِ مُخَالَطاً لِغَيْرِهِ ؛ لَأَنَّ مِنْ هَذِهِ تَكُونُ لِلِّمَلاَسَةِ ؛
عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ : أَنْتَ مِنْ فَرَسِخِينِ ، أَى أَنْتَ مُخَالَطِي . يَقُولُهُ الدَّلِيلُ وَالْخَفِيرُ^(٥) .
وَيَكُونُ لِلْوَلَاءِ وَالنُّصْرَةِ ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

(١) م : « إِنَّمَا أَرَادَ » .

(٢) كَنَا فِي م ، وَفِي الْأَصْلِ : « مِنْهُمْ » . (٣) م : « أَمْرُهُ » .

(٤) م وَالْتَّبَرِيزِيُّ : « مِنْ سِوَاهِمْ يَتَعَلَّقُ بِهِنْ هَجَاهِمْ » .

(٥) كَنَا فِي م وَالْتَّيْمُورِيَّةِ . وَفِي الْأَصْلِ : « يَقُولُهُ الدَّلِيلُ الْخَفِيرُ » .

إذا حاولتَ فِي أَسْدِيْ فُجُورًا فإنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي

فيكون معنى «من سوآهم» ناصراً لغيرهم . وتكون للنساء والولادة . يقول :
 هُمْ مِنْ أَبٍ وَاحِدٍ وَبَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، فيكون المعنى : منتسباً إلى غير أصلهم .
 وعلى هذا قوله «وأَعْرِضُ مِنْهُمْ» يتعلّق مِنْ بهجانى ، ويكون الكلام في
 موضعه ومعناه على الحدّ الذي بيّناه . فيقول . من تعرض لهم بعكروده أو ذَكْرِه
 بسوء فإنّي أدافعه عنهم ، وأعارضه دونهم ، وأفانله عن تناوله منهم ، ومن
 تعرّض لى منهم فإنّي أُغرض عنه ، وأصفح عن غيّه فلا أُواخذه به ، صيانته
 لهم ، ومحافظة على ما يجمعني وإياهم .

١٦٠

وقال عَمَّرُو بْنُ كُلَّثُومٍ^(١) :

١— مَعَادَ الْإِلَهِ أَنْ تَنْوِحَ نِسَاءُنَا عَلَى هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَضِيجَ مِنَ القَتْلِ
 معاذ الله ، من المصادر التي لا تكون إلا منصوبة ، ووضعت موضعًا واحدًا
 من الإضافة على ما ترسي ، ولا يتصرف . والعياذ في معناه ومن أصله ، وهو
 يتصرف مرفوعاً ومنصوباً وبمحروراً ، وبالألف واللام . وانتصب معاذ الإله على
 إضمار فقلت ترك إظهاره . ويقولون : عاذًا بالله من شرّها ، فيجري محرري عيادة
 بالله ، كأنه قال : أَعُوذُ بِالله عاذًا وعيادةً . ومن أبيات الكتاب :

(١) ليس في حاجة إلى ترجمة . وشهرته شاعرًا من شعراء المعلقات شهرة ظاهرة .
 وهو تلميذ من بنى عتاب ، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة . انظر ترجمته في
 الأغانى (٩ : ١٧٥ — ١٧٨) والخزانة (١ : ٥٢١ — ٥٢٤) وشرح شواهد الفن
 للسيوطى ٤٤ — ٤٥ والشعر والشعراء ١٨٥ — ١٨٨ .

لِحِقْ عَذَابَكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ طَغُوا وَعَانِدَاكَ أَنْ يَعْلُو فِيُطْغُونِ^(١)
وَيُقالُ : عُذْتُ بِاللهِ عَوْذًا وَمَعَاذًا وَعِيَاذًا . وَيُقالُ : أَفْلَتَ مِنْهُ عَوْذًا
بِفَتْحَتِينِ ، أَى عَانِدًا ، وَأَتَيْتُهُ عَوْذًا . وَهَذَا الْكَلَامُ تَبَرُّو مِنْ إِظْهَارِ الْجَزَعِ عَلَى
قَتْلَاهُمْ ، وَاسْتِعْلَمُ الْبَكَاءَ وَالضَّجَاجَ فِي بَلْوَاهِمْ ، وَتَصَبَّرُ عَلَى نَوَابِ الدَّهْرِ ،
وَانْتِفَاعُهُ مِنْ تَكْرِهِ الْقَتْلِ . يَقُولُ : نَعْوَذُ بِاللهِ مِنْ نَوْحِ نَسَانِا عَلَى مُتَوْقَنِي مِنَاهُ
مَفْقُودٍ ، وَمِنْ ضَجْجِيْنَا مِنَ الْقَتْلِ وَالْقِتَالِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ أَحَدُ هَذِينِ مِنَاهُ وَقَد
تَعَوَّدَتْ نَسَانِا الشُّكْلُ ، وَنَشَانِا فِي مَارِسَةِ الْحَرْبِ وَمَزاوِلِهَا . وَفِي طَرِيقِهِ
قَوْلُ الْآخِرِ^(٢) :

إِذَا مَا أَتَنِي مِيَتَنِي لَمْ أَبْلِهَا وَلَمْ تُذْرِ خَالَتِ النَّمُوعَ وَعَنَّتِ
٣ - قِرَاعُ السَّيُوفِ بِالسَّيُوفِ أَحَلَّنَا بِأَرْضِ بَرَاحِ ذِي أَرَاكِ وَذِي أَئْلِيلِ
الْأَصْلِ فِي الْبَرَاحِ الْأَرْضِ الَّتِي لَا بَنَاءَ فِيهَا وَلَا عُمَرَاتَ . وَالْمَقَارِعُهُ :
مُضَارَّةُ الْقَوْمِ فِي الْحَرْبِ . وَكُلُّ شَيْءٍ ضَرَبَتْهُ بَشِّيْءٌ فَقَدْ قَرَعَتْهُ . وَهَذَا عَلَى
حَدْفِ الْمَضَافِ ، كَأَنَّهُ قَالَ قِرَاعُ أَحَبَابِ السَّيُوفِ بِالسَّيُوفِ . أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ
وَذُوِّيْهِ بِأَنَّ صَبَرَهُمْ فِي دَارِ الْحِفَاظِ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُمْ بِأَرْضِ وَاسْمَعَهُ ذَاتِ أَئْلِيلِ
وَأَرَاكِ ، وَصَرَفَهُمْ عَنِ الْإِنْجَاعِ وَتَطَلَّبَ اِلْخُصُبِ فِي الْمَظَانِ^(٣) . وَهَذَا صَرِيحُ
مَا قَالَهُ غَيْرُهُ^(٤) ، وَهُوَ :

* أَنَّهُنَا خَالَفُنَا السَّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ^(٥) *

(١) كتاب سيبويه (١: ١٧١) والسان (عوذ) . وقد نسب فيهما إلى عبد الله ابن الحارث السهمي . وائفد اللسان برواية : « أَنْ يَغْلُو » .

(٢) هو الشفري الأزدي . المفضليات (١: ١١٠) .

(٣) هذا ما في م . وفي الأصل : « والمظان » .

(٤) هو يحيى بن منصور . الجäsية ١٠٨ .

(٥) صدره : * فَلَمَا نَأَتْ عَنِ الْعِشَرَةِ كَلَاهَا *

والأراك : شجر تُتَخَذُ منه المساوِيك . ويقال : إيل أوارك ، إذا اعتادتْ أكْلَها . والأئل أيضًا : شجر . وهذا كما قال الآخر^(١) :

وتحل في دار الحفاظ بيوتنا زماناً ويظعن غيرنا بالأمرع^(٢)
ونبه بذكر الأرض البراح على أنهم غير مختجزين^(٣) بمصون ولا قلاب ،
ولا متعين به ضاب ولا جبال . والأئل والأراك ينبعان في السهل أكثر ،
فوكد بذكرها المراد ، وجعل البراح بدلاً من قوله « بأرض » ولذلك قال
« ذى أراك » ولم يقل ذات .

٣ - ما أبقي الأيام ملائلاً عندنا سوى جدم أدواد محدقة النسل
أراد بالأيام الوقعات . وقوله « ملائلاً » أراد من المال ، فجعل الحذف
بدلاً من الإدغام لـ *الـ* التي بالنون واللام حرفان متقابلان ، الأول متعرّك
والثاني ساكت سكوناً لازماً . والمعنى : ما يبي ثأثير الحوادث ونكبات الأيام
عندنا من أصول المال ومقتنياتها ، إلا بقایا أدواد قطع الفرش نسلها ، وتمكن
الهزال وسوء الحال منها ، فعلى شرف فناء وذهب . والجذم : الأصل .
والأدواد : جمع النزود ، والنزود يقع على مادون العشرة . وقال أكثر أهل
اللغة : إنها تقع على الإناث دون الذكور . وبعضهم يجوز وقوعها على الذكور
أيضاً . وما في البيت يشهد للأول .

٤ - ثلاثة أئلات فائمان خيلنا وأقواتنا وما نسوق إلى العقل^(٤)

(١) هو المخادرة الديانى . المفضليات (١ : ٨) .

(٢) المفضليات : « وقيم » . م والمفضليات : « الامرع » .

(٣) م : « مختجزين » بالراء المهملة .

(٤) في الأصل : « وأقواتها » . تعریف . ورواية التبریزی : « إلى القتل » .

أراد: أموالنا ثلاثة أثلاث . فيرتفع الثلاثة على أنه خبر مبتدأ مذوف ، وما بعدها تفسير لها وتفصيل^(١) . ونبأ بما أورده وقسم على الوجوه التي انصرفت إليها أموالهم فأفتهما ، والطريق التي توزعتها فقللتها ، فقال : افترقت أموالنا فرقاً ثلاثة^(٢) ففرقة منها صرفناها إلى أثمان خيلنا لأننا غزاون ، ومعالجوا حرب ، فلا نستغني عنها ؛ إذ كان جدنا وهزنا منها وبها . وفرقة منها حبسناها على أقواتنا ومعايشنا ؛ لأن المفادة والرُّؤْار كانت تتباينا وتتناوب عليها حتى تستغرقها ، ولأن إقامتنا بدار الحفاظ [شغلتنا]^(٣) عن الغزو واجتذاب الزيادة إليها . وفرقة منها وجهناها إلى الديات ، وأروش الجنينيات التي كسبتها أيدينا ، واجترحناها رماحنا ، إذ كنا لعننا ومنعتنا لا يطمع في الاقصاص منا . ومثل هذا قول الآخر^(٤) :

* نأسو بأموالنا آثار أيدينا^(٥) *

(١) ابن جي في التبيه : « أى أموالنا ثلاثة أثلاث ؟ خذف المبتدأ وحذفه أيضاً فيما بعد في قوله : فأثمان خيلنا . أى ثلات أثمان خيلنا ، أو فأثمان خيلنا ثلاث وكذا وكذا . وجاز أن يقدره على : ثلات أثمان خيلنا . فيتبدى بالسكرة ويخبر بالمعرفة ، من حيث كان الفرض إلها هو تلك أموالنا من أى ناحية تناولناه . ويبين أن تعتقد زيادة الفاء فإن ذلك كثير في الشعر والقرآن . فيبدل أثمان وأقوات وما تقد ، من ثلاثة أثلاث . أى مالنا أثمان خيلنا وأقواتنا وما تقد إلى التقل . وقال ثلاثة أثلاث ولم يقل ثلاثة أقسام من قبل أن الأقسام قد تكون متساوية وغير متساوية ، فأراد صحة القسمة ، واعتدا المساحة » .

(٢) م : « ثلاثة » ، وكلها صريح . فإن العدد إذا تأخر عن المعدود جاز فيه المطابقة وعددها . انظر حاشية الصبان على الأنثوي ، في أوائل (باب العدد) .

(٣) السكة من م .

(٤) هو بشامة النهشلي . الحاسية ١٤ .

(٥) صدره : * يبعض مفارقتنا تغلى مراجعتنا *

١٦١

وقال المثل بن عمرو^(١) :

١— إِنِّي أَبْيَ اللَّهَ أَنْ أَمُوتَ وَفِي صَدْرِي هُمْ كَائِنُ جَبَلٌ
 يقول : يابن الله عز وجل لي الاخترام وفي نفسى هم عظيم لا أسعى في
 إرضائه وتنفيذه . ويعنى بذلك دمًا يتطلب ، أو حقدًا ينتفع به ، أو منى من
 عدوه^(٢) يدرجه . وهذا الكلام عيد وإذان بأنه مجتهد في الطلب ، وراج
 ألا يحول الأجل بينه وبين الأمل ، بما عوده الله من الصنع والظرف بالطلوب .
 والواو من قوله « وفي صدرى » واو الحال . وموضع « كأنه جبل » صفة
 للهم . والهم يجوز أن يكون مصدر همت بالشيء ، ويجوز أن يكون واحداً
 المهموم .

٢— يَمْنَعُنِي لَذَةُ الشَّرَابِ وَإِنْ كَانَ قِطَابًا كَائِنُ الْعَسَلُ
 هذا من صفة الهم . يقول : يصدني ذلك الهم عن القلادة بالشراب ، وإن
 طاب وصار مزاجاً كالعسل يستحلل ولا يتذكره . ومثله لأبي ذؤيب^(٣) :
 * فَجَاءَ يَمْزِجُ لِمِيرَ النَّاسِ مِثْلَهُ *

(١) التبريزى : « المثل بن عمرو التبوخى » ، ثم قال : « تونخ هم أولاد تم الله بن أسد ابن وبرة » . المبهج : « تونخ اسم القبيلة ، يجوز أن يكون فعلاً من تونخ بالمكان ؟ أى أقام به . ويجوز أن يكون فعل من الإناثة » . وقد ذكره الآمدي في المؤتلف ١٨١ والمرزاوى في معجمه ١٨١ . وأشد الآمدي هذه الآيات ، ثم قال : « وهذه الآيات في أشعار هذيل للبريق بن عياض الهذيل » . وتنقول : إن هذه الحماية في بقية أشعار الهذيلين من منسوبة للبريق بن عياض .

(٢) هـ : « عدو » .

(٣) عزه في ديوان الهذيلين (١ : ٤٢) والسان والمقاييس (مرج ، ملحد) ، * هو الفعل إلا أنه عمل التعل *

جَعَلَ مَا يُمْزَجَ بِهِ مَرْجًَا . ورواية الأصمعي « مَرْجًَا » بكسر الميم . فالمزاج كالملزاج والقطاب ، سَمَّاه بما يُستصلح له من ذلك أو يُفعَلُ به من بعد . وإنما قال هذا لأنَّ الواحد منهم إذا أُصيب بمن يمسُّه أو وُتِرَ فيمن يقرُب منه ويختلطُ به ، كان يُفْقَدُ على نَفْسِهِ نَذْرًا في مجانية بعض اللذات أو أكثرها ، من معاقة الشراب أو مجامعة النساء أو ما يجري مجرها ، إلى أن ينال المراد ، ويحصل المرتاد . ويقال قَطَبَتُ الشراب ، أى مَرَجَتُهُ . ويروى : « وإن كان رُضَابًا » . ويجوز أن يريد به ماء فم محبوب . ويجوز أن يريد ماء محلى في جنسه ذلك الخلُّ من الشراب .

٣ - حتى أَرَى فارِسَ الصَّمُوتِ عَلَى أَكْسَاءِ خَيْلٍ كَأَنَّهَا الإِبْلُ^(١)
 حتى تعلقَ إن شئت بقوله أَبَى الله ، وإن شئت تعلقَ بمعنى ، والتقدير في الوجهين : يأبى الله موته حتى أرى هذا الأمر ، أو يمنع المُلْمَسُ الالتفاذ بالشراب حتى أراه وأشاهده . والصموت : اسْمُ فَرِسِهِ^(٢) . ويعنى بفارسه نفسه . وأكساء الخيل : أدبارها . ويقال هو يكسؤه ويذربه ويذنبه ، أى يكون في أمره . وحکي أخليل أَكْسَانُهُ اخْيَلَ . وللمعنى : لا يكون ذلك حتى أرى نفسي ترْكُضُ في أدبار خييلٍ منهزمة وتسوقة ، كما تُساق الإبل . وقيل شبهها بالإبل في عظام خلقها وإشرافها . والكلام على هذا يُرادُ به خيل مخصوصة يتوعّدها ويعين عليها .

(١) التبريزى « ويروى : كأنها أبل ، بضم المهمزة والباء ، وهي جمع أبل . والأيل : العصا والخيل تشبه بالعصى في ضمها ووصلها لبعضها . قال أصرق القيس : * كأنها هراوة منوال * » .

(٢) التبريزى : « يجوز أن يكون اسم فرس ، أو اسم حى من العرب » .

٤- لا تحسبني مُحَجَّلًا سَبِطَ السَّاسَا قَيْنِ أَبْكِي أَنْ يَظْلِمَ الْجَمْلُ
 هذا توعد وتعريف بالمخاطب . المحجل ، يجوز أن يكون مأخوذاً من
 الحجل الذي هو القيد ، ومن العِجَّلُ الذي هو التَّلْخَالُ ، ويجوز أن يكون من
 التَّلْجَلَةَ . والمعنى : لا تظنني إنساناً مُترفاً مُنْعِمًا لا غَنَاءَ عِنْهُ ، ولا كفایة لدَيْهِ ،
 ولا رأى يُسْتَندَ إِلَيْهِ ، ويعول في المهمات عليه ، فهو في العجز كالممنوع المقيد ،
 وكل مرأة المخلدة ، وكالمخدر الملائم للحِجَّالِ والفرش يمحز - لضعف نهوضه ،
 وسقوط قواه ، وسوء بصيرته - مِنْ ظلم جَمِيلِهِ فضلاً من غيره . قوله « أَبْكِي
 أَنْ يَظْلِمَ الْجَمْلُ » صَرَفَ الْكَلَامَ إِلَى الإِخْبَارِ عَنْ نَفْسِهِ ، ولو قال « يَبْكِي أَنْ
 يَظْلِمَ » لَتَرَكَ الْإِسْتِمَارَ فِي صَفَةِ الْحِجَّالِ جَارِيًّا عَلَى حَدِّهِ ، غَيْرَ مَتْحُولٍ عَنْهُ ،
 وَكَانَ الْكَلَامُ أَحْسَنَ فِي قِرَآنِ النَّظْمِ .

٥- إِنِّي أَمْرُؤٌ مِنْ تَنُوخَ نَاصِرِهِ سُخْتَمِلٌ فِي الْحُرُوبِ مَا احْتَمَلُوا^(١)
 قوله « من تَنُوخ » أي أنتَسِب إليها ، وأهْوَى هَوَاهَا . و« نَاصِرُهُ » نَسِكَرَةُ
 لأن إضافته إضافة تخفيف لا إضافة تعريف ، والتَّنُوخُ منوى فيه ، أراد : ناصِرُ
 له . قوله : « ما احْتَمَلُوا » أراد : ما احْتَمَلُوهُ ، خَذَفَ المفعولَ لطولِ الصلة .
 والمعنى : إِنِّي مُخَالِطُهُمْ ونَاصِرُهُمْ ، وصَابِرٌ عَلَى مَا يَصْبِرُونَ عَلَيْهِ ، وناهضٌ تَحْتَ
 الْعِبَهُ الَّذِي يَنْهَضُونَ فِيهِ .

(تم القسم الأول من شرح المرزوقي للجماسة)

(١) التبريزى : « قال أبو هلال : ويروى ناصرهم ، أى ناصر لهم . قال : وهذا
 الشعر فى أشعار هذيل لابريق بن عياض المدى . وقال : إنَّ امْرُؤَ مِنْ هذيل » .



رفع أ. علاء الدين شوقي أسكنه الله الفردوس

